ترسانه حکیم باشیسی السید موسی
نظیف افندینک وقفیدر
سنه ١٢٥٩

وقف

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا فتحدى بأقصر سورة من سوره مصاقع الخطباء من العرب العرباء
فلم يجد به قديرا وأفحم من تصدى لمعارضته من فصحاء عدنان وبلغاء قحطان حتى حسبوا أنهم سحروا تسحيرا ثم بين للناس
ما نزل إليهم حسبما عن لهم من مصالحهم ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب تذكيرا فكشف قناع الانغلاق عن آيات
محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات هن رموز الخطاب تأويلا وتفسيرا وأبرز غوامض الحقائق
ولطائف الدقائق ليتجلى لهم خفايا الملك والملكوت وخبايا قدس الجبروت ليتفكروا فيها تفكيرا ومهد
لهم قواعد الأحكام وأوضاعها من نصوص الآيات وألماعها ليذهب عنهم الرجس ويطهرهم تطهيرا فمن كان له
قلب أو ألقى السمع وهو شهيد فهو في الدارين سعيد وحميد ومن لم يرفع إليه رأسه وأطفأ نبراسه يعش ذميما ويصلى سعيرا
فيا واجب الوجود ويا فائض الجود ويا غاية كل مقصود صل عليه صلوة توازي غناءه وتجازي عناءه وعلى
من أعانه وقرر تبيانه تقريرا وأفض علينا من بركاتهم واسلك بنا مسالك كراماتهم وسلم علينا وعليهم تسليما كثيرا
أما بعد فإن أعظم العلوم مقدارا وأرفعها شرفا ومنارا علم التفسير الذي هو رئيس العلوم الدينية ورأسها ومبنى
قواعد الشرع وأساسها لا يليق لتعاطيه والتصدي للتكلم فيه إلا من برع في العلوم الدينية كلها أصولها وفروعها
وفاق في الصناعات العربية والفنون الأدبية بأنواعها ولطالما أحدث نفسي بأن أصنف في هذا الفن كتابا يحتوي على
صفوة ما بلغني من عظماء الصحابة وعلماء التابعين ومن دونهم من السلف الصالحين وينطوي على نكت بارعة ولطائف
رائعة استنبطتها أنا ومن قبلي من أفاضل المتأخرين وأماثل المحققين ويعرب عن وجوه القراءات المعزية إلى الأئمة
الثمانية المشهورين والشواذ المروية عن القراء المعتبرين إلا أن قصور بضاعتي يثبطني عن الإقدام ويمنعني عن الانتصاب
في هذا المقام حتى سنح لي بعد الاستخارة ما صمم به عزمي على الشروع فيما أردته والإتيان بما قصدته ناويا أن أسميه
بعد أن أتممه بأنوار التنزيل وأسرار التأويل فها أنا الآن أشرع وبحسن توفيقه أقول وهو الموفق لكل خير ومعطي كل
مسؤول **سورة فاتحة الكتاب سبع آيات** وتسمى أم القرآن لأنها مفتتحه ومبدؤه فكأنها أصله ومنشؤه ولذلك
تسمى أساسا أو لأنها تشتمل على ما فيه من الثناء على الله تعالى والتعبد بأمره ونهيه وبيان وعده ووعيده أو

وقف

أو على جملة معانيه من الحكم النظرية والأحكام العملية التي هي سلوك الطريق المستقيم والاطلاع على مراتب السعداء ومنازل الأشقياء
وسورة الكنز والوافية والكافية لذلك وسورة الحمد والشكر والدعاء وتعليم المسألة لاشتمالها عليها والصلوة لوجوب
قراءتها أو استحبابها فيها والشافية والشفاء لقوله عليه السلام هي شفاء لكل داء والسبع المثاني لأنها سبع آيات بالاتفاق إلا أن منهم من
عد التسمية آية دون أنعمت عليهم ومنهم من عكس وتثنى في الصلوة أو الإنزال إن صح أنها نزلت بمكة حين فرضت الصلوة
بسم الله الرحمن الرحيم من الفاتحة ومن كل سورة وعليه قراء مكة والكوفة وفقهاؤهما وابن المبارك و
الشافعي وخالفهم قراء المدينة والبصرة والشام وفقهاؤها ومالك والأوزاعي ولم ينص أبو حنيفة فيه بشيء فظن
أنها ليست من السورة عنده وسئل محمد بن الحسن الشيباني عنها فقال ما بين الدفتين كلام الله تعالى لنا أحاديث
كثيرة منها ما روى أبو هريرة أنه عليه السلام قال فاتحة الكتاب سبع آيات أولاهن بسم الله الرحمن الرحيم وقول أم سلمة رضي الله عنها
قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم الفاتحة وعد بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين آية ومن أجلهما اختلف في أنها آية
برأسها أو بما بعدها والإجماع على أن ما بين الدفتين كلام الله والوفاق على إثباتها في المصاحف مع المبالغة
في تجريد القرآن حتى لم تكتب آمين والباء متعلقة بمحذوف تقديره بسم الله أقرأ لأن الذي يتلوه مقروء وكذلك يضمر
كل فاعل ما يجعل التسمية مبدأ له وذلك أولى من أن يضمر أبدأ لعدم ما يطابقه وما يدل عليه أو ابتدائي لزيادة إضمار
فيه وتقديم المعمول هنا أوقع كما في قوله تعالى بسم الله مجراها ومرساها وقوله إياك نعبد لأنه أهم وأدل على الاختصاص
وأدخل في التعظيم وأوفق للوجود فإن اسمه تعالى مقدم على القراءة كيف لا وقد جعل آلة لها من حيث إن الفعل
لا يتم ولا يعتد به شرعا ما لم يصدر باسمه تعالى لقوله عليه السلام كل أمر ذي بال لم يبدأ فيه باسم الله فهو أبتر وقيل الباء للمصاحبة و
المعنى متبركا باسم الله أقرأ وهذا وما بعده مقول على ألسنة العباد ليعلموا كيف يتبرك باسمه ويحمد على نعمه ويسأل من
فضله وإنما كسرت ومن حق الحروف المفردة أن تفتح لاختصاصها بلزوم الحرفية والجر كما كسرت لام الأمر ولام الإضافة
داخلة على المظهر للفصل بينهما وبين لام الابتداء والاسم عند البصريين من الأسماء التي حذفت أعجازها لكثرة الاستعمال
وبنيت أوائلها على السكون وأدخل عليها مبتدأ بها همزة الوصل لأن من دأبهم أن يبتدئوا بالمتحرك
ويقفوا على الساكن ويشهد له تصريفه على أسماء وأسامي وسمي وسميت ومجيء سمى كهدى لغة فيه قال الشاعر
والله أسماك سما مباركا آثرك الله به إيثاركا والقلب بعيد غير مطرد واشتقاقه من السمو لأنه رفعة للمسمى و
شعار له ومن السمة عند الكوفيين وأصله وسم حذفت الواو وعوضت عنها همزة الوصل ليقل إعلاله ورد بأن
الهمزة لم تعهد داخلة على ما حذف صدره في كلامهم ومن لغاته سم وسم قال الشاعر باسم الذي
في كل سورة سمه والاسم إن أريد به اللفظ فغير المسمى لأنه يتألف من أصوات مقطعة غير قارة ويختلف
باختلاف الأمم والأعصار ويتعدد تارة ويتحد أخرى والمسمى لا يكون كذلك وإن أريد به ذات الشيء فهو المسمى و

وبالمدينة لما حولت القبلة
وقد صح أنها مكية لقوله تعالى
ولقد آتيناك سبعا من
المثاني والقرآن العظيم
وهو مكي صح

تانيه ارسل فيها بالدليل منه

لكن لم يشتهر بهذا المعنى وقوله سبح اسم ربك المعنى به اللفظ لأنه كما يجب تنزيه ذاته وصفاته عن النقائص يجب
تنزيه الألفاظ الموضوعة لها عن الرفث وسوء الأدب أو الاسم فيه مقحم كما في قول الشاعر إلى الحول ثم
اسم السلام عليكما وإن أريد به الصفة كما هو رأي الشيخ أبي الحسن الأشعري انقسم انقسام الصفة عنده إلى
ما هو نفس المسمى وإلى ما هو غيره وإلى ما ليس هو ولا غيره وإنما قال بسم الله ولم يقل بالله لأن التبرك و
الاستعانة بذكر اسمه أو للفرق بين اليمين والتيمن ولم تكتب الألف على ما هو وضع الخط لكثرة الاستعمال وطولت
الباء عوضا عنها والله أصله إله فحذفت الهمزة وعوض عنها الألف واللام ولذلك قيل يا الله بالقطع إلا أنه
يختص بالمعبود بالحق والإله في أصله يقع لكل معبود ثم غلب على المعبود بالحق واشتقاقه من أله إلهة وألوهة و
ألوهية بمعنى عبد ومنه تأله واستأله وقيل من أله إذا تحير لأن العقول تتحير في معرفته أو من ألهت إلى فلان
أي سكنت إليه لأن القلوب تطمئن بذكره والأرواح تسكن إلى معرفته أو من أله إذا فزع من أمر نزل عليه وآلهه
غيره أي أجاره إذ العابد يفزع إليه وهو يجيره حقيقة أو بزعمه أو من أله الفصيل إذا ولع بأمه إذ العباد يولعون
بالتضرع إليه في الشدائد أو من وله إذا تحير وتخبط عقله وكان أصله ولاه فقلبت الواو همزة لاستثقال الكسرة
عليها استثقال الضم في وجوه فقيل إلاه كإعاء وإشاح ويرده الجمع على آلهة دون أولهة وقيل أصله لاه مصدر
لاه يليه ليها ولاها إذا احتجب وارتفع لأنه تعالى محجوب عن إدراك الأبصار ومرتفع على كل شيء وعما لا يليق به
ويشهد له قول الشاعر كحلفة من أبي رياح يسمعها لاهه الكبار وقيل علم لذاته المخصوصة لأنه يوصف و
لا يوصف به ولأنه لا بد له من اسم تجري عليه صفاته ولا يصح مثل لا إله إلا الرحمن فإنه لا يمنع الشركة والأظهر أنه
وصف في أصله لكنه لما غلب عليه بحيث لا يستعمل في غيره وصار كالعلم مثل الثريا والصعق أجري مجراه في إجراء
الأوصاف عليه وامتناع الوصف به وعدم تطرق احتمال الشركة إليه لأن ذاته من حيث هو بلا اعتبار
أمر آخر حقيقي أو غيره غير معقول للبشر فلا يمكن أن يدل عليه بلفظ ولأنه لو دل على مجرد ذاته المخصوصة لما أفاد
ظاهر قوله وهو الله في السموات وفي الأرض معنى صحيحا ولأن معنى الاشتقاق هو كون أحد اللفظين مشاركا للآخر في
المعنى والتركيب وهو حاصل بينه وبين الأصول المذكورة وقيل أصله لاها بالسريانية فعرب بحذف الألف
الأخيرة وإدخال اللام عليه وتفخم لامه إذا انفتح ما قبله أو انضم سنة وقيل مطلقا وحذف ألفه لحن
تفسد به الصلاة ولا ينعقد به صريح اليمين وقد جاء لضرورة الشعر ألا لا بارك الله في سهيل
إذا ما الله بارك في الرجال الرحمن الرحيم اسمان بنيا للمبالغة من رحم كالغضبان من غضب والعليم من علم
والرحمة في اللغة رقة القلب وانعطاف يقتضي التفضل والإحسان ومنه الرحم لانعطافها على ما فيها وأسماء
الله تعالى إنما تؤخذ باعتبار الغايات التي هي أفعال دون المبادي التي تكون انفعالات والرحمن أبلغ من الرحيم لأن الزيادة

البناء تدل على زيادة المعنى كما في قطع وقطّع وكبار وكبّار وذلك إنما يؤخذ تارة باعتبار الكمية وأخرى باعتبار الكيفية
فعلى الأول قيل يا رحمن الدنيا والآخرة ورحيم الدنيا لأن النعم الأخروية كلها جسام والنعم الدنيوية جليلة و
حقيرة وإنما قدم والقياس يقتضي الترقي من الأدنى إلى الأعلى لتقدم رحمة الدنيا ولأنه صار كالعلم من حيث إنه
لا يوصف به غيره لأن معناه المنعم الحقيقي البالغ في الرحمة غايتها وذلك لا يصدق على غيره لأن من عداه فهو مستعيض
بلطفه وإنعامه يريد به جزيل ثواب أو جميل ثناء أو مزيل رقة الجنسية أو حب المال عن القلب ثم إنه
كالواسطة في ذلك لأن ذات النعم ووجودها والقدرة على إيصالها والداعية الباعثة عليه والتمكن من
الانتفاع بها والقوى التي بها يحصل الانتفاع إلى غير ذلك من خلقه لا يقدر عليها أحد غيره أو لأن الرحمن لما
دل على جلائل النعم وأصولها ذكر الرحيم ليتناول ما خرج منها فيكون كالتتمة والرديف له أو للمحافظة
على رؤوس الآي والأظهر أنه غير مصروف وإن حظر اختصاصه بالله أن يكون له مؤنث على فعلى أو فعلانة إلحاقا له
بما هو الغالب في بابه وإنما خص التسمية بهذه الأسماء ليعلم العارف أن المستحق لأن يستعان به في مجامع الأمور هو المعبود الحقيقي
الذي هو مولى النعم كلها عاجلها وآجلها جليلها وحقيرها فيتوجه بشراشره إلى جناب القدس ويتمسك بحبل التوفيق
ويشغل سره بذكره والاستمداد به عن غيره الحمد لله الحمد هو الثناء على الجميل الاختياري من نعمة وغيرها
والمدح هو الثناء على الجميل مطلقا تقول حمدت زيدا على علمه وكرمه ولا تقول حمدته على حسنه بل مدحته و
قيل هما أخوان والشكر مقابلة النعمة قولا وعملا واعتقادا قال أفادتكم النعماء مني ثلاثة يدي و
لساني والضمير المحجبا فهو أعم منهما من وجه وأخص من وجه آخر ولما كان الحمد من شعب الشكر أشيع للنعمة وأدل على
مكانها لخفاء الاعتقاد وما في آداب الجوارح من الاحتمال جعل رأس الشكر والعمدة فيه فقال عليه السلام الحمد رأس الشكر
ما شكر الله من لم يحمده والذم نقيض الحمد والكفران نقيض الشكر ورفعه بالابتداء وخبره لله وأصله النصب وقد قرئ
به وإنما عدل عنه إلى الرفع ليدل على عموم الحمد وثباته له دون تجدده وحدوثه وهو من المصادر التي تنصب بأفعال
مضمرة لا تكاد تستعمل معها والتعريف فيه للجنس ومعناه الإشارة إلى ما يعرفه كل أحد أن الحمد ما هو أو للاستغراق إذ الحمد في
الحقيقة كله له إذ ما من خير إلا وهو موليه بوسط أو بغير وسط كما قال وما بكم من نعمة فمن الله وفيه إشعار بأنه تعالى حي قادر
مريد عالم إذ الحمد لا يستحقه إلا من كان هذا شأنه وقرئ الحمد لله بإتباع الدال اللام وبالعكس تنزيلا لهما من حيث إنهما
يستعملان معا منزلة كلمة واحدة رب العالمين الرب في الأصل بمعنى التربية وهي تبليغ الشيء إلى كماله شيئا فشيئا
ثم وصف به للمبالغة كالصوم والعدل وقيل هو نعت من ربه يربه فهو رب كقولك نم ينم فهو نم ثم سمي
به المالك لأنه يحفظ ما يملكه ويربيه ولا يطلق على غيره تعالى إلا مقيدا كقوله ارجع إلى ربك والعالم اسم لما يعلم به
كالخاتم والقالب غلب فيما يعلم به الصانع وهو كل ما سواه من الجواهر والأعراض فإنها لإمكانها وافتقارها إلى مؤثر

وجب لذاته تدل عليه وجمعه ليشمل ما تحته من الاجناس المختلفة وغلب العقلاء منهم فجمعه بالياء والنون كسائر
اوصافهم وقيل اسم وضع لذوي العلم من الملائكة والثقلين وتناوله لغيرهم على سبيل الاستتباع وقيل عني به
الناس ههنا فان كل واحد منهم عالم من حيث انه يشتمل على نظائر ما في العالم الكبير من الجواهر والاعراض يعلم
بها الصانع كما يعلم بما ابدعه في العالم ولذلك سوى بين النظر فيهما وقال تعالى وفي انفسكم افلا تبصرون وقرئ
رب العالمين بالنصب على المدح او النداء او بالفعل الذي دل عليه الحمد وفيه دليل على ان الممكنات كما هي مفتقرة
الى المحدث حال حدوثها فهي مفتقرة الى المبقي حال بقائها الرحمن الرحيم كرره للتعليل على ما سنذكره
مالك يوم الدين قراه عاصم والكسائي ويعقوب ويعضده قوله يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والامر
يومئذ لله وقرا الباقون ملك وهو المختار لانه قراءة اهل الحرمين ولقوله تعالى لمن الملك اليوم ولما فيه من التعظيم
والمالك هو المتصرف في الاعيان المملوكة كيف شاء والملك هو المتصرف بالامر والنهي في المامورين من الملك و
قرئ ملك بالتخفيف وملك بلفظ الفعل ومالكا بالنصب على المدح او الحال ومالك بالرفع منونا ومضافا
على انه خبر مبتدا محذوف وملك مضافا بالرفع والنصب ويوم الدين يوم الجزاء ومنه كما تدين تدان وبيت
الحماسة ولم يبق سوى العدوان دناهم كما دانوا اضاف اسم الفاعل الى الظرف اجراء له مجرى المفعول به
على الاتساع كقولهم يا سارق الليلة اهل الدار ومعناه ملك الامور يوم الدين على طريقة ونادى اصحاب الجنة
او له الملك في هذا اليوم على وجه الاستمرار لتكون الاضافة حقيقية معدة لوقوعه صفة للمعرفة وقيل الدين الشريعة وقيل
الطاعة والمعنى يوم جزاء الدين وتخصيص اليوم بالاضافة اما لتعظيمه او لتفرده تعالى بنفوذ الامر فيه واجراء
الاوصاف على الله تعالى من كونه موجدا للعالمين ربا لهم منعما عليهم بالنعم كلها ظاهرها وباطنها عاجلها وآجلها مالكا لامورهم
يوم الثواب والعقاب للدلالة على انه الحقيق بالحمد لا احد احق به منه بل لا يستحقه على الحقيقة سواه فان ترتب الحكم
على الوصف يشعر بعليته له وللاشعار من طريق المفهوم على ان من لم يتصف بتلك الصفات لا يستاهل لان
يحمد فضلا عن ان يعبد فيكون دليلا على ما بعده فالوصف الاول لبيان ما هو الموجب للحمد وهو الايجاد والتربية والثاني
والثالث للدلالة على انه متفضل بذلك مختار فيه ليس يصدر منه لايجاب بالذات او وجوب عليه
قضية لسوابق الاعمال حتى يستحق به الحمد والرابع لتحقيق الاختصاص فانه مما لا يقبل الشركة فيه بوجه ما وتضمين الوعد للحامدين
والوعيد للمعرضين اياك نعبد واياك نستعين ثم انه لما ذكر الحقيق بالحمد ووصف بصفات
عظام تميز بها عن سائر الذوات وتعلق العلم بمعلوم معين خوطب بذلك اي يا من هذا شانه نخصك بالعبادة و
الاستعانة ليكون ادل على الاختصاص وللترقي من البرهان الى العيان والانتقال من الغيبة الى الشهود وكان المعلوم صار
عيانا والمعقول مشاهدا والغيبة حضورا بنى اول الكلام على ما هو مبادي حال العارف من الذكر والفكر والتامل في اسمائه

والنظر في آلائه والاستدلال بصنائعه على عظيم شانه وباهر سلطانه ثم قفى بما هو منتهى امره وهو ان يخوض لجة الوصول
ويصير من اهل المشاهدة فيراه عيانا ويناجيه شفاها اللهم اجعلنا من الواصلين الى العين دون السامعين للاثر ومن عادة
العرب التفنن في الكلام والعدول من اسلوب الى آخر تطرية له وتنشيطا للسامع فيعدل من الخطاب الى الغيبة ومن الغيبة
الى التكلم وبالعكس كقوله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم وقوله والله الذي ارسل الرياح فتثير سحابا فسقناه
وقول امرئ القيس تطاول ليلك بالاثمد ونام الخلي ولم ترقد وبات وباتت له ليلة كليلة ذي العائر
الارمد وذلك من نبا جاءني وخبرته عن ابي الاسود وايا ضمير منصوب منفصل وما يلحقه من الياء و
الكاف والهاء حروف زيدت لبيان التكلم والخطاب والغيبة لا محل لها من الاعراب كالتاء في انت والكاف
في ارايتك وقال الخليل ايا مضاف اليها واحتج بما حكاه عن بعض العرب اذا بلغ الرجل الستين فاياه وايا
الشواب وهو شاذ لا يعتمد عليه وقيل هي الضمائر وايا عمدة فانها لما فصلت عن العوامل تعذر النطق بها مفردة
فضم اليها ايا لتستقل به وقيل الضمير هو المجموع وقرئ اياك بفتح الهمزة وهياك بقلبها هاء والعبادة اقصى غاية
الخضوع والتذلل ومنه طريق معبد اي مذلل وثوب ذو عبدة اذا كان في غاية الصفاقة ولذلك لا تستعمل
الا في الخضوع لله تعالى والاستعانة طلب المعونة وهي اما ضرورية او غير ضرورية والضرورية ما لا يتاتى الفعل دونه
كاقتدار الفاعل وتصوره وحصول آلة ومادة يفعل بها فيها وعند استجماعها يوصف الرجل بالاستطاعة ويصح ان
يكلف بالفعل وغير الضرورية تحصيل ما يتيسر به الفعل ويسهل كالراحلة في السفر للقادر على المشي او يقرب الفاعل
الى الفعل ويحثه عليه وهذا القسم لا يتوقف عليه صحة التكليف والمراد طلب المعونة في المهمات كلها او في اداء العبادات
والضمير المستكن في الفعلين للقارئ ومن معه من الحفظة وحاضري الجماعة او له ولسائر الموحدين ادرج عبادته في
تضاعيف عبادتهم وخلط حاجته بحاجتهم لعلها تقبل ببركتها ويجاب اليها ولهذا شرعت الجماعة وقدم
المفعول للتعظيم والاهتمام والدلالة على الحصر ولذلك قال ابن عباس معناه نعبدك ولا نعبد غيرك وتقديم ما هو
مقدم في الوجود والتنبيه على ان العابد ينبغي ان يكون نظره الى المعبود اولا وبالذات ومنه الى العبادة لا من حيث
انها عبادة صدرت عنه بل من حيث انها نسبة شريفة اليه ووصلة بينه وبين الحق فان العارف انما
يحق وصوله اذا استغرق في ملاحظة جناب القدس وغاب عما عداه حتى انه لا يلاحظ نفسه ولا حالا من احوالها الا
من حيث انها ملاحظة له ومنتسبة اليه ولذلك فضل ما حكى الله عن حبيبه حين قال لا تحزن ان الله معنا
على ما حكاه عن كليمه حين قال ان معي ربي سيهدين وكرر الضمير للتنصيص على انه المستعان لا غيره وقدمت العبادة
على الاستعانة ليتوافق رؤوس الآي ويعلم منه ان تقديم الوسيلة على طلب الحاجة ادعى الى الاجابة واقول لما
نسب المتكلم العبادة الى نفسه اوهم ذلك تبجحا واعتدادا منه بما يصدر عنه فعقبه بقوله واياك نستعين

ليدل على ان العبادة ايضا مما لا يتم ولا يستتب له الا بمعونة منه وتوفيق وقيل الواو للحال والمعنى نعبدك مستعينين بك وقرئ بكسر النون فيهما وهي لغة بني تميم فانهم يكسرون حروف المضارع سوى الياء اذا لم ينضم ما بعدها اهدنا الصراط المستقيم بيان للمعونة المطلوبة فكانه قال كيف اعينكم فقالوا اهدنا او افراد لما هو المقصود الاعظم والهداية دلالة بلطف ولذلك تستعمل في الخير وقوله تعالى فاهدوهم الى صراط الجحيم على التهكم ومنه الهدية وهوادي الوحش لمقدماتها والفعل منه هدى واصله ان يعدى باللام او الى فعومل معاملة اختار في قوله واختار موسى قومه وهداية الله تعالى تتنوع انواعا لا يحصيها عد لكنها تنحصر في اجناس مترتبة الاول افاضة القوى التي بها يتمكن المرء من الاهتداء الى مصالحه كالقوة العقلية والحواس الباطنة والمشاعر الظاهرة والثاني نصب الدلائل الفارقة بين الحق والباطل والصلاح والفساد واليه اشار حيث قال وهديناه النجدين وقال فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى والثالث الهداية بارسال الرسل وانزال الكتب واياها عنى بقوله تعالى وجعلناهم ائمة يهدون بامرنا وقوله ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم والرابع ان يكشف على قلوبهم السرائر ويريهم الاشياء كما هي بالوحي او الالهام والمنامات الصادقة وهذا القسم يختص بنيله الانبياء والاولياء واياه عنى بقوله اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وقوله والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا فالمطلوب اما زيادة ما منحوه من الهدى او الثبات عليه او حصول المراتب المرتبة عليه فاذا قاله العارف الواصل عنى به ارشدنا طريق السير فيك لتمحو عنا ظلمات احوالنا وتميط غواشي ابداننا لنستضيء بنور قدسك فنراك بنورك والامر والدعاء يتشاركان لفظا ومعنى ويتفاوتان بالاستعلاء والتسفل وقيل بالرتبة والسراط من سرط الطعام اذا ابتلعه فكانه يسترط السابلة ولذلك سمي لقما لانه يلتقمهم والصراط من قلب السين صادا ليطابق الطاء في الاطباق وقد تشم الصاد صوت الزاي ليكون اقرب الى المبدل عنه وقرأ ابن كثير برواية قنبل ورويس عن يعقوب بالاصل وحمزة بالاشمام والباقون بالصاد وهو لغة قريش والثابت في الامام وجمعه سرط ككتب وهو كالطريق في التذكير والتانيث والمستقيم المستوي والمراد به طريق الحق وقيل ملة الاسلام صراط الذين انعمت عليهم بدل من الاول بدل الكل من الكل وهو في حكم تكرير العامل من حيث انه المقصود بالنسبة وفائدته التوكيد والتنصيص على ان طريق المسلمين هو الطريق المشهود عليه بالاستقامة على اكد وجه وابلغه لانه جعل كالتفسير والبيان له فكانه من البين الذي لا خفاء فيه ان الطريق المستقيم ما يكون طريق المؤمنين وقيل الذين انعمت عليهم الانبياء وقيل اصحاب موسى وعيسى عليهما السلام قبل التحريف والنسخ وقرئ صراط من انعمت عليهم والانعام ايصال النعمة وهي في الاصل الحالة التي يستلذها الانسان فاطلقت لما يستلذه من النعمة وهي اللين ونعم الله وان كانت لا تحصى كما قال الله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها تنحصر في جنسين دنيوي واخروي والاول قسمان موهبي وكسبي والموهبي قسمان روحاني كنفخ الروح فيه واشراقه بالعقل وما يتبعه من القوى

كالفهم والفكر والنطق وجسماني كتخليق البدن والقوى الحالة فيه والهيئات العارضة له من الصحة وكمال الاعضاء والكسبي تزكية النفس عن الرذائل وتحليتها بالاخلاق والملكات الفاضلة وتزيين البدن بالهيئات المطبوعة والحلى المستحسنة وحصول الجاه والمال والثاني ان يغفر ما فرط منه ويرضى عنه ويبوئه في اعلى عليين مع الملئكة المقربين ابد الآبدين والمراد هو القسم الاخير وما يكون وصلة الى نيله من القسم الآخر فان ما عدا ذلك يشترك فيه المؤمن والكافر غير المغضوب عليهم ولا الضالين بدل من الذين على معنى ان المنعم عليهم هم الذين سلموا من الغضب والضلال او صفة مبينة او مقيدة على معنى انهم هم الذين جمعوا بين النعمة المطلقة وهي نعمة الايمان وبين نعمة السلامة من الغضب والضلال وذلك انما يصح باحد تأويلين اجراء الموصول مجرى النكرة اذا لم يقصد به معهود كالمحلى في قوله ولقد امر على اللئيم يسبني وقولهم اني لامر على الرجل مثلك فيكرمني او جعل غير معرفة بالاضافة لانه اضيف الى ماله ضد واحد وهو المنعم عليهم فيتعين تعين الحركة من غير السكون وعن ابن كثير نصبه على الحال من الضمير المجرور والعامل انعمت او باضمار اعني او بالاستثناء ان فسر النعم بما يعم القبيلتين والغضب ثوران النفس ارادة الانتقام فاذا اسند الى الله تعالى اريد به المنتهى والغاية على ما مر وعليهم في محل الرفع لانه نائب مناب الفاعل بخلاف الاول ولا مزيدة لتاكيد ما في غير من معنى النفي فكانه قال لا المغضوب عليهم ولا الضالين ولذلك جاز انا زيدا غير ضارب كما جاز انا زيدا لا ضارب وان امتنع انا زيدا مثل ضارب وقرئ وغير الضالين والضلال العدول عن الطريق السوي عمدا او خطأ وله عرض عريض والتفاوت بين ادناه واقصاه كثير قيل المغضوب عليهم اليهود لقوله تعالى فيهم من لعنه الله وغضب عليه والضالين النصارى لقوله تعالى قد ضلوا من قبل واضلوا كثيرا وقد روي مرفوعا ويتجه ان يقال المغضوب عليهم العصاة والضالون الجاهلون بالله لان المنعم عليه من وفق للجمع بين معرفة الحق لذاته والخير للعمل به فكان المقابل له من اختل احدى قوتيه العاقلة والعاملة والمخل بالعمل فاسق مغضوب عليه لقوله تعالى في القاتل عمدا وغضب الله عليه والمخل بالعلم جاهل ضال لقوله فماذا بعد الحق الا الضلال وقرئ ولا الضألين بالهمزة على لغة من جد في الهرب من التقاء الساكنين آمين اسم الفعل الذي هو استجب وعن ابن عباس سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معناه فقال افعل بني على الفتح كأين لالتقاء الساكنين وجاء مد الفه وقصرها قال ويرحم الله عبدا قال آمينا وقال امين فزاد الله ما بيننا بعدا وليس من القرآن وفاقا لكن يسن ختم السورة به لقوله عليه السلام علمني جبرئيل آمين عند فراغي من قراءة الفاتحة وقال انه كالختم على الكتاب وفي معناه قول علي رضي الله عنه آمين خاتم رب العالمين ختم به دعاء عبده يقوله الامام ويجهر به في الجهرية لما روي عن وائل بن حجر انه عليه السلام كان اذا قرأ ولا الضالين قال آمين ورفع بها صوته وعن ابي حنيفة انه لا يقوله والمشهور عنه انه يخفيه كما رواه عبد الله بن مغفل وانس والمأموم يؤمن معه لقوله عليه السلام اذا قال الامام ولا الضالين فقولوا آمين فان الملئكة تقول آمين فمن وافق تامينه تامين الملئكة غفر له

ما تقدم من ذنبه وعن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لابي الا اخبرك بسورة لم ينزل في الانجيل والتورية والقرآن مثلها قال قلت بلى يا رسول الله قال فاتحة الكتاب انها السبع المثاني والقرآن العظيم الذي اوتيته وعن ابن عباس قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ اتاه ملك فقال ابشر بنورين اوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لن تقرأ حرفا منهما الا اعطيته وعن حذيفة بن اليمان ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان القوم ليبعث الله عليهم العذاب حتما مقضيا فيقرأ صبي من صبيانهم في الكتاب الحمد لله رب العالمين فيسمعه الله تعالى فيرفع عنهم بذلك العذاب

سورة البقرة مدنية وآيها مائتان وسبع وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الم وسائر الالفاظ التي يتهجى بها اسماء مسمياتها الحروف التي ركبت منها الكلم لدخولها في حد الاسم واعتوار ما يخص به من التعريف والتنكير والجمع والتصغير ونحو ذلك عليها وبه صرح الخليل وابو علي وما روى ابن مسعود رضي الله عنه انه عليه السلام قال من قرأ حرفا من كتاب الله فله حسنة والحسنة بعشر امثالها لا اقول الم حرف بل الف حرف ولام حرف وميم حرف فالمراد به غير المعنى الذي اصطلح عليه فان تخصيصه به عرف مجدد بل المعنى اللغوي ولعله سماه باسم مدلوله ولما كانت مسمياتها حروفا وحدانا وهي مركبة صدرت بها لتكون تأديتها بالمسمى اول ما يقرع السمع واستعيرت الهمزة مكان الالف لتعذر الابتداء بها وهي ما لم تلها العوامل موقوفة خالية عن الاعراب لفقد موجبه ومقتضيه لكنها قابلة اياه ومعرضة له اذ لم تناسب مبني الاصل ولذلك قيل ص وق مجموعا فيهما بين الساكنين ولم يعامل معاملة اين وهؤلاء ثم ان مسمياتها لما كانت عنصر الكلام وبسائطه التي تركب منها افتتحت السور بطائفة منها ايقاظا لمن تحدى بالقرآن وتنبيها على ان المتلو عليهم كلام منظوم مما ينظمون منه كلامهم فلو كان من عند غير الله لما عجزوا عن آخرهم مع تظاهرهم وقوة فصاحتهم عن الاتيان بما يدانيه وليكون اول ما يقرع الاسماع مستقلا بنوع من الاعجاز فان النطق باسماء الحروف مختص بمن خط ودرس فاما من الامي الذي لم يخالط الكتاب فمستبعد مستغرب خارق للعادة كالكتابة والتلاوة سيما وقد راعى في ذلك ما يعجز عنه الاديب الاريب الفائق في فنه وهو انه اورد في هذه الفواتح اربعة عشر اسما هي نصف اسامي حروف المعجم ان لم يعد فيها الالف حرفا برأسها في تسع وعشرين سورة بعددها اذا عد فيها الالف مشتملة على انصاف انواعها فذكر من المهموسة وهي ما يضعف الاعتماد على مخرجه ويجمعها ستشحثك خصفه نصفها الحاء والهاء والصاد والسين والكاف ومن البواقي المجهورة نصفها يجمعه لن يقطع امر ومن الشديدة الثمانية المجموعة في اجدت طبقك اربعة يجمعها اقطك ومن البواقي الرخوة عشرة يجمعها حمس على نصره ومن المطبقة التي هي الصاد والضاد والطاء والظاء نصفها ومن البواقي المنفتحة نصفها ومن القلقلة وهي حروف تضطرب عند خروجها ويجمعها قد طبج نصفها الاقل لقلتها ومن اللينتين الياء لانها اقل ثقلا ومن المستعلية وهي التي يتصعد الصوت بها في الحنك الاعلى وهي سبعة القاف والصاد والطاء والخاء والغين

والضاد والظاء نصفها الاقل ومن البواقي المنخفضة نصفها ومن حروف البدل وهي احد عشر على ما ذكره سيبويه واختاره ابن جني ويجمعها اجد طويت منها الستة الشائعة المشهورة التي يجمعها اهطمين وقد زاد بعضهم سبعة اخرى وهي اللام في اصيلال والصاد والزاي في صراط وزراط والفاء في اجداف والعين في اعن والثاء في ثروغ الدلو والباء في باسمك حتى صارت ثمانية عشر وقد ذكر منها تسعة الستة المذكورة واللام والصاد والعين ومما يدغم في مثله ولا يدغم في المقارب وهي خمسة عشر الهمزة والهاء والعين والصاد والطاء والميم والياء والخاء والغين والضاد والفاء والظاء والشين والراء والواو نصفها الاقل ومما يدغم فيهما وهي الثلاثة عشر الباقية نصفها الاكثر الحاء والقاف والكاف والراء والسين واللام والنون لما في الادغام من الخفة والفصاحة ومن الاربعة التي لا تدغم فيما يقاربها ويدغم فيها مقاربها وهي الميم والزاي والسين والفاء نصفها ولما كانت الحروف الذلقية التي يعتمد عليها بذلق اللسان وهي ستة ويجمعها رب منفل والحلقية التي هي الحاء والخاء والعين والغين والهاء والهمزة كثيرة الوقوع في الكلام ذكر ثلثيهما ولما كانت ابنية المزيد لا تتجاوز عن السباعية ذكر من الزوائد العشرة التي يجمعها اليوم تنساه سبعة احرف منها تنبيها على ذلك ولو استقريت الكلم وتراكيبها وجدت الحروف المتروكة من كل جنس مكثورة بالمذكورة ثم انه ذكرها مفردة وثنائية وثلاثية ورباعية وخماسية ايذانا بان المتحدى به مركب من كلماتهم التي اصولها كلمات مفردة ومركبة من حرفين فصاعدا الى الخمسة وذكر ثلاث مفردات في ثلاث سور لانها توجد في الاقسام الثلاثة الاسم والفعل والحرف واربع ثنائيات لانها تكون في الحرف بلا حذف كبل وفي الفعل بحذف كقل وفي الاسم بغير حذف كمن وبه كدم في تسع سور لوقوعها في كل واحد من الاقسام الثلاثة على ثلاثة اوجه ففي الاسماء من واذ وذو وفي الافعال قل وبع وخف وفي الحروف ان ومن ومذ على لغة من جر بها وثلاث ثلاثيات لمجيئها في الاقسام الثلاثة في ثلاث عشرة سورة تنبيها على ان اصول الابنية المستعملة ثلاثة عشر عشرة منها للاسماء وثلاثة للافعال ورباعيتين وخماسيتين تنبيها على ان لكل منهما اصلا كجعفر وسفرجل وملحقا كقردد وجحنفل ولعلها فرقت على السور ولم تعد باجمعها في اول القرآن لهذه الفائدة مع ما فيه من اعادة التحدي وتكرير التنبيه والمبالغة فيه والمعنى ان هذا المتحدى به مؤلف من جنس هذه الحروف او المؤلف منها كذا وقيل هي اسماء السور وعليه اطباق الاكثر سميت بها اشعارا بانها كلمات معروفة التركيب فلو لم تكن وحيا من الله لم تتساقط مقدرتهم دون معارضتها واستدل عليها بانها لو لم تكن مفهمة كان الخطاب بها كالخطاب بالمهمل والتكلم بالزنجي مع العربي ولم يكن القرآن باسره بيانا وهدى ولما امكن التحدي به وان كانت مفهمة فاما ان يراد بها السور التي هي مستهلها على انها القابها او غير ذلك والثاني باطل لانه اما ان يكون المراد ما وضعت له في لغة العرب وظاهر انه ليس كذلك او غيره وهو باطل لان القرآن نزل على لغتهم لقوله تعالى بلسان عربي مبين فلا يحمل على ما ليس في لغتهم لا يقال لم لا يجوز ان تكون مزيدة للتنبيه والدلالة على انقطاع كلام واستئناف آخر كما قاله قطرب

او اشارة الى كلمات هي منها اقتصرت عليها اقتصار الشاعر في قوله قلت لها قفي فقالت لي قاف كما روي
عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال الالف آلاء الله واللام لطفه والميم ملكه وعنه ان الر وحم ونون مجموعها
حروف الرحمن وعنه ان الم معناه انا الله اعلم ونحو ذلك في سائر الفواتح وعنه ان الالف من الله
واللام من جبريل والميم من محمد اي القرآن من الله بلسان جبريل على محمد عليهما السلم او اشارة الى مدد اجال
واقوام بحساب الجمل كما قاله ابو العالية متمسكا بما روي انه عم لما اتاه اليهود تلا عليهم الم البقرة فحسبوه وقالوا كيف
ندخل في دين مدته احدى وسبعون سنة فتبسم رسول الله صلعم فقالوا فهل غيره فقال المص والر والمر فقالوا
خلطت علينا فلا ندري بايها ناخذ فان تلاوته اياها بهذا الترتيب عليهم وتقريرهم على استنباطهم دليل على ذلك
وهذه الدلالة وان لم تكن عربية لكنها لاشتهارها فيما بين الناس حتى العرب تلحقها بالمعربات كالمشكوة
والسجيل والقسطاس او دالة على الحروف المبسوطة مقسما بها لشرفها من حيث انها بسائط اسماء الله ومادة
خطابه هذا وان القول بانها اسماء السور يخرجها الى ما ليس في لغة العرب لان التسمية بثلاثة اسماء فصاعدا
مستكرهة عندهم ويؤدي الى اتحاد الاسم والمسمى ويستدعي تاخر الجزء عن الكل من حيث ان الاسم متاخر عن
المسمى بالرتبة لانا نقول ان هذه الالفاظ لم تعهد مزيدة للتنبيه والدلالة على الانقطاع والاستيناف يلزمها
وغيرها من حيث انها فواتح السور ولا يقتضي ذلك ان لا يكون لها معنى في حيزها ولم تستعمل للاختصار من كلمات
معينة في لغتهم اما الشعر فشاذ واما قول ابن عباس فتنبيه على ان هذه الحروف منبع الاسماء ومبادي الخطاب
وتمثيل بامثلة حسنة الا ترى انه عد كل حرف من كلمات متباينة لا تفسير وتخصيص بهذه المعاني دون غيرها
اذ لا مخصص لفظا ومعنى ولا بحساب الجمل فتلحق بالمعربات والحديث لا دليل فيه لجواز انه تبسم تعجبا من
جهلهم وجعلها مقسما بها وان كان غير ممتنع لكنه يحوج الى اضمار اشياء لا دليل عليها والتسمية بثلاثة اسماء
انما تمتنع اذا ركبت وجعلت اسما واحدا على طريقة بعلبك فاما اذا نثرت نثر اسماء العدد فلا وناهيك
بتسوية سيبويه بين التسمية بالجملة والبيت من الشعر وطائفة من اسماء حروف المعجم والمسمى هو مجموع السورة
والاسم جزؤها فلا اتحاد وهو مقدم من حيث ذاته ومؤخر باعتبار كونه اسما فلا دور والوجه الاول اقرب
الى التحقيق واوفق للطائف التنزيل واسلم من لزوم النقل ووقوع الاشتراك في الاعلام من واضع واحد فانه يعود
بالنقض على ما هو مقصود العلمية وقيل انها اسماء القرآن ولذلك اخبر عنها بالكتاب والقرآن وقيل انها
اسماء الله تعالى ويدل عليه ان عليا رضي الله عنه كان يقول يا كهيعص يا حمعسق ولعله اراد يا منزلهما وقيل الالف
من اقصى الحلق وهو مبدأ المخارج واللام من طرف اللسان وهو اوسطها والميم من الشفة وهو اخرها جمع بينها
ايماء الى ان العبد ينبغي ان يكون اول كلامه واوسطه واخره ذكر الله تعالى وقيل انه سر استاثره الله بعلمه وقد روي

٧

عن الخلفاء الاربعة وغيرهم من الصحابة ما يقرب منه ولعلهم ارادوا انها اسرار بين الله تعالى ورسوله ورموز لم يقصد بها افهام
غيره اذ يبعد الخطاب بما لا يفيد فان جعلتها اسماء الله تعالى او القرآن او السور كان لها حظ من الاعراب اما الرفع على الابتداء او
الخبر او النصب بتقدير فعل القسم على طريقة الله لافعلن كذا بالنصب او غيره كاذكر او الجر على اضمار حرف القسم ويتاتى
الاعراب لفظا والحكاية فيما كانت مفردة او موازنة لمفرد كحم فانه كهابيل والحكاية ليست الا فيما عدا ذلك
وسيعود اليك ذكره مفصلا ان شاء الله تعالى وان ابقيتها على معانيها فان قدرت بالمؤلف من هذه الحروف كان
في حيز الرفع بالابتداء او الخبر على ما مر وان جعلتها مقسما بها يكون كل كلمة منها منصوبا او مجرورا على اللغتين في الله لافعلن
فتكون جملة قسمية بالفعل المقدر له وان جعلتها ابعاض كلمات او اصواتا منزلة منزلة حروف التنبيه لم يكن لها محل من
الاعراب كالجمل المبتداة والمفردات المعدودة ويوقف عليها وقف التمام اذا قدرت بحيث لا تحتاج الى ما بعدها
وليس شيء منها اية عند غير الكوفيين واما عندهم فالم في مواقعها والمص وكهيعص وطه وطسم وحم ويس اية وحم عسق
ايتان والبواقي ليست بايات وهذا توقيف لا مجال للقياس فيه ذلك الكتاب ذلك
اشارة الى الم ان اول بالمؤلف من هذه الحروف او فسر بالسورة او القرآن فانه لما تكلم به وتقضى او وصل من
المرسل الى المرسل اليه صار متباعدا وتذكيره متى اريد بالم السورة لتذكير الكتاب فانه خبره او صفته الذي هو هو
او الى الكتاب فيكون صفته والمراد به الكتاب الموعود انزاله بنحو قوله تعالى انا سنلقي عليك قولا ثقيلا او في الكتب
المتقدمة وهو مصدر سمي به المفعول للمبالغة وقيل فعال بني للمفعول كاللباس ثم عبر به عن المنظوم عبارة قبل ان تكتب
لانه مما يكتب واصل الكتب الجمع ومنه الكتيبة لا ريب فيه معناه انه لوضوحه وسطوع برهانه بحيث لا يرتاب
العاقل بعد النظر الصحيح في كونه وحيا بالغا حد الاعجاز لا ان احدا لا يرتاب فيه الا ترى الى قوله تعالى وان كنتم في ريب
مما نزلنا على عبدنا الاية فانه ما ابعد عنهم الريب بل عرفهم الطريق المزيح له وهو ان يجتهدوا في معارضة نجم من
نجومه ويبذلوا فيها غاية جهدهم حتى اذا عجزوا عنها تحقق لهم ان ليس فيه مجال للشبهة ولا مدخل للريبة وقيل
معناه لا ريب فيه للمتقين وهدى حال من الضمير المجرور والعامل فيه الظرف الواقع صفة للمنفي والريب في الاصل مصدر
رابني الشيء اذا حصل فيك الريبة وهي قلق النفس واضطرابها سمي به الشك لانه يقلق النفس ويزيل الطمانينة
وفي الحديث دع ما يريبك الى ما لا يريبك فان الشك ريبة والصدق طمانينة ومنه ريب الزمان
لنوائبه هدى للمتقين يهديهم الى الحق والهدى في الاصل مصدر كالسرى والتقى ومعناه الدلالة
وقيل الدلالة الموصلة الى البغية لانه جعل مقابل الضلالة في قوله تعالى لعلى هدى او في ضلال مبين ولانه لا يقال
مهدي الا لمن اهتدى الى المطلوب واختصاصه بالمتقين لانهم المهتدون به والمنتفعون بنصه وان كانت دلالته
عامة لكل ناظر من مسلم او كافر وبهذا الاعتبار قال هدى للناس او لانه لا ينتفع بالتامل فيه الا من صقل العقل واستعمله

[illegible]

في تدبر الدلائل والنظر في المعجزات وتعرف النبوات لانه كالغذاء الصالح لحفظ الصحة لا يجلب نفعا ما لم تكن الصحة حاصلة
وعلى هذا قوله تعالى وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا ولا يقدح ما فيه من المجمل
والمتشابه في كونه هدى لما لم ينفك عن بيان يعين المراد منه والمتقي اسم فاعل من قولهم وقاه فاتقى والوقاية
فرط الصيانة وهو في عرف الشرع اسم لمن يقي نفسه عما يضره في الآخرة وله ثلاث مراتب الاولى التوقي من العذاب المخلد
بالتبرء عن الشرك وعليه قوله تعالى والزمهم كلمة التقوى والثانية التجنب عن كل ما يؤثم من فعل او ترك حتى الصغائر
عند قوم وهو المتعارف باسم التقوى في الشرع وهو المعني بقوله ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا والثالثة ان يتنزه
عما يشغل سره عن الحق ويتبتل اليه بشراشره وهو التقوى الحقيقي المطلوب بقوله تعالى اتقوا الله حق تقاته وقد فسر قوله
هدى للمتقين على الاوجه الثلاثة واعلم ان الآية تحتمل اوجها من الاعراب ان يكون الم مبتدأ على انه اسم القرآن او السورة او
مقدر بالمؤلف منها وذلك خبره وان كان اخص من المؤلف مطلقا والاصل ان الاخص لا يحمل على الاعم لان
المراد به المؤلف الكامل في تاليفه البالغ اقصى درجات الفصاحة ومراتب البلاغة والكتاب صفة ذلك وان يكون الم
خبر مبتدأ محذوف وذلك خبرا ثانيا او بدلا والكتاب صفته ولا ريب في المشهورة مبني لتضمنه معنى من منصوب
المحل على انه اسم لا النافية للجنس العاملة عمل ان لانها نقيضتها ولازمة للاسماء لزومها وفي قراءة ابي الشعثاء مرفوع
بلا التي بمعنى ليس وفيه خبره ولم يقدم كما قدم في قوله تعالى لا فيها غول لانه لم يقصد تخصيص نفي الريب به من بين سائر الكتب
كما قصد ثمة او صفته وللمتقين خبره وهدى نصب على الحال او الخبر محذوف كما في لا ضير ولذلك وقف على لا ريب
على ان فيه خبر هدى قدم عليه لتنكيره والتقدير لا ريب فيه فيه هدى وان يكون ذلك مبتدأ والكتاب خبره على
معنى انه الكتاب الكامل الذي يستاهل ان يسمى كتابا او صفته وما بعده خبره والجملة خبر الم والاولى ان يقال انها اربع
جمل متناسقة تقرر اللاحقة منها السابقة ولذلك لم يدخل العاطف بينها فالم جملة دلت على ان المتحدى به هو المؤلف من جنس
ما يركبون منه كلامهم وذلك الكتاب جملة ثانية مقررة لجهة التحدي ولا ريب فيه ثالثة تشهد على كماله بانه الكتاب
المنعوت بغاية الكمال ثم سجل على كماله بنفي الريب فيه لانه لا كمال اعلى مما للحق واليقين وهدى للمتقين بما يقدر له
مبتدأ جملة رابعة تؤكد كونه حقا لا يحوم الشك حوله بانه هدى للمتقين او تستتبع كل واحدة منها ما يليها استتباع
الدليل للمدلول وبيانه انه لما نبه اولا على اعجاز المتحدى به من حيث انه من جنس كلامهم وقد عجزوا عن معارضته
استنتج منه انه الكتاب البالغ حد الكمال واستلزم ذلك ان لا يتشبث الريب باطرافه اذ لا انقص مما يعتريه الشك
والشبهة وما كان كذلك كان لا محالة هدى للمتقين وفي كل واحدة منها نكتة ذات جزالة ففي الاولى الحذف والرمز
الى المقصود مع التعليل وفي الثانية فخامة التعريف وفي الثالثة تاخير الظرف حذرا عن ايهام الباطل وفي الرابعة الحذف والتوصيف بالمصدر
للمبالغة وايراده منكرا للتعظيم وتخصيص الهدى بالمتقين باعتبار الغاية وتسمية المشارف للتقوى متقيا ايجازا وتفخيما لشانه

الذين يؤمنون بالغيب اما موصول بالمتقين على انه صفة مجرورة مقيدة له ان فسر التقوى بترك ما
لا ينبغي مترتبة عليه ترتب التحلية على التخلية والتصوير على التصقيل او موضحة ان فسر بما يعم فعل الحسنات وترك السيئات
لاشتماله على ما هو اصل الاعمال واساس الحسنات من الايمان والصلوة والصدقة فانها امهات الاعمال النفسانية
والعبادات البدنية والمالية المستتبعة لسائر الطاعات والتجنب عن المعاصي غالبا الا ترى الى قوله تعالى ان الصلوة تنهى
عن الفحشاء والمنكر وقوله عليه السلام الصلوة عماد الدين والزكوة قنطرة الاسلام او مسوقة للمدح وتخصيص الايمان بالغيب
واقام الصلوة وايتاء الزكوة بالذكر اظهارا لفضلها على سائر ما يدخل تحت اسم التقوى او على انه مدح منصوب
او مرفوع بتقدير اعني او هم الذين واما مفصول عنه مرفوع بالابتداء وخبره اولئك على هدى فيكون الوقف
على المتقين تاما والايمان في اللغة عبارة عن التصديق ماخوذ من الامن كان المصدق امن المصدق من التكذيب والمخالفة
وتعديته بالباء لتضمنه معنى الاعتراف وقد يطلق بمعنى الوثوق من حيث ان الواثق صار ذا امن ومنه ما امنت ان
اجد صحابة وكلا الوجهين حسن في يؤمنون بالغيب واما في الشرع فالتصديق بما علم بالضرورة انه من دين محمد عليه السلام كالتوحيد
والنبوة والبعث والجزاء ومجموع ثلثة امور اعتقاد الحق والاقرار به والعمل بمقتضاه عند جمهور المحدثين والمعتزلة و
الخوارج فمن اخل بالاعتقاد وحده فهو منافق ومن اخل بالاقرار فهو كافر ومن اخل بالعمل فهو فاسق وفاقا وكافر
عند الخوارج وخارج عن الايمان غير داخل في الكفر عند المعتزلة والذي يدل على انه التصديق وحده انه سبحانه اضاف
الايمان الى القلب فقال كتب في قلوبهم الايمان وقلبه مطمئن بالايمان ولم تؤمن قلوبهم ولما يدخل الايمان في قلوبكم و
عطف عليه العمل الصالح في مواضع لا تحصى وقرنه بالمعاصي فقال وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا يا ايها الذين امنوا
كتب عليكم القصاص الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم مع ما فيه من قلة التغيير لانه اقرب الى الاصل وهو متعين الارادة
في الآية اذ المعدى بالباء هو التصديق وفاقا ثم اختلف في ان مجرد التصديق بالقلب هل هو كاف لانه المقصود
ام لا بد من اقتران الاقرار به للمتمكن منه ولعل الحق هو الثاني لانه تعالى ذم المعاند اكثر من ذم الجاهل المقصر وللمانع ان
يجعل الذم للانكار لا لعدم الاقرار والغيب مصدر وصف به للمبالغة كالشهادة في قوله تعالى عالم الغيب
والشهادة والعرب تسمي المطمئن من الارض والخمصة التي تلي الكلية غيبا او فيعل خفف كقيل والمراد به الخفي الذي
لا يدركه الحس ولا تقتضيه بديهة العقل وهو قسمان قسم لا دليل عليه وهو المعني بقوله تعالى وعنده مفاتح الغيب لا
يعلمها الا هو وقسم نصب عليه دليل كالصانع وصفاته واليوم الآخر واحواله وهو المراد به في الآية هذا اذا جعلته صلة
للايمان واوقعته موقع المفعول به وان جعلته حالا على تقدير متلبسين بالغيب كان بمعنى الغيبة والخفاء والمعنى انهم يؤمنون غائبين
عنكم لا كالمنافقين الذين اذا لقوا الذين امنوا قالوا امنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم او عن المؤمن به لما روي ان
ابن مسعود قال والذي لا اله غيره ما امن احد افضل من ايمان بغيب ثم قرأ هذه الآية وقيل المراد بالغيب القلب والمعنى

يؤمنون بقلوبهم لا كمن يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم فالباء على الاول للتعدية وعلى الثاني للمصاحبة وعلى الثالث للالة
ويقيمون الصلوة اى يعدلون اركانها ويحفظونها من ان يقع زيغ في افعالها من اقام العود اذا قومه
او يواظبون عليها من قامت السوق اذا نفقت واقمتها اذا جعلتها نافقة قال اقامت غزالة سوق
الضراب لاهل العراقين حولا قميطا فانه اذا حوفظ عليها كانت كالنافق الذى يرغب فيه واذا ضيعت
كانت كالكاسد المرغوب عنه او يتشمرون لادائها من غير فتور ولا توان من قولهم قام بالامر واقامه اذا جد
فيه وتجلد وضده قعد عن الامر وتقاعد او يؤدونها عبر عن الاداء بالاقامة لاشتمالها على القيام كما عبر عنها بالقنوت
والركوع والسجود والتسبيح والاول اظهر لانه اشهر والى الحقيقة اقرب وافيد لتضمنه التنبيه على ان الحقيق بالمدح من راعى
حدودها الظاهرة من الفرائض والسنن وحقوقها الباطنة من الخشوع والاقبال بقلبه على الله تعالى لا المصلون الذين هم
عن صلاتهم ساهون ولذلك ذكر في سياق المدح والمقيمين الصلوة وفي معرض الذم فويل للمصلين والصلوة
فعلة من صلى اذا دعا كالزكوة من زكى كتبتا بالواو على لفظ المفخم وانما سمي الفعل المخصوص بها لاشتماله على الدعاء
وقيل اصل صلى حرك الصلوين لان المصلي يفعله في ركوعه وسجوده واشتهار هذا اللفظ في المعنى الثاني مع عدم اشتهاره
في الاول لا يقدح في نقله عنه وانما سمي الداعي مصليا تشبيها له في تخشعه بالراكع والساجد ومما رزقناهم
ينفقون الرزق في اللغة الحظ قال الله تعالى وتجعلون رزقكم انكم تكذبون والعرف خصصه بتخصيص الشيء
بالحيوان وتمكينه من الانتفاع به والمعتزلة لما استحالوا على الله تعالى ان يمكن من الحرام لانه منع من الانتفاع به وامر بالزجر عنه قالوا
الرزق لا يتناول الحرام الا ترى انه تعالى اسند الرزق ههنا الى نفسه ايذانا بانهم ينفقون الحلال المطلق فان انفاق
الحرام لا يوجب المدح وذم المشركين على تحريم بعض ما رزقهم الله بقوله قل ارايتم ما انزل الله لكم من رزق فجعلتم منه
حراما وحلالا واصحابنا جعلوا الاسناد للتعظيم والتحريض على الانفاق والذم لتحريم ما لم يحرم واختصاص ما رزقناهم
بالحلال للقرينة وتمسكوا لشمول الرزق له بقوله عم في حديث عمرو بن قرة لقد رزقك الله طيبا فاخترت ما حرم الله
عليك من رزقه مكان ما احل الله لك من حلاله وبانه لو لم يكن رزقا لم يكن المتغذي به طول عمره مرزوقا وليس كذلك
لقوله تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها وانفق الشيء وانفده اخوان ولو استقريت الالفاظ وجدت
كل ما فاؤه نون وعينه فاء دالا على معنى الذهاب والخروج والظاهر من هذا الانفاق صرف المال في سبيل الخير فرضا
كان او نفلا ومن فسره بالزكوة ذكر افضل انواعه والاصل فيه او خصصه بها لاقترانه بما هو شقيقها وتقديم المفعول
للاهتمام به وللمحافظة على رؤس الاى وادخال من التبعيضية عليه للكف عن الاسراف المنهي عنه ويحتمل ان يراد به الانفاق
من جميع المعاون التي منحهم الله تعالى من النعم الظاهرة والباطنة ويؤيده قوله عم ان علما لا ينتفع به ككنز لا ينفق منه
واليه ذهب من قال ومما خصصناهم به من انوار المعرفة يفيضون والذين يؤمنون بما انزل

اليك وما انزل من قبلك هم مؤمنو اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واضرابه معطوفون على الذين
يؤمنون بالغيب داخلون معهم في جملة المتقين دخول اخصين تحت اعم اذ المراد باولئك الذين امنوا عن شرك وعن
انكار وهؤلاء مقابلوهم فكانت الايتان تفصيلا للمتقين وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما او على المتقين كانه
قال هدى للمتقين عن الشرك والذين امنوا من اهل الكتاب ويحتمل ان يراد بهم الاولون باعيانهم ووسط العاطف كما وسط
في قوله الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم وقوله يا لهف زيابة للحارث الصابح
فالغانم فالايب على معنى انهم جامعون بين الايمان بما يدركه العقل جملة والاتيان بما يصدقه من العبادات البدنية و
المالية وبين الايمان بما لا طريق اليه غير السمع وكرر الموصول تنبيها على تغاير القبيلين وتباين السبيلين او طائفة منهم وهم
مؤمنو اهل الكتاب ذكرهم مخصصين عن الجملة كذكر جبريل وميكائيل بعد الملائكة تعظيما لشانهم وترغيبا لامثالهم
والانزال نقل الشيء من الاعلى الى الاسفل وهو انما يلحق المعاني بتوسط لحوقه الذوات الحاملة لها ولعل نزول الكتب
الالهية على الرسل بان يتلقفه الملك من الله تلقفا روحانيا او يحفظه من اللوح المحفوظ فينزل به الى الرسول
فيلقيه عليه والمراد بما انزل اليك القرآن باسره والشريعة عن اخرها وانما عبر عنه بلفظ الماضي وان كان بعضه مترقبا تغليبا
للموجود على ما لم يوجد او تنزيلا للمنتظر منزلة الواقع ونظيره قوله تعالى انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى فان الجن لم
يسمعوا جميعه ولم يكن الكتاب كله منزلا حينئذ وبما انزل من قبلك التورية والانجيل وسائر الكتب السابقة و
الايمان بهما جملة فرض عين وبالاول دون الثاني تفصيلا من حيث انا متعبدون بتفاصيله فرض ولكن على الكفاية لان
وجوبه على كل احد يوجب الحرج وفساد المعاش وبالاخرة هم يوقنون اى يوقنون ايقانا
زال معه ما كانوا عليه من ان الجنة لا يدخلها الا من كان هودا او نصارى وان النار لن تمسهم الا اياما معدودة واختلافهم
في نعيم الجنة اهو من جنس نعيم الدنيا او غيره وفي دوامه وانقطاعه وفي تقديم الصلة وبناء يوقنون على هم تعريض لمن عداهم من
اهل الكتاب وبان اعتقادهم في امر الاخرة غير مطابق ولا صادر عن ايقان واليقين اتقان العلم بنفي الشك و
الشبهة عنه بالاستدلال ولذلك لا يوصف به علم الباري تعالى ولا العلوم الضرورية والاخرة تانيث الاخر صفة
الدار بدليل قوله تعالى تلك الدار الاخرة فغلبت كالدنيا وعن نافع انه خففها بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام
وقرئ يؤقنون بقلب الواو همزة لضم ما قبلها اجراء لها مجرى المضمومة في وجوه ووقتت ونظيره لحب المؤقدان
الى مؤسى وجعدة اذا اضاءهما الوقود اولئك على هدى من ربهم الجملة في محل الرفع ان جعل احد
الموصولين مفصولا عن المتقين خبر له فكانه لما قيل هدى للمتقين قيل ما بالهم خصوا بذلك فاجيب بقوله الذين يؤمنون
الى اخر الايات والا فاستئناف لا محل لها من الاعراب وكانه نتيجة الاحكام والصفات المتقدمة او جواب
سائل قال ما للموصوفين بهذه الصفات اختصوا بالهدى ونظيره احسنت الى زيد صديقك القديم حقيق بالاحسان فان

فان اسم الاشارة ههنا كاعادة الموصوف بصفاته المذكورة وهو ابلغ من ان يستانف باعادة الاسم وحده
لما فيه من بيان المقتضى وتلخيصه فان ترتب الحكم على الوصف ايذان بانه الموجب له ومعنى الاستعلاء في على هدى
تمثيل تمكنهم من الهدى واستقرارهم عليه بحال من اعتلى الشيء وركبه وقد صرحوا به في قولهم امتطى الجهل والغوى
واقتعد غارب الهوى وذلك انما يحصل باستفراغ الفكر وادامة النظر فيما نصب من الحجج والمواظبة على محاسبة
النفس في العمل ونكر هدى للتعظيم فكانه اريد به ضرب لا يبالغ كنهه ولا يقادر قدره ونظيره قول الهذلي
فلا وابي الطير المربة بالضحى على خالد لقد وقعت على لحم واكد تعظيمه بان الله مانحه والموفق له وقد ادغمت
النون في الراء بغنة وبغير غنة ﴿واولئك هم المفلحون﴾ كرر فيه اسم الاشارة تنبيها على ان اتصافهم
بتلك الصفات يقتضي كل واحدة من الاثرتين وان كلا منهما كاف في تميزهم بها عن غيرهم ووسط العاطف لاختلاف
مفهومي الجملتين ههنا بخلاف قوله تعالى اولئك كالانعام بل هم اضل اولئك هم الغافلون فان التسجيل بالغفلة و
التشبيه بالبهائم شيء واحد فكانت الجملة الثانية مقررة للاولى فلا يناسب العطف وهم فصل يفصل الخبر عن الصفة و
يؤكد النسبة ويفيد اختصاص المسند بالمسند اليه او مبتدأ والمفلحون خبره والجملة خبر اولئك والمفلح بالحاء والجيم
الفائز بالمطلوب كانه الذي انفتحت له وجوه الظفر وهذا التركيب وما يشاركه في الفاء والعين نحو فلق وفلذ وفلى يدل
على الشق والفتح وتعريف المفلحين للدلالة على ان المتقين هم الناس الذين بلغك انهم المفلحون في الآخرة او الاشارة
الى ما يعرفه كل احد من حقيقة المفلحين وخصوصياتهم تنبيه تأمل كيف نبه سبحانه وتعالى على اختصاص المتقين بنيل
ما لا يناله كل احد من وجوه شتى بناء الكلام على اسم الاشارة للتعليل مع الايجاز وتكريره وتعريف الخبر وتوسيط الفصل
لاظهار قدرهم والترغيب في اقتفاء اثرهم وقد تشبثت به الوعيدية في خلود الفساق من اهل القبلة في العذاب
ورد بان المراد بالمفلحين الكاملون في الفلاح ويلزمه عدم كمال الفلاح لمن ليس على صفتهم لا عدم الفلاح لهم راسا
﴿ان الذين كفروا﴾ لما ذكر خاصة عباده وخالصة اوليائه بصفاتهم التي اهلتهم للهدى والفلاح عقبهم
باضدادهم العتاة والمردة الذين لا ينفعهم الهدى ولا تغني عنهم الآيات والنذر ولم يعطف قصتهم على قصة المؤمنين
كما عطف في قوله ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم لتباينهما في الغرض فان الاولى سيقت لذكر الكتاب
وبيان شانه والاخرى مسوقة لشرح تمردهم وانهماكهم في الضلال وان من الحروف التي شابهت الفعل في عدد
الحروف والبناء على الفتح ولزوم الاسماء واعطاء معانيه والمتعدي خاصة في دخولها على اسمين ولذلك اعملت
عمله الفرعي وهو نصب الجزء الاول ورفع الثاني ايذانا بانه فرع في العمل دخيل فيه وقال الكوفيون الخبر قبل دخولها
كان مرفوعا بالخبرية وهي بعد باقية مقتضية للرفع قضية للاستصحاب فلا يرفعه الحرف واجيب بان اقتضاء
الخبرية الرفع مشروط بالتجرد لتخلفه عنها في خبر كان وقد زال بدخولها فتعين اعمال الحرف وفائدتها تاكيد النسبة

وتحقيقها ولذلك يتلقى بها القسم وتصدر بها الاجوبة ويذكر في معرض الشك مثل ويسئلونك عن ذي القرنين
قل ساتلو عليكم منه ذكرا انا مكنا له في الارض وقال موسى يا فرعون اني رسول من رب العالمين قال
المبرد قولك عبد الله قائم اخبار عن قيامه وان عبد الله قائم جواب سائل عن قيامه وان عبد الله لقائم
جواب منكر لقيامه وتعريف الموصول اما للعهد والمراد به ناس باعيانهم كابي جهل وابي لهب والوليد بن
المغيرة واحبار اليهود او للجنس متناولا لكل من صمم على الكفر وغيرهم فخص منهم غير المصرين بما اسند اليه والكفر لغة
ستر النعمة واصله الكفر بالفتح وهو الستر ومنه قيل للزارع والليل كافر قال الله تعالى كمثل غيث اعجب الكفار نباته
ولكمام الثمرة كافور وفي الشرع انكار ما علم بالضرورة مجيء الرسول به وانما عد لبس الغيار وشد الزنار ونحوهما
كفرا لانها تدل على التكذيب فان من صدق الرسول لا يجترئ عليها ظاهرا لا لانها كفر في انفسها واحتجت المعتزلة
بما جاء في القرآن بلفظ الماضي على حدوثه لاستدعائه سابقة المخبر عنه واجيب بانه مقتضى التعلق وحدوثه لا
يستلزم حدوث المتعلق كما في العلم ﴿سواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم﴾ خبر ان وسواء
اسم بمعنى الاستواء نعت به كما نعت بالمصادر قال الله تعالى تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم رفع بانه خبر ان
وما بعده مرتفع به على الفاعلية كانه قيل ان الذين كفروا مستو عليهم انذارك وعدمه او بانه خبر لما بعده بمعنى
انذارك وعدمه سيان عليهم والفعل انما يمتنع الاخبار عنه اذا اريد به تمام ما وضع له اما لو اطلق واريد به اللفظ او
مطلق الحدث المدلول عليه ضمنا على الاتساع فهو كالاسم في الاضافة والاسناد اليه كقوله تعالى واذا قيل
لهم امنوا وقوله يوم ينفع الصادقين صدقهم وقولهم تسمع بالمعيدي خير من ان تراه وانما عدل ههنا عن المصدر الى
الفعل لما فيه من ايهام التجدد وحسن دخول الهمزة وام عليه لتقرير معنى الاستواء وتاكيده فانهما جردتا عن معنى الاستفهام
لمجرد الاستواء كما جردت حروف النداء عن الطلب لمجرد التخصيص في قولهم اغفر لنا ايتها العصابة والانذار التخويف
اريد به التخويف من عذاب الله وانما اقتصر عليه لانه اوقع في القلب واشد تاثيرا في النفس من حيث ان دفع
الضرر اهم من جلب النفع فاذا لم ينفع فيهم كانت البشارة بعدم النفع اولى وقرئ ءانذرتهم بتحقيق الهمزتين و
تخفيف الثانية بين بين وقلبها الفا وهو لحن لان المتحرك لا يقلب الفا ولانه يؤدي الى جمع الساكنين على غير حده و
بتوسيط الالف بينهما محققتين وبتوسيطها والثانية بين بين وبحذف الاستفهامية وبحذفها والقاء حركتها
على الساكن قبلها ﴿لا يؤمنون﴾ جملة مفسرة لاجمال ما قبلها فيما فيه الاستواء فلا محل لها من الاعراب او حال
مؤكدة او بدل عنه او خبر ان والجملة قبلها اعتراض بما هو علة الحكم والآية مما احتج به من جوز تكليف ما لا يطاق
فانه سبحانه وتعالى اخبر عنهم بانهم لا يؤمنون فيجتمع الضدان والحق ان التكليف بالممتنع لذاته وان جاز عقلا من
حيث ان الاحكام لا تستدعي غرضا سيما الامتثال لكنه غير واقع للاستقراء والاخبار بوقوع الشيء او عدمه لا ينفي

[هامش: العصابة جماعة من الناس والخيل والطير]
[هامش: دون البشارة صح]
[هامش: عنهم بانهم لا يؤمنون وامرهم بالايمان فلو آمنوا انقلب خبره كذبا وشمل ايمانهم الايمان صح]

القدرة عليه كاخباره تعالى عما يفعل هو والعبد باختياره وفائدة الانذار بعد العلم بانه لا ينجع الزام الحجة وحيازة الرسول
فضل الابلاغ ولذلك قال سوا عليهم ولم يقل سوا عليك كما قال لعبدة الاصنام سوا عليكم ادعوتموهم ام انتم
صامتون وفي الآية اخبار بالغيب على ما هو به ان اريد بالموصول اشخاص باعيانهم فهي من المعجزات ختم الله
على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة تعليل للحكم السابق وبيان
لما يقتضيه والختم الكتم سمي به الاستيثاق من الشيء بضرب الخاتم عليه لانه كتم له والبلوغ آخره نظرا الى انه آخر
فعل يفعل في احرازه والغشاوة فعالة من غشاه اذا غطاه بنيت لما يشتمل على الشيء كالعصابة والعمامة ولا ختم
ولا تغشية على الحقيقة وانما المراد بهما ان يحدث في نفوسهم هيئة تمرنهم على استحباب الكفر والمعاصي واستقباح الايمان و
الطاعات بسبب غيهم وانهماكهم في التقليد واعراضهم عن النظر الصحيح فتجعل قلوبهم بحيث لا ينفذ فيها الحق واسماعهم
تعاف استماعه فتصير كانها مستوثق منها بالختم وابصارهم لا تجتلي الآيات المنصوبة لهم في الانفس والآفاق كما
تجتليها اعين المستبصرين فتصير كانها غطي عليها وحيل بينها وبين الابصار وسماه على الاستعارة ختما وتغشية او
مثل قلوبهم ومشاعرهم المؤوفة بها باشيا ضرب حجاب بينها وبين الاستنفاع بها ختما وتغطية وقد عبر عن احداث هذه
الهيئة بالطبع في قوله تعالى اولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم وبالاغفال في قوله تعالى ولا تطع من
اغفلنا قلبه عن ذكرنا وبالاقساء في قوله تعالى وجعلنا قلوبهم قاسية وهي من حيث ان الممكنات باسرها مستندة الى الله تعالى
واقعة بقدرته اسندت اليه ومن حيث انها مسببة مما اقترفوه بدليل قوله بل طبع الله عليها بكفرهم وقوله ذلك بانهم امنوا
ثم كفروا فطبع على قلوبهم وردت الآية ناعية عليهم شناعة صفتهم ووخامة عاقبتهم واضطربت المعتزلة فيه فذكروا
وجوها من التاويل الاول ان القوم لما اعرضوا عن الحق وتمكن ذلك في قلوبهم حتى صار كالطبيعة لهم شبه بالوصف الخلقي
المجبول عليه الثاني ان المراد به تمثيل حال قلوبهم بقلوب البهائم التي خلقها الله خالية عن الفطن او كحال قلوب مقدر ختم
الله عليها ونظيره سال به الوادي اذا هلك وطارت به العنقاء اذا طالت غيبته الثالث ان ذلك في الحقيقة فعل
الشيطان او الكافر لكن لما كان صدوره عنه باقداره تعالى اياه اسند اليه اسناد الفعل الى المسبب الرابع ان اعراقهم
لما رسخت في الكفر واستحكمت بحيث لم يبق طريق الى تحصيل ايمانهم سوى الالجاء والقسر ثم لم يقسرهم ابقاء على غرض التكليف
عبر عن تركه بالختم فانه سد لايمانهم وفيه اشعار على ترامي امرهم في الغي وتناهي انهماكهم في الضلال والبغي الخامس ان
يكون حكاية لما كانت الكفرة يقولون مثل قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك
حجاب تهكما واستهزاء بهم كقوله تعالى لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب الآية السادس ان ذلك في الآخرة وانما اخبر عنه
بالماضي لتحققه وتيقن وقوعه ويشهد له قوله تعالى ونحشرهم يوم القيمة على وجوههم عميا وبكما وصما السابع ان المراد
بالختم وسم قلوبهم بسمة تعرفها الملئكة فيبغضونهم وينفرون عنهم وعلى هذا المنهاج كلامنا وكلامهم فيما يضاف الى الله تعالى

من طبع واضلال ونحوهما وعلى سمعهم معطوف على قلوبهم لقوله تعالى وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة
وللوفاق على الوقف عليه ولانهما لما اشتركا في الادراك من جميع الجوانب جعل ما يمنعهما من خاص فعلهما الختم الذي يمنع من
جميع الجهات وادراك الابصار لما اختص بجهة المقابلة جعل المانع لها عن فعلها الغشاوة المختصة بتلك الجهة و
كرر الجار ليكون ادل على شدة الختم في الموضعين واستقلال كل منهما في الحكم ووحد السمع للامن من اللبس واعتبار الاصل
فانه مصدر في اصله والمصادر لا تجمع او على تقدير مضاف مثل وعلى حواس سمعهم والابصار جمع بصر وهو ادراك
العين وقد يطلق مجازا على القوة الباصرة وعلى العضو وكذا السمع ولعل المراد بهما في الآية العضو لانه اشد مناسبة للختم و
التغطية وبالقلب ما هو محل العلم وقد يطلق ويراد به العقل والمعرفة كما في قوله تعالى ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب
وانما جاز امالتها مع الصاد لان الراء المكسورة تغلب المستعلية لما فيها من التكرير وغشاوة رفع بالابتداء عند سيبويه
وبالجار والمجرور عند الاخفش ويؤيده العطف على الجملة الفعلية وقرئ بالنصب على تقدير وجعل على ابصارهم غشاوة
وقرئ بالضم والرفع والفتح والنصب وهما لغتان فيها وبالفتح مرفوعة ومنصوبة وغشوة بالكسر مرفوعة ومنصوبة
وعشاوة بالعين الغير المعجمة ولهم عذاب عظيم وعيد وبيان لما يستحقونه والعذاب كالنكال بناء
ومعنى تقول اعذب عن الشيء ونكل عنه اذا امسك عنه ومنه ماء عذب لانه يقمع العطش ويردعه ولذلك
سمي نقاخا وفراتا ثم اتسع فاطلق على كل الم فادح وان لم يكن نكالا اي عقابا يراد به ردع الجاني عن المعاودة فهو
اعم منهما وقيل اشتقاقه من التعذيب الذي هو ازالة العذب كالتقذية والتمريض والعظيم نقيض الحقير والكبير نقيض
الصغير وكما ان الحقير دون الصغير فالعظيم فوق الكبير ومعنى التوصيف به انه اذا قيس بسائر ما يجانسه قصر عنه جميعه وحقر
بالاضافة اليه ومعنى التنكير في الآية ان على ابصارهم نوع غشاوة ليس مما يتعارفه الناس وهو غشاوة التعامي عن
الآيات ولهم من الآلام العظام نوع عظيم لا يعلم كنهه الا الله تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله
وباليوم الآخر لما افتتح سبحانه بشرح حال الكتاب وساق لبيانه ذكر المؤمنين الذين اخلصوا
دينهم لله وواطأت فيه قلوبهم السنتهم وثنى باضدادهم الذين محضوا الكفر ظاهرا وباطنا ولم يلتفتوا لفتة
رأسا ثلث بالقسم الثالث المذبذب بين القسمين وهم الذين امنوا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم تكميلا للتقسيم وهم اخبث
الكفرة وابغضهم الى الله تعالى لانهم موهوا الكفر وخلطوا به خداعا واستهزاء ولذلك طول في بيان خبثهم
وجهلهم واستهزأ بهم وتهكم بافعالهم وسجل على عمههم وطغيانهم وضرب لهم الامثال وانزل فيهم ان المنافقين في
الدرك الاسفل من النار وقصتهم عن آخرها معطوفة على قصة المصرين والناس اصله اناس لقولهم انسان
وانس واناسي فحذفت الهمزة حذفها في لوقة وعوض عنها حرف التعريف ولذلك لا يكاد يجمع بينهما وقوله
ان المنايا يطلعن على الاناس الآمنينا شاذ كرخال اذ لم يثبت فعال في ابنية الجمع مأخوذ من انس لانهم يستأنسون

بامثالهم او للجنس لانهم طائفة من ... واللام فيه للجنس ومن موصوفة اذ لا عهد فكانه قال ومن الناس ناس يقولون او للعهد والمعهود هم الذين كفروا ومن موصولة مراد بها ابن ابي واصحابه ونظراؤه فانهم من حيث انهم صمموا على النفاق دخلوا في عداد الكفار المختوم على قلوبهم واختصاصهم بزيادات زادوها على الكفر لا يابى دخولهم تحت هذا الجنس فان الاجناس انما تتنوع بزيادات يختلف فيها ابعاضها فعلى هذا تكون الآية تقسيما للقسم الثاني واختصاص الايمان بالله وباليوم الآخر بالذكر تخصيص لما هو المقصود الاعظم من الايمان وادعاء بانهم احتازوا الايمان من جانبيه واحاطوا بقطريه وايذان بانهم منافقون فيما يظنون انهم مخلصون فيه فكيف بما يقصدون به النفاق لان القوم كانوا يهودا وكانوا يؤمنون بالله وباليوم الآخر ايمانا كلا ايمان لاعتقادهم التشبيه واتخاذ الولد وان الجنة لا يدخلها غيرهم وان النار لن تمسهم الا اياما معدودة وغيرها ويرون المؤمنين انهم آمنوا مثل ايمانهم وبيان لتضاعف خبثهم وافراطهم في كفرهم لان ما قالوه لو صدر عنهم لا على وجه الخداع والنفاق وعقيدتهم عقيدتهم لم يكن ايمانا فكيف وقد قالوه تمويها على المسلمين وتهكما بهم وفي تكرير الباء ادعاء الايمان بكل واحد على الاصالة والاستحكام والقول هو التلفظ بما يفيد ويقال بمعنى المقول وللمعنى المتصور في النفس المعبر عنه باللفظ وللرأي والمذهب مجازا والمراد باليوم الآخر من وقت الحشر الى ما لا ينتهي او الى ان يدخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار لانه آخر الاوقات المحدودة

وما هم بمؤمنين انكار ما ادعوه ونفي ما انتحلوا اثباته وكان اصله وما آمنوا ليطابق قولهم في التصريح بشأن الفعل دون الفاعل لكنه عكس تأكيدا او مبالغة في التكذيب لان اخراج ذواتهم من عداد المؤمنين ابلغ من نفي الايمان عنهم في ماضي الزمان ولذلك اكد النفي بالباء واطلق الايمان على معنى انهم ليسوا من الايمان في شيء ويحتمل ان يقيد بما قيدوا به لانه جوابه والآية تدل على ان من ادعى الايمان وخالف قلبه لسانه بالاعتقاد لم يكن مؤمنا لان من تفوه بالشهادتين فارغ القلب عما يوافقه او ينافيه لم يكن مؤمنا والخلاف مع الكرامية في الثاني فلا ينتهض حجة عليهم

يخادعون الله والذين آمنوا الخدع ان توهم غيرك خلاف ما تخفيه من المكروه لتنزله عما هو بصدده من قولهم خدع الضب اذا توارى في جحره وضب خادع وخدع اذا اوهم الحارش اقباله عليه ثم خرج من باب آخر واصله الاخفاء ومنه المخدع للخزانة والاخدعان لعرقين خفيين في العنق والمخادعة تكون بين اثنين وخداعهم مع الله ليس على ظاهره لانه لا يخفى عليه خافية ولانهم لم يقصدوا خديعته بل المراد اما مخادعة رسوله على حذف المضاف او على ان معاملة الرسول معاملة الله من حيث انه خليفته كما قال من يطع الرسول فقد اطاع الله ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله واما ان صورة صنيعهم مع الله من اظهار الايمان واستبطان الكفر وصنع الله معهم من اجراء احكام المسلمين عليهم وهم عنده اخبث الكفرة واهل الدرك الاسفل من النار استدراجا لهم وامتثال الرسول والمؤمنين امر الله في اخفاء حالهم واجراء حكم الاسلام عليهم مجازاة لهم بمثل صنيعهم صورة

صنيع المتخادعين ويحتمل ان يراد بيخادعون يخدعون لانه بيان ليقول او استئناف بذكر ما هو الغرض منه الا انه اخرج في زنة فاعلت للمبالغة فان الزنة لما كانت للمغالبة والفعل متى غولب فيه كان ابلغ منه اذا جاء بلا مقابلة معارض ومبار استصحبت ذلك ويعضده قراءة من قرأ يخدعون وكان غرضهم في ذلك ان يدفعوا عن انفسهم ما يطرق به من سواهم من الكفرة وان يفعل بهم ما يفعل بالمؤمنين من الاكرام والاعطاء وان يختلطوا بالمسلمين فيطلعوا على اسرارهم ويذيعوها الى منابذيهم الى غير ذلك من الاغراض والمقاصد

فاعلة صح

وما يخادعون الا انفسهم قراءة نافع وابن كثير وابي عمرو والمعنى ان دائرة الخداع راجعة اليهم وضررها يحيق بهم او انهم في ذلك خدعوا انفسهم لما غروها بذلك وخدعتهم انفسهم حيث حدثتهم بالاماني الفارغة وحملتهم على مخادعة من لا يخفى عليه خافية وقرأ الباقون وما يخدعون لان المخادعة لا تتصور الا بين اثنين وقرئ ويخدعون من خدع ويخدعون بمعنى يختدعون ويخدعون ويخادعون على البناء للمفعول ونصب انفسهم بنزع الخافض والنفس ذات الشيء وحقيقته ثم قيل للروح لان نفس الحي به وللقلب لانه محل الروح او متعلقه وللدم لان قوامها به وللماء لفرط حاجتها اليه وللرأي في قولهم فلان يؤامر نفسه لانه ينبعث عنها او يشبه ذاتا تأمره وتشير عليه والمراد بالانفس ههنا ذواتهم ويحتمل حملها على ارواحهم وآرائهم

وما يشعرون لا يحسون بذلك لتمادي غفلتهم جعل لحوق وبال الخداع ورجوع ضرره اليهم في الظهور كالمحسوس الذي لا يخفى الا على مؤوف الحواس والشعور الاحساس ومشاعر الانسان حواسه واصله الشعر ومنه الشعار

في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا المرض حقيقة فيما يعرض للبدن فيخرجه عن الاعتدال الخاص به ويوجب الخلل في افعاله ومجاز في الاعراض النفسانية التي تخل بكمالها كالجهل وسوء العقيدة والحسد والضغينة وحب المعاصي لانها مانعة من نيل الفضائل او مؤدية الى زوال الحيوة الحقيقية الابدية والآية تحتملهما فان قلوبهم كانت متألمة تحرقا على ما فات عنهم من الرياسة وحسدا على ما يرون من ثبات امر الرسول واستعلاء شأنه يوما فيوما وزاد الله غمهم بما زاد في اعلاء امره واشادة ذكره ونفوسهم كانت مؤوفة بالكفر وسوء الاعتقاد ومعاداة النبي ونحوها فزاد الله ذلك بالطبع او بازدياد التكاليف وتكرير الوحي وتضاعف النصر وكان اسناد الزيادة الى الله من حيث انه مسبب من فعله واسنادها الى السورة في قوله فزادتهم رجسا لكونها سببا ويحتمل ان يراد بالمرض ما تداخل قلوبهم من الجبن والخور حين شاهدوا شوكة المسلمين وامداد الله لهم بالملائكة وقذف الرعب في قلوبهم وبزيادته تضعيفه بما زاد لرسوله نصرة على الاعداء وتبسطا في البلاد

ولهم عذاب اليم اي مؤلم يقال الم فهو اليم كوجع فهو وجيع وصف به العذاب للمبالغة كقوله تحية بينهم ضرب وجيع على طريقة قولهم جد جده

يقال صح

بما كانوا يكذبون قرأها عاصم وحمزة والكسائي والباء للسبب اي بسبب كذبهم او ببدله جزاء لهم وهو قولهم آمنا وقرأ الباقون يكذبون من كذبه لانهم كانوا يكذبون الرسول بقلوبهم واذا خلوا الى شياطينهم او من كذب الذي هو للمبالغة او للتكثير مثل بين الشيء وموتت البهائم او من كذب الوحشي اذا جرى شوطا ووقف لينظر ما وراءه فان المنافق متحير متردد والكذب هو الخبر عن الشيء

خلاف ما هو به وهو حرام كله لانه علل به استحقاق العذاب حيث رتب عليه وما روي ان ابرهيم عليه السلام كذب ثلث كذبات
فالمراد التعريض ولكن لما شابه الكذب في صورته سمي به وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ
عطف على يكذبون او على يقول وما روي عن سلمان ان اهل هذه الاية لم يأتوا بعد فلعله اراد به ان اهلها ليس الذين كانوا
فقط بل وسيكون من بعد من حاله حالهم لان الاية متصلة بما قبلها بالضمير الذي فيها والفساد خروج الشيء عن الاعتدال
والصلاح ضده وكلاهما يعمان كل ضار ونافع وكان من فسادهم في الارض هيج الحروب والفتن بمخادعة المسلمين
وممالات الكفار عليهم بافشاء الاسرار اليهم فان ذلك يؤدي الى فساد ما في الارض من الناس والدواب
والحرث ومنه اظهار المعاصي والاهانة بالدين فان الاخلال بالشرائع والاعراض عنها مما يوجب الهرج والمرج
ويخل بنظام العالم والقائل هو الله تعالى او الرسول او بعض المؤمنين وقرأ الكسائي وهشام قيل باشمام الضم الاول
قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ جواب لاذا ورد للناصح على سبيل المبالغة والمعنى انه لا يصح مخاطبتنا بذلك
فان شأننا ليس الا الاصلاح وان حالنا متمحضة عن شوائب الفساد لان انما يفيد قصر ما دخله على ما بعده مثل انما زيد منطلق
وانما ينطلق زيد وانما قالوا ذلك لانهم تصوروا الفساد بصورة الصلاح لما في قلوبهم من المرض كما قال تعالى
افمن زين له سوء عمله فرآه حسنا أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ
رد لما ادعوه ابلغ رد للاستئناف به وتصديره بحرفي التأكيد الا المنبهة على تحقيق ما بعدها فان همزة الاستفهام
التي للانكار اذا دخلت على النفي افادت تحقيقا ونظيره اليس ذلك بقادر ولذلك لا تكاد تقع الجملة بعدها الا مصدرة
بما يتلقى به القسم واختها اما التي هي من طلائع القسم وان المقررة للنسبة وتعريف الخبر وتوسيط الفصل لرد ما في قولهم
انما نحن مصلحون من التعريض للمؤمنين والاستدراك بلكن لا يشعرون وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا من تمام النصح
والارشاد فان كمال الايمان بمجموع امرين الاعراض عما لا ينبغي وهو المقصود بقوله لا تفسدوا والاتيان بما ينبغي وهو
المطلوب بقوله آمنوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ في حيز النصب على المصدر وما مصدرية او كافة مثلها في
ربما واللام في الناس للجنس والمراد به الكاملون في الانسانية العاملون بقضية العقل فان اسم الجنس كما يستعمل لمسماه مطلقا
يستعمل لما يستجمع المعاني المخصوصة به والمقصودة منه ولذلك يسلب عن غيره فيقال زيد ليس بانسان ومن هذا الباب قوله تعالى
صم بكم عمي ونحوه وقد جمعهما الشاعر في قوله اذ الناس ناس والزمان زمان او للعهد والمراد به الرسول ومن معه ومن
آمن من اهل جلدتهم كابن سلام واصحابه والمعنى آمنوا ايمانا مقرونا بالاخلاص متمحضا عن شوائب النفاق مماثلا
لايمانهم واستدل به على قبول توبة الزنديق وان الاقرار باللسان ايمان والا لم يفد التقييد قَالُوا أَنُؤْمِنُ
كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ الهمزة فيه للانكار واللام مشار بها الى الناس او الجنس باسره وهم مندرجون
فيه على زعمهم وانما سفهوهم لاعتقادهم فساد رأيهم او لتحقير شأنهم فان اكثر المؤمنين كانوا فقراء ومنهم موال كصهيب

وبلال او للتجلد وعدم المبالاة بمن آمن منهم ان فسر الناس بعبد الله بن سلام واشياعه والسفه خفة وسخافة رأي يقتضيهما نقصان
العقل والحلم يقابله أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ رد ومبالغة في تجهيلهم فان الجاهل
بجهله الجازم على خلاف ما هو الواقع اعظم ضلالة واتم جهالة من المتوقف المعترف بجهله فانه ربما يعذر وتنفعه الايات
والنذر وانما فصلت الاية بلا يعلمون والتي قبلها بلا يشعرون لانه اكثر طباقا لذكر السفه ولان الوقوف على امر الدين والتمييز
بين الحق والباطل مما يفتقر الى نظر وفكر واما النفاق وما فيه من الفتن والفساد فانما يدرك بادنى تفطن وتأمل فيما يشاهد
من اقوالهم وافعالهم وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا بيان لمعاملتهم مع المؤمنين والكفار وما
صدرت به القصة فمساق لبيان مذهبهم وتمهيد نفاقهم فليس بتكرير روي ان ابن ابي واصحابه خرجوا ذات يوم فاستقبلهم نفر من الصحابة فقال
لقومه انظروا كيف ارد هؤلاء السفهاء عنكم فاخذ بيد ابي بكر فقال مرحبا بالصديق وسيد بني تيم وشيخ الاسلام وثاني
رسول الله في الغار الباذل نفسه وماله ثم اخذ بيد عمر فقال مرحبا بسيد بني عدي الفاروق القوي في دينه الباذل
نفسه وماله لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اخذ بيد علي فقال مرحبا بابن عم رسول الله وختنه وسيد بني هاشم ما خلا رسول الله
فنزلت واللقاء المصادفة يقال لقيته ولاقيته اذا صادفته واستقبلته ومنه ألقيته اذا طرحته فانك بطرحه جعلته
بحيث يلقى وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ من خلوت بفلان واليه اذا انفردت معه او من خلاك ذم اي عداك
ومضى عنك ومنه القرون الخالية او من خلوت به اذا سخرت منه وعدي بالى لتضمين معنى الانهاء والمراد بشياطينهم الذين ماثلوا
الشياطين في تمردهم وهم المظهرون كفرهم واضافتهم اليهم للمشاركة في الكفر او كبار المنافقين والقائلون صغارهم وجعل سيبويه نونه
تارة اصلية على انه من شطن اذا بعد فانه بعيد عن الصلاح ويشهد له قولهم تشيطن واخرى زائدة على انه من شاط اذا بطل ومن اسمائه
الباطل قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ اي في الدين والاعتقاد خاطبوا المؤمنين بالجملة الفعلية والشياطين بالجملة الاسمية المؤكدة
بان لانهم قصدوا بالاولى دعوى احداث الايمان وبالثانية تحقيق ثباتهم على ما كانوا عليه ولانه لم يكن لهم باعث من عقيدة وصدق رغبة
فيما خاطبوا به المؤمنين ولا توقع رواج ادعاء الكمال في الايمان على المؤمنين من المهاجرين والانصار بخلاف ما قالوه مع الكفار
إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ تأكيد لما قبله لان المستهزئ بالشيء المستخف به مصر على خلافه او بدل منه لان من حقر الاسلام فقد
عظم الكفر او استئناف فكأن الشياطين قالوا لهم لما قالوا انا معكم ان صح ذلك فما لكم توافقون المؤمنين وتدعون الايمان
فاجابوا بذلك والاستهزاء السخرية والاستخفاف يقال هزأت واستهزأت بمعنى كأجبت واستجبت واصله الخفة
من الهزء وهو القتل السريع يقال هزأ فلان اذا مات على مكانه وناقته تهزأ به اي تسرع وتخف اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ
بِهِمْ يجازيهم على استهزائهم سمي جزاء الاستهزاء باسمه كما سمي جزاء السيئة سيئة اما لمقابلة اللفظ باللفظ او لكونه مماثلا له
في القدر او يرجع وبال الاستهزاء عليهم فيكون كالمستهزئ بهم او ينزل بهم الحقارة والهوان الذي هو لازم الاستهزاء
والغرض منه او يعاملهم معاملة المستهزئ اما في الدنيا فباجراء احكام المسلمين عليهم واستدراجهم بالامهال والزيادة في النعمة

على التمادي في الطغيان ولأن في الآخرة فيفتح لهم وهم في النار باب إلى الجنة فيسرعون نحوه فإذا صاروا إليه سد عليهم الباب
وذلك قوله تعالى فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون وإنما استؤنف به ولم يعطف ليدل على أن الله تعالى تولى
مجازاتهم ولم يحوج المؤمنين إلى أن يعارضوهم وأن استهزاءهم لا يؤبه به في مقابلة ما يفعل الله بهم ولعله لم يقل الله مستهزئ بهم
ليطابق قولهم إيماء بأن الاستهزاء يحدث حالا فحالا ويتجدد حينا بعد حين وهكذا كانت نكايات الله فيهم كما قال
أولا يرون أنهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين **ويمدهم في طغيانهم يعمهون** من مد الجيش وأمده إذا
زاده وقواه ومنه مددت السراج والأرض إذا استصلحتهما بالزيت والسماد لا من المد في العمر فإنه يعدى باللام كأملى لهم و
يدل عليه قراءة ابن كثير ويمدهم والمعتزلة لما تعذر عليهم إجراء الكلام على ظاهره قالوا لما منعهم الله تعالى ألطافه التي يمنحها المؤمنين
وخذلهم بسبب كفرهم وإصرارهم وسدهم طرق التوفيق على أنفسهم فتزايدت بسببه قلوبهم رينا وظلمة تزايد قلوب
المؤمنين انشراحا ونورا أو مكن الشيطان من إغوائهم فزادهم طغيانا أسند ذلك إلى الله تعالى إسناد الفعل إلى المسبب وأضاف
الطغيان إليهم لئلا يتوهم أن إسناد الفعل إليه على الحقيقة ومصداق ذلك أنه لما أسند المد إلى الشيطان أطلق الغي وقال
وإخوانهم يمدونهم في الغي أو كان أصله يمد لهم بمعنى يملي لهم ويمد في أعمارهم كي يتنبهوا ويطيعوا فما زادوا إلا طغيانا وعمها
فحذف اللام وعدي الفعل بنفسه كما في قوله واختار موسى قومه أو التقدير يمدهم استصلاحا وهم مع ذلك يعمهون
في طغيانهم والطغيان بالضم والكسر كلقيان ولقيان تجاوز الحد في العصيان والغلو في الكفر وأصله تجاوز الشيء عن مكانه
قال تعالى إنا لما طغى الماء حملناكم في الجارية والعمه في البصيرة كالعمى في البصر وهو التحير في الأمر يقال رجل عامه وعمه وأرض
عمهاء لا منار بها قال أعمى الهدى بالجاهلين العمه **أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى**
اختاروها عليه واستبدلوها به وأصله بذل الثمن لتحصيل ما يطلب من الأعيان فإن كان أحد العوضين ناضا تعين من حيث إنه
لا يطلب لعينه أن يكون ثمنا وبذله اشتراء وإلا فأي العوضين تصورته بصورة الثمن فباذله مشتر وآخذه بائع ولذلك
عدت الكلمتان من الأضداد ثم استعير للإعراض عما في يده محصلا به غيره سواء كان من المعاني أو الأعيان ومنه أخذت
بالجمة رأسا أزعرا وبالثنايا الواضحات الدردرا وبالطويل العمر عمرا جيدرا كما اشترى المسلم إذ تنصرا ثم
اتسع فيه فاستعمل للرغبة عن الشيء طمعا في غيره والمعنى أنهم أخلوا بالهدى الذي جعل الله لهم بالفطرة التي فطر الناس
عليها محصلين الضلالة التي ذهبوا إليها أو اختاروا الضلالة واستحبوها على الهدى **فما ربحت تجارتهم** ترشيح
للمجاز لما استعمل الاشتراء في معاملتهم أتبعه ما يشاكله تمثيلا لخسارتهم ونحوه ولما رأيت النسر عز ابن دأية وعشش في وكريه
جاش له صدري والتجارة طلب الربح بالبيع والشراء والربح الفضل على رأس المال ولذلك سمي شفا وإسناده إلى
التجارة وهو لأربابها على الاتساع لتلبسها بالفاعل أو لمشابهتها إياه من حيث إنها سبب الربح والخسران
وما كانوا مهتدين لطرق التجارة فإن المقصود منها سلامة رأس المال والربح وهؤلاء قد أضاعوا

الطلبتين

الطلبتين لأن رأس مالهم كان الفطرة السليمة والعقل الصرف فلما اعتقدوا هذه الضلالات بطل استعدادهم واختل عقلهم ولم يبق
لهم رأس مال يتوسلون به إلى إدراك الحق ونيل الكمال فبقوا خاسرين آيسين من الربح فاقدين للأصل **مثلهم
كمثل الذي استوقد نارا** لما جاء بحقيقة حالهم عقبها بضرب المثل زيادة في التوضيح و
التقرير فإنه أوقع في القلب وأقمع للخصم الألد لأنه يريك المتخيل محققا والمعقول محسوسا ولأمر ما أكثر الله في كتبه الأمثال
وفشت في كلام الأنبياء والحكماء والمثل في الأصل بمعنى النظير يقال مثل ومثل ومثيل كشبه وشبه وشبيه ثم قيل للقول السائر الممثل مضربه
بمورده ولا يضرب إلا ما فيه غرابة ولذلك حوفظ عليه من التغيير ثم استعير لكل حال أو قصة أو صفة لها شأن وفيها
غرابة مثل قوله تعالى مثل الجنة التي وعد المتقون ولله المثل الأعلى والمعنى حالهم العجيبة الشأن كحال من استوقد نارا والذي
بمعنى الذين كما في قوله وخضتم كالذي خاضوا إن جعل مرجع الضمير في بنورهم وإنما جاز ذلك ولم يجز وضع القائم مقام
القائمين لأنه غير مقصود بالوصف بل الجملة التي هي صلته وهو وصلة إلى وصف المعرفة بها ولأنه ليس باسم تام
بل هو كالجزء منه فحقه أن لا يجمع كما لا يجمع أخواتها ويستوي فيه الواحد والجمع وليس الذين جمعه المصحح بل ذو زيادة زيدت
لزيادة المعنى ولذلك جاء بالياء أبدا على اللغة الفصيحة التي عليها التنزيل ولكونه مستطالا بصلته استحق التخفيف ولذلك
بولغ فيه فحذف ياؤه ثم كسرته ثم اقتصر على اللام في أسماء الفاعلين والمفعولين أو قصد به جنس المستوقدين أو الفوج الذي
استوقد والاستيقاد طلب الوقود والسعي في تحصيله وهو سطوع النار وارتفاع لهبها واشتقاق النار من نار ينور نورا
إذا نفر لأن فيها حركة واضطرابا **فلما أضاءت ما حوله** أي النار ما حول المستوقد إن جعلتها متعدية
وإلا أمكن أن تكون مسندة إلى ما والتأنيث لأن ما حوله أشياء وأماكن أو إلى ضمير النار وما موصولة في معنى الأمكنة نصب على
الظرف أو مزيدة وحوله ظرف وتأليف الحول للدوران وقيل للعام حول لأنه يدور **ذهب الله
بنورهم** جواب لما والضمير للذي وجمعه للحمل على المعنى وعلى هذا إنما قال بنورهم ولم يقل بنارهم لأنه المراد من إيقادها
أو استئناف أجيب به اعتراض سائل يقول ما بالهم شبهت حالهم بحال مستوقد انطفأت ناره أو بدل من جملة
التمثيل على سبيل البيان والضمير على الوجهين للمنافقين والجواب محذوف كما في قوله تعالى فلما ذهبوا به للإيجاز وأمن الإلباس
وإسناد الإذهاب إلى الله تعالى إما لأن الكل بفعله أو لأن الإطفاء حصل بسبب خفي أو أمر سماوي كريح أو مطر أو للمبالغة ولذلك
عدي الفعل بالباء دون الهمزة لما فيها من معنى الاستصحاب والاستمساك يقال ذهب السلطان بماله إذا أخذه وأمسكه
وما أخذه الله وأمسكه فلا مرسل له ولذلك عدل عن الضوء الذي هو مقتضى اللفظ إلى النور فإنه لو قيل ذهب الله بضوئهم
احتمل ذهابه بما في الضوء من الزيادة وبقاء ما يسمى نورا والغرض إزالة النور عنهم رأسا ألا ترى كيف قرر ذلك وأكده بقوله
وتركهم في ظلمات لا يبصرون فذكر الظلمة التي هي عدم النور وانطماسه بالكلية وجمعها ونكرها
ووصفها بأنها ظلمة خالصة لا يتراءى فيها شبحان وترك في الأصل بمعنى طرح وخلى وله مفعول واحد فضمن معنى صير

فيجري مجرى افعال القلوب كقوله وتركهم في ظلمات وقول الشاعر فتركته جزر السباع ينشنه والظلمة مأخوذة
من قولهم ما ظلمك ان تفعل كذا اي ما منعك لانها تسد البصر وتمنع الرؤية وظلماتهم ظلمة الكفر وظلمة النفاق
وظلمة يوم القيمة يوم ترى المؤمنين يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم او ظلمة الضلال وظلمة سخط الله وظلمة العقاب السرمد
او ظلمة شديدة كأنها ظلمات متراكمة ومفعول لا يبصرون من قبيل المطروح المتروك وكأن الفعل غير متعد والآية
مثل ضربه الله لمن آتاه ضربا من الهدى فأضاعه ولم يتوصل به الى نعيم الابد فبقي متحيرا متحسرا تقريرا وتوضيحا لما تضمنته الآية
الاولى ويدخل تحت عمومه هؤلاء المنافقون فانهم اضاعوا ما نطقت به السنتهم من الحق باستبطان الكفر واظهاره
حين خلوا الى شياطينهم ومن آثر الضلالة على الهدى المجعول له بالفطرة او ارتد عن دينه بعدما آمن ومن صح له احوال
الارادة فادعى احوال المحبة فأذهب الله عنه ما اشرق عليه من نور الارادة او مثل لايمانهم من حيث انه يعود عليهم
بحقن الدماء وسلامة الاموال والاولاد ومشاركة المسلمين في المغانم والاحكام بالنار الموقدة للاستضاءة ولذهاب اثره
وانطماس نوره باهلاكهم وافشاء حالهم باطفاء الله تعالى اياها واذهاب نورها **صم بكم عمي** لما سدوا
مسامعهم عن الاصاخة الى الحق وابوا ان ينطقوا به السنتهم ويتبصروا الآيات بابصارهم جعلوا كأنما ايفت مشاعرهم و
انتفت قواهم كقوله صم اذا سمعوا خيرا ذكرت به وان ذكرت بسوء عندهم اذنوا وكقوله اصم عن
الشيء الذي لا اريده واسمع خلق الله حين اريد واطلاقها عليهم على طريقة التمثيل لا الاستعارة اذ من شرطها ان
يطوى ذكر المستعار له بحيث يمكن حمل الكلام على المستعار منه لولا القرينة كقول زهير لدى اسد شاكي السلاح
مقذف له لبد اظفاره لم تقلم ومن ثم ترى المفلقين السحرة يضربون عن توهم التشبيه صفحا كما قال ابو تمام
ويصعد حتى يظن الجهول بان له حاجة في السماء وههنا وان طوي ذكره بحذف المبتدأ لكنه في حكم المنطوق
به ونظيره اسد علي وفي الحروب نعامة فتخاء تنفر من صفير الصافر هذا اذا جعلت الضمير للمنافقين على ان
الآية فذلكة التمثيل ونتيجته وان جعلته للمستوقدين فهي على حقيقتها والمعنى انهم لما اوقدوا نارا فذهب الله
بنورهم وتركهم في ظلمات هائلة ادهشتهم بحيث اختلت حواسهم وانتقصت قواهم وثلاثتها قرئت
بالنصب على الحال من مفعول تركهم والصمم اصله صلابة من اكتناز الاجزاء ومنه قيل حجر اصم وقناة
صماء وصمام القارورة سمي به فقدان حاسة السمع لان سببه ان يكون باطن الصماخ مكتنزا لا تجويف فيه يشتمل على
هواء يسمع الصوت بتموجه والبكم الخرس والعمى عدم البصر عما من شأنه ان يبصر وقد يقال لعدم البصيرة **فهم
لا يرجعون** لا يعودون الى الهدى الذي باعوه وضيعوه او عن الضلالة التي اشتروها او فهم متحيرون
لا يدرون أيتقدمون ام يتأخرون والى حيث ابتدأوا منه كيف يرجعون والفاء للدلالة على ان اتصافهم
بالاحكام السابقة سبب لتحيرهم واحتباسهم **او كصيب من السماء** عطف على الذي

الاجم السحاب الاسود

استوقد اي كمثل ذوي صيب لقوله يجعلون اصابعهم واو في الاصل للتساوي في الشك ثم اتسع فيها فاطلق
للتساوي من غير شك مثل جالس الحسن او ابن سيرين وقوله تعالى ولا تطع منهم آثما او كفورا فانها تفيد التساوي في حسن المجالسة ووجوب
العصيان ومن ذلك قوله او كصيب ومعناه ان قصة المنافقين مشبهة بهاتين القصتين وانهما سواء في صحة التشبيه بهما و
انت مخير في التمثيل بهما او بايهما شئت والصيب فيعل من الصوب وهو النزول يقال للمطر وللسحاب قال الشماخ
واسحم دان صادق الرعد صيب وفي الآية يحتملهما وتنكيره لانه اريد به نوع من المطر شديد وتعريف السماء للدلالة
على ان الغمام مطبق آخذ بآفاق السماء كلها فان كل افق منها يسمى سماء كما ان كل طبقة منها يسمى سماء قال ومن
بعد ارض بيننا وسماء امد به ما في صيب من المبالغة من جهة الاصل والبناء والتنكير وقيل المراد بالسماء السحاب فاللام
لتعريف الماهية **فيه ظلمات ورعد وبرق** ان اريد بالصيب المطر فظلماته ظلمة تكاثفه بتتابع
القطر وظلمة غمامه مع ظلمة الليل وجعله مكانا للرعد والبرق لانهما في اعلاه ومنحدره ملتبسين به وان اريد به السحاب
فظلماته سحمته وتطبيقه مع ظلمة الليل وارتفاعها بالظرف وفاقا لانه معتمد على موصوف والرعد صوت يسمع من
السحاب والمشهور ان سببه اضطراب اجرام السحاب واصطكاكها اذا حدتها الريح من الارتعاد والبرق ما يلمع من السحاب
من برق الشيء بريقا وكلاهما مصدر في الاصل ولذلك لم يجمعا **يجعلون اصابعهم في آذانهم**
الضمير لاصحاب الصيب وهو وان حذف لفظه واقيم الصيب مقامه لكن معناه باق فيجوز ان يعول عليه كما عول حسان
في قوله يسقون من ورد البريص عليهم بردى يصفق بالرحيق السلسل حيث ذكر الضمير لان المعنى ماء بردى
والجملة استئناف فكأنه لما ذكر ما يؤذن بالشدة والهول قيل فكيف حالهم مع مثل ذلك فاجيب بها و
انما اطلق الاصابع موضع الانامل للمبالغة **من الصواعق** متعلق بيجعلون اي من اجلها يجعلون كقولهم سقاهم
من العيمة والصاعقة قصفة رعد هائل معها نار لا تمر بشيء الا اتت عليه من الصعق وهو شدة الصوت وقد تطلق
على كل هائل مسموع او مشاهد ويقال صعقته الصاعقة اذا اهلكته بالاحراق او شدة الصوت وقرئ من الصواقع وهو ليس
بقلب من الصواعق لاستواء كلا البناءين في التصرف يقال صقع الديك وخطيب مصقع وصقعته الصاقعة وهي في الاصل اما
صفة لقصفة الرعد او للرعد والتاء للمبالغة كما في الراوية او مصدر كالعافية والكاذبة **حذر الموت**
نصب على العلة كقوله واغفر عوراء الكريم ادخاره واعرض عن شتم اللئيم تكرما والموت زوال الحياة وقيل عرض
يضادها لقوله خلق الموت ورد بان الخلق بمعنى التقدير والاعدام مقدرة **والله محيط بالكافرين** لا يفوتونه
كما لا يفوت المحاط به المحيط لا يخلصهم الخداع والحيل والجملة اعتراضية لا محل لها **يكاد البرق يخطف
ابصارهم** استئناف ثان كأنه جواب لمن يقول ما حالهم مع تلك الصواعق وكاد من افعال المقاربة وضعت
لمقاربة الخبر من الوجود لعروض سببه لكنه لم يوجد اما لفقد شرط او لعروض مانع وعسى موضوعة لرجائه فهي خبر محض ولذلك

الراوية البعير او البغل والحمار الذي يستقى عليه

متصرفة بخلاف عسى وخبرها مشروط فيه ان يكون فعلا مضارعا تنبيها على انه المقصود بالقرب من غير ان لتوكيد القرب بالدلالة
على الحال وقد تدخل حملا لها على عسى كما تحمل عليها بالحذف من خبرها لمشاركتهما في اصل معنى المقاربة والخطف الاخذ
بسرعة وقرى يخطف بكسر الطا ويخطّف على انه يختطف فنقلت فتحة التا الى الخا ثم ادغمت في الطا ويخطّف بكسر الخا لالتقاء الساكنين
واتباع اليا لها ويتخطف كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا استيناف
ثالث كانه جواب لمن يقول ما يفعلون في تارتي خفوق البرق وخفيته وحيرتهم لذلك واضا اما متعد والمفعول محذوف بمعنى كلما نور لهم
ممشى اخذوه او لازم بمعنى كلما لمع لهم مشوا في مطرح نوره وكذلك اظلم فانه جا متعديا منقولا من ظلم الليل ويشهد له
قراءة واظلم على البنا للمفعول وقول ابي تمام هما اظلما حالي ثمة اجليا ظلاميهما عن وجه امرد اشيب
فانه وان كان من المحدثين لكنه من علما العربية ولا يبعد ان يجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه وانما قال مع الاضاءة كلما و
مع الاظلام اذا لانهم حراص على المشي فكلما صادفوا منه فرصة انتهزوها ولا كذلك التوقف ومعنى قاموا وقفوا ومنه
قامت السوق اذا ركدت وقام الما جمد وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ
اي لو شاء الله ان يذهب بسمعهم بقصيف الرعد وابصارهم بوميض البرق لذهب بهما فحذف المفعول لدلالة الجواب عليه
ولقد تكاثر حذفه في شا واراد حتى لا يكاد يذكر الا في الشي المستغرب كقوله فلو شئت ان ابكي دما لبكيته ولو من حروف الشرط
وظاهرها الدلالة على انتفا الاول لانتفا الثاني ضرورة انتفا الملزوم عند انتفا اللازم وقرى لاذهب باسماعهم
بزيادة البا كقوله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة وفايدة هذه الشرطية ابدا المانع لذهاب سمعهم وابصارهم مع
قيام ما يقتضيه والتنبيه على ان تاثير الاسباب في مسبباتها مشروط بمشية الله تعالى وان وجودها مرتبط باسبابها واقع بقدرته
وقوله إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ كالتصريح به والتقرير له والشي يختص بالموجود لانه في الاصل مصدر
شا اطلق بمعنى شاءٍ تارة وحينئذ يتناول الباري تعالى كما قال قل اي شي اكبر شهادة قل الله وبمعنى مشيء اخرى اي مشيء
وجوده وما شا الله وجوده فهو موجود في الجملة وعليه قوله ان الله على كل شي قدير الله خالق كل شي فهما على عمومهما
بلا مثنوية والمعتزلة لما قالوا الشي ما يصح ان يوجد وهو يعم الواجب والممكن او ما يصح ان يعلم ويخبر عنه فيعم الممتنع
ايضا لزمهم التخصيص بالممكن في الموضعين بدليل العقل والقدرة هو التمكن من ايجاد شي وقيل صفة تقتضي التمكن وقيل
قدرة الانسان هيئة بها يتمكن من الفعل وقدرة الله عبارة عن نفي العجز عنه والقادر هو الذي ان شا فعل وان
لم يشا لم يفعل والقدير الفعال لما يشا على ما يشا ولذلك قلما يوصف به غير الباري واشتقاق القدرة من
القدر لان القادر يوقع الفعل على مقدار قوته او على مقدار ما تقتضيه مشيته وفيه دليل على ان الحادث حال حدوثه
والممكن حال بقائه مقدوران وان مقدور العبد مقدور الله لانه شي وكل شي مقدور والظاهر ان التمثيلين من جملة التمثيلات
المولفة وهو ان تشبه كيفية منتزعة من مجموع امور تضامت وتلاصقت حتى صارت شيئا واحدا باخرى

مثلها كقوله تعالى مثل الذين حملوا التورية ثم لم يحملوها الاية فانه تشبيه حال اليهود في جهلهم بما معهم من التورية بحال الحمار
في جهله بما يحمل من اسفار الحكمة والغرض منهما تمثيل حال المنافقين من الحيرة والشدة بما يكابده من انطفت ناره بعد ايقادها
في ظلمة او بحال من اخذته السما في ليلة مظلمة مع رعد قاصف وبرق خاطف وخوف من الصواعق ويمكن جعلهما من
قبيل التمثيل المفرد وهو ان تاخذ اشيا فرادى فتشبهها بامثالها كقوله تعالى وما يستوي الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا
النور ولا الظل ولا الحرور وقول امرى القيس كان قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها العناب والحشف البالي
بان يشبه في الاول ذوات المنافقين بالمستوقدين واظهارهم الايمان باستيقاد النار وما انتفعوا به من حقن الدما وسلامة
الاموال والاولاد وغير ذلك باضاءة النار ما حول المستوقدين وزوال ذلك عنهم على القرب باهلاكهم وافشا
حالهم وابقائهم في الخسار الدائم والعذاب السرمد باطفا نارهم والذهاب بنورهم وفي الثاني انفسهم باصحاب
الصيب وايمانهم المخالط بالكفر والخداع بصيب فيه ظلمات ورعد وبرق من حيث انه وان كان نافعا في نفسه لكنه
لما وجد في هذه الصورة عاد نفعه ضررا ونفاقهم حذرا عن نكايات المومنين وما يطرقون به من سواهم من الكفرة بجعل
الاصابع في الاذان من الصواعق حذر الموت من حيث انه لا يرد من قدر الله شيئا ولا يخلص مما يريد بهم من المضار
وتحيرهم لشدة الامر وجهلهم بما ياتون ويذرون بانهم كلما صادفوا من البرق خفقة انتهزوها فرصة مع خوف ان يخطف ابصارهم
فخطوا خطى يسيرة ثم اذا خفي وفتر لمعانه بقوا متقيدين لا حراك لهم وقيل شبه الايمان والقران وسائر ما اوتي الانسان من
المعارف التي هي سبب الحيوة الابدية بالصيب الذي به حيوة الارض وما ارتكبت بها من الشبه المبطلة واعترضت دونها
من الاعتراضات المشكلة بالظلمات وما فيها من الوعد والوعيد بالرعد وما فيها من الايات الباهرة بالبرق و
تصامهم عما يسمعون من الوعيد بحال من يهوله الرعد فيخاف صواعقه فيسد اذنه عنها مع انه لا خلاص لهم منها وهو معنى قوله
والله محيط بالكافرين واهتزازهم لما يلمع لهم من رشد يدركونه او رفد يطمح اليه ابصارهم بمشيهم في مطرح ضوء البرق كلما
اضاء لهم وتحيرهم وتوقفهم في الامر حين تعرض لهم شبهة او تعن لهم مصيبة بتوقفهم اذا اظلم عليهم ونبه بقوله تعالى ولو شاء الله
لذهب بسمعهم وابصارهم على انه تعالى جعل لهم السمع والابصار ليتوسلوا بها الى الهدى والفلاح ثم انهم صرفوها الى الحظوظ
العاجلة وسدوها عن الفوائد الاجلة ولو شاء الله لجعلهم بالحالة التي يجعلونها فانه على ما يشا قدير يَا أَيُّهَا النَّاسُ
اعْبُدُوا رَبَّكُمُ لما عدد فرق المكلفين وذكر خواصهم ومصارف امورهم اقبل عليهم بالخطاب
على سبيل الالتفات هزا للسامع وتنشيطا له واهتماما بامر العبادة وتفخيما لشانها وجبر الكلفة العبادة بلذة
المخاطبة ويا حرف وضع لنداء البعيد وقد ينادى به القريب تنزيلا له منزلة البعيد لعظمته كقول الداعي يا رب
ويا الله وهو اقرب اليه من حبل الوريد او لغفلته وسوء فهمه او للاعتناء بالمدعو له وزيادة الحث عليه وهو مع المنادى
جملة مفيدة لانه نائب مناب فعل واي جعل وصلة الى نداء المعرف باللام فان ادخال يا عليه متعذر لتعذر الجمع بين

حرف التعريف فانهما كشي واحد وأعطي حكم المنادى وأجري عليه المقصود وأقحمت بينهما ها التنبيه تأكيدا وتعويضا عما يستحقه أي من المضاف اليه وانما كثر النداء على هذه الطريقة في القرآن لاستقلاله بأوجه من التأكيد وكل ما نادى الله له عباده من حيث انها امور عظام من حقها ان يتفطنوا لها ويقبلوا بقلوبهم عليها واكثرهم عنها غافلون حقيق بأن ينادى له بالآكد الأبلغ والجموع واسماؤها المحلاة باللام للعموم حيث لا عهد ويدل عليه صحة الاستثناء منها والتوكيد بما يفيد العموم كقوله تعالى فسجد الملائكة كلهم اجمعون واستدلال الصحابة بعمومها شائعا ذائعا فالناس يعم الموجودين وقت النزول لفظا ومن سيوجد لما تواتر من دينه عليه السلام ان مقتضى خطابه واحكامه شامل للقبيلين ثابت الى قيام الساعة الا ما خصه الدليل وما روي عن علقمة والحسن ان كل شيء نزل فيه يا ايها الناس فمكي ويا ايها الذين آمنوا فمدني ان صح رفعه فلا يوجب تخصيصه بالكفار ولا امرهم بالعبادة فان المأمور به هو المشترك بين بدء العبادة والزيادة فيها والمواظبة عليها فالمطلوب من الكفار هو الشروع فيها بعد الاتيان بما يجب تقديمه من المعرفة والاقرار بالصانع فان من لوازم وجوب الشيء وجوب ما لا يتم الا به وكما ان الحدث لا يمنع وجوب الصلاة فالكفر لا يمنع وجوب العبادة بل يجب رفعه والاشتغال بها عقيبه ومن المؤمنين ازديادهم وثباتهم عليها وانما قال ربكم تنبيها على ان الموجب للعبادة هي الربوبية **الذي خلقكم** صفة جرت عليه تعالى للتعظيم والتعليل ويحتمل التقييد والتوضيح ان خص الخطاب بالمشركين واريد بالرب اعم من الرب الحقيقي والآلهة التي يسمونها اربابا والخلق ايجاد الشيء على تقدير واستواء واصله التقدير يقال خلق النعل اذا قدرها وسواها بالمقياس **والذين من قبلكم** متناول كل ما يتقدم الانسان بالذات او بالزمان منصوب معطوف على الضمير المنصوب في خلقكم والجملة اخرجت مخرج المقرر عندهم اما لاعترافهم به كما قال ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله او لتمكنهم من العلم به بأدنى نظر وقرئ من قبلكم على اقحام الموصول الثاني بين الاول وصلته تأكيدا كما اقحم جرير في قوله يا تيم تيم عدي لا ابا لكم تيم الثاني بين الاول وما اضيف اليه **لعلكم تتقون** حال من الضمير في اعبدوا كأنه قال اعبدوا ربكم راجين ان تنخرطوا في سلك المتقين الفائزين بالهدى والفلاح المستوجبين لجوار الله تعالى نبه به على ان التقوى منتهى درجات السالكين وهو التبري من كل شيء سوى الله الى الله وان العابد ينبغي ان لا يغتر بعبادته ويكون ذا خوف ورجاء كما قال تعالى يدعون ربهم خوفا وطمعا يرجون رحمته ويخافون عذابه او من مفعول خلقكم والمعطوف عليه على معنى انه خلقكم في صورة من يرجى منه التقوى لترجح امره باجتماع اسبابه وكثرة الدواعي اليه وغلب المخاطبين على الغائبين في اللفظ والمعنى على ارادتهم جميعا وقيل تعليل للخلق اي خلقكم لكي تتقوا كما قال وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وهو ضعيف اذ لم يثبت في اللغة مثله والآية تدل على ان الطريق الى معرفة الله تعالى والعلم بوحدانيته واستحقاقه للعبادة النظر في صنعه والاستدلال بأفعاله وان العبد لا يستحق بعبادته عليه ثوابا فانها لما وجبت عليه شكرا لما عدده عليه من النعم السابقة فهو كأجير اخذ الاجر قبل العمل **الذي جعل لكم الأ**

فراشا صفة ثانية او مدح منصوب او مرفوع او مبتدأ خبره فلا تجعلوا وجعل من الافعال العامة يجيء على ثلاثة اوجه بمعنى صار وطفق فلا يتعدى كقوله فقد جعلت قلوص بني سهيل من الاكوار مرتعها قريب وبمعنى اوجد فيتعدى الى مفعول واحد كقوله تعالى وجعل الظلمات والنور وبمعنى صير ويتعدى الى مفعولين كقوله جعل لكم الارض فراشا والتصيير يكون بالفعل تارة وبالقول او العقد اخرى ومعنى جعلها فراشا ان جعل بعض جوانبها بارزا عن الماء مع ما في طبعه من الاحاطة بها وصيرها متوسطة بين الصلابة واللطافة حتى صارت مهيأة لأن يقعدوا ويناموا عليها كالفراش المبسوط وذلك لا يستدعي كونها مسطحة لأن كرية شكلها مع عظم حجمها واتساع جرمها لا يأبى الافتراش عليها **والسماء بناء** قبة مضروبة عليكم والسماء اسم جنس يقع على الواحد والمتعدد كالدينار والدرهم وقيل جمع سماءة والبناء مصدر سمي به المبني بيتا كان او قبة او خباء ومنه بنى على امرأته لأنهم كانوا اذا تزوجوا ضربوا عليها خباء جديدا **وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم** عطف على جعل وخروج الثمار بقدرة الله تعالى ومشيئته ولكن جعل الماء الممزوج بالتراب سببا في اخراجها ومادة لها كالنطفة للحيوان بأن اجرى عادته بافاضة صورها وكيفياتها على المادة الممتزجة منهما او ابدع في الماء قوة فاعلة وفي الارض قوة قابلة يتولد من اجتماعهما انواع الثمار وهو قادر على ان يوجد الاشياء كلها بلا اسباب ومواد كما ابدع نفوس الاسباب والمواد ولكن له في انشائها مدرجا من حال الى حال صنائع وحكم يجدد فيها لأولي الابصار عبرا وسكونا الى عظيم قدرته ليس في ايجادها دفعة ومن الاولى للابتداء سواء اريد بالسماء السحاب فان ما علاك سماء او الفلك فان المطر يبتدئ من السماء الى السحاب ومنه الى الارض على ما دلت عليه الظواهر او من اسباب سماوية تثير الاجزاء الرطبة من اعماق الارض الى جو الهواء فينعقد سحابا ماطرا ومن الثانية للتبعيض بدليل قوله تعالى فأخرجنا به ثمرات واكتناف المنكرين له اعني ماء ورزقا كأنه قال وانزلنا من السماء بعض الماء فأخرجنا به بعض الثمرات ليكون بعض رزقكم وهكذا الواقع اذ لم ينزل من السماء الماء كله ولا اخرج بالمطر كل الثمرات ولا جعل كل المرزوق ثمارا او للتبيين ورزقا مفعول بمعنى المرزوق كقولك انفقت من الدراهم الفا وانما ساغ الثمرات والموضع موضع الكثرة لأنه اراد بالثمرة جماعة الثمرة التي في قولك ادركت ثمرة بستانه ويؤيده قراءة من قرأ من الثمرة على التوحيد او لأن الجموع يتعاور بعضها موقع بعض كقوله كم تركوا من جنات وعيون وقوله ثلاثة قروء او لأنها لما كانت محلاة باللام خرجت عن حد القلة ولكم صفة رزقا ان اريد به المرزوق ومفعوله ان اريد به المصدر كأنه قال رزقا اياكم **فلا تجعلوا لله أندادا** متعلق باعبدوا على انه نهي معطوف عليه او نفي منصوب باضمار ان جواب له او بلعل على نصب تجعلوا نصب فأطلع في قوله لعلي ابلغ الاسباب اسباب السموات فأطلع الحاقا لها بالاشياء الستة لاشتراكها في انها غير موجبة والمعنى ان تتقوا لا تجعلوا لله اندادا او بالذي جعل ان استأنفت به على انه نهي وقع خبرا على تأويل مقول فيه لا تجعلوا والفاء للسببية ادخلت عليه لتضمن المبتدأ معنى الشرط والمعنى ان من حكم بهذه النعم الجسام والآيات العظام ينبغي ان لا يشرك به والند المثل المناوئ قال جرير أتيما تجعلون الي ندا

ولذلك سمي الذي حسب نديداً من ندّ ندوداً اذا نفر وناددت الرجل خالفته خص بالمخالف المماثل في الذات كما خص المساوي للمماثل في القدر وتسمية ما يعبده المشركون من دون الله انداداً وما زعموا انها تساويه في ذاته وصفاته ولا انها تخالفه في افعاله لانهم لما تركوا عبادته الى عبادتها وسموها آلهة شابهت حالهم حال من يعتقد انها ذوات واجبة بالذات قادرة على ان تدفع عنهم بأس الله وتمنحهم ما لم يرد الله بهم من خير فتهكم بهم وشنع عليهم بان جعلوا انداداً لمن يمتنع ان يكون له ند ولهذا قال موحد الجاهلية زيد بن عمرو بن نفيل اربّاً واحداً ام الف رب ادين اذا تقسمت الامور تركت اللات والعزى جميعاً كذلك يفعل الرجل البصير

وانتم تعلمون حال من ضمير فلا تجعلوا ومفعول تعلمون مطروح اي وحالكم انكم من اهل العلم والنظر واصابة الرأي فلو تأملتم ادنى تأمل اضطر عقلكم الى اثبات موجد للممكنات متفرد بوجوب الذات متعال عن مشابهة المخلوقات او منوي وهو انها لا تماثله ولا تقدر على مثل ما يفعله كقوله هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء وعلى هذا فالمقصود منه التوبيخ والتثريب لا تقييد الحكم وقصره عليه فان العالم والجاهل المتمكن من العلم سواء في التكليف واعلم ان مضمون الآيتين هو الامر بعبادة الله تعالى والنهي عن الاشراك به والاشارة الى ما هو العلة والمقتضي لها وبيانه انه رتب الامر بالعبادة على صفة الربوبية اشعاراً بانها العلة لوجوبها ثم بين ربوبيته بانه تعالى خالقهم وخالق اصولهم وما يحتاجون اليه في معاشهم من المقلة والمظلة والمطاعم والملابس فان الثمرة اعم من المطعوم والرزق اعم من المأكول والمشروب ثم لما كانت هذه اموراً لا يقدر عليها غيره شاهدة على وحدانيته تعالى رتب عليها النهي عن الاشراك به ولعله سبحانه اراد من الآية الاخيرة مع ما دل عليه الظاهر وسيق فيه الكلام الاشارة الى تفصيل خلق الانسان وما افاض عليه من المعاني والصفات على طريقة التمثيل فمثل البدن بالارض والنفس بالسماء والعقل بالماء وما افاض عليه من الفضائل العملية والنظرية المحصلة بواسطة استعمال العقل للحواس وازدواج القوى النفسانية والبدنية بالثمرات المتولدة من ازدواج القوى السماوية الفاعلة والارضية المنفعلة بقدرة الفاعل المختار فان لكل آية ظهراً وبطناً ولكل حد مطلعاً

وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة لما قرر وحدانيته وبين الطريق الموصل الى العلم بها ذكر عقيبه ما هو الحجة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وهو القرآن المعجز بفصاحته التي بذّت فصاحة كل منطيق وافحامه من طولب بمعارضته من مصاقع الخطباء من العرب العرباء مع كثرتهم وافراطهم في المضادة والمضارة وتهالكهم على المعازة والمعارة وعرّف ما يتعرف به اعجازه ويتيقن انه من عند الله كما يدعيه وانما قال مما نزلنا لان نزوله نجماً فنجماً بحسب الوقائع على ما نرى عليه اهل الشعر والخطابة مما يريبهم كما حكى الله عنهم وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة فكان الواجب تحديهم على هذا الوجه ازاحة للشبهة والزاماً للحجة واضاف العبد الى نفسه تنويهاً بذكره وتنبيهاً على انه مختص به منقاد لحكمه وقرئ عبادنا يريد محمداً وامته والسورة الطائفة من القرآن المترجمة التي اقلها ثلاث آيات وهي ان جعلت واوها اصلية منقولة من سور المدينة لانها

محيطة بطائفة من القرآن مفرزة محوزة على حيالها او محتوية على انواع من العلم احتواء سور المدينة على ما فيها او من السورة التي هي الرتبة قال ولرهط حراب وقدّ سورة في المجد ليس غرابها بمطار لان السور كالمنازل والمراتب يترقى فيها القارئ او لها مراتب في الطول والقصر والفضل والشرف وثواب القراءة وان جعلت مبدلة من الهمزة فمن السؤرة التي هي البقية والقطعة من الشيء والحكمة في تقطيع القرآن سوراً افراد الانواع وتلاحق الاشكال وتجاوب النظم وتنشيط القارئ وتسهيل الحفظ والترغيب فيه فانه اذا ختم سورة نفّس ذلك منه كالمسافر اذا علم انه قطع ميلاً او طوى بريداً والحافظ متى حفظها اعتقد انه اخذ من القرآن حظاً تاماً وفاز بطائفة محدودة مستقلة بنفسها فعظم ذلك عنده وابتهج به الى غير ذلك من الفوائد

من مثله صفة سورة اي بسورة كائنة من مثله والضمير لما نزلنا ومن للتبعيض او للتبيين وزائدة عند الاخفش اي بسورة مماثلة للقرآن في البلاغة وحسن النظم او لعبدنا ومن للابتداء اي بسورة كائنة ممن هو على حاله من كونه بشراً امياً لم يقرأ الكتب ولم يتعلم العلوم او صلة فأتوا والضمير للعبد والرد الى المنزل اوجه لانه المطابق لقوله فأتوا بسورة مثله ولسائر آيات التحدي ولان الكلام فيه لا في المنزل عليه فحقه ان لا ينفك عنه ليتسق الترتيب والنظم ولان مخاطبة الجم الغفير بان يأتوا بمثل ما اتى به واحد من ابناء جلدتهم ابلغ في التحدي من ان يقال لهم ليأت بنحو ما اتى به هذا آخر مثله ولانه معجز في نفسه لا بالنسبة اليه لقوله تعالى قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولان رده الى عبدنا يوهم امكان صدوره ممن لم يكن على صفته ولا يلائمه

قوله وادعوا شهداءكم من دون الله فانه امر بان يستعينوا بكل من ينصرهم ويعينهم والشهداء جمع شهيد بمعنى الحاضر او القائم بالشهادة او الناصر او الامام وكأنه سمي به لانه يحضر النوادي وتبرم بمحضره الامور اذ التركيب للحضور اما بالذات او بالتصور ومنه قيل للمقتول في سبيل الله شهيد لانه حضر ما كان يرجوه او الملائكة حضروه ومعنى دون ادنى مكان من الشيء ومنه تدوين الكتب لانه ادناء البعض من البعض ودونك هذا اي خذه من ادنى مكان منك ثم استعير للرتب فقيل زيد دون عمرو اي في الشرف ومنه الشيء الدون ثم اتسع فيه فاستعمل في كل تجاوز حد الى حد وتخطي امر الى آخر قال الله تعالى لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين اي لا يتجاوزوا ولاية المؤمنين الى ولاية الكافرين وقال امية يا نفس ما لك دون الله من واق اي اذا تجاوزت وقاية الله فلا يقيك غيره ومن متعلقة بادعوا والمعنى وادعوا الى المعارضة من حضركم او رجوتم معونته من انسكم وجنكم وآلهتكم غير الله فانه لا يقدر ان يأتي بمثله الا الله او وادعوا من دون الله شهداء يشهدون لكم بان ما اتيتم به مثله ولا تستشهدوا بالله فانه من ديدن المبهوت العاجز عن اقامة الحجة او بشهدائكم الذين اتخذتموهم من دون الله اولياء او آلهة وزعمتم انها تشهد لكم يوم القيامة او الذين يشهدون لكم بين يدي الله على زعمكم من قول الاعشى تريك القذى من دونها وهي دونه ليعينوكم وفي امرهم ان

يستظهروا بالجماد في معارضة القرآن غاية التبكيت والتهكم وقيل من دون الله اي من دون اوليائه يعني فصحاء العرب
ووجوه المشاهد ليشهدوا لكم ان ما اتيتم به مثله فان العاقل لا يرضى لنفسه ان يشهد بصحة ما اتضح فساده وبان اختلاله
ان كنتم صادقين انه من كلام البشر وجوابه محذوف دل عليه ما قبله والصدق الاخبار
المطابق وقيل مع اعتقاد المخبر انه كذلك عن دلالة او امارة لانه تعالى كذب المنافقين في قولهم انك لرسول الله
لما لم يعتقدوا مطابقته ورد بصرف التكذيب الى قولهم نشهد لان الشهادة اخبار عما علمه وهم ما كانوا عالمين به
فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس و
الحجارة لما بين لهم ما يتعرفون به امر الرسول وما جاء به وميز لهم الحق عن الباطل رتب عليه ما هو كالفذلكة له وهو
انكم اذا اجتهدتم في معارضته وعجزتم جميعا عن الاتيان بما يساويه او يدانيه ظهر انه معجز والتصديق به واجب فآمنوا به
واتقوا العذاب المعد لمن كذب فعبر عن الاتيان المكيف بالفعل الذي يعم الاتيان به وغيره ايجازا ونزل لازم
الجزاء منزلته على سبيل الكناية تقريرا للمكني عنه وتهويلا لشان العناد وتصريحا بالوعيد مع الايجاز وصدر الشرطية
بان الذي للشك والحال يقتضي اذا الذي للوجوب فان القائل سبحانه وتعالى لم يكن شاكا في عجزهم ولذلك
نفى اتيانهم معترضا بين الشرط والجزاء تهكما بهم او خطابا معهم على حسب ظنهم فان العجز قبل التامل لم يكن محققا
عندهم وتفعلوا جزم بلم لانها واجبة الاعمال مختصة بالمضارع متصلة بالمعمول ولانها لما صيرته ماضيا صارت
كالجزء منه وحرف الشرط كالداخل على المجموع وكانه قال فان تركتم الفعل ولذلك ساغ اجتماعهما ولن كلا في
نفي المستقبل غير انه ابلغ وهو حرف مقتضب عند سيبويه والخليل في احدى الروايتين عنه وفي الرواية الاخرى
اصله لا ان وعند الفراء لا فابدلت الفها نونا والوقود بالفتح ما يوقد به النار وبالضم المصدر وقد جاء المصدر
بالفتح قال سيبويه وسمعنا من يقول وقدت النار وقودا عاليا والاسم بالضم ولعله مصدر سمي به كما قيل
فلان فخر قومه وزين بلده وقد قرئ به والظاهر ان المراد به الاسم وان اريد المصدر فعلى حذف المضاف
اي وقودها احتراق الناس والحجارة وهي جمع حجر كجمالة جمع جمل وهو قليل غير منقاس والمراد بها الاصنام التي نحتوها
وقرنوا بها انفسهم وعبدوها طمعا في شفاعتها والانتفاع بها واستدفاع المضار لمكانتهم ويدل عليه قوله تعالى انكم
وما تعبدون من دون الله حصب جهنم عذبوا بما هو منشا جرمهم كما عذب الكانزون بما كنزوه او بنقيض ما كانوا يتوقعون
زيادة في تحسرهم وقيل الذهب والفضة التي كانوا يكنزونها ويغترون بها وعلى هذا لم يكن لتخصيص اعداد هذا
النوع من العذاب بالكفار وجه وقيل حجارة الكبريت وهو تخصيص بغير دليل وابطال للمقصود اذ الغرض تهويل
شانها وتفاقم لهبها بحيث تتقد بما لا يتقد به غيرها والكبريت تتقد به كل نار وان ضعفت فان صح هذا
عن ابن عباس فلعله عنى ان الاحجار كلها لتلك النار كحجارة الكبريت لسائر النيران ولما كانت الاية

مدنية نزلت بعد ما نزل بمكة قوله تعالى في سورة التحريم نارا وقودها الناس والحجارة وسمعوه صح تعريف النار ووقوع
الجملة صلة بازائها فانها يجب ان تكون قصة معلومة اعدت للكافرين هيئت لهم
وجعلت عدة لعذابهم وقرئ اعتدت من العتاد بمعنى العدة والجملة استئناف او حال باضمار قد من النار لا الضمير الذي
في وقودها وان جعلته مصدرا للفصل بينهما بالخبر وفي الآيتين ما يدل على النبوة من وجوه الاول ما فيهما من التحدي و
التحريض على الجد وبذل الوسع في المعارضة بالتقريع والتهديد وتعليق الوعيد على عدم الاتيان بما يعارض اقصر سورة
من سور القرآن ثم انهم مع كثرتهم واشتهارهم بالفصاحة وتهالكهم على المضادة لم يتصدوا للمعارضة والتجاؤا
الى جلاء الوطن وبذل المهج والثاني انهما يتضمنان الاخبار عن الغيب على ما هو به فانهم لو عارضوه بشيء لامتنع خفاؤه
عادة سيما والطاعنون فيه اكثر من الذابين عنه في كل عصر والثالث انه عليه السلام لو شك في امره لما دعاهم
الى المعارضة بهذه المبالغة مخافة ان يعارض فتدحض حجته وقوله اعدت للكافرين دل على ان النار مخلوقة
معدة لهم الآن وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات ان لهم
جنات عطف على الجملة السابقة والمقصود عطف حال من آمن بالقرآن ووصف ثوابه على حال من
كفر به وكيفية عقابه على ما جرت به العادة الالهية من ان يشفع الترغيب بالترهيب تنشيطا لاكتساب ما ينجي وتثبيطا عن
اقتراف ما يردي لا عطف الفعل نفسه حتى يجب ان يطلب له ما يشاكله من امر او نهي فيعطف عليه او على فاتقوا
لانهم اذا لم ياتوا بما يعارضه بعد التحدي ظهر اعجازه واذا ظهر ذلك فمن كفر به استوجب العقاب ومن آمن به
استحق الثواب وذلك يستدعي ان يخوف هؤلاء ويبشر هؤلاء وانما امر الرسول عليه السلام او عالم كل عصر
او كل احد يقدر على البشارة بان يبشرهم ولم يخاطبهم بالبشارة كما خاطب الكفرة تفخيما لشانهم وايذانا
بانهم احقاء بان يبشروا ويهنئوا بما اعد لهم وقرئ وبشر على البناء للمفعول عطفا على اعدت فيكون استئنافا والبشارة
الخبر السار فانه يظهر اثر السرور في البشرة ولذلك قال الفقهاء البشارة هو الخبر الاول حتى لو قال الرجل لعبيده من بشرني
بقدوم ولدي فهو حر فاخبروه فرادى عتق اولهم ولو قال من اخبرني عتقوا جميعا واما قوله تعالى فبشرهم بعذاب اليم
فعلى التهكم او على طريقة قوله تحية بينهم ضرب وجيع والصالحات جمع صالحة وهي من الصفات الغالبة التي
تجري مجرى الاسماء كالحسنة قال الحطيئة كيف الهجاء وما تنفك صالحة من آل لام بظهر الغيب تاتيني وهي
من الاعمال ما سوغه الشرع وحسنه وتانيثها على تاويل الخصلة او الخلة واللام فيها للجنس وعطف العمل على الايمان
مرتبا للحكم عليهما اشعارا بان السبب في استحقاق هذه البشارة مجموع الامرين والجمع بين الوصفين فان الايمان
الذي هو عبارة عن التحقيق والتصديق اس والعمل الصالح كالبناء عليه ولا غناء باس لا بناء عليه ولذلك قلما
ذكرا منفردين وفيه دليل على انها خارجة عن مسمى الايمان اذ الاصل ان الشيء لا يعطف على نفسه ولا على ما هو داخل فيه

لهم منصوب بنزع الخافض وافضاء الفعل اليه او مجرور باضماره مثل الله لافعلن والجنة المرة من الجن وهو مصدر جنه اذا
ستره ومدار التركيب على الستر سمي بها الشجر المظلل لالتفاف اغصانه للمبالغة كانه يستر ما تحته سترة واحدة قال
كان عيني في غربي مقتلة من النواضح تسقي جنة سحقا اي نخلا طوالا ثم البستان لما فيه من الاشجار المتكاثفة
المظللة ثم دار الثواب لما فيها من الجنان وقيل سمي بذلك لانه ستر في الدنيا ما اعد فيها للبشر من افنان
النعم كما قال تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين الاية وجمعها وتنكيرها لان الجنان على ما ذكره ابن عباس
سبع جنات جنة الفردوس وجنة عدن وجنة نعيم ودار الخلد ودار المأوى ودار السلام وعليون
وفي كل واحدة منها مراتب ودرجات متفاوتة على حسب تفاوت الاعمال والعمال واللام تدل على استحقاقهم اياها
لاجل ما ترتب عليه من الايمان والعمل الصالح لا لذاته فانه لا يكافئ النعم السابقة فضلا عن ان يقتضي ثوابا و
جزاء فيما يستقبل بل بجعل الشارع ومقتضى وعده ولا على الاطلاق بل بشرط ان يستمر عليه حتى يموت وهو
مؤمن لقوله تعالى ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم وقوله تعالى لنبيه لئن اشركت
ليحبطن عملك واشباه ذلك ولعله سبحانه وتعالى وتقدس لم يقيد ههنا استغناء بها **تجري من تحتها**
الانهار اي من تحت اشجارها كما تراها جارية تحت الاشجار النابتة على شواطئها وعن مسروق انهار الجنة
تجري في غير اخدود واللام في الانهار للجنس كما في قولك لفلان بستان فيه الماء الجاري او للعهد والمعهود هي
الانهار المذكورة في قوله تعالى فيها انهار من ماء غير آسن الاية والنهر بالفتح والسكون المجرى الواسع فوق الجدول
ودون البحر كالنيل والفرات والتركيب للسعة والمراد بها ماؤها على الاضمار او المجاري انفسها واسناد
الجري اليها مجاز كما في قوله تعالى واخرجت الارض اثقالها **كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا**
قالوا هذا الذي رزقنا صفة ثانية لجنات او خبر مبتدا محذوف او جملة مستانفة كانه
لما قيل ان لهم جنات وقع في خلد السامع اثمارها مثل ثمار الدنيا او اجناس اخر فازيح بذلك وكلما نصب على الظرف
ورزقا مفعول به ومن الاولى والثانية للابتداء واقعتان موقع الحال وتقدير الكلام ومعناه كل حين رزقوا مرزوقا
مبتدا من الجنات مبتدا من ثمرة قيد الرزق بكونه مبتدا من الجنات وابتداؤه منها بابتدائه من ثمرة فصاحب الحال
الاولى رزقا وصاحب الحال الثانية ضميره المستكن في الحال ويحتمل ان يكون من ثمرة بيانا تقدم كما في قولك رايت منك
اسدا وهذا اشارة الى نوع ما رزقوا كقولك مشيرا الى نهر جار هذا الماء لا ينقطع فانك لا تعني به العين المشاهد
منه بل النوع المعلوم المستمر بتعاقب جرياته وان كانت الاشارة الى عينه فالمعنى هذا مثل الذي ولكن لما استحكم الشبه
بينهما جعل ذاته ذاته كقولك ابو يوسف ابو حنيفة **من قبل** اي من قبله في الدنيا جعل ثمر الجنة
من جنس ثمر الدنيا لتميل النفس اليه اول ما يرى فان الطبايع مائلة الى المالوف متنفرة عن غيره وتتبين

لها مزيته وكنه النعمة فيه اذ لو كان جنسا لم يعهد ظن انه لا يكون الا كذلك او في الجنة لان طعامها متشابه الصورة
كما حكي عن الحسن ان احدهم يؤتى بالصحفة فياكل منها ثم يؤتى باخرى فيراها مثل الاولى فيقول ذلك فيقول الملك
كل فاللون واحد والطعم مختلف او كما روي انه عليه السلام قال والذي نفس محمد بيده ان الرجل من اهل الجنة ليتناول
الثمرة ليأكلها فما هي واصلة الى فيه حتى يبدل الله مكانها مثلها فلعلهم اذا راوها على الهيئة الاولى قالوا
ذلك والاول اظهر لمحافظته على عموم كلما فانها تدل على ترديدهم هذا القول كل مرة رزقوا والداعي لهم الى
ذلك فرط استغرابهم وتبجحهم بما وجدوا من التفاوت العظيم في اللذة والتشابه البليغ في الصورة **واتوا به**
متشابها اعتراض يقرر ذلك والضمير على الاول راجع الى ما رزقوا في الدارين فانه مدلول عليه بقوله
هذا الذي رزقنا من قبل ونظيره قوله تعالى ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما اي بجنس الغني والفقير وعلى الثاني الى الرزق
فان قيل التشابه هو التماثل في الصفة وهو مفقود بين ثمرات الدنيا والاخرة كما قال ابن عباس رضي الله عنهما ليس في الجنة
من اطعمة الدنيا الا الاسماء قلت التشابه بينهما حاصل في الصورة التي هي مناط الاسم دون المقدار والطعم وهو كاف
في اطلاق التشابه هذا وان للاية محملا اخر وهو ان مستلذات اهل الجنة في مقابلة ما رزقوا في الدنيا من المعارف و
الطاعات متفاوتة في اللذة بحسب تفاوتها فيحتمل ان يكون المراد من هذا الذي رزقنا انه ثوابه ومن تشابههما تماثلهما
في الشرف والمزية وعلو الطبقة فيكون هذا في الوعد نظير قوله تعالى ذوقوا ما كنتم تعملون في الوعيد **ولهم**
فيها ازواج مطهرة مما يستقذر من النساء ويذم من احوالهن كالحيض والدرن ودنس
الطبع وسوء الخلق فان التطهير يستعمل في الاجسام والاخلاق والافعال وقرئ مطهرات وهما لغتان فصيحتان يقال النساء
فعلت وفعلن وهن فاعلة وفواعل قال واذا العذارى بالدخان تقنعت واستعجلت نصب القدور فملت فالجمع
على اللفظ والافراد على تاويل الجماعة ومطهرة بتشديد الطاء وكسر الهاء بمعنى متطهرة ومطهرة ابلغ من طاهرة ومتطهرة
للاشعار بان مطهرا طهرهن وليس هو الا الله عز وجل والزوج يقال للذكر والانثى وهو في الاصل لما له قرين من جنسه كزوج
الخف فان قيل فايدة المطعوم هو التغذي ودفع ضرر الجوع وفايدة المنكوح التوالد وحفظ النوع وهي مستغنى عنها
في الجنة قلت انما تشارك نظايرها الدنيوية في بعض الصفات والاعتبارات وتسمى باسمائها على سبيل الاستعارة
والتمثيل ولا تشاركها في تمام حقيقتها حتى تستلزم جميع ما يلزمها وتفيد عين فايدتها **وهم فيها خالدون**
دائمون والخلد والخلود في الاصل الثبات المديد دام ام لم يدم ولذلك قيل للاثافي والاحجار خوالد وللجزء الذي
يبقى من الانسان على حاله ما دام حيا خلد ولو كان وضعه للدوام كان التقييد بالتابيد في قوله تعالى خالدين فيها ابدا لغوا واستعماله
حيث لا دوام كقولهم وقف مخلد يوجب اشتراكا او مجازا والاصل ينفيهما بخلاف ما لو وضع للاعم منه فاستعمل فيه بذلك
الاعتبار كاطلاق الجسم على الانسان مثل قوله تعالى وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد لكن المراد به الدوام ههنا عند

الجمهور لما يشهد له من الآيات والسنن فإن قيل الأبدان مركبة من أجزاء متضادة الكيفية معرضة للاستحالات المؤدية إلى الانفكاك والانحلال فكيف يعقل خلودها في الجنان قلت إنه تعالى يعيدها بحيث لا يعتورها الاستحالة بأن يجعل أجزاءها مثلا متقاومة في الكيفية متساوية في القوة لا يقوى شيء منها على إحالة الآخر متعانقة متلازمة لا ينفك بعضها عن بعض كما يشاهد في بعض المعادن هذا وإن قياس ذلك العالم وأحواله على ما نجده ونشاهده من نقص العقل وضعف البصيرة واعلم أنه لما كان معظم اللذات الحسية مقصورا على المساكن والمطاعم والمناكح على ما دل عليه الاستقراء وكان ملاك ذلك كله الثبات والدوام فإن كل نعمة جليلة إذا قارنها خوف الزوال كانت منغصة غير صافية من شوائب الألم بشر المؤمنين بها ومثل ما أعد لهم في الآخرة بأبهى ما يستلذ به منها وأزال عنهم خوف الفوات بوعد الخلود ليدل على كمالهم في التنعم والسرور **إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلا ما بعوضة** لما كانت الآيات السابقة متضمنة لأنواع من التمثيل عقب ذلك ببيان حسنه وما هو الحق له والشرط فيه وهو أن يكون على وفق الممثل له من الجهة التي تعلق بها التمثيل في العظم والصغر والخسة والشرف دون الممثل فإن التمثيل إنما يصار إليه لكشف المعنى الممثل له ورفع الحجاب عنه وإبرازه في صورة المشاهد المحسوس ليساعد فيه الوهم العقل ويصالحه عليه فإن المعنى الصرف إنما يدركه العقل مع منازعة من الوهم لأن من طبعه الميل إلى الحس وحب المحاكاة ولذلك شاعت الأمثال في الكتب الإلهية وفشت في عبارات البلغاء وإشارات الحكماء فيمثل الحقير بالحقير كما يمثل العظيم بالعظيم وإن كان الممثل أعظم من كل عظيم كما مثل في الإنجيل غل الصدر بالنخالة والقلوب القاسية بالحصاة ومخاطبة السفهاء بإثارة الزنابير وجاء في كلام العرب أسمع من قراد وأطيش من فراشة وأعز من مخ البعوض لا ما قالت الجهلة من الكفار لما مثل الله حال المنافقين بحال المستوقدين وأصحاب الصيب وعبادة الأصنام في الوهن والضعف ببيت العنكبوت وجعلها أقل من الذباب وأخس قدرا منه الله أعلى وأجل من أن يضرب الأمثال ويذكر الذباب والعنكبوت وأيضا لما أرشدهم إلى ما يدل على أن المتحدى به وحي منزل ورتب عليه وعيد من كفر به ووعد من آمن به بعد ظهور أمره شرع في جواب ما طعنوا به فيه فقال إن الله لا يستحيي أي لا يترك ضرب المثل بالبعوضة ترك من يستحيي أن يمثل بها لحقارتها والحياء انقباض النفس عن القبيح مخافة الذم وهو الوسط بين الوقاحة التي هي الجراءة على القبائح وعدم المبالاة بها والخجل الذي هو انحصار النفس عن الفعل مطلقا واشتقاقه من الحياة فإنه انكسار يعتري القوة الحيوانية فيردها عن أفعالها فقيل حيي الرجل كما يقال نسي وحشي إذا اعتلت نساه وحشاه وإذا وصف به الباري تعالى كما جاء في الحديث إن الله يستحيي من ذي الشيبة المسلم أن يعذبه إن الله حيي كريم يستحيي إذا رفع العبد إليه يديه أن يردهما صفرا حتى يضع فيهما خيرا فالمراد به الترك اللازم للانقباض كما أن المراد من رحمته وغضبه إصابة المعروف والمكروه اللازمين لمعنييهما ونظيره قول من يصف إبلا إذا ما استحين الماء يعرض نفسه كرعن بسبت

في أي من الوجه وإنما عدل به عن الترك لما فيه من التمثيل والمبالغة ويحتمل الآية خاصة أن يكون مجيئه على المقابلة لما وقع في كلام الكفرة وضرب المثل اعتماله من ضرب الخاتم وأصله وقع شيء على آخر وأن بصلتها مخفوض المحل عند الخليل بإضمار من منصوب بإفضاء الفعل إليه بعد حذفها عند سيبويه وما إبهامية تزيد النكرة إبهاما وشياعا وتسد عنها طرق التقييد كقولك أعطني كتابا ما أي أي كتاب كان أو مزيدة للتأكيد كالتي في قوله تعالى فبما رحمة ولا نعني بالمزيد اللغو الضائع فإن القرآن كله هدى وبيان بل ما لم يوضع لمعنى يراد منه وإنما وضع ليذكر مع غيره فيفيد له وثاقة وقوة وهو زيادة في الهدى غير قادح فيه وبعوضة عطف بيان لمثلا أو مفعول ليضرب ومثلا حال تقدمت عليه لأنه نكرة أو هما مفعولاه لتضمنه معنى الجعل وقرئت بالرفع على أنه خبر مبتدأ وعلى هذا يحتمل ما وجوها أخر أن تكون موصولة حذف صدر صلتها كما حذف في قوله تعالى تماما على الذي أحسن وموصوفة بصفة كذلك ومحلها النصب بالبدلية على الوجهين واستفهامية هي المبتدأ كأنه لما رد استبعادهم ضرب الله الأمثال قال بعده ما البعوضة فما فوقها حتى لا يضرب به المثل بل له أن يمثل بما هو أحقر من ذلك ونظيره فلان لا يبالي بما وهب ما دينار وديناران والبعوض فعول من البعض وهو القطع كالبضع والعضب غلب على هذا النوع كالخموش **فما فوقها** عطف على بعوضة أو ما إن جعل اسما ومعناه ما زاد عليها في الجثة كالذباب والعنكبوت كأنه قصد به رد ما استنكروه والمعنى أنه لا يستحيي ضرب المثل بالبعوض فضلا عما هو أكبر منه أو في المعنى الذي جعلت فيه مثلا وهو الصغر والحقارة كجناحها فإنه عليه السلام ضربه مثلا للدنيا ونظيره في الاحتمالين ما روي أن رجلا بمنى خر على طنب فسطاط فقالت عائشة رضي الله عنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من مسلم يشاك شوكة فما فوقها إلا كتبت له بها درجة ومحيت عنه بها خطيئة فإنه يحتمل ما تجاوز الشوكة في الألم كالخرور على الطنب وما زاد عليها في القلة كنخبة النملة لقوله عليه السلام ما أصاب المؤمن من مكروه فهو كفارة لخطاياه حتى نخبة النملة **فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم** أما حرف تفصيل يفصل ما أجمل ويؤكد ما به صدر ويتضمن معنى الشرط ولذلك يجاب بالفاء قال سيبويه أما زيد فذاهب معناه مهما يكن من شيء فزيد ذاهب أي هو ذاهب لا محالة وأنه منه عزيمة وكان الأصل دخول الفاء على الجملة لأنها الجزاء لكن كرهوا إيلاءها حرف الشرط فأدخلوها على الخبر وعوضوا المبتدأ عن الشرط لفظا وفي تصدير الجملتين به إحماد لأمر المؤمنين واعتداد بعلمهم وذم بليغ للكافرين على قولهم والضمير في أنه للمثل أو لأن يضرب والحق الثابت الذي لا يسوغ إنكاره يعم الأعيان الثابتة والأفعال الصائبة والأقوال الصادقة من قولهم حق الأمر إذا ثبت ومنه ثوب محقق محكم النسج **وأما الذين كفروا فيقولون** كان من حقه وأما الذين كفروا فلا يعلمون ليطابق قرينه ويقابل قسيمه لكن لما كان قولهم هذا دليلا واضحا على كمال جهلهم عدل إليه على سبيل الكناية ليكون كالبرهان عليه **ماذا أراد الله بهذا مثلا** يحتمل وجهين أن يكون ما استفهامية وذا بمعنى الذي وما بعده صلته والمجموع خبر ما وأن يكون ما مع ذا اسما واحدا بمعنى أي شيء منصوب المحل على

المعتزلية مثل ما اراد الله والاحسن في جوابه الرفع على الاول والنصب على الثاني ليطابق السوال والارادة نزوع
النفس وميلها الى الفعل بحيث يحملها عليه وتقال للقوة التي هي مبدا النزوع والاول مع الفعل والثاني قبله و
كلا المعنيين غير متصور اتصاف الباري تعالى به ولذلك اختلف في معنى ارادته فقيل ارادته لافعاله انه غير ساه
ولا مكره ولافعال غيره امره بها فعلى هذا لم تكن المعاصي بارادته وقيل علمه باشتمال الامر على النظام الاكمل والوجه
الاصلح فانه يدعو القادر الى تحصيله والحق انه ترجيح احد مقدوريه على الاخر وتخصيصه بوجه دون وجه او معنى
يوجب هذا الترجيح وهي اعم من الاختيار فانه ميل مع تفضيل وفي هذا استحقار واسترذال ومثلا نصب على التمييز
او الحال كقوله تعالى هذه ناقة الله لكم اية **يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا**
جواب ماذا اي اضلال كثير واهداء كثير وضع الفعل موضع المصدر للاشعار بالحدوث والتجدد او بيان
للجملتين المصدرتين باما وتسجيل بان العلم بكونه حقا هدى وبيان وان الجهل بوجه ايراده والانكار لحسن مورده
ضلال وفسوق وكثرة كل واحد من القبيلين بالنظر الى انفسهم لا بالقياس الى مقابليهم فان المهديين
قليلون بالاضافة الى اهل الضلال كما قال الله تعالى وقليل من عبادي الشكور ويحتمل ان يكون كثرة الضالين
من حيث العدد وكثرة المهديين باعتبار الفضل والشرف كما قال قليل اذا عدوا كثير اذا شدوا
وقال ان الكرام كثير في البلاد وان قلوا كما غيرهم قل وان كثروا **وما يضل به الا الفاسقين**
اي الخارجين عن حد الايمان كقوله تعالى ان المنافقين هم الفاسقون من قولهم فسقت الرطبة عن قشرها
اذا خرجت واصل الفسق الخروج عن القصد قال رؤبة فواسقا عن قصدها جوائرا والفاسق في الشرع
الخارج عن امر الله تعالى بارتكاب الكبيرة وله درجات ثلث الاولى التغابي وهو ان يرتكبها احيانا مستقبحا
اياها والثانية الانهماك وهو ان يعتاد ارتكابها غير مبال بها والثالثة الجحود وهو ان يرتكبها مستصوبا
اياها فاذا شارف هذا المقام وتخطى خططه خلع ربقة الايمان من عنقه ولابس الكفر وما دام هو في
درجة التغابي والانهماك فلا يسلب عنه اسم المؤمن لاتصافه بالتصديق الذي هو مسمى الايمان ولقوله تعالى
وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا والمعتزلة لما قالوا الايمان عبارة عن مجموع التصديق والاقرار والعمل
والكفر تكذيب الحق وجحوده جعلوه قسما ثالثا نازلا بين منزلتي المؤمن والكافر لمشاركته كل واحد منهما
في بعض الاحكام وتخصيص الاضلال بهم مرتبا على صفة الفسق يدل على انه الذي اعدهم للاضلال و
ادى بهم الى الضلال وذلك لان كفرهم وعدولهم عن الحق واصرارهم بالباطل صرفت وجوه
افكارهم عن حكمة المثل الى حقارة الممثل به حتى رسخت به جهالتهم وازدادت ضلالتهم فانكروه واستهزؤوا به
وقرئ يضل بالبنا للمفعول والفاسقون بالرفع **الذين ينقضون عهد الله** صفة للفاسقين

للذم وتقرير للفسق والنقض فسخ التركيب واصله في طاقات الحبل واستعماله في ابطال العهد من حيث ان العهد يستعار له
الحبل لما فيه من ربط احد المتعاهدين بالاخر فان اطلق مع لفظ الحبل كان ترشيحا للمجاز وان ذكر مع العهد كان رمزا الى
ما هو من روادفه وهو ان العهد حبل في ثبات الوصلة بين المتعاهدين كقولك شجاع يفترس اقرانه وعالم
يغترف منه الناس فان فيه تنبيها على انه اسد في شجاعته بحر بالنظر الى افادته والعهد الموثق ووضعه لما من شانه
ان يراعى ويتعهد كالوصية واليمين ويقال للدار من حيث انها تراعى بالرجوع اليها والتاريخ لانه يحفظ
وهذا العهد اما العهد الماخوذ بالعقل وهو الحجة القائمة على عباده الدالة على توحيده ووجوب وجوده وصدق رسوله
وعليه اول قوله تعالى واشهدهم على انفسهم او الماخوذ بالرسل على الامم بانهم اذا بعث اليهم رسول مصدق بالمعجزات
صدقوه واتبعوه ولم يكتموا امره ولم يخالفوا حكمه واليه اشار بقوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا
الكتاب ونظائره وقيل عهود الله ثلثة عهد اخذه على جميع ذرية ادم بان يقروا بربوبيته وعهد اخذه على
النبيين بان يقيموا الدين ولا يتفرقوا فيه وعهد اخذه على العلماء بان يبينوا الحق ولا يكتموه **من بعد**
ميثاقه الضمير للعهد والميثاق اسم لما يقع به الوثاقة وهي الاحكام والمراد به ما وثق الله به عهده
من الايات والكتب او ما وثقوه به من الالتزام والقبول ويحتمل ان يكون بمعنى المصدر ومن للابتداء فان ابتداء
النقض بعد الميثاق **ويقطعون ما امر الله به ان يوصل** يحتمل كل قطيعة لا يرضاها
الله تعالى كقطع الرحم والاعراض عن موالاة المؤمنين والتفرقة بين الانبياء عليهم السلام والكتب في التصديق و
ترك الجماعات المفروضة وسائر ما فيه رفض خير او تعاطي شر فانه يقطع الوصلة بين الله وبين العبد المقصودة
بالذات من كل فصل ووصل والامر هو القول الطالب للفعل وقيل مع العلو وقيل مع الاستعلاء وبه سمي الامر الذي
واحد الامور تسمية للمفعول به بالمصدر فانه مما يؤمر به كما قيل له شان وهو الطلب والقصد يقال شانت
شانه اذا قصدت قصده وان يوصل يحتمل النصب والخفض على انه بدل من ما او ضميره والثاني احسن لفظا
ومعنى **ويفسدون في الارض** بالمنع عن الايمان والاستهزاء بالحق وقطع الوصل
التي بها صلاح العالم ونظامه **اولئك هم الخاسرون** الذين خسروا باهمال العقل عن
النظر واقتناص ما يفيدهم الحيوة الابدية واستبدال الانكار والطعن في الايات بالايمان بها والنظر في حقائقها
والاقتباس من انوارها واشتراء النقض بالوفاء والفساد بالصلاح والعقاب بالثواب **كيف**
تكفرون بالله استخبار فيه انكار وتعجيب لكفرهم بانكار الحال التي يقع عليها على الطريق البرهاني
لان صدوره لا ينفك عن حال وصفة فاذا انكر ان يكون لكفرهم حال يوجد عليها استلزم ذلك انكار وجوده
فهو ابلغ واقوى في انكار الكفر من اتكفرون واوفق لما بعده من الحال والخطاب مع الذين كفروا لما وصفهم بالكفر و

المقال وتحقيق النعال خاطبهم على طريقة الالتفات ووبخهم على كفرهم مع علمهم بحالهم المقتضية خلاف ذلك
والمعنى اخبروني على اي حال تكفرون وكنتم امواتا اي اجساما لا حيوة لها عناصر واغذية واخلاطا
ونطفا ومضغا مخلقة وغير مخلقة فاحياكم بخلق الارواح ونفخها فيكم وانما عطفه بالفاء لانه متصل
بما عطف عليه غير متراخ عنه بخلاف البواقي ثم يميتكم عند تقضي اجالكم ثم يحييكم
بالنشور يوم ينفخ في الصور او للسؤال في القبور ثم اليه ترجعون بعد الحشر فيجازيكم باعمالكم او تنشرون اليه
من قبوركم للحساب فما اعجب كفركم مع علمكم بحالكم هذه فان قيل ان علموا انهم كانوا امواتا فاحياهم ثم يميتهم لم يعلموا
انه يحييهم ثم اليه يرجعون قلت تمكنهم من العلم بهما لما نصب لهم من الدلائل منزل منزلة علمهم في ازاحة العذر سيما وفي الاية
تنبيه على ما يدل على صحتهما وهو انه تعالى لما قدر على احيائهم اولا قدر على ان يحييهم ثانيا فان بدء الخلق ليس باهون
عليه من اعادته او مع التمكين فانه سبحانه وتعالى لما بين دلائل التوحيد والنبوة ووعدهم على الايمان واوعدهم
على الكفر اكد ذلك بان عدد عليهم النعم العامة والخاصة واستقبح صدور الكفر منهم واستبعده عنهم مع تلك
النعم الجليلة فان عظم النعم يوجب عظم معصية المنعم فان قيل كيف تعد الاماتة من النعم المقتضية للشكر قلت لما كانت وصلة
الى الحيوة الثانية التي هي الحيوة الحقيقية كما قال تعالى وان الدار الاخرة لهي الحيوان كانت من النعم العظيمة مع ان المعدود عليهم
نعمه هو المعنى المنتزع من القصة باسرها كما ان الواقع حالا هو العلم بها لا كل واحدة من الجمل فان بعضها ماض وبعضها مستقبل
وكلاهما لا يصح ان يقع حالا او مع المؤمنين خاصة لتقرير المنة عليهم وتبعيد الكفر عنهم على معنى كيف يتصور منكم الكفر و
كنتم امواتا اي جهالا فاحياكم بما افادكم من العلم والايمان ثم يميتكم الموت المعروف ثم يحييكم الحيوة الحقيقية ثم اليه
ترجعون فيثيبكم بما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فالحيوة حقيقة في القوة الحساسة او ما يقتضيها
وبها سمي الحيوان حيوانا مجاز في القوة النامية لانها من طلائعها ومقدماتها وفيما يخص الانسان من الفضائل كالعقل
والعلم والايمان من حيث انها كمالها وغايتها والموت بازائها يقال على ما يقابلها في كل مرتبة قال الله
تعالى قل الله يحييكم ثم يميتكم وقال اعلموا ان الله يحيي الارض بعد موتها وقال او من كان ميتا فاحييناه وجعلنا له
نورا يمشي به في الناس واذا وصف به الباري اريد بها صحة اتصافه بالعلم والقدرة اللازمة لهذه القوة
فينا او معنى قائم بذاته يقتضي ذلك على الاستعارة وقرأ يعقوب ترجعون بفتح التاء في جميع القرآن هو الذي
خلق لكم ما في الارض جميعا بيان نعمة اخرى مرتبة على الاولى فانها خلقهم احياء قادرين
مرة بعد اخرى وهذه خلق ما يتوقف عليه بقاؤهم ويتم به معاشهم ومعنى لكم لاجلكم وانتفاعكم في دنياكم باستنفاعكم
بها في مصالح ابدانكم بوسط او بغير وسط وفي دينكم بالاستدلال والاعتبار والتعرف لما يلائمها من لذات الاخرة
والامها لا على وجه الغرض فان الفاعل لغرض مستكمل به بل على انه كالغرض من حيث انه عاقبة الفعل ومؤداه وهو يقتضي

لا جهة الاشياء النافعة ولا يمنع اختصاص بعضها ببعض لاسباب عارضة فانه يدل على ان الكل للكل لا ان كل واحد لكل
واحد ولعموم كل ما في الارض لا الارض الا اذا اريد بها جهة السفل كما يراد بالسماء جهة العلو وجميعا حال من الموصول الثاني
ثم استوى الى السماء قصد اليها بارادته من قولهم استوى اليه كالسهم المرسل اذا قصده قصدا
مستويا من غير ان يلوي على شيء واصل الاستواء طلب السواء واطلاقه على الاعتدال لما فيه من تسوية وضع الاجزاء ولا يمكن
حمله عليه لانه من خواص الاجسام وقيل استوى استولى وملك قال قد استوى بشر على العراق من غير
سيف ودم مهراق والاول اوفق للاصل والصلة المعدى بها والتسوية المرتبة عليه بالفاء والمراد بالسماء
هذه الاجرام العلوية او جهات العلو وثم لعله لتفاوت ما بين الخلقين وفضل خلق السماء على خلق الارض
كقوله تعالى ثم كان من الذين امنوا لا للتراخي في الوقت فانه يخالف ظاهر قوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها
فانها تدل على تأخر دحو الارض المتقدم على خلق ما فيها عن خلق السماء وتسويتها الا ان تستأنف بدحاها مقدرا
لنصب الارض فعلا اخر دل عليه أانتم اشد خلقا مثل تعرف الارض وتدبر امرها بعد ذلك لكنه
خلاف الظاهر فسويهن عدلهن وخلقهن مصونة من العوج والفطور وهن ضمير السماء ان فسرت
بالاجرام لانه جمع او في معنى الجمع والا فمبهم يفسره ما بعده كقولهم ربه رجلا سبع سموات بدل او
تفسير فان قيل اليس ان اصحاب الارصاد اثبتوا تسعة افلاك قلت فيما ذكروه شكوك وان صح فليس في
الاية نفي الزائد مع انه ان ضم اليها العرش والكرسي لم يبق خلاف وهو بكل شيء عليم فيه
تعليل كانه قال ولكونه عالما بكنه الاشياء كلها خلق ما خلق على هذا النمط الاكمل والوجه الانفع واستدلال
بان من كان فعله على هذا النسق العجيب والترتيب الانيق كان عليما فان اتقان الافعال واحكامها وتخصيصها بالوجه
الاحسن الانفع لا يتصور الا من عالم حكيم رحيم وازاحة لما يختلج في صدورهم من ان الابدان بعد ما تفتتت وتبددت
اجزاؤها واتصلت بما يشاكلها كيف تجمع اجزاء كل بدن مرة ثانية بحيث لا يشذ شيء منها ولا ينضم اليها ما لم يكن
معها فيعاد منها كما كان ونظيره قوله تعالى وهو بكل خلق عليم واعلم ان صحة الحشر مبنية على ثلاث مقدمات و
وقد برهن عليها في هاتين الايتين اما الاولى فهي ان مواد الابدان قابلة للجمع والحيوة واشار الى البرهان عليها بقوله
وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم فان تعاقب الافتراق والاجتماع والموت والحيوة عليها يدل على انها قابلة لها
بذاتها وما بالذات يأبى ان يزول ويتغير واما الثانية والثالثة فانه عالم بها وبمواقعها قادر على جمعها واحيائها
واشار الى وجه اثباتهما بانه تعالى قادر على ابدائهم وابداء ما هو اعظم خلقا واعجب صنعا فكان اقدر على اعادتهم
واحيائهم وانه تعالى خلق ما خلق خلقا مستويا محكما من غير تفاوت واختلال مراعى فيه مصالحهم وسد
حاجاتهم وذلك دليل على تناهي علمه وكمال حكمته جلت قدرته ودقت حكمته وقد سكن نافع وابو عمرو والكسائي

وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً تعداد لنعمة ثالثة تعم الناس كلهم فان خلق ادم واكرامه وتفضيله على ملائكته بان امرهم بالسجود له انعام يعم ذريته واذ ظرف وضع لزمان نسبة ماضية وقع فيه اخرى كما وضع اذا لزمان نسبة مستقبلة يقع فيه اخرى ولذلك وجب اضافتهما الى الجمل كحيث في المكان وبنيتا تشبيها بالموصولات واستعملتا للتعليل والمجازاة ومحلهما النصب ابدا بالظرفية فانهما من الظروف الغير المتصرفة لما ذكرناه واما قوله تعالى واذكر اخا عاد اذ انذر قومه ونحوه فعلى تاويل اذكر الحادث اذ كان كذا فحذف الحادث واقيم الظرف مقامه وعامله في الاية قالوا او اذكر على التاويل المذكور لانه جاء معمولا له صريحا في القران كثيرا او مضمر دل عليه مضمون الاية المتقدمة مثل وبدا خلقكم اذ قال وعلى هذا فالجملة معطوفة على خلق لكم داخلة في حكم الصلة وعن معمر انه مزيد والملائكة جمع ملأك على الاصل كالشمائل جمع شمأل والتاء لتانيث الجمع وهو مقلوب مألك من الالوكة وهي الرسالة لانهم وسائط بين الله وبين الناس فهم رسل الله او كالرسل اليهم واختلف العقلاء في حقيقتهم بعد اتفاقهم على انها ذوات موجودة قائمة بانفسها فذهب اكثر المسلمين الى انها اجسام لطيفة قادرة على التشكل باشكال مختلفة مستدلين بان الرسل كانوا يرونهم كذلك وقالت طائفة من النصارى هي النفوس الفاضلة البشرية المفارقة للابدان وزعم الحكماء انها جواهر مجردة مخالفة للنفوس الناطقة في الحقيقة منقسمة الى قسمين قسم شانهم الاستغراق في معرفة الحق والتنزه عن الاشتغال بغيره كما وصفهم في محكم تنزيله فقال يسبحون الليل والنهار لا يفترون وهم العليون والملائكة المقربون وقسم يدبر الامر من السماء الى الارض على ما سبق به القضاء وجرى به القلم الالهي لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون وهم المدبرات امرا فمنهم سماوية ومنهم ارضية على تفصيل اثبته في كتاب الطوالع والمقول لهم الملائكة كلهم لعموم اللفظ وعدم المخصص وقيل ملائكة الارض وقيل ابليس ومن كان معه في محاربة الجن فانه تعالى اسكنهم في الارض اولا فافسدوا فيها فبعث اليهم ابليس في جند من الملائكة فدمرهم وفرقهم في الجزائر والجبال وجاعل من جعل الذي له مفعولان وهما في الارض خليفة اعمل فيهما لانه بمعنى الاستقبال ومعتمد على مسند اليه ويجوز ان يكون بمعنى خالق والخليفة من يخلف غيره وينوب منابه والهاء فيه للمبالغة والمراد به ادم عليه السلام لانه كان خليفة الله في ارضه وكذلك كل نبي استخلفهم في عمارة الارض وسياسة الناس وتكميل نفوسهم وتنفيذ امره فيهم لا لحاجة به تعالى الى من ينوبه بل لقصور المستخلف عليه عن قبول فيضه وتلقي امره بغير وسط ولذلك لم يستنبئ ملكا كما قال الله تعالى ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا الا ترى ان الانبياء لما فاقت قوتهم واشتعلت قريحتهم بحيث يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار ارسل

اليهم الملائكة ومن كان منهم اعلى رتبة كلمه بلا واسطة كما كلم موسى عليه السلام في الميقات ومحمدا صلوات الله عليه ليلة المعراج ونظير ذلك في الطبيعة ان العظم لما عجز عن قبول الغذاء من اللحم لما بينهما من التباعد جعل الباري تعالى بحكمته بينهما الغضروف المناسب لهما لياخذ من هذا ويعطي ذاك او خليفة من سكن الارض قبله او هو وذريته لانهم يخلفون من قبلهم او يخلف بعضهم بعضا وافراد اللفظ اما للاستغناء بذكره عن ذكر بنيه كما استغني بذكر ابي القبيلة في قولهم مضر وهاشم او على تاويل من يخلفكم او خلفا يخلفكم وفائدة قوله تعالى هذا للملائكة تعليم المشاورة وتعظيم شان المجعول بان بشر بوجوده سكان ملكوته ولقبه بالخليفة قبل خلقه واظهار فضله الراجح على ما فيه من المفاسد بسؤالهم وجوابه وبيان ان الحكمة تقتضي ايجاد ما يغلب خيره فان ترك الخير الكثير لاجل الشر القليل شر كثير الى غير ذلك **قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ** تعجب من ان يستخلف لعمارة الارض واصلاحها من يفسد فيها او يستخلف مكان اهل الطاعة اهل المعصية واستكشاف عما خفي عليهم من الحكمة التي بهرت تلك المفاسد والغتها واستخبار عما يرشدهم ويزيح شبهتهم كسؤال المتعلم معلمه عما يختلج في صدره وليس باعتراض على الله تعالى ولا طعن في بني ادم على وجه الغيبة فانهم اعلى من ان يظن بهم ذلك لقوله تعالى بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون وانما عرفوا ذلك باخبار من الله او تلق من اللوح او استنباط عما ركز في عقولهم ان العصمة من خواصهم او قياس لاحد الثقلين على الاخر والسفك والسبك والسفح والشن انواع من الصب فالسفك يقال في الدم والدمع والسبك في الجواهر المذابة والسفح في الصب من اعلى والشن في الصب عن فم القربة ونحوها وكذلك السن وقرئ يسفك على البناء للمفعول فيكون الراجع الى من سواء جعل موصولا او موصوفا محذوفا اي يسفك الدماء فيهم **وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ** حال مقررة لجهة الاشكال كقولك اتحسن الى اعدائك وانا الصديق المحتاج القديم والمعنى اتستخلف عصاة ونحن معصومون احقاء بذلك والمقصود منه الاستفسار عما رجحهم مع ما هو متوقع منهم على الملائكة المعصومين في الاستخلاف لا العجب والتفاخر وكانهم علموا ان المجعول خليفة ذو ثلاث قوى عليها مدار امره شهوية وغضبية تؤديان به الى الفساد وسفك الدماء وعقلية تدعوه الى المعرفة والطاعة ونظروا اليها مفردة وقالوا ما الحكمة في استخلافه وهو باعتبار تينك القوتين لا تقتضي الحكمة ايجاده فضلا عن استخلافه واما باعتبار القوة العقلية فنحن نقيم ما يتوقع منها سليما عن معارضة تلك المفاسد وغفلوا عن فضيلة كل واحدة من القوتين اذا صارت مهذبة مطواعة للعقل متمرنة على الخير كالعفة والشجاعة ومجاهدة الهوى والانصاف ولم يعلموا ان التركيب يفيد ما يقصر عنه الاحاد كالاحاطة بالجزئيات واستنباط الصناعات واستخراج منافع الكائنات من القوة الى الفعل الذي هو المقصود من الاستخلاف واليه اشار اجمالا بقوله **قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ** والتسبيح تبعيد الله عن السوء وكذلك التقديس من سبح في الارض والماء وقدس في الارض اذا ذهب فيها وابعد ويقال قدس اذا طهر لان مطهر الشيء

مبعده عن الاقذار وبحمدك في موضع الحال اي ملتبسين بحمدك على ما الهمتنا معرفتك ووفقتنا لتسبيحك تداركوا به ما اوهم اسناد التسبيح الى انفسهم ونقدس لك نطهر نفوسنا عن الذنوب لاجلك كانهم قابلوا الفساد المفسر بالشرك عند قوم بالتسبيح وسفك الدماء الذي هو اعظم الافعال الذميمة بتطهير النفس عن الآثام وقيل نقدسك واللام مزيدة وعلم آدم الاسماء كلها اما بخلق علم ضروري بها فيه او القاء في روعه ولا يفتقر الى سابقة اصطلاح ليتسلسل والتعليم فعل يترتب عليه العلم غالبا ولذلك يقال علمته فلم يتعلم وآدم اسم اعجمي كآزر وشالخ واشتقاقه من الادمة او الادمة بالفتح بمعنى الاسوة او من اديم الارض لما روي عنه عليه السلام انه تعالى قبض قبضة من جميع الارض سهلها وحزنها فخلق منها آدم فلذلك تأتي بنوه اخيافا او من الادم والادمة بمعنى الالفة تعسف كاشتقاق ادريس من الدرس ويعقوب من العقب وابليس من الابلاس والاسم باعتبار الاشتقاق ما يكون علامة للشيء ودليلا يرفعه الى الذهن من الالفاظ والصفات والافعال واستعماله عرفا في اللفظ الموضوع لمعنى سواء كان مركبا او مفردا مخبرا عنه او خبرا او رابطة بينهما واصطلاحا في المفرد الدال على معنى في نفسه غير مقترن باحد الازمنة الثلثة والمراد في الآية اما الاول او الثاني وهو يستلزم الاول لان العلم بالالفاظ من حيث الدلالة متوقف على العلم بالمعاني والمعنى انه خلقه من اجزاء مختلفة وقوى متباينة مستعدا لادراك انواع المدركات من المعقولات والمحسوسات والمتخيلات والموهومات والهمه معرفة ذوات الاشياء وخواصها واسمائها واصول العلم وقوانين الصناعات وكيفية آلاتها ثم عرضهم على الملائكة الضمير فيه للمسميات المدلول عليها ضمنا اذ التقدير اسماء المسميات فحذف المضاف اليه لدلالة المضاف عليه وعوض عنه اللام كقوله تعالى واشتعل الرأس شيبا لان العرض للسؤال عن اسماء المعروضات فلا يكون المعروض نفس الاسماء سيما ان اريد بها الالفاظ والمراد به ذوات الاشياء او مدلولات الالفاظ وتذكيره لتغليب ما اشتمل عليه من العقلاء وقرئ عرضهن وعرضها على معنى عرض مسمياتهن او مسمياتها فقال انبئوني باسماء هؤلاء تبكيت لهم وتنبيه على عجزهم عن امر الخلافة فان التصرف والتدبير في الموجودات واقامة المعدلة قبل تحقق المعرفة والوقوف على مراتب الاستعدادات وقدر الحقوق محال وليس بتكليف ليكون من باب التكليف بالمحال والانباء اخبار فيه اعلام ولذلك يجري مجرى كل واحد منهما ان كنتم صادقين في زعمكم انكم احقاء بالخلافة لعصمتكم او ان خلقهم واستخلافهم وهذه صفتهم لا يليق بالحكيم وهو وان لم يصرحوا به لكنه لازم مقالهم والتصديق كما يتطرق الى الكلام باعتبار منطوقه قد يتطرق اليه بغرض ما يلزم مدلوله من الاخبار وبهذا الاعتبار يعتري الانشاءات قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا اعتراف بالعجز والقصور واشعار بان سؤالهم كان استفسارا ولم يكن اعتراضا وانه قد بان لهم ما خفي عليهم من فضل الانسان والحكمة في خلقه واظهار لشكر نعمته بما عرفهم وكشف لهم ما اعتقل عليهم ومراعاة للادب بتفويض العلم كله اليه

وسبحان مصدر كغفران ولا يكاد يستعمل الا مضافا منصوبا باضمار فعله كمعاذ الله وقد اجري علما للتسبيح بمعنى التنزيه على الشذوذ في قوله سبحان من علقمة الفاخر وتصدير الكلام به اعتذار عن الاستفسار والجهل بحقيقة الحال ولذلك جعل مفتاح التوبة فقال موسى عليه السلام سبحانك تبت اليك وقال يونس سبحانك اني كنت من الظالمين انك انت العليم الذي لا يخفى عليه خافية الحكيم المحكم لمبدعاته الذي لا يفعل الا ما فيه حكمة بالغة وانت فصل وقيل تأكيد للكاف كما في قولك مررت بك انت وان لم يجز مررت بانت اذ التابع يسوغ فيه ما لا يسوغ في المتبوع ولذلك جاز يا هذا الرجل وقيل مبتدأ خبره ما بعده والجملة خبر ان قال يا آدم انبئهم باسمائهم اي اعلمهم وقرئ بقلب الهمزة ياء وحذفها بكسر الهاء فيهما فلما انبأهم باسمائهم قال الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون استحضار لقوله اعلم ما لا تعلمون لكنه جاء به على وجه ابسط ليكون كالحجة عليه فانه تعالى لما علم ما خفي عليهم من امور السموات والارض وما ظهر لهم من احوالهم الظاهرة والباطنة علم ما لا يعلمون وفيه تعريض بمعاتبتهم على ترك الاولى وهو ان يتوقفوا مترصدين لان يبين لهم وقيل ما تبدون قولهم اتجعل فيها من يفسد فيها وما كنتم تكتمون استبطانهم انهم احقاء بالخلافة وانه تعالى لا يخلق خلقا افضل منهم وقيل ما اظهروا من الطاعة واسر منهم ابليس من المعصية والهمزة للانكار دخلت على حرف الجحد فافادت الاثبات والتقرير واعلم ان هذه الآيات تدل على شرف الانسان ومزية العلم وفضله على العبادة وانه شرط في الخلافة بل العمدة فيها وان التعليم يصح اسناده الى الله تعالى وان لم يصح اطلاق المعلم عليه لاختصاصه بمن يحترف به وان اللغات توقيفية فان الاسماء تدل على الالفاظ بخصوص او عموم وتعليمها ظاهر في القائها على المتعلم مبينا له معانيها وذلك يستدعي سابقة وضع والاصل ينفي ان يكون ذلك الوضع ممن كان قبل آدم فيكون من الله تعالى وان مفهوم الحكمة زائد على مفهوم العلم والا لتكرر قوله انك انت العليم الحكيم وان علوم الملائكة وكمالاتهم تقبل الزيادة والحكماء منعوا ذلك في الطبقة العليا منهم وحملوا عليه قوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم وان آدم افضل من هؤلاء الملائكة لانه اعلم منهم والاعلم افضل لقوله تعالى هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وان الله تعالى يعلم الاشياء قبل حدوثها واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم لما انبأهم بالاسماء وعلمهم ما لم يعلموا امرهم بالسجود له اعترافا بفضله واداء لحقه واعتذارا عما قالوا فيه وقيل امرهم به قبل ان يسوي خلقه لقوله تعالى فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين امتحانا لهم واظهارا لفضله والعاطف عطف الظرف على الظرف السابق ان نصبته بمضمر والا عطفه بما يقدر عاملا فيه على الجملة المتقدمة بل القصة باسرها على القصة الاخرى وهي نعمة رابعة عدها عليهم والسجود في الاصل تذلل مع تطامن قال الشاعر ترى الاكم فيه سجدا للحوافر وقال وقلن له اسجد لليلى فاسجدا يعني البعير اذا طأطأ رأسه وفي الشرع وضع الجبهة على قصد العبادة والمأمور به اما المعنى الشرعي فالمسجود له بالحقيقة

هو لله تعالى وجعل آدم قبلة سجودهم تفخيماً لشأنه أو سبباً لوجوبه وكأنه تعالى لما خلقه بحيث يكون أنموذجاً للمبدعات
كلها بل الموجودات بأسرها ونسخة لما في العالم الروحاني والجسماني وذريعة للملائكة إلى استيفاء ما قدر لهم من الكمالات ووصلة
إلى ظهور ما تباينوا فيه من المراتب والدرجات أمرهم بالسجود تذللاً لما رأوا فيه من عظيم قدرته وباهر آياته و
شكراً لما أنعم عليهم بواسطته فاللام فيه كاللام في قول حسان: أليس أول من صلى لقبلتكم وأعرف الناس
بالقرآن والسنن أو في قوله تعالى أقم الصلوة لدلوك الشمس وإما المعنى اللغوي وهو التواضع لآدم تحية وتعظيماً له
كسجود إخوة يوسف له أو التذلل والانقياد بالسعي في تحصيل ما ينوط به معاشهم ويتم به كمالهم والكلام في أن المأمورين
بالسجود الملائكة كلهم أو طائفة منهم ما سبق **فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر** امتنع
عما أمر به استكباراً من أن يتخذه وصلة في عبادة ربه أو يعظمه ويتلقاه بالتحية أو يخدمه ويسعى فيما فيه خيره وصلاحه
والإباء امتناع باختيار والتكبر أن يرى الرجل نفسه أكبر من غيره والاستكبار طلب ذلك بالتشبع **وكان
من الكافرين** أي في علم الله تعالى أو صار منهم باستقباحه أمر الله إياه بالسجود لآدم اعتقاداً بأنه أفضل
منه والأفضل لا يحسن أن يؤمر بالتخضع للمفضول والتوسل به كما أشعر به قوله أنا خير منه جواباً لقوله ما منعك أن تسجد
لما خلقت بيدي أستكبرت أم كنت من العالين لا بترك الواجب وحده والآية تدل على أن آدم أفضل من الملائكة
المأمورين بالسجود له ولو من وجه وأن إبليس كان من الملائكة وإلا لم يتناوله أمرهم ولم يصح استثناؤه منهم ولا يرد على ذلك
قوله تعالى إلا إبليس كان من الجن لجواز أن يقال إنه كان من الجن فعلاً ومن الملائكة نوعاً ولأن ابن عباس روى أن من الملائكة
ضرباً يتوالدون يقال لهم الجن ومنهم إبليس ولمن زعم أنه لم يكن من الملائكة أن يقول إنه كان جنياً نشأ بين أظهر الملائكة
وكان مغموراً بالألوف منهم فغلبوا عليه أو الجن كانوا أيضاً مأمورين مع الملائكة لكنه استغنى بذكر الملائكة عن ذكرهم فإنه
إذا علم أن الأكابر مأمورون بالتذلل لأحد والتوسل به علم أن الأصاغر أيضاً مأمورون به والضمير في فسجدوا راجع إلى
القبيلين فكأنه قال فسجد المأمورون بالسجود إلا إبليس وأن من الملائكة من ليس بمعصوم وإن كان الغالب فيهم العصمة كما
أن من الإنس معصومين والغالب فيهم عدم العصمة ولعل ضرباً من الملائكة لا يخالف الشياطين بالذات وإنما يخالفهم
بالعوارض والصفات كالبررة والفسقة من الإنس والجن يشملهما وكان إبليس من هذا الصنف كما قاله ابن عباس
رضي الله عنه فلذلك صح عليه التغير عن حاله والهبوط من محله كما أشار إليه بقوله إلا إبليس كان من الجن ففسق
عن أمر ربه لا يقال كيف يصح ذلك والملائكة خلقت من نور والجن من نار لما روت عائشة رضي الله عنها أنه
عليه السلام قال خلقت الملائكة من النور وخلق الجن من مارج من نار لأنه كالتمثيل لما ذكرت فإن المراد بالنور الجوهر
المضيء والنار كذلك غير أن ضوءها مكدر مغمور بالدخان محذور عنه بسبب ما يصحبه من فرط الحرارة والإحراق
فإذا صارت مهذبة مصفاة كانت محض نور ومتى نكصت عادت الحالة الأولى جذعة ولا تزال

تتزايد حتى ينطفئ نورها ويبقى الدخان الصرف وهذا أشبه بالصواب وأوفق للجمع بين النصوص والعلم عند الله ومن فوائد الآية
استقباح الاستكبار وأنه قد يفضي بصاحبه إلى الكفر والحث على الائتمار لأمره وترك الخوض في سره وأن الأمر للوجوب
وأن الذي علم الله من حاله أنه يتوفى على الكفر هو الكافر على الحقيقة إذ العبرة بالخواتيم وإن كان بحكم الحال مؤمناً وهو الموافاة
المنسوبة إلى شيخنا أبي الحسن الأشعري **وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة**
السكنى من السكون لأنها استقرار ولبث وأنت تأكيد أكد به المستكن ليصح العطف عليه وإنما لم يخاطبهما أولاً تنبيهاً على
أنه المقصود بالحكم والمعطوف عليه تبع له والجنة دار الثواب لأن اللام للعهد ولا معهود غيرها ومن زعم أنها لم تخلق بعد
قال إنه بستان كان بأرض فلسطين أو بين فارس وكرمان خلقه الله تعالى امتحاناً لآدم وحمل الإهباط على الانتقال
إلى أرض الهند كما في قوله تعالى اهبطوا مصراً **وكلا منها رغداً** واسعاً رافهاً صفة مصدر محذوف
حيث شئتما أي مكان من الجنة شئتما وسع الأمر عليهما إزاحة للعلة والعذر في التناول من الشجرة المنهي
عنها من بين أشجارها الفائتة للحصر **ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين**
فيه مبالغات تعليق النهي بالقرب الذي هو من مقدمات التناول مبالغة في تحريمه ووجوب الاجتناب عنه و
تنبيهاً على أن القرب من الشيء يورث داعية وميلاً يأخذ بمجامع القلب ويلهيه عما هو مقتضى العقل والشرع كما
روي حبك الشيء يعمي ويصم فينبغي أن لا يحوما حول ما حرم الله عليهما مخافة أن يقعا فيه وجعله سبباً لأن يكونا من الظالمين
الذين ظلموا أنفسهم بارتكاب المعاصي أو بنقص حظهما بالإتيان بما يخل بالكرامة والنعيم فإن الفاء تفيد السببية سواء
جعلته للعطف على النهي أو الجواب له والشجرة هي الحنطة أو الكرمة أو التينة أو شجرة من أكل منها أحدث
والأولى أن لا تعين من غير قاطع كما لم تعين في الآية لعدم توقف ما هو المقصود عليه وقرئ بكسر الشين وتقربا بكسر التاء
وهي بالياء **فأزلهما الشيطان عنها** أصدر زلتهما عن الشجرة وحملهما على الزلة بسببها ونظيره
عن هذه في قوله تعالى وما فعلته عن أمري أو أزلهما عن الجنة بمعنى أذهبهما ويعضده قراءة حمزة فأزالهما وهما متقاربان في المعنى غير أن
أزل يقتضي عثرة مع الزوال وإزلاله قوله هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى وقوله ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا
أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين ومقاسمته إياهما بقوله إني لكما لمن الناصحين واختلف في أنه تمثل لهما فقاولهما بذلك
أو ألقاه إليهما على طريق الوسوسة وأنه كيف توصل إلى إزلالهما بعدما قيل له اخرج منها فإنك رجيم فقيل إنه
منع من الدخول على جهة التكرمة كما كان يدخل مع الملائكة ولم يمنع أن يدخل للوسوسة ابتلاء لآدم وحواء وقيل قام
عند الباب فناداهما وقيل تمثل بصورة دابة فدخل ولم يعرفها الخزنة وقيل دخل في فم الحية حتى دخلت به وقيل
أرسل بعض أتباعه فأزلهما والعلم عند الله **فأخرجهما مما كانا فيه** أي من الكرامة والنعيم
وقلنا اهبطوا خطاب لآدم وحواء لقوله تعالى اهبطا منها جميعاً وجمع الضمير لأنهما أصلا الإنس فكأنهما

الجنس كلهم او هما وابليس اخرج منها ثانيا بعد ما كان يدخلها للوسوسة او دخلها مسارقة او من السماء بعضكم
لبعض عدو حال استغنى فيها عن الواو بالضمير والمعنى متعادين يبغي بعضكم على بعض بتضليله ولكم في
الارض مستقر موضع استقرار او استقرار ومتاع تمتع الى حين يريد به وقت الموت
او القيامة فتلقى آدم من ربه كلمات استقبلها بالاخذ والقبول والعمل بها حين
علمها وقرا ابن كثير بنصب آدم ورفع الكلمات على انها استقبلته وبلغته وهي قوله تعالى قالا ربنا ظلمنا انفسنا وان
لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين وقيل سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك لا اله الا انت
ظلمت نفسي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا انت وعن ابن عباس رضي الله عنه قال يا رب الم تخلقني بيدك قال بلى قال
يا رب الم تنفخ في الروح من روحك قال بلى قال يا رب الم تسبق رحمتك غضبك قال بلى قال الم
تسكني جنتك قال بلى قال يا رب ان تبت واصلحت اراجعي انت الى الجنة قال نعم واصل الكلمة الكلم وهو التأثير
المدرك باحدى الحاستين السمع والبصر كالكلام والجراحة فتاب عليه رجع عليه بالرحمة وقبول التوبة
وانما رتبه بالفاء على تلقي الكلمات لتضمنه معنى التوبة وهو الاعتراف بالذنب والندم عليه والعزم على ان لا يعود اليه و
اكتفى بذكر آدم لان حوا كانت تبعا له في الحكم ولذلك طوي ذكر النساء في اكثر القرآن والسنن انه هو
التواب اي الرجاع على عباده بالمغفرة او الذي يكثر اعانتهم على التوبة واصل التوبة الرجوع فاذا وصف
بها العبد كان رجوعا عن المعصية واذا وصف به الباري تعالى اريد بها الرجوع عن العقوبة الى المغفرة الرحيم
المبالغ في الرحمة وفي الجمع بين الوصفين وعد للتائب بالاحسان مع العفو قلنا اهبطوا منها جميعا
كرر للتاكيد او لاختلاف المقصود فان الاول دل على ان هبوطهم الى دار بلية يتعادون فيها ولا يخلدون والثاني اشعار بانهم
اهبطوا للتكليف فمن اهتدى الهدى نجا ومن ضل هلك والتنبيه على ان مخافة الاهباط المقترن باحد هذين
الامرين وحدها كافية للحازم ان تعوقه عن مخالفة حكم الله تعالى فكيف بالمقترن بهما ولكنه نسي ولم نجد له عزما
وان كل واحد منهما كفى به نكالا لمن اراد ان يذكر وقيل الاول من الجنة الى السماء الدنيا والثاني منها الى الارض و
هو كما ترى وجميعا حال في اللفظ تاكيد في المعنى كانه قيل اهبطوا انتم اجمعون ولذلك لا يستدعي اجتماعهم على
الهبوط في زمان واحد كقولك جاؤوا جميعا فاما ياتينكم مني هدى فمن تبع
هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون الشرط الثاني مع جوابه جواب الشرط
الاول وما مزيدة اكدت به ان ولذلك حسن تاكيد الفعل بالنون وان لم يكن فيه معنى الطلب والمعنى ان ياتينكم
مني هدى بانزال او ارسال فمن تبعه منكم نجا وفاز وانما جيء بحرف الشك واتيان الهدى كائن لا محالة لانه
محتمل في نفسه غير واجب عقلا وكرر لفظ الهدى ولم يضمر لانه اراد بالثاني اعم من الاول وهو ما اتى به الرسل

واقتضاه العقل اي فمن تبعه فيما اتاه مراعيا فيه ما يشهد به العقل فلا خوف عليهم فضلا عن ان يحل بهم مكروه ولا يفوت
عنهم محبوب فيحزنوا عليه فالخوف على المتوقع والحزن على الواقع نفى عنهم العقاب واثبت لهم الثواب
على آكد وجه وابلغه وقرئ هدي على لغة هذيل ولا خوف بالفتح والذين كفروا و
كذبوا بآياتنا اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون عطف على
فمن تبع الى آخره قسيم له كانه قال ومن لم يتبع بل كفروا بالله وكذبوا بآياته او كفروا بالآيات جنانا وكذبوا بها لسانا
فيكون الفعلان متوجهين الى الجار والمجرور والآية في الاصل العلامة الظاهرة ويقال للمصنوعات من حيث انها تدل على
وجود الصانع وعلمه وقدرته ولكل طائفة من كلمات القرآن المتميزة عن غيرها بفصل واشتقاقها من اي لانها تبين
ايا من اي او من اوى اليه واصلها اية او اوية كتمرة فابدلت عينها الفا على غير قياس او اوية او ايية كرمكة فاعلت
او آئية كقائلة فحذفت الهمزة تخفيفا والمراد بآياتنا الآيات المنزلة او ما يعمها والمعقولة تنبيه وقد تمسكت الحشوية
بهذه القصة على عدم عصمة الانبياء عليهم السلام من وجوه الاول ان آدم عم كان نبيا وارتكب المنهي عنه والمرتكب
له عاص الثاني انه جعل بارتكابه من الظالمين والظالم ملعون لقوله الا لعنة الله على الظالمين والثالث انه تعالى اسند اليه العصيان
والغي فقال وعصى آدم ربه فغوى والرابع انه تعالى لقنه التوبة وهي الرجوع عن الذنب والندم عليه والخامس
اعترافه بانه خاسر لولا مغفرة الله اياه بقوله وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين والخاسر من يكون ذا
كبيرة والسادس انه لو لم يذنب لم يجر عليه ما جرى والجواب من وجوه الاول انه لم يكن نبيا حينئذ والمدعي مطالب
بالبيان والثاني ان النهي للتنزيه وانما سمي ظالما وخاسرا لانه ظلم نفسه وخسر حظه بترك الاولى له واما اسناد
الغي والعصيان اليه فسياتي الجواب عنه في موضعه ان شاء الله تعالى وانما امر بالتوبة تلافيا لما فات عنه وجرى
عليه ما جرى معاتبة له على ترك الاولى ووفاء بما قاله للملائكة قبل خلقه والثالث انه فعله ناسيا لقوله تعالى فنسي
ولم نجد له عزما ولكنه عوتب بترك التحفظ عن اسباب النسيان ولعله وان حط عن الامة لم يحط عن الانبياء لعظم
قدرهم كما قال عم اشد الناس بلاء الانبياء ثم الامثل فالامثل وادى فعله الى ما جرى عليه على طريق السببية المقدرة
دون المؤاخذة كتناول السم على الجاهل بشانه لا يقال انه باطل لقوله ما نهاكما ربكما وقاسمهما الآيتان لانه ليس
فيهما ما يدل على ان تناوله حين ما قاله ابليس فلعل مقاله اورث فيه ميلا طبيعيا ثم انه كف نفسه عنه مراعاة
لحكم الله تعالى الى ان نسي ذلك وزال المانع فحمله الطبع عليه والرابع انه عليه السلام اقدم عليه بسبب اجتهاد اخطأ فيه
فانه ظن ان النهي للتنزيه او الاشارة الى عين تلك الشجرة فتناول من غيرها من نوعها وكان المراد بها الاشارة
الى النوع كما روي انه عم اخذ حريرا وذهبا بيده وقال هذان حرامان على ذكور امتي حل لاناثها وانما جرى عليه ما
جرى تعظيما لشان الخطيئة ليجتنبها اولاده وفيها دلالة على ان الجنة مخلوقة وانها في جهة عالية وان التوبة

متبوله وان تبع الهدى مأمون العاقبة وان عذاب النار دائم والكافر فيه مخلد ومن غيره لا يخلد فيه بمفهوم قوله
هم فيها خالدون واعلم انه تعالى لما ذكر دلائل التوحيد والنبوة والمعاد وعقبها تعداد النعم العامة تقريرا لها و
تأكيدا فانها من حيث انها حوادث محكمة تدل على محدث حكيم له الخلق والامر وحده لا شريك له ومن
حيث ان الاخبار بها على ما هو مثبت في الكتب السابقة ممن لم يتعلمها ولم يمارس شيئا منها اخبار بالغيب معجز
يدل على نبوة المخبر عنها ومن حيث اشتمالها على خلق الانسان واصوله واحواله وما هو اعظم من ذلك يدل على
انه قادر على الابدا خاطب اهل العلم والكتاب منهم وامرهم ان يذكروا نعم الله عليهم ويوفوا بعهوده في اتباع
الحق واقتفاء الحجج ليكونوا اول من آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم وما انزل عليه فقال يا بني اسرائيل يا اولاد يعقوب والابن
من البناء لانه مبنى ابيه ولذلك ينسب المصنوع الى صانعه فيقال ابو الحرب وبنت فكر واسرائيل لقب يعقوب
عليه السلام ومعناه بالعبرية صفوة الله وقيل عبد الله وقرئ اسرائل بحذف الياء واسرال بحذفهما واسرايل
بقلب الهمزة ياء اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم بالتفكر فيها والقيام بشكرها وتقييد النعمة
بهم لان الانسان غيور وحسود بالطبع فاذا نظر الى ما انعم الله على غيره حمله الغيرة والحسد على الكفران والسخط وان
نظر الى ما انعم الله به عليه حمله حب النعمة على الرضا والشكر وقيل اراد بها ما انعم على آبائهم من الانجاء من فرعون والغرق
ومن العفو عن اتخاذ العجل وعليهم من ادراك زمن محمد صلى الله عليه وسلم وقرئ اذكروا والاصل اذتكروا ونعمتي باسكان الياء و
اسقاطها درجا وهو مذهب من لا يحرك الياء المكسورة ما قبلها واوفوا بعهدي بالايمان
والطاعة اوف بعهدكم بحسن الاثابة والعهد يضاف الى المعاهد والمعاهد ولعل الاول مضاف
الى الفاعل والثاني الى المفعول فانه تعالى عهد اليهم بالايمان والعمل الصالح بنصب الدلائل وانزال الكتب ووعد
لهم بالثواب على حسناتهم وللوفاء بهما عرض عريض فاول مراتب الوفاء منا هو الاتيان بكلمتي الشهادة ومن الله تعالى
حقن الدم والمال وآخرها منا الاستغراق في بحر التوحيد بحيث يغفل عن نفسه فضلا عن غيره ومن الله تعالى باللقاء
الدائم وما روي عن ابن عباس اوفوا بعهدي في اتباع محمد صلى الله عليه وسلم اوف بعهدكم في رفع الآصار والاغلال وعن
غيره اوفوا باداء الفرائض وترك الكبائر اوف بالمغفرة والثواب او اوفوا بالاستقامة على الطريق
المستقيم اوف بالكرامة والنعيم المقيم فبالنظر الى الوسائط وقيل كلاهما مضاف الى المفعول والمعنى اوفوا
بما عاهدتموني من الايمان والتزام الطاعة اوف بما عاهدتكم من حسن الاثابة وتفصيل العهدين قوله تعالى
ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل الى قوله ولادخلنكم جنات النعيم وقرئ اوفّ بالتشديد للمبالغة
واياي فارهبون فيما تأتون وتذرون وخصوصا في نقض العهد وهو آكد في افادة التخصيص من
وخصوصا نقض العهد اياك نعبد لما فيه مع التقديم من تكرير المفعول والفاء الجزائية الدالة على تضمن الكلام

الاعادة كما كان قادرا على

الفوز

معنى الشرط كأنه قيل ان كنتم راهبين شيئا فارهبون والرهبة خوف معه تحرز والآية متضمنة للوعد والوعيد دالة
على وجوب الشكر والوفاء بالعهد وان المؤمن ينبغي ان لا يخاف احدا الا الله تعالى وآمنوا بما انزلت
مصدقا لما معكم افراد للايمان بالامر به والحث عليه لانه المقصود والعمدة للوفاء بالعهود
وتقييد المنزل بانه مصدق لما معهم من الكتب الالهية من حيث انه نازل حسب ما نعت فيها او مطابق لها
في القصص والمواعيد والدعاء الى التوحيد والامر بالعبادة والعدل بين الناس والنهي عن المعاصي والفواحش وفيما يخالفها
من جزئيات الاحكام بسبب تفاوت الاعصار في المصالح من حيث ان كل واحدة حق بالاضافة الى زمانها مراعى
فيها صلاح من خوطب بها حتى لو نزل المتقدم في ايام المتأخر لنزل على وفقه ولذلك قال عليه السلام لو كان موسى
حيا لما وسعه الا اتباعي تنبيه على ان اتباعها لا ينافي الايمان به بل يوجبه ولذلك عرض بقوله ولا
تكونوا اول كافر به بان الواجب ان تكونوا اول من آمن به ولانهم كانوا اهل النظر في معجزاته
والعلم بشأنه والمستفتحين به والمبشرين بزمانه واول كافر وقع خبرا عن ضمير الجمع بتقدير اول فريق او اول فوج او
بتأويل لا يكن كل واحد منكم اول كافر به كقولك كسانا حلة فان قيل كيف نهوا عن التقدم في الكفر وقد سبقهم
مشركوا العرب قلت المراد به التعريض لا الدلالة على ما نطق به الظاهر كقولك اما انا فلست بجاهل او ولا تكونوا اول
كافر من اهل الكتاب او ممن كفر بما معه فان من كفر بالقرآن فقد كفر بما يصدقه او مثل من كفر من مشركي مكة واول افعل
لا فعل له وقيل اصله اوأل من وأل فابدلت همزته واوا تخفيفا غير قياسي او أأول من آل فقلبت همزته واوا وادغمت
ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا ولا تستبدلوا بالايمان بها والاتباع لها حظوظ الدنيا فانها
وان جلت قليلة مسترذلة بالاضافة الى ما يفوت عنكم من حظوظ الآخرة بترك الايمان قيل كان لهم رياسة في قومهم
ورسوم وهدايا منهم فخافوا عليها لو اتبعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاختاروها عليه وقيل كانوا يأخذون الرشى فيحرفون
الحق ويكتمونه واياي فاتقون بالايمان واتباع الحق والاعراض عن الدنيا ولما كانت الآية السابقة مشتملة
على ما هو كالمبادي لما في الآية الثانية فصلت بالرهبة التي هي مقدمة التقوى ولان الخطاب بها لما عم العالم و
المقلد امرهم بالرهبة التي هي مبدأ السلوك والخطاب بالثانية لما خص اهل العلم امرهم بالتقوى الذي هو
منتهاه ولا تلبسوا الحق بالباطل عطف على ما قبله واللبس الخلط وقد يلزمه جعل الشيء مشتبها
بغيره والمعنى لا تخلطوا الحق المنزل بالباطل الذي تخترعونه وتكتبونه حتى لا يميز بينهما او ولا تجعلوا الحق ملتبسا
بسبب خلط الباطل الذي تكتبونه في خلاله او تذكرونه في تأويله وتكتموا الحق جزم داخل تحت
حكم النهي كأنهم امروا بالايمان وترك الضلال ونهوا عن الاضلال بالتلبيس على من سمع الحق والاخفاء على
من لم يسمعه او نصب باضمار ان على ان الواو للجمع اي لا تجمعوا لبس الحق بالباطل وكتمانه ويعضده انه في مصحف

ابن مسعود وتكتمون أي وأنتم تكتمون بمعنى كاتمين وفيه إشعار بأن استقباح اللبس لما يصحبه من كتمان الحق وأنتم
تعلمون عالمين بأنكم لابسون كاتمون فإنه أقبح إذ الجاهل قد يعذر وأقيموا الصلوة وآتوا
الزكوة يعني صلوة المسلمين وزكوتهم فإن غيرهما كلا صلوة ولا زكوة أمرهم بفروع الإسلام بعد ما أمرهم
بأصوله وفيه دليل على أن الكفار مخاطبون بها والزكوة من زكى الزرع إذا نما فإن إخراجها يستجلب بركة في المال
ويثمر للنفس فضيلة الكرم أو من الزكاء بمعنى الطهارة فإنها تطهر المال من الخبث والنفس من البخل واركعوا
مع الراكعين أي في جماعتهم فإن صلوة الجماعة تفضل صلوة الفذ بسبع وعشرين درجة لما فيها
من تظاهر النفوس وعبر عن الصلوة بالركوع احترازا عن صلوة اليهود وقيل الركوع الخضوع والانقياد لما يلزمهم الشارع
قال الأضبط السعدي لا تذل الضعيف علك أن تركع يوما والدهر قد رفعه أتأمرون النا
س بالبر تقرير مع توبيخ وتعجيب والبر التوسع في الخير من البر وهو الفضاء الواسع يتناول كل خير ولذلك قيل
البر ثلاثة بر في عبادة الله وبر في مراعاة الأقارب وبر في معاملة الأجانب وتنسون أنفسكم
وتتركونها من البر كالمنسيات وعن ابن عباس أنها نزلت في أحبار المدينة كانوا يأمرون سرا من نصحوه باتباع
محمد ولا يتبعونه وقيل كانوا يأمرون بالصدقة ولا يتصدقون وأنتم تتلون الكتاب
تبكيت كقوله وأنتم تعلمون أي تتلون التورية وفيها الوعيد على العناد وترك البر ومخالفة القول العمل أفلا
تعقلون قبح صنيعكم فيصدكم عنه أو أفلا عقل لكم يمنعكم عما تعلمون وخامة عاقبته والعقل في الأصل الحبس
سمي به الإدراك الإنساني لأنه يحبسه عما يقبح ويعقله على ما يحسن ثم القوة التي بها النفس تدرك هذا الإدراك والآية
ناعية على من يعظ غيره ولا يعظ نفسه سوء صنيعه وخبث نفسه وأن فعله فعل الجاهل بالشرع أو الأحمق الخالي عن
العقل فإن الجامع بينهما تأبى عنه شكيمته والمراد بها حث الواعظ على تزكية النفس والإقبال عليها بالتكميل ليقوم
فيقيم غيره لا منع الفاسق عن الوعظ فإن الإخلال بأحد الأمرين المأمور بهما لا يوجب الإخلال بالآخر واستعينوا
بالصبر والصلوة متصل بما قبله كأنهم لما أمروا بما يشق عليهم لما فيه من الكلفة وترك الرياسة و
الإعراض عن المال عولجوا بذلك والمعنى استعينوا على حوائجكم بانتظار النجح والفرج توكلا على الله أو بالصوم
الذي هو صبر عن المفطرات لما فيه من كسر الشهوة وتصفية النفس والتوسل بالصلوة والالتجاء إليها فإنها جامعة
لأنواع العبادات النفسانية والبدنية من الطهارة وستر العورة وصرف المال فيهما والتوجه إلى الكعبة
والعكوف للعبادة وإظهار الخشوع بالجوارح وإخلاص النية بالقلب ومجاهدة الشيطان ومناجاة
الحق وقراءة القرآن والتكلم بالشهادتين وكف النفس عن الأطيبين حتى تجابوا إلى تحصيل المآرب وجبر
المصائب روي أنه عليه السلام كان إذا حزبه أمر فزع إلى الصلوة ويجوز أن يراد بها الدعاء وإنها

أي الاستعانة بهما أو الصلوة وتخصيصها برد الضمير إليها لعظم شأنها واستجماعها ضروبا من الصبر أو جملة ما أمروا
ونهوا عنها لكبيرة لثقيلة شاقة كقوله كبر على المشركين ما تدعوهم إليه إلا على الخاشعين
أي المخبتين والخشوع الإخبات ومنه الخشعة للرملة المتطامنة والخضوع اللين والانقياد ولذلك يقال
الخشوع بالجوارح والخضوع بالقلب الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم وأنهم إليه
راجعون أي يتوقعون لقاء الله ونيل ما عنده أو يتيقنون أنهم يحشرون إلى الله فيجازيهم ويؤيده أن
في مصحف ابن مسعود يعلمون وكأن الظن لما شابه العلم في الرجحان أطلق عليه لتضمن معنى التوقع قال أوس بن
حجر فأرسلته مستيقن الظن أنه مخالط ما بين الشراسيف جائف وإنما لم تثقل عليهم ثقلها على غيرهم فإن
نفوسهم مرتاضة بأمثالها متوقعة في مقابلتها ما يستحقر لأجله مشاقها ويستلذ بسببه متاعبها ومن ثم
قال عليه السلام وجعلت قرة عيني في الصلوة يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت
عليكم كرره للتأكيد وتذكير التفضيل الذي هو أجل النعم خصوصا وربطه بالوعيد الشديد تخويفا لمن غفل عنها
وأخل بحقوقها وأني فضلتكم عطف على نعمتي على العالمين أي عالمي زمانهم يريد به تفضيل
آبائهم الذين كانوا في عصر موسى وبعده قبل أن يغيروا بما منحهم من العلم والإيمان والعمل وجعلهم أنبياء وملوكا مقسطين
واستدل به على تفضيل البشر على الملك وهو ضعيف واتقوا يوما أي ما فيه من الحساب لا
تجزي نفس عن نفس شيئا لا تقضي عنها شيئا من الحقوق أو شيئا من الجزاء فيكون نصبه على
المصدر وقرئ لا تجزئ من أجزأ عنه إذا أغنى وعلى هذا تعين أن يكون مصدرا وإيراده منكرا مع تنكير النفسين للتعميم
والإقناط الكلي والجملة صفة ليوما والعائد فيها محذوف تقديره لا تجزي فيه ومن لم يجوز حذف العائد المجرور
قال اتسع فيه فحذف عنه الجار وأجري مجرى المفعول به ثم حذف كما حذف من قوله أم مال أصابوا ولا
يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل أي من النفس الثانية العاصية أو من الأولى و
كأنه أريد بالآية نفي أن يدفع العذاب أحد عن أحد من كل وجه محتمل فإنه إما أن يكون قهرا أو غيره والأول النصرة
والثاني إما أن يكون مجانا أو غيره والأول أن يشفع له والثاني إما بأداء ما كان عليه وهو أن يجزي عنه أو بغيره وهو أن
يعطي عنه عدلا والشفاعة من الشفع كأن المشفوع له كان فردا فجعله الشفيع شفعا بضم نفسه إليه والعدل الفدية لأنها
سويت بالمفدى ولا هم ينصرون يمنعون من عذاب الله والضمير لما دلت عليه النفس الثانية المنكرة
الواقعة في سياق النفي من النفوس الكثيرة وتذكيره بمعنى العباد أو الأناسي والنصرة أخص من المعونة لاختصاصها بدفع
الضر وقد تمسكت المعتزلة بهذه الآية على نفي الشفاعة لأهل الكبائر وأجيب بأنها مخصوصة بالكفار للآيات
والأحاديث الواردة في الشفاعة ويؤيده أن الخطاب معهم والآية نزلت ردا لما كانت اليهود تزعم أن آباءهم تشفع لهم

وإذ نجيناكم من آل فرعون تفصيل لما اجمله في قوله اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم وعطف على
نعمتي عطف جبريل وميكائيل على الملائكة وقرئ انجيتكم واصل آل اهل لان تصغيره اهيل وخص بالاضافة الى اولي
الخطر كالانبياء والملوك وفرعون لقب لمن ملك العمالقة ككسرى وقيصر لملكي الفرس والروم ولعتوهم اشتق منه
تفرعن الرجل اذا عتى وتجبر وكان فرعون موسى عم مصعب بن ريان وقيل ابنه وليد من بقايا عاد وفرعون يوسف عم
كان ريان وكان بينهما اكثر من اربعمائة سنة يسومونكم يبغونكم من سامه خسفا اذا اولاه
ظلما واصل السوم الذهاب في طلب الشيء سوء العذاب افظعه فانه قبيح بالاضافة الى سائره والسوء
مصدر ساء يسوء ونصبه على المفعول ليسومونكم والجملة حال من الضمير في نجيناكم او من آل فرعون او منهما جميعا لان
فيها ضمير كل واحد منهما يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم بيان ليسومونكم و
لذلك لم يعطف وقرئ يذبحون بالتخفيف وانما فعلوا بهم ذلك لان فرعون رأى في المنام او قال له الكهنة
سيولد منهم من يذهب بملكه فلم يرد اجتهادهم من قدر الله شيئا وفي ذلكم بلاء محنة ان
اشير بذلكم الى صنيعهم ونعمة ان اشير به الى الانجاء واصله الاختبار لكن لما كان اختبار الله تعالى عباده تارة بالمحنة
وتارة بالمنحة اطلق عليهما ويجوز ان يشار بذلكم الى الجملة ويراد به الامتحان الشائع بينهما من ربكم بتسليطهم عليكم
او ببعث موسى وتوفيقه لتخليصكم او بهما عظيم صفة بلاء وفي الآية تنبيه على ان ما يصيب العبد من خير او شر
اختبار من الله تعالى فعليه ان يشكر على مساره ويصبر على مضاره ليكون من خير المختبرين وإذ فرقنا بكم
البحر فلقناه وفصلنا بين بعضه وبعض حتى حصلت فيه مسالك بسلوككم فيه او بسبب انجائكم او ملتبسا بكم
كقوله تدوس بنا الجماجم والتريبا وقرئ فرّقنا على بناء التكثير لان المسالك كانت اثنى عشر بعدد الاسباط
فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون اراد به فرعون وقومه واقتصر على ذكرهم للعلم بانه كان اولى به
وقيل شخصه كما روي ان الحسن كان يقول اللهم صل على آل محمد اي شخصه واستغنى بذكره عن ذكر اتباعه وأنتم
تنظرون ذلك او غرقهم واطباق البحر عليهم او انفلاق البحر عن طرق يابسة مذللة او جثثهم التي قذفها
البحر الى الساحل او ينظر بعضكم بعضا روي انه تعالى امر موسى عم ان يسري ببني اسرائيل فخرج بهم فصبحهم فرعون
وجنوده فصادفوهم على شاطئ البحر فضربه فظهر فيه اثنا عشر طريقا يابسا فسلكوها فقالوا يا موسى نخاف ان
يغرق بعضنا ولا نعلم ففتح الله تعالى فيه كوى فتراءوا وتسامعوا حتى عبروا البحر ثم لما وصل اليه فرعون ورآه
منفلقا اقتحم فيه هو وجنوده فالتطم عليهم واغرقهم اجمعين واعلم ان هذه الواقعة من اعظم ما انعم الله به على
بني اسرائيل ومن الآيات الملجئة الى العلم بوجود الصانع الحكيم وتصديق موسى عم ثم انهم اتخذوا العجل وقالوا لن نؤمن
لك حتى نرى الله جهرة ونحو ذلك فهم بمعزل في الفطنة والذكاء وسلامة النفس وحسن الاتباع عن امة محمد صلى

مع ان ما تواتر من معجزاته امور نظرية مثل القرآن والتحدي به والفضائل المجتمعة فيه الشاهدة على نبوته عم دقيقة
يدركها الاذكياء واخباره عم عنها من جملة معجزاته على ما مر تقريره وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة
لما عادوا الى مصر بعد هلاك فرعون وعد الله موسى ان يعطيه التوراة وضرب له ميقاتا ذا القعدة و
عشر ذي الحجة وعبر عنها بالليالي لانها غرر الشهور وقرأ ابن كثير ونافع وعاصم وابن عامر وحمزة والكسائي وعدنا
لانه تعالى وعده الوحي ووعده موسى المجيء للميقات الى الطور ثم اتخذتم العجل الها ومعبودا من
بعده من بعد موسى او مضيه وأنتم ظالمون باشراككم ثم عفونا عنكم
حين تبتم والعفو محو الجريمة من عفا اذا درس من بعد ذلك اي الاتخاذ لعلكم تشكرون
لكي تشكروا عفوه وإذ آتينا موسى الكتاب والفرقان يعني التوراة الجامع بين
كونه كتابا وحجة يفرق بين الحق والباطل وقيل اراد بالفرقان معجزاته الفارقة بين المحق والمبطل في الدعوى
او بين الكفر والايمان وقيل الشرع الفارق بين الحلال والحرام او النصر الذي فرق بينه وبين عدوه كقوله تعالى
يوم الفرقان يريد به يوم بدر لعلكم تهتدون لكي تهتدوا بتدبر الكتاب والتفكر في الآيات
وإذ قال موسى لقومه يا قوم انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا
الى بارئكم فاعزموا على التوبة والرجوع الى من خلقكم بريئا من التفاوت وميز بعضكم عن بعض بصور
وهيئات مختلفة واصل التركيب لخلوص الشيء عن غيره اما على سبيل التفصي كقولهم برئ المريض من مرضه والمدين
من دينه او الانشاء كقولهم برأ الله آدم من الطين او فتوبوا فاقتلوا انفسكم اتماما لتوبتكم بالبخع او
قطع الشهوات كما قيل من لم يعذب نفسه لم ينعمها ومن لم يقتلها لم يحيها وقيل امروا ان يقتل بعضهم بعضا و
قيل امر من لم يعبد العجل ان يقتل العبدة روي ان الرجل كان يرى بعضه وقريبه فلم يقدر المضي لامر الله
فارسل ضبابة وسحابة سوداء لا يتباصرون فاخذوا يقتلون من الغداة الى العشي حتى دعا موسى وهارون
فكشف السحابة ونزلت التوبة فكانت القتلى سبعين الفا والفاء الاولى للتسبب والثانية للتعقيب ذلكم
خير لكم عند بارئكم من حيث انه طهرة من الشرك ووصلة الى
الحياة الابدية والبهجة السرمدية فتاب عليكم متعلق بمحذوف ان جعلته من كلام موسى لهم تقديره
ان فعلتم ما امرتم به فقد تاب عليكم او عطف على محذوف ان جعلته خطابا من الله لهم على طريق الالتفات
كانه قال ففعلتم ما امرتم به فتاب عليكم بارئكم وذكر البارئ وترتيب الامر عليه اشعار بانهم بلغوا
غاية الجهالة والغباوة حتى تركوا عبادة خالقهم الحكيم الى عبادة البقر التي هي مثل في الغباوة وان
من لم يعرف حق منعمه حقيق بان يسترد منه ولذلك امروا بالقتل وفك التركيب انه هو التوا

الرحيم الذي يكثر توفيق التوبة او قبولها من المذنبين ويبالغ في الانعام عليهم واذ قلتم يا موسى
لن نؤمن لك لاجل قولك او لن نقر لك حتى نرى الله جهرة عيانا وهي في الاصل
مصدر قولك جهرت بالقراءة استعيرت للمعاينة ونصبها على المصدر لانها نوع من الرؤية او الحال
من الفاعل او المفعول وقرئ جهرة بالفتح على انها مصدر كالغلبة او جمع كالكتبة وتكون حالا والقائلون
هم السبعون الذين اختارهم موسى للميقات وقيل عشرة آلاف من قومه والمؤمن به ان الله الذي اعطاك
التورية وكلمك او انك نبي فاخذتكم الصاعقة لفرط العناد والتعنت وطلب المستحيل
فانهم ظنوا انه تعالى يشبه الاجسام فطلبوا رؤيته رؤية الاجسام في الجهات والاحياز المقابلة للرائي وهي ممتنعة
بل الممكن ان يرى رؤية منزهة عن الكيفية وذلك للمؤمنين في الآخرة وللافراد من الانبياء في بعض الاحوال في
الدنيا قيل جاءت نار من السماء فاحرقتهم وقيل صيحة وقيل جنود سمعوا بحسيسها فخروا صعقين ميتين يوما
وليلة وانتم تنظرون اي ما اصابكم بنفسه او اثره ثم بعثناكم من بعد موتكم
بسبب الصاعقة وقيد البعث لانه قد يكون عن اغماء او نوم كقوله تعالى ثم بعثناهم لعلكم تشكرون نعمة
البعث او ما كفرتموه لما رأيتم بأس الله بالصاعقة وظللنا عليكم الغمام سخر الله لهم
السحاب يظلهم من الشمس حين كانوا في التيه وانزلنا عليكم المن والسلوى
الترنجبين والسماني قيل كان ينزل عليهم المن مثل الثلج من الفجر الى الطلوع وتبعث الجنوب عليهم السماني وينزل
بالليل عمود من نار يسيرون في ضوئه وكانت ثيابهم لا تتسخ ولا تبلى كلوا من طيبات ما
رزقناكم على ارادة القول وما ظلمونا فيه اختصار واصله فظلموا بان كفروا هذه النعم وما
ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون بالكفران لانه لا يتخطاهم ضرره واذ
قلنا ادخلوا هذه القرية يعني بيت المقدس وقيل اريحا امروا به بعد التيه فكلوا
منها حيث شئتم رغدا واسعا ونصبه على المصدر او الحال من الواو وادخلوا الباب
اي باب القرية او القبة التي كانوا يصلون اليها فانهم لم يدخلوا بيت المقدس في حياة موسى عليه السلام
سجدا متطامنين مخبتين او ساجدين لله شكرا على اخراجهم من التيه وقولوا حطة اي مسألتنا
او امرك حطة وهي فعلة من الحط كالجلسة وقرئ بالنصب على الاصل بمعنى حط عنا ذنوبنا حطة او على
انه مفعول قولوا اي قولوا هذه الكلمة وقيل معناه امرنا حطة اي ان نحط في هذه القرية ونقيم بها نغفر
لكم خطاياكم بسجودكم ودعائكم وقرأ نافع بالياء وابن عامر بالتاء على البناء للمفعول وخطايا اصله خطايئ
كخطايع فعند سيبويه انه ابدلت الياء الزائدة همزة لوقوعها بعد الالف واجتمعت همزتان فابدلت الثانية

ياء ثم قلبت الياء الفا وكانت الهمزة بين الفين فابدلت ياء وعند الخليل قدمت الهمزة على الياء ثم فعل بهما ما ذكر و
سنزيد المحسنين ثوابا جعل الامتثال توبة للمسيء وسبب زيادة الثواب للمحسن واخرجه
عن صورة الجواب الى الوعد ايهاما بان المحسن بصدد ذلك وان لم يفعله فكيف اذا فعله وانه يفعله لا محالة فبدل
الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم بدلوا بما امروا به من التوبة والاستغفار طلب
ما يشتهون من اغراض الدنيا فانزلنا على الذين ظلموا كرره مبالغة في تقبيح امرهم واشعارا
بان الانزال عليهم لظلمهم بوضع غير المأمور به موضعه او على انفسهم بان تركوا ما يوجب نجاتها الى ما يوجب
هلاكها رجزا من السماء بما كانوا يفسقون عذابا مقدرا من السماء بسبب فسقهم
والرجز في الاصل ما يعاف عنه وكذلك الرجس وقرئ بالضم وهو لغة فيه والمراد به الطاعون روي انه مات
به في ساعة اربعة وعشرون الفا واذ استسقى موسى لقومه لما عطشوا في التيه فقلنا
اضرب بعصاك الحجر اللام فيه للعهد على ما روي انه كان حجرا طوريا مكعبا حمله معه وكانت
تنبع من كل وجه ثلاث اعين يسيل كل عين في جدول الى سبط وكانوا ستمائة الف وسعة المعسكر اثنا عشر ميلا او
حجرا اهبطه آدم من الجنة ووقع الى شعيب فاعطاه مع العصا او الحجر الذي فر بثوبه لما وضعه عليه ليغتسل وبرأه
عما رموه به من الادرة فاشار اليه جبرئيل بحمله او للجنس وهذا اظهر في الحجة قيل لم يامره ان يضرب حجرا بعينه و
لكن لما قالوا كيف بنا لو افضينا الى ارض لا حجارة فيها حمل حجرا في مخلاته وكان يضربه بعصاه اذا نزل فينفجر
ويضربه بها اذا ارتحل فييبس فقالوا ان فقد موسى عصاه متنا عطشا فاوحى الله اليه لا تقرع الحجارة وكلمها تطعك
لعلهم يعتبرون وقيل كان الحجر من رخام وكان ذراعا في ذراع والعصا عشرة اذرع على طول موسى من آس الجنة
له شعبتان تتقدان في الظلمة فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا متعلق بمحذوف تقديره
فان ضربت فقد انفجرت او فضرب فانفجرت كما مر في قوله فتاب عليكم وقرئ عشرة بكسر الشين وفتحها
وهما لغتان فيه قد علم كل اناس كل سبط مشربهم عينهم التي يشربون منها كلوا
واشربوا على تقدير القول من رزق الله يريد به ما رزقهم الله من المن والسلوى وماء العيون
وقيل الماء وحده لانه يشرب ويؤكل مما ينبت منه ولا تعثوا في الارض مفسدين
لا تعتدوا حال افسادكم وانما قيده لانه وان غلب في الفساد قد يكون منه ما ليس بفساد كمقابلة الظالم المعتدي
بفعله ومنه ما يتضمن صلاحا راجحا كقتل الخضر الغلام وخرقه السفينة ويقرب منه العيث غير انه يغلب
فيما يدرك حسا ومن انكر امثال هذه المعجزات فلغاية جهله بالله وقلة تدبره في عجائب صنعه فانه لما امكن
ان يكون من الاحجار ما يحلق الشعر وينفر الخل ويجذب الحديد لم يمتنع ان يخلق الله حجرا يسخره لجذب الماء

من تحت الارض او لجذب الهواء من الجوانب او بصيرة الماء بقوة التبريد ونحو ذلك وإذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد يريد به ما رزقوا في التيه من المن والسلوى وبوحدته انه لا يختلف ولا يتبدل كقولهم طعام مائدة الامير واحد يريدون انها لا تتغير الوانه ولذلك اجموا او ضرب واحد لانهما معا طعام اهل التلذذ وهم كانوا فلاحة فنزعوا الى عكرهم واشتهوا ما الفوه فادع لنا ربك سله لنا بدعائك اياه يخرج لنا يظهر لنا ويوجد وجزمه بانه جواب فادع فان دعوته سبب الاجابة مما تنبت الارض من الاسناد المجازي واقامة القابل مقام الفاعل ومن للتبعيض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها تفسير وبيان وقع موقع الحال وقيل بدل باعادة الجار والبقل ما انبتته الارض من الخضر والمراد به اطايبه التي تؤكل والفوم الحنطة ويقال للخبز ومنه فوموا لنا وقيل الثوم وقرئ وقثائها بالضم وهو لغة فيه قال اي الله او موسى أتستبدلون الذي هو ادنى اقرب منزلة وادون قدرا واصل الدنو القرب في المكان فاستعير للخسة كما استعير البعد في الشرف والرفعة فقيل بعيد المحل بعيد الهمة وقرئ ادنأ من الدناءة بالذي هو خير يريد به المن والسلوى فانه خير في اللذة والنفع وعدم الحاجة الى السعي اهبطوا مصرا انحدروا اليه من التيه يقال هبط الوادي اذا نزل به وهبط منه اذا خرج منه وقرئ بالضم والمصر البلد العظيم واصله الحد بين الشيئين وقيل اراد به العلم وانما صرفه لسكون وسطه او على تأويل البلد ويؤيده انه غير منون في مصحف ابن مسعود وقيل اصله مصرائيم فعرب فان لكم ما سألتم وضربت عليهم الذلة والمسكنة احيطت بهم احاطة القبة بمن ضربت عليه او الصقت بهم من ضرب الطين على الحائط مجازاة لهم على كفران النعمة واليهود في غالب الامر اذلاء مساكين اما على الحقيقة او على التكلف مخافة ان تضاعف جزيتهم وباءوا بغضب من الله رجعوا به او صاروا احقاء بغضبه من باء فلان بفلان اذا كان حقيقا بان يقتل به لمساواته ذلك اشارة الى ما سبق من ضرب الذلة والمسكنة والبوء بالغضب بانهم كانوا يكفرون بايات الله ويقتلون النبيين بغير الحق بسبب كفرهم بالمعجزات التي من جملتها ما عد عليهم من فلق البحر واظلال الغمام وانزال المن والسلوى وانفجار العيون من الحجر او بالكتب المنزلة كالانجيل والفرقان واية الرجم والتي فيها نعت محمد عم من التوراة وقتلهم الانبياء فانهم قتلوا شعيا وزكريا ويحيى وغيرهم بغير الحق عندهم اذ لم يروا منهم ما يعتقدون به جواز قتلهم وانما حملهم على ذلك اتباع الهوى وحب الدنيا كما اشار اليه بقوله ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون اي جرهم العصيان والتمادي

والاعتداء فيه الى الكفر بالايات وقتل النبيين فان صغار الذنوب اسباب تؤدي الى كبارها كما ان صغار الطاعات اسباب مؤدية الى تحري كبارها وقيل كرر الاشارة للدلالة على ان ما لحقهم كما هو بسبب الكفر والقتل فهو بسبب ارتكابهم المعاصي واعتدائهم حدود الله وقيل الاشارة الى الكفر والقتل والباء بمعنى مع وانما جوزت الاشارة بالمفرد الى شيئين فصاعدا على تأويل ما ذكر او تقدم للاختصار ونظيره في الضمير قول رؤبة يصف بقرة فيها خطوط من سواد وبلق كأنه في الجلد توليع البهق والذي حسن ذلك ان تثنية المضمرات والمبهمات وجمعها وتأنيثها ليست على الحقيقة ولذلك جاء الذي بمعنى الجمع ان الذين امنوا بالسنتهم يريد به المتدينين بدين محمد عم المخلصين منهم والمنافقين وقيل المنافقين لانخراطهم في سلك الكفرة والذين هادوا تهودوا يقال هاد وتهود اذا دخل في اليهودية ويهود اما عربي من هاد اذا تاب سموا بذلك لما تابوا من عبادة العجل واما معرب يهوذا وكأنهم سموا باسم اكبر اولاد يعقوب عم والنصارى جمع نصران كالندامى والياء في النصراني للمبالغة كما في احمري سموا بذلك لانهم نصروا المسيح او لانهم كانوا معه في قرية يقال لها نصران او ناصرة فسموا باسمها او من اسمها والصابئين قوم بين النصارى والمجوس وقيل اصل دينهم دين نوح عم وقيل هم قوم عدلوا عن اليهودية والنصرانية وعبدوا الملائكة والكواكب وهو ان كان عربيا فمن صبأ اذا خرج وقرأ نافع وحده بالياء اما لانه خفف الهمزة او لانه من صبا اذا مال لانهم مالوا من سائر الاديان الى دينهم او من الحق الى الباطل من امن بالله واليوم الاخر وعمل صالحا من كان منهم في دينه قبل ان ينسخ مصدقا بقلبه بالمبدأ والمعاد عاملا بمقتضى شرعه وقيل من امن من هؤلاء الكفرة ايمانا خالصا ودخل في الاسلام دخولا صادقا فلهم اجرهم عند ربهم الذي وعد لهم على ايمانهم وعملهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون حين يخاف الكفار من العقاب ويحزن المقصر على تضييع العمر وتفويت الثواب ومن مبتدأ خبره فلهم اجرهم والجملة خبر ان او بدل من اسم ان وخبرها فلهم اجرهم والفاء لتضمن المسند اليه معنى الشرط وقد منع سيبويه دخولها في خبر ان من حيث انها لا تدخل الشرطية ورد بقوله تعالى ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم وإذ اخذنا ميثاقكم باتباع موسى والعمل بالتوراة ورفعنا فوقكم الطور حتى اعطيتم الميثاق روي ان موسى لما جاءهم بالتوراة فرأوا ما فيها من التكاليف الشاقة كبرت عليهم وابوا قبولها فامر جبريل بقلع الطور فظلله فوقهم حتى قبلوا خذوا على ارادة القول ما اتيناكم من الكتاب بقوة بجد وعزيمة واذكروا ما فيه ادرسوه ولا تنسوه او تفكروا فيه فانه ذكر بالقلب او اعملوا به لعلكم تتقون لكي تتقوا المعاصي او رجاء منكم ان تكونوا متقين ويجوز عند المعتزلة ان يتعلق بالقول المحذوف اي قلنا خذوا واذكروا ارادة ان تتقوا ثم

توليتم من بعد ذلك ثم اعرضتم عن الوفاء بالميثاق بعد اخذه فلولا فضل الله عليكم ورحمته بتوفيقكم للتوبة او بمحمد صلى الله عليه وسلم يدعوكم الى الحق ويهديكم اليه لكنتم من الخاسرين المغبونين بالانهماك في المعاصي او بالخبط والضلال في فترة من الرسل ولو في الاصل لامتناع الشيء لامتناع غيره فاذا دخل على لا افاد اثباتا وهو امتناع الشيء لثبوت غيره والاسم الواقع بعده عند سيبويه مبتدأ خبره واجب الحذف لدلالة الكلام عليه وسد الجواب مسده وعند الكوفيين فاعل فعل محذوف والله اعلم بالصواب ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت اللام موطئة للقسم والسبت مصدر سبتت اليهود اذا عظمت يوم السبت واصله القطع امروا بان يجردوه للعبادة فاعتدى فيه ناس منهم في زمن داود عليه السلام واشتغلوا بالصيد وذلك انهم كانوا يسكنون قرية على الساحل يقال لها ايلة واذا كان يوم السبت لم يبق حوت في البحر الا حضر هناك واخرج خرطومه واذا مضى تفرقت فحفروا حياضا وشرعوا اليها الجداول وكانت الحيتان تدخلها يوم السبت فيصطادونها يوم الاحد فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين جامعين بين صورة القردة والخسوء وهو الصغار والطرد وقال مجاهد ما مسخت صورهم ولكن قلوبهم فمثلوا بالقردة كما مثلوا بالحمار في قوله تعالى كمثل الحمار يحمل اسفارا وقوله كونوا ليس بامر اذ لا قدرة لهم عليه وانما المراد به سرعة التكوين وانهم صاروا كذلك كما اراد بهم وقرئ قردة بفتح القاف وكسر الراء وخاسين بغير همزة فجعلناها اي المسخة او العقوبة نكالا عبرة تنكل المعتبر بها اي تمنعه ومنه النكل للقيد لما بين يديها وما خلفها لما قبلها وما بعدها من الامم اذ ذكرت حالهم في زبر الاولين واشتهرت قصتهم في الآخرين او لمعاصريهم ومن بعدهم او لما بحضرتها من القرى وما تباعد عنها او لاهل تلك القرية وما حواليها او لاجل ما تقدم عليها من ذنوبهم وما تأخر منها وموعظة للمتقين من قومهم او لكل متق سمعها واذ قال موسى لقومه ان الله يأمركم ان تذبحوا بقرة اول هذه القصة قوله تعالى واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها وانما فكت عنه وقدمت عليه لاستقلالها بنوع اخر من مساويهم وهو الاستهزاء بالامر والاستقصاء في السؤال وترك المسارعة الى الامتثال وقصته انه كان فيهم شيخ موسر فقتل ابنه بنو اخيه طمعا في ميراثه وطرحوه على باب المدينة ثم جاؤوا يطالبون بدمه فامرهم الله تعالى ان يذبحوا بقرة ويضربوه ببعضها ليحيى فيخبر بقاتله قالوا اتتخذنا هزوا اي مكان هزؤ او اهله او مهزوا بنا او الهزؤ نفسه لفرط الاستهزاء استبعادا لما قاله واستخفافا به وقرأ حمزة واسمعيل عن نافع بالسكون وحفص عن عاصم بالضم وقلب الهمزة واوا قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين لان الهزؤ في مثل ذلك جهل وسفه نفى عن نفسه ما رمي به على طريقة البرهان واخرج ذلك في صورة الاستعاذة

استعظاما له قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي اي ما حالها وصفتها وكان حقه ان يقولوا اي بقرة هي او كيف هي لان ما يسأل به عن الجنس غالبا لكنهم لما رأوا ما امروا به على حال لم يوجد بها شيء من جنسه اجروه مجرى ما لم يعرفوا حقيقته ولم يروا مثله قال انه يقول انها بقرة لا فارض ولا بكر مسنة ولا فتية يقال فرضت البقرة فروضا من الفرض وهو القطع كانها فرضت سنها وتركيب البكر للاولية ومنه البكرة والباكورة عوان نصف قال ... بين ذلك اي بين ما ذكر من الفارض والبكر ولذلك اضيف اليه بين فانه لا يضاف الا الى متعدد وعود هذه الكنايات واجراء تلك الصفات على بقرة يدل على ان المراد بها معينة ويلزمه تأخير البيان عن وقت الخطاب ومن انكر ذلك زعم ان المراد بها بقرة من شق البقر غير مخصوصة ثم انقلبت مخصوصة بسؤالهم ويلزمه النسخ قبل الفعل فان التخصيص ابطال للتخيير الثابت بالنص والحق جوازهما ويؤيد الرأي الثاني ظاهر اللفظ والمروي عنه عليه السلام لو ذبحوا اي بقرة ارادوا لاجزأتهم ولكن شددوا على انفسهم فشدد الله عليهم وتقريعهم بالتمادي وزجرهم عن المراجعة بقوله فافعلوا ما تؤمرون اي تؤمرونه بمعنى تؤمرون به من قولك امرتك الخير فافعل ما امرت به او امركم بمعنى مأموركم قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها الفقوع نصوع الصفرة ولذلك تؤكد به فيقال اصفر فاقع كما يقال اسود حالك وفي اسناده الى اللون وهو صفة صفراء لملابسته بها فضل تأكيد كانه قيل صفراء شديدة الصفرة صفرتها وعن الحسن سوداء شديدة السواد وبه فسر قوله تعالى جمالت صفر قال الاعشى تلك خيلي منه وتلك ركابي هن صفر اولادها كالزبيب ولعله عبر بالصفرة عن السواد لانها من مقدماته او لان سواد الابل تعلوه صفرة وفيه نظر لان الصفرة بهذا المعنى لا تؤكد بالفقوع تسر الناظرين اي تعجبهم والسرور اصله لذة في القلب عند حصول نفع او توقعه من السر قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي تكرير للسؤال الاول واستكشاف زائد وقوله ان البقر تشابه علينا اعتذار عنه اي ان البقر الموصوف بالتعوين والصفرة كثير فاشتبه علينا وقرئ ان الباقر وهو اسم لجماعة البقر والاباقر والبواقر ويتشابه بالياء والتاء وتشابه بطرح التاء وادغامها على التذكير والتانيث وتشابهت مخففا ومشددا وتشبه بمعنى تتشبه ويشبه بالتذكير ومتشابه ومتشابهة ومشتبه ومشتبهة وانا ان شاء الله لمهتدون الى المراد ذبحها او الى القاتل وفي الحديث لو لم يستثنوا لما بينت لهم اخر الابد واحتج به اصحابنا على ان الحوادث بارادة الله تعالى وان الامر قد ينفك عن الارادة والا لم يكن للشرط بعد الامر معنى والمعتزلة والكرامية على حدوث الارادة واجيب بان التعلق باعتبار التعلق قال انه يقول انها بقرة لا ذلول تثير الارض ولا تسقي الحرث

اي لم تذلل للكراب وسقي الحرث ولا ذلول صفة للبقرة بمعنى غير ذلول ولا الثانية مزيدة لتأكيد الاولى
والفعلان صفتا ذلول كانه قيل لا ذلول مثيرة وساقية وقرئ لا ذلول بالفتح اي حيث هي كقولك مررت
برجل لا بخيل ولا جبان اي حيث هو وتسقي من اسقى مسلمة سلمها الله من العيوب او اهلها من العمل
او خلص لونها من سلم له كذا اذا خلص له لا شية فيها لا لون فيها يخالف لون جلدها وهي في
الاصل مصدر وشاه وشيا وشية اذا خلط بلونه لونا اخر قالوا الآن جئت بالحق اي
بحقيقة وصف البقرة وحققتها لنا وقرئ آلآن بالمد على الاستفهام والان بحذف الهمزة والقاء حركتها
على اللام فذبحوها فيه اختصار والتقدير فحصلوا البقرة المنعوتة فذبحوها وما كادوا
يفعلون لتطويلهم وكثرة مراجعاتهم او لخوف الفضيحة في ظهور القاتل او لغلاء ثمنها اذ روي ان شيخا صالحا
منهم كان له عجلة فاتى بها الغيضة وقال اللهم اني استودعتكها لابني حتى يكبر فشبت وكانت وحيدة بتلك الصفات
فساوموها اليتيم وامه حتى اشتروها بملء مسكها ذهبا وكانت البقرة اذ ذاك بثلثة دنانير وكاد من افعال
المقاربة وضع لدنو الخبر حصولا فاذا دخل عليه النفي قيل معناه الاثبات مطلقا وقيل ماضيا والصحيح انه كساير
الافعال ولا ينافي قوله وما كادوا يفعلون قوله فذبحوها لاختلاف وقتيهما اذ المعنى انهم ما قاربوا ان يفعلوا حتى انتهت
سؤالاتهم وانقطعت تعللاتهم ففعلوا كالمضطر الملجأ الى الفعل وإذ قتلتم نفسا خطاب الجمع لوجود
القتل فيهم فادارأتم فيها اختصمتم في شانها اذ المتخاصمان يدفع بعضهم بعضا او تدافعتم بان طرح قتلها
كل عن نفسه الى صاحبه واصله تدارأتم فادغمت التاء في الدال واجتلبت لها همزة الوصل والله
مخرج ما كنتم تكتمون مظهره لا محالة واعمل مخرج لانه حكاية مستقبل كما اعمل
باسط ذراعيه لانه حكاية حال ماضية فقلنا اضربوه عطف على ادارأتم وما بينهما اعتراض والضمير
للنفس والتذكير على تاويل الشخص او القتيل ببعضها اي بعض كان وقيل باصغريها وقيل بلسانها وقيل بفخذها
اليمنى وقيل بالاذن وقيل بالعجب كذلك يحيي الله الموتى يدل على ما حذف وهو
فضربوه فحيي والخطاب مع من حضر حياة القتيل او نزول الآية ويريكم آياته دلائله على كمال قدرته
لعلكم تعقلون لكي يكمل عقلكم وتعلموا ان من قدر على احياء نفس قدر على احياء الانفس او تعملوا على قضيته
ولعله تعالى انما لم يحيه ابتداء وشرط فيه ما شرط لما فيه من التقرب واداء الواجب ونفع اليتيم والتنبيه
على بركة التوكل والشفقة على الاولاد وان من حق الطالب ان يقدم قربة والمتقرب ان يتحرى الاحسن ويغالي
بثمنه كما روي عن عمر انه ضحى بنجيبة بثلاثمائة دينار وان المؤثر في الحقيقة هو الله تعالى والاسباب امارات
لا اثر لها وان من اراد ان يعرف اعدى عدوه الساعي في اماتته الموت الحقيقي فطريقه ان يذبح بقرة نفسه

التي هي القوة الشهوية حين زال عنها شره الصبا ولم يلحقها ضعف الكبر وكانت معجبة رائقة المنظر غير مذللة في طلب الدنيا
مسلمة عن دنسها لا سمة بها من مقابحها بحيث يصل اثره الى نفسك فتحيى حيوة طيبة وتعرب عما به ينكشف الحال
ويرتفع ما بين العقل والوهم من التدارؤ والتنازع ثم قست قلوبكم القساوة عبارة عن الغلظ مع
الصلابة كما في الحجر وقساوة القلب مثل في نبوه عن الاعتبار وثم لاستبعاد القسوة من بعد ذلك
يعني احياء القتيل او جميع ما عدد من الآيات فانها مما يوجب لين القلب فهي كالحجارة في القسوة
او اشد قسوة منها والمعنى انها في القساوة مثل الحجارة او زائدة عليها او انها مثلها او مثل ما هو اشد
منها قسوة كالحديد فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه ويعضده قراءة الاعمش بالجر عطفا على الحجارة
وانما لم يقل اقسى لما في اشد من المبالغة والدلالة على اشتداد القسوتين واشتمال المفضل على زيادة واو للتخيير او
للترديد بمعنى ان من عرف حالها شبهها بالحجارة او بما هو اقسى منها وإن من الحجارة لما يتفجر منه
الانهار وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء وإن منها لما يهبط
من خشية الله تعليل للتفضيل والمعنى ان الحجارة تتاثر وتنفعل فان منها ما يتشقق فينبع منه الماء وتتفجر منه
الانهار ومنها ما يتردى من اعلى الجبل انقيادا لما اراد الله به وقلوب هؤلاء لا تتاثر ولا تنفعل عن امره والتفجر
التفتح بسعة وكثرة والخشية مجاز عن الانقياد وقرئ ان على انها المخففة من الثقيلة ويلزمها اللام الفارقة بينها وبين
النافية ويهبط بالضم وما الله بغافل عما تعملون وعيد على ذلك وقرا ابن كثير ونافع ويعقوب
وخلف وابو بكر بالياء ضما الى ما بعده والباقون بالتاء أفتطمعون الخطاب لرسول الله صلعم والمؤمنين
ان يؤمنوا لكم ان يصدقوكم او يؤمنوا لاجل دعوتكم يعني اليهود وقد كان فريق منهم
طايفة من اسلافهم يسمعون كلام الله يعني التورية ثم يحرفونه كنعت محمد صلعم واية الرجم
او تاويله فيفسرونه بما يشتهون وقيل هؤلاء من السبعين المختارين سمعوا كلام الله حين كلم موسى بالطور ثم قالوا سمعنا الله
يقول في اخره ان استطعتم ان تفعلوا هذه الاشياء فافعلوا وان شئتم فلا تفعلوا من بعد ما عقلوه
اي فهموه بعقولهم ولم يبق لهم فيه ريبة وهم يعلمون انهم مفترون مبطلون ومعنى الآية ان احبار هؤلاء
ومقدميهم كانوا على هذه الحالة فما طمعك بسفلتهم وجهالهم وانهم ان كفروا وحرفوا فلهم سابقة في ذلك و
اذا لقوا الذين آمنوا يعني منافقيهم قالوا آمنا بانكم على الحق ورسولكم هو المبشر به في التورية
وإذا خلا بعضهم إلى بعض قالوا اي الذين لم ينافقوا منهم عاتبين على من نافق منهم أتحدثونهم
بما فتح الله عليكم بما بين لكم في التورية من نعت محمد او الذين نافقوا لاعقابهم اظهارا للتصلب في
اليهودية ومنعا لهم عن ابداء ما وجدوا في كتابهم فينافقون الفريقين فالاستفهام على الاول تقريع وعلى الثاني انكار

ليحاجوكم به عند ربكم ليحتجوا عليكم بما انزل ربكم في كتابه جعلوا محاجتهم بكتاب الله وحكمه محاجة عنده كما يقال عند الله كذا ويراد به انه في كتابه وحكمه وقيل عند ذكر ربكم او بما عند ربكم او بين يدي رسول ربكم وقيل عند ربكم في القيامة وفيه نظر اذ الاخفاء لا يدفعه افلا تعقلون لامر تمام كلام اللائمين و تقديره افلا تعقلون انها حجة لهم وان لا مطمع لكم في ايمانهم اولا يعلمون يعني هؤلاء المنافقين واللائمين او كليهما او الاوّلين والمحرّفين ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون ومن جملتها اسرارهم الكفر واعلانهم الايمان واخفاء ما فتح الله عليهم واظهار غيره وتحريف الكلم عن مواضعه ومعانيه ومنهم اميون لا يعلمون الكتاب جهلة لا يعرفون الكتابة فيطالعوا التورية ويتحققوا ما فيها او التورية الا اماني استثناء منقطع والاماني جمع امنية وهي في الاصل ما يقدره الانسان في نفسه من منى اذا قدر ولذلك يطلق على الكذب وعلى ما يتمنى ويقرأ والمعنى ولكن يعتقدون اكاذيب اخذوها تقليدا من المحرفين او مواعيد فارغة سمعوها منهم من ان الجنة لا يدخلها الا من كان هودا وان النار لن تمسهم الا اياما معدودة وقيل الا ما يقرؤون قراءة عارية عن معرفة المعنى وتدبره من قوله تمنى كتاب الله اول ليلة تمني داود الزبور على رسل وهو لا يناسب وصفهم بانهم اميون وان هم الا يظنون ما هم الا قوم يظنون لا علم لهم وقد يطلق الظن بازاء العلم على كل رأي واعتقاد من غير قاطع وان جزم به صاحبه كاعتقاد المقلد والزائغ عن الحق لشبهة فويل اي تحسر وهلك ومن قال انه واد او جبل في جهنم فمعناه ان فيها موضعا يتبوأ فيه من جعل له الويل ولعله سماه بذلك مجازا وهو في الاصل مصدر لا فعل له وانما ساغ الابتداء به نكرة لانه دعاء للذين يكتبون الكتاب يعني المحرف ولعله اراد به ما كتبوه من التاويلات الزائغة بايديهم تاكيد كقولك كتبته بيميني ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا كي يحصلوا به عرضا من اعراض الدنيا فانه وان جل قليل بالنسبة الى ما استوجبوه من العقاب الدائم فويل لهم مما كتبت ايديهم يعني المحرف وويل لهم مما يكسبون يريد به الرشى وقالوا لن تمسنا النار المس اتصال الشيء بالبشرة بحيث تتأثر الحاسة به و اللمس كالطلب له ولذلك يقال المسه فلا اجده الا اياما معدودة محصورة قليلة روي ان بعضهم قالوا نعذب بعدد ايام عبادة العجل اربعين يوما وبعضهم قالوا مدة الدنيا سبعة الاف سنة وانما نعذب مكان كل الف سنة يوما قل اتخذتم عند الله عهدا خبرا او وعدا بما تزعمون وقرأ ابن كثير وحفص باظهار الذال والباقون بادغامه فلن يخلف الله عهده جواب شرط مقدر اي ان اتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده وفيه دليل على ان الخلف في خبره محال

ام تقولون على الله ما لا تعلمون ام معادلة لهمزة الاستفهام بمعنى اي الامرين كائن على سبيل التقرير للعلم بوقوع احدهما او منقطعة بمعنى بل اتقولون على التقرير والتقريع بلى اثبات لما نفوه من مس النار لهم زمانا مديدا ودهرا طويلا على وجه اعم ليكون كالبرهان على بطلان قولهم وتختص بجواب النفي من كسب سيئة قبيحة والفرق بينها وبين الخطيئة انها قد تقال فيما يقصد بالذات والخطيئة تغلب فيما يقصد بالعرض لانها من الخطأ والكسب استجلاب النفع وتعليقه بالسيئة على طريقة قوله فبشرهم بعذاب اليم واحاطت به خطيئته اي استولت عليه وشملت جملة احواله حتى صار كالمحاط بها لا يخلو عنها شيء من جوانبه وهذا انما يصح في شأن الكافر لان غيره وان لم يكن له سوى تصديق قلبه واقرار لسانه فلم تحط الخطيئة به ولذلك فسرها السلف بالكفر وتحقيق ذلك ان من اذنب ذنبا ولم يقلع عنه استجره الى معاودة مثله والانهماك فيه وارتكاب ما هو اكبر منه حتى تستولي عليه الذنوب وتأخذ بمجامع قلبه فيصير بطبعه مائلا الى المعاصي مستحسنا اياها معتقدا ان لا لذة سواها مبغضا لمن يمنعه عنها مكذبا لمن ينصحه فيها كما قال تعالى ثم كان عاقبة الذين اساؤوا السوأى ان كذبوا بآيات الله وقرأ نافع خطيئاته وقرئ خطيته وخطياته على القلب والادغام فيهما فاولئك اصحاب النار ملازموها في الآخرة كما انهم ملازمون اسبابها في الدنيا هم فيها خالدون دائمون او لابثون لبثا طويلا والآية كما ترى لا حجة فيها على خلود صاحب الكبيرة وكذا التي قبلها والذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون جرت عادته سبحانه وتعالى على ان يشفع وعده بوعيده لترجى رحمته ويخشى عذابه وعطف العمل على الايمان يدل على خروجه عن مسماه واذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون الا الله اخبار في معنى النهي كقوله لا تضار والدة ولا يضار كاتب ولا شهيد وهو ابلغ من صريح النهي لما فيه من ايهام ان المنهي سارع الى الانتهاء فهو يخبر عنه ويعضده قراءة لا تعبدوا وعطف قولوا عليه فيكون على ارادة القول وقيل تقديره ان لا تعبدوا فلما حذف ان رفع كقوله الا ايهذا الزاجري احضر الوغى ويدل عليه قراءة ان لا تعبدوا فيكون بدلا عن الميثاق او معمولا له بحذف الجار وقيل انه جواب قسم دل عليه المعنى كانه قال حلفناهم لا تعبدون وقرأ نافع وابن عامر وابو عمرو وعاصم و يعقوب بالتاء حكاية لما خوطبوا به والباقون بالياء لانهم غيب وبالوالدين احسانا متعلق بمضمر تقديره وتحسنون او واحسنوا وذي القربى واليتامى والمساكين عطف على الوالدين واليتامى جمع يتيم كنديم وندامى وهو قليل ومسكين مفعيل من السكون كأن الفقر اسكنه وقولوا للناس حسنا اي قولا حسنا وسماه حسنا للمبالغة وقرأ حمزة والكسائي و يعقوب حسنا بفتحتين وقرئ حسنا بضمتين وهو لغة اهل الحجاز وحسنى على المصدر كبشرى والمراد به ما فيه تخلق وارشاد واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة يريد بهما ما فرض عليهم في ملتهم ثم

توليتم على طريقة الالتفات ولعل الخطاب مع الموجودين منهم في عهد الرسول ومن قبلهم على التغليب اي
اعرضتم عن الميثاق ورفضتموه الا قليلا منكم يريد به من اقام اليهودية على وجهها قبل
النسخ ومن اسلم منهم وانتم معرضون قوم عادتكم الاعراض عن الوفاء والطاعة واصل الاعراض
الذهاب عن المواجهة الى جهة العرض واذ اخذنا ميثاقكم لا تسفكون
دماءكم ولا تخرجون انفسكم من دياركم على نحو ما سبق والمراد
به ان لا يتعرض بعضهم بعضا بالقتل والاجلاء وانما جعل قتل الرجل غيره قتل نفسه لاتصاله به نسبا او دينا او
لانه يوجبه قصاصا وقيل معناه لا ترتكبوا ما يبيح سفك دمائكم واخراجكم من دياركم او لا تفعلوا ما يرديكم ويصرفكم
عن الحيوة الابدية فانه القتل في الحقيقة ولا تقترفوا ما تمنعون به عن الجنة التي هي داركم فانه الجلاء الحقيقي ثم
اقررتم بالميثاق واعترفتم بلزومه وانتم تشهدون تاكيد كقولك اقر فلان شاهدا على
نفسه وقيل وانتم ايها الموجودون تشهدون على اقرار اسلافكم فيكون اسناد الاقرار اليهم مجازا ثم انتم
هؤلاء استبعاد لما ارتكبوه بعد الميثاق والاقرار به والشهادة عليه وانتم مبتدا وهؤلاء خبره
على معنى انتم بعد ذلك هؤلاء الناقضون كقولك انت ذلك الرجل الذي فعل كذا نزل تغير الصفة منزلة تغير الذات
وعدهم باعتبار ما اسند اليهم حضورا وباعتبار ما يحكى عنهم غيبا وقوله تقتلون انفسكم و
تخرجون فريقا منكم من ديارهم حال والعامل فيها معنى الاشارة او بيان لهذه الجملة
وقيل هؤلاء تاكيد والخبر هو الجملة وقيل بمعنى الذين والجملة صلته والمجموع هو الخبر وقرئ تقتّلون على التكثير
تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان حال من فاعل تخرجون او من مفعوله او كليهما و
التظاهر التعاون من الظهر وقرا عاصم والكسائي وحمزة بحذف احدى التائين وقرئ باظهارهما وتظهّرون
بمعنى تتظهرون وان ياتوكم اسارى تفدوهم روي ان قريظة كانوا حلفاء الاوس و
النضير حلفاء الخزرج فاذا اقتتلا عاون كل فريق حلفاءه في القتل وتخريب الديار واجلاء اهلها واذا
اسر احد من الفريقين جمعوا له حتى يفدوه وقيل معناه ان ياتوكم اسارى في ايدي الشياطين تتصدون لانقاذهم
بالارشاد والوعظ مع تضييعكم انفسكم كقوله اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وقرا حمزة اسرى
وهو جمع اسير كجريح وجرحى واسارى جمعه كسكرى وسكارى وقيل هو ايضا جمع اسير وكانه شبه بالكسلان
وجمع جمعه وقرا ابن كثير وابو عمرو وحمزة وابن عامر تفدوهم وهو محرم عليكم
اخراجهم متعلق بقوله وتخرجون فريقا منكم من ديارهم وما بينهما اعتراض والضمير للشان او مبهم
وتفسيره اخراجهم او راجع الى ما دل عليه تخرجون من المصدر واخراجهم تاكيد او بيان افتؤمنون

ببعض الكتاب يعني الفداء وتكفرون ببعض يعني حرمة المقاتلة والاجلاء
فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزي في الحيوة الدنيا كقتل قريظة وسبيهم
واجلاء النضير وضرب الجزية على غيرهم واصل الخزي ذل يستحيى منه ولذلك يستعمل في كل منهما ويوم القيمة يردون
الى اشد العذاب لان عصيانهم اشد وما الله بغافل عما تعملون تاكيد للوعيد
اي الله سبحانه وتعالى بالمرصاد لا يغفل عن افعالهم وقرا عاصم في رواية المفضل تردون على الخطاب لقوله منكم وابن كثير
ونافع وعاصم في رواية ابي بكر ويعقوب عما يعملون على ان الضمير لمن اولئك الذين اشتروا
الحيوة الدنيا بالاخرة اثروا الحيوة الدنيا على الاخرة فلا يخفف عنهم
العذاب بنقص الجزية في الدنيا والتعذيب في الاخرة ولا هم ينصرون بدفعهما عنهم ولقد
اتينا موسى الكتاب التورية وقفينا من بعده بالرسل اي ارسلنا على
اثره الرسل كقوله ثم ارسلنا رسلنا تترى يقال قفاه اذا اتبعه وقفاه به اذا اتبعه اياه من القفا كذنبه من الذنب
واتينا عيسى بن مريم البينات المعجزات الواضحات كاحياء الاموات وابراء
الاكمه والابرص والاخبار بالمغيبات او الانجيل وعيسى بالعبرية ايشوع ومريم بمعنى الخادم وهو بالعبرية من النساء
كالزير من الرجال قال رؤبة قلت لزير لم تصله مريمه ووزنه مفعل اذ لم يثبت فعيل وايدناه
وقرئ آيدناه بروح القدس بالروح المقدسة كقولك حاتم الجود ورجل صدق اريد به جبرئيل
وقيل روح عيسى ووصفها به لطهارته عن مس الشيطان او لكرامته على الله تعالى ولذلك اضافها الى نفسه
او لانه لم تضمه الاصلاب ولا الارحام الطوامث او الانجيل او اسم الله الاعظم الذي كان يحيي به الموتى وقرا
ابن كثير القدس بالاسكان في جميع القرآن افكلما جاءكم رسول بما لا تهوى انفسكم بما لا
تحب يقال هوي بالكسر هوى اذا احب وهوى بالفتح هويا بالضم سقط ووسطت الهمزة بين الفاء وما تعلقت به
توبيخا لهم على تعقيبهم ذاك بهذا وتعجيبا من شانهم ويحتمل ان يكون استينافا والفاء للعطف على مقدر
استكبرتم عن الايمان واتباع الرسل ففريقا كذبتم كموسى وعيسى والفاء للسببية او
للتفصيل وفريقا تقتلون كزكريا ويحيى وانما ذكر بلفظ المضارع على حكاية الحال الماضية استحضارا
لها في النفوس فان الامر فظيع او مراعاة للفواصل او للدلالة على انكم بعد فيه فانكم حول قتل محمد لولا اني اعصمه منكم و
لذلك سحرتموه وسممتم له الشاة وقالوا قلوبنا غلف مغشاة باغطية خلقية لا يصل اليها ما جئت
به ولا تفقهه مستعار من الاغلف الذي لم يختن وقيل اصله غلف جمع غلاف فخفف والمعنى انها اوعية للعلم لا
تسمع علما الا وعته ولا تعي ما تقول او نحن مستغنون بما فيها عن غيره بل لعنهم الله بكفرهم

رد لما قالوا والمعنى انها خلقت على الفطرة والتمكن من قبول الحق ولكن الله خذلهم بكفرهم فابطل استعدادهم او انها لم تأب قبول ما تقوله لخلل فيه بل لان الله تعالى خذلهم بكفرهم كما قال تعالى فاصمهم واعمى ابصارهم او هم كفرة ملعونون فمن اين لهم دعوى العلم والاستغناء عنك فقليلا ما يؤمنون فايمانا قليلا يؤمنون وما زائدة للمبالغة في التقليل وهو ايمانهم ببعض الكتاب وقيل اراد بالقلة العدم ولما جاءهم كتاب من عند الله يعني القرآن مصدق لما معهم من كتابهم وقرئ بالنصب على الحال من كتاب لتخصصه بالوصف وجواب لما محذوف دل عليه جواب لما الثانية وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا اي يستنصرون على المشركين ويقولون اللهم انصرنا بنبي آخر الزمان المنعوت في التورية او يفتحون عليهم ويعرفونهم ان نبيا يبعث منهم وقد قرب زمانه والسين للمبالغة والاشعار بان الفاعل يسأل ذلك عن نفسه فلما جاءهم ما عرفوا من الحق كفروا به حسدا وخوفا على الرياسة فلعنة الله على الكافرين اي عليهم واتى بالمظهر للدلالة على انهم لعنوا لكفرهم فتكون اللام للعهد ويجوز ان تكون للجنس ويدخلون فيه دخولا اوليا لان الكلام فيهم بئسما اشتروا به انفسهم ما نكرة بمعنى شيء مميزة لفاعل بئس المستكن فيه واشتروا صفته ومعناه باعوا او اشتروا بحسب ظنهم فانهم ظنوا انهم خلصوا انفسهم من العقاب بما فعلوا ان يكفروا بما انزل الله هو المخصوص بالذم بغيا طلبا لما ليس لهم وحسدا وهو علة يكفروا دون اشتروا للفصل ان ينزل الله لان ينزل الله اي حسدوه على ان ينزل الله وقرأ ابن كثير وابو عمرو ويعقوب بالتخفيف من فضله يعني الوحي على من يشاء من عباده على من اختاره للرسالة فباءوا بغضب على غضب للكفر والحسد على من هو افضل الخلق وقيل لكفرهم بمحمد بعد عيسى او بعد قولهم عزير ابن الله وللكافرين عذاب مهين يراد به اذلالهم بخلاف عذاب العاصي فانه طهرة لذنوبه واذا قيل لهم آمنوا بما انزل الله يعم الكتب المنزلة باسرها قالوا نؤمن بما انزل علينا اي بالتورية ويكفرون بما وراءه حال من الضمير في قالوا ووراء في الاصل مصدر جعل ظرفا ويضاف الى الفاعل فيراد به ما يتوارى به وهو خلفه والى المفعول فيراد به ما يواريه وهو قدامه ولذلك عد من الاضداد وهو الحق الضمير لما وراءه والمراد به القرآن مصدقا لما معهم حال مؤكدة تتضمن رد مقالتهم فانهم لما كفروا بما يوافق التورية فقد كفروا بها قل فلم تقتلون انبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين اعتراض عليهم بقتل الانبياء مع ادعاء الايمان بالتورية والتورية لا تسوغه وانما اسنده اليهم لانه فعل آبائهم وانهم راضون به عازمون عليه وقرأ نافع وحده انبئاء الله مهموزا في كل القرآن ولقد جاءكم موسى بالبينات

يعني الآيات التسع المذكورة في قوله تعالى ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات ثم اتخذتم العجل اي الها من بعده بعد مجيء موسى او ذهابه الى الطور وانتم ظالمون حال بمعنى اتخذتم العجل ظالمين بعبادته او بالاخلال بآيات الله او اعتراض بمعنى وانتم قوم عادتكم الظلم ومساق الآية ايضا لابطال قولهم نؤمن بما انزل علينا والتنبيه على ان طريقهم مع الرسول طريقة اسلافهم مع موسى لا لتكرير القصة وكذا ما بعدها واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا اي قلنا لهم خذوا ما امرتم به في التورية بجد واسمعوا سماع طاعة قالوا سمعنا قولك وعصينا امرك واشربوا في قلوبهم العجل تداخلهم حبه ورسخ في قلوبهم صورته لفرط شغفهم به كما يتداخل الصبغ الثوب والشراب اعماق البدن وفي قلوبهم بيان لمكان الاشراب كقوله انما يأكلون في بطونهم نارا بكفرهم بسبب كفرهم وذلك لانهم كانوا مجسمة او حلولية ولم يروا جسما اعجب منه فتمكن في قلوبهم ما سوّل لهم السامري قل بئسما يأمركم به ايمانكم اي بالتورية والمخصوص بالذم محذوف نحو هذا الامر او ما يعمه وغيره من قبائحهم المعدودة في الآيات الثلث الزاما عليهم ان كنتم مؤمنين تقرير للقدح في دعواهم الايمان بالتورية وتقديره لو كنتم مؤمنين بها ما امركم بهذه القبائح ورخص لكم فيها ايمانكم بها او ان كنتم مؤمنين بها فبئس ما امركم به ايمانكم بها لان المؤمن ينبغي ان لا يتعاطى الا ما يقتضيه ايمانه لكن الايمان بها لا يأمر به فاذن لستم بمؤمنين قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة خاصة بكم كما قلتم لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى ونصبها على الحال من الدار من دون الناس سائرهم او المسلمين واللام للعهد فتمنوا الموت ان كنتم صادقين لان من ايقن انه من اهل الجنة اشتاقها واحب التخلص اليها من الدار ذات الشوائب كما قال علي رضي الله عنه لا ابالي سقطت على الموت او سقط الموت علي وقال عمار بصفين الآن الاقي الاحبة محمدا وحزبه وقال حذيفة حين احتضر جاء حبيب على فاقة لا افلح من ندم اي على التمني سيما اذا علم انها سالمة له لا يشاركه فيها غيره ولن يتمنوه ابدا بما قدمت ايديهم من موجبات النار كالكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن وتحريف التورية ولما كانت اليد العاملة مختصة بالانسان آلة لقدرته بها عامة صنائعه ومنها اكثر منافعه عبر بها عن النفس تارة والقدرة اخرى وهذه الجملة اخبار بالغيب وكان كما اخبر لانهم لو تمنوا لنقل واشتهر فان التمني ليس من عمل القلب ليخفى بل هو ان يقول ليت لي كذا ولو كان بالقلب لقالوا تمنينا وعن النبي صلى الله عليه وسلم لو تمنوا الموت لغص كل انسان بريقه فمات مكانه وما بقي على وجه الارض يهودي والله عليم بالظالمين تهديد لهم وتنبيه على انهم ظالمون في دعوى ما ليس لهم ونفيه عمن هو لهم ولتجدنهم احرص الناس على حيوة من وجد بعقله الجاري مجرى علم ومفعولاه هم واحرص

وتنكير حياة لانه اريد فرد من افرادها وهي الحياة المتطاولة وقرئ باللام ومن الذين اشركوا محمول على المعنى فكانه قال احرص من الناس ومن الذين اشركوا وافرادهم بالذكر للمبالغة فان حرصهم شديد اذ لم يعرفوا الا الحيوة العاجلة والزيادة في التوبيخ والتقريع فانه لما زاد حرصهم وهم مقرون بالجزاء على حرص المنكرين دل ذلك على علمهم بانهم صائرون الى النار ويجوز ان يراد واحرص من الذين اشركوا فحذف لدلالة الاول عليه وان يكون خبر مبتدا محذوف صفته يود احدهم على انه اريد بالذين اشركوا اليهود لانهم قالوا عزير ابن الله اي منهم ناس يود احدهم وهو على الاولين بيان لزيادة حرصهم على طريق الاستيناف لو يعمر الف سنة حكاية لودادتهم ولو بمعنى ليت وكان اصله لو اعمر فاجرى على الغيبة لقوله يود كقولك حلف بالله ليفعلن وما هو بمزحزحه من العذاب ان يعمر الضمير لاحدهم وان يعمر فاعل مزحزحه اي وما احدهم بمن يزحزحه من النار تعميره او لما دل عليه يعمر وان يعمر بدل منه او مبهم وان يعمر موضحه واصل سنة سنوة لقولهم سنوات وقيل سنهة كجبهة لقولهم سانهته وتسنهت النخلة اذا اتت عليها السنون والزحزحة التبعيد والله بصير بما يعملون فيجازيهم قل من كان عدوا لجبريل نزل في عبد الله بن صوريا سال رسول الله صلعم عمن ينزل عليه الوحي فقال جبريل فقال ذاك عدونا عادانا مرارا واشدها انه انزل على نبينا ان بيت المقدس سيخربه بخت نصر فبعثنا من يقتله فراه ببابل فدفع عنه جبريل وقال ان كان ربكم امره بهلاككم فلا يسلطكم عليه والا فبم تقتلونه وقيل دخل عمر رض مدارس اليهود يوما فسالهم عن جبريل فقالوا ذاك عدونا يطلع محمدا على اسرارنا وانه صاحب كل خسف وعذاب وميكائيل صاحب الخصب والسلام فقال وما منزلتهما من الله فقالوا جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره وبينهما عداوة فقال لئن كانا كما تقولون فليسا بعدوين ولانتم اكفر من الحمير ومن كان عدو احدهما فهو عدو الله ثم رجع عمر فوجد جبريل قد سبقه بالوحي فقال عم لقد وافقك ربك يا عمر وفي جبريل ثمان لغات قرئ بهن اربع في المشهور جبرئيل كسلسبيل قراه حمزة والكسائي وجبريل بكسر الراء مع حذف الهمزة قراه ابن كثير وجبرئل كجحمرش قراه عاصم برواية ابي بكر وجبريل كقنديل قراه الباقون واربع في الشواذ جبرال باللام المشددة وجبرائيل وجبرائل وجبرين ومنع صرفه للعجمة والتعريف ومعناه عبد الله فانه نزله البارز الاول لجبريل والثاني للقرآن واضماره غير مذكور يدل على فخامة شانه كانه لتعينه وفرط شهرته لم يحتج الى سبق ذكره على قلبك فانه القابل الاول للوحي ومحل الفهم والحفظ وكان حقه على قلبي لكنه جاء على حكاية كلام الله كانه قال قل ما تكلمت به باذن الله بامره او تيسيره حال من فاعل نزل مصدقا لما بين يديه من التورية وهدى وبشرى للمؤمنين احوال من مفعوله

والظاهر ان جواب الشرط فانه نزله والمعنى من عادى منهم جبريل فقد خلع ربقة الانصاف او كفر بما معه من الكتاب بمعاداته اياه لنزوله بالوحي عليك لانه نزل كتابا مصدقا للكتب المتقدمة فحذف الجواب واقيم علته مقامه او من عاداه لسبب عداوته انه نزل عليك وقيل محذوف مثل فليمت غيظا او فهو عدو لي وانا عدوه كما قال من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فان الله عدو للكافرين اراد بعداوة الله مخالفته عنادا او معاداة المقربين من عباده وصدر الكلام بذكره تفخيما لشانهم كقوله والله ورسوله احق ان يرضوه وافراد الملكين بالذكر لفضلهما كانهما من جنس اخر والتنبيه على ان معاداة الواحد والكل سواء في الكفر واستجلاب العداوة من الله تعالى وان من عادى احدهم فكانه عادى الجميع اذ الموجب لعداوتهم ومحبتهم على الحقيقة واحد ولان المحاجة كانت فيهما ووضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على انه تعالى عاداهم لكفرهم وان عداوة الملائكة والرسل كفر وقرا نافع وميكائل كميكاعل وابو عمرو ويعقوب وحفص ميكال كميعاد وقرئ ميكئل وميكئيل وميكائيل ولقد انزلنا اليك آيات بينات وما يكفر بها الا الفاسقون اي المتمردون من الكفرة والفسق اذا استعمل في نوع من المعاصي دل على اعظمه كانه متجاوز عن حده نزل في ابن صوريا حين قال لرسول الله صلعم ما جئتنا بشيء نعرفه وما انزل عليك من آية فنتبعك اوكلما عاهدوا عهدا الهمزة للانكار والواو للعطف على محذوف تقديره اكفروا بالآيات وكلما عاهدوا وقرئ بسكون الواو على ان التقدير الا الذين فسقوا او كلما عاهدوا وقرئ عوهدوا وعهدوا نبذه فريق منهم نقضه واصل النبذ الطرح لكنه يغلب فيما ينسى وانما قال فريق لان بعضهم لم ينقض بل اكثرهم لا يؤمنون رد لما يتوهم ان الفريق هم الاقلون او ان من لم ينبذ جهارا فهم يؤمنون به خفاء ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم كعيسى ومحمد صلعم نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب كتاب الله يعني التورية لان كفرهم بالرسول المصدق لها كفر بها فيما يصدقه ونبذ لما فيها من وجوب الايمان بالرسل المؤيدين بالآيات وقيل ما مع الرسول هو القرآن وراء ظهورهم مثل لاعراضهم عنه راسا بالاعراض عما يرمى به وراء الظهر لعدم الالتفات اليه كانهم لا يعلمون انه كتاب الله يعني ان علمهم به رصين ولكن يتجاهلون عنادا واعلم انه تعالى دل بالآيتين على ان جل اليهود اربع فرق فرقة آمنوا بالتورية وقاموا بحقوقها كمؤمني اهل الكتاب وهم الاقلون المدلول عليهم بقوله بل اكثرهم لا يؤمنون وفرقة جاهروا بنبذ عهودها وتخطي حدودها تمردا وفسوقا وهم المعنيون بقوله نبذه فريق منهم وفرقة لم يجاهروا بنبذها ولكن نبذوا لجهلهم بها وهم الاكثرون وفرقة تمسكوا بها ظاهرا ونبذوها خفية عالمين بالحال بغيا وعنادا

وبهم التجاهل واتبعوا ما تتلوا الشياطين عطف على نبذ اي نبذوا كتاب الله واتبعوا كتب السحر التي تقروها او تتبعها الشياطين من الجن او الانس او منهما على ملك سليمان اي عهده وتتلو حكاية حال ماضية قيل كانوا يسترقون السمع ويضمون الى ما سمعوا اكاذيب ويلقونها الى الكهنة وهم يدونونها ويعلمون الناس وفشا ذلك في عهد سليمان حتى قيل ان الجن تعلم الغيب وان ملك سليمان تم بهذا العلم وانه تسخر به الانس والجن والريح له وما كفر سليمان تكذيب لمن زعم ذلك وعبر عن السحر بالكفر ليدل على انه كفر وان من كان نبيا كان معصوما منه ولكن الشياطين كفروا باستعماله وقرا ابن عامر وحمزة والكسائي ولكن بالتخفيف ورفع الشياطين يعلمون الناس السحر اغواء واضلالا والجملة حال من الضمير والمراد بالسحر ما يستعان في تحصيله بالتقرب الى الشياطين مما لا يستقل به الانسان وذلك لا يستتب الا لمن يناسبه في الشرارة وخبث النفس فان التناسب شرط في التضام والتعاون وبهذا تميز الساحر عن النبي والولي واما ما يتعجب منه كما يفعله اصحاب الحيل بمعونة الالات والادوية او يريه صاحب خفة اليد فغير مذموم وتسميته سحرا على التجوز او لما فيه من الدقة لانه في الاصل لما خفي سببه وما انزل على الملكين عطف على السحر والمراد بهما واحد والعطف لتغاير الاعتبار او المراد به نوع اقوى منه او على ما تتلوا وهما ملكان انزلا لتعليم السحر ابتلاء من الله للناس وتمييزا بينه وبين المعجزة وما روي انهما مثلا بشرين وركب فيهما الشهوة فتعرضا لامراة يقال لها زهرة فحملتهما على المعاصي والشرك ثم صعدت الى السماء بما تعلمت منهما فمحكي عن اليهود ولعله من رموز الاوائل وحله لا يخفى على ذوي البصائر وقيل رجلان سميا ملكين باعتبار صلاحهما ويؤيده قراءة الملكين بالكسر وقيل ما انزل نفي معطوف على ما كفر تكذيب لليهود في هذه القصة ببابل ظرف او حال من الملكين او الضمير في انزل والمشهور انه بلد من سواد الكوفة هاروت وماروت عطف بيان للملكين ومنع صرفهما للعجمة والعلمية ولو كانا من الهرت والمرت بمعنى الكسر لانصرفا ومن جعل ما نافية ابدلهما من الشياطين بدل البعض وما بينهما اعتراض وقرئ بالرفع على تقدير هما هاروت وماروت وما يعلمان من احد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر فمعناه على الاول ما يعلمان احدا حتى ينصحاه ويقولا له انما نحن فتنة ابتلاء من الله فمن عمل بما تعلم منا واعتقد حقيته كفر ومن توقى عن العمل به او اتخذه ذريعة للاتقاء عن الاغترار بمثله بقي على الايمان فلا تكفر باعتقاد جوازه والعمل به وفيه دليل على ان تعلم السحر وما لا يجوز اتباعه غير محظور وانما المنع من اتباعه والعمل به وعلى الثاني ما يعلمانه حتى يقولا انا مفتونان فلا تكن مثلنا فيتعلمون منهما الضمير لما دل عليه من احد ما يفرقون به بين المرء وزوجه اي من السحر ما يكون سبب تفريقهما وما هم بضارين به من احد الا باذن الله لانه

وغيره من الاسباب غير مؤثرة بالذات بل بامره وجعله تعالى وقرئ بضاري على الاضافة الى احد وجعل الجار جزءا منه والفصل بالظرف ويتعلمون ما يضرهم لانهم يقصدون به العمل او لان العلم يجر الى العمل غالبا ولا ينفعهم اذ المجرد منه غير مقصود ولا نافع في الدارين وفيه ان التحرز عنه اولى ولقد علموا اي اليهود لمن اشتراه اي استبدل ما تتلو الشياطين بكتاب الله والاظهر ان اللام لام الابتداء علقت علموا عن العمل ماله في الآخرة من خلاق نصيب ولبئس ما شروا به انفسهم يحتمل المعنيين على ما مر لو كانوا يعلمون يتفكرون فيه او يعلمون قبحه على اليقين او حقيقة ما يتبعه من العذاب والمثبت لهم اولا على التوكيد القسمي العقل الغريزي او العلم الاجمالي بقبح الفعل او ترتب العقاب من غير تحقيق وقيل معناه لو كانوا يعملون بعلمهم فان من لم يعمل بما علم فهو كمن لم يعلم ولو انهم آمنوا بالرسول والكتاب واتقوا بترك المعاصي كنبذ كتاب الله واتباع السحر لمثوبة من عند الله خير جواب لو واصله لاثيبوا مثوبة من عند الله خيرا مما شروا به انفسهم فحذف الفعل وركب الباقي جملة اسمية لتدل على ثبات المثوبة والجزم بخيريتها وحذف المفضل عليه اجلالا للمفضل من ان ينسب اليه وتنكير المثوبة لان المعنى لشيء من الثواب خير وقيل لو للتمني ولمثوبة كلام مبتدأ وقرئ لمثوبة كمشورة وانما سمي الجزاء ثوابا ومثوبة لان المحسن يثوب اليه لو كانوا يعلمون ان ثواب الله خير مما هم فيه وقد علموا لكنه جهلهم لترك التدبر او العمل بالعلم يا ايها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا الرعي حفظ الغير لمصلحته وكان المسلمون يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم راعنا اي راقبنا وتأن بنا فيما تلقننا حتى نفهمه وسمع اليهود فافترصوه وخاطبوه به مريدين نسبته الى الرعن او سبه بالكلمة العبرانية التي كانوا يتسابون بها وهي راعينا فنهي المؤمنون عنها وامروا بما يفيد تلك الفائدة ولا يقبل التلبيس وهو انظرنا بمعنى انظر الينا او انتظرنا من نظره اذا انتظره وقرئ انظرنا من الانظار اي امهلنا لنحفظ وقرئ راعونا على لفظ الجمع للتوقير وراعنا بالتنوين اي قولا ذا رعن نسبة الى الرعن وهو الهوج لما شابه قولهم راعينا وتسبب للسب واسمعوا واحسنوا سماع ما يكلمكم رسول الله ويلقي عليكم من المسائل حتى لا تحتاجوا الى الاستعادة وطلب المراعاة او واسمعوا سماع قبول لا كسماع اليهود او واسمعوا ما امرتم به بجد حتى لا تعودوا الى ما نهيتم عنه وللكافرين يعني الذين تهاونوا بالرسول وسبوه عذاب اليم ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين نزلت تكذيبا لجمع من اليهود يظهرون مودة المؤمنين ويزعمون انهم يودون لهم الخير والود محبة الشيء مع تمنيه ولذلك يستعمل في كل منهما ومن للتبيين كما في قوله لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين ان ينزل عليكم من خير من ربكم مفعول يود ومن الاولى مزيدة للاستغراق والثانية للابتداء وفسر الخير بالوحي والمعنى انهم يحسدونكم به وما يحبون ان ينزل عليكم شيء منه

وبالعلم والنصرة ولعل الاسلوب به مايعم ذلك والله يختص برحمته من يشاء يستنبئه و
يعلمه الحكمة وينصره ولا يجب عليه شيء وليس لاحد عليه حق والله ذو الفضل العظيم اشعار بان
النبوة من الفضل وان حرمان بعض عباده ليس لضيق فضله بل لمشيئته وما عرف فيه من حكمته ما ننسخ
من آية او ننسها نزلت لما قال المشركون او اليهود الا ترون الى محمد يامر اصحابه بامر ثم ينهاهم عنه
ويامرهم بخلافه والنسخ في اللغة ازالة الصورة عن الشيء واثباتها في غيره كنسخ الظل للشمس والنقل ومنه التناسخ
ثم استعمل لكل واحد منهما كقولك نسخت الريح الاثر ونسخت الكتاب ونسخ الاية بيان انتهاء التعبد بقراءتها
او الحكم المستفاد منها او بهما جميعا وانساؤها اذهابها عن القلوب وما شرطية جازمة لننسخ منتصبة به على
المفعولية وقرا ابن عامر ما ننسخ من انسخ اي نامرك او جبريل بنسخها او نجدها منسوخة وابن كثير وابو عمرو ننسأها
اي نؤخرها من النسء وقرئ ننسها اي ننس احدا اياها وتنسها اي انت وتنسها على البناء للمفعول وننسكها
باظهار المفعولين نأت بخير منها او مثلها اي بما هو خير للعباد في النفع والثواب او مثلها
في الثواب وقرا ابو عمرو بقلب الهمزة الفا الم تعلم ان الله على كل شيء قدير
فيقدر على النسخ والاتيان بمثل المنسوخ وبما هو خير والاية دلت على جواز النسخ وتاخير الانزال اذ الاصل
اختصاص ان وما يتضمنها بالامور المحتملة وتاخير الانزال وذلك لان الاحكام شرعت والايات نزلت
لمصالح العباد وتكميل نفوسهم فضلا من الله ورحمة وذلك يختلف باختلاف الاعصار والاشخاص كاسباب
المعاش فان النافع في عصر قد يضر في غيره واحتج بها من منع النسخ بلا بدل او ببدل اثقل ونسخ الكتاب بالسنة
فان الناسخ هو المأتي به بدلا والسنة ليس كذلك والكل ضعيف اذ قد يكون عدم الحكم او الاثقل اصلح والنسخ قد يعرف
بغيره والسنة مما اتى به الله وليس المراد بالخير والمثل ما يكون كذلك في اللفظ واحتجت المعتزلة على حدوث
القرآن فان التغير والتفاوت من لوازمه واجيب بانهما من عوارض الامور المتعلقة بالمعنى القائم بالذات القديم
الم تعلم الخطاب للنبي والمراد هو وامته لقوله ومالكم وانما افرده لانه اعلمهم ومبدأ علمهم ان الله
له ملك السموات والارض يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وهو كالدليل على قوله ان الله على كل
شيء قدير وعلى جواز النسخ ولذلك ترك العطف وما لكم من دون الله من
ولي ولا نصير وانما هو الذي يملك اموركم ويجريها على ما يصلحكم والفرق بين الولي والنصير ان الولي قد
يضعف عن النصرة والنصير قد يكون اجنبيا عن المنصور ام تريدون ان تسألوا رسولكم
كما سئل موسى من قبل ام معادلة للهمزة في الم تعلم اي الم تعلموا انه مالك الامور قادر على
الاشياء كلها يامر وينهى كما اراد ام تعلمون وتقترحون بالسؤال كما اقترحت اليهود على موسى او منقطعة

والمراد

والمراد ان يوصيهم بالثقة به وترك الاقتراح عليه قيل نزلت في اهل الكتاب حين سالوا ان ينزل الله عليهم كتابا من السماء
وقيل في المشركين لما قالوا لن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه ومن يتبدل الكفر
بالايمان فقد ضل سواء السبيل ومن ترك الثقة بالايات البينات وشك فيها
واقترح غيرها فقد ضل الطريق المستقيم حتى وقع في الكفر بعد الايمان ومعنى الاية لا تقترحوا فتضلوا وسط السبيل ويؤدي
بكم الضلال الى البعد عن المقصد وتبديل الكفر بالايمان وقرئ يبدل من ابدل ود كثير من اهل
الكتاب يعني احبارهم لو يردونكم ان يردوكم فان لو تنوب عن ان في المعنى دون اللفظ
من بعد ايمانكم كفارا مرتدين وهو حال من ضمير المخاطبين حسدا علة ود من عند
انفسهم يجوز ان يتعلق بود اي تمنوا ذلك من عند انفسهم وتشهيهم لا من قبل التدين والميل مع الحق او بحسدا اي
حسدا بالغا منبعثا من اصل نفوسهم من بعد ما تبين لهم الحق بالمعجزات والنعوت المذكورة
في التوراة فاعفوا واصفحوا العفو ترك عقوبة المذنب والصفح ترك تثريبه حتى ياتي الله
بامره الذي هو الاذن في قتالهم وضرب الجزية عليهم او قتل قريظة واجلاء بني النضير وعن ابن عباس انه منسوخ
باية السيف وفيه نظر اذ الامر غير مطلق ان الله على كل شيء قدير فيقدر على الانتقام منهم و
اقيموا الصلوة واتوا الزكوة عطف على فاعفوا كانه امرهم بالصبر والمخالفة والالتجاء
الى الله تعالى بالعبادة والبر وما تقدموا لانفسكم من خير كصلوة او صدقة وقرئ
تقدموا من اقدم تجدوه عند الله اي ثوابه ان الله بما تعملون بصير لا يضيع عنده
عمل وقرئ بالياء فيكون وعيدا وقالوا عطف على ود والضمير لاهل الكتاب من اليهود والنصارى
لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى لف بين قولي الفريقين كما في
قوله تعالى وقالوا كونوا هودا او نصارى ثقة بان السامع يرد الى كل فريق قوله وهود جمع هائد كعائد وعوذ وتوحيد الاسم المضمر في كان
وجمع الخبر لاعتبار اللفظ والمعنى تلك امانيهم اشارة الى الاماني المذكورة وهي ان لا ينزل على المؤمنين خير
من ربهم وان يردوهم كفارا وان لا يدخل الجنة غيرهم او الى ما في الاية على حذف المضاف اي امثال تلك الامنية
امانيهم والجملة اعتراض والامنية افعولة من التمني كالاعجوبة والاضحوكة قل هاتوا برهانكم
على اختصاصكم بدخول الجنة ان كنتم صادقين في دعواكم فان كل قول لا دليل عليه غير ثابت
بلى اثبات لما نفوه من دخول غيرهم الجنة من اسلم وجهه لله اخلص له نفسه او قصده
واصله العضو وهو محسن في عمله فله اجره الذي وعد له على عمله عند ربه ثابتا
عنده لا يضيع ولا ينقص والجملة جواب من ان كانت شرطية وخبرها ان كانت موصولة والفاء فيها لتضمنها معنى

الشرط فيكون الرد بقوله بلى وحده ويحسن الوقف عليه ويجوز ان يكون من اسلم فاعل فعل محذوف مقدر مثل بلى يدخلها من اسلم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون في الآخرة وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء اى امر يصح ويعتد به نزلت لما قدم وفد نجران على رسول الله صلعم فاتاهم احبار اليهود فتناظروا وتقاولوا بذلك وهم يتلون الكتاب الواو للحال والكتاب للجنس اى قالوا ذلك وهم من اهل العلم والكتاب كذلك اى مثل ذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم كعبدة الاصنام والمعطلة وبخهم على المكابرة والتشبه بالجهال فان قيل لم وبخهم وقد صدقوا فان كلا الدينين بعد النسخ ليس بشيء قلت لم يقصدوا ذلك وانما قصد به كل فريق ابطال دين الآخر من اصله والكفر بنبيه وكتابه مع ان ما لم ينسخ منهما حق واجب القبول والعمل به فالله يحكم بينهم بين الفريقين يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون بما يقسم لكل فريق ما يليق به من العقاب وقيل حكمه بينهم ان يكذبهم ويدخلهم النار ومن اظلم ممن منع مساجد الله عام لكل من خرب مسجدا او سعى في تعطيل مكان مرشح للصلاة وان نزل في الروم لما غزوا بيت المقدس وخربوه وقتلوا اهله او المشركين لما منعوا رسول الله صلعم ان يدخل المسجد الحرام عام الحديبية ان يذكر فيها اسمه ثاني مفعولي منع وسعى في خرابها بالهدم او التعطيل اولئك اى المانعون ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين ما كان ينبغي لهم ان يدخلوها الا بخشية وخشوع فضلا عن ان يجترئوا على تخريبها او ما كان الحق ان يدخلوها الا خائفين من المؤمنين ان يبطشوا بهم فضلا ان يمنعوهم منها او ما كان لهم في علم الله تعالى وقضائه فيكون وعدا للمؤمنين بالنصرة واستخلاص المساجد منهم وقد انجز وعده وقيل معناه النهي عن تمكينهم من الدخول في المسجد واختلف الائمة فيه فجوز ابو حنيفة ومنع مالك وفرق الشافعي بين المسجد الحرام وغيره لهم في الدنيا خزي قتل وسبي او ذلة بضرب الجزية ولهم في الآخرة عذاب عظيم بكفرهم وظلمهم ولله المشرق والمغرب يريد بهما ناحيتي الارض اى له الارض كلها لا يختص به مكان دون مكان فان منعتم ان تصلوا في المسجد الحرام او الاقصى فقد جعلت لكم الارض مسجدا فاينما تولوا ففي اى مكان فعلتم التولية شطر القبلة فثم وجه الله اى جهته التي امر بها فان امكان التولية لا يختص بمكان ومسجد او فثم ذاته اى عالم مطلع بما يفعل فيه ان الله واسع باحاطته بالاشياء او برحمته يريد التوسعة على عباده عليم بمصالحهم واعمالهم في الاماكن كلها وعن ابن عمر انها نزلت في صلوة المسافر على الراحلة وقيل في قوم عميت عليهم القبلة فصلوا الى انحاء مختلفة فلما اصبحوا تبينوا خطائهم وعلى هذا لو اخطا

يا علي ادركني

المجتهد ثم تبين له الخطا لم يلزمه التدارك وقيل هي توطئة لنسخ القبلة وتنزيه للمعبود ان يكون في حيز وجهة وقالوا اتخذ الله ولدا نزلت لما قال اليهود عزير ابن الله والنصارى المسيح ابن الله ومشركوا العرب الملائكة بنات الله وعطفه على قالت اليهود او منع او مفهوم قوله تعالى ومن اظلم وقرا ابن عامر بغير واو سبحانه تنزيه له عن ذلك فانه يقتضي التشبيه والحاجة وسرعة الفناء الا ترى ان الاجرام الفلكية مع امكانها وفنائها لما كانت باقية ما دام العالم لم تتخذ ما يكون لها كالولد اتخاذ الحيوان والنبات اختيارا او طبعا بل له ما في السموات والارض رد لما قالوه واستدلال على فساده والمعنى انه خالق ما في السموات والارض الذي من جملته الملائكة وعزير والمسيح كل له قانتون منقادون لا يمتنعون عن مشيئته وتكوينه وكل ما كان بهذه الصفة لم يجانس مكونه الواجب لذاته فلا يكون له ولد لان من حق الولد ان يجانس والده وانما جاء بما الذي لغير اولي العلم وقال قانتون على تغليب اولي العلم تحقيرا لشانهم وتنوين كل عوض من المضاف اليه اى كل ما فيهما ويجوز ان يراد كل من جعلوه لله ولدا له مطيعون مقرون بالعبودية فيكون الزاما بعد اقامة الحجة والاية مشعرة على فساد ما قالوه من ثلثة اوجه واحتج بها الفقهاء على ان من ملك ولده عتق عليه لانه تعالى نفى الولد باثبات الملك وذلك يقتضي تنافيهما بديع السموات والارض مبدعهما ونظيره السميع في قوله امن ريحانة الداعي السميع او بديع سمواته وارضه من بدع فهو بديع وهو حجة رابعة وتقريرها ان الوالد عنصر الولد المنفعل بانفصال مادته عنه والله تعالى مبدع الاشياء كلها فاعل على الاطلاق منزه عن الانفعال فلا يكون والدا والابداع اختراع الشيء لا عن شيء دفعة وهو اليق بهذا الموضع من الصنع الذي هو تركيب الصورة بالعنصر والتكوين الذي يكون بتغيير وفي زمان غالبا وقرئ بديع مجرورا على البدل من الضمير في له ومنصوبا على المدح واذا قضى امرا اى اراد شيئا واصل القضاء اتمام الشيء قولا كقوله تعالى وقضى ربك او فعلا كقوله تعالى فقضاهن سبع سموات واطلق على تعلق الارادة الالهية بوجود الشيء من حيث انه يوجبه فانما يقول له كن فيكون من كان التامة اى احدث فيحدث وليس المراد به حقيقة امر وامتثال بل تمثيل حصول ما تعلقت به ارادته بلا مهلة بطاعة المامور المطيع بلا توقف وفيه تقرير لمعنى الابداع وايماء الى حجة خامسة وهو ان اتخاذ الولد مما يكون باطوار ومهلة وفعله تعالى يستغني عن ذلك واعلم ان السبب في هذه الضلالة ان ارباب الشرائع المتقدمة كانوا يطلقون الاب على الله تعالى باعتبار انه السبب الاول حتى قالوا ان الاب هو الرب الاصغر والله سبحانه هو الاب الاكبر ثم ظنت الجهلة منهم ان المراد به معنى الولادة فاعتقدوا ذلك تقليدا ولذلك كفر قائله ومنع منه مطلقا حسما لمادة الفساد وقال الذين لا يعلمون اى جهلة المشركين او المتجاهلون من اهل الكتاب لولا يكلمنا الله هلا يكلمنا الله كما يكلم الملائكة او يوحي الينا بانك رسوله او تاتينا اية حجة على صدقك والاول استكبار والثاني جحود لان ما اتاهم ايات الله استهانة به وعنادا

كذلك قال الذين من قبلهم من الامم الماضية مثل قولهم فقالوا ارنا الله جهرة هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السما تشابهت قلوبهم قلوب هولا ومن قبلهم في العمى والعناد وقرى بتشديد الشين قد بينا الايات لقوم يوقنون اى يطلبون اليقين او يوقنون الحقايق لا يعتريهم شبهة ولا عناد وفيه اشارة الى انهم ما قالوا ذلك لخفا في الايات او لطلب مزيد يقين وانما قالوه عتوا وعنادا انا ارسلناك بالحق متلبسا مويدا به بشيرا و نذيرا فلا عليك ان اصروا او كابروا ولا تسئل عن اصحاب الجحيم ما لهم لم يومنوا بعد ان بلغت وقرا نافع ويعقوب لا تسئل على انه نهى للرسول عن السوال عن حال ابويه او تعظيم العقوبة الكفار كانها لفظاعتها لا يقدر ان يخبر عنها او السامع لا يصبر على استماع خبرها فنهاه عن السوال والجحيم المتاجج من النار ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم مبالغة في اقناط الرسول عن اسلامهم فانهم اذا لم يرضوا عنه حتى يتبع ملتهم فكيف يتبعون ملته و لعلهم قالوا مثل ذلك فحكى الله تعالى عنهم ولذلك قال قل تعليما للجواب ان هدى الله هو الهدى اى هدى الله الذى هو الاسلام هو الهدى بالحق لا ما تدعون اليه ولئن اتبعت اهواءهم آراءهم الزائغة والملة ما شرع الله تعالى لعباده على لسان انبيائه من امللت الكتاب اذا امليته والهوى راى يتبع الشهوة بعد الذى جاءك من العلم اى الوحى او الدين المعلوم صحته ما لك من الله من ولى ولا نصير يدفع عنك عقابه وهو جواب لئن الذين آتيناهم الكتاب يريد مومنى اهل الكتاب يتلونه حق تلاوته بمراعات اللفظ عن التحريف والتدبر في معناه والعمل بمقتضاه وهو حال مقدرة والخبر ما بعده او خبر على ان المراد بالموصول مومنو اهل الكتاب اولئك يومنون به بكتابهم دون المحرفين ومن يكفر به بالتحريف والكفر بما يصدقه فاولئك هم الخاسرون حيث اشتروا الكفر بالايمان يا بنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى انعمت عليكم وانى فضلتكم على العالمين واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها عدل و لا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون لما صدر قصتهم بالامر بذكر النعم والقيام بحقوقها والحذر عن اضاعتها والخوف عن الساعة واهوالها كرر ذلك وختم به الكلام معهم مبالغة في النصح وايذانا بانه فذلكة القصة والمقصود من القصة واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات كلفه باوامر ونواه والابتلا في الاصل التكليف بالامر الشاق من البلاء لكنه لما استلزم الاختبار بالنسبة الى من يجهل العواقب ظن ترادفهما والضمير لابراهيم وحسن لتقدمه لفظا

وان تاخر رتبة لان الشرط احد التقدمين والكلمات قد تطلق على المعانى فلذلك فسرت بالخصال الثلثين المحمودة المذكورة في قوله التائبون العابدون وقوله تعالى ان المسلمين الى آخر الايتين وقد افلح المومنون الى قوله اولئك هم الوارثون كما فسرت بها في قوله فتلقى آدم من ربه كلمات وبالعشر التى هى من سننه وبمناسك الحج وبالكواكب والقمرين وذبح الولد والنار والهجرة على انه تعالى عامله بها معاملة المختبر بهن وبما تضمنه الآيات التى بعدها وقرى ابراهيم ربه على انه دعا ربه بكلمات مثل ارنى كيف تحيى الموتى اجعل هذا البلد آمنا ليرى هل يجيبه ام لا وقرا ابن عامر ابراهام بالالف جميع ما في هذه السورة وفى النسا ثلثة احرف وهى الاخيرة وفى الانعام الحرف الاخير وفى التوبة الحرفان الاخيران وفى ابراهيم حرف وفى النحل حرفان وفى مريم ثلثة احرف وفى العنكبوت الحرف الاخير وفى حم عسق حرف وفى الذاريات حرف وفى النجم حرف وفى الحديد حرف وفى الممتحنة حرف الاول فذلك ثلثة وثلثون حرفا وقرا ابن ذكوان في البقرة خاصة بالوجهين فاتمهن فاداهن كملا وقام بهن حق القيام لقوله تعالى وابراهيم الذى وفى وفى الاخيرة الضمير اى اعطاه جميع ما دعاه قال انى جاعلك للناس اماما استيناف ان اضمرت ناصب اذ كانه قيل فماذا قال له ربه حين اتمهن فاجيب بذلك وبيان لقوله ابتلى فيكون الكلمات ما ذكره من الامامة وتطهير البيت ورفع قواعده والاسلام وان نصبته بقال فالمجموع جملة معطوفة على ما قبلها وجاعل من جعل الذى له مفعولان والامام اسم لمن يوتم به وامامته عامة مويدة اذ لم يبعث بعده نبى الا كان من ذريته مامورا باتباعه قال ومن ذريتى عطف على الكاف اى وبعض ذريتى كما تقول وزيدا في جواب ساكرمك والذرية نسل الرجل فعلية او فعولة قلبت راؤها الثالثة ياء كما في تقضيت من الذر بمعنى التفريق او فعولة او فعيلة قلبت همزتها من الذرء بمعنى الخلق وقرى ذريتى بالكسر وهى لغة قال لا ينال عهدى الظالمين اجابة الى ملتمسه وتنبيه على انه قد يكون من ذريته ظلمة وانهم لا ينالون الامامة لانها امانة من الله وعهد والظالم لا يصلح لها وانما ينالها البررة الاتقياء منهم وفيه دليل على عصمة الانبياء من الكبائر قبل البعثة وان الفاسق لا يصلح للامامة وقرى الظالمون والمعنى واحد اذ كل ما نالك فقد نلته واذ جعلنا البيت اى الكعبة غلب عليها كالنجم على الثريا مثابة للناس مرجعا يثوب اليه اعيان الزوار او امثالهم او موضع ثواب يثابون بحجه واعتماره وقرى مثابات لانه مثابة كل احد وامنا وموضع امن لا يتعرض لاهله كقوله تعالى حرما آمنا و يتخطف الناس من حولهم او يامن حاجه من عذاب الآخرة من حيث ان الحج يجب ما قبله او لا يواخذ الجانى الملتجى اليه حتى يخرج وهو مذهب ابى حنيفة رضه واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى على ارادة القول او عطف على المقدر عاملا لاذ او اعتراض معطوف على مضمر تقديره ثوبوا اليه و اتخذوا على ان الخطاب لامة محمد صلعم وهو امر استحباب ومقام ابراهيم الحجر الذى فيه اثر قدمه والموضع الذى

كان فيه الحجر حين قام عليه ودعا الناس الى الحج او رفع بناء البيت وهو موضعه اليوم روي انه عم اخذ بيد عمر فقال هذا مقام ابراهيم فقال عمر افلا نتخذه مصلى فقال لم اومر بذلك فلم تغب الشمس حتى نزلت وقيل المراد به الامر بركعتي الطواف لما روى جابر انه صم لما فرغ من طوافه عمد الى مقام ابراهيم فصلى خلفه ركعتين وقرى واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وللشافعي رح في وجوبهما قولان وقيل مقام ابراهيم الحرم كله وقيل مواقف الحج واتخاذها مصلى ان يدعى فيها ويتقرب الى الله تعالى وقرا نافع وابن عامر واتخذوا بلفظ الماضي عطفا على جعلنا اي واتخذ الناس مقامه الموسوم به يعني الكعبة قبلة يصلون اليها وعهدنا الى ابراهيم واسمعيل امرناهما ان طهرا بيتي بان طهرا ويجوز ان تكون ان مفسرة لتضمن العهد معنى القول يريد طهراه من الاوثان والارجاس وما لا يليق به او اخلصاه للطائفين حوله والعاكفين المقيمين عنده او المعتكفين فيه والركع السجود اي المصلين جمع راكع وساجد واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا يريد البلد او المكان بلدا آمنا ذا امن كقوله في عيشة راضية او آمنا اهله كقولك ليل نائم وارزق اهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر ابدل من آمن من اهله بدل البعض للتخصيص قال ومن كفر عطف على من آمن والمعنى وارزق من كفر قاس ابراهيم الرزق على الامامة فنبه سبحانه وتعالى على ان الرزق رحمة دنيوية تعم المؤمن والكافر بخلاف الامامة والتقدم في الدين او مبتدا تضمن معنى الشرط فامتعه قليلا خبره والكفر وان لم يكن سبب التمتيع ولكنه سبب تقليله بان يجعله مقصورا بحظوظ الدنيا غير متوسل به الى نيل الثواب ولذلك عطف عليه ثم اضطره الى عذاب النار اي الزه اليه لز المضطر لكفره وتضييعه ما متعته به من النعم وقليلا نصب على المصدر او الظرف وقرى بلفظ الامر فيهما على انه من دعاء ابراهيم وفي قال ضميره وقرا ابن عامر فامتعه من امتع وقرى فنمتعه ثم نضطره واضطره بكسر الهمزة على لغة من يكسر حروف المضارعة واطره بادغام الضاد وهو ضعيف لان حروف ضم شفر يدغم فيها ما يجاورها دون العكس وبئس المصير المخصوص بالذم محذوف وهو العذاب واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت حكاية حال ماضية والقواعد جمع قاعدة وهي الاساس صفة غالبة من القعود بمعنى الثبات ولعله مجاز من المقابل للقيام ومنه قعدك الله ورفعها البناء عليها فانه ينقلها عن هيئة الانخفاض الى هيئة الارتفاع ويحتمل ان يراد بها سافات البناء فان كل ساف قاعدة ما يوضع فوقه ويرفعها بناؤها وقيل المراد رفع مكانته واظهار شرفه بتعظيمه ودعاء الناس الى حجه وفي ابهام القواعد وتبيينها تفخيم لشانها واسمعيل كان يناوله الحجارة ولكنه لما كان له مدخل في البناء عطف عليه وقيل كانا يبنيان في طرفين او على التناوب ربنا تقبل منا اي يقولان ربنا وقد قرى به والجملة حال منهما

انك انت السميع لدعائنا العليم بنياتنا ربنا واجعلنا مسلمين لك مخلصين لك من اسلم وجهه او مستسلمين من اسلم اذا استسلم وانقاد والمراد طلب الزيادة في الاخلاص والاذعان او الثبات عليه وقرى مسلمين على ان المراد انفسهما وهاجر او ان التثنية من مراتب الجمع ومن ذريتنا امة مسلمة لك اي واجعل بعض ذريتنا وانما خصا الذرية بالدعاء لانهم احق بالشفقة ولانهم اذا صلحوا صلح بهم الاتباع وخصا بعضهم لما اعلما ان في ذريتهما ظلمة وعلما ان الحكمة الالهية لا تقتضي الاتفاق على الاخلاص والاقبال الكلي على الله تعالى فانه مما يشوش المعاش ولذلك قيل لولا الحمقى لخربت الدنيا وقيل اراد بالامة امة محمد صلى الله عليه وسلم ويجوز ان تكون من للتبيين كقوله تعالى وعد الله الذين آمنوا منكم قدم على المبين وفصل به بين العاطف والمعطوف كما في قوله خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن وارنا من راى بمعنى ابصر او عرف ولذلك لم يتجاوز مفعولين مناسكنا متعبداتنا في الحج او مذابحنا والنسك في الاصل غاية العبادة وشاع في الحج لما فيه من الكلفة والبعد عن العادة وقرا ابن كثير والسوسي عن ابي عمرو ويعقوب ارنا قياسا على فخذ في فخذ وفيه اجحاف لان الكسرة منقولة من الهمزة الساقطة دليل عليها وقرى عن ابي عمرو بالاختلاس وتب علينا استتابة لذريتهما او عما فرط منهما سهوا ولعلهما قالا هضما لانفسهما وارشادا لذريتهما انك انت التواب الرحيم لمن تاب ربنا وابعث فيهم في الامة المسلمة رسولا منهم ولم يبعث من ذريتهما غير محمد صلعم فهو المجاب به دعوتهما كما قال عليه السلام انا دعوة ابي ابراهيم وبشرى عيسى ورؤيا امي يتلو عليهم آياتك يقرا عليهم ويبلغهم ما يوحى اليه من دلائل التوحيد والنبوة ويعلمهم الكتاب القرآن والحكمة ما يكمل به نفوسهم من المعارف والاحكام ويزكيهم عن الشرك والمعاصي انك انت العزيز الذي لا يقهر ولا يغلب على ما يريد الحكيم المحكم له ومن يرغب عن ملة ابراهيم استبعاد وانكار لان يكون احد يرغب عن ملته الواضحة الغراء اي لا يرغب احد عن ملته الا من سفه نفسه الا من استمهنها واذلها واستخف بها قال المبرد وثعلب سفه بالكسر متعد وبالضم لازم ويشهد له ما جاء في الحديث الكبر ان تسفه الحق وتغمص الناس وقيل اصله سفه نفسه على الرفع فنصب على التمييز نحو غبن رايه والم راسه وقول جرير ونأخذ بعده بذناب عيش اجب الظهر ليس له سنام او سفه في نفسه فنصب بنزع الخافض والمستثنى في محل الرفع على المختار بدلا من الضمير في يرغب لانه في معنى النفي ولقد اصطفيناه في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين حجة وبيان لذلك فان كل من كان صفوة العباد في الدنيا مشهودا له بالاستقامة والصلاح يوم القيمة كان حقيقا بالاتباع لا يرغب عنه الا سفيه او متسفه اذل نفسه بالجهل والاعراض عن النظر اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين ظرف لاصطفيناه او تعليل له او منصوب باضمار اذكر كانه قال اذكر ذلك الوقت ليعلم

انه المصطفى الصالح المستحق للامامة والتقدم وانه نال ما نال بالمبادرة الى الاذعان واخلاص السر حين دعاه ربه واخطر
بباله دلائله المؤدية الى المعرفة الداعية الى الاسلام روي ان عبد الله بن سلام دعا ابني اخيه سلمة ومهاجر
الى الاسلام فاسلم سلمة وابى مهاجر ووصى بها ابراهيم بنيه التوصية هو التقدم الى الغير
بفعل فيه صلاح وقربة واصلها الوصلة يقال وصاه اذا وصله وفصاه اذا فصله كان الموصي يصل فعله
بفعل الوصي والضمير في بها للملة او لقوله اسلمت على تأويل الكلمة او الجملة وقرأ نافع وابن عامر اوصى والاول ابلغ و
يعقوب عطف على ابراهيم اي وصى هو ايضا بها بنيه وقرئ بالنصب على انه ممن وصاه ابراهيم
يا بني على اضمار القول عند البصريين متعلق بوصى عند الكوفيين لانه نوع منه ونظيره رجلان من ضبة اخبرانا
انا رأينا رجلا عريانا بالكسر وبنو ابراهيم كانوا اربعة اسمعيل واسحق ومدين ومدان وقيل ثمانية وقيل اربعة عشر
وبنو يعقوب اثنا عشر روبين وشمعون ولاوي ويهوذا ويشسوخور وزبولون ودوني ونفتوني
وكودا واوشير وبنيامين ويوسف ان الله اصطفى لكم الدين دين الاسلام
الذي هو صفوة الاديان لقوله تعالى فلا تموتن الا وانتم مسلمون ظاهره النهي عن الموت
على خلاف حال الاسلام والمقصود هو النهي عن ان يكونوا على خلاف تلك الحال اذا ماتوا والامر بالثبات على
الاسلام كقولك لا تصل الا وانت خاشع وتغيير العبارة للدلالة على ان موتهم لا على الاسلام موت لا خير فيه ومن
حقه ان لا يحل بهم ونظيره في الامر مت وانت شهيد روي ان اليهود قالوا لرسول الله صلعم ألست تعلم ان يعقوب
اوصى بنيه باليهودية يوم مات فنزلت ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت
ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار اي ما كنتم حاضرين اذ حضر يعقوب الموت وقال لبنيه ما قال فلم تدعون
اليهودية عليه او متصلة بمحذوف تقديره أكنتم غائبين ام كنتم شهداء وقيل الخطاب للمؤمنين والمعنى ما شاهدتم
ذلك وانما علمتموه من الوحي وقرئ حضر بالكسر اذ قال لبنيه بدل من اذ حضر ما تعبدون
من بعدي اي شيء تعبدونه اراد به تقريرهم على التوحيد والاسلام واخذ ميثاقهم على الثبات عليهما
وما يسأل به عن كل شيء ما لم يعرف فاذا عرف خص العقلاء بمن اذا سئل عن تعيينه وان سئل عن وصفه قيل ما زيد
افقيه ام طبيب قالوا نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسمعيل واسحق المتفق
على وجوده والوهيته ووجوب عبادته وعد اسمعيل من آبائه تغليبا للاب والجد او لانه كالاب لقوله
صلعم عم الرجل صنو ابيه كما قال في العباس رضه هذا بقية آبائي وقرئ اله ابيك على انه جمع بالواو والنون كما قال
ولما تبين اصواتنا بكين وفديننا بالابينا او مفرد وابراهيم وحده عطف بيان الها واحدا
بدل من اله آبائك كقوله بالناصية ناصية كاذبة وفائدته التصريح بالتوحيد ونفي التوهم الناشئ من تكرير المضاف

لتعذر العطف على المجرور والتأكيد او نصب على الاختصاص ونحن له مسلمون حال من فاعل نعبد
او مفعوله او منهما ويحتمل ان يكون اعتراضا تلك امة قد خلت يعني ابراهيم ويعقوب وبنيهما والامة
في الاصل المقصود وسمي بها الجماعة لان الفرق تؤمها لها ما كسبت ولكم ما كسبتم
لكل اجر عمله والمعنى ان انتسابكم اليهم لا يوجب انتفاعكم باعمالهم وانما تنتفعون بموافقتهم واتباعهم كما قال صلعم
لا يأتيني الناس باعمالهم وتأتوني بانسابكم ولا تسألون عما كانوا يعملون ولا تؤاخذون
بسيئاتهم كما لا تثابون بحسناتهم وقالوا كونوا هودا او نصارى الضمير الغائب لاهل الكتاب
واو للتنويع والمعنى مقالتهم احد هذين القولين قالت اليهود كونوا هودا وقالت النصارى كونوا نصارى تهتدوا
جواب الامر قل بل ملة ابراهيم اي بل نكون ملة ابراهيم اي اهل ملته او بل نتبع ملة ابراهيم وقرئت
بالرفع اي ملته ملتنا او عكسه او نحن ملته بمعنى نحن اهل ملته حنيفا مائلا عن الباطل الى الحق حال من المضاف او المضاف
اليه كقوله تعالى ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا وما كان من المشركين تعريض باهل
الكتاب وغيرهم فانهم يدعون اتباعه وهم مشركون قولوا آمنا بالله الخطاب للمؤمنين لقوله تعالى
فان آمنوا بمثل ما آمنتم به وما انزل الينا لانه اول بالاضافة الينا وسبب للايمان بغيره وما
انزل الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط الصحف وهي وان
نزلت الى ابراهيم لكنهم لما كانوا متعبدين بتفاصيلها داخلين تحت احكامها فهي ايضا منزلة اليهم كما ان القرآن منزل الينا
والاسباط جمع سبط وهو الحافد يريد به حفدة يعقوب او ابناءه وذراريهم فانهم حفدة ابراهيم واسحق وما
اوتي موسى وعيسى التوراة والانجيل افردهما بالذكر بحكم ابلغ لان امرهما بالاضافة الى موسى وعيسى
مغاير لما سبق والنزاع وقع فيهما وما اوتي النبيون المذكورون منهم وغير المذكورين من ربهم منزلا
عليهم من ربهم لا نفرق بين احد منهم كاليهود فنؤمن ببعض ونكفر ببعض واحد لوقوعه في سياق النفي عام
فساغ ان يضاف اليه بين ونحن له اي لله مسلمون مذعنون مخلصون فان آمنوا بمثل
ما آمنتم به فقد اهتدوا من باب التعجيز والتبكيت كقوله تعالى فأتوا بسورة من مثله اذ لا
مثل لما آمن به المسلمون ولا دين كدين الاسلام وقيل الباء للآلة دون التعدية والمعنى ان تحروا الايمان بطريق يهدي الى
الحق مثل طريقكم فان وحدة المقصد لا تأبى تعدد الطرق او مزيدة للتأكيد كقوله تعالى جزاء سيئة بمثلها و
المعنى فان آمنوا بالله ايمانا مثل ايمانكم به او المثل مقحم كما في قوله وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله اي عليه ويشهد له
قراءة من قرأ بما آمنتم به او بالذي آمنتم به وان تولوا فانما هم في شقاق اي ان اعرضوا عن الايمان او عما
تقولون لهم فما هم الا في شقاق الحق وهو المناواة والمخالفة فان كل واحد من المتخالفين في شق غير شق الآخر

يا علي ادركني

فسيكفيكهم الله تسلية وتسكين للمؤمنين ووعد لهم بالحفظ والنصرة على من ناواهم وهو السميع العليم اما من تمام الوعد بمعنى انه يسمع اقوالكم ويعلم اخلاصكم وهو مجازيكم لا محالة او وعيد للمعرضين بمعنى انه يسمع ما يبدون ويعلم ما يخفون وهو معاقبهم عليه صبغة الله اي صبغنا الله صبغته وهي الفطرة التي فطر الناس عليها فانها حلية الانسان كما ان الصبغة حلية المصبوغ او هدانا هدايته وارشدنا حجته او طهر قلوبنا بالايمان تطهيره وسماه صبغة لانه ظهر اثره عليهم ظهور الصبغ على المصبوغ وتداخل في قلوبهم تداخل الصبغ الثوب او للمشاكلة فان النصارى كانوا يغمسون اولادهم في ماء اصفر يسمونه المعمودية ويقولون هو تطهير لهم وبه تحق نصرانيتهم ونصبها على انها مصدر مؤكد لقوله آمنا وقيل على الاغراء وقيل على البدل من ملة ابراهيم ومن احسن من الله صبغة لا صبغة احسن من صبغته ونحن له عابدون تعريض بهم اي لا نشرك به كشرككم وهو عطف على آمنا وذلك يقتضي دخول قوله صبغة الله في مفعول قولوا ولمن نصبها على الاغراء او البدل ان يضمر قولوا معطوفا على الزموا او اتبعوا ملة ابراهيم وقولوا آمنا بدل اتبعوا حتى لا يلزم فك النظم وسوء الترتيب قل اتحاجوننا اي تجادلوننا في الله في شانه واصطفائه نبيا من العرب دونكم روي ان اهل الكتاب قالوا الانبياء كلهم منا فلو كنت نبيا لكنت منا فنزلت وهو ربنا وربكم لا اختصاص له بقوم دون قوم يصيب برحمته من يشاء من عباده ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم فلا يبعد ان يكرمنا باعمالنا كانه الزمهم على كل مذهب ينتحونه افحاما وتبكيتا فان كرامة النبوة اما تفضل من الله تعالى على من يشاء والكل فيه سواء واما افاضة حق على المستعدين لها بالمواظبة على الطاعة والتحلي بالاخلاص فكما ان لكم اعمالا ربما يعتبرها الله تعالى في اعطائها فلنا ايضا اعمال ونحن له مخلصون اي موحدون نخلصه بالايمان والطاعة دونكم ام يقولون ان ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط كانوا هودا او نصارى ام منقطعة والهمزة للانكار وعلى قراءة ابن عامر وحمزة والكسائي وحفص بالتاء يحتمل ان يكون معادلة للهمزة في اتحاجوننا بمعنى اي الامرين تاتون المحاجة او ادعاء اليهودية او النصرانية على الانبياء قل أانتم اعلم ام الله وقد نفى الامرين عن ابراهيم بقوله ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا واحتج عليه بقوله وما انزلت التورية والانجيل الا من بعده وهؤلاء المعطوفون عليه اتباعه في الدين وفاقا ومن اظلم ممن كتم شهادة عنده من الله يعني شهادة الله لابراهيم بالحنيفية والبراءة عن اليهودية والنصرانية والمعنى لا احد اظلم من اهل الكتاب لانهم كتموا هذه الشهادة او منا لو كتمنا هذه الشهادة وفيه تعريض بكتمانهم شهادة الله لمحمد صلعم بالنبوة في كتبهم وغيرها ومن للابتداء كما في قوله تعالى براءة من الله ورسوله وما الله بغافل عما

تعملون وعيد لهم وقرئ بالياء تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون تكرير للمبالغة في التحذير والزجر عما استحكم في الطبائع من الافتخار بالآباء والاتكال عليهم وقيل الخطاب فيما سبق لهم وفي الآية لنا تحذيرا عن الاقتداء بهم وقيل المراد بالامة في الاولى الانبياء وفي الثانية اسلاف اليهود والنصارى سيقول السفهاء من الناس الذين خف احلامهم واستمهنوها بالتقليد والاعراض عن النظر يريد المنكرين لتغيير القبلة من المنافقين واليهود والمشركين وفائدة تقديم الاخبار به توطين النفس واعداد الجواب ما ولاهم ما صرفهم عن قبلتهم التي كانوا عليها يعني بيت المقدس والقبلة في الاصل الحال التي عليها الانسان من الاستقبال فصارت عرفا للمكان المتوجه اليه للصلوة قل لله المشرق والمغرب لا يختص به مكان دون مكان لخاصية ذاتية تمنع اقامة غيره مقامه وانما العبرة بارتسام امره لا بخصوص المكان يهدي من يشاء الى صراط مستقيم وهو ما ترتضيه الحكمة وتقتضيه المصلحة من التوجه الى بيت المقدس تارة والكعبة اخرى وكذلك اشارة الى مفهوم الآية المتقدمة اي كما جعلناكم مهديين الى الصراط المستقيم او جعلنا قبلتكم افضل القبل جعلناكم امة وسطا اي خيارا او عدولا مزكين بالعلم والعمل وهو في الاصل اسم للمكان الذي يستوي اليه المساحة من الجوانب ثم استعير للخصال المحمودة لوقوعها بين طرفي افراط وتفريط كالجود بين الاسراف والبخل والشجاعة بين التهور والجبن ثم اطلق على المتصف بها مستويا فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث كسائر الاسماء التي يوصف بها واستدل به على ان الاجماع حجة اذ لو كان فيما اتفقوا عليه باطل لانثلمت به عدالتهم لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا علة للجعل اي لتعلموا بالتأمل فيما نصب لكم من الحجج وانزل عليكم من الكتاب انه تعالى ما بخل على احد وما ظلم بل اوضح السبل وارسل الرسل فبلغوا ونصحوا ولكن الذين كفروا حملهم الشقاء على اتباع الشهوات والاعراض عن الآيات فتشهدون بذلك على معاصريكم وعلى الذين قبلكم وبعدكم روي ان الامم يوم القيمة يجحدون تبليغ الانبياء فيطالبهم الله ببينة التبليغ وهو اعلم بهم اقامة للحجة على المنكرين فيؤتى بامة محمد صلعم فيشهدون فيقول الامم من اين عرفتم فيقولون علمنا ذلك باخبار الله تعالى في كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق فيؤتى بمحمد صلعم فيسأل عن حال امته فيشهد بعدالتهم وهذه الشهادة وان كانت لهم لكن لما كان الرسول كالرقيب المهيمن على امته عدي بعلى وقدمت الصلة للدلالة على اختصاصهم بكون الرسول شهيدا عليهم وما جعلنا القبلة التي كنت عليها اي الجهة التي كنت عليها وهي الكعبة فانه صلعم كان يصلي اليها بمكة ثم لما هاجر امر بالصلوة الى الصخرة تألفا لليهود او الصخرة لقول ابن عباس رضه كانت قبلته بمكة بيت المقدس الا انه كان يجعل الكعبة بينه وبينه فالمخبر به على الاول الجعل الناسخ وعلى الثاني المنسوخ والمعنى ان اصل امرك ان تستقبل الكعبة وما جعلنا

فاسد تعالى عالم بمن يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه قبل وجوده لكن هذا العلم لا تعلق به الجزاء ضرورة ان مجازاته حد للتكن الابعد وجوده بل بعد صدور الطاعة او المعصية عنه ثم اذا صار موجودا وصدر عنه الافعال يعلم الله به علما يتعلق به الجزاء فالله تعالى وان كان عالما به دائما الا ان العلم الذي يتعلق به مجازاته انما يحصل بعد وجوده تطلب

قوله واللام هي الفاصلة اي الفاصلة بين ان المخففة والنافية لاشتباهها بين الشدة على ما وقع في نسخ الكوفيين تعد

قبلتك بيت المقدس الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه الا لنمتحن الناس ونعلم من يتبعك في الصلوة اليها ممن يرتد عن دينك الفا لقبلة آبائه او لنعلم الآن من يتبع الرسول ممن لا يتبعه وما كان لعارض يزول بزواله وعلى الاول معناه ما رددناك الى ما كنت عليها الا لنعلم الثابت على الاسلام ممن ينكص على عقبيه لقلقه وضعف ايمانه فان قيل كيف يكون علمه تعالى غاية الجعل وهو لم يزل عالما قلت هذا واشباهه باعتبار التعلق الحالي الذي هو مناط الجزاء والمعنى ليتعلق علمنا به موجودا وقيل ليعلم رسوله والمؤمنون لكنه اسنده الى نفسه تعالى لانهم خواصه او ليتميز الثابت عن المتزلزل كقوله تعالى ليميز الله الخبيث من الطيب فوضع العلم موضع التمييز المسبب عنه ويشهد له قراءة ليعلم على البناء للمفعول والعلم اما بمعنى المعرفة او معلق لما في من من معنى الاستفهام او مفعوله الثاني ممن ينقلب اي لنعلم من يتبع الرسول متميزا ممن ينقلب وان كانت لكبيرة ان هي المخففة من المثقلة واللام هي الفاصلة وقال الكوفيون هي النافية واللام بمعنى الا والضمير لما دل عليه قوله وما جعلنا القبلة التي كنت عليها من الجعلة او الردة او التولية او التحويلة او القبلة وقرئ لكبيرة بالرفع فتكون كان زائدة الا على الذين هدى الله اي حكمة الاحكام الثابتين على الايمان والاتباع وما كان الله ليضيع ايمانكم اي ثباتكم على الايمان وقيل ايمانكم بالقبلة المنسوخة او صلوتكم اليها لما روي انه صلعم لما وجه الى الكعبة قالوا كيف بمن مات يا رسول الله قبل التحويل من اخواننا فنزلت ان الله بالناس لرءوف رحيم فلا يضيع اجورهم ولا يدع صلاحهم ولعله قدم الرءوف وهو ابلغ محافظة على الفواصل وقرأ الحرميان وابن عامر وحفص لرءوف بالمد والباقون بالقصر قد نرى تقلب وجهك في السماء اي تردد وجهك في جهة السماء تطلعا للوحي وكان رسول الله صلعم يقع في روعه ويتوقع من ربه ان يحوله الى الكعبة لانها قبلة ابيه ابراهيم واقدم القبلتين وادعى للعرب الى الايمان ولمخالفة اليهود وذلك يدل على كمال ادبه حيث انتظر ولم يسأل فلنولينك قبلة فلنمكننك من استقبالها من قولك وليته كذا اذا صيرته واليا له او فلنجعلنك تلي جهتها ترضاها تحبها وتتشوق اليها لمقاصد دينية وافقت مشية الله وحكمته فول وجهك اي اصرف وجهك شطر المسجد الحرام نحوه وقيل الشطر في الاصل لما انفصل عن الشيء من شطر اذا انفصل ودار شطور منفصلة عن الدور ثم استعمل لجانبه وان لم ينفصل كالقطر والحرام المحرم اي محرم فيه القتال او ممنوع عن الظلمة ان يتعرضوه وانما ذكر المسجد الحرام دون الكعبة لانه صلعم كان في المدينة والبعيد يكفيه مراعاة الجهة فان استقبال البعيد عينها حرج عليه بخلاف القريب وروي انه عم قدم المدينة فصلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا ثم وجه الى الكعبة في رجب بعد الزوال قبل قتال بدر بشهرين وقد صلى باصحابه في مسجد بني سلمة ركعتين من الظهر فتحول في الصلوة واستقبل الميزاب وتبادل الرجال والنساء صفوفهم فسمي المسجد مسجد القبلتين و

حيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره خص الرسول بالخطاب تعظيما له وايجابا لرغبته ثم عمم تصريحا بعموم الحكم وتاكيدا لامر القبلة وتحضيضا للامة على المتابعة وان الذين اوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم جملة لعلمهم بان عادته تعالى تخصيص كل شريعة بقبلة وتفصيلا لتضمن كتبهم انه يصلي الى القبلتين والضمير للتحويل او التوجه وما الله بغافل عما يعملون وعد ووعيد للفريقين وقراءة ابن عامر وحمزة والكسائي بالتاء ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب بكل آية برهان وحجة على ان الكعبة قبلة واللام موطئة للقسم ما تبعوا قبلتك جواب القسم المضمر والقسم وجوابه ساد مسد جواب الشرط والمعنى ما تركوا قبلتك لشبهة تزيلها بحجة وانما خالفوك مكابرة وعنادا وما انت بتابع قبلتهم قطع لاطماعهم فانهم قالوا لو ثبت على قبلتنا لكنا نرجو ان يكون صاحبنا الذي ننتظره تغريرا له وطمعا في رجوعه وقبلتهم وان تعددت لكنها متحدة بالبطلان ومخالفة الحق وما بعضهم بتابع قبلة بعض فان اليهود تستقبل الصخرة والنصارى مطلع الشمس لا يرجى توافقهم كما لا يرجى موافقتهم لك لتصلب كل حزب فيما هو فيه ولئن اتبعت اهواءهم من بعد ما جاءك من العلم على سبيل الفرض والتقدير اي ولئن اتبعتهم مثلا بعد ما بان لك الحق وجاءك فيه الوحي انك اذا لمن الظالمين واكد تهديده وبالغ فيه من سبعة اوجه لام القسم وان واللام في جوابه والجملة الاسمية والتعبير باذن لكونها للجواب والجزاء والدلالة على زيادة الربط وجمع الظالم واستغراقه وعده من الظلم المسبق به يستوجب ان اتباعه للاوسطة تعظيما للحق المعلوم وتحريضا على اقتفائه وتحذيرا عن متابعة الهوى واستفظاعا لصدور الذنب عن الانبياء الذين آتيناهم الكتاب يعني علماءهم يعرفونه الضمير لرسول الله وان لم يسبق ذكره لدلالة الكلام عليه وقيل للعلم او القرآن او التحويل كما يعرفون ابناءهم يشهد للاول اي يعرفونه باوصافه كمعرفتهم ابناءهم لا يلتبسون عليهم بغيرهم عن عمر انه سأل عبد الله بن سلام عن رسول الله فقال انا اعلم به مني بابني قال ولم قال لاني لست اشك في محمد انه نبي واما ولدي فلعل والدته خانت فقبل رأسه وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون تخصيص لمن عاند واستثناء لمن آمن الحق من ربك كلام مستانف والحق اما مبتدأ خبره من ربك واللام للعهد والاشارة الى ما عليه الرسول او الحق الذي يكتمونه او للجنس والمعنى ان الحق ما ثبت انه من الله كالذي انت عليه لا ما لم يثبت كالذي عليه اهل الكتاب واما خبر مبتدأ محذوف اي هو الحق ومن ربك حال او خبر بعد خبر وقرئ بالنصب على انه بدل من الاول او مفعول يعلمون فلا تكونن من الممترين الشاكين في انه من ربك او في كتمانهم الحق عالمين به وليس المراد به نهي الرسول عن الشك فيه لانه غير متوقع منه وليس بقصد واختيار بل كما قيل تحقيق الامر وانه بحيث لا يشك فيه ناظر او امر الامة باكتساب المعارف

المرجح للشك على الوجه الابلغ ولكل وجهة ولكل امة قبلة او لكل فرقة قبلة او لكل قوم من المسلمين جهة
وجانب من الكعبة والتنوين بدل الاضافة هو موليها احد المفعولين محذوف اى هو موليها وجهه او الله
موليها اياه وقرى لكل وجهة بالاضافة والمعنى وكل وجهة الله موليها اهلها واللام مزيدة للتاكيد جبر الضعف العامل
وقرا ابن عامر هو مولاها اى هو مولى تلك الجهة قد وليها فاستبقوا الخيرات من امر القبلة وغيره
مما ينال به سعادة الدارين او الفاضلات من الجهات وهى المسامتة للكعبة اينما تكونوا يات
بكم الله جميعا اى فى اى موضع تكونوا من موافق ومخالف مجتمع الاجزاء ومفترقها يحشركم الله الى
المحشر للجزاء او اينما تكونوا من اعماق الارض وقلل الجبال يقبض ارواحكم او اينما تكونوا من الجهات المتقابلة يات
بكم الله جميعا ويجعل صلواتكم كانها الى جهة واحدة ان الله على كل شى قدير فيقدر على الاماتة والاحيا
والجمع ومن حيث خرجت ومن اى مكان خرجت للسفر فول وجهك شطر
المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره كرر هذا الحكم
لتعدد علله فانه تعالى ذكر للتحويل ثلاث علل تعظيم الرسول بابتغاء مرضاته وجرى العادة الالهية على ان يولى كل
اهل ملة وصاحب دعوة وجهة يستقبلها ويتميز بها ودفع حجج المخالفين على ما نبينه وقرن بكل علة معلولها كما يقرن
المدلول بكل واحد من الدلائل تقريبا وتقريرا مع ان القبلة لها شان والنسخ من مظان الفتنة والشبهة فبالحرى ان يوكد امرها
ويعاد ذكرها مرة بعد اخرى لئلا يكون للناس عليكم حجة علة لقوله فولوا والمعنى ان
التولية عن الصخرة الى الكعبة تدفع احتجاج اليهود بان المنعوت فى التورية قبلته الكعبة وان محمدا يجحد ديننا ويتبعنا فى قبلتنا
والمشركين بانه يدعى ملة ابراهيم ويخالف قبلته الا الذين ظلموا منهم استثناء من الناس اى لئلا يكون
لاحد من الناس حجة الا المعاندين منهم فانهم يقولون ما تحول الى الكعبة الا ميلا الى دين قومه وحبا لبلده او بدا له فرجع
الى قبلة آبائه ويوشك ان يرجع الى دينهم وسمى هذه حجة كقوله حجتهم داحضة لانهم يسوقونها مساقها وقيل الحجة بمعنى
الاحتجاج وقيل الاستثناء للمبالغة فى نفى الحجة راسا كقوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب
للعلم بان الظالم لا حجة له وقرى الا الذين ظلموا على انه استيناف بحرف التنبيه فلا تخشوهم فلا تخافوهم فان
مطاعنهم لا تضركم واخشونى فلا تخالفوا ما امرتكم به ولاتم نعمتى عليكم ولعلكم
تهتدون علة محذوف اى امرتكم لاتمام النعمة عليكم وارادة اهتدائكم او عطف على علة مقدرة مثل
واخشونى لاحفظكم منهم ولاتم نعمتى عليكم او لئلا يكون وفى الحديث تمام النعمة دخول الجنة وعن على رضه تمام النعمة
الموت على الاسلام كما ارسلنا فيكم رسولا منكم متصل بما قبله اى ولاتم نعمتى عليكم
فى امر الدنيا او فى الآخرة كما اتممتها بارسال رسول منكم او بما بعده اى كما ذكرتكم بالارسال فاذكرونى يتلوا

عليكم آياتنا ويزكيكم يحملكم على ما تصيرون به ازكياء قدمه باعتبار القصد واخره
فى دعوة ابراهيم باعتبار الفعل ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم
ما لم تكونوا تعلمون بالفكر والنظر اذ لا طريق الى معرفته سوى الوحى وكرر الفعل ليدل على
انه جنس آخر فاذكرونى اذكركم بالثواب واشكروا لى ما انعمت به عليكم ولا
تكفرون بجحد النعم وعصيان الامر يا ايها الذين آمنوا استعينوا بالصبر
عن المعاصى وحظوظ النفس والصلوة التى هى ام العبادات ومعراج المومنين ومناجات رب
العالمين ان الله مع الصابرين بالنصر واجابة الدعوة ولا تقولوا لمن يقتل فى
سبيل الله اموات اى هم اموات بل احياء بل هم احياء ولكن لا تشعرون
ما حالهم وهو تنبيه على ان حياتهم ليست بالجسد ولا من جنس ما يحس به من الحيوانات وانما هى امر لا يدرك بالعقل بل بالوحى وعن
الحسن ان الشهداء احياء عند الله تعرض ارزاقهم على ارواحهم فيصل اليهم الروح والفرح كما تعرض النار على ارواح
آل فرعون غدوا وعشيا فيصل اليهم الوجع والآية نزلت فى شهداء بدر وكانوا اربعة عشر وفيها دلالة على ان الارواح
جواهر قائمة بانفسها مغايرة لما يحس من البدن تبقى بعد الموت دراكة وعليه جمهور الصحابة والتابعين وبه نطقت
الآيات والسنن وعلى هذا فتخصيص الشهداء لاختصاصهم بالقرب من الله تعالى ومزيد البهجة والكرامة و
لنبلونكم ولنصيبنكم اصابة من يختبر لاحوالكم هل تصبرون على البلاء وتستسلمون للقضاء بشىء
من الخوف والجوع اى بقليل من ذلك وانما قلله بالاضافة الى ما وقاهم عنه ليخفف عليهم ويريهم
ان رحمته لا تفارقهم او بالنسبة الى ما يصيب به معانديهم فى الآخرة وانما اخبرهم به قبل وقوعه ليوطنوا عليه نفوسهم
ونقص من الاموال والانفس والثمرات عطف على شىء او الخوف وعن الشافعى
رضه الخوف خوف الله والجوع صوم رمضان والنقص من الاموال الزكوة والصدقات ومن الانفس الامراض ومن
الثمرات موت الاولاد وعن النبى صلعم اذا مات ولد العبد قال الله تعالى للملئكة اقبضتم ولد عبدى فيقولون
نعم فيقول اقبضتم ثمرة قلبه فيقولون نعم فيقول الله تعالى ماذا قال عبدى فيقولون حمدك واسترجع فيقول الله ابنوا
لعبدى بيتا فى الجنة وسموه بيت الحمد وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم
مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون الخطاب للرسول او لمن تتاتى منه
البشارة والمصيبة تعم ما يصيب الانسان من مكروه لقوله عم كل شىء يوذى المومن فهو له مصيبة وليس الصبر بالاسترجاع
باللسان بل بالقلب بان يتصور ما خلق لاجله وانه راجع الى ربه ويتذكر نعم الله عليه ليرى ان ما ابقى عليه اضعاف ما استرده
فيهون على نفسه ويستسلم له والمبشر به محذوف دل عليه اولئك عليهم صلوات من ربهم

ورحمة الصلوة في اللغة الدعاء ومن الله التزكية والمغفرة وجمعها للتنبيه على كثرتها وتنوعها والمراد بالرحمة
اللطف والاحسان وعن النبي صلى الله عليه وسلم من استرجع عند المصيبة جبر الله مصيبته واحسن عقباه وجعل له خلفا صالحا يرضاه
اولئك هم المهتدون للحق والصواب حيث استرجعوا وسلموا لقضاء الله ان الصفا و
المروة هما علما جبلين بمكة من شعائر الله من اعلام مناسكه جمع شعيرة وهي العلامة فمن حج
البيت او اعتمر الحج لغة القصد والاعتمار الزيارة فغلبا شرعا على قصد البيت وزيارته
على الوجهين المخصوصين فلا جناح عليه ان يطوف بهما كان اساف على الصفا
ونائلة على المروة وكان اهل الجاهلية اذا سعوا مسحوهما فلما جاء الاسلام وكسر الاصنام تحرج المسلمون ان يطوفوا
بينهما لذلك فنزلت والاجماع على انه مشروع في الحج والعمرة وانما الخلاف في وجوبه فعن احمد انه سنة وبه قال
ابن عباس وانس لقوله تعالى فلا جناح عليه فانه يفهم منه التخيير وهو ضعيف لان نفي الجناح يدل على الجواز الداخل
في معنى الوجوب فلا يدفعه وعن ابي حنيفة انه واجب يجبر بالدم وعن مالك والشافعي انه ركن لقوله
عليه السلام اسعوا فان الله كتب عليكم السعي ومن تطوع خيرا اي فعل طاعة فرضا كان او نفلا او زاد على
ما فرض عليه من حج او عمرة او طواف او تطوع بالسعي ان قلنا انه سنة وخيرا نصب على انه صفة مصدر محذوف
او بحذف الجار وايصال الفعل اليه او بتعدية الفعل لتضمنه معنى اتى او فعل وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب
يطوع واصله يتطوع فادغم مثل يطوف فان الله شاكر عليم مثيب على الطاعة لا يخفى
عليه ان الذين يكتمون كاحبار اليهود ما انزلنا من البينات كالآيات الشاهدة
على امر محمد صلى الله عليه وسلم والهدى وما يهدي الى وجوب اتباعه والايمان به من بعد ما بيناه للناس
لخصناه في الكتاب في التورية اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون
اي الذين يتأتى منهم اللعن عليهم من الملائكة والثقلين الا الذين تابوا عن الكتمان وسائر ما يجب ان يتاب
عنه واصلحوا ما افسدوا بالتدارك وبينوا ما بينه الله في كتابهم لتتم توبتهم وقيل ما احدثوه من التوبة
ليمحوا سمة الكفر عنهم ويقتدي بهم اضرابهم فاولئك اتوب عليهم بالقبول والمغفرة وانا
التواب الرحيم المبالغ في قبول التوبة وافاضة الرحمة ان الذين كفروا وماتوا و
هم كفار اي ومن لم يتب من الكاتمين حتى مات اولئك عليهم لعنة الله و
الملائكة والناس اجمعين استقر عليهم لعن الله ومن يعتد بلعنه من خلقه وقيل الاول لعنهم
احياء وهذا لعنهم امواتا وقرئ والملائكة والناس اجمعون عطفا على محل اسم الله لانه فاعل في المعنى كقولك اعجبني
ضرب زيد وعمرو او فاعل الفعل مقدر نحو وتلعنهم الملائكة خالدين فيها اي في اللعنة او النار واضمارها قبل الذكر

تفخيما لشأنها وتهويلا او اكتفاء بدلالة اللعن عليها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون لا يمهلون
او لا ينظرون ليعتذروا او لا ينظر اليهم نظر رحمة والهكم اله واحد خطاب عام اي المستحق منكم العبادة
واحد لا شريك له يصح ان يعبد ويسمى الها لا اله الا هو تقرير للوحدانية وازاحة لان يتوهم ان في الوجود الها
ولكن لا يستحق منهم العبادة الرحمن الرحيم كالحجة عليها فانه لما كان مولى النعم كلها اصولها وفروعها وما سواه اما نعمة
او منعم عليه لم يستحق العبادة احد غيره وهما خبران آخران لقوله والهكم او لمبتدأ محذوف قيل لما سمعه المشركون تعجبوا وقالوا
ان كنت صادقا فأت بآية نعرف بها صدقك فنزلت ان في خلق السموات والارض وانما
جمع السموات وافرد الارض لانها طبقات متفاصلة بالذات مختلفة بالحقيقة بخلاف الارضين واختلاف
الليل والنهار تعاقبهما كقوله جعل الليل والنهار خلفة والفلك التي تجري في البحر
بما ينفع الناس اي بنفعهم او بالذي ينفعهم والقصد به الاستدلال بالبحر واحواله وتخصيص الفلك بالذكر
لانه سبب الخوض فيه والاطلاع على عجائبه ولذلك قدمه على ذكر المطر والسحاب لان منشأهما البحر في غالب الامر
وتأنيث الفلك لانه بمعنى السفينة وقرئ بضمتين على الاصل او الجمع وضمة الجمع غير ضمة الواحد عند المحققين وما
انزل الله من السماء من ماء من الاولى للابتداء والثانية للبيان والسماء يحتمل الفلك والسحاب وجهة العلو
فاحيا به الارض بعد موتها بالنبات وبث فيها من كل دابة عطف
على انزل كانه استدل بنزول المطر وتكون النبات به وبث الحيوانات في الارض او على احيا فان الدواب
ينمون بالخصب ويعيشون بالحيا والبث النشر والتفريق وتصريف الرياح في مهابها واحوالها
وقرأ حمزة والكسائي على الافراد والسحاب المسخر بين السماء والارض لا ينزل ولا ينقشع
مع ان الطبع يقتضي احدهما حتى يأتي امر الله وقيل مسخر للرياح تقلبه في الجو بمشية الله تعالى واشتقاقه من السحب لان بعضه
يجر بعضا لآيات لقوم يعقلون يتفكرون فيها وينظرون اليها بعيون عقولهم وعنه صلى الله عليه وسلم ويل لمن
قرأ هذه الآية فمج بها اي لم يتفكر فيها واعلم ان دلالة هذه الآيات على وجود الاله ووحدته من وجوه كثيرة يطول
شرحها مفصلا والكلام المجمل انها امور ممكنة وجد كل منها بوجه مخصوص من وجوه محتملة وانحاء مختلفة اذ كان من الجائز ان لا تتحرك
السموات او بعضها كالارض وان تتحرك بعكس حركاتها وبحيث تصير المنطقة دائرة مارة بالقطبين وان لا يكون لها اوج و
حضيض اصلا او على هذا الوجه لبساطتها وتساوي اجزائها فلا بد لها من موجد قادر حكيم يوجدها على ما تستدعيه حكمته و
تقتضيه مشيئته متعاليا عن معارضة غيره اذ لو كان معه اله يقدر على ما يقدر عليه فان توافقت ارادتهما فالفعل ان كان لهما
لزم اجتماع مؤثرين على اثر واحد وان كان لاحدهما لزم ترجيح الفاعل بلا مرجح وعجز الآخر المنافي لالهيته وان اختلفت لزم التمانع
والتطارد كما اشار اليه بقوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وفي الآية تنبيه على شرف علم الكلام واهله وحث

على الحث والنظر فيه ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا من الاصنام وقيل من
الرؤساء الذين كانوا يطيعونهم لقوله اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ولعل المراد اعم منهما وهو ما يشغله
عن الله يحبونهم كحب الله كتعظيمه والميل الى طاعته اى يسوون بينه وبينهم في المحبة والطاعة والمحبة ميل
القلب من الحب استعير لحبة القلب ثم اشتق منه الحب لانه اصابها ورسخ فيها ومحبة العبد لله ارادة طاعته والاعتناء
بتحصيل مراضيه ومحبة الله للعباد ارادة اكرامه واستعماله في الطاعة وصونه عن المعاصي والذين آمنوا اشد
حبا لله لانه لا ينقطع محبتهم لله بخلاف محبة الانداد فانها لاغراض فاسدة موهومة تزول بادنى سبب ولذلك
كانوا يعدلون عن آلهتهم الى الله عند الشدائد ويعبدون الصنم زمانا ثم يرفضونه الى غيره ولو يرى الذين
ظلموا ولو يعلم هؤلاء الذين ظلموا باتخاذ الانداد اذ يرون العذاب اذ عاينوه يوم القيمة واجرى
المستقبل مجرى الماضي لتحققه كقوله ونادى اصحاب الجنة ان القوة لله جميعا ساد مسد مفعولي يرى و
جواب لو محذوف اى لو يعلمون ان القوة لله جميعا اذا عاينوا العذاب لندموا اشد الندم وقيل هو متعلق الجواب
والمفعولان محذوفان والتقدير ولو يرى الذين ظلموا اندادهم لا تنفع لعلموا ان القوة لله كلها لا ينفع ولا يضر غيره وقرأ ابن عامر و
نافع ويعقوب ولو ترى على انه خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم اى ولو ترى ذلك لرأيت امرا عظيما وابن عامر اذ يرون على البناء
للمفعول ويعقوب ان بالكسر وكذا وان الله شديد العذاب على الاستئناف او اضمار القول
اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا بدل من اذ يرون اى اذ تبرأ المتبوعون من الاتباع وقرئ
بالعكس اى تبرأ الاتباع من الرؤساء ورأوا العذاب اى رائين له والواو للحال وقد مضمرة وقيل عطف
على تبرأ وتقطعت بهم الاسباب يحتمل العطف على تبرأ او رأوا والحال والاول اظهر و
الاسباب الوصل التي كانت بينهم من الاتفاق والاتباع على الدين والاغراض الداعية الى ذلك واصل السبب
الحبل الذي يرتقى به الى الشجر وقرئ وتقطعت على البناء للمفعول وقال الذين اتبعوا لو ان لنا كرة
فنتبرأ منهم كما تبرءوا منا لو للتمني ولذلك اجيب بالفاء اى ليت لنا كرة الى الدنيا
فنتبرأ منهم كذلك مثل ذلك الاراء الفظيع يريهم الله اعمالهم حسرات
عليهم ندامات وهي ثالث مفاعيل يرى ان كان من رؤية القلب والا فحال وما هم بخارجين من
النار اصله وما يخرجون فعدل به الى هذه العبارة للمبالغة في الخلود والاقناط عن الخلاص والرجوع الى الدنيا
يا ايها الناس كلوا مما في الارض حلالا نزلت في قوم حرموا على انفسهم رفيع الاطعمة
والملابس وحلالا مفعول كلوا او صفة مصدر محذوف او حال مما في الارض ومن للتبعيض اذ لا يؤكل كل ما في
الارض طيبا يستطيبه الشرع او الشهوة المستقيمة اذ الحلال دل عليه الاول ولا تتبعوا خطوات

الشيطان لا تقتدوا به في اتباع الهوى فتحرموا الحلال وتحللوا الحرام وقرأ نافع وابو عمرو وحمزة والبزي
وابو بكر حيث وقع بتسكين الطاء وهما لغتان في جمع خطوة وهو ما بين قدمي الخاطي وقرئ بضمتين وهمزة جعلت ضمة الطاء كانها
عليها وبفتحتين على انه جمع خطوة وهي المرة من الخطو انه لكم عدو مبين ظاهر العداوة عند ذوي
البصيرة وان كان يظهر الموالاة لمن يغويه ولذلك سماه وليا في قوله اولياؤهم الطاغوت انما يأمركم
بالسوء والفحشاء بيان لعداوته ووجوب التحرز عن متابعته واستعير الامر لتزيينه وبعثه لهم على الشر تسفيها
لرأيهم وتحقيرا لشأنهم والسوء والفحشاء ما انكره العقل واستقبحه الشرع والعطف لاختلاف الوصفين فانه سوء لاغتمام العاقل
به وفحشاء باستقباحه اياه وقيل السوء يعم القبائح والفحشاء ما يجاوز الحد في القبح من الكبائر وقيل الاول ما لا حد فيه
والثاني ما شرع فيه الحد وان تقولوا على الله ما لا تعلمون كاتخاذ الانداد وتحليل المحرمات و
تحريم الطيبات وفيه دليل على المنع من اتباع الظن رأسا واما اتباع المجتهد لما ادى اليه ظن مستند الى مدرك شرعي
فوجوبه قطعي والظن في طريقه كما بيناه في الكتب الاصولية واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله الضمير
للناس وعدل عن الخطاب معهم للنداء على ضلالهم كانه التفت الى العقلاء وقال لهم انظروا الى هؤلاء الحمقى ماذا يجيبون
قالوا بل نتبع ما الفينا عليه آباءنا ما وجدناهم عليه نزلت في المشركين امروا باتباع القرآن وسائر
ما انزل الله من الحجج والآيات فجنحوا الى التقليد وقيل في طائفة من اليهود دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الاسلام فقالوا
بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا لانهم كانوا خيرا منا واعلم وعلى هذا يعم ما انزل الله التورية لانها ايضا تدعو الى الاسلام
اولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون الواو للحال او العطف والهمزة
للرد والتعجيب وجواب لو محذوف اى لو كان آباؤهم لا يعقلون في امر الدين ولا يهتدون الى الحق لاتبعوهم
وهو دليل على المنع من التقليد لمن قدر على النظر والاجتهاد واما اتباع الغير في الدين اذا علم بدليل ما انه محق كالانبياء و
المجتهدين في الاحكام فهو في الحقيقة ليس بتقليد بل اتباع لما انزل الله ومثل الذين كفروا
كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء على حذف مضاف تقديره ومثل
داعي الذين كفروا كمثل الذي ينعق او مثل الذين كفروا كمثل البهائم الذي ينعق والمعنى ان الكفرة لانهماكهم في التقليد
لا يلقون اذهانهم الى ما يتلى عليهم ولا يتأملون فيما يقرر معهم فهم في ذلك كالبهائم التي ينعق عليها فتسمع الصوت
ولا تعرف مغزاه وتحس بالنداء ولا تفهم معناه وقيل هو تمثيلهم في اتباع آبائهم على ظاهر حالهم جاهلين بحقيقتها بالبهائم
التي تسمع الصوت ولا تفهم ما تحته او تمثيلهم في دعائهم الاصنام بالناعق في نعقه وهو التصويت على البهائم
وهذا يغني عن الاضمار ولكن لا يساعده قوله الا دعاء ونداء لان الاصنام لا تسمع الا ان يجعل ذلك من باب التمثيل
المركب صم بكم عمي رفع على الذم فهم لا يعقلون اى بالفعل للاخلال بالنظر

يا ايها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم لما وسع الامر على الناس كافة
واباح لهم ما في الارض سوى ما حرم عليهم امر المؤمنين منهم ان يتحروا طيبات ما رزقوا ويقوموا بحقوقها فقال و
اشكروا لله على ما رزقكم واحل لكم ان كنتم اياه تعبدون فان عبادته لا تتم
الا بالشكر فالمعلق بفعل العبادة هو الامر بالشكر لاتمامه وهو عدم عند عدمه وعن النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى اني و
الانس والجن في نبأ عظيم اخلق ويعبد غيري وارزق ويشكر غيري انما حرم عليكم الميتة
اكلها والانتفاع بها وهي التي ماتت من غير ذكاة والحديث الحق بها ما ابين من حي والسمك والجراد
اخرجهما العرف عنها او استثناء الشرع عنها والحرمة المضافة الى العين تفيد عرفا حرمة التصرف فيها مطلقا الا
ما خصه الدليل كالتصرف في المدبوغ والدم ولحم الخنزير انما خص اللحم بالذكر لانه معظم ما يؤكل
من الحيوان وسائر اجزائه كالتابع له وما اهل به لغير الله اي رفع به الصوت عند ذبحه للصنم
والاهلال اصله رؤية الهلال يقال اهل الهلال واهللته لكن لما جرت العادة ان يرفع الصوت بالتكبير اذا
رئي سمي ذلك اهلالا ثم قيل لرفع الصوت وان كان لغيره فمن اضطر غير باغ بالاستئثار على مضطر
اخر ولا عاد سد الرمق والجوعة وقيل غير باغ على الوالي ولا عاد بقطع الطريق فعلى هذا لا يباح للعاصي
بالسفر وهو ظاهر مذهب الشافعي وقول احمد فلا اثم عليه في تناوله ان الله غفور لما فعل
رحيم بالرخصة فيه فان قيل انما تفيد قصر الحكم على ما ذكر وكم من حرام لم يذكر قلت المراد قصر الحرمة على ما ذكر
مما استحلوه لا مطلقا او قصر حرمته على حال الاختيار كانه قيل انما حرم عليكم هذه الاشياء ما لم تضطروا اليها ان
الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا
قليلا عوضا حقيرا اولئك ما يأكلون في بطونهم الا النار اما في الحال لانهم اكلوا
ما يتلبس بالنار لكونها عقوبة عليه فكانه اكل النار كقوله اكلت دما ان لم ارعك بضرة بعيدة مهوى القرط طيبة النشر يعني الدية او في المآل
اي لا يأكلون يوم القيامة الا النار ومعنى في بطونهم ملء بطونهم يقال اكل في بطنه واكل في بعض بطنه كقوله
كلوا في بعض بطنكم تعفوا فان زمانكم زمن خميص ولا يكلمهم الله يوم القيامة عبارة عن غضبه
عليهم وتعريض بحرمانهم حال مقابليهم في الكرامة والزلفى من الله ولا يزكيهم لا يثني عليهم و
لهم عذاب اليم مؤلم اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى في الدنيا
والعذاب بالمغفرة في الاخرة بكتمان الحق للمطامع والاغراض الدنيوية فما اصبرهم
على النار تعجب من حالهم في الالتباس بموجبات النار من غير مبالاة وما تامة مرفوعة بالابتداء وتخصيصها
كتخصيص قولهم شر اهر ذا ناب او استفهامية وما بعدها الخبر او موصولة وما بعدها صلة والخبر محذوف ذلك بان

الله نزل الكتاب بالحق اي ذلك العذاب بسبب ان الله نزل الكتاب بالحق فرفضوه
بالتكذيب او الكتمان وان الذين اختلفوا في الكتاب اللام فيه اما للجنس واختلافهم ايمانهم
ببعض كتب الله تعالى وكفرهم ببعض او للعهد والاشارة اما الى التوراة واختلفوا بمعنى تخلفوا عن المنهج المستقيم في تاويلها او
خلفوا خلاف ما انزل الله مكانه اي حرفوا ما فيها واما الى القرآن واختلافهم فيه قولهم سحر وتقول وكلام علمه بشر واساطير
الاولين لفي شقاق بعيد لفي خلاف بعيد عن الحق ليس البر ان تولوا وجوهكم
قبل المشرق والمغرب البر كل فعل مرضي والخطاب لاهل الكتاب فانهم اكثروا الخوض
في امر القبلة حين حولت وادعى كل طائفة ان البر هو التوجه الى قبلته فرد الله عليهم وقال ليس البر ما انتم عليه فانه منسوخ
ولكن البر ما بيناه واتبعه المؤمنون وقيل عام لهم وللمسلمين اي ليس البر مقصورا بامر القبلة او ليس البر العظيم الذي يحسن ان تذهلوا
بشأنه عن غيره امره ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة و
الكتاب والنبيين اي ولكن البر الذي ينبغي ان يهتم به بر من آمن بالله او لكن ذا البر من آمن ويؤيده قراءة من قرأ و
لكن البار والاول اوفق واحسن والمراد بالكتاب الجنس او القرآن وقرأ نافع وابن عامر ولكن بالتخفيف ورفع البر وآتى
المال على حبه اي على حب المال كما قال عليه السلام لما سئل اي الصدقة افضل قال ان تؤتيه وانت صحيح شحيح
تأمل العيش وتخشى الفقر وقيل الضمير لله او للمصدر والجار والمجرور في موضع الحال ذوي القربى و
اليتامى يريد المحاويج منهم ولم يقيد لعدم الالتباس وقدم ذوي القربى لان ايتاءهم افضل كما قال عليه السلام صدقتك
على المسكين صدقة وعلى ذي رحمك اثنتان صدقة وصلة والمساكين جمع المسكين وهو الذي اسكنته الخلة
واصله دائم السكون كالمسكير لدائم السكر وابن السبيل المسافر سمي به لملازمته السبيل كما سمي القاطع
الطريق وقيل الضيف لان السبيل رعف به والسائلين الذين الجأتهم الحاجة الى السؤال وقال عليه السلام للسائل
حق وان جاء على فرسه وفي الرقاب وفي تخليصها بمعاونة المكاتبين او فك الاسارى او ابتياع
الرقاب لعتقها واقام الصلوة المفروضة وآتى الزكوة يحتمل ان يكون المقصود منه ومن قوله
وآتى المال الزكوة المفروضة ولكن الغرض من الاول بيان مصارفها ومن الثاني اداؤها والحث عليها ويحتمل ان يكون المراد
بالاول نوافل الصدقات او حقوقا كانت في المال سوى الزكوة وفي الحديث نسخت الزكوة كل صدقة والموفون
بعهدهم اذا عاهدوا عطف على من آمن والصابرين في البأساء والضراء
نصبه على المدح ولم يعطف لفضل الصبر على سائر الاعمال وعن الازهري البأساء في المال كالفقر والضراء في الانفس كالمرض
وحين البأس وقت مجاهدة العدو اولئك الذين صدقوا في الدين واتباع الحق وطلب البر
واولئك هم المتقون عن الكفر وسائر الرذائل والآية كما ترى جامعة للكمالات الانسانية باسرها دالة عليها صريحا

فان قلت لم عفى متعدى بعن لا باللام فما وجه قوله فمن عفى له قلت يتعدى بعن الى الجاني والى الذنب فيقال عفوت عن فلان وعن ذنبه قال الله تعالى عفى الله عنك وقال عفى الله عنها

او صفنا وانها بكثرتها وتشعبها منحصرة في ثلاثة اشيا صحة الاعتقاد وحسن المعاشرة وتهذيب النفس وقد اشير الى الاول بقوله
من امن الى والنبيين والى الثاني بقوله واتى المال الى وفي الرقاب والى الثالث بقوله واقام الصلوة الى اخرها ولذلك وصف
المستجمع لها بالصدق نظرا الى ايمانه واعتقاده وبالتقوى اعتبارا بمعاشرته للخلق ومعاملته مع الحق واليه اشار بقوله عم
من عمل بهذه الاية فقد استكمل الايمان يا ايها الذين امنوا كتب عليكم القصاص في
القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى كان في الجاهلية بين حيين
من احيا العرب دما وكان لاحدهما طول على الاخر فاقسموا لنقتلن الحر منكم بالعبد منا والذكر بالانثى فلما جا الاسلام
تحاكموا الى رسول الله صلعم فنزلت وامرهم ان يتباوؤا ولا يدل على ان لا يقتل الحر بالعبد والذكر بالانثى كما لا يدل
على عكسه فان المفهوم حيث لم يظهر للتخصيص غرض سوى اختصاص الحكم وقد بينا ما كان الغرض وانما منع مالك
والشافعي رضه قتل الحر بالعبد سوا كان عبده او عبد غيره لما روي عن علي رضي الله عنه ان رجلا قتل عبده فجلده
النبي صلعم ونفاه سنة ولم يقده به وروي عنه انه قال من السنة ان لا يقتل مسلم بذي عهد ولا حر بعبد و
لان ابا بكر وعمر رضي الله عنهما كانا لا يقتلان الحر بالعبد بين اظهر الصحابة من غير نكير وللقياس على الاطراف ومن
سلم دلالته فليس له دعوى نسخه بقوله النفس بالنفس لانه حكاية ما في التورية فلا ينسخ ما في القران واحتجت الحنفية
به على ان مقتضى العمد القود وحده وهو ضعيف اذ الواجب على التخيير يصدق عليه انه وجب وكتب ولذلك قيل التخيير بين
الواجب وغيره ليس نسخا لوجوبه وقرى كتب على البنا للفاعل والقصاص بالنصب وكذا كل فعل جا
في القران فمن عفي له من اخيه شي اي شي من العفو لان عفا لازم وفايدته الاشعار بان بعض
العفو كالعفو التام في اسقاط القصاص وقيل عفا بمعنى ترك وشي مفعول به وهو ضعيف اذ لم يثبت عفا
الشي بمعنى تركه بل اعفاه وعفا يعدى بعن الى الجاني والى الذنب قال الله تعالى عفا الله عنك وقال عفا الله عنها فاذا
عدي به الى الذنب عدي الى الجاني باللام وعليه ما في الاية كانه قيل فمن عفي له عن جنايته من جهة اخيه يعني ولي الدم
وذكره بلفظ الاخوة الثابتة بينهما من الجنسية والاسلام ليرق له ويعطف عليه فاتباع بالمعروف
واداء اليه باحسان اي فليكن اتباع او فالامر اتباع والمراد به وصية العافي بان يطالب
الدية بالمعروف فلا يعنف والمعفو عنه بان يوديها بالاحسان وهو ان لا يمطل ولا يبخس وفيه دليل على ان الدية
احد مقتضى العمد والا لما رتب الامر بادائها على مطلق العفو وللشافعي رضه في المسئلة قولان ذلك اي الحكم
المذكور في العفو والدية تخفيف من ربكم ورحمة لما فيه من التسهيل والنفع قيل كتب على اليهود
القصاص وحده وعلى النصارى العفو مطلقا وخير هذه الامة بينهما وبين الدية تيسيرا عليهم وتقديرا للحكم
على حسب مراتبهم فمن اعتدى بعد ذلك قتل بعد العفو واخذ الدية فله عذاب

اليم في الاخرة وقيل في الدنيا بان يقتل لا محالة لقوله صلعم لا اعافي احدا قتل بعد اخذ الدية ولكم
في القصاص حيوة كلام في غاية الفصاحة والبلاغة من حيث جعل الشي محل ضده وعرف القصاص و
نكر الحيوة ليدل على ان في هذا الجنس من الحكم نوعا من الحيوة عظيما وذلك لان العلم به يردع القاتل عن القتل فيكون سبب
حيوة نفسين ولانهم كانوا يقتلون غير القاتل والجماعة بالواحد فتثور الفتنة بينهم فاذا اقتص من القاتل سلم الباقي
ويصير ذلك سببا لحيوتهم وعلى الاول فيه اضمار وعلى الثاني تخصيص وقيل المراد بها الحيوة الاخروية فان القاتل
اذا اقتص منه في الدنيا لم يواخذ في الاخرة ولكم في القصاص حيوة يحتمل ان يكونا خبرين لحيوة وان يكون احدهما خبرا
والاخر صلة له او حالا من الضمير المستكن فيه وقرى في القصص اي فيما قص عليكم من حكم القتل حيوة او في القران حيوة
للقلوب يا اولي الالباب ذوي العقول الكاملة ناداهم للتامل في حكمة القصاص من استبقاء الارواح
وحفظ النفوس لعلكم تتقون في المحافظة على القصاص والحكم به والاذعان له او عن القصاص فتكفوا عن القتل
كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت اي حضر اسبابه وظهر اماراته ان ترك
خيرا مالا وقيل مالا كثيرا لما روي عن علي رضه ان مولى له اراد ان يوصي وله سبعمائة درهم فمنعه وقال قال الله تعالى
ان ترك خيرا والخير المال الكثير وعن عائشة رضه ان رجلا اراد ان يوصي فسالته كم مالك فقال ثلثة الاف فقالت
كم عيالك فقال اربعة قالت انما قال الله تعالى ان ترك خيرا وان هذا الشي يسير فاتركه لعيالك الوصية
للوالدين والاقربين مرفوع بكتب وتذكير فعلها للفصل او على تاويل ان يوصي او الايصاء ولذلك
ذكر الراجع في قوله فمن بدله والعامل في اذا مدلول كتب لا الوصية لتقدمه عليها وقيل مبتدا خبره للوالدين والجملة
جواب الشرط باضمار الفا كقوله ومن يفعل الحسنات الله يشكرها ورد بانه ان صح فمن ضرورات الشعر وكان هذا الحكم
في بدو الاسلام فنسخ باية المواريث وبقوله صلعم ان الله اعطى كل ذي حق حقه الا لا وصية لوارث وفيه نظر لان اية
المواريث لا تعارضه بل توكده من حيث انها تدل على تقديم الوصية مطلقا والحديث من الاحاد وتلقي الامة
له بالقبول لا يلحقه بالمتواتر ولعله احترز عنه من فسر الوصية بما اوصى به الله من توريث الوالدين والاقربين بقوله
يوصيكم الله او بايصا المحتضر لهم بتوفير ما اوصى به الله عليهم بالمعروف بالعدل فلا يفضل الغني ولا يتجاوز
الثلث حقا على المتقين مصدر موكد اي حق ذلك حقا فمن بدله غيره من الاوصيا والشهود
بعد ما سمعه وصل اليه وتحقق عنده فانما اثمه على الذين يبدلونه فما اثم الايصا
المغير او التبديل الا على مبدليه لانهم الذين خانوا وخالفوا الشرع ان الله سميع عليم وعيد للمبدل بغير حق
فمن خاف من موص اي توقع وعلم من قولهم اخاف ان ترسل السما وقرا حمزة والكسائي ويعقوب و
ابو بكر موص جنفا ميلا بالخطا في الوصية او اثما تعمدا للحيف فاصلح بينهم بين الموصى لهم باجرائهم

على نهج الشرع فلا اثم عليه في هذا التبديل لانه تبديل باطل الى حق بخلاف الاول ان الله غفور
رحيم وعد للمصلح وذكر المغفرة لمطابقة ذكر الاثم وكون الفعل من جنس ما يؤثم به يا ايها الذين
آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم من الانبياء والامم
من لدن آدم وفيه تأكيد للحكم وترغيب على الفعل وتطييب على النفس والصوم في اللغة الامساك عما تنازع اليه النفس وفي
الشرع الامساك عن المفطرات فانها معظم ما تشتهيه الانفس لعلكم تتقون المعاصي فان الصوم
يكسر الشهوة التي هي مبدؤها كما قال عليه السلام فعليه بالصوم فان له وجاء او الاخلال باداته لاصالته وقدمه اياما
معدودات موقتات بعدد معلوم او قلائل فان القليل من المال يعد عدا والكثير يهال هيلا ونصبها
ليس بالصيام لوقوع الفصل بينهما بل باضمار صوموا لدلالة الصيام عليه والمراد بها رمضان او ما وجب صومه قبل وجوبه
ونسخ به وهو عاشوراء وثلاثة ايام من كل شهر او بكما كتب على الظرفية او على انه مفعول ثان لكتب عليكم على السعة وقيل معناه
صومكم كصومهم في عدد الايام لما روي ان رمضان كتب على النصارى فوقع في برد او حر شديد فحولوه
الى الربيع وزادوا عليه عشرين كفارة لتحويله وقيل زادوا ذلك لموتان اصابهم فمن كان منكم مريضا
مرضا يضره الصوم او يعسر معه او على سفر او راكب سفر وفيه ايماء بان من سافر اثناء اليوم لم يفطر فعدة
من ايام اخر اي فعليه صوم عدد ايام المرض او السفر من ايام اخر ان افطر فحذف الشرط والمضاف والمضاف اليه
للعلم بها وقرئ بالنصب اي فليصم عدة وهذا على سبيل الرخصة وقيل على الوجوب واليه ذهب الظاهرية وبه قال
ابو هريرة وعلى الذين يطيقونه وعلى المطيقين للصيام ان افطروا فدية طعام مسكين نصف صاع
من بر او صاع من غيره عند فقهاء العراق ومد عند فقهاء الحجاز رخص لهم في ذلك اول الامر لما امروا بالصوم فاشتد
عليهم لانهم لم يتعودوا ثم نسخ وقرأ نافع وابن عامر باضافة الفدية الى الطعام وجمع المساكين وقرأ هشام طعام مساكين
بغير اضافة الفدية الى الطعام والباقون بغير اضافة وتوحيد مسكين وقرئ يطوقونه اي يكلفونه او يقلدونه من الطوق
بمعنى الطاقة او القلادة ويتطوقونه اي يتكلفونه او يتقلدونه ويطوقونه بالادغام ويطيقونه ويتطيقونه على ان
اصلهما يطيوقونه من فيعل وتفيعل بمعنى يتطوقونه وعلى هذه القراءات يحتمل معنى ثانيا وهو الرخصة لمن يتعبه الصوم و
يجهده وهم الشيوخ والعجائز في الافطار والفدية فيكون ثابتا وقد اول به القراءة المشهورة اي يصومونه جهدهم
وطاقتهم فمن تطوع خيرا فزاد في الفدية فهو فالتطوع او الخير خير له وان تصوموا
ايها المطيقون او المطوقون وجهدتم طاقتكم او المرخصون في الافطار ليندرج تحته المريض والمسافر خير
لكم من الفدية او تطوع الخير او منهما ومن التأخير للقضاء ان كنتم تعلمون ما في الصوم من
الفضيلة وبراءة الذمة وجوابه محذوف دل عليه ما قبله اي اخترتموه وقيل معناه ان كنتم من اهل العلم

والتدبر علمتم ان الصوم خير لكم من ذلك شهر رمضان الذي مبتدأ خبره ما بعده او خبر مبتدأ محذوف
تقديره ذلك شهر رمضان او بدل من الصيام على حذف المضاف اي كتب عليكم الصيام صيام شهر رمضان وقرئ
بالنصب على اضمار صوموا او على انه مفعول وان تصوموا وفيه ضعف او بدل من اياما معدودات ورمضان مصدر رمض
اذا احترق فاضيف اليه الشهر وجعل علما ومنع من الصرف للعلمية والالف والنون كما منع داية في ابن داية علما للغراب
للعلمية والتأنيث وقوله عليه السلام من صام رمضان فعلى حذف المضاف لامن الالتباس وانما سموه بذلك لارتماضهم فيه
من حر الجوع والعطش او لارتماض الذنوب فيه او لوقوعه ايام رمض الحر حيث ما نقلوا اسماء الشهور عن اللغة القديمة الذي
انزل فيه القرآن اي الذي ابتدئ فيه انزاله وكان ذلك ليلة القدر او انزل فيه جملة الى السماء الدنيا ثم نزل منجما الى
الارض او انزل في شأنه القرآن وهو قوله كتب عليكم الصيام وعن النبي صلعم نزلت صحف ابراهيم اول ليلة من رمضان وانزلت
التوراة لست مضين والانجيل لثلث عشرة والقرآن لاربع وعشرين والموصول بصلته خبر المبتدأ او صفته والخبر فمن
شهد والفاء لوصف المبتدأ بما تضمن معنى الشرط وفيه اشعار بان الانزال فيه سبب اختصاصه بوجوب الصوم فيه هدى
للناس وبينات من الهدى والفرقان حالان من القرآن اي انزل وهو هداية للناس باعجازه
وآيات واضحات مما يهدي الى الحق ويفرق بينه وبين الباطل بما فيه من الحكم والاحكام فمن شهد منكم
الشهر فليصمه فمن حضر في الشهر ولم يكن مسافرا فليصم فيه والاصل فمن شهد فيه فليصم فيه ولكن وضع المظهر موضع
المضمر الاول للتعظيم ونصب على الظرف وحذف الجار ونصب ضمير الثاني على الاتساع وقيل فمن شهد منكم هلال الشهر فليصمه
على انه مفعول به كقولك شهدت الجمعة اي صلاتها فيكون ومن كان منكم مريضا او على
سفر فعدة من ايام اخر مخصصا له لان المسافر والمريض ممن شهد الشهر ولعل تكريره لذلك او لئلا
يتوهم نسخه بنسخ قرينه يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر اي يريد ان ييسر
عليكم ولا يعسر ولذلك اباح الفطر للسفر والمرض ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على
ما هداكم ولعلكم تشكرون علل لفعل محذوف دل عليه ما سبق اي وشرع جملة ما ذكر من امر الشاهد
لصوم الشهر والمرخص بالقضاء ومراعاة عدة ما افطر فيه والترخيص لتكملوا العدة الى آخرها على سبيل اللف فان قوله
لتكملوا علة الامر بمراعاة العدة ولتكبروا الله علة الامر بالقضاء وبيان كيفيته ولعلكم تشكرون علة الترخيص والتيسير او
لافعال كل لفعله او معطوفة على علة مقدرة مثل ليسهل عليكم او لتعلموا ما تعلمون ولتكملوا ويجوز ان يعطف على اليسر
اي ويريد بكم لتكملوا كقوله يريدون ليطفئوا والمعنى بالتكبير تعظيم الله بالحمد والثناء عليه ولذلك عدي بعلى وقيل تكبير
يوم الفطر وقيل التكبير عند الاهلال وما يحتمل المصدر والخبر اي الذي هداكم اليه وعن عاصم برواية ابي بكر ولتكملوا بالتشديد
واذا سألك عبادي عني فاني قريب اي فقل لهم اني قريب وهو تمثيل لكمال علمه

بأحوال العباد وأقوالهم واطلاعه على أحوالهم بحال من قرب مكانه منهم روي أن أعرابيا قال لرسول الله صلعم أقريب ربنا
فنناجيه أم بعيد فنناديه فنزلت أجيب دعوة الداع إذا دعان تقرير للقرب ووعد للداعي
بالإجابة فليستجيبوا لي إذا دعوتهم للإيمان والطاعة كما أجيبهم إذا دعوني لمهماتهم وليؤمنوا
بي أمر بالثبات والمداومة عليه لعلهم يرشدون راجين إصابة الرشد وهو إصابة الحق وقرئ
بفتح الشين وكسرها واعلم أنه تعالى لما أمرهم بصوم الشهر ومراعاة العدة وحثهم على القيام بوظائف التكبير والشكر عقبه
بهذه الآية الدالة على أنه خبير بأحوالهم سميع لأقوالهم مجيب لدعائهم مجازيهم على أعمالهم تأكيدا له وحثا عليه ثم بين
أحكام الصوم فقال أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم روي أن المسلمين
كانوا إذا أمسوا أحل لهم الأكل والشرب والجماع إلى أن يصلوا العشاء أو أن يرقدوا ثم إن عمر رضه باشر بعد العشاء
فندم وأتى النبي صلعم واعتذر إليه فقام رجال واعترفوا بما صنعوا بعد العشاء فنزلت وليلة الصيام الليلة التي تصبح منها
صائما والرفث كناية عن الجماع لأنه لا يكاد يخلو من رفث وهو الإفصاح بما يجب أن يكنى عنه وعدي بإلى لتضمنه
معنى الإفضاء وإيثاره هنا لتقبيح ما ارتكبوه ولذلك سماه خيانة وقرئ الرفوث هن لباس لكم و
أنتم لباس لهن استيناف يبين سبب الإحلال وهو قلة الصبر عنهن وصعوبة اجتنابهن لكثرة المخالطة
وشدة الملابسة ولما كان الرجل والمرأة يعتنقان ويشتمل كل منهما على صاحبه شبه باللباس كقوله
إذا ما الضجيع ثنى عطفها تثنت فكانت عليه لباسا أو لأن كل واحد منهما يستر حال صاحبه ويمنعه عن الفجور
علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم تظلمونها بتعريضها للعقاب وتنقيص حظها
من الثواب والاختيان أبلغ من الخيانة كالاكتساب من الكسب فتاب عليكم لما تبتم مما اقترفتموه
وعفا عنكم ومحا عنكم أثره فالآن باشروهن لما نسخ عنكم التحريم وفيه دليل على جواز نسخ السنة
بالقرآن والمباشرة إلزاق البشرة بالبشرة كني بها عن الجماع وابتغوا ما كتب الله
لكم واطلبوا ما قدره لكم وأثبته في اللوح من الولد والمعنى أن المباشر ينبغي أن يكون غرضه الولد فإنه الحكمة
من خلق الشهوة وشرع النكاح لا قضاء الوطر وقيل النهي عن العزل وقيل عن غير المأتى والتقدير وابتغوا المحل الذي
كتبه الله لكم وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود
من الفجر شبه أول ما يبدو من الفجر المعترض في الأفق وما يمتد معه من غبش الليل بخيطين أبيض وأسود
واكتفى ببيان الخيط الأبيض بقوله من الفجر عن بيان الخيط الأسود لدلالته عليه وبذلك خرجا عن الاستعارة إلى
التمثيل ويجوز أن يكون من للتبعيض فإن ما يبدو بعض الفجر وما روي أنها نزلت ولم ينزل من الفجر فعمد رجال إلى
الخيطين الأسود والأبيض ولا يزالون يأكلون ويشربون حتى يتبينا لهم فنزلت إن صح فلعله كان قبل دخول رمضان

وتأخير البيان

وتأخير البيان إلى وقت الحاجة جائز أو اكتفي أولا باشتهارهما في ذلك ثم صرح بالبيان لما التبس على بعضهم وفي
تجويز المباشرة إلى الصبح الدلالة على جواز تأخير الغسل إليه وصحة صوم المصبح جنبا ثم أتموا الصيام إلى
الليل بيان آخر وقته وإخراج الليل عنه فينفي صوم الوصال ولا تباشروهن وأنتم
عاكفون في المساجد معتكفون فيها والاعتكاف هو اللبث في المسجد بقصد القربة والمراد
بالمباشرة الوطء وعن قتادة كان الرجل يعتكف فيخرج إلى امرأته فيباشرها ثم يرجع فنهوا عن ذلك وفيه دليل على
أن الاعتكاف يكون في المسجد لا يختص بمسجد دون آخر وأن الوطء يحرم فيه ويفسده لأن النهي في العبادات يوجب الفساد
تلك حدود الله أي الأحكام التي ذكرت فلا تقربوها نهى أن يقرب الحد الحاجز بين
الحق والباطل لئلا يداني الباطل فضلا أن يتخطى كما قال عم إن لكل ملك حمى وإن حمى الله محارمه فمن رتع حول الحمى يوشك
أن يقع فيه وهو أبلغ من قوله فلا تعتدوها ويجوز أن يريد بحدود الله محارمه و كذلك مثل ذلك التبيين
يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون مخالفة الأوامر والنواهي ولا تأكلوا أموالكم
بينكم بالباطل أي ولا يأكل بعضكم مال البعض من الوجه الذي لم يبحه الله تعالى وبين نصب على
الظرف أو الحال من الأموال وتدلوا بها إلى الحكام عطف على المنهي أو نصب بإضمار أن والإدلاء
الإلقاء أي ولا تلقوا حكومتها إلى الحكام لتأكلوا بالتحاكم فريقا طائفة من أموال الناس
بالإثم بما يوجب إثما كشهادة الزور واليمين الكاذبة أو متلبسين بالإثم وأنتم تعلمون أنكم مبطلون
فإن ارتكاب المعصية مع العلم بها أقبح روي أن عبدان الحضرمي ادعى على امرئ القيس الكندي قطعة أرض و
لم يكن له بينة فحكم رسول الله صلعم بأن يحلف امرؤ القيس فهم به فقرأ رسول الله صلعم إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم
ثمنا قليلا فارتدع عن اليمين وسلم الأرض إلى عبدان فنزلت وهو دليل على أن حكم القاضي لا ينفذ باطنا ويدل
عليه قوله صلعم للخصمين إنما أنا بشر وأنتم تختصمون إلي ولعل بعضكم يكون ألحن بحجته من بعض فأقضي له على نحو ما أسمع منه فمن
قضيت له بشيء من حق أخيه فإنما أقطع له قطعة من نار يسألونك عن الأهلة سأله معاذ
بن جبل وثعلبة بن غنم فقالا ما بال الهلال يبدو دقيقا كالخيط ثم يزيد حتى يستوي ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدا
قل هي مواقيت للناس والحج فإنهم سألوا عن الحكمة في اختلاف حال القمر وتبدل أمره فأمره
الله بأن الحكمة الظاهرة في ذلك أن تكون معالم للناس يوقتون بها أمورهم ومعالم للعبادات الموقتة يعرف
بها أوقاتها وخصوصا الحج فإن الوقت مراعى فيه أداء وقضاء والمواقيت جمع ميقات من الوقت والفرق بينه و
بين المدة والزمان أن المدة المطلقة امتداد حركة الفلك من مبدئها إلى منتهاها والزمان مدة مقسومة والوقت الزمان
المفروض لأمر وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من

لكم

اتقى كانت الانصار اذا احرموا لم يدخلوا دارا ولا فسطاطا من بابه وانما يدخلون ويخرجون من نقب او فرجة
وراءه ويعدون ذلك برا فبين لهم انه ليس ببر وانما البر بر من اتقى المحارم والشهوات ووجه اتصاله بما قبله انهم
سألوا عن الامرين او انه لما ذكر انها مواقيت الحج وهذا ايضا من افعالهم في الحج ذكره للاستطراد او انهم لما سألوا
عما لا يعنيهم او لا يتعلق بعلم النبوة وتركوا السؤال عما يعنيهم ويختص بعلم النبوة عقب بذكره جواب ما سألوا
تنبيها على ان اللائق بهم ان يسألوا امثال ذلك ويهتموا بالعلم بها او ان المراد به التنبيه على تعكيسهم السؤال و
تمثيلهم بحال من ترك باب البيت ودخل من ورائه والمعنى وليس البر بان تعكسوا في مسائلكم ولكن البر بر من
اتقى ذلك ولم يجسر على مثله وأتوا البيوت من ابوابها اذ ليس في العدول بر او باشروا الامور
من وجوهها واتقوا الله في تغيير احكامه والاعتراض على افعاله لعلكم تفلحون لكي تظفروا
بالهدى والبر وقاتلوا في سبيل الله جاهدوا لاعلاء كلمته واعزاز دينه الذين
يقاتلونكم قيل كان ذلك قبل ان امروا بقتال المشركين كافة المقاتلين منهم والمحاجزين وقيل معناه الذين
يناصبونكم القتال ويتوقع منهم ذلك دون غيرهم من المشايخ والصبيان والرهبان والنساء او الكفرة كلهم فانهم
بصدد قتال المسلمين وعلى قصده ويؤيد الاول ما روي ان المشركين صدوا رسول الله صلعم عام الحديبية وصالحوه على
ان يرجع من قابل فيخلوا له مكة ثلثة ايام فرجع لعمرة القضاء وخاف المسلمون ان لا يفوا لهم ويقاتلوهم في الحرم والشهر الحرام
وكرهوا ذلك فنزلت ولا تعتدوا بابتداء القتال او بقتال المعاهدين او المفاجاة به من غير دعوة او
المثلة او قتل من نهيتم عن قتله ان الله لا يحب المعتدين لا يريد بهم الخير واقتلوهم
حيث ثقفتموهم حيث وجدتموهم في حل او حرم واصل الثقف الحذق في ادراك الشيء علما كان
او عملا وهو يتضمن الغلبة ولذلك استعمل فيها قال فاما تثقفوني فاقتلوني فمن اثقف فليس الى خلود
واخرجوهم من حيث اخرجوكم اي من مكة وقد فعل ذلك بمن لم يسلم يوم الفتح و
الفتنة اشد من القتل بها الاذى كالاخراج من الوطن اصعب من القتل لدوام
تعبها وتألم النفس بها وقيل معناه شركهم في الحرم وصدهم اياكم عنه اشد من قتلكم اياهم فيه ولا تقاتلوهم
عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه لا تفاتحوهم بالقتال وهتك حرمة المسجد الحرام
فان قاتلوكم فاقتلوهم فلا تبالوا بقتالهم ثمة فانهم الذين هتكوا حرمته وقرأ حمزة و
الكسائي ولا تقتلوهم حتى يقتلوكم فان قتلوكم والمعنى حتى يقتلوا بعضكم كقولهم قتلنا بنو اسد كذلك
جزاء الكافرين مثل ذلك جزاؤهم يفعل بهم مثل ما فعلوا فان انتهوا عن القتال والكفر فان
الله غفور رحيم يغفر لهم ما قد سلف وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة شرك

ويكون الدين لله خالصا ليس للشيطان فيه نصيب فان انتهوا عن الشرك فلا عدوان الا على الظالمين
اي فلا تعتدوا على المنتهين اذ لا يحسن ان يظلم الا من ظلم فوضع العلة موضع الحكم وسمي جزاء الظالم باسمه للمشاكلة كقوله فمن اعتدى
عليكم فاعتدوا عليه او انكم ان تعرضتم للمنتهين صرتم ظالمين وينعكس الامر عليكم والفاءان الاولى للتعقيب والثانية للجزاء
الشهر الحرام بالشهر الحرام قاتلهم المشركون عام الحديبية في ذي القعدة واتفق خروجهم لعمرة القضاء
فيه فكرهوا ان يقاتلوهم لحرمته فقيل لهم هذا الشهر بذاك وهتكه بهتكه فلا تبالوا به والحرمات قصاص
احتجاج عليه اي كل حرمة وهو ما يجب ان يحافظ عليها يجري فيها القصاص فلما هتكوا حرمة شهركم بالصد فافعلوا بهم
مثله وادخلوا عليهم عنوة واقتلوهم ان قاتلوكم كما قال فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل
ما اعتدى عليكم وهو فذلكة التقرير واتقوا الله في الانتصار ولا تعتدوا الى ما لم يرخص لكم و
اعلموا ان الله مع المتقين فيحرسهم ويصلح شأنهم وانفقوا في سبيل الله ولا تمسكوا كل
الامساك ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة بالاسراف وتضييع وجه المعاش او بالكف عن
الغزو والانفاق فيه فانه يقوي العدو ويسلطهم على اهلاككم ويؤيده ما روي عن ابي ايوب الانصاري انه قال
لما اعز الله الاسلام وكثر اهله رجعنا الى اهلينا واموالنا نقيم فيها ونصلحها فنزلت او بالامساك وحب المال فانه يؤدي
الى الهلاك المؤبد ولذلك سمي البخل هلاكا وهو في الاصل انتهاء الشيء في الفساد والالقاء طرح الشيء وعدي بالى
لتضمن معنى الانتهاء والباء مزيدة والمراد بالايدي الانفس والتهلكة والهلاك والهلك واحد فهي مصدر كالتضرة
والتسرة اي لا توقعوا انفسكم في الهلاك وقيل لا تجعلوها آخذة بايديكم او لا تلقوا بايديكم انفسكم اليها فحذف المفعول
واحسنوا اعمالكم واخلاقكم او تفضلوا على المحاويج ان الله يحب المحسنين واتموا
الحج والعمرة لله ائتوا بهما تامين مستجمعي المناسك لوجه الله وهو على هذا يدل على وجوبهما ويؤيده قراءة
من قرأ واقيموا الحج والعمرة لله وما روي جابر انه قيل يا رسول الله العمرة واجبة مثل الحج فقال لا وان تعتمر خير لك معارض
بما روي ان رجلا قال لعمر اني وجدت الحج والعمرة مكتوبين علي واهللت بهما جميعا فقال هديت لسنة نبيك ولا يقال انه
فسر وجدتهما مكتوبين بقوله اهللت بهما فجاز ان يكون الوجوب بسبب اهلاله بهما لانه رتب الاهلال على الوجدان وذلك
يدل على انه سبب الاهلال دون العكس وقيل اتمامهما ان تحرم بهما من دويرة اهلك او ان تفرد لكل منهما سفرا او ان تجرد
لهما لا تشوبهما بغرض دنيوي او ان تكون النفقة حلالا فان احصرتم منعتم يقال حصره العدو واحصره اذا
حبسه ومنعه عن المضي مثل صده واصده والمراد حصر العدو عند مالك والشافعي لقوله فاذا امنتم ولنزوله في الحديبية
ولقول ابن عباس لا حصر الا حصر العدو وكل منع من عدو او مرض او غيرهما عند ابي حنيفة لما روي عنه صلعم من كسر او
عرج فقد حل وعليه الحج من قابل وهو ضعيف مؤول بما اذا شرط الاحلال لقوله صلعم لضباعة بنت الزبير حجي واشترطي و

الدم في حيث حبستم فما استيسر من الهدي فعليكم ما استيسر او فالواجب ما استيسر او فاهدوا ما استيسر والمعنى ان احصر المحرم واراد ان يتحلل تحلل بذبح هدي تيسر عليه من بدنة او بقرة او شاة حيث احصر عند الاكثر لانه عليه السلام ذبح عام الحديبية بها وهي من الحل وعند ابي حنيفة يبعث به ويجعل للمبعوث بيده يوم امارة فاذا جاء اليوم وظن انه ذبح تحلل لقوله ولا تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدي محله اي لا تحلوا حتى تعلموا ان الهدي المبعوث الى الحرم بلغ محله اي مكانه الذي يجب ان ينحر فيه وحمل الاولون بلوغ الهدي محله على ذبحه حيث يحل ذبحه فيه حلا كان او حرما واقتصاره على الهدي دليل على عدم القضاء وقال ابو حنيفة يجب القضاء والمحل بالكسر يطلق للمكان والزمان والهدي جمع هدية كجدي وجدية وقرئ من الهدي جمع هدية كمطية ومطي فمن كان منكم مريضا مرضا يحوجه الى الحلق او به اذى من راسه كجراحة وقمل ففدية فعليه فدية ان حلق من صيام او صدقة او نسك بيان لجنس الفدية واما قدرها فقد روي انه عليه السلام قال لكعب بن عجرة لعلك اذاك هوامك قال نعم يا رسول الله فقال احلق وصم ثلثة ايام او تصدق بفرق على ستة مساكين او انسك شاة والفرق ثلثة اصوع فاذا امنتم الاحصار او كنتم في حال امن وسعة فمن تمتع بالعمرة الى الحج فمن استمتع وانتفع بالتقرب الى الله تعالى بالعمرة قبل الانتفاع بتقربه بالحج في اشهره وقيل فمن استمتع بعد التحلل من عمرته باستباحة محظورات الاحرام الى ان يحرم بالحج فما استيسر من الهدي فعليه دم استيسره بسبب التمتع فهو دم جبران يذبحه اذا احرم بالحج ولا ياكل منه وقال ابو حنيفة انه دم نسك فهو كالاضحية فمن لم يجد الهدي فصيام ثلثة ايام في الحج في ايام الاشتغال به بعد الاحرام وقبل التحلل وقال ابو حنيفة في اشهره بين الاحرامين والاحب ان يصوم سابع ذي الحجة وثامنه وتاسعه ولا يجوز يوم النحر وايام التشريق عند الاكثر وسبعة اذا رجعتم الى اهليكم وهو احد قولي الشافعي او نفرتم وفرغتم من اعماله وهو قوله الثاني ومذهب ابي حنيفة وقرئ سبعة بالنصب عطفا على محل ثلثة ايام تلك عشرة فذلكة الحساب وفايدتها ان لا يتوهم متوهم ان الواو بمعنى او كقولك جالس الحسن وابن سيرين وان يعلم العدد جملة كما علم تفصيلا فان اكثر العرب لم يحسنوا الحساب وان المراد بالسبعة العدد دون الكثرة فانه يطلق لهما كاملة صفة مؤكدة تفيد المبالغة في محافظة العدد او مبينة كمال العشرة فانه اول عدد كامل اذ به تنتهي الاحاد وتتم مراتبها او مقيدة تفيد كمال بدليتها من الهدي ذلك اشارة الى الحكم المذكور عندنا والتمتع عند ابي حنيفة اذ لا متعة ولا قران لحاضري المسجد الحرام عنده فمن فعل ذلك منهم فعليه دم جناية لمن لم يكن اهله حاضري المسجد الحرام وهو من كان من الحرم على مسافة القصر عندنا فان من كان على اقل فهو مقيم الحرم او في حكمه ومن مسكنه وراء الميقات عنده واهل الحل عند طاوس وغير المكي عند مالك واتقوا الله في

٥٥

المحافظة على اوامره ونواهيه خصوصا في الحج واعلموا ان الله شديد العقاب لمن لم يتقه كي يصدكم العلم به عن العصيان الحج اشهر اي وقته كقولك البرد شهران معلومات معروفات وهي شوال وذو القعدة وتسع من ذي الحجة بليلة النحر عندنا والعشر عند ابي حنيفة وذو الحجة كله عند مالك وبناء الخلاف ان المراد بوقته وقت احرامه او وقت اعماله ومناسكه او ما لا يحسن فيه غيره من المناسك مطلقا فان مالكا كره العمرة في بقية ذي الحجة وابو حنيفة وان صحح الاحرام به قبل شوال فقد استكرهه وانما سمي شهرين وبعض شهر اشهرا اقامة للبعض مقام الكل او اطلاقا للجمع على ما فوق الواحد فمن فرض فيهن الحج فمن اوجبه على نفسه بالاحرام فيهن او بالتلبية او سوق الهدي عند ابي حنيفة وهو دليل على ما ذهب اليه الشافعي وان من احرم بالحج لزمه الاتمام فلا رفث فلا جماع او فلا فحش من الكلام ولا فسوق ولا خروج عن حدود الشرع بالسيئات وارتكاب المحظورات ولا جدال ولا مراء مع الخدم والرفقة في الحج في ايامه نفي الثلثة على قصد النهي للمبالغة والدلالة على انها حقيقة بان لا تكون وما كانت منها مستقبحة في انفسها ففي الحج اقبح كلبس الحرير في الصلوة والتطريب بقراءة القران لانه خروج عن مقتضى الطبع والعادة الى محض العبادة وقرا ابن كثير وابو عمرو الاولين بالرفع على معنى لا يكونن رفث ولا فسوق والثالث بالفتح على معنى الاخبار بانتفاء الخلاف في الحج وذلك ان قريشا كانت تخالف سائر العرب فتقف بالمشعر الحرام فارتفع الخلاف بان امروا بان يقفوا ايضا بعرفة وما تفعلوا من خير يعلمه الله حث على الخير عقيب النهي عن الشر ليستبدل به ويستعمل مكانه وتزودوا فان خير الزاد التقوى وتزودوا لمعادكم التقوى فانه خير زاد وقيل نزلت في اهل اليمن كانوا يحجون ولا يتزودون ويقولون نحن متوكلون فيكونون كلا على الناس فامروا ان يتزودوا ويتقوا الابرام في السؤال والتثقيل على الناس واتقون يا اولي الالباب فان قضية اللب خشية الله وتقواه حثهم على التقوى ثم امرهم بان يكون المقصود بها هو الله فيتبرا عن كل ما سواه وهو مقتضى العقل المعرى عن شوائب الهوى فلذلك خص اولي الالباب بهذا الخطاب ليس عليكم جناح ان تبتغوا اي في ان تبتغوا اي تطلبوا فضلا من ربكم عطاء ورزقا منه يريد الربح بالتجارة وقيل كان عكاظ ومجنة وذو المجاز اسواقهم في الجاهلية يقيمونها مواسم الحج وكانت معايشهم منها فلما جاء الاسلام تاثموا منه فنزلت فاذا افضتم من عرفات دفعتم منها بكثرة من افضت الماء اذا صببته بكثرة واصله افضتم انفسكم فحذف المفعول كما حذف في دفعت من البصرة وعرفات جمع سمي به كاذرعات وانما نون وكسر وفيه العلمية والتانيث لان تنوين الجمع تنوين المقابلة لا تنوين التمكين ولذلك يجمع مع اللام وذهاب الكسرة تبع ذهاب التنوين من غير عوض لعدم الصرف وهنا ليس كذلك او لان التانيث اما ان يكون بالتاء المذكورة وهي ليست تاء تانيث وانما هي مع الالف التي قبلها علامة جمع المؤنث او بتاء مقدرة كما في سعاد ولا يصح تقدير التاء فيه لان المذكورة تمنعه من حيث انها كالبدل لها لاختصاصها بالمؤنث كتاء بنت وانما سمي الموقف عرفة لانه نعت لابراهيم عليه السلام فلما

ابصره عرفه او لان جبريل كان يدور به في المشاعر فلما اراه قال قد عرفت او لان ادم وحوا التقيا فيه فتعارفا او لان الناس يتعارفون
فيه وعرفات للمبالغة في ذلك وهي من الاسماء المرتجلة الا ان يجعل جمع عارف وفيه دليل وجوب الوقوف بها لان
الافاضة لا تكون الا بعده وهي مامور بها بقوله تعالى ثم افيضوا او مقدمة الذكر المامور به وفيه نظر اذ الذكر غير واجب بل الامر به
غير مطلق **فاذكروا الله** بالتلبية والتهليل والدعاء وقيل بصلوة العشائين **عند المشعر**
الحرام جبل يقف عليه الامام ويسمى قزح وقيل ما بين مازمي عرفة ووادي محسر ويؤيد الاول ما روى جابر انه
عليه السلام لما صلى الفجر يعني بالمزدلفة بغلس ركب ناقته حتى اتى المشعر الحرام فدعا وكبر وهلل ولم يزل واقفا حتى اسفر وانما
سمي مشعرا لانه معلم العبادة ووصف بالحرام لحرمته ومعنى عند المشعر الحرام مما يليه ويقرب منه فانه افضل والا فالمزدلفة
كلها موقف الا وادي محسر **واذكروه كما هداكم** كما علمكم او اذكروه ذكرا حسنا كما هداكم هداية حسنة الى
المناسك وغيرها وما مصدرية او كافة **وان كنتم من قبله** اي الهدى **لمن الضالين**:
اي الجاهلين بالايمان والطاعة وان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة وقيل ان نافية واللام بمعنى الا كقوله وان نظنك
لمن الكاذبين **ثم افيضوا من حيث افاض الناس** اي من عرفة لا من المزدلفة والخطاب مع
قريش كانوا يقفون بجمع وسائر الناس بعرفة ويرون ذلك ترفعا عليهم فامروا بان يساووهم وثم لتفاوت ما بين
الافاضتين كما في قولك احسن الى الناس ثم لا تحسن الى غير كريم وقيل من مزدلفة الى منى بعد الافاضة من عرفة اليها والخطاب
عام وقرئ الناس بالكسر اي الناسي يريد ادم من قوله تعالى فنسي والمعنى ان الافاضة من عرفة شرع قديم فلا تغيروه **و**
استغفروا الله من جاهليتكم في تغيير المناسك ونحوه **ان الله غفور رحيم** يغفر ذنب
المستغفر وينعم عليه **فاذا قضيتم مناسككم** فاذا قضيتم العبادات الحجية وفرغتم منها
فاذكروا الله كذكركم اباءكم فاكثروا ذكره وبالغوا فيه كما تفعلون بذكر اباءكم
في المفاخرة وكانت العرب اذا قضوا مناسكهم وقفوا بمنى بين المسجد والجبل فيذكرون مفاخر ابائهم ومحاسن ايامهم
او اشد ذكرا اما مجرور معطوف على الذكر بجعل الذكر ذاكرا على المجاز والمعنى واذكروا الله ذكرا كذكركم اباءكم او
كذكر اشد منه وابلغ او على ما اضيف اليه على ضعف بمعنى او كذكر قوم اشد منكم ذكرا واما منصوب بالعطف على اباءكم
وذكرا من فعل المذكور بمعنى او كذكركم اشد مذكورية من اباءكم او بمضمر دل عليه المعنى تقديره او كونوا اشد ذكرا لله منكم
لاباءكم **فمن الناس من يقول** تفصيل للذاكرين الى مقل لا يطلب بذكر الله الا الدنيا ومكثر يطلب به خير الدارين
والمراد به الحث على الاكثار والارشاد اليه **ربنا اتنا في الدنيا** اجعل ايتاءنا ومنحتنا في الدنيا **وما**
له في الاخرة من خلاق اي نصيب وحظ لان همه مقصور بالدنيا او من طلب خلاق **ومنهم**
من يقول ربنا اتنا في الدنيا حسنة يعني الصحة والكفاف وتوفيق الخير **وفي الاخرة**

حسنة يعني الثواب والرحمة **وقنا عذاب النار** بالعفو والمغفرة وقول علي رضي الله عنه الحسنة في الدنيا
المراة الصالحة وفي الاخرة الحوراء وعذاب النار امراة السوء وقول الحسن الحسنة في الدنيا العلم والعبادة وفي الاخرة
الجنة وقنا عذاب النار معناه احفظنا من الشهوات والذنوب المؤدية الى النار امثلة للمراد بها **اولئك** اشارة الى
الفريق الثاني وقيل اليهما **لهم نصيب مما كسبوا** اي من جنسه وهو جزاؤه او من اجله كقوله مما خطيئاتهم
اغرقوا او مما دعوا به نعطيهم منه ما قدرناه فسمي الدعاء كسبا لانه من الاعمال **والله سريع الحساب**
يحاسب العباد على كثرتهم وكثرة اعمالهم في مقدار لمحة او يوشك ان يقيم القيامة ويحاسب الناس فبادروا الى الطاعات
واكتساب الحسنات **واذكروا الله في ايام معدودات** كبروه في ادبار الصلوة وعند ذبح
القرابين ورمي الجمار وغيرها في ايام التشريق **فمن تعجل** فمن استعجل النفر **في يومين** يوم النفر والذي بعده اي
فمن نفر في ثاني ايام التشريق بعد رمي الجمار عندنا الى الغروب والى طلوع الفجر عنده **فلا اثم عليه** باستعجاله **ومن**
تاخر فلا اثم عليه ومن تاخر في النفر حتى رمى في اليوم الثالث بعد الزوال وقال ابو حنيفة يجوز تقديم رميه على الزوال
ومعنى نفي الاثم بالتعجيل والتاخير التخيير بينهما والرد على اهل الجاهلية فان منهم من اثم المتعجل ومنهم من اثم المتاخر **لمن اتقى** اي الذي
ذكر من التخيير او من الاحكام لمن اتقى لانه الحاج على الحقيقة والمنتفع به او لاجله حتى لا يتضرر بترك ما يهمه منهما **واتقوا الله**
في مجامع اموركم **واعلموا انكم اليه تحشرون** للجزاء بعد الاحياء واصل الحشر الجمع وضم المتفرق **ومن**
الناس من يعجبك قوله يروقك ويعظم في نفسك والتعجب حيرة تعرض للانسان لجهله بسبب المتعجب منه
في الحيوة الدنيا متعلق بالقول اي ما يقوله في امور الدنيا واسباب المعاش او في معنى الدنيا فانها مراده من ادعاء
المحبة واظهار الايمان او بيعجبك اي يعجبك قوله في الدنيا حلاوة وفصاحة ولا يعجبك في الاخرة لما يعتريك من الدهشة
والحبسة او لانه لا يؤذن له في الكلام **ويشهد الله على ما في قلبه** يحلف ويستشهد الله على
ان ما في قلبه موافق لكلامه **وهو الد الخصام** شديد العداوة والجدال للمسلمين والخصام المخاصمة ويجوز ان يكون
جمع خصم كصعب وصعاب بمعنى اشد الخصوم خصومة قيل نزلت في الاخنس بن شريق الثقفي وكان حسن المنظر حلو المنطق يوالي
رسول الله صلعم ويدعي الاسلام وقيل في المنافقين كلهم **واذا تولى** ادبر وانصرف عنك وقيل اذا غلب وصار واليا
سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل كما فعله الاخنس بثقيف
اذ بيتهم واحرق زروعهم واهلك مواشيهم او كما يفعله ولاة السوء بالقتل والاتلاف او بالظلم حتى يمنع الله بشؤمه
القطر فيهلك الحرث والنسل **والله لا يحب الفساد** لا يرتضيه فاحذروا غضبه عليه **واذا**
قيل له اتق الله اخذته العزة بالاثم حملته عليه والزمته اياه **فحسبه جهنم**
كفته جزاء وعذابا وجهنم علم لدار العقاب وهو في الاصل مرادف للنار وقيل معرب **ولبئس المهاد**

در دربرگان بهبهان یوم الجمعه ١٢ قلمی شد

جواب قسم مقدر والمخصوص بالذم محذوف للعلم به والمهاد الفراش وقيل ما يوطأ للجنب ومن الناس من يشري نفسه يبيعها ببذلها في الجهاد او يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر حتى يقتل ابتغاء مرضات الله طلبا لرضاه وقيل انها نزلت في صهيب بن سنان الرومي اخذه المشركون وعذبوه ليرتد فقال اني شيخ كبير لا ينفعكم ان كنت معكم ولا يضركم ان كنت عليكم فخلوني وما انا عليه وخذوا مالي فقبلوه منه واتى المدينة والله رؤف بالعباد حيث ارشدهم الى مثل هذا الشرا وكلفهم بالجهاد فعرضهم لثواب الغزاة او الشهداء يا ايها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة السلم بالكسر والفتح الاستسلام والطاعة ولذلك يطلق في الصلح والاسلام فتحه ابن كثير ونافع والكسائي وكسره الباقون وكافة اسم للجملة لانها تكف الاجزاء عن التفرق حال من الضمير او السلم لانها تؤنث كالحرب قال السلم تأخذ منها ما رضيت به والحرب تكفيك من انفاسها جرع والمعنى استسلموا لله واطيعوه جملة ظاهرا وباطنا والخطاب للمنافقين او ادخلوا في الاسلام بكليتكم ولا تخلطوا به غيره والخطاب لمؤمني اهل الكتاب فانهم بعد اسلامهم عظموا السبت وحرموا الابل والبانها او في شرائع الله كلها بالايمان بالانبيا والكتب جميعا والخطاب لاهل الكتاب او في شعب الاسلام واحكامه كلها فلا تخلوا بشي والخطاب للمسلمين ولا تتبعوا خطوات الشيطان بالتفرق والتفريق انه لكم عدو مبين ظاهر العداوة فان زللتم عن الدخول في السلم من بعد ما جاءتكم البينات الآيات والحجج الشاهدة على انه الحق فاعلموا ان الله عزيز لا يعجزه الانتقام حكيم لا ينتقم الا بالحق هل ينظرون استفهام في معنى النفي ولذلك جاء بعده الا ان يأتيهم الله اي يأتيهم امره او بأسه كقوله او يأتي امر ربك فجاءها بأسنا او يأتيهم الله ببأسه فحذف المأتي به للدلالة عليه بقوله ان الله عزيز حكيم في ظلل جمع ظلة كقلة وقلل وهي ما اظلك وقرئ ظلال كقلال من الغمام السحاب الابيض وانما يأتيهم العذاب فيه لانه مظنة الرحمة فاذا جاء منه العذاب كان افظع لان الشر اذا جاء من حيث لا يحتسب كان اصعب فكيف اذا جاء من حيث يحتسب الخير والملائكة فانهم الواسطة في اتيان امره او الآتون على الحقيقة ببأسه وقرئ بالجر عطفا على ظلل او الغمام وقضي الامر اتم امر اهلاكهم وفرغ منه وضع الماضي موضع المستقبل لدنوه وتيقن وقوعه وقرئ وقضاء الامر عطفا على الملائكة والى الله ترجع الامور قرأه ابن كثير ونافع وابو عمرو وعاصم على البناء للمفعول على انه من الرجع وقرأ الباقون على البناء للفاعل بالتأنيث غير يعقوب على انه من الرجوع وقرئ ايضا بالتذكير وبناء المفعول سل بني اسرائيل امر للرسول صلى الله عليه وسلم او لكل احد والمراد بهذا السؤال تقريعهم كم آتيناهم من آية بينة معجزة ظاهرة او آية في الكتب شاهدة على الحق والصواب على ايدي الانبيا وكم خبرية

در حجه ارض اردهان در بهبهان یوم السبت ٢٢ قلمی شد

٥٧

او استفهامية مقررة ومحلها النصب على المفعولية او الرفع بالابتداء على حذف العائد من الخبر وآية مميزها ومن للفصل ومن يبدل نعمة الله اي آيات الله فانها سبب الهدى الذي هو اجل النعم بجعلها سبب الضلالة وازدياد الرجس او بالتحريف والتأويل الزائغ من بعد ما جاءته من بعد ما وصلت اليه وتمكن من معرفتها وفيه تعريض بانهم بدلوها بعد ما عقلوها ولذلك قيل تقديره فبدلوها ومن يبدل فان الله شديد العقاب فيعاقبه اشد عقوبة لانه ارتكب اشد جريمة زين للذين كفروا الحيوة الدنيا حسنت في اعينهم واشربت محبتها في قلوبهم حتى تهالكوا عليها واعرضوا عن غيرها والمزين في الحقيقة هو الله تعالى اذ ما من شي الا وهو فاعله ويدل عليه قراءة زين على البناء للفاعل وكل من الشيطان والقوة الحيوانية وما خلقه الله فيها من الامور البهيمية والاشيا الشهية مزين بالعرض ويسخرون من الذين آمنوا يريد فقراء المؤمنين كبلال وعمار وصهيب اي يسترذلونهم ويستهزؤن بهم على رفضهم الدنيا واقبالهم على العقبى ومن للابتداء كانهم جعلوا مبدأ السخرية مبتداء منهم والذين اتقوا فوقهم يوم القيمة لانهم في عليين وهم في اسفل السافلين او لانهم في كرامة وهم في مذلة او لانهم يتطاولون عليهم فيسخرون منهم كما سخروا منهم في الدنيا وانما قال والذين اتقوا بعد قوله من الذين آمنوا ليدل على انهم متقون وان استعلاهم للتقوى والله يرزق من يشاء في الدارين بغير حساب بغير تقدير فيوسع في الدنيا استدراجا تارة وابتلاء اخرى كان الناس امة واحدة متفقين على الحق فيما بين آدم وادريس او نوح او بعد الطوفان او متفقين على الجهالة والكفر في فترة ادريس او نوح فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين اي اختلفوا فبعث الله وانما حذف للدلالة قوله فيما اختلفوا فيه وعن كعب الذي علمته من عدد الانبيا مائة واربعة وعشرون الفا والمرسل منهم ثلثمائة وثلثة عشر والمذكور في القرآن باسم العلم ثمانية وعشرون وانزل معهم الكتاب يريد به الجنس ولا يريد به انه انزل مع كل واحد كتابا يخصه فان اكثرهم لم يكن لهم كتاب يخصهم وانما كانوا يأخذون بكتب من قبلهم بالحق حال من الكتاب اي ملتبسا بالحق شاهدا به ليحكم بين الناس اي الله او النبي المبعوث او كتابه فيما اختلفوا فيه في الحق الذي اختلفوا فيه او فيما التبس عليهم وما اختلف فيه في الحق او الكتاب الا الذين اوتوه اي الكتاب المنزل لازالة الخلاف اي عكسوا الامر فجعلوا ما انزل مزيحا للاختلاف سببا لاستحكامه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم حسدا بينهم وظلما لحرصهم على الدنيا فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه اي للحق الذي اختلف فيه من اختلف من الحق بيان لما اختلفوا فيه باذنه بامره او بارادته ولطفه والله يهدي من يشاء الى صراط

مستقيم لا يضل سالكه أم حسبتم أن تدخلوا الجنة خاطب به النبي والمؤمنين بعد ما ذكر اختلاف الأمم على الأنبياء وبعد مجيء الآيات تشجيعا لهم على الثبات مع مخالفتهم وأم منقطعة ومعنى الهمزة فيها الإنكار ولما يأتكم ولم يأتكم وأصل لما لم زيدت عليها ما وفيها توقع ولذلك جعل مقابل قد مثل الذين خلوا من قبلكم حالهم التي هي مثل في الشدة مستهم البأساء والضراء بيان له على الاستئناف وزلزلوا وأزعجوا إزعاجا شديدا بما أصابهم من الشدائد حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه لتناهي الشدائد واستطالة المدة بحيث تقطعت حبال الصبر وقرأ نافع يقول بالرفع على أنها حكاية حال ماضية كقولك مرض حتى لا يرجونه متى نصر الله استبطاء له لتأخره ألا إن نصر الله قريب استئناف على إرادة القول أي فقيل لهم ذلك إسعافا لهم إلى طلبتهم من عاجل النصر وفيه إشارة إلى أن الوصول إلى الله والفوز بالكرامة عنده برفض الهوى واللذات ومكابدة الشدائد والرياضات كما قال عليه السلام حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات

يسئلونك ماذا ينفقون عن ابن عباس رضي الله عنه أن عمرو بن الجموح الأنصاري كان همًّا ذا مال عظيم فقال يا رسول الله ماذا ننفق من أموالنا وأين نضعها فنزلت قل ما أنفقتم من خير فللوالدين والأقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل سئل عن المنفق فأجيب ببيان المصرف لأنه أهم فإن اعتداد النفقة باعتباره ولأنه كان في سؤال عمرو وإن لم يكن مذكورا في الآية واقتصر في بيان المنفق على ما تضمنه قوله قل ما أنفقتم من خير وما تفعلوا من خير في معنى الشرط فإن الله به عليم جوابه أي إن تفعلوا خيرا فإن الله يعلم كنهه ويوفي ثوابه وليس في الآية ما ينافيه فرض الزكاة لينسخ به كتب عليكم القتال وهو كره لكم شاق عليكم مكروه طبعا وهو مصدر نعت به للمبالغة أو فعل بمعنى مفعول كالخبز بمعنى المخبوز وقرئ بالفتح على أنه لغة فيه كالضعف والضعف أو بمعنى الإكراه على المجاز كأنهم أكرهوا عليه لشدته وعظم مشقته كقوله حملته أمه كرها ووضعته كرها وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وهو جميع ما كلفوا به فإن الطبع يكرهه وهو مناط صلاحهم وسبب فلاحهم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم وهو جميع ما نهي عنه فإن النفس تحبه وتهواه وهو يفضي بها إلى الردى وإنما ذكر عسى لأن النفس إذا ارتاضت ينعكس الأمر عليها والله يعلم ما هو خير لكم وأنتم لا تعلمون ذلك وفيه دليل على أن الأحكام تتبع المصالح الراجحة وإن لم يعرف عينها يسئلونك عن الشهر الحرام روي أنه عليه السلام بعث عبد الله بن جحش ابن عمته على سرية في جمادى الآخرة قبل

بدر بشهرين ليترصد عيرا لقريش فيهم عمرو بن عبد الله الحضرمي وثلاثة معه فقتلوه وأسروا اثنين واستاقوا العير وفيها تجارة الطائف وكان ذلك غرة رجب وهم يظنونه من جمادى الآخرة فقالت قريش استحل محمد الشهر الحرام شهرا يأمن فيه الخائف ويبذعر فيه الناس إلى معايشهم وشق على أصحاب السرية وقالوا ما نبرح حتى تنزل توبتنا ورد رسول الله صلى الله عليه وسلم العير والأسارى وعن ابن عباس لما نزلت أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الغنيمة وهو أول غنيمة في الإسلام والسائلون هم المشركون كتبوا إليه في ذلك تشنيعا وتعييرا وقيل أصحاب السرية قتال فيه بدل اشتمال من الشهر وقرئ عن قتال فيه بتكرير العامل قل قتال فيه كبير أي ذنب كبير والأكثر على أنه منسوخ بقوله فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم خلافا لعطاء وهو نسخ الخاص بالعام وفيه خلاف والأولى منع دلالة الآية على حرمة القتال فيه مطلقا فإن قتال فيه نكرة في حيز مثبت فلا يعم وصد صرف ومنع عن سبيل الله أي الإسلام أو ما يوصل العبد إلى الله من الطاعات وكفر به أي بالله والمسجد الحرام على إرادة المضاف أي صد المسجد الحرام كقول أبي داود أكل امرئ تحسبين امرأ ونار توقد بالليل نارا ولا يحسن عطفه على سبيل الله لأن عطف قوله وكفر به على وصد مانع منه إذ لا يتقدم العطف على الموصول على العطف على الصلة ولا على الهاء في به فإن العطف على الضمير المجرور إنما يكون بإعادة الجار وإخراج أهله منه أهل المسجد الحرام وهم النبي والمؤمنون أكبر عند الله مما فعلته السرية خطأ وبناء على الظن وهو خبر عن الأشياء الأربعة المعدودة من كبائر قريش وأفعل مما يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث والفتنة أكبر من القتل أي ما ترتكبونه من الإخراج والشرك أفظع مما ارتكبوه من قتل الحضرمي ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إخبار عن دوام عداوة الكفار لهم وأنهم لا ينفكون عنها حتى يردوهم عن دينهم وحتى للتعليل كقولك أعبد الله حتى أدخل الجنة إن استطاعوا وهو استبعاد لاستطاعتهم كقول الواثق بقوته على قرنه إن ظفرت بي فلا تبق علي وإيذان بأنهم لا يردونهم ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم قيد الردة بالموت عليها في إحباط الأعمال كما هو مذهب الشافعي رضي الله عنه والمراد بها الأعمال النافعة وقرئ حبطت بالفتح وهي لغة فيه في الدنيا لبطلان ما تخيلوه وفوات ما للإسلام من الفوائد الدنيوية والآخرة بسقوط الثواب وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون كسائر الكفرة إن الذين آمنوا نزلت أيضا في السرية لما ظن بهم أنهم إن سلموا من الإثم فليس لهم أجر والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله كرر الموصول لتعظيم الهجرة والجهاد كأنهما مستقلان في تحقيق الرجاء أولئك يرجون رحمة الله ثوابه أثبت لهم الرجاء إشعارا بأن العمل غير موجب ولا قاطع في الدلالة سيما والعبرة بالخواتيم والله غفور

لما فعلوا خطأ وقلة احتياط رحيم باجزال الثواب والاجر يسألونك عن الخمر والميسر
روى انه نزل بمكة قوله تعالى ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا فاخذ المسلمون يشربونها ثم ان عمر ومعاذا
في نفر من الصحابة قالوا افتنا يا رسول الله في الخمر فانها مذهبة للعقل فنزلت هذه الاية فشربها قوم وتركها آخرون
ثم دعا عبد الرحمن بن عوف ناسا منهم فشربوا فسكروا فام احدهم فقرأ اعبد ما تعبدون فنزلت لا تقربوا الصلوة
وانتم سكارى فقل من يشربها ثم دعا عتبان بن مالك سعد بن ابي وقاص في نفر فلما سكروا افتخروا وتناشدوا
فانشد سعد شعرا فيه هجاء الانصار فضربه انصاري بلحي بعير فشجه فشكى الى رسول الله صلعم فقال عمر اللهم بين لنا بيانا
شافيا في الخمر فنزلت انما الخمر والميسر الى قوله فهل انتم منتهون فقال عمر انتهينا يا رب والخمر في الاصل مصدر خمره اذا
ستره سمي بها عصير العنب والتمر اذا اشتد وغلا لانه يخمر العقل كما سمي سكرا لانه يسكره اي يحجزه وهو حرام مطلقا
وكذا كل ما اسكر عند اكثر العلماء وقال ابو حنيفة نقيع الزبيب والتمر اذا طبخ حتى ذهب ثلثاه ثم اشتد حل شربه
ما دون السكر والميسر ايضا مصدر كالموعد سمي به القمار لانه اخذ مال الغير بيسر او سلب يساره والمعنى يسألونك
عن تعاطيهما قل فيهما اي في تعاطيهما اثم كبير من حيث انه يؤدي الى الانتكاب عن المامور
وارتكاب المحظور وقرأ حمزة والكسائي كثير بالثاء ومنافع للناس من كسب المال والطرب والالتذاذ
ومصادقة الفتيان وفي الخمر خصوصا تشجيع الجبان وتوفير المروة وتقوية الطبيعة واثمهما اكبر من
نفعهما اي المفاسد التي تنشأ منهما اعظم من المنافع المتوقعة منهما ولهذا قيل انها المحرمة للخمر فان المفسدة
اذا ترجحت على المصلحة اقتضت تحريم الفعل والاظهر انه ليس كذلك لما مر ويسألونك ماذا
ينفقون قيل سائله ايضا عمرو بن الجموح رضه سأل اولا عن المنفق والمصرف ثم سأل عن كيفية الانفاق
قل العفو العفو نقيض الجهد ومنه يقال للارض السهلة وهو ان ينفق ما تيسر له ولا يبلغ منه الجهد قال
خذي العفو مني تستديمي مودتي ولا تنطقي في سورتي حين اغضب وروي ان رجلا اتى النبي صلعم ببيضة من
ذهب اصابها في بعض المغانم فقال خذها مني صدقة فاعرض عنه حتى كرر مرارا فقال هاتها مغضبا فاخذها
فحذفها حذفا لو اصابه لشجه ثم قال يأتي احدكم بماله كله يتصدق به ويجلس يتكفف الناس انما الصدقة عن
ظهر غنى كذلك يبين الله لكم الايات اي مثل ما بين ان العفو اصلح من الجهد او
ما ذكر من الاحكام والكاف في موضع النصب صفة لمصدر محذوف اي تبيينا مثل هذا التبيين وانما وحد
العلامة والمخاطب جمع على تأويل القبيل والجمع لعلكم تتفكرون في الدلائل والاحكام في
الدنيا والاخرة في امور الدارين فتاخذون بالاصلح والانفع منها وتجتنبون عما يضركم ولا ينفعكم او
يضركم اكثر مما ينفعكم ويسألونك عن اليتامى لما نزلت ان الذين يأكلون اموال اليتامى

ظلما اعتزلوا اموال اليتامى ومخالطتهم والاهتمام بامرهم فشق ذلك عليهم فذكر ذلك لرسول الله صلعم فنزلت قل
اصلاح لهم خير اي مداخلتهم لاصلاحهم خير من مجانبتهم وان تخالطوهم فاخوانكم
حث على المخالطة اي انهم اخوانكم في الدين ومن حق الاخ ان يخالط الاخ وقيل المراد بالمخالطة المصاهرة والله
يعلم المفسد من المصلح وعيد ووعد لمن خالطهم لافساد واصلاح اي يعلم امره فيجازيه
عليه ولو شاء الله لاعنتكم اي ولو شاء الله اعناتكم لاعنتكم اي كلفكم ما يشق عليكم من العنت وهي
المشقة ولم يجوز لكم مداخلتهم ان الله عزيز غالب يقدر على الاعنات حكيم يحكم ما تقتضيه الحكمة
وتتسع له الطاقة ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن اي ولا تتزوجوهن وقرئ بالضم اي ولا
تزوجوهن من المسلمين والمشركات يعم الكتابيات لان اهل الكتاب مشركون لقوله تعالى وقالت اليهود عزير ابن
الله وقالت النصارى المسيح ابن الله الى قوله سبحانه عما يشركون ولكنها خصت عنها بقوله والمحصنات من الذين اوتوا
الكتاب روي انه عم بعث مرثد الغنوي الى مكة ليخرج منها اناسا من المسلمين فاتته عناق وكان يهواها في الجاهلية
فقالت الا تخلو فقال ان الاسلام حال بيننا فقالت هل لك ان تتزوج بي فقال نعم ولكن استامر رسول الله صلعم
فاستامره فنزلت ولامة مؤمنة خير من مشركة اي ولامرأة مؤمنة حرة كانت او
مملوكة فان الناس عباد الله واماؤه ولو اعجبتكم بجمالها وشمائلها والواو للحال ولو بمعنى ان وهو كثير و
لا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا اي ولا تزوجوا منهم المؤمنات حتى يؤمنوا وهو على عمومه و
لعبد مؤمن خير من مشرك ولو اعجبكم تعليل للنهي عن مواصلتهم وترغيب في
مواصلة المؤمنين اولئك اشارة الى المذكورين من المشركين والمشركات يدعون الى النار اي الكفر
المؤدي الى النار فلا يليق موالاتهم ومصاهرتهم والله يدعو اي واولياؤه يعني المؤمنين حذف المضاف
واقام المضاف اليه مقامه تفخيما لشأنهم الى الجنة والمغفرة اي الى الاعتقاد والعمل الموصلين اليهما فهم
الاحقاء بالمواصلة باذنه بتوفيق الله وتيسيره او بقضائه وارادته ويبين اياته للناس
لعلهم يتذكرون لكي يتذكروا او ليكونوا بحيث يرجى منهم التذكر لما ركز في العقول من الميل
الى الخير ومخالفة الهوى ويسألونك عن المحيض روي ان اهل الجاهلية كانوا لم يساكنوا الحيض
ولم يواكلوهن كفعل اليهود والمجوس واستمر ذلك الى ان سأل ابو الدحداح في نفر من الصحابة عن ذلك فنزلت و
المحيض مصدر كالمجيء والمبيت ولعله سبحانه انما ذكر يسألونك بغير واو ثلثا ثم بها ثلثا لان السؤالات الاول كانت في اوقات
متفرقة والثلثة الاخيرة كانت في وقت واحد فلذلك ذكرها بحرف الجمع قل هو اذى اي الحيض مستقذر مؤذ
من يقربه نفرة منه فاعتزلوا النساء في المحيض فاجتنبوا مجامعتهن لقوله عم انما امرتم ان تعتزلوا

بمجامعتهن اذا حضن ولم يامركم باخراجهن من البيوت كفعل الاعاجم وهو الاقتصاد بين افراط اليهود وتفريط النصارى
فانهم كانوا يجامعونهن ولا يبالون بالحيض وانما وصفه بانه اذى ورتب الحكم عليه بالفا اشعارا بانه العلة ولا
تقربوهن حتى يطهرن تاكيد للحكم وبيان لغايته وهو ان يغتسلن بعد الانقطاع ويدل عليه صريحا
قراة حمزة والكسائي وعاصم في رواية ابن عياش يطهرن اي يتطهرن بمعنى يغتسلن والتزاما قوله فاذا تطهرن
فاتوهن فانه يقتضي تاخر جواز الاتيان عن الغسل وقال ابو حنيفة ان طهرت لاكثر الحيض جاز قربانها
قبل الغسل من حيث امركم الله اي المأتى الذي امركم به وحلله لكم ان الله يحب التوابين
من الذنوب ويحب المتطهرين المتنزهين عن الفواحش والاقذار كمجامعة الحائض والاتيان في غير المأتى
نساؤكم حرث لكم مواضع حرث لكم شبههن بها تشبيها لما يلقى في ارحامهن من النطف
بالبذور فاتوا حرثكم اي فاتوهن كما تاتون المحارث وهو كالبيان لقوله فاتوهن من حيث امركم الله
انى شئتم من اي جهة شئتم روي ان اليهود كانوا يقولون من جامع امراته من دبرها في قبلها كان ولدها احول
فذكر ذلك لرسول الله صلعم فنزلت وقدموا لانفسكم ما يدخر لكم الثواب وقيل هو طلب الولد وقيل
التسمية على الوطء واتقوا الله بالاجتناب عن المعاصي واعلموا انكم ملاقوه فتزودوا ما لا تفتضحون به
وبشر المؤمنين الكاملين في الايمان بالكرامة والنعيم الدائم امر الرسول صلعم ان ينصحهم ويبشر من صدقه وامتثل
امره منهم ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم ان تبروا وتتقوا وتصلحوا
بين الناس نزلت في الصديق لما حلف ان لا ينفق على مسطح لافترائه على عائشة رضها او في عبد الله بن رواحة حلف
ان لا يكلم ختنه بشير بن نعمان ولا يصلح بينه وبين اخته والعرضة فعلة بمعنى المفعول كالقبضة تطلق لما يعرض دون الشي
وللمعرض للامر ومعنى الاية على الاول لا تجعلوا الله حاجزا لما حلفتم عليه من انواع الخير فيكون المراد بالايمان الامور
المحلوف عليها لقوله عم لابن سمرة اذا حلفت على يمين فرايت غيرها خيرا منها فات الذي هو خير وكفر عن يمينك
وان مع صلتها عطف بيان لها واللام صلة عرضة لما فيها من معنى الاعتراض ويجوز ان يكون للتعليل ويتعلق ان
بالفعل او بعرضة اي ولا تجعلوا الله عرضة لان تبروا لاجل ايمانكم به وعلى الثاني ولا تجعلوه معرضا لايمانكم فتبتذلوه
بكثرة الحلف به ولذلك ذم الحلاف بقوله ولا تطع كل حلاف مهين وان تبروا علة النهي اي انهاكم عنه
ارادة بركم وتقواكم واصلاحكم بين الناس فان الحلاف مجترئ على الله والمجترئ عليه لا يكون برا متقيا ولا موثوقا به
في اصلاح ذات البين والله سميع لايمانكم عليم بنياتكم لا يواخذكم الله باللغو
في ايمانكم اللغو الساقط الذي لا يعتد به من كلام وغيره ولغو اليمين ما لا عقد معه كما سبق به اللسان
او تكلم به جاهلا لمعناه كقول العرب لا والله وبلى والله لمجرد التاكيد لقوله ولكن يواخذكم

٦٠

بما كسبت قلوبكم والمعنى لا يواخذكم الله بعقوبة ولا كفارة بما لا قصد معه ولكن يواخذكم بهما او باحدهما بما قصدتم
من الايمان وواطات قلوبكم السنتكم وقال ابو حنيفة اللغو ان يحلف الرجل بناء على ظنه الكاذب والمعنى لا يعاقبكم
بما اخطاتم فيه من الايمان ولكن يعاقبكم بما تعمدتم الكذب فيها والله غفور حيث لم يواخذ باللغو
حليم حيث لم يعجل بالمواخذة على يمين الجد تربصا للتوبة للذين يؤلون من نسائهم اي
يحلفون على ان لا يجامعوهن والايلا الحلف وتعديته بعلى ولكن لما ضمن هذا القسم معنى البعد عدي بمن تربص
اربعة اشهر مبتدا ما قبله خبره او فاعل الظرف على خلاف سبق والتربص الانتظار والتوقف اضيف
الى الظرف على الاتساع اي للمولي حق التلبث في هذه المدة فلا يطالب بفيء ولا طلاق ولذلك قال الشافعي
لا ايلا الا في اكثر من اربعة اشهر ويويده فان فاءوا رجعوا في اليمين بالحنث فان الله غفور رحيم
للمولي اثم حنثه اذا كفر او ما توخى بالايلا من ضرار المراة ونحوه بالفيئة التي هي كالتوبة وان عزموا الطلاق
وان صمموا قصده فان الله سميع لطلاقهم عليم بغرضهم فيه وقال ابو حنيفة الايلا في اربعة اشهر فما دونها
وحكمه ان المولي ان فاء في المدة بالوطء ان قدر والوعد ان عجز صح الفيء ولزم الواطئ ان يكفر والا بانت بعدها بطلقة
وعندنا يطالب بعد المدة باحد الامرين فان ابى عنهما طلق عليه الحاكم والمطلقات يريد بها المدخول بهن
من ذوات الاقرا لما دلت الايات والاخبار ان حكم غيرهن خلاف ما ذكر يتربصن خبر في معنى الامر وتغيير العبارة
للتاكيد والاشعار بانه مما يجب ان يسارع الى امتثاله وكان المخاطب قصد ان يمتثل الامر فيخبر عنه كقولك في الدعا رحمك
الله وبناوه على المبتدا يزيده فضل تاكيد بانفسهن تهييج وبعث لهن على التربص فان نفوس النسا طوامح
الى الرجال فامرن بان يقمعنها ويحملنها على التربص ثلثة قروء نصب على الظرف او المفعول به اي يتربصن
مضيها وقروء جمع قرء وهو يطلق للحيض لقوله عم دعي الصلوة ايام اقرائك وللطهر الفاصل بين حيضتين كقول
الاعشى لما ضاع فيها من قروء نسائكا واصله الانتقال من الطهر الى الحيض وهو المراد في الاية لانه الدال على براءة
الرحم لا الحيض كما قاله ابو حنيفة لقوله تعالى فطلقوهن لعدتهن اي وقت عدتهن والطلاق المشروع لا يكون في
الحيض واما قوله عم طلاق الامة تطليقتان وعدتها حيضتان فلا يقاوم ما رواه الشيخان في قصة ابن عمر مره
فليراجعها ثم ليمسكها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر ثم ان شا امسك بعد وان شا طلق قبل ان يمس فتلك العدة التي
امر الله ان تطلق لها النسا وكان القياس ان يذكر بصيغة القلة التي هي الاقرا ولكنهم يتسعون في ذلك فيستعملون كل
واحد من البناءين مكان الاخر ولعل الحكم لما عم المطلقات ذوات الاقرا تضمن معنى الكثرة فحسن بناوها ولا
يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله في ارحامهن من الولد والحيض استعجالا في العدة وابطالا
لحق الرجعة وفيه دليل على ان قولها مقبول في ذلك ان كن يومن بالله واليوم الاخر

ليس المراد منه تقييد نفي الحل بايمانهن بل التنبيه على انه ينافي الايمان وان المؤمن لا يجترئ عليه ولا ينبغي له ان يفعل
وبعولتهن اي ازواج المطلقات احق بردهن الى النكاح والرجعة اليهن ولكن اذا كان
الطلاق رجعيا للاية التي تتلوها فالضمير اخص من المرجوع اليه ولا امتناع فيه كما لو كرر الظاهر وخصصه والبعولة جمع
بعل والتاء لتانيث الجمع كالعمومة والخؤولة او مصدر من قولك بعل حسن البعولة نعت به او اقيم مقام المضاف
المحذوف اي اهل بعولتهن وافعل هاهنا بمعنى الفاعل في ذلك اي في زمان التربص ان ارادوا
اصلاحا بالرجعة لا اضرار المرأة وليس المراد منه شرطية قصد الاصلاح للرجعة بل التحريض عليه والمنع من قصد
الضرار ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف اي ولهن حقوق على الرجال مثل حقوقهم
عليهن في الوجوب واستحقاق المطالبة عليهن لا في الجنس وللرجال عليهن درجة زيادة في
الحق وفضل فيه لان حقوقهم في انفسهن وحقوقهن المهر والكفاف وترك الضرار ونحوها او شرف وفضيلة لانهم
قوامون عليهن وحراس لهن يشركونهن في غرض الزواج ويخصون بفضيلة الرعاية والانفاق والله
عزيز يقدر على الانتقام ممن خالف الاحكام حكيم يشرعها لحكم ومصالح الطلاق
مرتان اي التطليق الرجعي اثنتان لما روي انه عم سئل اين الثالثة فقال عم او تسريح باحسان وقيل معناه
التطليق الشرعي تطليقة بعد تطليقة على التفريق ولذلك قالت الحنفية الجمع بين الطلقتين والثلاث بدعة
فامساك بمعروف بالمراجعة وحسن المعاشرة وهو يؤيد المعنى الاول او تسريح باحسان
بالطلقة الثالثة او بان لا يراجعها حتى تبين وعلى المعنى الاخير حكم مبتدأ وتخيير مطلق عقب تعليمهم كيفية التطليق
ولا يحل لكم ان تاخذوا مما اتيتموهن شيئا اي من الصدقات روي ان جميلة بنت
اخت عبد الله بن ابي بن سلول كانت تبغض زوجها ثابت بن قيس فاتت رسول الله صلعم فقالت لا انا ولا ثابت
لا يجمع راسي وراسه شيء والله ما اعيبه في دين ولا خلق ولكني اكره الكفر في الاسلام ما اطيقه بغضا اني رفعت جانب
الخباء فرايته اقبل في عدة فاذا هو اشدهم سوادا واقصرهم قامة واقبحهم وجها فنزلت واختلعت منه بحديقة
اصدقها والخطاب مع الحكام واسناد الاخذ والايتاء اليهم لانهم الامرون بهما عند الترافع وقيل انه خطاب
للازواج وما بعده خطاب للحكام وهو يشوش النظم على القراءة المشهورة الا ان يخافا اي الزوجان وقرئ
يظنا وهو يؤيد تفسير الخوف بالظن الا يقيما حدود الله بترك اقامة احكامها من مواجب الزوجية
وقرا حمزة ويعقوب يخافا على البناء للمفعول وابدال ان بصلته من الضمير بدل الاشتمال وقرئ تخافا وتقيما بتاء الخطاب
فان خفتم ايها الحكام الا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما
افتدت به على الرجل في اخذ ما افتدت به نفسها واختلعت وعلى المرأة في اعطائه تلك

حدود الله اشارة الى ما حد من الاحكام فلا تعتدوها بالمخالفة ومن يتعد حدود الله
فاولئك هم الظالمون تعقيب للنهي بالوعيد مبالغة في التهديد واعلم ان ظاهر الاية يدل على ان الخلع لا يجوز
من غير كراهة وشقاق ولا بجميع ما ساق الزوج اليها فضلا عن الزائد ويؤيد ذلك قوله عم ايما امراة سالت زوجها طلاقا في
غير باس فحرام عليها رائحة الجنة وما روي انه عم قال لجميلة اتردين عليه حديقته فقالت اردها وازيد عليها فقال عم لا اما الزائد فلا
والجمهور استكرهوه ولكن نفذوه فان المنع عن العقد لا يدل على فساده وانه يصح بلفظ المفاداة فانه سماه افتداء
واختلف في انه اذا جرى بغير لفظ الطلاق هل هو فسخ او طلاق ومن جعله فسخا احتج بقوله فان طلقها فان تعقيبه
للخلع بعد ما ذكر الطلقتين يقتضي ان يكون طلقة رابعة لو كان الخلع طلاقا والاظهر انه طلاق لانه فرقة باختيار الزوج فهو كالطلاق
بالعوض وقوله فان طلقها متعلق بقوله الطلاق مرتان تفسير لقوله او تسريح باحسان اعترض بينهما ذكر الخلع دلالة على ان الطلاق
يقع مجانا تارة وبعوض اخرى والمعنى فان طلقها بعد الثنتين فلا تحل له من بعد من بعد ذلك الطلاق
حتى تنكح زوجا غيره حتى تتزوج غيره والنكاح يسند الى كل منهما كالتزوج وتعلق بظاهره من اقتصر على
العقد كسعيد بن المسيب واتفق الجمهور على انه لا بد من الاصابة لما روي ان امراة رفاعة قالت لرسول الله صلعم ان رفاعة
طلقني فبت طلاقي وان عبد الرحمن بن الزبير تزوجني وانما معه مثل هدبة الثوب فقال رسول الله صلعم اتريدين ان ترجعي
الى رفاعة قالت نعم قال لا حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك فالاية مطلقة قيدتها السنة ويحتمل ان يفسر
النكاح بالاصابة ويكون العقد مستفادا من لفظ الزوج والحكمة في هذا الحكم الردع عن التسرع الى الطلاق والعود الى المطلقة
ثلاثا والرغبة فيها والنكاح بشرط التحليل فاسد عند الاكثر وجوزه ابو حنيفة مع الكراهة وقد لعن رسول الله صلعم المحلل و
المحلل له فان طلقها الزوج الثاني فلا جناح عليهما ان يتراجعا ان يرجع كل من المرأة والزوج
الاول الى الاخر بالزواج ان ظنا ان يقيما حدود الله ان كان في ظنهما انهما يقيمان ما حدده الله و
شرعه من حقوق الزوجية وتفسير الظن بالعلم هاهنا غير سديد لان عواقب الامور غيب تظن ولا تعلم ولانه لا يقال علمت ان
يقوم زيد لان ان الناصبة للتوقع وهو ينافي العلم وتلك حدود الله اي الاحكام المذكورة يبينها
لقوم يعلمون يفهمون ويعملون بمقتضى العلم واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن
اي اخر عدتهن والاجل يطلق للمدة ولمنتهاها فيقال لعمر الانسان وللموت الذي ينتهي به قال كل حي مستكمل مدة
العمر ومود اذا انتهى اجله والبلوغ هو الوصول الى الشيء وقد يقال للدنو منه على الاتساع وهو المراد في الاية ليصح ان
يرتب عليه فامسكوهن بمعروف او سرحوهن بمعروف اذ لا امساك بعد
انقضاء الاجل والمعنى فراجعوهن من غير ضرار او خلوهن حتى تنقضي عدتهن من غير تطويل وهو اعادة للحكم في بعض
صوره للاهتمام به ولا تمسكوهن ضرارا ولا تراجعوهن ارادة الاضرار بهن كان المطلق يترك

وهو قوله عم لا الزائد فلا ۱۲

المعتدة حتى تشارف الاجل ثم يراجعها لتطول العدة عليها فنهى عنه بعد الامر بضده مبالغة ونصب ضرارا على العلة
او الحال بمعنى مضارين لتعتدوا لتظلموهن بالتطويل او الالجاء الى الافتداء واللام متعلقة بالضرار اذ المراد
تقييده ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه بتعريضها للعقاب ولا تتخذوا
ايات الله هزوا بالاعراض عنها والتهاون بالعمل بما فيها من قولهم لمن لم يجد في الامر انما انت هازئ
كانه نهى عن الهزو واراد به الامر بضده وقيل كان الرجل يتزوج ويطلق ويعتق ويقول كنت العب فنزلت وعنه
ثلاث جدهن جد وهزلهن جد الطلاق والنكاح والرجعة واذكروا نعمت الله عليكم التي من جملتها
الهداية وبعثة محمد بالشكر والقيام بحقوقها وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة
القرآن والسنة اوردهما بالذكر اظهارا لشرفهما يعظكم به بما انزل عليكم واتقوا الله و
اعلموا ان الله بكل شيء عليم تأكيد وتهديد واذا طلقتم النساء فبلغن
اجلهن اي انقضت عدتهن عن الشافعي رضي الله عنه دل سياق الكلامين على افتراق البلوغين فلا تعضلوهن
ان ينكحن ازواجهن المطلقين الاولياء لما روي انها نزلت في معقل بن يسار حين عضل اخته جميلاء ان
ترجع الى زوجها الاول بالاستيناف فيكون دليلا على ان المراة لا تزوج نفسها اذ لو تمكنت منه لم يكن لعضل الولي
معنى ولا يعارض باسناد النكاح اليهن لانه بسبب توقفه على اذنهن وقيل الازواج الذين يعضلون نساءهم بعد مضي
العدة ولا يتركوهن يتزوجن عدوانا وقسرا لانه جواب قوله واذا طلقتم وقيل الاولياء والازواج وقيل الناس
كلهم والمعنى لا يوجد فيما بينكم هذا الامر فانه اذا وجد بينهم وهم راضون به كانوا كالفاعلين له والعضل الحبس والتضييق
ومنه عضلت الدجاجة اذا نشب بيضها فلم يخرج اذا تراضوا بينهم اي الخطاب والنساء وهو ظرف لان
ينكحن او لا تعضلوهن بالمعروف بما يعرفه الشرع وتستحسنه المروءة حال من الضمير المرفوع او صفة مصدر محذوف
اي تراضيا كائنا بالمعروف وفيه دلالة على ان العضل عن التزوج من غير كفو غير منهي ذلك اشارة الى ما مضى
ذكره والخطاب للجمع على تاويل القبيل او كل واحد او ان الكاف لمجرد الخطاب والفرق بين الحاضر والمنقضي دون
تعيين المخاطبين او للرسول عليه السلام على طريقة قوله يا ايها النبي اذا طلقتم النساء للدلالة على ان حقيقة المشار اليه امر لا يكاد يتصوره
كل احد يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الاخر
لانه المتعظ به والمنتفع ذلكم اي العمل بمقتضى ما ذكر ازكى لكم انفع واطهر من دنس الاثام
والله يعلم ما فيه من النفع والصلاح وانتم لا تعلمون لقصور علمكم والوالدات يرضعن
اولادهن امر عبر عنه بالخبر للمبالغة ومعناه الندب او الوجوب فيخص بما اذا لم يرتضع الصبي الا من امه
او لم يوجد له ظئر او عجز الوالد عن الاستيجار والوالدات تعم المطلقات وغيرهن وقيل يختص بهن اذ الكلام فيهن

والعتاق

حولين كاملين اكده بصفة الكمال لانه مما يتسامح فيه لمن اراد ان يتم الرضاعة بيان
للمتوجه اليه الحكم اي ذلك لمن اراد اتمام الرضاعة او متعلق بيرضعن فان الاب يجب عليه الارضاع كالنفقة
واللام ترضع له وهو دليل على ان اقصى مدة الارضاع حولان ولا عبرة به بعدهما وانه يجوز ان ينقص عنهما وعلى
المولود له اي الذي يولد له يعني الوالد فان الولد يولد له وينسب اليه وتغيير العبارة للاشارة الى المعنى
المقتضي لوجوب الارضاع ومؤن المرضعة عليه رزقهن وكسوتهن اجرة لهن واختلف
في استيجار الام فجوزه الشافعي ومنعه ابو حنيفة ما دامت زوجة او معتدة نكاح بالمعروف حسب ما يراه الحاكم
ويفي به وسعه لا تكلف نفس الا وسعها تعليل لايجاب المؤن والتقييد بالمعروف ودليل
انه تعالى لا يكلف العبد بما لا يطيقه وذلك لا يمنع امكانه لا تضار والدة بولدها ولا مولود
له بولده تفصيل له وتقريب اي لا يكلف كل منهما الاخر ما ليس في وسعه ولا يضاره بسبب الولد
وقرأ ابن كثير وابو عمرو ويعقوب لا تضار بالرفع بدلا من قوله لا تكلف واصله على القراءتين تضارر بالكسر على
البناء للفاعل او الفتح على البناء للمفعول وعلى الوجه الاول يجوز ان يكون بمعنى تضر والباء صلته اي لا يضر الوالدان
بالولد فيفرط في تعهده ويقصر فيما ينبغي له وقرئ لا تضار بالسكون مع التشديد على نية الوقف وبه مع التخفيف
على انه من ضاره يضيره واضافة الولد اليها تارة واليه اخرى استعطاف لهما عليه وتنبيه على انه حقيق
بان يتفقا على استصلاحه والاشفاق فلا ينبغي ان يضرا به او يتضارا بسببه وعلى الوارث مثل ذلك
عطف على قوله وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن وما بينهما تعليل معترض والمراد بالوارث وارث
الاب وهو الصبي اي يمان المرضعة من ماله اذا مات الاب وقيل الباقي من الابوين من قوله صلى الله عليه وسلم واجعله الوارث
منا وكلا القولين يوافق مذهب الشافعي اذ لا نفقة عنده فيما عدا الولاد وقيل وارث الطفل واليه ذهب
ابن ابي ليلى وقيل وارثه المحرم منه وهو مذهب ابي حنيفة وقيل عصباته وبه قال ابو زيد وذلك اشارة الى
ما وجب على الاب من الرزق والكسوة فان ارادا فصالا عن تراض منهما وتشاور
اي فصالا صادرا عن التراضي منهما والتشاور بينهما قبل الحولين والتشاور والمشورة والمشاورة والمشورة استخراج الراي
من شرت العسل اذا استخرجته فلا جناح عليهما في ذلك وانما اعتبر تراضيهما مراعاة لصلاح الطفل
وحذرا ان يقدم احدهما على ما يضر به لغرض او غيره وان اردتم ان تسترضعوا اولادكم
اي تسترضعوا المراضع اولادكم يقال ارضعت المراة الطفل واسترضعتها اياه كقولك انجح الله حاجتي و
استنجحته اياها فحذف المفعول الاول للاستغناء عنه فلا جناح عليكم فيه واطلاقه يدل على ان للزوج
ان يسترضع للولد ويمنع الزوجة من الارضاع اذا سلمتم الى المراضع ما اتيتم ما اردتم ايتاءه كقوله تعالى

اذا قمتم الى الصلوة وقرا ابن كثير ما اتيتم من اتى اليه احسانا اذا فعله وقرئ اوتيتم اى ما اتاكم الله واقدركم
عليه من الاجرة بالمعروف صلة سلمتم اى بالوجه المتعارف المستحسن شرعا وجواب الشرط محذوف
دل عليه ما قبله وليس اشتراط التسليم لجواز الاسترضاع بل لسلوك ما هو الاولى والاصلح للطفل واتقوا
الله مبالغة فى المحافظة على ما شرع فى امر الاطفال والمراضع واعلموا ان الله بما تعملون
بصير حث وتهديد والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن
بانفسهن اربعة اشهر وعشرا اى وازواج الذين او والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا
يتربصن بعدهم كقولهم السمن منوان بدرهم وقرئ يتوفون بفتح اليا اى يستوفون اجالهم وتانيث العشر باعتبار الليالى
لانها غرر الشهور والايام ولذلك لا يستعملون التذكير فى مثله قط ذهابا الى الايام حتى انهم يقولون صمت عشرا ويشهد
له قوله ان لبثتم الا عشرا ثم ان لبثتم الا يوما ولعل المقتضى لهذا التقدير ان الجنين فى غالب الامر يتحرك لثلاثة اشهر ان كان
ذكرا ولاربعة ان كان انثى فاعتبر اقصى الاجلين وزيد عليه العشر استظهارا اذ ربما تضعف حركته فى المبادى فلا يحس
بها وعموم اللفظ يقتضى تساوى المسلمة والكتابية فيه كما قاله الشافعى والحرة والامة كما قاله الاصم والحامل وغيرها لكن
القياس اقتضى تنصيف المدة للامة والاجماع خص الحامل عنه لقوله تعالى واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن وعن على
وابن عباس انها تعتد باقصى الاجلين احتياطا فاذا بلغن اجلهن اى انقضت عدتهن فلا جناح
عليكم ايها الائمة او المسلمون جميعا فيما فعلن فى انفسهن من التعرض للخطاب وسائر ما حرم
عليها للعدة بالمعروف بالوجه الذى لا ينكره الشرع ومفهومه انهن لو فعلن ما ينكره فعليهم ان يكفوهن فان
قصروا فعليهم الجناح والله بما تعملون خبير فيجازيكم عليه ولا جناح عليكم فيما عرضتم
به من خطبة النساء التعريض والتلويح ايهام المقصود بما لم يوضع له حقيقة ولا مجازا كقول السائل
جئتك لاسلم عليك والكناية هى الدلالة على الشىء بذكر لوازمه وروادفه كقولك طويل النجاد للطويل وكثير
الرماد للمضياف والخطبة بالضم والكسر اسم الحالة غير ان المضمومة خصت بالموعظة والمكسورة بطلب المراة والمراد
بالنساء المعتدات للوفاة وتعريض خطبتها ان يقول لها انك جميلة او نافعة ومن غرضى ان اتزوج ونحو ذلك
او اكننتم فى انفسكم او اضمرتم فى قلوبكم فلم تذكروه تصريحا ولا تعريضا علم الله انكم
ستذكرونهن ولا تصبرون على السكوت عنهن وعن الرغبة فيهن وفيه نوع توبيخ ولكن
لا تواعدوهن سرا استدراك عن محذوف دل عليه ستذكرونهن اى فاذكروهن ولكن لا تواعدوهن
نكاحا او جماعا عبر بالسر عن الوطء لانه مما يسر ثم عن العقد لانه سبب فيه وقيل معناه لا تواعدوهن فى السر على
ان المعنى بالمواعدة فى السر المواعدة بما يستهجن الا ان تقولوا قولا معروفا وهو ان تعرضوا ولا تصرحوا

النافعة من النساء لمعتبر الزواج

والمستثنى منه محذوف اى لا تواعدوهن مواعدة الا مواعدة معروفة او الا مواعدة بقول معروف وقيل انه استثناء
منقطع من سرا وهو ضعيف لادائه الى قولك لا تواعدوهن الا التعريض وهو غير موعود وفيه دليل حرمة تصريح
خطبة المعتدة وجواز تعريضها ان كانت معتدة وفاة واختلف فى معتدة الفراق البائن والاظهر جوازه ولا
تعزموا عقدة النكاح ذكر العزم مبالغة فى النهى عن العقد اى ولا تعزموا عقد عقدة النكاح
وقيل معناه لا تقطعوا عقدة النكاح فان اصل العزم القطع حتى يبلغ الكتاب اجله حتى ينتهى
ما كتب من العدة واعلموا ان الله يعلم ما فى انفسكم من العزم على ما لا يجوز فاحذروه
ولا تعزموه واعلموا ان الله غفور لمن عزم ولم يفعل خشية من الله حليم لا يعاجلكم بالعقوبة
لا جناح عليكم لا تبعة من مهر وقيل من وزر لانه لا بدعة فى الطلاق قبل المسيس وقيل كان النبى صلى الله عليه وسلم يكثر
النهى عن الطلاق فظن ان فيه حرجا فنفى ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن اى تجامعوهن
وقرا حمزة والكسائى تماسوهن بضم التاء ومد الميم فى جميع القران او تفرضوا لهن فريضة الا
ان تفرضوا او حتى تفرضوا او وتفرضوا والفرض تسمية المهر وفريضة نصب على المفعول به فعيلة بمعنى مفعولة والتاء
لنقل اللفظ من الوصفية الى الاسمية ويحتمل المصدر والمعنى انه لا تبعة على المطلق من مطالبة المهر اذا كانت المطلقة غير
ممسوسة ولكن سمى لها فلها نصف المسمى فمنطوق الاية نفى الوجوب فى الصورة الاولى ومفهومها يقتضى الوجوب
على الجملة فى الاخريين ومتعوهن عطف على مقدر اى فطلقوهن ومتعوهن والحكمة فى ايجاب المتعة
جبر ايحاش الطلاق وتقديرها مفوض الى راى الحاكم ويؤيده قوله على الموسع قدره وعلى المقتر
قدره اى على كل من الذى له سعة والمقتر الضيق الحال ما يطيقه ويليق به ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم
لانصارى طلق امراته المفوضة قبل ان يمسها متعها بقلنسوتك وقال ابو حنيفة هى درع وملحفة وخمار على حسب
الحال الا ان يقل مهر مثلها عن ذلك فلها نصف مهر المثل ومفهوم الاية يقتضى تخصيص ايجاب المتعة للمفوضة التى لم
يمسها الزوج والحق بها الشافعى فى احد قوليه الممسوسة المفوضة وغيرها قياسا وهو مقدم على المفهوم وقرا حفص وحمزة
والكسائى وابن ذكوان بفتح الدال متاعا تمتيعا بالمعروف بالوجه الذى يستحسنه الشرع والمروة
حقا صفة لمتاعا او مصدر مؤكد اى حق ذلك حقا على المحسنين الذين يحسنون الى انفسهم بالمسارعة
الى الامتثال او الى المطلقات بالتمتيع وسماهم محسنين للمشارفة ترغيبا وتحريضا وان طلقتموهن
من قبل ان تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم
لما ذكر حكم المفوضة اتبعه حكم قسيمها اى فلهن او فالواجب نصف ما فرضتم لهن وهو دليل على ان الجناح المنفى
ثمة تبعة المهر وان لا متعة مع التشطير لانه قسيمها الا ان يعفون اى المطلقات فلا ياخذن شيئا و

الصيغة تحتمل التذكير والتأنيث والفرق أن الواو في الأول ضمير والنون علامة الرفع وفي الثاني لام الفعل والنون ضمير
والفعل مبني ولذلك لم تؤثر فيه ان ههنا ونصب المعطوف عليه أو يعفو الذي بيده
عقدة النكاح أي الزوج المالك لعقده وحله عما يعود إليه بالتشطير فيسوق المهر إليها كاملا
وهو مشعر بأن الطلاق قبل المسيس مخير للزوج غير مشطر بنفسه وإليه ذهب بعض أصحابنا والحنفية وقيل الولي
الذي يلي عقد نكاحهن وذلك إذا كانت المرأة صغيرة وهو قول قديم للشافعي وأن تعفوا أقرب
للتقوى يؤيد الوجه الأول وعفو الزوج على وجه التخيير ظاهر وعلى الوجه الآخر عبارة عن الزيادة على الحق و
تسميتها عفوا إما على المشاكلة وإما لأنهم يسوقون المهر إلى النساء عند التزوج فمن طلق قبل المسيس استحق استرداد النصف
فإذا لم يسترده فقد عفا عنه وعن جبير بن مطعم أنه تزوج امرأة وطلقها قبل الدخول فأكمل لها الصداق وقال أنا أحق
بالعفو ولا تنسوا الفضل بينكم أي ولا تنسوا أن يتفضل بعضكم على بعض إن الله
بما تعملون بصير لا يضيع تفضلكم وإحسانكم حافظوا على الصلوات بالأداء لوقتها
والمداومة عليها ولعل الأمر بها في تضاعيف أحكام الأولاد والأزواج لئلا يلهيهم الاشتغال بشأنهم عنها و
الصلوة الوسطى أي الوسطى بينها أو الفضلى منها خصوصا وهي صلوة العصر لقوله عليه السلام يوم الأحزاب
شغلونا عن صلوة الوسطى صلوة العصر ملأ الله بيوتهم نارا وفضلها لكثرة اشتغال الناس في وقتها واجتماع
الملئكة وقيل صلوة الظهر لأنها في وسط النهار وكانت أشق الصلوات عليهم وكانت أفضل لقوله عليه السلام أفضل الأعمال
أحمزها وقيل الفجر لأنها بين صلوتي النهار والليل والواقعة في الحد المشترك بينهما ولأنها مشهودة وقيل المغرب لأنها
المتوسط بالعدد ووتر النهار وقيل العشاء لأنها بين جهريتين واقعتين طرفي الليل وعن عائشة رضي الله عنها أنه عليه السلام كان يقرأ
والصلوة الوسطى وصلوة العصر فتكون صلوة من الأربع خصت بالذكر مع العصر لانفرادهما بالفضل وقرئ بالنصب
على الاختصاص وقوموا لله في الصلوة قانتين ذاكرين له في القيام والقنوت الذكر فيه و
قيل خاشعين وقال ابن المسيب المراد به القنوت في الصبح فإن خفتم من عدو أو غيره فرجالا
أو ركبانا فصلوا راجلين أو راكبين ورجال جمع راجل أو رجل بمعناه كقائم وقيام وفيه دليل على
وجوب الصلوة حال المسايفة وإليه ذهب الشافعي وقال أبو حنيفة لا يصلي حال المشي والمسايفة ما لم يمكن
الوقوف فإذا أمنتم وزال خوفكم فاذكروا الله صلوا صلوة الأمن أو اشكروه على الأمن
كما علمكم ذكرا مثل ما علمكم من الشرائع وكيفية الصلوة حالتي الخوف والأمن أو شكرا يوازيه وما مصدرية أو
موصولة ما لم تكونوا تعلمون مفعول علمكم والذين يتوفون منكم و
يذرون أزواجا وصية لأزواجهم قرأ بالنصب أبو عمرو وابن عامر وحمزة

وحفص عن عاصم على تقدير والذين يتوفون منكم يوصون وصية أو ليوصوا وصية أو كتب الله عليهم وصية أو ألزم
الذين يتوفون وصية ويؤيد ذلك قراءة كتب عليكم الوصية لأزواجكم متاعا إلى الحول مكانه وقرأ الباقون
بالرفع على تقدير ووصية الذين يتوفون أو حكمهم وصية أو والذين يتوفون أهل وصية أو كتب عليهم وصية أو عليهم وصية
وقرئ متاع بدلها متاعا إلى الحول نصب بيوصون إن أضمرت وإلا فبالوصية وبمتاع على قراءة من
قرأه لأنه بمعنى التمتيع غير إخراج بدل منه أو مصدر مؤكد كقولك هذا القول غير ما تقول أو حال من
أزواجهم أي غير مخرجات والمعنى أنه يجب على الذين يتوفون أن يوصوا قبل أن يحتضروا لأزواجهم بأن يمتعن بعدهم
حولا بالسكنى وكان ذلك أول الإسلام ثم نسخت المدة بقوله أربعة أشهر وعشرا وهو وإن كان متقدما في التلاوة
فهو متأخر في النزول وسقطت النفقة بتوريثها الربع أو الثمن والسكنى لها بعد ثابتة عندنا خلافا لأبي حنيفة فإن
خرجن من منزل الأزواج فلا جناح عليكم أيها الأئمة فيما فعلن في
أنفسهن كالتطيب وترك الحداد من معروف مما لم ينكره الشرع وهذا يدل على أنه لم يكن
يجب عليها ملازمة مسكن الزوج والحداد عليه وإنما كانت مخيرة بين الملازمة وأخذ النفقة وبين الخروج وتركها و
الله عزيز ينتقم ممن خالفه منهم حكيم راعى مصالحهم وللمطلقات متاع بالمعروف
حقا على المتقين أثبت المتعة للمطلقات جميعا بعدما أوجبها لواحدة منهن وإفراد بعض العام
بالحكم لا يخصصه إلا إذا جوزنا تخصيص المنطوق بالمفهوم ولذلك أوجبها ابن جبير لكل مطلقة وأول غيره بما يعم التمتيع
الواجب والمستحب وقال قوم المراد بالمتاع نفقة العدة ويجوز أن يكون اللام للعهد والتكرير للتأكيد أو لتكرر القصة
كذلك إشارة إلى ما سبق من أحكام الطلاق والعدد يبين الله لكم آياته وعد بأنه
سيبين لعباده من الدلائل والأحكام ما يحتاجون إليه معاشا ومعادا لعلكم تعقلون لعلكم تفهمونها
تستعملون العقل فيها ألم تر تعجيب وتقرير لمن سمع بقصتهم من أهل الكتاب وأرباب التواريخ وقد يخاطب به
من لم ير ولم يسمع فإنه صار مثلا في التعجب إلى الذين خرجوا من ديارهم يريد به أهل داوردان قرية
قبل واسط وقع فيهم طاعون فخرجوا هاربين فأماتهم الله ثم أحياهم ليعتبروا ويتيقنوا أن لا مفر من قضاء الله تعالى
وقدره أو قوما من بني إسرائيل دعاهم ملكهم إلى الجهاد ففروا حذر الموت فأماتهم الله ثمانية أيام ثم أحياهم
وهم ألوف أي ألوف كثيرة قيل عشرة وقيل ثلاثون وقيل سبعون وقيل متألفون جمع آلف أو إلف
كقاعد وقعود والواو للحال حذر الموت مفعول له فقال لهم الله موتوا أي قال لهم موتوا
فماتوا كقوله كن فيكون والمعنى أنهم ماتوا ميتة رجل واحد من غير علة بأمر الله تعالى ومشيئته وقيل ناداهم به ملك
وإنما أسند إلى الله تخويفا وتهويلا ثم أحياهم قيل مر خرقيل على أهل داوردان وقد عريت عظامهم وتفرقت

ن

عليه

القصة

خرقيل نبي من الانبيا

اوصالهم فتعجب من ذلك فاوحى الله اليه ناديهم ان قوموا باذن الله فنادى فقاموا يقولون سبحانك اللهم وبحمدك
لا اله الا انت وفايدة القصة تشجيع المسلمين على الجهاد والتعرض للشهادة وحثهم على التوكل والاستسلام للقضا
ان الله لذو فضل على الناس حيث احياهم ليعتبروا ويفوزوا وقص عليكم حالهم لتستبصروا
ولكن اكثر الناس لا يشكرون اى لا يشكرونه كما ينبغي ويجوز ان يراد بالشكر الاعتبار
والاستبصار وقاتلوا في سبيل الله لما بين ان الفرار عن الموت غير مخلص وان المقدر لا محالة واقع
امرهم بالقتال اذ لو جاء اجلهم ففي سبيل الله والا فالنصر والثواب واعلموا ان الله سميع لما يقوله
المتخلف والسابق عليم بما يضمرانه وهو من وراء الجزاء من ذا الذي يقرض الله من استفهامية
مرفوعة الموضع بالابتداء وذا خبره والذي صفة ذا او بدله واقراض الله مثل لتقديم العمل الذي يطلب به ثوابه
قرضا حسنا اقراضا حسنا مقرونا بالاخلاص وطيب النفس او مقرضا حلالا طيبا وقيل القرض الحسن المجاهدة
والانفاق في سبيل الله فيضاعفه له فيضاعف جزاءه اخرجه على صورة المغالبة للمبالغة وقرأ عاصم
بالنصب على جواب الاستفهام حملا على المعنى فان من ذا الذي يقرض الله في معنى ايقرض الله احد وقرأ ابن
كثير يضعّفه بالرفع والتشديد وابن عامر ويعقوب بالنصب اضعافا كثيرة لا يقدر قدرها
الا الله وقيل الواحد بسبعمائة واضعافا جمع ضعف ونصبه على الحال من الضمير المنصوب او المفعول الثاني لتضمن
المضاعفة معنى التصيير او المصدر على ان الضعف اسم المصدر وجمعه للتنويع والله يقبض و
يبسط يقتر على بعض ويوسع على بعض حسبما اقتضت حكمته فلا تبخلوا عليه بما وسع عليكم لئلا يبدل حالكم
واليه ترجعون فيجازيكم على ما قدمتم الم تر الى الملاء من بني اسرائيل الملأ جماعة
يجتمعون للتشاور ولا واحد له كالقوم ومن للتبعيض من بعد موسى اى من بعد وفاته ومن للابتداء
اذ قالوا لنبي لهم هو يوشع او شمعون او شمويل ابعث لنا ملكا نقاتل في
سبيل الله اقم لنا اميرا ننهض معه للقتال يدبر امره ونصدر فيه عن رايه وجزم نقاتل على الجواب
وقرئ بالرفع على انه حال اى ابعثه لنا مقدرين القتال ويقاتل بالياء مجزوما ومرفوعا على الجواب والوصف
للملك قال هل عسيتم ان كتب عليكم القتال الا تقاتلوا فصل بين عسى وخبره
بالشرط والمعنى اتوقع جبنكم عن القتال ان كتب عليكم فادخل هل على فعل التوقع مستفهما عما هو المتوقع
مثبتا قالوا وما لنا الا نقاتل في سبيل الله وقد اخرجنا
... اى اى غرض لنا في ترك القتال وقد عرض لنا ما يوجبه ويحث عليه من الاخراج
والافراد عن الاولاد وذلك ان جالوت ومن معه من العمالقة كانوا يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر

وفلسطين فظهروا على بني اسرائيل فاخذوا ديارهم وسبوا اولادهم واسروا من ابناء الملوك اربعمائة واربعين
فلما كتب عليهم القتال تولوا الا قليلا منهم ثلثمائة وثلثة عشر بعدد اهل بدر والله
عليم بالظالمين وعيد لهم على ظلمهم في ترك الجهاد وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث
لكم طالوت ملكا طالوت علم عبري كداود وجعله فعلوتا من الطول تعسف يدفعه منع صرفه روي
ان نبيهم لما دعا الله ان يملكهم اتى بعصا يقاس بها من يملك عليهم فلم يساوها الا طالوت قالوا انى
يكون له الملك علينا من اين يكون له ذلك ويتأهل ونحن احق بالملك منه و
لم يؤت سعة من المال والحال انا احق بالملك وراثة ومكنة وانه فقير لا مال له ليعتضد به وانما
قالوا ذلك لان طالوت كان فقيرا راعيا او سقاء او دباغا من اولاد بنيامين ولم يكن فيهم النبوة والملك وانما كانت
النبوة في اولاد لاوي والملك في اولاد يهودا وكان فيهم من السبطين خلق قال ان الله اصطفيه
عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم والله يؤتي ملكه من يشاء
والله واسع عليم لما استبعدوا تملكه لفقره وسقوط نسبه رد عليهم ذلك اولا بان العمدة فيه اصطفاء الله
وقد اختاره عليكم والله اعلم بالمصالح منكم وثانيا بان الشرط فيه وفور العلم ليتمكن به من معرفة الامور السياسية و
جسامة البدن ليكون اعظم خطرا في القلوب واقوى على مقاومة العدو ومكابدة الحروب لا ما ذكرتم وقد زاده الله
فيهما وكان الرجل القائم يمد يده فينال راسه وثالثا بانه تعالى مالك الملك على الاطلاق فله ان يؤتيه من يشاء و
رابعا بانه واسع الفضل يوسع على الفقير ويغنيه عليم بمن يليق بالملك من النسيب وغيره وقال لهم نبيهم لما طلبوا
منه حجة على انه سبحانه اصطفى طالوت وملكه عليهم ان آية ملكه ان يأتيكم التابوت
الصندوق فعلوت من التوب فانه لا يزال يرجع اليه ما يخرج منه وليس بفاعول لقلته نحو سلس
وقلق ومن قرأه بالهاء فلعله ابدله منه كما ابدل من تاء التانيث لاشتراكهما في الهمس والزيادة يريد به صندوق
التورية وكان من خشب الشمشاد مموها بالذهب نحوا من ثلثة اذرع في ذراعين فيه سكينة من
ربكم الضمير فيه للاتيان اى في اتيانه سكون لكم وطمانينة او للتابوت اى مودع فيه ما تسكنون اليه
وهو التورية وكان موسى عم اذا قاتل قدمه فتسكن نفوس بني اسرائيل ولا يفرون وقيل صورة كانت فيه من زبرجد او ياقوت
لها راس وذنب كراس الهرة وذنبها وجناحان فتئن فيزف التابوت نحو العدو وهم يتبعونه فاذا استقر ثبتوا و
سكنوا ونزل النصر وقيل صور الانبياء من آدم الى محمد صلعم وقيل التابوت هو القلب والسكينة ما فيه من العلم والاخلاص
واتيانه تصيير قلبه مقر العلم والوقار بعد ان لم يكن وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون
رضاض الالواح وعصى موسى وثيابه وعمامة هرون وآلهما ابناؤهما او انفسهما والآل مقحم لتفخيم شانهما او انبياء

اسرائيل لانهم ابناء عمهما تحمله الملائكة قيل رفعه الله بعد موسى فنزلت به الملائكة وهم ينظرون اليه و
قيل كان بعده مع انبيائهم يستفتحون به حتى افسدوا فغلبهم الكفار عليه وكان في ارض جالوت الى ان ملك الله
طالوت فاصابهم الله ببلاء حتى هلكت خمس مداين فتشاءموا بالتابوت فوضعوه على ثورين فساقتهما الملائكة
الى طالوت ان في ذلك لاية لكم ان كنتم مومنين يحتمل ان يكون من تمام كلام النبي وان
يكون ابتداء خطاب من الله تعالى فلما فصل طالوت بالجنود انفصل بهم عن بلده لقتال العمالقة
واصله فصل نفسه عنه ولكن لما كثر حذف مفعوله صار كاللازم روي انه قال لهم لا يخرج معي الا الشاب النشيط الفارغ
فاجتمع اليه ممن اختاره ثمانون الفا وكان الوقت قيظا فسلكوا مفازة وسالوا ان يجري الله لهم نهرا قال ان الله
مبتليكم بنهر معاملكم معاملة المختبر بما اقترحتموه فمن شرب منه فليس مني
فليس من اشياعي او ليس بمتحد معي ومن لم يطعمه فانه مني اي من لم يذقه من طعم الشيء اذا ذاقه
ماكولا او مشروبا قال وان شئت لم اطعم نقاخا ولا بردا وانما علم ذلك بالوحي ان كان نبيا كما قيل او
باخبار النبي الا من اغترف غرفة بيده استثناء من قوله فمن شرب وانما قدمت عليه الجملة الثانية
للعناية بها كما قدم الصابئون على الخبر في قوله ان الذين امنوا والذين هادوا والمعنى الرخصة في القليل دون الكثير وقرا ابن
عامر والكوفيون بضم الغين فشربوا منه الا قليلا منهم اي فكرعوا فيه اذ الاصل في الشرب منه
ان يكون بوسط وتعميم الاول ليتصل الاستثناء او افرطوا في الشرب الا قليلا منهم وقرئ بالرفع حملا على المعنى فان
قوله فشربوا منه في معنى فلم يطيعوه والقليل كانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا وقيل ثلاثة الاف وقيل الف روي
ان من اقتصر على الغرفة كفته لشربه واداوته ومن لم يقتصر غلب عليه عطشه واسودت شفته ولم يقدر ان
يمضي وكذا الدنيا لقاصد الاخرة فلما جاوزه هو والذين امنوا معه اي القليل الذين
لم يخالفوه قالوا اي بعضهم لبعض لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده لكثرتهم و
قوتهم قال الذين يظنون انهم ملاقوا الله اي قال الخلص منهم الذين تيقنوا لقاء الله
وتوقعوا ثوابه او علموا انهم يستشهدون عما قريب فيلقون الله وقيل هم القليل الذين ثبتوا معه والضمير في قالوا
للكثير المنخزلين عنه اعتذارا في التخلف وتخذيلا للقليل وكانهم تقاولوا به والنهر بينهما كم من فئة قليلة
غلبت فئة كثيرة باذن الله بحكمه وتيسيره وكم تحتمل الخبر والاستفهام ومن مبينة او مزيدة
والفئة الفرقة من الناس من فاوت راسه اذا شققته او من فاء اذا رجع فوزنها فعة او فلة والله مع
الصابرين بالنصر والاثابة ولما برزوا لجالوت وجنوده اي ظهروا اليهم ودنوا منهم
قالوا ربنا افرغ علينا صبرا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم

الكافرين

الكافرين التجوا الى الله بالدعاء وفيه ترتيب بليغ اذ سالوا اولا افراغ الصبر في قلوبهم الذي هو ملاك الامر ثم ثبات
القدم في مداحض الحرب المسبب عنه ثم النصر على العدو المترتب عليهما غالبا فهزموهم باذن الله فكسروهم بنصره
او مصاحبين لنصره اجابة لدعائهم وقتل داود جالوت قيل كان ايشى ابو داود في عسكر طالوت
مع ستة من بنيه وكان داود سابعهم وكان صغيرا يرعى الغنم فاوحى الله الى نبيهم انه الذي يقتل جالوت
فطلبه من ابيه فجاء وقد كلمه في الطريق ثلاثة احجار وقالت له انك بنا تقتل جالوت فحملها في مخلاته ورماه بها فقتله
ثم زوجه طالوت بنته واتاه الله الملك اي ملك بني اسرائيل ولم يجتمعوا قبل داود على ملك و
الحكمة النبوة وعلمه مما يشاء كالسرد وكلام الدواب والطير ولولا دفع الله
الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض ولكن الله ذو فضل على
العالمين اي لولا انه تعالى يدفع الناس بعض او ينصر المسلمين على الكفار ويكف بهم فسادهم لغلبوا وافسدوا في
الارض او لفسدت الارض بشومهم وقرا نافع هنا وفي الحج دفاع تلك ايات الله اشارة الى ما قص من
حديث الالوف وتمليك طالوت واتيان التابوت وانهزام الجبابرة وقتل داود جالوت نتلوها
عليك بالحق بالوجه المطابق الذي لا يشك فيه اهل الكتاب وارباب التواريخ وانك لمن
المرسلين لما اخبرت بها من غير تعرف واستماع تلك الرسل اشارة الى الجماعة المذكورة قصصها
في السورة او المعلومة للرسول او جماعة الرسل واللام للاستغراق فضلنا بعضهم على بعض بان خصصناه
بمنقبة ليست لغيره منهم من كلم الله تفصيل له وهو موسى وقيل موسى ومحمد كلم الله موسى ليلة الحيرة وفي
الطور ومحمدا ليلة المعراج حين كان قاب قوسين او ادنى وبينهما بون بعيد وقرئ كلم الله وكالم الله بالنصب فانه
كلم الله كما ان الله كلمه ولذلك قيل موسى كليم الله بمعنى مكالمه ورفع بعضهم درجات بان فضله على
غيره من وجوه متعددة وبمراتب متباعدة وهو محمد فانه خص بالدعوة العامة والحجج المتكاثرة والمعجزات المستمرة
والايات المتعاقبة بتعاقب الدهر والفضائل العلمية والعملية الفائتة للحصر والابهام لتفخيم شانه كانه العلم المتعين لهذا الوصف
المستغني عن التعيين وقيل ابراهيم خصصه بالخلة التي هي اعلى المراتب وقيل ادريس لقوله تعالى ورفعناه مكانا عليا وقيل اولوا
العزم من الرسل واتينا عيسى بن مريم البينات وايدناه بروح القدس
خصصه بالتعيين لافراط اليهود والنصارى في تحقيره وتعظيمه وجعل معجزاته سبب تفضيله لانها ايات واضحة ومعجزات
عظيمة لم يستجمعها غيره ولو شاء الله هدى الناس جميعا ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد الرسل
من بعد ما جاءتهم البينات المعجزات الواضحة لاختلافهم في الدين وتضليل بعضهم بعضا
ولكن اختلفوا فمنهم من امن بتوفيقه التزام دين الانبياء تفضلا ومنهم من كفر لاعراضه

عن خذلانه ولو شاء الله ما اقتتلوا كرره للتاكيد ولكن الله يفعل

ما يريد فيوفق من يشاء فضلا ويخذل من يشاء عدلا والاية دليل على ان الانبياء متفاوتة الاقدام وانه

يجوز تفضيل بعضهم على بعض لكن بقاطع لان اعتبار الظن فيما يتعلق بالعمل وان الحوادث بيد الله تابعة لمشيته خيرا كان

او شرا ايمانا او كفرا يا ايها الذين امنوا انفقوا مما رزقناكم ما اوجبت عليكم انفاقه

من قبل ان ياتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة من قبل ان ياتي يوم لا تقدرون

على تدارك ما فرطتم والخلاص من عذابه اذ لا بيع فيه فتحصلون ما تنفقونه او تفتدون به من العذاب ولا خلة حتى يعينكم عليه

اخلاؤكم او يسامحوكم به ولا شفاعة الا لمن اذن له الرحمن ورضي له قولا حتى تتكلوا على شفعاء يشفعون لكم في حط ما

في ذممكم وانما رفعت ثلثتها مع قصد التعميم لانها في التقدير جواب هل فيه بيع او خلة او شفاعة وقد فتحها ابن

كثير وابو عمرو ويعقوب على الاصل والكافرون هم الظالمون يريد التاركين للزكوة هم الظالمون

الذين ظلموا انفسهم او وضعوا المال في غير موضعه وصرفوه على غير وجهه فوضع الكافرون موضعه تغليظا وتهديدا

كقوله ومن كفر مكان من لم يحج وايذانا بان ترك الزكوة من صفات الكفار لقوله وويل للمشركين الذين لا يؤتون

الزكوة الله لا اله الا هو مبتدا وخبر والمعنى انه المستحق للعبادة لا غير وللنحاة خلاف في انه هل يضمر للا

خبر مثل في الوجود او يصح ان يوجد الحي الذي يصح ان يعلم ويقدر وكل ما يصح له فهو واجب لا يزال ممتنعه

عن القوة والامكان القيوم الدائم القيام بتدبير الخلق وحفظه فيعول من قام بالامر اذا حفظه لا تاخذه

سنة ولا نوم السنة فتور يتقدم النوم قال ابن الرقاع: وسنان اقصده النعاس فرنقت

في عينه سنة وليس بنائم: والنوم حال تعرض للحيوان من استرخاء اعصاب الدماغ من رطوبات الابخرة المتصاعدة

بحيث تقف الحواس الظاهرة عن الاحساس راسا وتقديم السنة عليه وقياس المبالغة عكسه على ترتيب الوجود والجملة

نفي للتشبيه وتاكيد لكونه حيا قيوما فان من اخذه نعاس او نوم كان ماووف الحيوة قاصرا في الحفظ والتدبير ولذلك

ترك العاطف فيه وفي الجمل التي بعده له ما في السموات وما في الارض تقرير لقيوميته

واحتجاج على تفرده في الالوهية والمراد بما فيهما ما وجد فيهما داخلا في حقيقتهما او خارجا عنهما متمكنا فيهما فهو ابلغ

من قوله له السموات والارض وما فيهن من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه بيان

لكبرياء شانه وانه لا احد يساويه او يدانيه يستقل بان يدفع ما يريده شفاعة واستكانة فضلا ان يعاوقه عنادا

او مناصبة يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ما قبلهم وما بعدهم او بالعكس لانك مستقبل المستقبل

ومستدبر الماضي او امور الدنيا وامور الاخرة او عكسه او ما يحسونه وما يعقلونه او ما يدركونه وما لا يدركونه والضمير

لما في السموات والارض لان فيهم العقلاء او لما دل عليه من ذا من الملئكة والانبيا ولا يحيطون بشيء

من علمه من معلوماته الا بما شاء ان يعلموا وعطفه على ما قبله لان مجموعهما يدل على تفرده بالعلم الذاتي

التام الدال على وحدانيته وسع كرسيه السموات والارض تصوير لعظمته

وتمثيل مجرد كقوله وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه ولا

كرسي في الحقيقة ولا قاعد وقيل كرسيه مجاز عن علمه او ملكه ماخوذ من كرسي العالم والملك وقيل جسم بين يدي العرش

ولذلك سمي كرسيا محيط بالسموات السبع لقوله صلعم ما السموات السبع والارضون السبع مع الكرسي الا كحلقة في فلاة و

فضل العرش على الكرسي كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة ولعله الفلك المشهور بفلك البروج وهو في الاصل اسم لما يقعد

عليه ولا يفضل عن مقعد القاعد وكانه منسوب الى الكرسي وهو الملبد ولا يؤده ولا يثقله ماخوذ من الاود وهو

الاعوجاج حفظهما اي حفظ السموات والارض فحذف الفاعل واضاف المصدر الى المفعول و

هو العلي المتعالي عن الانداد والاشباه العظيم المستحقر بالاضافة اليه كل ما سواه وهذه الاية مشتملة على

امهات المسائل الالهية فانها دالة على انه تعالى موجود واحد في الالهية متصف بالحيوة واجب الوجود لذاته موجد

لغيره اذ القيوم هو القائم بنفسه المقيم لغيره منزه عن التحيز والحلول مبرا عن التغير والفتور لا يناسب الاشباح ولا يعتريه

ما يعتري الارواح مالك الملك والملكوت ومبدع الاصول والفروع ذو البطش الشديد الذي لا يشفع عنده الا من

اذن له عالم بالاشيا كلها جليها وخفيها كليها وجزئيها واسع الملك والقدرة لكل ما يصح ان يملك ويقدر

عليه لا يؤده شاق ولا يشغله شان متعال عما يدركه وهم عظيم لا يحيط به فهم ولذلك قال صلعم ان اعظم اية في القران

اية الكرسي من قراها بعث الله ملكا يكتب حسناته ويمحو سياته الى الغد من تلك الساعة وقال من قرا اية الكرسي

في دبر كل صلوة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة الا الموت ولا يواظب عليها الا صديق او عابد ومن قراها اذا

اخذ مضجعه امنه الله على نفسه وجاره وجار جاره والابيات حوله لا اكراه في الدين اذ الاكراه

في الحقيقة الزام الغير فعلا لا يرى فيه خيرا يحمله عليه ولكن قد تبين الرشد من الغي تميز الايمان من

الكفر بالايات الواضحة ودلت الدلايل على ان الايمان رشد يوصل الى السعادة الابدية والكفر غي يؤدي

الى الشقاوة السرمدية والعاقل متى تبين له ذلك بادرت نفسه الى الايمان طلبا للفوز بالسعادة والنجاة ولم يحتج الى

الاكراه والالجاء وقيل اخبار في معنى النهي اي لا تكرهوا في الدين وهو اما عام منسوخ بقوله جاهد الكفار والمنافقين

واغلظ عليهم او خاص باهل الكتاب لما روي ان انصاريا كان له ابنان تنصرا قبل المبعث ثم قدما المدينة فلزمهما

ابوهما وقال والله لا ادعكما حتى تسلما فابيا واختصموا الى رسول الله صلعم فنزلت فمن يكفر بالطاغوت

بالشيطان او الاصنام او كل ما عبد من دون الله او صد عن عبادة الله فعلوت من الطغيان قلبت عينه ولامه

ويؤمن بالله بالتوحيد وتصديق الرسل فقد استمسك بالعروة الوثقى

غوت

طلب الامساك من نفسه بالعروة الوثقى من الحبل الوثيق وهي مستعارة للتمسك المحق من النظر الصحيح والرأي القويم لا
انفصام لها لا انقطاع لها يقال فصمته فانفصم اذا كسرته فانكسر والله سميع بالاقوال
عليم بالنيات ولعله تهديد على النفاق الله ولي الذين آمنوا محبهم او متولي امرهم والمراد
بهم من اراد ايمانه وثبت في علمه انه يؤمن يخرجهم بهدايته وتوفيقه من الظلمات ظلمات
الجهل واتباع الهوى وقبول الوساوس والشبه المؤدية الى الكفر الى النور الى الهدى الموصل الى الايمان
والجملة خبر بعد خبر او حال من المستكن في الخبر او من الموصول او منهما او استئناف مبين او مقرر للولاية والذين
كفروا اولياؤهم الطاغوت اي الشياطين او المضلات من الهوى والشيطان وغيرهما
يخرجونهم من النور الى الظلمات من النور الذي منحوه بالفطرة الى الكفر وفساد الاستعداد و
الانهماك في الشهوات او من نور البينات الى ظلمات الشكوك والشبهات وقيل نزلت في قوم ارتدوا عن
الاسلام واسناد الاخراج الى الطاغوت باعتبار التسبب لا يأبى تعلق قدرته تعالى وارادته به اولئك
اصحاب النار هم فيها خالدون وعيد وتحذير ولعل عدم مقابلته بوعد المؤمنين تعظيم لشأنهم
الم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه تعجيب من محاجة نمرود وحماقته ان آتاه الله
الملك لان آتاه اي ابطره ايتاء الملك وحمله على المحاجة او حاج لاجله شكرا له على طريقة العكس كقولك
عاديتني لاني احسنت اليك او وقت ان آتاه الله الملك وهو حجة على من منع ايتاء الله الملك الكافر من
المعتزلة اذ قال ابراهيم ظرف لحاج او بدل من آتاه الله على الوجه الثاني ربي الذي يحيي و
يميت بخلق الحياة والموت في الاجساد وقرأ حمزة رب بحذف الياء قال انا احيي واميت
بالعفو عن القتل والقتل وقرأ نافع انا بالالف قال ابراهيم فان الله يأتي بالشمس من
المشرق فأت بها من المغرب اعرض ابراهيم عن الاعتراض على معارضته الفاسدة الى
الاحتجاج بما لا يقدر فيه على نحو هذا التمويه دفعا للمشاغبة وهو في الحقيقة عدول عن مثال خفي الى مثال جلي
من مقدوراته التي يعجز عن الاتيان بها غيره لا عن حجة الى اخرى ولعل نمرود زعم انه يقدر ان يفعل كل جنس يفعله الله
فنقضه ابراهيم بذلك وانما حمله عليه بطر الملك وحماقته او اعتقاد الحلول وقيل لما كسر ابراهيم الاصنام سجنه
اياما ثم اخرجه ليحرقه فقال له من ربك الذي تدعو اليه وحاجه فيه فبهت الذي كفر فصار
مبهوتا وقرئ فبهت اي فغلب ابراهيم الكافر والله لا يهدي القوم الظالمين
الذين ظلموا انفسهم بالامتناع عن قبول الهداية وقيل لا يهديهم محجة الاحتجاج او سبيل النجاة او طريق الجنة يوم القيامة
او كالذي مر على قرية تقديره او رأيت مثل الذي فحذف لدلالة الم تر عليه وتخصيصه بحرف

التشبيه لان المنكر للاحياء كثير والجاهل بكيفيته اكثر من ان يحصى بخلاف مدعي الربوبية وقيل الكاف مزيدة وتقدير
الكلام الم تر الى الذي حاج او الذي مر وقيل انه معطوف محمول على المعنى كانه قيل الم تر كالذي حاج او
كالذي مر وقيل انه من كلام ابراهيم ذكره جوابا لمعارضته وتقديره او ان كنت تحيي فاحي كاحياء الله الذي
مر وهو عزير بن شرخيا او الخضر او ارميا او كافر بالبعث ويؤيده نظمه مع نمرود والقرية بيت المقدس حين
خربه بخت نصر وقيل القرية التي خرج منها الالوف وقيل غيرهما واشتقاقها من القرى وهو الجمع وهي
خاوية على عروشها خالية ساقطة حيطانها على سقوفها قال انى يحيي هذه
الله بعد موتها اعترافا بالقصور عن معرفة طريق الاحياء واستعظاما لقدرة المحيي ان كان القائل
مؤمنا واستبعادا ان كان كافرا وانى في موضع نصب على الظرف بمعنى متى او على الحال بمعنى كيف فاماته
الله مائة عام فالبثه ميتا مائة عام او اماته فلبث ميتا مائة عام ثم بعثه بالاحياء
قال كم لبثت القائل هو الله وساغ ان يكلمه وان كان كافرا لانه آمن بعد البعث او شارف الايمان
وقيل ملك او نبي قال لبثت يوما او بعض يوم كقول الظان وقيل انه مات ضحى وبعث
بعد المائة قبل الغروب فقال قبل النظر الى الشمس يوما ثم التفت فرأى بقية منها فقال او بعض يوم على
الاضراب قال بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك وشرابك لم
يتسنه لم يتغير بمرور الزمان واشتقاقه من السنة والهاء اصلية ان قدرت لام السنة هاء وهاء سكت
ان قدرت واوا وقيل اصله لم يتسنن من الحمأ المسنون فابدلت النون الثالثة حرف علة كتقضي البازي
وانما افرد الضمير لان الطعام والشراب كالجنس الواحد قيل كان طعامه تينا او عنبا وشرابه عصيرا او لبنا وكان
الكل على حاله وقرأ حمزة والكسائي لم يتسن بغير الهاء في الوصل وانظر الى حمارك كيف تفرقت عظامه
او انظر اليه سالما في مكانه كما ربطته حفظناه بلا ماء وعلف كما حفظنا الطعام والشراب من التغير والاول
ادل على الحال والواو فيه لما بعده ولنجعلك آية للناس اي فعلنا ذلك لنجعلك آية وروي انه اتى
قومه على حماره وقال انا عزير فكذبوه فقرأ التوراة من الحفظ ولم يحفظها احد قبله فعرفوه بذلك وقالوا هو ابن الله
وقيل لما رجع الى منزله كان شابا واولاده شيوخا فاذا حدثهم بحديث قالوا هذا حديث مائة سنة وانظر
الى العظام يعني عظام الحمار او الاموات الذين تعجب من احيائهم كيف ننشزها
كيف نحييها او نرفع بعضها على بعض ونركبه عليه وكيف منصوب بننشز والجملة حال من العظام اي انظر اليها محياة وقرأ
ابن كثير ونافع وابو عمرو ويعقوب ننشرها من انشر الله الموتى وقرئ ننشرها من نشر الله الموتى بمعنى انشرهم ثم
نكسوها لحما فلما تبين له فاعل تبين مضمر يفسره ما بعده تقديره فلما تبين له ان الله على كل شيء قدير

معطوف

قال اعلم ان الله على كل شي قدير فحذف الاول لدلالة الثاني عليه ويعضده ما قبله فلما تبين له
الحكم عليه وقرا حمزة والكسائي قال اعلم على الامر والامر مخاطبه او هو نفسه خاطبها به على طريق التبكيت اذ
قال ابراهيم رب ارني كيف تحيي الموتى انما سال ذلك ليصير علمه عيانا
وقيل لما قال نمرود انا احيي واميت قال له ان احياء الله برد الروح الى بدنها فقال نمرود هل عاينته فلم يقدر
ان يقول نعم وانتقل الى تقرير اخر ثم سال ربه ان يريه ليطمئن قلبه على الجواب ان سئل عنه مرة اخرى قال
اولم تؤمن باني قادر على الاحياء باعادة التركيب والحيوة قال له ذلك وقد علم انه اعرف الناس
في الايمان ليجيب بما اجاب فيعلم السامعون غرضه قال بلى ولكن ليطمئن قلبي اي بلى امنت
ولكن سالت لازيد بصيرة وسكون قلب بمضامة العيان الى الوحي والاستدلال قال فخذ اربعة
من الطير قيل طاوسا وديكا وغرابا وحمامة ومنهم من ذكر النسر بدل الحمامة وفيه ايماء الى ان احياء
النفس بالحيوة الابدية انما يتاتى باماتة حب الشهوات والزخارف التي هي صفة الطاوس والصولة
المشهور بها الديك وخسة النفس وبعد الامل المتصف بهما الغراب والترفع والمسارعة الى الهوى الموسوم
بها الحمام وانما خص الطير لانه اقرب الى الانسان واجمع لخواص الحيوان والطير مصدر سمي به او جمع كصحب
فصرهن اليك فاملهن واضممهن اليك لتتاملها وتعرف شانها لئلا يلتبس عليك بعد الاحياء
وقرا حمزة ويعقوب فصرهن بكسر الصاد وهما لغتان قال ولكن اطراف الرماح تصورها وقال وفرع
يصير الجيد وحف كانه على الليت قنوان الكروم الدوالح وقرى فصرهن بضم الصاد وكسرها مشددة
الراء من صره يصره ويصره اذا جمع وفصرهن من التصرية وهي الجمع ايضا ثم اجعل على كل
جبل منهن جزءا اي ثم جزئهن وفرق اجزاءهن على الجبال التي بحضرتك قيل كانت اربعة وقيل
سبعة ثم ادعهن قل لهن تعالين باذن الله ياتينك سعيا ساعيات مسرعات
طيرانا او مشيا روي انه امر بان يذبحها وينتف ريشها ويقطعها فيمسك رؤسها ويخلط سائر اجزائها
ويوزعها على الجبال ثم يناديهن ففعل ذلك فجعل كل جزء يطير الى الاخر حتى صارت جثثا ثم اقبلن فانضممن الى
رؤسهن وفيه اشارة الى ان من اراد احياء نفسه بالحيوة الابدية فعليه ان يقبل على القوى البدنية فيقتلها ويمزج بعضها
ببعض حتى تنكسر سورتها فيطاوعنه مسرعات متى دعاهن بداعية العقل او الشرع وكفى لك شاهدا على فضل
ابراهيم عم ويمن الضراعة في الدعاء وحسن الادب في السؤال انه تعالى اراه ما اراد ان يريه في الحال على ايسر الوجوه
واراه عزيرا بعد ان اماته مائة سنة واعلم ان الله عزيز لا يعجز عما يريده حكيم ذو حكمة بالغة في
كل ما يفعله ويذره مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله كمثل

٦٩

حبة اي مثل نفقتهم كمثل حبة او مثلهم كمثل باذر حبة على حذف مضاف انبتت سبع
سنابل في كل سنبلة مائة حبة اسند الانبات الى الحبة لما كانت من الاسباب
كما يسند الى الارض والماء والمنبت على الحقيقة هو الله تعالى والمعنى انه يخرج منها ساق يتشعب منها سبع شعب
لكل منها سنبلة فيها مائة حبة وهو تمثيل لا يقتضي وقوعه وقد يكون في الذرة والدخن وفي البر في الاراضي
المغلة والله يضاعف تلك المضاعفة لمن يشاء بفضله وعلى حسب حال المنفق من اخلاصه
وتعبه ومن اجل ذلك تفاوت الاعمال في مقادير الثواب والله واسع لا يضيق عليه ما يتفضل به من الزيادة
عليم بنية المنفق وقدر انفاقه الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون
ما انفقوا منا ولا اذى نزلت في عثمان فانه جهز جيش العسرة بالف بعير باقتابها واحلاسها
وعبد الرحمن بن عوف فانه اتى النبي صلعم باربعة الاف درهم صدقة والمن ان يعتد باحسانه على من احسن اليه والاذى
ان يتطاول عليه بسبب انعامه عليه وثم للتفاوت بين الانفاق وترك المن والاذى لهم اجرهم عند ربهم
ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون لعله لم يدخل الفاء فيه وقد تضمن ما اسند اليه معنى الشرط ايهاما
بانهم اهل لذلك وان لم يفعلوا فكيف بهم اذا فعلوا قول معروف رد جميل ومغفرة وتجاوز
عن السائل الحاجة او نيل مغفرة من الله بالرد الجميل او عفو من السائل بان يعذره ويغتفر رده خير من صدقة
يتبعها اذى خبر عنهما وانما صح الابتداء بالنكرة لاختصاصها بالصفة والله غني عن انفاق بمن
وايذاء حليم عن معاجلة من يمن ويؤذي بالعقوبة يا ايها الذين امنوا لا تبطلوا صد قاتكم
بالمن والاذى لا تحبطوا اجرها بكل واحد منهما كالذي ينفق ماله رئاء الناس و
لا يؤمن بالله واليوم الاخر كابطال المنافق الذي يرائي بانفاقه ولا يريد به رضا الله ولا
ثواب الاخرة او مماثلين الذي ينفق رئاء فالكاف في محل النصب على المصدر او الحال ورئاء نصب على
المفعول له او الحال بمعنى مرائيا او المصدر اي انفاق رئاء فمثله فمثل المرائي في انفاقه كمثل صفوان كمثل حجر
املس عليه تراب فاصابه وابل مطر عظيم القطر فتركه صلدا املس نقيا من
التراب لا يقدرون على شيء مما كسبوا لا ينتفعون بما فعلوا رئاء ولا يجدون ثوابه
والضمير للذي ينفق باعتبار المعنى لان المراد به الجنس كما في قوله وان الذي حانت بفلج دماؤهم هم القوم كل القوم
يا ام مالك والله لا يهدي القوم الكافرين الى الخير والرشاد وفيه تعريض بان
الرياء والمن والاذى على الانفاق من صفة الكفار ولا بد للمؤمن ان يتجنب عنها ومثل الذين ينفقون
اموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من انفسهم وتثبيتا بعض انفسهم على الايمان فان

في غزوة تبوك

المال شقيق الروح فمن بذل ماله لوجه الله ثبت بعض نفسه ومن بذل ماله وروحه ثبتها كلها او تصديقا للاسلام
وتحقيقا للجزاء مبتداء من اصل انفسهم وفيه تنبيه على ان حكمة الانفاق للمنفق تزكية النفس عن البخل وحب المال كمثل
جنة بربوة اى ومثل نفقة هولاء فى الزكوة كمثل بستان بموضع مرتفع فان شجره فيها يكون احسن منظرا
وازكى ثمرا وقرا ابن عامر وعاصم بربوة بالفتح وقرى بالكسر وثلثتها لغات فيها اصابها وابل مطر عظيم
القطر فاتت اكلها ثمرتها وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو بالسكون للتخفيف ضعفين مثلى
ما كانت تثمر بسبب الوابل والمراد بالضعف المثل كما اريد بالزوج الواحد فى قوله من كل زوجين اثنين وقيل اربعة امثاله
ونصبه على الحال اى مضاعفا فان لم يصبها وابل فطل اى فيصيبها او فالذى يصيبها طل او فطل
يكفيها لكرم منبتها وبرودة هوائها لارتفاع مكانها وهو المطر الصغير القطر والمعنى ان نفقات هولاء زاكية عند الله
لا تضيع بحال وان كانت تتفاوت باعتبار ما ينضم اليه من احوالهم ويجوز ان يكون التمثيل لحالهم عند الله بالجنة على
الربوة ونفقاتهم الكثيرة والقليلة الزائدتين فى زلفاهم بالوابل والطل والله بما تعملون بصير
تحذير عن الريا وترغيب فى الاخلاص ايود احدكم الهمزة فيه للانكار ان تكون له جنة من
نخيل واعناب تجرى من تحتها الانهار له فيها من كل الثمرات جعل
الجنة منهما مع ما فيها من سائر الاشجار تغليبا لهما لشرفهما وكثرة منافعهما ثم ذكر ان فيها كل الثمرات ليدل على احتوائها
على سائر انواع الاشجار ويجوز ان يكون المراد بالثمرات المنافع واصابه الكبر اى كبر السن فان
الفاقة والعالة فى الشيخوخة اصعب والواو للحال او للعطف حملا على المعنى فكانه قال ايود احدكم لو كانت له
جنة واصابه الكبر وله ذرية ضعفاء صغار لا قدرة لهم على الكسب فاصابها اعصار
فيه نار فاحترقت عطف على اصابه الكبر او تكون باعتبار المعنى والاعصار ريح عاصفة تنعكس من
الارض الى السما مستديرة كعمود والمعنى تمثيل حال من يفعل الافعال الحسنة ويضم اليها ما يحبطها كريا وايذا فى الحسرة
والاسف اذا كان يوم القيمة واشتد حاجته اليها وجدها محبطة بحال من هذا شانه واشبههم به من جال بسره فى
عالم الملكوت وترقى بفكره الى جناب الجبروت ثم نكص على عقبيه الى عالم الزور والتفت الى ما سوى الحق وجعل سعيه هباء
منثورا كذلك يبين الله لكم الايات لعلكم تتفكرون اى تتفكرون
فيها فتعتبرون بها يا ايها الذين امنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم
من حلاله او جياده ومما اخرجنا لكم من الارض اى ومن طيبات ما اخرجنا لكم من
الحبوب والثمر والمعادن فحذف المضاف لتقدم ذكره ولا تيمموا الخبيث منه ولا
تقصدوا الردى منه اى من المال او مما اخرجنا وتخصيصه بذلك لان التفاوت فيه اكثر وقرى ولا تُيمموا

ولا تُيمموا بضم التا تنفقون حال مقدرة من فاعل تيمموا ويجوز ان يتعلق به منه ويكون الضمير للخبيث والجملة حال منه
ولستم باخذيه اى وحالكم انكم لا تاخذونه فى حقوقكم لرداءته الا ان تغمضوا فيه الا ان
تتسامحوا فيه مجاز من اغمض بصره اذا غضه وقرى تُغمَضوا اى تحملوا على الاغماض او توجدوا مغمضين وعن ابن عباس كانوا
يتصدقون بحشف التمر وشراره فنهوا عنه واعلموا ان الله غنى عن انفاقكم وانما يامركم به لانتفاعكم
حميد بقبوله واثابته الشيطان يعدكم الفقر فى الانفاق والوعد فى الاصل شايع فى
الخير والشر وقرى الفُقْر بالضم والسكون وبضمتين وبفتحتين ويامركم بالفحشاء ويغريكم على البخل و
العرب تسمى البخيل فاحشا وقيل المعاصى والله يعدكم مغفرة منه اى يعدكم فى الانفاق
مغفرة ذنوبكم وفضلا خلفا افضل مما انفقتم فى الدنيا او فى الاخرة والله واسع اى واسع الفضل
لمن انفق عليم بانفاقه يؤتى الحكمة تحقيق العلم واتقان العمل من يشاء مفعول اول اخر للاهتمام
بالمفعول الثانى ومن يؤت الحكمة بناؤه للمفعول لانه المقصود وقرا يعقوب بالكسر اى ومن يؤته الله
فقد اوتى خيرا كثيرا اى خير كثير اذ حيز له خير الدارين وما يذكر وما يتعظ بما قص من
الايات او وما يتفكر فان المتفكر كالمتذكر لما اودع الله فى قلبه من العلوم بالقوة الا اولوا الالباب
ذووا العقول الخالصة من شوائب الوهم والركون الى متابعة الهوى وما انفقتم من نفقة قليلة
او كثيرة سرا او علانية فى حق او باطل او نذرتم من نذر بشرط او بغير شرط فى طاعة او معصية فان
الله يعلمه فيجازيكم عليه وما للظالمين الذين ينفقون فى المعاصى وينذرون فيها او يمنعون الصدقات
ولا يوفون بالنذر من انصار من ينصرهم من الله ويمنعهم من عقابه ان تبدوا الصدقات
فنعما هى فنعم شيئا ابداؤها وقرا ابن عامر وحمزة والكسائى بفتح النون وكسر العين على الاصل وقرا ابو عمرو
وابو بكر وقالون بكسر النون وسكون العين وروى عنهم بكسر النون واخفاء حركة العين وهو اقيس وان تخفوها
وتؤتوها الفقراء اى تعطوها مع الاخفاء فهو خير لكم فالاخفاء خير لكم وهذا فى التطوع
لمن لم يعرف بالمال فان ابداء الفرض لغيره افضل من سره لنفى التهمة عنه عن ابن عباس صدقة السر فى التطوع تفضل
علانيتها سبعين ضعفا وصدقة الفرض علانيتها افضل من سرها بخمسة وعشرين ضعفا ويكفر عنكم
سيئاتكم قراه ابن عامر وعاصم فى رواية حفص بالياء اى والله يكفر او الاخفاء وقرا ابن كثير وابو عمرو وعاصم
فى رواية ابن عياش ويعقوب بالنون مرفوعا على انه جملة فعلية مبتداة او اسمية معطوفة على ما بعد الفاء اى ونحن نكفر
وقرا نافع وحمزة والكسائى به مجزوما على محل الفاء وما بعده وقرى بالتاء مرفوعا ومجزوما والفعل للصدقات والله
بما تعملون خبير ترغيب فى الاسرار ليس عليك هداهم لا يجب عليك ان تجعل الناس

مهديين وانما عليك الارشاد والحث على المحاسن والنهي عن القبائح كالمن والاذى وانفاق الخبيث و
لكن الله يهدي من يشاء صرح بان الهداية من الله وبمشيئته وانها تخص بقوم دون قوم
وما تنفقوا من خير من نفقة معروفة فلانفسكم فهو لانفسكم لا ينتفع به غيركم فلا تمنوا
عليه ولا تنفقوا الخبيث وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله حال وكانه قال وما تنفقوا
من خير فلانفسكم غير منفقين الا لابتغاء وجه الله وطلب ثوابه او عطف على ما قبله اي وليس نفقتكم الا لابتغاء وجهه
فما لكم تمنون بها وتنفقون الخبيث وقيل نفي في معنى النهي وما تنفقوا من خير يوف اليكم
ثوابه اضعافا مضاعفة فهو تاكيد للشرطية السابقة او ما يخلف المنفق استجابة لقوله صلى الله عليه وسلم اللهم اجعل لمنفق خلفا
ولممسك تلفا روي ان ناسا من المسلمين كانت لهم اصهار ورضاع في اليهود وكانوا ينفقون عليهم فكرهوا لما
اسلموا ان ينفقوا عليهم فنزلت وهذا في غير الواجب اما الواجب فلا يجوز صرفه الى الكفار وانتم لا تظلمون
اي لا تنقصون ثواب نفقتكم للفقراء متعلق بمحذوف اي اعمدوا للفقراء او اجعلوا ما تنفقونه للفقراء او
صدقاتكم للفقراء الذين احصروا في سبيل الله احصرهم الجهاد لا يستطيعون
لاشتغالهم به ضربا في الارض ذهابا فيها للكسب وقيل هم اهل الصفة كانوا نحوا من اربعمائة
من فقراء المهاجرين يسكنون صفة المسجد يستغرقون اوقاتهم بالتعلم والعبادة وكانوا يخرجون في كل سرية بعثها رسول
الله صلى الله عليه وسلم يحسبهم الجاهل بحالهم اغنياء من التعفف من اجل تعففهم عن السؤال
تعرفهم بسيماهم من الضعف ورثاثة الحال والخطاب للرسول او لكل احد لا يسألون
الناس الحافا الحاحا وهو ان يلازم المسؤول حتى يعطيه من قولهم لحفني من فضل لحافه اي اعطاني
من فضل ما عنده والمعنى انهم لا يسألون وان سألوا عن ضرورة لم يلحوا وقيل هو نفي للامرين كقوله على لاحب
لا يهتدى بمناره ونصبه على المصدر فانه كنوع من السؤال او على الحال وما تنفقوا من خير
فان الله به عليم ترغيب في الانفاق وخصوصا على هؤلاء الذين ينفقون اموالهم
بالليل والنهار سرا وعلانية اي يعمون الاوقات والاحوال بالخير نزلت في ابي بكر الصديق رضي الله عنه
تصدق باربعين الف دينار عشرة بالليل وعشرة بالنهار وعشرة بالسر وعشرة بالعلانية وقيل في علي
لم يملك الا اربعة دراهم فتصدق بدرهم ليلا ودرهم نهارا ودرهم سرا ودرهم علانية وقيل في ربط الخيل
في سبيل الله والانفاق عليها فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا
هم يحزنون خبر الذين ينفقون والفاء للسببية وقيل للعطف والخبر محذوف اي ومنهم الذين و
لذلك جوز الوقف على علانية الذين يأكلون الربوا اي الآخذون له وانما ذكر الاكل لانه

وقرأ ابن عامر وحمزة وعاصم يحسبهم بفتح السين

المتعفف

صلوات الله وسلامه عليه

اعظم منافع المال ولان الربوا شائع في المطعومات وهو زيادة في الاجل بان يباع مطعوم بمطعوم او نقد بنقد الى
اجل او في العوض بان يباع احدهما باكثر منه من جنسه وانما كتب بالواو كالصلوة للتفخيم على لغة وزيدت
الالف بعدها تشبيها بواو الجمع لا يقومون اذا بعثوا من قبورهم الا كما يقوم الذي
يتخبطه الشيطان الا قياما كقيام المصروع وهو وارد على ما يزعمون ان الشيطان يخبط الانسان
فيصرع والخبط ضرب على غير اتساق كخبط العشواء من المس اي الجنون وهذا ايضا من زعماتهم ان الجني يمسه
فيختلط عقله ولذلك قيل جن الرجل وهو متعلق بلا يقومون من المس الذي بهم بسبب اكل الربوا او بيقوم او
بيتخبط فيكون نهوضهم وسقوطهم كالمصروعين لا لاختلال عقلهم ولكن لان الله اربى في بطونهم ما اكلوه من الربوا
فاثقلهم ذلك بانهم قالوا انما البيع مثل الربوا اي ذلك العقاب بسبب انهم نظموا
الربوا والبيع في سلك واحد لافضائهما الى الربح فاستحلوه استحلاله وكان الاصل انما الربوا مثل البيع ولكن عكس
للمبالغة كانهم جعلوا الربوا اصلا وقاسوا به البيع والفرق بين فان من اعطى درهمين بدرهم ضيع درهما ومن اشترى
سلعة تساوي درهما بدرهمين فلعل مساس الحاجة اليها او توقع رواجها يجبر هذا الغبن واحل الله البيع
وحرم الربوا انكار لتسويتهم وابطال للقياس لمعارضته النص فمن جاءه موعظة
من ربه فمن بلغه وعظ من الله وزجر كالنهي عن الربوا فانتهى فاتعظ واتبع النهي فله ما
سلف تقدم اخذه التحريم ولا يسترد منه وما في موضع الرفع بالظرف ان جعلت من موصولة وبالابتداء ان جعلت
شرطية على رأي سيبويه اذ الظرف غير معتمد على ما قبله وامره الى الله يجازيه على انتهائه ان كان من قبول
الموعظة وصدق النية وقيل يحكم في شأنه لا اعتراض لكم عليه ومن عاد الى تحليل الربوا اذ الكلام فيه
فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون لانهم كفروا به يمحق الله الربوا
يذهب بركته ويهلك المال الذي يدخل فيه ويربي الصدقات يضاعف ثوابها ويبارك
فيما اخرجت منه وعنه عم ان الله يقبل الصدقات فيربيها كما يربي احدكم مهره وعنه عم ما نقصت زكوة من
مال قط والله لا يحب لا يرتضي ولا يحب محبته للتوابين كل كفار مصر على تحليل المحرمات
اثيم منهمك في ارتكابه ان الذين امنوا بالله ورسله وبما جاءهم منه وعملوا الصالحات
واقاموا الصلوة واتوا الزكوة عطفهما على ما يعمهما لانافتهما على سائر الاعمال الصالحة
لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم من آت ولا هم يحزنون
على فائت يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربوا واتركوا
بقايا ما شرطتم على الناس من الربوا ان كنتم مؤمنين بقلوبكم فان دليله امتثال ما امرتم به روي

انه كان لثقيف مال على بعض قريش فطالبوهم عند المحل بالمال والربوا فنزلت فان لم تفعلوا فأذنوا
بحرب من الله ورسوله اي فاعلموا بها من اذن بالشيء اذا علم به وقرأ حمزة وعاصم في رواية
ابن عياش فآذنوا اي فاعلموا بها غيركم من الاذن وهو الاستماع فانه من طرق العلم وتنكير حرب للتعظيم
وذلك يقتضي ان يقاتل المربي بعد الاستتابة حتى يفيء الى امر الله كالباغي ولا يقتضي كفره روي انها لما نزلت
قالت ثقيف لا يدي لنا بحرب الله ورسوله وان تبتم من الارتباء باعتقاد حله فلكم رؤوس اموالكم
لا تظلمون باخذ الزيادة ولا تظلمون بالمطل والنقصان ويفهم منه انهم ان لم يتوبوا فليس لهم
رأس مالهم وهو سديد على ما قلناه اذ المصر على التحليل مرتد وماله فيء وان كان ذو عسرة وان
وقع غريم ذو عسرة وقرئ ذا عسرة اي وان كان الغريم ذا عسرة فنظرة فالحكم نظرة او فعليكم نظرة او فليكن
نظرة وهي الانظار وقرئ فناظرة على الخبر اي فالمستحق ناظرة بمعنى منتظرة او صاحب نظرة على طريق النسب
وعلى الامر اي فسامحه بالنظرة الى ميسرة يسار وقرأ نافع وحمزة بضم السين وهما لغتان كمشرقة ومشرقة
وقرئ بهما مضافين بحذف التاء عند الاضافة كقوله واخلفوك عد الامر الذي وعدوا وان تصدقوا
بالابراء خير لكم اكثر ثوابا من الانظار او خير مما تأخذون لمضاعفة ثوابه ودوامه وقيل المراد بالتصدق
الانظار لقوله عم لا يحل دين رجل مسلم فيؤخره الا كان له بكل يوم صدقة ان كنتم تعلمون ما فيه
من الذكر الجميل والاجر الجزيل واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله يوم القيامة او يوم الموت
فتأهبوا لمصيركم اليه وقرأ ابو عمرو ويعقوب بفتح التاء وكسر الجيم ثم توفى كل نفس ما كسبت
جزاء ما عملت من خير او شر وهم لا يظلمون بنقص ثواب وتضعيف عقاب وعن ابن عباس انها
آخر آية نزل بها جبرئيل وقال ضعها في رأس المائتين والثمانين من البقرة وعاش رسول الله صلعم بعدها احدى و
عشرين يوما وقيل احدا وثمانين يوما وقيل سبعة ايام وقيل ثلاث ساعات يا ايها الذين آمنوا اذا
تداينتم بدين اي اذا داين بعضكم بعضا يقول داينته اذا عاملته نسية معطيا او آخذا وفائدة ذكر الدين
ان لا يتوهم من التداين المجازاة ويعلم تنوعه الى المؤجل والحال وانه الباعث على الكتبة ويكون مرجع ضمير فاكتبوه الى
اجل مسمى معلوم بالايام والاشهر لا بالحصاد وقدوم الحاج فاكتبوه لانه اوثق وادفع للنزاع والجمهور
على انه استحباب وعن ابن عباس ان المراد به السلم وقال لما حرم الله الربا اباح السلف وليكتب
بينكم كاتب بالعدل من يكتب بالسوية لا يزيد ولا ينقص وهو في الحقيقة امر للمتداينين باختيار كاتب
فقيه دين حتى يجيء مكتوبه موثوقا به معدلا بالشرع ولا يأب كاتب ولا يمتنع احد من الكتاب
ان يكتب كما علمه الله مثل ما علمه الله من كتابة الوثائق او لا يأب ان ينفع الناس بكتابته كما

نفع

نفعه الله بتعليمها كقوله واحسن كما احسن الله اليك فليكتب تلك الكتابة المعلمة امر بها بعد النهي عن الاباء عنها
تأكيدا ويجوز ان تتعلق الكاف بالامر فيكون النهي عن الامتناع منها مطلقة ثم الامر بها مقيدة وليملل الذي
عليه الحق وليكن المملي من عليه الحق لانه المقر المشهود عليه والاملال والاملاء واحد وليتق الله ربه اي المملي او
الكاتب ولا يبخس منه شيئا اي من الحق او مما املى عليه فان كان الذي عليه
الحق سفيها ناقص العقل مبذرا او ضعيفا صبيا او شيخا مختلا او لا يستطيع ان يمل
هو او غير مستطيع للاملاء بنفسه لخرس او جهل باللغة فليملل وليه بالعدل اي الذي يلي امره
ويقوم مقامه من قيم ان كان صبيا او مختل العقل او وكيل او مترجم ان كان غير مستطيع وهو دليل جريان النيابة
في الاقرار ولعله مخصوص بما تعاطاه القيم او الوكيل واستشهدوا شهيدين واطلبوا
ان يشهد على الدين شاهدان من رجالكم من رجال المسلمين وهو دليل اشتراط الاسلام في الشهود واليه
ذهب عامة العلماء وقال ابو حنيفة تقبل شهادة الكفار بعضهم على بعض فان لم يكونا رجلين اي
فان لم يكن الشاهدان رجلين فرجل وامرأتان فليشهدوا او فالمستشهد رجل وامرأتان وهذا مخصوص
بالاموال عندنا وبما عدا الحدود والقصاص عند ابي حنيفة ممن ترضون من الشهداء لعلمكم بعدالتهم
ان تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى علة اعتبار العدد اي لاجل ان احداهما
ان ضلت الشهادة بان نسيتها ذكرتها الاخرى والعلة في الحقيقة التذكر ولكن لما كان الضلال سببا له نزل منزلته
كقولهم اعددت السلاح ان يجيء عدو فادفعه وكأنه قيل ارادة ان تذكر احداهما الاخرى ان ضلت وفيه اشعار
بنقصان عقلهن وقلة ضبطهن وقرأ حمزة ان تضل على الشرط فتذكر بالرفع وابن كثير وابو عمرو ويعقوب فتذكر من الاذكار
ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا لاداء الشهادة او التحمل وسموا شهداء تنزيلا لما يشارف منزلة
الواقع وما مزيدة ولا تسأموا ان تكتبوه ولا تملوا من كثرة مداينتكم ان تكتبوا الدين او الحق او
الكتاب وقيل كنى بالسآمة عن الكسل لانه صفة المنافق ولذلك قال عم لا يقول المؤمن كسلت صغيرا
او كبيرا صغيرا كان الحق او كبيرا او مختصرا كان الكتاب او مشبعا الى اجله الى وقت حلوله
الذي اقر به المديون ذلكم اشارة الى ان تكتبوه اقسط عند الله اكثر قسطا واقوم للشهادة
واثبت لها واعون على اقامتها وهما مبنيان من قسط واقام على مذهب سيبويه او من قاسط بمعنى ذي قسط وقويم وانما
صحت الواو في اقوم كما صحت في التعجب لجموده وادنى ان لا ترتابوا واقرب في ان لا تشكوا في جنس الدين
وقدره واجله والشهود ونحو ذلك الا ان تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم
فليس عليكم جناح ان لا تكتبوها استثناء عن الامر بالكتابة والتجارة الحاضرة تعم المبايعة

ولا ينقص ح

دة

بدين او عين داوارتها بينهم تعاطيهم اياها يدا بيد اي الا ان تتبايعوا يدا بيد فلا باس ان لا تكتبوه لبعده عن التنازع والنسيان ونصب عاصم تجارة على انه الخبر والاسم مضمر تقديره الا ان تكون التجارة تجارة حاضرة كقوله
بني اسد هل تعلمون بلاءنا اذا كان يوما ذا كواكب اشنعا ورفعها الباقون على انه الاسم والخبر تديرونها
او على كان التامة **واشهدوا اذا تبايعتم** هذا التبايع او مطلقا لانه احوط والاوامر التي في هذه الآية للاستحباب عند اكثر الائمة وقيل انها للوجوب ثم اختلف في احكامها ونسخها **ولا يضار كاتب ولا شهيد** يحتمل البناءين ويدل عليه انه قرئ ولا يضارر بالكسر والفتح وهو نهيهما عن ترك الاجابة والتحريف والتغيير في الكتبة والشهادة او النهي عن الضرار بهما مثل ان يعجلا عن مهم ويكلفا الخروج عما حد لهما ولا يعطى الكاتب جعله والشهيد مؤنة مجيئه حيث كان **وان تفعلوا** الضرار او ما نهيتم عنه **فانه فسوق بكم** خروج عن الطاعة لاحق بكم **واتقوا الله** في مخالفة امره ونهيه **ويعلمكم الله** احكامه المتضمنة لمصالحكم **والله بكل شيء عليم** كرر لفظة الله في الجمل الثلث لاستقلالها فان الاولى حث على التقوى والثانية وعد بانعامه والثالثة تعظيم لشانه ولانه ادخل في التعظيم من الكناية **وان كنتم على سفر** اي مسافرين **ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة** فالذي يستوثق به رهان او فعليكم رهان او فليؤخذ رهان وليس هذا التعليق لاشتراط السفر في الارتهان كما ظنه مجاهد والضحاك لانه عليه السلام رهن درعه في المدينة من يهودي على عشرين صاعا من شعير اخذه لاهله بل لاقامة التوثق بالارتهان مقام التوثق بالكتب في السفر الذي هو مظنة اعوازه والجمهور على اعتبار القبض فيه غير مالك وقرا ابن كثير وابو عمرو فرهن كسقف وكلاهما جمع رهن بمعنى مرهون وقرئ باسكان الهاء على التخفيف **فان امن بعضكم بعضا** اي بعض الدائنين بعض المديونين واستغنى بامانته عن الارتهان **فليؤد الذي اؤتمن امانته** اي دينه سماه امانة لائتمانه عليه بترك الارتهان به وقرئ الذي ايتمن بقلب الهمزة ياء والذي اتمن بادغام الياء في التاء وهو خطا لان المنقلبة عن الهمزة في حكمها فلا تدغم **وليتق الله ربه** في الخيانة وانكار الحق وفيه مبالغات **ولا تكتموا الشهادة** ايها الشهود او المديونون والشهادة اقرارهم على انفسهم **ومن يكتمها فانه آثم قلبه** اي ياثم قلبه او قلبه ياثم والجملة خبر ان واسناد الاثم الى القلب لان الكتمان تقترفه ونظيره العين زانية والاذن زانية او للمبالغة فانه رئيس الاعضاء وفعله اعظم الافعال وكانه قيل تمكن الاثم في نفسه واخذ اشرف اجزائه وفاق سائر ذنوبه وقرئ قلبه بالنصب كحسن وجهه **والله بما تعملون عليم** تهديد **لله ما في السموات وما في الارض**

ت

نهي الكاتب والشهيد

خلقا وملكا **وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه** يعني ما فيها من السوء والعزم عليه لترتب المغفرة والعذاب عليه **يحاسبكم به الله** يوم القيامة وهو حجة على من انكر الحساب كالمعتزلة والروافض **فيغفر لمن يشاء** مغفرته **ويعذب من يشاء** تعذيبه وهو صريح في نفي وجوب التعذيب وقد رفعهما ابن عامر وعاصم ويعقوب على الاستيناف وجزمهما الباقون عطفا على جواب الشرط ومن جزم بغير فاء جعلهما بدلا منه بدل البعض من الكل او الاشتمال كقوله متى تاتنا تلمم بنا في ديارنا تجد حطبا جزلا ونارا تاججا وادغام الراء في اللام لحن اذ الراء لا يدغم الا في مثله **والله على كل شيء قدير** فيقدر على الاحياء والمحاسبة **آمن الرسول بما انزل اليه من ربه** شهادة وتنصيص من الله على صحة ايمانه والاعتداد به وانه جازم في امره غير شاك فيه **والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله** لا يخلو من ان يعطف المؤمنون على الرسول فيكون الضمير الذي ينوب عنه التنوين راجعا الى الرسول والمؤمنين او يجعل مبتدا فيكون الضمير للمؤمنين وباعتباره يصح وقوع كل بخبره خبر المبتدا ويكون افراد الرسول بالحكم اما لتعظيمه او لان ايمانه عن مشاهدة وعيان وايمانهم عن نظر واستدلال وقرا حمزة والكسائي وكتابه يعني القرآن او الجنس والفرق بينه وبين الجمع انه شائع في وحدان الجنس والجمع في جموعه ولذلك قيل الكتاب اكثر من الكتب **لا نفرق بين احد من رسله** اي يقولون لا نفرق وقرا يعقوب لا يفرق بالياء على ان الفعل لكل وقرئ لا يفرقون حملا على معناه كقوله تعالى وكل اتوه داخرين واحد في معنى الجمع لوقوعه في سياق النفي كقوله تعالى فما منكم من احد عنه حاجزين ولذلك دخل عليه بين والمراد نفي الفرق بالتصديق والتكذيب **وقالوا سمعنا** اجبنا **واطعنا** امرك **غفرانك ربنا** اغفر لنا غفرانك او نطلب غفرانك **واليك المصير** المرجع بعد الموت وهو اقرار منهم بالبعث **لا يكلف الله نفسا الا وسعها** الا ما تسعه قدرتها فضلا ورحمة او ما دون مدى طاقتها بحيث يتسع فيه طوقها ويتيسر عليها كقوله تعالى يريد الله بكم اليسر وهو يدل على عدم وقوع التكليف بالمحال ولا يدل على امتناعه **لها ما كسبت** من خير **وعليها ما اكتسبت** من شر لا ينتفع بطاعتها ولا يتضرر بمعصيتها غيرها وتخصيص الكسب بالخير والاكتساب بالشر لان الاكتساب فيه اعتمال والشر تشتهيه النفس وتنجذب اليه وكانت اجد في تحصيله واعمل بخلاف الخير **ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطانا** اي لا تؤاخذنا بما ادى بنا الى نسيان او خطا من تفريط وقلة مبالاة او بانفسهما اذ لا تمتنع المؤاخذة بهما عقلا فان الذنوب كالسموم فكما ان تناولها يؤدي الى الهلاك وان كان خطا فتعاطي الذنوب لا يبعد ان يفضي الى العقاب وان لم تكن عزيمة لكنه تعالى وعد التجاوز عنه

نك

رحمة وتفضلا فيجوز ان يدعو الانسان به استدامة واعتدادا بالنعمة فيه ويؤيد ذلك مفهوم قوله عم رفع عن امتي الخطا والنسيان
ربنا ولا تحمل علينا اصرا عبئا ثقيلا اي يحبسه في مكانه يريد به التكاليف الشاقة
وقرئ ولا تحمل بالتشديد للمبالغة كما حملته على الذين من قبلنا حملا مثل حملك اياه على
من قبلنا او مثل الذي حملته اياهم فيكون صفة لاصرا والمراد به ما كلف به بنو اسرائيل من قتل الانفس وقطع
موضع النجاسة وخمسين صلوة في اليوم والليلة وصرف ربع المال للزكوة او ما اصابهم من الشدائد والمحن
ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به من البلاء والعقوبة او من التكاليف التي لا تفي بها الطاقة
البشرية وهو يدل على جواز التكليف بما لا يطاق والا لما سئل التخلص عنه والتشديد ههنا لتعدية الفعل
الى مفعول ثان واعف عنا وامح ذنوبنا واغفر لنا واستر عيوبنا ولا تفضحنا بالمؤاخذة
وارحمنا وتعطف بنا وتفضل علينا انت مولانا سيدنا فانصرنا على القوم
الكافرين فان من حق المولى ان ينصر مواليه على الاعداء والمراد به عامة الكفرة روي انه عم لما دعى بهذه
الدعوات قيل له فعلت كما قيل وعنه عم انزل الله تعالى ايتين من كنوز الجنة كتبهما الرحمن بيده قبل ان يخلق
الخلق بالفي سنة من قراهما بعد العشاء الاخرة اجزاتاه عن قيام الليل وعنه عم من قرا الايتين من اخر سورة
البقرة في ليلة كفتاه وهو يرد قول من استكره ان يقول سورة البقرة وقال ينبغي ان يقال السورة التي يذكر
فيها البقرة كما قال عم السورة التي يذكر فيها البقرة فسطاط القران فتعلموها فان تعلمها بركة وتركها حسرة
ولن يستطيعها البطلة قيل يا رسول الله وما البطلة قال السحرة

سورة ال عمران مدنية وايها مايتان

بسم الله الرحمن الرحيم الم الله لا اله الا هو انما فتح الميم في المشهورة وكان حقها ان
يوقف عليها لالقاء حركة الهمزة عليها ليدل على انها في حكم الثابت لانها اسقطت للتخفيف لا للدرج فان الميم
في حكم الوقف كقولهم واحد اثنان لا لالتقاء الساكنين فانه غير محذور في الوقف ولذلك لم تحرك في لام وقرئ
بكسرها على توهم التحريك لالتقاء الساكنين وقرا ابو بكر بسكونها والابتداء بما بعدها على الاصل الحي القيوم
روي انه عم قال ان اسم الله الاعظم في ثلث سور في البقرة الله لا اله الا هو الحي القيوم وفي ال عمران الله لا اله الا هو
الحي القيوم وفي طه وعنت الوجوه للحي القيوم نزل عليك الكتاب القران نجوما بالحق
بالعدل او بالصدق في اخباره او بالحجج المحققة انه من عند الله تعالى وهو في موضع الحال مصدقا لما بين
يديه من الكتب وانزل التورية والانجيل جملة على موسى وعيسى واشتقاقهما من الوري
والنجل ووزنهما تفعلة وافعيل تعسف لانهما اعجميان ويؤيد ذلك انه قرئ الانجيل بفتح الهمزة وهو ليس من ابنية
العربية وقرأ ابو عمرو وابن ذكوان والكسائي التورية بالامالة في جميع القران ونافع وحمزة بين اللفظين الا قالون

فانه قرأ بالفتح كقراءة الباقين من قبل من قبل تنزيل القران هدى للناس على العموم ان قلنا
انا متعبدون بشرع من قبلنا والا فالمراد به قومهما وانزل الفرقان يريد به جنس الكتب الالهية
فانها فارقة بين الحق والباطل وكرر ذلك بعد ذكر الكتب الثلثة ليعم ما عداها كانه قال وانزل ساير ما يفرق
به بين الحق والباطل او الزبور او القران وكرر ذكره بما هو نعت له مدحا وتعظيما واظهارا لفضله من حيث انه
يشاركهما في كونه وحيا منزلا ويتميز بانه معجز يفرق به بين المحق والمبطل او المعجزات ان الذين كفروا
بايات الله من كتبه المنزلة وغيرها لهم عذاب شديد بسبب كفرهم والله عزيز
غالب لا يمنع من التعذيب ذو انتقام لا يقدر على مثله منتقم والنقمة عقوبة المجرم والفعل منه نقم
بالفتح والكسر وهو وعيد جيء به بعد تقرير التوحيد والاشارة الى ما هو العمدة في اثبات النبوة تعظيما للامر وزجرا
عن الاعراض عنه ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء اي شيء كائن
في العالم كليا كان او جزئيا ايمانا او كفرا فعبر عنه بالسماء والارض اذ الحس لا يتجاوزهما وانما قدم الارض ترقيا
من الادنى الى الاعلى ولان المقصود بالذكر ما اقترف فيها وهو كالدليل على كونه حيا وقوله هو الذي يصوركم
في الارحام كيف يشاء اي من الصور المختلفة كالدليل على القيومية والاستدلال
على انه عالم باتقان فعله في خلق الجنين وتصويره وقرئ تصوركم اي صوركم لنفسه وعبادته لا اله الا
هو اذ لا يعلم غيره جملة ما يعلمه ولا يقدر على مثل ما يفعله العزيز الحكيم اشارة الى كمال قدرته و
تناهي حكمته قيل هذا حجاج على من زعم ان عيسى كان ربا فان وفد نجران لما حاجوا فيه رسول الله صلعم نزلت
السورة من اولها الى نيف وثمانين اية تقريرا لما احتج به عليهم واجاب عن شبههم هو الذي انزل
عليك الكتاب منه ايات محكمات احكمت عبارتها بان حفظت من
الاحتمال والاشتباه هن ام الكتاب اصله يرد اليها غيرها والقياس امهات فافرد على تأويل كل واحدة
او على ان الكل بمنزلة اية واحدة واخر متشابهات محتملات لا يتضح مقصودها لاجمال او مخالفة
ظاهر الا بالفحص والنظر ليظهر فيها فضل العلماء ويزداد حرصهم على ان يجتهدوا في تدبرها وتحصيل العلوم
المتوقف عليها استنباط المراد بها فينالوا بها وباتعاب القرائح في استخراج معانيها والتوفيق بينها وبين
المحكمات معالي الدرجات واما قوله تعالى الر كتاب احكمت اياته فمعناه انها حفظت من فساد المعنى
وركاكة اللفظ وقوله تعالى كتابا متشابها فمعناه انه يشبه بعضه بعضا في صحة المعنى وجزالة اللفظ واخر
جمع اخرى وانما لم ينصرف لانه وصف معدول عن الاخر ولا يلزم منه معرفة لان معناه ان القياس ان
يعرف ولم يعرف لا انه في معنى المعرف او عن اخر من فاما الذين في قلوبهم زيغ عدول

ابتغاء

عن الحق كالمبتدعة فيتبعون ما تشابه منه فيتعلقون بظاهره او بتأويل باطل ابتغاء
الفتنة طلب ان يفتنوا الناس عن دينهم بالتشكيك والتلبيس ومناقضة المحكم بالمتشابه وابتغاء
تأويله وطلب ان يأولوه على ما يشتهونه ويحتمل ان يكون الداعي الى الاتباع مجموع الطلبتين او
كل واحدة منهما على التعاقب والاول يناسب المعاند والثاني يلائم الجاهل وما يعلم تأويله
اي الذي يجب ان يحمل عليه الا الله والراسخون في العلم اي الذين ثبتوا وتمكنوا فيه
ومن وقف على الا الله فسر المتشابه بما استأثر الله بعلمه كمدة بقاء الدنيا ووقت قيام الساعة وخواص
الاعداد كعدد الزبانية او بما دل القاطع على ان ظاهره غير مراد ولم يدل على ما هو المراد يقولون
آمنا به استئناف موضح لحال الراسخين او حال منهم او خبر ان جعلته مبتدأ كل من عند
ربنا اي كل من المتشابه والمحكم من عنده وما يذكر الا اولوا الالباب مدح للراسخين
بجودة الذهن وحسن النظر واشارة الى ما استعدوا به للاهتداء الى تأويله وهو تجرد العقل عن غواشي الحس واتصال
الآية بما قبلها من حيث انها في تصوير الروح بالعلم وتربيته وما قبلها في تصوير الجسد وتسويته او انها جواب
عن تشبث النصارى بنحو قوله تعالى وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه كما انه جواب قولهم لا اب له غير الله
فتعين ان يكون هو اباه واجيب بانه مصور الاجنة كيف يشاء فيصور من نطفة اب ومن غيرها وبانه مصور
في الرحم والمصور لا يكون اب المصور ربنا لا تزغ قلوبنا من مقال الراسخين وقيل استئناف و
المعنى لا تزغ قلوبنا عن نهج الحق الى اتباع المتشابه بتأويل لا ترتضيه قال عم قلب ابن ادم بين الاصبعين من
اصابع الرحمن ان شاء اقامه على الحق وان شاء ازاغه عنه وقيل لا تبلنا ببلايا تزيغ فيها قلوبنا بعد
اذ هديتنا الى الحق والايمان بالقسمين وبعد نصب على الظرف واذ في موضع الجر باضافته اليه
وقيل انه بمعنى ان وهب لنا من لدنك رحمة تزلفنا اليك ونفوز بها عندك او
توفيقا للثبات على الحق او مغفرة للذنوب انك انت الوهاب لكل سؤال وفيه
دليل على ان الهدى والضلال من الله وانه المتفضل بما ينعم على عباده ولا يجب عليه شيء ربنا انك
جامع الناس ليوم لحساب يوم او لجزائه لا ريب فيه في وقوع اليوم وما فيه من الحشر
والجزاء نبهوا به على ان معظم غرضهم من الطلبتين ما يتعلق بالآخرة فانها المقصد والمآل ان الله لا
يخلف الميعاد فان الالهية تنافيه وللاشعار به وتعظيم الموعود به لون الخطاب واستدل به
الوعيدية واجيب بان وعيد الفساق مشروط بعدم العفو لدلائل منفصلة كما هو مشروط بعدم التوبة وفاقا
ان الذين كفروا عام من الكفرة وقيل المراد به وفد نجران او اليهود او مشركوا العرب

لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا اي من رحمته او طاعته على
معنى البدلية او من عذابه واولئك هم وقود النار حطبها وقرئ بالضم بمعنى اهل وقودها
كدأب آل فرعون متصل بما قبله اي لن تغني عنهم كما لم تغن عن اولئك او توقد بهم كما توقد
باولئك او استئناف مرفوع المحل وتقديره دأب هؤلاء كدأبهم في الكفر والعذاب وهو مصدر دأب
في العمل اذا كدح فيه فنقل الى معنى الشأن والذين من قبلهم عطف على آل فرعون وقيل استئناف
كذبوا بآياتنا فأخذهم الله بذنوبهم حال باضمار قد او استئناف
بتفسير حالهم او خبر ان ابتدأت بالذين من قبلهم والله شديد العقاب تهويل للمؤاخذة
وزيادة تخويف للكفرة قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى
جهنم اي قل لمشركي مكة ستغلبون يعني يوم بدر وقيل لليهود فانه عم جمعهم بعد يوم بدر في سوق بني
قينقاع لم نزل بهم ما نزل بقريش فقالوا لا يغرنك انك اصبت اغمارا لا علم لهم بالحرب لئن
لعلمت لانا نحن الناس فنزلت وقد صدق الله وعده لهم بقتل قريظة واجلاء بني النضير وفتح خيبر وضرب
الجزية على من عداهم وهو من دلائل النبوة وقرأ حمزة والكسائي بالياء فيهما على ان الامر بان يحكي لهم ما اخبره به
من وعيدهم بلفظه وبئس المهاد تمام ما يقال لهم او استئناف وتقديره بئس المهاد جهنم او ما مهدوه
لانفسهم قد كان لكم آية الخطاب لقريش او لليهود وقيل للمؤمنين في فئتين التقتا
يوم بدر فئة تقاتل في سبيل الله واخرى كافرة يرونهم مثليهم
يرى المشركون المؤمنين مثلي عدد المشركين وكان قريبا من الف او مثلي عدد المؤمنين وكانوا ثلثمائة وبضعة
عشر وذلك كان بعدما قللهم في اعينهم حتى اجترؤوا عليهم وتوجهوا اليهم فلما لاقوهم كثروا في اعينهم حتى
غلبوا مددا من الله تعالى للمؤمنين او يرى المؤمنون المشركين مثلي المؤمنين وكانوا ثلاثة امثالهم ليثبتوا لهم ويتيقنوا
بالنصر الذي وعدهم الله به في قوله ان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين ويؤيده قراءة نافع ويعقوب
بالتاء وقرئ بهما على البناء للمفعول اي يريهم الله او يريكم ذلك بقدرته وفئة بالجر على البدل من فئتين و
بالنصب على الاختصاص او الحال من فاعل التقتا رأي العين رؤية ظاهرة معاينة والله
يؤيد بنصره من يشاء نصره كما ايد اهل بدر ان في ذلك اي التقليل والتكثير او
غلبة القليل عديم العدة على الكثير شاكي السلاح وكون الواقعة آية ايضا يحتملها ويحتمل وقوع الامر على ما اخبر به
الرسول لعبرة لاولي الابصار لعظة لذوي البصائر وقيل لمن ابصرهم زين للناس
حب الشهوات اي المشتهيات سماها شهوات مبالغة وايماء الى انهم انهمكوا في حبها

حتى احبوا شهواتها كقوله تعالى احببت حب الخير والمزين هو الله تعالى لانه الخالق للافعال والدواعي ولعله زينه ابتلاء او لكونه وسيلة الى السعادة الاخروية اذا كان على وجه يرتضيه الله تعالى او لانه من اسباب التعيش وبقاء النوع وقيل الشيطان فان الاية في معرض الذم وفرق الجبائي بين المباح والحرام من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث بيان للشهوات والقنطار المال الكثير وقيل مائة الف دينار وقيل ملء مسك ثور واختلف في انه فعلال او فنعال والمقنطرة ماخوذة منه للتاكيد كقولهم بدرة مبدرة والمسومة المعلمة من السومة وهي العلامة او المرعية من اسام الدابة وسومها او المطهمة والانعام الابل والبقر والغنم ذلك متاع الحيوة الدنيا اشارة الى ما ذكر والله عنده حسن المآب اي المرجع وهو تحريض على استبدال ما عنده من اللذات الحقيقية الابدية بالشهوات المخدجة الفانية قل اؤنبئكم بخير من ذلكم يريد به تقرير ان ثواب الله خير من مستلذات الدنيا للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها استئناف لبيان ما هو خير ويجوز ان يتعلق اللام بخير ويرتفع جنات على هو جنات ويؤيده قراءة من جرها بدلا من خير وازواج مطهرة مما يستقذر من النساء ورضوان من الله قراءة عاصم في رواية ابي بكر في جميع القرآن بضم الراء ما خلا الحرف الثاني في المائدة وهو قوله رضوانه سبل السلام وهما لغتان والله بصير بالعباد اي باعمالهم فيثيب المحسن ويعاقب المسيء او باحوال الذين اتقوا فلذلك اعد لهم جنات وقد نبه بهذه الاية على مراتب نعمه فادناها متاع الدنيا واعلاها رضوان الله لقوله تعالى ورضوان من الله اكبر واوسطها الجنة ونعيمها الذين يقولون ربنا اننا امنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار صفة للمتقين او للعباد او مدح منصوب او مرفوع وفي ترتيب السؤال على مجرد الايمان دليل على انه كاف في استحقاق المغفرة او الاستعداد لها الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالاسحار حصر لمقامات السالك على احسن ترتيب فان معاملته مع الله تعالى اما توسل واما طلب والتوسل اما بالنفس وهو منعها عن الرذائل وحبسها على الفضائل والصبر يشملهما واما بالبدن وهو اما قولي وهو الصدق واما فعلي وهو القنوت الذي هو ملازمة الطاعة واما بالمال وهو الانفاق في سبل الخير واما الطلب فبالاستغفار لان المغفرة اعظم المطالب بل الجامع لها وتوسيط الواو بينها للدلالة على استقلال كل واحدة منها وكمالهم فيها او لتغاير الموصوفين بها وتخصيص الاسحار لان الدعاء فيها اقرب الى الاجابة

لان العبادة حينئذ اشق والنفس اصفى والروع اجمع سيما للمتهجدين قيل انهم كانوا يصلون الى السحر ثم يستغفرون ويدعون شهد الله انه لا اله الا هو بين وحدانيته بنصب الدلائل الدالة عليها وانزال الايات الناطقة بها والملئكة بالاقرار واولوا العلم بالايمان بها والاحتجاج عليها شبه ذلك في البيان والكشف بشهادة الشاهد قائما بالقسط مقيما للعدل في قسمه وحكمه وانتصابه على الحال من الله وانما جاز افراده به ولم يجز جاء زيد وعمرو راكبا لعدم اللبس كقوله تعالى ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة او من هو والعامل فيها معنى الجملة اي تفرد قائما او احقه لانها حال مؤكدة او على المدح او الصفة للمنفي وفيه ضعف للفصل وهو مندرج في المشهود به اذا جعلته صفة او حالا عن الضمير وقرئ القائم بالقسط على البدل من هو او الخبر لمحذوف لا اله الا هو كرره للتاكيد ومزيد الاعتناء بمعرفة ادلة التوحيد والحكم به بعد اقامة الحجة وليبني عليه قوله العزيز الحكيم فيعلم انه الموصوف بهما وقدم العزيز لتقدم العلم بقدرته على العلم بحكمته ورفعهما على البدل من الضمير او الصفة لفاعل شهد وقد روي في فضلها انه صلى الله عليه وسلم قال يجاء بصاحبها يوم القيمة فيقول الله تعالى ان لعبدي هذا عندي عهدا وانا احق من وفى بالعهد ادخلوا عبدي الجنة وهي دليل على فضل علم اصول الدين وشرف اهله ان الدين عند الله الاسلام جملة مستانفة مؤكدة للاولى اي لا دين مرضي عند الله سوى الاسلام وهو التوحيد والتدرع بالشرع الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وقرأ الكسائي بالفتح على انه بدل الكل ان فسر الاسلام بالايمان او بما يتضمنه وبدل الاشتمال ان فسر بالشريعة وقرئ انه بالكسر وان بالفتح على وقوع الفعل على الثاني واعتراض ما بينهما او اجراء شهد مجرى قال تارة وعلم اخرى لتضمنه معناهما وما اختلف الذين اوتوا الكتاب من اليهود والنصارى او من ارباب الكتب المتقدمة في دين الاسلام فقال قوم انه حق وقال قوم انه مخصوص بالعرب ونفاه آخرون مطلقا او في التوحيد فثلثت النصارى وقالت اليهود عزير ابن الله وقيل هم قوم موسى اختلفوا بعده وقيل هم النصارى اختلفوا في امر عيسى عليه السلام الا من بعد ما جاءهم العلم اي بعد ما علموا حقيقة الامر او تمكنوا من العلم بها بالايات والحجج بغيا بينهم حسدا بينهم وطلبا للرياسة لا لشبهة وخفاء في الامر ومن يكفر بايات الله فان الله سريع الحساب وعيد لمن كفر منهم فان حاجوك في الدين او جادلوك فيه بعد ما اقمت الحجج فقل اسلمت وجهي لله اخلصت نفسي وجملتي له لا اشرك فيها غيره وهو الدين القويم الذي قامت عليه الحجج ودعت اليه الايات والرسل وانما عبر بالوجه عن النفس لانه اشرف الاعضاء الظاهرة ومظهر القوى والحواس ومن اتبعن عطف على التاء وحسن للفصل او مفعول معه وقل للذين اوتوا الكتاب والاميين الذين لا كتاب لهم كمشركي العرب ااسلمتم كما اسلمت لما وضحت لكم الحجة ام انتم بعد على كفركم ونظيره قوله تعالى فهل انتم منتهون وفيه تعيير لهم بالبلادة او المعاندة

فان اسلموا فقد اهتدوا وقد نفعوا انفسهم بان اخرجوها من الضلال فان تولوا فانما
عليك البلاغ اي فلم يضروك اذ ما عليك الا البلاغ وقد بلغت والله بصير
بالعباد وعد ووعيد ان الذين يكفرون بايات الله ويقتلون النبيين
بغير حق ويقتلون الذين يامرون بالقسط من الناس فبشرهم
بعذاب اليم هم اهل الكتاب الذين في عصره قتل اولوهم الانبياء ومتابعيهم وهم رضوا به و
قصدوا قتل النبي صلعم والمؤمنين ولكن الله عصمهم وقد سبق مثله في سورة البقرة وقرا حمزة ويقاتلون الذين وقد منع
سيبويه ادخال الفاء في خبر ان كليت ولعل ولذلك قيل الخبر اولئك الذين حبطت اعمالهم
في الدنيا والاخرة كقولك زيد فافهم رجل صالح والفرق انه لا يغير معنى الابتداء بخلافهما وما
لهم من ناصرين يدفع عنهم العذاب الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب
اي التورية او جنس الكتب السماوية ومن للتبعيض او للبيان وتنكير النصيب يحتمل التعظيم والتحقير يدعون
الى كتاب الله ليحكم بينهم الداعي محمد صلعم وكتاب الله القران او التورية لما روي
انه صلعم دخل مدارسهم فقال له نعيم بن عمرو والحارث بن زيد على اي دين انت فقال على دين ابراهيم فقالا له ان ابراهيم
كان يهوديا فقال هلموا الى التورية فانها بيننا وبينكم فابيا فنزلت وقيل نزلت في الرجم وقرئ ليحكم على البناء
للمفعول فيكون الاختلاف فيما بينهم وفيه دليل على ان الادلة السمعية حجة في الاصول ثم يتولى فريق منهم
استبعاد لتوليهم مع علمهم بان الرجوع اليه واجب وهم معرضون وهم قوم عادتهم الاعراض
والجملة حال من فريق وانما ساغ لتخصصه بالصفة ذلك اشارة الى التولي والاعراض بانهم
قالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودات بسبب تسهيلهم امر العقاب على
انفسهم لهذا الاعتقاد الزائغ والطمع الفارغ وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون
من ان النار لن تمسهم الا اياما قليلا او ان اباءهم الانبياء يشفعون لهم او انه تعالى وعد يعقوب ع ان لا يعذب
اولاده الا تحلة القسم فكيف اذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه استعظام لما
يحيق بهم في الاخرة وتكذيب لقولهم لن تمسنا النار الا اياما روي ان اول راية ترفع يوم القيمة من رايات
الكفار راية اليهود فيفضحهم الله على رؤوس الاشهاد ثم يامر بهم الى النار ووفيت كل نفس ما
كسبت جزاء ما كسبت وفيه دليل على ان العبادة لا تحبط وان المؤمن لا يخلد في النار لان توفية ايمانه
وعمله لا يكون في النار ولا قبل دخولها فاذن هي بعد الخلاص منها وهم لا يظلمون الضمير لكل نفس على
المعنى لانه في معنى كل انسان قل اللهم الميم عوض من يا ولذلك لا يجتمعان وهو من خصائص هذا الاسم كدخولها

المدارس بيت اليهود ... مدارسهم

عليه مع لام التعريف وقطع همزته وتاء القسم وقيل اصله يا الله امنا بالخير فخفف بحذف حرف النداء ومتعلقات
الفعل وهمزته مالك الملك يتصرف فيما يمكن التصرف فيه تصرف الملاك فيما يملكون وهو نداء ثان
عند سيبويه فان الميم عنده تمنع الوصفية تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن
تشاء تعطي منه ما تشاء ممن تشاء وتسترد فالملك الاول عام والاخران بعضان منه وقيل المراد بالملك
النبوة ونزعها نقلها من قوم الى قوم وتعز من تشاء وتذل من تشاء في الدنيا او في
الاخرة او فيهما بالنصر والادبار والتوفيق والخذلان بيدك الخير انك على كل شيء قدير
ذكر الخير وحده لانه المقضي بالذات والشر مقضي بالعرض اذ لا يوجد شر جزئي ما لم يتضمن خيرا كليا او لمراعاة الادب في
الخطاب او لان الكلام وقع فيه اذ روي انه عم لما خط الخندق وقطع لكل عشرة اربعين ذراعا واخذوا يحفرون فظهر فيه
صخرة عظيمة لم تعمل فيها المعاول فوجهوا سلمان الى رسول الله صلعم يخبره فجاء فاخذ المعول منه فضربها ضربة صدعتها
وبرق منها برق اضاء ما بين لابتيها لكان مصباحا في جوف بيت مظلم فكبر وكبر معه المسلمون وقال اضاءت لي
منها قصور الحيرة كانها انياب الكلاب ثم ضرب الثانية فقال اضاءت لي منها القصور الحمر من ارض الروم ثم
ضرب الثالثة فقال اضاءت لي منها قصور صنعاء واخبرني جبريل ان امتي ظاهرة على كلها فابشروا فقال المنافقون الا تعجبون
يمنيكم ويعدكم الباطل ويخبركم انه يبصر من يثرب قصور الحيرة وانها تفتح لكم وانتم انما تحفرون الخندق من الفرق فنزلت و
نبه على ان الشر ايضا بيده بقوله انك على كل شيء قدير تولج الليل في النهار وتولج النهار في
الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي وترزق من تشاء
بغير حساب عقب ذلك ببيان قدرته على معاقبة الليل والنهار والموت والحيوة وسعة فضله
دلالة على ان من قدر على ذلك قدر على معاقبة الذل والعز وايتاء الملك ونزعه والولوج الدخول في مضيق والايلاج
الليل والنهار ادخال احدهما في الاخر بالتعقيب او الزيادة والنقص واخراج الحي من الميت وبالعكس انشاء الحيوانات
من موادها واماتتها او انشاء الحيوان من النطفة وانشاءها منه وقيل اخراج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن و
قرا ابن كثير وابو عمرو وابن عامر وابو بكر الميت بالتخفيف لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء نهوا عن
موالاتهم لقرابة او صداقة جاهلية ونحوهما حتى لا يكون حبهم وبغضهم الا في الله تعالى او عن الاستعانة بهم في الغزو وسائر
الامور الدينية من دون المؤمنين اشارة الى انهم الاحقاء بالموالاة وان في موالاتهم مندوحة عن موالاة
الكفرة ومن يفعل ذلك اي اتخاذهم اولياء فليس من الله في شيء اي من ولاية الله في شيء
يصح ان يسمى ولاية فان موالاة المتعاديين لا يجتمعان قال تود عدوي ثم تزعم انني صديقك ليس النوك
عنك بعازب الا ان تتقوا منهم تقاة الا ان تخافوا من جهتهم ما يجب اتقاؤه او اتقاء والنقل

الصحيح القصور الحمر من ارض الروم ...

معدى بمن لانه فى معنى تحذروا وتخافوا وقرا يعقوب تقية منع عن موالاتهم ظاهرا وباطنا فى الاوقات كلها الا وقت
المخافة فان اظهار الموالات ح جايز كما قال عيسى عليه السلام كن وسطا وامش جانبا ويحذركم الله نفسه
والى الله المصير فلا تتعرضوا لسخطه بمخالفة احكامه وموالاة اعدائه وهو تهديد عظيم مشعر بتناهى المنهى
فى القبح وذكر النفس ليعلم ان المحذر منه عقاب يصدر منه فلا يؤبى دونه بما يحذر من الكفرة قل ان تخفوا ما
فى صدوركم او تبدوه يعلمه الله اى انه يعلم ضمايركم من ولاية الكفار وغيرها ان تخفوها او تبدوها لا يبالى
ويعلم ما فى السموات وما فى الارض فيعلم سركم وعلنكم والله على كل شىء
قدير فيقدر على عقوبتكم ان لم تنتهوا عما نهيتم عنه والاية بيان لقوله ويحذركم الله نفسه فكانه قال و
يحذركم نفسه لانها متصفة بعلم ذاتى يحيط بالمعلومات كلها وقدرة ذاتية تعم المقدورات باسرها فلا تجسروا
على عصيانه اذ ما من معصية الا وهو مطلع عليها قادر على العقاب بها يوم تجد كل نفس ما
عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو ان بينها و
بينه امدا بعيدا يوم منصوب بتود اى تتمنى كل نفس يوم تجد صحايف اعمالها او جزاء
اعمالها من الخير والشر حاضرة لو ان بينها وبين ذلك اليوم وهوله امدا بعيدا او بمضمر نحو اذكر وتود حال
من الضمير فى عملت او خبر لما عملت من سوء وتجد مقصور على ما عملت من خير ولا يكون ما شرطية لارتفاع تود وقرى ودت
وعلى هذا يصح ان يكون شرطية ولكن الحمل على الخبر اوقع معنى لانه حكاية كاين واوفق للقراة المشهورة و
يحذركم الله نفسه كرر للتاكيد والتذكير والله رؤف بالعباد
اشارة الى انه تعالى انما نهاهم وحذرهم رافة بهم ومراعاة لصلاحهم وانه لذو مغفرة وذو عقاب اليم
فترجى رحمته وتخشى عذابه قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى المحبة ميل النفس الى الشىء لكمال
ادركت فيه بحيث يحملها على ما يقربها اليه والعبد اذا علم ان الكمال الحقيقى ليس الا لله وان كل ما يراه كمالا
من نفسه او غيره فهو من الله وبالله والى الله لم يكن حبه الا لله وفى الله وذلك يقتضى ارادة طاعته والرغبة
فيما يقربه فلذلك فسرت المحبة بارادة الطاعة وجعلت مستلزمة لاتباع الرسول فى عبادته والحرص على مطاوعته
يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم جواب الامر اى يرض عنكم ويكشف الحجب عن
قلوبكم بالتجاوز عما فرط منكم فيقربكم من جناب عزه ويبوئكم فى جوار قدسه عبر عن ذلك بالمحبة على طريق
الاستعارة او المقابلة والله غفور رحيم لمن تحبب اليه بطاعته واتباع نبيه روى انها نزلت
لما قالت اليهود نحن ابناء الله واحباؤه وقيل نزلت فى وفد نجران لما قالوا انما نعبد المسيح حبا لله وقيل
فى اقوام زعموا على عهده انهم يحبون الله فامروا ان يجعلوا لقولهم تصديقا من العمل قل اطيعوا الله

والرسول فان تولوا يحتمل المضى والمضارعة بمعنى فان تتولوا فان الله لا يحب الكافرين
لا يرضى عنهم ولا يثنى عليهم وانما لم يقل لا يحبهم لقصد العموم والدلالة على ان التولى كفر وانه من هذه الحيثية ينفى
محبة الله وان محبته مخصوصة بالمؤمنين ان الله اصطفى آدم ونوحا وال ابراهيم و
ال عمران على العالمين بالرسالة والخصايص الروحانية والجسمانية ولذلك قووا على ما لم
يقو عليه غيرهم لما اوجب طاعة الرسول وبين انها الجالبة لمحبة الله عقب ذلك ببيان مناقبهم تحريضا
عليها وبه استدل على فضلهم على الملائكة وال ابراهيم اسمعيل واسحق واولادهما وقد دخل فيهم الرسول عم
وال عمران موسى وهرون ابنا عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب او عيسى وامه مريم بنت
عمران بن ماثان ابن اسعازار بن ابى يوذ بن نابل بن سالتيان بن يوحنا بن اوشا بن اموز بن ميشك بن حازقيا
بن احاز بن يوثام بن عزريا بن يوارم بن ساقط بن ايشا بن ابيا بن رحبعم بن سليمان بن داود بن ايشا بن
عويد بن سلمون بن باعز بن نحشون بن عميا بن رام بن حضرون بن فارض بن يهوذا بن يعقوب وكان بين العمرانين
الف وثمانمائة سنة ذرية بعضها من بعض حال او بدل من الالين او منهما ومن نوح اى
انهم ذرية واحدة متشعبة بعضها من بعض وقيل بعضها من بعض فى الدين والذرية الولد يقع على الواحد والجمع
فعلية من الذر او فعولة من الذرء ابدلت همزتها ياء ثم قلبت الواو ياء وادغمت والله سميع
عليم باقوال الناس واعمالهم فيصطفى من كان مستقيم القول والعمل او سميع بقول امراة عمران عليم بنيتها
اذ قالت امراة عمران رب انى نذرت لك ما فى بطنى فينتصب به اذ
وقيل باضمار اذكر وهذه حنة بنت فاقوذا جدة عيسى وكان لعمران بن يصهر بنت اسمها مريم اكبر
من موسى وهرون فظن ان المراد زوجته ويرده كفالة زكريا فانه كان معاصرا لابن ماثان وتزوج بنته
ايشاع وكان يحيى وعيسى ابنى خالة من الاب روى انها كانت عاقرا عجوزا فبينا هى فى ظل شجرة اذ رات
طايرا يطعم فرخه فحنت الى الولد فتمنته فقالت اللهم ان لك على نذرا ان رزقتنى ولدا ان اتصدق به على بيت
المقدس فيكون من خدمه فحملت بمريم وهلك عمران وكان هذا النذر مشروعا فى عهدهم فى الغلمان فلعلها
بنت الامر على التقدير او طلبته ذكرا محررا معتقا لخدمته لا اشغله بشىء او مخلصا للعبادة ونصبه
على الحال فتقبل منى ما نذرته انك انت السميع العليم لقولى ونيتى فلما وضعتها
قالت رب انى وضعتها انثى الضمير لما فى بطنها وتانيثه لانه كان انثى وجاز انتصاب
انثى حالا عنه لان تانيثها علم منه فان الحال وصاحبها بالذات واحد او على تاويل مؤنث كالنفس و
انما قالت تحسرا وتحزنا الى ربها لانها كانت ترجو ان تلد ذكرا ولذلك نذرت تحريره و

ميكيل بن

فيتقبب

الله اعلم بما وضعت اى بالشى الذى وضعت وهو استيناف من الله تعظيما لموضوعها وتجهيلا لها
بشانها وقرا ابن عامر وابو بكر عن عاصم ويعقوب وضعتُ على انه من كلامها تسلية لنفسها اى ولعل لله
فيه سرا او الانثى كان خيرا وقرى وضعتِ على خطاب الله تعالى وليس الذكر كالانثى بيان
لقوله والله اعلم اى وليس الذكر الذى طلبت كالانثى التى وهبت واللام فيهما للعهد ويجوز ان يكون من قولها بمعنى
وليس الذكر والانثى سيان فيما نذرت فيكون اللام للجنس وانى سميتها مريم عطف على ما قبلها من
مقالها وما بينهما اعتراض وانما ذكرت ذلك لربها تقربا اليه وطلبا لان يعصمها ويصلحها حتى يكون فعلها مطابقا
لاسمها فان مريم فى لغتهم بمعنى العابدة وفيه دليل على ان الاسم والمسمى والتسمية امور متغايرة وانى اعيذها
بك اجيرها بحفظك وذريتها من الشيطان الرجيم المطرود واصل الرجم الرمى بالحجارة
وعن النبى صلعم ما من مولود يولد الا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل من مسه الا مريم وابنها ومعناه ان الشيطان
يطمع فى اغواء كل مولود بحيث يتاثر منه الا مريم وابنها فان الله عصمهما ببركة هذه الاستعاذة فتقبلها
ربها فرضى بها فى النذر مكان الذكر بقبول حسن بوجه حسن يقبل به النذاير وهو اقامتها مقام
الذكر او تسلمها عقيب ولادتها قبل ان تكبر وتصلح للسدانة روى ان حنة لما ولدتها لفتها فى خرقة وحملتها الى
المسجد ووضعتها عند الاحبار وقالت دونكم هذه النذيرة فتنافسوا فيها لانها كانت بنت امامهم وصاحب قربانهم
فان بنى ماثان كانت رؤس بنى اسرائيل وملوكهم فقال زكريا انا احق بها عندى خالتها فابوا الا القرعة
وكانوا سبعة وعشرين فانطلقوا الى نهر فالقوا فيه اقلامهم فطفا قلم زكريا ورسبت اقلامهم فتكفلها ويجوز ان يكون
مصدرا على تقدير مضاف اى بذى قبول حسن وان يكون تقبل بمعنى استقبل كتقضى وتعجل اى فاخذها فى اول امرها
حين ولدت بقبول حسن وانبتها نباتا حسنا مجاز عن تربيتها بما يصلحها فى جميع احوالها
وكفلها زكريا شدد الفاء حمزة والكسائى وعاصم وقصروا زكريا غير عاصم فى رواية ابن عياش
على ان الفاعل هو الله وزكريا مفعول اى جعله كافلا لها وضامنا لمصالحها وخفف الباقون ومدوا زكريا
مرفوعا كلما دخل عليها زكريا المحراب اى الغرفة التى بنيت لها فى المسجد او المسجد او
اشرف مواضعه ومقدمها سمى به لانه محل محاربة الشيطان كانها وضعت فى اشرف موضع من بيت المقدس
وجد عندها رزقا جواب كلما وناصبه وروى انه كان لا يدخل عليها غيره واذا خرج اغلق
عليها سبعة ابواب فكان يجد عندها فاكهة الشتاء فى الصيف وبالعكس قال يا مريم انى لك
هذا من اين لك هذا الرزق الاتى فى غير الاوان والابواب مغلقة عليك وهو دليل جواز الكرامة
للاولياء وجعل ذلك معجزة زكريا يدفعه اشتباه الامر عليه قالت هو من عند الله فلا

تستبعده قيل تكلمت صغيرة كعيسى ولم ترضع ثديا قط فكان رزقها ينزل عليها من الجنة ان الله يرزق
من يشاء بغير حساب بغير تقدير لكثرته او بغير استحقاق تفضلا به وهو يحتمل ان يكون من كلامها
وان يكون من كلام الله روى ان فاطمة اهدت لرسول الله صلعم رغيفين وبضعة لحم فرجع بها اليها وقال هلمى يا بنية
فكشفت عن الطبق فاذا هو مملو خبزا ولحما فقال لها انى لك هذا فقالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب
فقال الحمد لله الذى جعلك شبيهة سيدة نساء بنى اسرائيل ثم جمع عليا وحسنا وحسينا وجميع اهل بيته وبقى الطعام كما هو
فاوسعت على جيرانها هنالك دعا زكريا ربه فى ذلك المكان او الوقت اذ يستعار هنا وثم و
حيث للزمان لما راى كرامة مريم ومنزلتها من الله تعالى قال رب هب لى من لدنك ذرية
طيبة كما وهبتها لحنة العجوز العاقر وقيل لما راى الفواكه فى غير اوانها انتبه على جواز ولادة العاقر
من الشيخ فسال وقال هب لى من لدنك لانه لم يكن على الوجوه المعتادة وبالاسباب المعهودة انك سميع
الدعاء مجيبه فنادته الملائكة اى من جنسهم كقولهم زيد يركب الخيل فان المنادى كان جبريل
وحده وقرا حمزة والكسائى فناداه بالامالة والتذكير وهو قائم يصلى فى المحراب اى قائما فى
الصلوة ويصلى صفة قائم او خبر او حال اخر او حال عن الضمير فى قائم ان الله يبشرك بيحيى اى بان
الله وقرا حمزة وابن عامر بالكسر على ارادة القول او لان النداء نوع منه وقرا حمزة والكسائى يبشرك ويحيى اسم
اعجمى وان جعل عربيا فمنع صرفه للتعريف ووزن الفعل مصدقا بكلمة من الله اى بعيسى سمى
بذلك لانه وجد بامره تعالى دون اب فشابه البدعيات التى هى عالم الامر او بكتاب الله سمى كلمة كما قيل
كلمة الحويدرة للقصيدة وسيدا يسود قومه ويفوقهم وكان فائقا للناس كلهم فى انه ما هم بمعصية و
حصورا مبالغا فى حبس النفس عن الشهوات والملاهى روى انه مر فى صباه بصبيان فدعوه الى اللعب فقال
ما للعب خلقت ونبيا من الصالحين ناشئا منهم او كائنا من عداد من لم يات كبيرة ولا صغيرة
قال رب انى يكون لى غلام استبعاد من حيث العادة واستعظاما وتعجبا او استفهاما عن كيفية حدوثه
وقد بلغنى الكبر ادركنى كبر السن واثر فى وكان له تسع وتسعون سنة ولامراته ثمان وتسعون و
امراتى عاقر لا تلد من العقر وهو القطع لانها ذات عقر من الاولاد قال كذلك الله يفعل
ما يشاء اى يفعل ما يشاء من العجائب مثل ذلك الفعل وهو انشاء الولد من شيخ فان وعجوز عاقر او كما انت
عليه وزوجك من الكبر والعقر يفعل ما يشاء من خلق الولد او كذلك مبتدا وخبر اى الله على مثل هذه الصفة ويفعل ما يشاء بيان
له او كذلك خبر مبتدا محذوف اى الامر كذلك والله يفعل ما يشاء بيان قال رب اجعل لى اية
علامة اعرف بها الحبل لاستقبله بالبشاشة والشكر وتزيح مشقة الانتظار قال ايتك الا تكلم الناس

ثلاثة ايام ان لا تقدر على تكليم الناس ثلاثا وانما حبس لسانه عن مكالمتهم خاصة ليخلص المدة لذكر الله
وشكره قضاء لحق النعمة وكانه قال ايتك ان يحبس لسانك الا عن الشكر واحسن الجواب ما اشتق من السؤال الا
رمزا اشارة بنحو يد او راس واصله التحرك ومنه الراموز للبحر والاستثناء منقطع وقيل متصل والمراد بالكلام
ما دل على الضمير وقرئ رمزا كخدم جمع رامز ورمزا كرسل جمع رموز على انه حال منه ومن الناس بمعنى مترامزين كقوله
متى ما تلقني فردين ترجف روانف اليتيك وتستطارا واذكر ربك كثيرا في ايام
الحبسة وهو مؤكد لما قبله مبين للغرض منه وتقييد الامر بالكثرة يدل على انه لا يفيد التكرار وسبح بالعشي
من الزوال الى الغروب وقيل من العصر او الغروب الى ذهاب صدر الليل والابكار من طلوع
الفجر الى الضحى وقرئ بفتح الهمزة جمع بكر كسحر واسحار واذ قالت الملئكة يا مريم ان الله
اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين كلموها شفاها كرامة
لها ومن انكر الكرامة زعم ان ذلك كانت معجزة لزكريا او ارهاصا لنبوة عيسى فان الاجماع على انه تعالى لم يستنبئ امراة
لقوله وما ارسلنا قبلك الا رجالا وقيل الهموها والاصطفاء الاول تقبلها من امها ولم يقبل قبلها انثى وتفريغها
للعبادة واغناؤها برزق الجنة عن الكسب وتطهيرها عما يستقذر من النساء والثاني هدايتها وارسال الملئكة اليها
وتخصيصها بالكرامات السنية كالولد من غير اب وتبرئتها مما قذفتها اليهود بانطاق الطفل وجعلها وابنها اية
للعالمين يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين امرت بالصلوة
في الجماعة بذكر اركانها مبالغة في المحافظة عليها وقدم السجود على الركوع اما لكونه كذلك في شريعتهم او للتنبيه على
ان الواو لا توجب الترتيب او ليقترن اركعي بالراكعين للايذان بان من ليس في صلاتهم ركوع ليسوا مصلين وقيل المراد
بالقنوت ادامة الطاعة كقوله امن هو قانت اناء الليل ساجدا وقائما وبالسجود الصلوة لقوله وادبار
السجود وبالركوع الخشوع والاخبات ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك اي ما ذكرنا
من القصص من الغيوب التي لم تعرفها الا بالوحي وما كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم
اقداحهم للاقتراع وقيل اقترعوا باقلامهم التي كانوا يكتبون بها التورية تبركا والمراد تقرير كونه وحيا على
سبيل التهكم بمنكريه فان طريق معرفة الوقائع المشاهدة والسماع وعدم السماع معلوم لا شبهة فيه عندهم فبقي ان
يكون الاتهام باحتمال العيان ولا يظن به عاقل ايهم يكفل مريم متعلق بمحذوف دل عليه يلقون
اقلامهم اي يلقونها ليعلموا او يقولوا ايهم يكفل مريم وما كنتم لديه اذ يختصمون
تنافسا في كفالتها اذ قالت الملئكة بدل من اذ قالت الاولى وما بينهما اعتراض او من اذ يختصمون
على ان وقوع الاختصام والبشارة في زمان متسع كقولك لقيته سنة كذا يا مريم ان الله يبشرك

بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم المسيح لقبه وهو من الالقاب المشرفة
كالصديق واصله بالعبرية مشيحا ومعناه المبارك وعيسى معرب ايشوع واشتقاقهما من المسح لانه مسح بالبركة او
بما طهره من الذنوب او مسح الارض ولم يقم في موضع او مسحه جبرئيل ومن العيس وهو بياض تعلوه حمرة تكلف
لا طائل تحته وابن مريم لما كانت صفة تميز تميز الاسماء نظمت في سلكها ولا ينافي تعدد الخبر افراد المبتدا فانه
اسم جنس مضاف ويحتمل ان يراد ان الذي يعرف به ويتميز عن غيره هذه الثلثة فان الاسم علامة المسمى والمميز له
عمن سواه ويجوز ان يكون عيسى خبر مبتدا محذوف وابن مريم صفته وانما قيل ابن مريم والخطاب لها تنبيها على انه
يولد من غير اب اذ الاولاد تنسب الى الاباء ولا تنسب الى الام الا اذا فقد الاب وجيها في الدنيا و
الاخرة حال مقدرة من كلمة وهي وان كانت نكرة لكنها موصوفة وتذكيرها للمعنى والوجاهة في الدنيا
النبوة وفي الاخرة الشفاعة ومن المقربين من الله وقيل اشارة الى علو درجته في الجنة او رفعه الى
السماء وصحبة الملائكة ويكلم الناس في المهد وكهلا اي يكلمهم حال كونه طفلا وكهلا كلام الانبياء
من غير تفاوت والمهد مصدر سمي به ما يمهد للصبي من مضجعه وقيل انه رفع شابا والمراد وكهلا بعد نزوله
وذكر احواله المختلفة المتنافية اشارة الى انه بمعزل عن الالوهية ومن الصالحين حال ثالث من كلمة او
من ضميرها الذي في يكلم قالت رب انى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر تعجب
او استبعاد عادي او استفهام على انه يكون بتزوج او غيره قال كذلك الله يخلق ما يشاء
القائل جبرئيل او الله وجبرئيل حكى لها قول الله تعالى اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون
اشارة الى انه تعالى كما يقدر ان يخلق الاشياء مدرجا باسباب ومواد يقدر ان يخلقها دفعة من غير ذلك و
نعلمه الكتاب والحكمة والتورية والانجيل كلام مبتدا ذكر
تطييبا لقلبها وازاحة لهمها من خوف اللوم لما علمت انها تلد من غير زوج او عطف على يبشرك او وجيها والكتاب
الكتبة او جنس الكتب المنزلة وخص الكتابان لفضلهما وقرا نافع وعاصم يعلمه بالياء ورسولا الى بني
اسرائيل اني قد جئتكم باية من ربكم منصوب بمضمر على ارادة القول تقديره
ويقول ارسلت رسولا باني قد جئتكم او بالعطف على الاحوال المتقدمة متضمنا معنى النطق وكانه قال وناطقا باني
قد جئتكم وتخصيص بني اسرائيل لخصوص بعثته اليهم او للرد على من زعم انه مبعوث الى غيرهم اني اخلق
لكم من الطين كهيئة الطير نصب على بدل اني قد جئتكم او جر بدل اية او رفع على
هي اني اخلق لكم والمعنى اقدر لكم واصور شيئا مثل صورة الطير وقرا نافع اني بالكسر فانفخ فيه الضمير للكاف
اي في ذلك المماثل فيكون طيرا باذن الله فيصير حيا طيارا بامر الله نبه به على ان احياءه من الله

وقرأ نافع هنا وفي المائدة طائرا بالالف والهمزة وابرئ الاكمه والابرص الاكمه الذي
ولد اعمى او الممسوح العين روي انه كان ربما يجتمع عليه الوف من المرضى من اطاق منهم اتاه ومن لم يطق اتاه
عيسى عليه السلام وما يداوي الا بالدعاء واحيي الموتى باذن الله كرر باذن الله دفعا لوهم الالوهية
فان الاحياء ليس من جنس الافعال البشرية وانبئكم بما تاكلون وما تدخرون في
بيوتكم بالمغيبات من احوالكم التي لا تشكون فيها ان في ذلك لاية لكم ان كنتم
مؤمنين موفقين للايمان فان غيرهم لا ينتفع بالمعجزات او مصدقين للحق غير معاندين ومصدقا
لما بين يدي من التورية عطف على رسولا على الوجهين او منصوب باضمار فعل دل عليه قد
جئتكم باية اي وجئتكم مصدقا ولاحل لكم مقدر باضماره او مردود على قوله قد جئتكم باية او معطوف
على معنى مصدقا كقولك جئتك معتذرا ولاطيب قلبك بعض الذي حرم عليكم
اي في شريعة موسى كالشحوم والثروب والسمك ولحوم الابل والعمل في السبت وهو يدل على ان شرعه كان ناسخا
لشرع موسى ولا يخل ذلك بكونه مصدقا بالتورية كما لا يعود نسخ القرآن بعضه ببعض عليه بتناقض وتكاذب فان
النسخ في الحقيقة بيان وتخصيص في الازمان وجئتكم باية من ربكم فاتقوا الله واطيعون
ان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم اي جئتكم باية اخرى
الهمنيها ربكم وهي قوله ان الله ربي وربكم فانه دعوة الحق المجمع عليها فيما بين الرسل الفارق بين النبي و
الساحر او جئتكم باية على ان الله تعالى ربي وربكم وقوله تعالى فاتقوا الله واطيعون اعتراض والظاهر انه تكرير لقوله
قد جئتكم باية من ربكم اي جئتكم باية بعد اخرى مما ذكرت لكم والاول لتمهيد الحجة والثاني لتقريبها الى الحكم ولذلك
رتب عليها بالفاء قوله تعالى فاتقوا الله اي لما جئتكم بالمعجزات القاهرة والايات الباهرة فاتقوا الله
في المخالفة واطيعون فيما ادعوكم اليه ثم شرع في الدعوة واشار اليها بالقول المجمل فقال ان الله ربي وربكم
اشارة الى استكمال القوة النظرية بالاعتقاد الحق الذي غايته التوحيد وقال فاعبدوه اشارة الى استكمال
القوة العملية فانه بملازمة الطاعة التي هي الاتيان بالاوامر والانتهاء عن المناهي ثم قرر ذلك بان بين ان
الجمع بين الامرين هو الطريق المشهود له بالاستقامة ونظيره قوله عليه السلام قل امنت بالله ثم استقم فلما احس
عيسى منهم الكفر تحقق كفرهم عنده تحقق ما يدرك بالحواس قال من انصاري
الى الله ملتجئا الى الله او ذاهبا او ضاما اليه ويجوز ان يتعلق الجار بانصاري مضمنا معنى الاضافة اي
من الذين يضيفون انفسهم الى الله في نصرتي وقيل الى ههنا بمعنى مع او في او اللام قال الحواريون
حواري الرجل خالصته من الحور وهو البياض الخالص ومنه الحواريات للحضريات لخلوص الوانهن تسمى

اصحاب

اصحاب عيسى عليه السلام بذلك لخلوص نياتهم ونقاء سرائرهم وقيل كانوا ملوكا يلبسون البيض استنصر بهم عيسى من اليهود وقيل قصارون
يحورون الثياب اي يبيضونها نحن انصار الله اي انصار دينه امنا بالله واشهد
بانا مسلمون لتشهد لنا يوم القيمة حين تشهد الرسل لقومهم وعليهم ربنا امنا بما انزلت
واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين اي مع الذين يشهدون بوحدانيتك
او مع الانبياء الذين يشهدون لاتباعهم او امة محمد عليه السلام فانهم شهداء على الناس ومكروا اي الذين
احس منهم الكفر من اليهود بان وكلوا عليه من يقتله غيلة ومكر الله حين رفع عيسى والقى شبهه على
من قصد اغتياله حتى قتل والمكر من حيث انه في الاصل حيلة يجلب بها غيره الى مضرة لا يسند الى الله تعالى الا على
سبيل المقابلة والازدواج والله خير الماكرين اقواهم مكرا واقدرهم على ايصال الضرر من حيث لا يحتسب
اذ قال الله ظرف لمكر الله او خير الماكرين او لمضمر مثل وقع ذلك يا عيسى اني متوفيك
اي مستوفي اجلك ومؤخرك الى اجلك المسمى عاصما اياك من قتلهم او قابضك من الارض من توفيت مالي
او متوفيك نائما اذ روي انه رفع نائما او مميتك عن الشهوات العائقة عن العروج الى عالم الملكوت وقيل اماته
الله سبع ساعات ثم رفعه الى السماء واليه ذهب النصارى ورافعك الي اي الى محل كرامتي ومقر ملائكتي
ومطهرك من الذين كفروا من سوء جوارهم او قصدهم وجاعل الذين اتبعوك
فوق الذين كفروا الى يوم القيمة يعلونهم بالحجة او السيف في غالب الامر ومتبعوه من امن بنبوته
من المسلمين والنصارى والى الان لم تسمع غلبة اليهود عليهم ولم يتفق لهم ملك ودولة ثم الي مرجعكم الضمير لعيسى ومن
تبعه ومن كفر به وغلب المخاطبين على الغائبين فاحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون من
امر الدين فاما الذين كفروا فاعذبهم عذابا شديدا في الدنيا والاخرة
وما لهم من ناصرين واما الذين امنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم
اجورهم تفسير للحكم وتفصيل له وقرأ حفص فيوفيهم بالياء والله لا يحب الظالمين تقرير
لذلك ذلك اشارة الى ما سبق من نبأ عيسى وغيره وهو مبتدأ خبره نتلوه عليك وقوله من
الايات حال من الهاء ويجوز ان يكون الخبر ونتلوه حالا على ان العامل معنى الاشارة وان يكونا خبرين وان ينتصب
ذلك بمضمر يفسره نتلوه والذكر الحكيم المشتمل على الحكم او المحكم الممنوع عن تطرق الخلل اليه يريد به القرآن
وقيل اللوح ان مثل عيسى عند الله كمثل ادم ان شانه الغريب كشان ادم خلقه من
تراب جملة مفسرة للتمثيل مبينة لما له الشبه وهو انه خلق بلا اب كما خلق ادم من التراب بلا اب وام شبه
حاله بما هو اغرب افحاما للخصم وقطعا لمواد الشبه والمعنى خلق قالبه من التراب ثم قال له كن اي انشأه

بشرا كقوله ثم انشأناه خلقا آخر او قدر تكوينه من التراب ثم كونه ويجوز ان يكون ثم لتراخي الخبر لا المخبر فيكون حكاية
حال ماضية الحق من ربك خبر محذوف اي هو الحق وقيل الحق مبتدأ ومن ربك خبره اي الحق المذكور من الله
فلا تكن من الممترين خطاب للنبي على طريقة التهييج لزيادة الثبات او لكل سامع فمن حاجك
من النصارى فيه في عيسى من بعد ما جاءك من العلم بالبينات الموجبة للعلم فقل
تعالوا هلموا بالرأي والعزم ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم و
انفسنا وانفسكم اي يدع كل منا ومنكم نفسه واعزة اهله والصقهم بقلبه الى المباهلة ويحمل عليها
وانما قدمهم على النفس لان الرجل يخاطر بنفسه لهم ويحارب دونهم ثم نبتهل اي نتباهل بان نلعن الكاذب
منا والبهلة بالضم والفتح اللعنة واصله الترك من قولهم ابهلت الناقة اذا تركتها بلا صرار فنجعل
لعنة الله على الكاذبين عطف فيه بيان روي انهم لما دعوا الى المباهلة قالوا حتى ننظر فلما تخالوا
قالوا للعاقب وكان ذا رأيهم ما ترى فقال والله لقد عرفتم نبوته ولقد جاءكم بالفصل في امر صاحبكم والله ما باهل
قوم نبيا الا هلكوا فان ابيتم الا الف دينكم فوادعوا الرجل وانصرفوا فاتوا رسول الله وقد غدا محتضنا الحسين
آخذا بيد الحسن وفاطمة تمشي خلفه وعلي خلفها وهو يقول اذا انا دعوت فامنوا فقال اسقفهم يا معشر النصارى
اني لارى وجوها لو سألوا الله ان يزيل جبلا من مكانه لازاله فلا تباهلوا فتهلكوا فاذعنوا لرسول الله وبذلوا
له الجزية الفي حلة حمراء وثلاثين درعا من حديد فقال عم والذي نفسي بيده لو تباهلوا لمسخوا قردة وخنازير
ولاضطرم عليهم الوادي نارا ولاستأصل الله نجران واهله حتى الطير على الشجر وهو دليل على نبوته وفضل من
اتى بهم من اهل بيته ان هذا اي ما قص من نبأ عيسى ومريم لهو القصص الحق بجملته خبر ان او
هو فصل يفيد ان ما ذكره في شأن عيسى ومريم حق دون ما ذكروه وما بعده خبره واللام دخلت فيه لانه اقرب الى المبتدأ
من الخبر واصلها ان يدخل المبتدأ وما من اله الا الله صرح فيه بمن المزيدة للاستغراق تأكيدا للرد
على النصارى في تثليثهم وان الله لهو العزيز الحكيم لا احد سواه يساويه في القدرة
التامة والحكمة البالغة ليشاركه في الالوهية فان تولوا فان الله عليم بالمفسدين
وعيد لهم ووضع المظهر موضع المضمر ليدل على ان التولي عن الحجج والاعراض عن التوحيد افساد للدين والاعتقاد
المؤدي الى فساد النفس بل والى فساد العالم قل يا اهل الكتاب يعم اهل الكتابين وقيل يريد وفد
نجران او يهود المدينة تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم لا يختلف فيها الرسل و
الكتب وتفسيرها ما بعدها الا نعبد الا الله ان نوحده بالعبادة ونخلص فيها ولا نشرك
به شيئا ولا نجعل غيره شريكا له في استحقاق العبادة ولا نراه اهلا لان يعبد ولا يتخذ

الصرار خيط يشد به ثدي الناقة فلا يستطيع الفصيل الارتضاع

اضطرام برافروختن آتش کرد

بعضنا بعضا اربابا من دون الله ولا نقول عزير ابن الله ولا المسيح ابن الله ولا نطيع الاحبار فيما
احدثوا من التحريم والتحليل لان كلا منهم بعضنا بشر مثلنا روي انه لما نزلت اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله
قال عدي بن حاتم ما كنا نعبدهم يا رسول الله قال اليس كانوا يحلون لكم ويحرمون فتأخذون بقولهم قال نعم قال هو
ذاك فان تولوا عن التوحيد فقولوا اشهدوا بانا مسلمون اي لزمتكم الحجة فاعترفوا
بانا مسلمون دونكم او اعترفوا بانكم كافرون بما نطقت به الكتب وتطابقت عليه الرسل تنبيه انظر
الى ما راعى في هذه القصة من المبالغة في الارشاد وحسن التدريج في الحجاج بين اولا احوال عيسى وما تعاور عليه من
الاطوار المنافية للالهية ثم ذكر ما يحل عقدتهم ويزيح شبهتهم فلما رأى عنادهم ولجاجهم دعاهم الى المباهلة بنوع
من الاعجاز ثم لما اعرضوا عنها وانقادوا بعض الانقياد عاد عليهم بالارشاد وسلك طريقا اسهل والزم
بان دعاهم الى ما وافق عليه عيسى والانجيل وسائر الانبياء والكتب ثم لما لم يجد ذلك ايضا عليهم وعلم ان الايات
والنذر لا تغني عنهم اعرض عن ذلك وقال اشهدوا بانا مسلمون يا اهل الكتاب لم تحاجون في
ابراهيم وما انزلت التورية والانجيل الا من بعده تنازعت اليهود والنصارى
في ابراهيم وزعم كل فريق انه منهم فترافعوا الى رسول الله صلعم فنزلت والمعنى ان اليهودية والنصرانية حدثتا بنزول
التورية والانجيل على موسى وعيسى وكان ابراهيم قبل موسى بالف سنة وعيسى بالفين فكيف يكون عليهما افلا تعقلون
فتدعون المحال ها انتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم
به علم ها حرف تنبيه نبهوا بها على حالهم التي غفلوا عنها وانتم مبتدأ وهؤلاء خبره وحاججتم جملة اخرى مبينة للاولى
اي انتم هؤلاء الحمقى وبيان حماقتكم انكم جادلتم فيما لكم به علم مما وجدتموه في التورية والانجيل عنادا او تدعون وروده فيه
فلم تجادلون فيما لا علم لكم به ولا ذكر في كتابكم من دين ابراهيم وقيل هؤلاء بمعنى الذين وحاججتم صلته وقيل ها انتم اصله أانتم
على الاستفهام للتعجب من حماقتهم فقلبت الهمزة هاء والباقون بالمد والهمز والبزي بقصر المد على اصله والله
يعلم ما حاججتم فيه وانتم لا تعلمون وانتم جاهلون به ما كان ابراهيم يهوديا ولا
نصرانيا تصريح بمقتضى ما قرره من البرهان ولكن كان حنيفا مائلا عن العقائد الزائغة
مسلما منقادا لله وليس المراد انه كان على ملة الاسلام والا لاشترك الالزام وما كان من المشركين
تعريض بانهم مشركون لاشراكهم به عزيرا والمسيح ورد لادعاء المشركين انهم على ملة ابراهيم ان اولى الناس بابراهيم
اي اخصهم به واقربهم منه من الولي وهو القرب للذين اتبعوه من امته وهذا النبي والذين
امنوا لموافقتهم له في اكثر ما شرع لهم على الاصالة وقرئ النبي بالنصب عطفا على الهاء في اتبعوه وبالجر عطفا على ابراهيم
والله ولي المؤمنين ينصرهم ويجازيهم الحسنى لايمانهم ودت طائفة من اهل الكتاب

كين
هيم

لو يضلونكم نزلت في اليهود لما دعوا حذيفة وعمارا ومعاذا الى اليهودية ولو بمعنى ان وما يضلون
الا انفسهم وما يتخطاهم الاضلال ولا يعود وباله الا عليهم اذ يضاعف به عذابهم او ما يضلون الا امثالهم
وما يشعرون وزره واختصاص ضرره بهم يا اهل الكتاب لم تكفرون بايات
الله بما نطقت به التورية والانجيل ودلت على نبوة محمد صلعم وانتم تشهدون انها ايات الله او
بالقران وانتم تشهدون نعته في الكتب او تعلمون بالمعجزات انه حق يا اهل الكتاب لم تلبسون
الحق بالباطل بالتحريف وابراز الباطل في صورته او بالتقصير في الميز بينهما وقرئ تلبسون بالتشديد وتلبسون
بفتح الباء اي تلبسون الحق مع الباطل كقوله عم كلابس ثوبي زور وتكتمون الحق نبوة محمد ونعته وانتم تعلمون
عالمين بما تكتمونه وقالت طائفة من اهل الكتاب امنوا بالذي انزل على الذين
امنوا وجه النهار اي اظهروا الايمان بالقران اول النهار واكفروا اخره لعلهم يرجعون
واكفروا به اخره لعلهم يشكون في دينهم ظنا بانكم رجعتم لخلل ظهر لكم والمراد بالطائفة كعب بن الاشرف ومالك بن
الصيف قالا لاصحابهما لما حولت القبلة امنوا بما انزل عليهم من الصلوة الى الكعبة وصلوا اليها اول النهار ثم صلوا
الى الصخرة اخره لعلهم يقولون هم اعلم منا وقد رجعوا فيرجعون وقيل اثنا عشر من احبار خيبر تقاولوا بان يدخلوا في
الاسلام اول النهار ويقولوا اخره نظرنا في كتابنا وشاورنا علمائنا فلم نجد محمدا بالنعت الذي ورد في التورية
لعل اصحابه يشكون فيه ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم ولا تقروا عن تصديق قلب الا لاهل دينكم او لا تظهروا
ايمانكم وجه النهار الا لمن كان على دينكم فان رجوعهم ارجى واهم قل ان الهدى هدى الله يهدي من يشاء الى الايمان
ويثبته عليه ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم متعلق بمحذوف اي دبرتم ذلك وقلتم لان يؤتى احد
والمعنى ان الحسد حملكم على ذلك او بلا تؤمنوا اي ولا تظهروا ايمانكم بان يؤتى احد مثل ما اوتيتم الا لاشياعكم فلا تفشوه
الى المسلمين لئلا يزيد ثباتهم ولا الى المشركين لئلا يدعوهم الى الاسلام وقوله ان الهدى هدى الله اعتراض يدل
على ان كيدهم لا يجدي طائلا او خبر ان على ان هدى الله بدل من الهدى وقرا ابن كثير أأن يؤتى على الاستفهام للتقريع يؤيد
الوجه الاول اي الان يؤتى احد دبرتم وقرئ ان على انها النافية فيكون من كلام الطائفة اي ولا تؤمنوا الا لمن تبع
دينكم وقولوا لهم ما يؤتى احد مثل ما اوتيتم او يحاجوكم عند ربكم عطف على ان يؤتى على الوجهين
الاولين وعلى الثالث معناه حتى يحاجوكم عند ربكم فيدحضوا حجتكم والواو ضمير احد لانه في معنى الجمع اذ المراد به
غير اتباعهم قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم يختص
برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم رد وابطال لما زعموا بالحجة الواضحة و
من اهل الكتاب من ان تامنه بقنطار يؤده اليك كعبد الله بن سلام استودعه

قرشي الفا ومائتي اوقية ذهبا فاداه اليه ومنهم من ان تامنه بدينار لا يؤده
اليك كفنحاص بن عازورا استودعه قرشي اخر دينارا فجحده وقيل المامونون على الكثير النصارى اذ
الغالب فيهم الامانة والخائنون في القليل اليهود اذ الغالب عليهم الخيانة وقرا حمزة وابو بكر وابو عمرو يؤده
اليك ولا يؤده اليك باسكان الهاء وقالون باختلاس كسرة الهاء وكذا روي عن هشام والباقون باشباع
الكسرة الا ما دمت عليه قائما الا مدة دوامك قائما على راسه مبالغا في مطالبته بالتقاضي
والترافع واقامة البينة ذلك اشارة الى ترك الاداء المدلول عليه بقوله لا يؤده بانهم قالوا بسبب قولهم
ليس علينا في الاميين سبيل اي ليس علينا في شان من ليسوا من اهل الكتاب ولم يكونوا
على ديننا عتاب وذم ويقولون على الله الكذب بادعائهم ذلك وهم يعلمون
انهم كاذبون وذلك لانهم استحلوا ظلم من خالفهم وقالوا لم يجعل لهم في التورية حرمة وقيل عامل اليهود رجالا من قريش
فلما اسلموا تقاضوهم فقالوا سقط حقكم حيث تركتم دينكم وزعموا انه كذلك في كتابهم وعن النبي صلعم انه قال عند نزولها
كذب اعداء الله ما من شيء في الجاهلية الا وهو تحت قدمي الا الامانة فانها مؤداة الى البر والفاجر بلى اثبات
لما نفوه اي بلى عليهم فيهم سبيل من اوفى بعهده واتقى فان الله يحب المتقين استئناف
مقرر للجملة التي سدت بلى مسدها والضمير المجرور لمن او لله وعموم المتقين ناب مناب الراجع من الجزاء الى من واشعر بان التقوى
ملاك الامر وهو يعم الوفاء وغيره من اداء الواجبات والاجتناب عن المناهي ان الذين يشترون يستبدلون
بعهد الله بما عاهدوا عليه من الايمان بالرسول والوفاء بالامانات وايمانهم وبما حلفوا به من
قولهم والله لنؤمنن به ولننصرنه ثمنا قليلا متاع الدنيا اولئك لا خلاق لهم في الاخرة
ولا يكلمهم الله بما يسرهم او بشيء اصلا وان الملائكة يسألونهم يوم القيمة او لا ينتفعون بكلمات الله
واياته والظاهر انه كناية عن غضبه عليهم لقوله ولا ينظر اليهم يوم القيمة فان من سخط على غيره واستهان
به اعرض عنه وعن التكلم معه والالتفات نحوه كما ان من اعتد بغيره يقاوله ويكثر النظر اليه ولا يزكيهم
ولا يثني عليهم ولهم عذاب اليم على ما فعلوه قيل انها نزلت في احبار حرفوا التورية وبدلوا نعت محمد صلعم
وحكم الامانات وغيرهما واخذوا على ذلك رشوة وقيل نزلت في رجل اقام سلعة في السوق فحلف لقد اشتراها بما لم
يشترها به وقيل في تراجع كان بين اشعث بن قيس ويهودي في بئر او ارض وتوجه الحلف على اليهودي وان منهم
لفريقا يعني المحرفين ككعب ومالك وحيي بن اخطب يلوون السنتهم بالكتاب يفتلونها
بقراءته فيميلونها عن المنزل الى المحرف او يعطفونها بشبه الكتاب وقرئ يلون على قلب الواو المضمومة همزة ثم
تخفيفها بحذفها والقاء حركتها على الساكن قبلها لتحسبوه من الكتاب وما هو

من الكتاب الضمير للمحرف المدلول عليه بقوله يلوون وقرئ ليحسبوه بالياء والضمير ايضا للمسلمين ويقولون
هو من عند الله وما هو من عند الله تأكيد لقوله وما هو من الكتاب وتشنيع عليهم
وبيان لانهم يزعمون ذلك تصريحا لا تعريضا اي ليس هو نازلا من عنده وهذا لا يقتضي ان لا يكون فعل العبد فعل
الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون تأكيد وتسجيل عليهم بالكذب
على الله والتعمد فيه وما كان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب والحكم و
النبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله تكذيب ورد
على عبدة عيسى وقيل ان ابا رافع القرظي والسيد النجراني قالا يا محمد اتريد ان نعبدك ونتخذك ربا فقال معاذ الله
ان نعبد غير الله وان نأمر بغير عبادة الله فما بذلك بعثني ولا بذلك امرني فنزلت وقيل قال رجل يا رسول الله
نسلم عليك كما يسلم بعضنا على بعض افلا نسجد لك فقال لا ينبغي ان يسجد لاحد من دون الله ولكن اكرموا نبيكم
واعرفوا الحق لاهله ولكن كونوا ربانيين ولكن يقول كونوا ربانيين والرباني منسوب
الى الرب بزيادة الالف والنون كاللحياني والرقباني وهو الكامل في العلم والعمل بما كنتم
تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون بسبب كونكم معلمين الكتاب و
بسبب كونكم دارسين له فان فائدة التعليم والتعلم معرفة الحق والخير للاعتقاد والعمل وقرأ ابن كثير ونافع
وابو عمرو ويعقوب تعلمون بمعنى عالمين وقرئ تدرسون من التدريس وتدرسون من ادرس بمعنى درس كاكرم
وكرم ويجوز ان يكون القراءة المشهورة ايضا بهذا المعنى على تقدير وبما تدرسونه على الناس ولا يأمركم
ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا نصبه ابن عامر وحمزة وعاصم ويعقوب عطفا على
ثم يقول وتكون لا مزيدة لتأكيد معنى النفي في قوله ما كان اي ما كان لبشر ان يستنبئه الله ثم يأمر الناس بعبادة
نفسه ويأمر باتخاذ الملائكة والنبيين اربابا او غير مزيدة على انه ليس له ان يأمر بعبادته ولا يأمر باتخاذ اكفائه
اربابا بل ينهى عنه وهو ادنى من العبادة ورفعه الباقون على الاستئناف ويحتمل الحال وقرأ ابو عمرو على اصله
في الاختلاس بالهمزة أيأمركم بالكفر انكار والضمير فيه للبشر وقيل لله بعد اذ انتم
مسلمون دليل على ان الخطاب للمسلمين وهم المستأذنون لان يسجدوا له واذ اخذ الله ميثاق
النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق
لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قيل انه على ظاهره واذا كان هذا حكم الانبياء
كان الامم به اولى وقيل معناه انه تعالى اخذ الميثاق من النبيين واممهم واستغنى بذكرهم عن ذكر الامم وقيل اضاف
الميثاق الى النبيين اضافته الى الفاعل والمعنى واذ اخذ الله الميثاق الذي وثقه الانبياء على اممهم وقيل المراد

بالكسر

اولاد

النبيين

اولاد الانبياء على حذف المضاف وهم بنو اسرائيل او سماهم نبيين تهكما لانهم كانوا يقولون نحن اولى بالنبوة من
محمد لانا اهل الكتاب والنبيون كانوا منا واللام في لما توطئة للقسم لان اخذ الميثاق بمعنى الاستحلاف وما
يحتمل الشرطية ولتؤمنن ساد مسد الجواب للقسم والشرط ويحتمل الخبرية وقرأ حمزة لما بالكسر على ان ما مصدرية
اي لاجل ايتائي اياكم بعض الكتاب ثم مجيء رسول مصدق له وقرئ لما بمعنى حين آتيتكم اخذ الله الميثاق لتؤمنن
به ولتنصرنه او موصولة والمعنى اخذه للذي آتيتكموه وجاءكم رسول مصدق له او من اجل ما آتيتكم على ان
اصله لمن ما بالادغام فحذف احدى الميمات الثلاث استثقالا وقرأ نافع آتيناكم بالنون والالف
جمعا قال أأقررتم واخذتم على ذلكم اصري اي عهدي سمي به لانه يؤصر اي
يشد وقرئ بالضم وهو اما لغة فيه كعبر وعبر او جمع اصار وهو ما يشد به قالوا اقررنا قال فاشهدوا
اي فليشهد بعضكم على بعض بالاقرار وقيل الخطاب فيه للملائكة وانا معكم من الشاهدين
وانا ايضا على اقراركم وتشاهدكم شاهد وهو توكيد وتحذير عظيم فمن تولى بعد ذلك بعد الميثاق والتوكيد
بالاقرار والشهادة فاولئك هم الفاسقون المتمردون من الكفرة افغير دين الله يبغون
عطف على الجملة المتقدمة والهمزة متوسطة بينهما للانكار او على محذوف تقديره أيتولون فغير دين الله يبغون
وتقديم المفعول لانه المقصود بالانكار والفعل بلفظ الغيبة عند ابي عمرو وعاصم في رواية حفص ويعقوب وبالتاء
الباقين على تقدير وقل لهم وله اسلم من في السموات والارض طوعا وكرها
اي طائعين بالنظر واتباع الحجة وكارهين بالسيف ومعاينة ما يلجئ الى الاسلام كنتق الجبل وادراك الغرق و
الاشراف على الموت او مختارين كالملائكة والمؤمنين ومسخرين كالكفرة فانهم لا يقدرون ان يمتنعوا عما قضي عليهم
واليه ترجعون وقرأ حفص بالياء على ان الضمير لمن قل آمنا بالله وما انزل علينا
وما انزل على ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط و
ما اوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم امر للرسول صلى الله عليه وسلم بان يخبر عن نفسه و
متابعيه بالايمان والقرآن كما هو منزل عليه منزل عليهم بتوسط تبليغه اليهم المنسوب الى واحد من الجمع قد ينسب
اليهم او بان يتكلم عن نفسه على طريقة الملوك اجلالا والنزول كما يعدى بالى لانه ينتهي الى الرسل يعدى بعلى لانه من
فوق وانما قدم المنزل عليه على المنزل على سائر الرسل لانه المعرف له والعيار عليه لا نفرق بين احد
منهم بالتصديق والتكذيب ونحن له مسلمون منقادون او مخلصون في عبادته و
من يبتغ غير الاسلام دينا اي غير التوحيد والانقياد لحكم الله فلن يقبل منه و
هو في الآخرة من الخاسرين الواقعين في الخسران والمعنى ان المعرض عن الاسلام والطالب

لغيره فانه المنع واقع في الحكم باعتبار النظرة السليمة التي فطر الناس عليها وهو دليل به على ان الايمان هو الاقرار لو كان غيره لم يقبل والوجه انه ينفي قبول كل ما يغايره لا قبول كل مغاير ولعل الدين ايضا الاعمال

كيف يهدي الله قوما كفروا بعد ايمانهم وشهدوا ان الرسول حق وجاءهم البينات استبعاد لان يهديهم الله فان الحائد عن الحق بعد ما وضح له منهمك في الضلال بعيد عن الرشاد وقيل نفي وانكار له وذلك يقتضي ان لا تقبل توبة المرتد وشهدوا عطف على ما في ايمانهم من معنى الفعل ونظيره فاصدق واكن او حال باضمار قد من كفروا وهو على الوجهين دليل على ان الاقرار باللسان خارج عن حقيقة الايمان والله لا يهدي القوم الظالمين الذين ظلموا انفسهم بالاخلال بالنظر ووضع الكفر موضع الايمان فكيف من جاءه الحق وعرفه ثم اعرض عنه اولئك جزاؤهم ان عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين يدل بمنطوقه على جواز لعنهم وبمفهومه ينفي جواز لعن غيرهم ولعل الفرق انهم مطبوعون على الكفر ممنوعون عن الهدى آيسون عن الرحمة رأسا بخلاف غيرهم والمراد بالناس المؤمنون او العموم فان الكافر ايضا يلعن منكر الحق والمرتد عنه ولكن لا يعرف الحق بعينه خالدين فيها في اللعنة او العقوبة او النار وان لم يجر ذكرهما لدلالة الكلام عليهما لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون الا الذين تابوا من بعد ذلك اي من بعد الارتداد واصلحوا ما افسدوا ويجوز ان لا يقدر له مفعول بمعنى ودخلوا في الصلاح فان الله غفور رحيم يقبل توبته ويتفضل عليه قيل انها نزلت في حرث بن سويد حين ندم على ردته فارسل الى قومه ان سلوا هل لي من توبة فارسل اليه اخوه الجلاس بالآية فرجع الى المدينة فتاب ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا كاليهود كفروا بعيسى والانجيل بعد الايمان بموسى والتوراة ثم ازدادوا كفرا بمحمد والقرآن او كفروا بمحمد بعد ما آمنوا به قبل مبعثه ثم ازدادوا كفرا بالاصرار والعناد والطعن فيه والصد عن الايمان ونقض الميثاق او كقوم ارتدوا ولحقوا بمكة ثم ازدادوا كفرا بقولهم نتربص بمحمد ريب المنون او نرجع اليه وننافقه باظهاره لن تقبل توبتهم لانهم لا يتوبون او لا يتوبون الا اذا اشرفوا على الهلاك فكنى عن عدم توبتهم بعدم قبولها تغليظا في شأنهم وابرازا لحالهم في صورة حال الآيسين من الرحمة او لان توبتهم لا تكون الا نفاقا لارتدادهم وزيادة كفرهم ولذلك لم تدخل الفاء فيه واولئك هم الضالون الثابتون على الضلال ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا لما كان الموت على الكفر سببا لامتناع قبول الفدية ادخل الفاء ههنا للاشعار به وملء الشيء ما يملؤه وذهبا نصب على التمييز وقرئ بالرفع على البدل

نتربص به الدهر وريب المنون الدهر

ابن

من ملء او الخبر لمحذوف ولو افتدى به محمول على المعنى كانه قيل فلن يقبل من احدهم فدية ولو افتدى بملء الارض ذهبا او معطوف على مضمر تقديره فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا لو تقرب به في الدنيا ولو افتدى به من العذاب في الآخرة او المراد ولو افتدى بمثله كقوله ولو ان للذين ظلموا ما في الارض جميعا ومثله معه والمثل يحذف ويراد كثيرا لان المثلين في حكم شيء واحد اولئك لهم عذاب اليم مبالغة في التحذير واقناط لان من لا يقبل منه الفداء ربما يعفى عنه تكرما وما لهم من ناصرين في دفع العذاب ومن مزيدة للاستغراق لن تنالوا البر اي لن تبلغوا حقيقة البر الذي هو كمال الخير او لن تنالوا بر الله الذي هو الرحمة والرضى والجنة حتى تنفقوا مما تحبون اي من المال او مما يعمه وغيره كبذل الجاه في معاونة الناس والبدن في طاعة الله والمهجة في سبيله روي انها لما نزلت جاء ابو طلحة فقال يا رسول الله ان احب اموالي الي بيرحاء فضعها حيث اراك الله فقال بخ بخ ذاك مال رابح او رائح واني ارى ان تجعلها في الاقربين وجاء زيد بن حارثة بفرس كان يحبها فقال هذه في سبيل الله فحمل عليها رسول الله اسامة فقال زيد انما اردت ان اتصدق به فقال عليه السلام ان الله قد قبلها منك وذلك يدل على ان انفاق احب الاموال اقرب الى ان يفضل ان لا يراد به الا الوجوب والمستحب وفيه ان بعض ما يحبون وهو دليل لمن قال بالتبعيض ويحتمل التبيين وما تنفقوا من شيء اي من شيء محبوب او غيره ومن لبيان ما فان الله به عليم فيجازيكم بحسبه كل الطعام اي المطعومات والمراد اكلها كان حلا لبني اسرائيل حلالا لهم وهو مصدر نعت به ولذلك يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث قال تعالى لا هن حل لهم الا ما حرم اسرائيل على نفسه كلحوم الابل والبانها قيل كان به عرق النسا فنذر ان شفي لم ياكل احب الطعام اليه وكان ذلك احبه اليه وقيل فعل ذلك للتداوي باشارة الاطباء واحتج به من جوز للنبي ان يجتهد وللمانع ان يقول ذلك باذن من الله فهو كتحريمه ابتداء من قبل ان تنزل التوراة اي من قبل انزالها مشتملة على تحريم ما حرم عليهم لظلمهم وبغيهم عقوبة لهم وتشديدا وذلك رد على اليهود في دعوى البراءة عما نعى عليهم في قوله فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات وقوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر الآيتين بان قالوا لسنا اول من حرمت عليه وانما كانت محرمة على نوح وابراهيم ومن بعده حتى انتهى الامر الينا فحرمت علينا كما حرمت على من قبلنا وفي منع النسخ والطعن في دعوى الرسول موافقة ابراهيم بتحليله لحوم الابل والبانها قل فأتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين امر بمحاجتهم بكتابهم وتبكيتهم بما فيه من انه قد حرم عليهم بسبب ظلمهم ما لم يكن محرما روي انه لما قال لهم ذلك بهتوا ولم يجسروا ان يخرجوا التوراة وفيه دليل على نبوته فمن افترى على الله الكذب ابتدعه على الله بزعمه انه حرم ذلك قبل نزول التوراة على بني اسرائيل ومن قبلهم من بعد ذلك

من بعد ما لزمتهم الحجة فاولئك هم الظالمون الذين لا ينصفون من انفسهم ويكابرون الحق بعد ما وضح
قل صدق الله تعريض بكذبهم اى ثبت ان الله صادق فيما انزل وانتم الكاذبون فاتبعوا
ملة ابراهيم حنيفا اى ملة الاسلام التى هى فى الاصل ملة ابراهيم او مثل ملته حتى تخلصوا من اليهودية
التى اضطرتكم الى التحريف والمكابرة لتسوية الاغراض الدنيوية والزمتكم تحريم طيبات احلها الله لابراهيم ومن تبعه
وما كان من المشركين فيه اشارة الى ان اتباعه واجب فى التوحيد الصرف والاستقامة فى
الدين والتجنب عن الافراط والتفريط وتعريض بشرك اليهود ان اول بيت وضع للناس
اى وضع للعبادة وجعل متعبدا لهم والواضع هو الله تعالى ويدل عليه انه قرئ على البناء للفاعل للذى
ببكة للبيت الذى ببكة وهى لغة فى مكة كالنبيط والنميط وامر راتب وراتم ولازب ولازم وقيل
هى موضع المسجد ومكة البلد من بكه اذا زحمه او من بكه اذا دقه فانها تبك اعناق الجبابرة روى انه عم سئل عن
اول بيت وضع للناس فقال المسجد الحرام ثم بيت المقدس وسئل كم بينهما فقال اربعون سنة وقيل اول من بناه
ابراهيم ثم هدم فبناه قوم من جرهم ثم العمالقة ثم قريش وقيل هو اول بيت بناه ادم فانطمس فى الطوفان ثم بناه
ابراهيم وقيل كان فى موضعه قبل ادم بيت يقال له الضراح يطوف به الملئكة فلما اهبط امر بان يحجه ويطوف
حوله ورفع فى الطوفان الى السماء الرابعة يطوف به ملئكة السموات وهو لا يلائم ظاهر الاية وقيل المراد به اول
بالشرف لا بالزمان مباركا كثير الخير والنفع لمن حجه واعتمره واعتكف دونه وطاف حوله
حال من المستكن فى الظرف وهدى للعالمين لانه قبلتهم ومتعبدهم ولان فيه ايات عجيبة كما قال
فيه ايات بينات كانحراف الطيور عن موازاة البيت على مدى الاعصار وان ضوارى
السباع تخالط الصيود فى الحرم ولا تتعرض لها وان كل جبار قصده بسوء قهره كاصحاب الفيل والجملة مفسرة
للهدى او حال اخرى مقام ابراهيم مبتدا محذوف خبره اى منها مقام ابراهيم او بدل من ايات
بدل البعض من الكل وقيل عطف بيان على ان المراد بالايات اثر القدم فى الصخرة الصماء وغوصها فيها الى
الكعبين وتخصيصها بهذه الالانة من بين الصخار وابقاؤه دون سائر اثار الانبياء وحفظه مع كثرة اعدائه الوف
سنة ويؤيده انه قرئ اية بينة على التوحيد وسبب هذا الاثر انه لما ارتفع بنيان الكعبة قام على هذا الحجر
ليتمكن من رفع الحجارة فغاصت فيه قدماه ومن دخله كان امنا جملة ابتدائية او شرطية معطوفة
من حيث المعنى على مقام لانه فى معنى امن من دخله اى وفيها امن من دخله او فيه ايات بينات مقام ابراهيم
وامن من دخله فاقتصر بذكرهما من الايات الكثيرة وطوى ذكر غيرهما كقوله عم حبب الى من دنياكم ثلث الطيب
والنساء وقرة عينى فى الصلوة لان فيهما غنية عن غيرهما فى الدارين من بقاء الاثر مدى الدهر والامن من العذاب

يوم القيمة قال عم من مات فى احد الحرمين بعث يوم القيمة امنا وعند ابى حنيفة رح من لزمه القتل بردة او قصاص
او غيرهما لم يتعرض له ولكن الجئ الى الخروج ولله على الناس حج البيت قصده للزيارة على
الوجه المخصوص وقرا حمزة والكسائى وعاصم فى رواية حفص حج بالكسر وهو لغة نجد من استطاع اليه
سبيلا بدل من الناس مخصص له وقد فسر رسول الله صلعم الاستطاعة بالزاد والراحلة وهو يؤيد قول الشافعى
انها بالمال ولذلك اوجب الاستنابة على الزمن اذا وجد اجرة من ينوب عنه وقال مالك انها بالبدن
فيجب على من يقدر على المشى والكسب فى الطريق وقال ابو حنيفة انها بمجموع الامرين والضمير فى اليه للبيت او الحج و
كل ما اتى الى الشئ فهو سبيله ومن كفر فان الله غنى عن العالمين وضع من كفر موضع من
لم يحج تاكيدا لوجوبه وتغليظا على تاركه ولذلك قال عم من مات ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا وان شاء
نصرانيا وقد اكد امر الحج فى هذه الاية من وجوه الدلالة على وجوبه بصيغة الخبر وابرازه فى الصورة الاسمية وايراده
على وجه يفيد انه حق واجب لله فى رقاب الناس وتعميم الحكم اولا وتخصيصه ثانيا فانه كايضاح بعد ابهام وتثنية
وتكرير للمراد وتسمية ترك الحج كفرا من حيث انه فعل الكفرة وذكر الاستغناء فانه فى هذا الموضع مما يدل على المقت
والخذلان وقوله عن العالمين يدل عليه لما فيه من مبالغة التعميم والدلالة على الاستغناء عنه بالبرهان والاشعار بعظم السخط
لانه تكليف شاق جامع بين كسر النفس واتعاب البدن وصرف المال والتجرد عن الشهوات والاقبال على الله
روى انه لما نزلت صدر الاية جمع رسول الله صلعم ارباب الملل فخطبهم وقال ان الله كتب عليكم الحج فحجوا فامنت
به ملة واحدة وكفرت به خمس ملل فنزل ومن كفر قل يا اهل الكتاب لم تكفرون
بايات الله اى باياته السمعية والعقلية الدالة على صدق محمد فيما يدعيه من وجوب الحج وغيره وتخصيص اهل
الكتاب بالخطاب دليل على ان كفرهم اقبح وانهم وان زعموا انهم مؤمنون بالتورية والانجيل فهم كافرون
بهما والله شهيد على ما تعملون والحال انه شهيد مطلع على اعمالكم فيجازيكم عليها لا ينفعكم
التحريف والاستسرار قل يا اهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من امن
كرر الخطاب والاستفهام مبالغة فى التقريع ونفى العذر لهم واشعارا بان كل واحد من الامرين مستقبح فى نفسه
مستقل باستجلاب العذاب وسبيل الله دينه الحق المامور بسلوكه وهو الاسلام وقيل كانوا يفتنون المؤمنين
ويحرشون بينهم حتى اتوا الاوس والخزرج فذكروهم ما بينهم فى الجاهلية من التعادى والتحارب ليعودوا لمثله
ويحتالون لصدهم عنه تبغونها عوجا حال من الواو اى باغين طالبين لها اعوجاجا بان تلبسوا على الناس
وتوهموا ان فيه عوجا عن الحق بمنع النسخ وتغيير صفة رسول الله صلعم ونحوهما او بان تحرشوا بين المؤمنين ليختلف
كلمتهم ويختل امر دينهم وانتم شهداء انها سبيل الله والصد عنها ضلال واضلال او انتم عدول

عند اهل ملتكم وتثقون باقوالكم وتستشهدونكم في القضايا وما الله بغافل عما تعملون وعيد لهم ولما كان المنكر في الاية الاولى كفرهم وهم يجهرون به ختمها بقوله والله شهيد ولما كان في هذه الاية صدهم المسلمين عن الاسلام وكانوا يخفونه ويحتالون فيه قال وما الله بغافل عما تعملون يا ايها الذين امنوا ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين نزلت في نفر من الاوس والخزرج كانوا جلوسا يتحدثون فمر بهم شاس بن قيس اليهودي فغاظه تآلفهم واجتماعهم فامر شابا من اليهود ان يجلس اليهم ويذكرهم يوم بعاث وينشدهم بعض ما قيل فيه وكان الظفر في ذلك اليوم للاوس ففعل فتنازع القوم وتفاخروا وتغاضبوا وقالوا السلاح السلاح واجتمع من القبيلتين خلق عظيم فتوجه اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه فقال اتدعون الجاهلية وانا بين اظهركم بعد اذ اكرمكم الله بالاسلام وقطع به عنكم امر الجاهلية والف بينكم فعلموا انها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم فالقوا السلاح واستغفروا وعانق بعضهم بعضا وانصرفوا مع الرسول صلى الله عليه وسلم وانما خاطبهم الله بنفسه بعد ما امر الرسول بان يخاطب اهل الكتاب اظهارا لجلالة قدرهم واشعارا بانهم هم الاحقاء بان يخاطبهم الله ويكلمهم وكيف تكفرون وانتم تتلى عليكم ايات الله وفيكم رسوله انكار وتعجيب لكفرهم في حال اجتمع لهم الاسباب الداعية الى الايمان الصارفة عن الكفر ومن يعتصم بالله ومن يتمسك بدينه او يلتجئ اليه في مجامع اموره فقد هدي الى صراط مستقيم فقد اهتدى لا محالة يا ايها الذين امنوا اتقوا الله حق تقاته حق تقواه وما يجب منها وهو استفراغ الوسع في القيام بالواجب لا محالة والاجتناب عن المحارم لقوله فاتقوا الله ما استطعتم وعن ابن مسعود رضي الله عنه هو ان يطاع فلا يعصى ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسى وقيل هو ان ينزه الطاعة عن الالتفات اليها وعن توقع المجازاة عليها وفي هذا الامر تاكيد للنهي عن طاعة اهل الكتاب واصل تقاة وقية فقلبت واوها المضمومة تاء كما في تؤدة وتخمة والياء الفا ولا تموتن الا وانتم مسلمون اي ولا تكونن على حال سوى حال الاسلام اذا ادرككم الموت فان النهي عن المقيد بحال او غيرها قد يتوجه بالذات نحو الفعل تارة والقيد اخرى وقد يتوجه نحو المجموع دونهما وكذلك النفي واعتصموا بحبل الله بدين الاسلام او بكتابه لقوله عليه السلام القران حبل الله المتين استعار له الحبل من حيث ان التمسك به سبب للنجاة عن التردي كما ان التمسك بالحبل سبب للسلامة عن التردي وللوثوق به والاعتماد عليه الاعتصام ترشيحا للمجاز جميعا مجتمعين عليه ولا تفرقوا ولا تتفرقوا عن الحق بوقوع الاختلاف بينكم كاهل الكتاب او لا تتفرقوا تفرقكم في الجاهلية يحارب بعضكم بعضا او لا تذكروا ما يوجب التفرق ويزيل الالفة واذكروا نعمة الله عليكم التي من جملتها

البعاث بالعين المهملة والثاء المثلثة موضع بالمدينة وقع فيه محاربة بين الاوس والخزرج ولا البغاث بالغين المعجمة منه طاب

الهداية

الهداية والتوفيق للاسلام المودي الى التالف وزوال الغل اذ كنتم اعداء في الجاهلية متقاتلين فالف بين قلوبكم بالاسلام فاصبحتم بنعمته اخوانا متحابين مجتمعين على الاخوة في الله وقيل كان الاوس والخزرج اخوين لابوين فوقع بين اولادهما العداوة وتطاولت الحروب مائة وعشرين سنة حتى اطفاها الله بالاسلام والف بينهم برسوله عليه السلام وكنتم على شفا حفرة من النار مشرفين على الوقوع في نار جهنم لكفركم اذ لو ادرككم الموت على تلك الحال لوقعتم في النار فانقذكم منها بالاسلام والضمير للحفرة او النار او للشفا وتانيثه لتانيث ما اضيف اليه او لانه بمعنى الشفة فان شفا البئر وشفتها طرفها كالجانب والجانبة واصله شفو فقلبت الواو في المذكر وحذفت في المؤنث كذلك مثل ذلك التبيين يبين الله لكم اياته دلائله لعلكم تهتدون ارادة ثباتكم على الهدى وازديادكم فيه ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر من للتبعيض لان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من فروض الكفاية ولانه لا يصلح له كل احد اذ للمتصدي له شروط لا يشترك فيها جميع الامة كالعلم بالاحكام ومراتب الاحتساب وكيفية اقامتها والتمكن من القيام بها خاطب الجميع وطلب فعل بعضهم ليدل على انه واجب على الكل حتى لو تركوه راسا اثموا جميعا ولكن يسقط بفعل بعضهم وهكذا كل ما هو فرض كفاية او للتبيين بمعنى وكونوا امة تامرون كقوله كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف والدعاء الى الخير يعم الدعاء الى ما فيه صلاح ديني او دنيوي وعطف الامر بالمعروف والنهي عن المنكر عليه عطف الخاص على العام للايذان بفضله واولئك هم المفلحون المخصوصون بكمال الفلاح روي انه عليه السلام سئل من خير الناس فقال امرهم بالمعروف وانهاهم عن المنكر واتقاهم لله واوصلهم والامر بالمعروف يكون واجبا ومندوبا على حسب ما يومر به والنهي عن المنكر واجب كله لان جميع ما انكره الشرع حرام والاظهر ان العاصي يجب ان ينهى عما يرتكبه لانه يجب عليه تركه وانكاره فلا يسقط بترك احدهما وجوب الاخر ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا كاليهود والنصارى اختلفوا في التوحيد والتنزيه واحوال الاخرة على ما عرفت من بعد ما جاءهم البينات الايات والحجج المبينة للحق الموجبة للاتفاق عليه والاظهر ان النهي فيه مخصوص بالتفرق في الاصول دون الفروع لقوله عليه السلام اختلاف امتي رحمة ولقوله من اجتهد واصاب فله اجران ومن اخطا فله اجر واحد واولئك لهم عذاب عظيم وعيد للذين تفرقوا واختلفوا وتهديد على التشبه بهم يوم تبيض وجوه وتسود وجوه نصب بما في لهم من معنى الفعل او باضمار اذكروا وبياض الوجه وسواده كنايتان عن ظهور بهجة السرور وكآبة الخوف فيه وقيل يوسم اهل الحق ببياض الوجه و

الصحيفة واشراق البشرة وسعي النور بين يديه وبيمينه واهل الباطل باضداد ذلك فاما الذين اسودت وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم على ارادة القول اي فيقال لهم اكفرتم والهمزة للتوبيخ والتعجب من حالهم وهم المرتدون او اهل الكتاب كفروا برسول الله بعد ايمانهم به قبل بعثته او جميع الكفار كفروا بعد ما اقروا به حين اشهدهم على انفسهم او تمكنوا من الايمان بالنظر في الدلائل والايات فذوقوا العذاب امر اهانة بما كنتم تكفرون بسبب كفركم او جزاء لكفركم واما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله يعني الجنة والثواب المخلد عبر عن ذلك بالرحمة تنبيها على ان المؤمن وان استغرق عمره في طاعة الله تعالى لا يدخل الجنة الا برحمته وفضله وكان حق الترتيب ان يقدم ذكرهم ولكن قصد ان يكون مطلع الكلام ومقطعه حلية المؤمنين وثوابهم هم فيها خالدون اخرجه مخرج الاستيناف للتاكيد كانه قيل كيف يكونون فيها فقال هم فيها خالدون تلك ايات الله الواردة في وعده ووعيده نتلوها عليك بالحق ملتبسة بالحق لا شبهة فيها وما الله يريد ظلما للعالمين اذ يستحيل الظلم منه لانه لا يحق عليه شيء فيظلم بنقصه ولا يمنع عن شيء فيظلم بفعله لانه المالك على الاطلاق كما قال ولله ما في السموات وما في الارض والى الله ترجع الامور فيجازي كلا بما وعد له واوعد كنتم خير امة دل على خيريتهم فيما مضى ولم يدل على انقطاع طرء كقوله وكان الله غفورا رحيما وقيل كنتم في علم الله تعالى او في اللوح او فيما بين الامم المتقدمين اخرجت للناس اظهرت لهم تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر استيناف بين به كونهم خير امة او خبر ثان لكنتم وتؤمنون بالله يتضمن الايمان بكل ما يجب ان يؤمن به لان الايمان به انما يحق ويعتد به اذا حصل الايمان بكل ما امر ان يؤمن به وانما اخره وحقه ان يتقدم لانه قصد بذكره الدلالة على انهم امروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ايمانا بالله وتصديقا به واظهارا لدينه واستدل بهذه الاية على ان الاجماع حجة لانها تقتضي كونهم امرين بكل معروف ناهين عن كل منكر اذ اللام فيهما للاستغراق فلو اجمعوا على باطل كان امرهم على خلاف ذلك ولو امن اهل الكتاب ايمانا كما ينبغي لكان خيرا لهم لكان الايمان خيرا لهم مما هم عليه منهم المؤمنون كعبد الله بن سلام واصحابه واكثرهم الفاسقون المتمردون في الكفر وهذه الجملة والتي بعدها واردتان على سبيل الاستطراد لن يضروكم الا اذى ضررا يسيرا كطعن وتهديد وان يقاتلوكم يولوكم الادبار ينهزموا ولا يضروكم بقتل واسر ثم لا ينصرون ثم لا يكون احد ينصرهم عليكم او يدفع باسكم عنهم نفى اضرارهم سوى ما يكون بقول وقرر ذلك بانهم لو قاموا الى القتال كانت الدبرة عليهم ثم اخبر

بانه يكون عاقبتهم العجز والخذلان وقرئ لا ينصروا عطفا على يولوكم على ان ثم للتراخي في المرتبة فيكون عدم النصر مقيدا بقتالهم وهذه الاية من المغيبات التي وافقها الواقع اذ كان كذلك حال قريظة والنضير وبني قينقاع ويهود خيبر ضربت عليهم الذلة هدر النفس والمال والاهل او ذل التمسك بالباطل والجزية اينما ثقفوا وجدوا الا بحبل من الله وحبل من الناس استثناء من اعم الاحوال اي ضربت عليهم الذلة في عامة الاحوال الا معتصمين او متلبسين بذمة الله او كتابه الذي اتاهم او ذمة المسلمين او بذمة الاسلام واتباع سبيل المؤمنين وباؤا بغضب من الله رجعوا به مستوجبين له وضربت عليهم المسكنة فهي محيطة بهم احاطة البيت المضروب على اهله واليهود في غالب الامر فقراء مساكين ذلك اشارة الى ما ذكر من ضرب الذلة والمسكنة والبوء بالغضب بانهم كانوا يكفرون بايات الله ويقتلون الانبياء بغير حق بسبب كفرهم بالايات وقتلهم الانبياء والتقييد بغير حق مع انه كذلك في نفس الامر للدلالة على انه لم يكن حقا بحسب اعتقادهم ايضا ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون بسبب عصيانهم واعتدائهم حدود الله فان الاصرار على الصغائر يفضي الى الكبائر والاستمرار عليها يؤدي الى الكفر وقيل معناه ان ضرب الذلة في الدنيا واستيجاب الغضب في الاخرة كما هو معلل بكفرهم وقتلهم فهو مسبب عن عصيانهم واعتدائهم من حيث انهم مخاطبون بالفروع ايضا ليسوا سواء في المساوي والضمير لاهل الكتاب من اهل الكتاب امة قائمة استيناف لبيان نفي الاستواء والقائمة المستقيمة العادلة من اقمت العود فقام وهم الذين اسلموا منهم يتلون ايات الله اناء الليل وهم يسجدون يتلون القران في تهجدهم عبر عنه بالتلاوة في ساعات الليل مع السجود ليكون ابين وابلغ في المدح وقيل المراد صلاة العشاء لان اهل الكتاب لا يصلونها لما روي عنه عم انه اخرها ثم خرج فاذا الناس ينتظرون الصلوة فقال اما انه ليس من اهل الاديان احد يذكر الله هذه الساعة غيركم يؤمنون بالله واليوم الاخر ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات صفات اخر للامة وصفها بخصائص ما كانت في اليهود فانهم منحرفون عن الحق غير متعبدين بالليل مشركون بالله ملحدون في صفاته واصفون اليوم الاخر بخلاف صفته مداهنون في الاحتساب متباطئون في الخيرات واولئك من الصالحين اي الموصوفون بتلك الصفات ممن صلحت احوالهم عند الله واستحقوا رضاه وثناءه وما تفعلوا من خير فلن تكفروه فلن يضيع ولا ينقص ثوابه البتة سمي ذلك كفرانا كما سمي توفية الثواب شكرا وتعديته الى مفعولين لتضمنه معنى الحرمان وقرا حفص وحمزة والكسائي وما يفعلوا من خير فلن يكفروه بالياء والباقون بالتاء والله عليم بالمتقين بشارة لهم واشعار بان التقوى مبدا الخير وحسن العمل وان الفائز عند الله هو اهل التقوى ان الذين كفروا لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا من العذاب

او من الغنى فيكون مصدرا واولئك اصحاب النار ملازموها هم فيها خالدون مثل ما
ينفقون ما ينفق الكفرة قربة او مفاخرة او سمعة او المنافقون رياء وخوفا في هذه الحيوة الدنيا كمثل
ريح فيها صر برد شديد والشائع اطلاقه للريح الباردة كالصرصر فهو في الاصل مصدر نعت به او نعت وصف
به البرد للمبالغة كقولك برد بارد اصابت حرث قوم ظلموا انفسهم بالكفر والمعاصي فاهلكته
عقوبة لهم لان الاهلاك عن سخط اشد والمراد تشبيه ما انفقوا في ضياعه بحرث كفار ضربته صر فاستاصلته ولم يبق لهم
فيه منفعة ما في الدنيا والاخرة وهو من التشبيه المركب ولذلك لم يبال بايلاء كلمة التشبيه الريح دون الحرث ويجوز ان يقدر كمثل
مهلك ريح وهو الحرث وما ظلمهم الله ولكن انفسهم يظلمون اي ما ظلم المنفقين بضياع
نفقاتهم ولكنهم ظلموا انفسهم لما لم ينفقوها بحيث يعتد بها او ما ظلم اصحاب الحرث باهلاكه ولكنهم ظلموا انفسهم بارتكاب
ما استحقوا به العقوبة وقرئ ولكن اي ولكن انفسهم يظلمونها ولا يجوز ان يقدر ضمير الشان لانه لا يحذف الا في الشعر كقوله ولكن من يبصر
جفونك يعشق يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا بطانة وليجة وهو الذي يعرفه الرجل اسراره ثقة
به شبه ببطانة الثوب كما شبه بالشعار قال عم الانصار شعار والناس دثار من دونكم من دون المسلمين وهو متعلق
بلا تتخذوا او بمحذوف هو صفة لبطانة اي بطانة كائنة من دونكم لا يالونكم لا يقصرون لكم في الفساد
والالو التقصير واصله ان يعدى بالحرف ثم عدي الى المفعولين كقولهم لا الوك نصحا على تضمين معنى المنع او النقص
ودوا ما عنتم تمنوا عنتكم وهو شدة الضرر والمشقة وما مصدرية قد بدت البغضاء
من افواههم اي في كلامهم لانهم لا يتمالكون انفسهم لفرط بغضهم وما تخفي صدورهم اكبر
مما بدا لان بدوه ليس عن روية واختيار قد بينا لكم الايات الدالة على وجوب الاخلاص وموالاة
المومنين ومعاداة الكافرين ان كنتم تعقلون ما بين لكم والجمل الاربع جاءت مستانفات على
التعليل ويجوز ان يكون الثلث الاول صفات لبطانة ها انتم اولاء تحبونهم ولا يحبونكم
اي انتم اولاء الخاطئون في موالاة الكفار وتحبونهم ولا يحبونكم بيان لخطائهم في موالاتهم وهو خبر ثان او خبر لاولاء
والجملة خبر انتم كقولك انت زيد تحبه او صلته او حال والعامل فيها معنى الاشارة ويجوز ان ينتصب اولاء بفعل يفسره
ما بعده وتكون الجملة خبرا وتومنون بالكتاب كله بجنس الكتاب كله وهو حال من لا يحبونكم و
المعنى انهم لا يحبونكم والحال انكم تومنون بكتابهم ايضا فما لكم تحبونهم وهم لا يومنون بكتابكم وفيه توبيخ بانهم في
باطلهم اصلب منكم في حقكم واذا لقوكم قالوا امنا نفاقا وتغريرا واذا خلوا عضوا
عليكم الانامل من الغيظ من اجله تاسفا وتحسرا حيث لم يجدوا الى التشفي سبيلا قل موتوا
بغيظكم دعاء عليهم بدوام الغيظ وزيادته بتضاعف قوة الاسلام واهله حتى يهلكوا به ان الله

عليم بذات الصدور فيعلم ما في صدورهم من البغضاء والحنق وهو يحتمل ان يكون من المقول اي وقل لهم ان الله
عليم بما هو اخفى مما تخفونه من عض الانامل غيظا وان يكون خارجا عنه بمعنى قل لهم ذلك ولا تتعجب من اطلاعي اياك على
اسرارهم فاني عليم بالاخفى من ضمائرهم ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة
يفرحوا بها بيان لتناهي عداوتهم الى حد حسدوا ما نالهم من خير ومنفعة وشمتوا بما اصابهم من ضر وشدة
والمس مستعار للاصابة وان تصبروا على عداوتهم او على مشاق التكاليف وتتقوا موالاتهم
او ما حرم الله عليكم لا يضركم كيدهم شيئا بفضل الله وحفظه الموعود للصابرين والمتقين ولان
المجد في الامر المتدرب بالاتقاء والصبر يكون قليل الانفعال جريا على الخصم وضمة الراء للاتباع كضمة مد وقرا ابن كثير
ونافع وابو عمرو ويعقوب لا يضركم من ضاره يضيره وان الله بما تعملون من الصبر والتقوى وغيرهما
محيط اي محيط علمه فيجازيكم بما انتم اهله وقرئ بالياء اي بما يعملون في عداوتكم عالم فيعاقبهم عليه واذ
غدوت اي واذكر اذ غدوت من اهلك من حجرة عائشة رضها تبوئ المومنين تنزلهم
او تسوي وتهيئ لهم ويؤيده القراءة باللام مقاعد للقتال مواقف واماكن له وقد يستعمل المقعد و
المقام بمعنى المكان على الاتساع كقوله في مقعد صدق وقوله قبل ان تقوم من مقامك والله سميع
لاقوالكم عليم بنياتكم روي ان المشركين نزلوا باحد يوم الاربعاء ثاني عشر شوال سنة ثلث من الهجرة فاستشار
رسول الله صلعم اصحابه وقد دعا عبد الله بن ابي ولم يدعه قبل فقال هو واكثر الاصحاب اقم يا رسول الله بالمدينة
ولا تخرج اليهم فوالله ما خرجنا منها الى عدو الا اصاب منا ولا دخلها علينا الا اصبنا منه وكيف وانت فينا
فدعهم فان اقاموا بمجلس وان دخلوا قاتلهم الرجال ورماهم النساء والصبيان بالحجارة وان رجعوا رجعوا خائبين
واشار بعضهم الى الخروج فقال عليه السلم رايت بقرا مذبوحة حولي فاولتها خيرا ورايت في منامي ذبابا سيفي
ثلما فاولته هزيمة ورايت كاني ادخلت يدي في درع حصينة فاولتها المدينة فان رايتم ان تقيموا بالمدينة وتدعوهم
فقال رجال فاتتهم بدر واكرمهم الله بالشهادة يوم احد اخرج بنا الى اعدائنا وبالغوا حتى دخل فلبس لامته فلما راوا
ذلك ندموا على مبالغتهم وقالوا اصنع يا رسول الله ما رايت فقال لا ينبغي لنبي ان يلبس لامته فيضعها حتى يقاتل
فخرج بعد صلوة الجمعة واصبح بشعب من احد يوم السبت ونزل في عدوة الوادي وجعل ظهره وعسكره الى احد وسوى
صفهم وامر عبد الله بن جبير على الرماة وقال انضحوا عنا بالنبل لا ياتونا من ورائنا اذ همت متعلق بقوله عليم
او بدل من اذ غدوت طائفتان منكم بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من الاوس وكانا جناحي العسكر ان
تفشلا اي تجبنا وتضعفا روي انه عم خرج في زهاء الف رجل ووعدهم بالنصر ان صبروا فلما بلغوا الشوط
انخزل ابن ابي في وقال علام نقتل انفسنا واولادنا فتبعهم عمرو بن حزم الانصاري وقال انشدكم الله في

نبيكم ونهيكم فقال البراء لو نعلم قتالا لاتبعناكم فهم الحيان باتباعه فعصمهم الله فمضوا مع رسوله والظاهر انها ما كانت
عزيمة لقوله والله وليهما اي عاصمهما عن اتباع تلك الخطرة ويجوز ان يراد والله ناصرهما فما لهما يفشلان و
لا يتوكلان على الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون اي فليتوكلوا عليه ولا يتوكلوا على غيره لينصرهم كما نصرهم
ببدر ولقد نصركم الله ببدر تذكير ببعض ما افادهم التوكل وبدر ماء بين مكة والمدينة كان لرجل
يسمى بدرا فسمي به وانتم اذلة حال من الضمير وانما قال اذلة ولم يقل ذلائل ليدل على قلتهم مع ذلتهم لضعف الحال
وقلة المراكب والسلاح فاتقوا الله في الثبات لعلكم تشكرون ما انعم عليكم بتقواكم من نصره او لعلكم
ينعم الله عليكم فتشكرون فوضع الشكر موضع الانعام لانه سببه اذ تقول للمؤمنين ظرف لنصركم وقيل بدل ثان من اذ
غدوت على ان قوله يوم احد وكان مع اشتراط الصبر والتقوى عن المخالفة فلما لم يصبروا عن الغنائم وخالفوا امر الرسول لم
تنزل الملائكة الن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلاثة الاف من الملائكة منزلين
انكار ان لا يكفيهم ذلك وانما جيء بلن اشعارا بانهم كانوا كالآيسين من النصر لضعفهم وقلتهم وقوة العدو وكثرتهم
قيل امدهم الله يوم بدر اولا بالف من الملائكة ثم صاروا ثلاثة الاف ثم صاروا خمسة وقرا ابن عامر منزلين بالتشديد
للتكثير او للتدريج بلى ايجاب لما بعد لن اي بلى يكفيكم ثم وعد لهم الزيادة على الصبر والتقوى حثا عليهما وتقوية لقلوبهم
فقال ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم اي المشركون من فورهم هذا من ساعتهم هذه وهو
في الاصل مصدر فارت القدر اذا غلت فاستعير للسرعة ثم اطلق للحال التي لا ريث فيها ولا تراخي والمعنى ان
يأتوكم في الحال يمددكم ربكم بخمسة الاف من الملائكة في حال اتيانهم بلا تراخ
ولا تأخير مسومين معلمين من التسويم الذي هو اظهار سيما الشيء لقوله عم لاصحابه تسوموا فان الملائكة قد تسومت
او مرسلين من التسويم بمعنى الاسامة وقرا ابن كثير وابو عمرو وعاصم ويعقوب بكسر الواو وما جعله
الله وما جعل امدادكم بالملائكة الا بشرى لكم الا بشارة لكم بالنصر ولتطمئن قلوبكم
به ولتسكن اليه من الخوف وما النصر الا من عند الله لا من العدة والعدد وهو تنبيه على انه
لا حاجة في نصرهم الى مدد وانما امدهم ووعد لهم به بشارة لهم وربطا على قلوبهم من حيث ان نظر العامة الى
الاسباب اكثر وحث على ان لا يبالوا بمن تاخر عنهم العزيز الحكيم الذي ينصر ويخذل بوسط وبغير وسط
على مقتضى الحكمة والمصلحة ليقطع طرفا من الذين كفروا متعلق بنصركم او وما النصر ان كان اللام فيه
للعهد والمعنى لينقص منهم بقتل بعض واسر اخرين وهو ما كان يوم بدر من قتل سبعين واسر سبعين من صناديدهم او
يكبتهم او يخزيهم والكبت شدة غيظ او وهن يقع في القلب والتنويع دون الترديد فينقلبوا خائبين
فينهزموا منقطعي الامال ليس لك من الامر شيء اعتراض او يتوب عليهم او يعذبهم

عطف على قوله او يكبتهم والمعنى ان الله مالك امرهم فاما ان يهلكهم او يكبتهم او يتوب عليهم ان اسلموا او يعذبهم ان
اصروا وليس لك من امرهم شيء وانما انت عبد مامور لانذارهم وجهادهم ويحتمل ان يكون معطوفا على الامر او شيء
باضمار ان اي ليس لك من امرهم او من التوبة عليهم او تعذيبهم شيء او ليس لك من امرهم شيء او التوبة عليهم او تعذيبهم
وان تكون او بمعنى الا ان اي ليس لك من امرهم شيء الا ان يتوب الله عليهم فتسر به او يعذبهم فتتشفى منه روي ان عتبة بن
ابي وقاص شجه يوم احد وكسر رباعيته فجعل يمسح الدم عن وجهه ويقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم فنزلت
وقيل هم ان يدعو عليهم فنهاه الله لعلمه بان فيهم من يؤمن فانهم ظالمون قد استحقوا التعذيب بظلمهم و
لله ما في السموات وما في الارض خلقا وملكا فله الامر كله يغفر لمن يشاء و
يعذب من يشاء صريح في نفي وجوب التعذيب والتقييد بالتوبة وعدمها كالمنافي له والله غفور
رحيم لعباده فلا تبادروا الى الدعاء عليهم يا ايها الذين امنوا لا تاكلوا الربا اضعافا
مضاعفة لا تزيدوا زيادات مكررة ولعل التخصيص بحسب الواقع اذ كان الرجل منهم يربي الى اجل ثم يزيد فيه
زيادة اخرى حتى يستغرق بالشيء الطفيف مال المديون وقرا ابن كثير وابن عامر ويعقوب مضعفة واتقوا الله
فيما نهيتم عنه لعلكم تفلحون راجين الفلاح واتقوا النار التي اعدت للكافرين
بالتحرز عن متابعتهم وتعاطي افعالهم وفيه تنبيه على ان النار بالذات معدة للكفار وبالعرض للعصاة واطيعوا
الله والرسول لعلكم ترحمون اتبع الوعيد بالوعد ترهيبا عن المخالفة وترغيبا في الطاعة
ولعل وعسى في امثال ذلك دليل عزة التوصل اليه وسارعوا بادروا واقبلوا الى مغفرة
من ربكم الى ما يستحق به المغفرة كالاسلام والتوبة والاخلاص وقرا نافع وابن عامر سارعوا بلا واو
وجنة عرضها السموات والارض اي عرضها كعرضهما وذكر العرض للمبالغة في
وصفها بالسعة على طريق التمثيل لانه دون الطول وعن ابن عباس كسبع سموات وسبع ارضين لو وصل بعضها ببعض
اعدت للمتقين هيئت لهم وفيه دليل على ان الجنة مخلوقة وانها خارجة عن هذا العالم الذين ينفقون
صفة مادحة للمتقين او مدح منصوب او مرفوع في السراء والضراء في حالة الرخاء والشدة او الاحوال
كلها اذ الانسان لا يخلو عن مسرة او مضرة اي لا يخلون في حال ما بانفاق ما قدروا عليه من قليل او كثير والكاظمين
الغيظ الممسكين عليه الكافين عن امضائه مع القدرة من كظمت القربة اذا ملاتها وشددت راسها وعن النبي صلعم
من كظم غيظا وهو يقدر على انفاذه ملا الله قلبه امنا وايمانا والعافين عن الناس التاركين عقوبة
من استحقوا مؤاخذته وعن النبي صلعم ان هؤلاء في امتي قليل الا من عصم الله وقد كانوا كثيرا في الامم التي مضت و
الله يحب المحسنين يحتمل الجنس ويدخل تحته هؤلاء والعهد فتكون الاشارة اليهم والذين

اذا فعلوا فاحشة فعلة بالغة في القبح كالزنا او ظلموا انفسهم بان اذنبوا
اي ذنب كان وقيل الفاحشة الكبيرة وظلم النفس الصغيرة ولعل الفاحشة ما يتعدى وظلم النفس ما ليس
كذلك ذكروا الله تذكروا وعيده او حكمه او حقه العظيم فاستغفروا لذنوبهم بالندم
والتوبة ومن يغفر الذنوب الا الله استفهام بمعنى النفي معترض بين المعطوفين والمراد به وصفه تعالى
بسعة الرحمة وعموم المغفرة والحث على الاستغفار والوعد بقبول التوبة ولم يصروا على ما فعلوا
ولم يقيموا على ذنوبهم غير مستغفرين لقوله عليه السلام ما اصر من استغفر وان عاد في اليوم سبعين مرة وهم يعلمون حال من يصروا
اي ولم يصروا على قبيح فعلهم عالمين به اولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري
من تحتها الانهار خالدين فيها خبر للذين ان ابتدأت به وجملة مستأنفة مبينة لما قبلها ان عطفته على المتقين او على
الذين ينفقون ولا يلزم من اعداد الجنة للمتقين والتائبين جزاء لهم ان لا يدخلها المصرون كما لا يلزم من اعداد النار للكافرين جزاء لهم ان لا يدخلها
غيرهم وتنكير جنات على الاول يدل على ان ما لهم ادون مما للمتقين الموصوفين بتلك الصفات المذكورة في الاية المتقدمة وكفاك
فارقا بين القبيلين انه فصل ايتهم بان بين انهم محسنون مستوجبون لمحبة الله تعالى وذلك لانهم حافظوا على حدود الشرع وتخطوا
الى التخصيص بمكارمه وفصل اية هؤلاء بقوله ونعم اجر العاملين لان المتدارك لتقصيره كالعامل لتحصيل بعض ما فوت على
نفسه وكم بين المحسن والمتدارك والمحبوب والاجير ولعل تبديل لفظ الجزاء بالاجر لهذه النكتة والمخصوص بالمدح محذوف
تقديره ونعم اجر العاملين ذلك يعني المغفرة والجنات قد خلت من قبلكم سنن وقائع سنها الله
في الامم المكذبة كقوله وقتلوا تقتيلا سنة الله في الذين خلوا من قبل وقيل امم قال الشاعر ما عاين الناس من فضل كفضلكم
ولا رأوا مثله في سالف السنن فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة
المكذبين لتعتبروا بما ترون من اثار هلاكهم هذا بيان للناس وهدى وموعظة
للمتقين اشارة الى قوله قد خلت او مفهوم قوله فانظروا اي انه مع كونه بيانا للمكذبين فهو زيادة بصيرة وموعظة
او الى ما لخص من امر المتقين والتائبين وقوله قد خلت اعتراض للبعث على الايمان والتوبة وقيل الى القران و
لا تهنوا ولا تحزنوا تسلية لهم عما اصابهم يوم احد والمعنى لا تضعفوا عن الجهاد بما اصابكم ولا تحزنوا على
من قتل منكم وانتم الاعلون وحالكم انكم اعلى منهم شانا فانكم على الحق وقتالكم لله وقتلاكم في الجنة
وهم على الباطل وقتالهم للشيطان وقتلاهم في النار او لانكم اصبتم منهم يوم بدر اكثر مما اصابوا منكم اليوم او
انتم الاعلون في العاقبة فيكون بشارة لهم بالنصر والغلبة ان كنتم مؤمنين متعلق بالنهي اي لا تهنوا
ان صح ايمانكم فانه يقتضي قوة القلب بالوثوق على الله او بالاعلون ان يمسسكم قرح فقد مس
القوم قرح مثله وقرأ حمزة والكسائي وابن عياش عن عاصم بضم القاف والباقون بالفتح وهما لغتان

كالضعف والضعف وقيل هو بالفتح الجراح وبالضم المها والمعنى ان اصابوا منكم يوم احد فقد اصبتم منهم يوم بدر مثله ثم
انهم لم يضعفوا ولم يجبنوا فانتم اولى بان لا تضعفوا فانكم ترجون من الله ما لا يرجون وقيل كلا المسين كان يوم احد فان
المسلمين نالوا منهم قبل ان يخالفوا امر الرسول وتلك الايام نداولها بين الناس نصرفها
بينهم نديل لهؤلاء تارة ولهؤلاء اخرى كقوله فيوما علينا ويوما لنا ويوما نساء ويوما نسر والمداولة
كالمعاورة يقال داولت الشيء بينهم فتداولوه والايام تحتمل الوصف والخبر ونداولها يحتمل الخبر والحال و
المراد بها اوقات النصر والغلبة وليعلم الله الذين امنوا عطف على علة محذوفة اي
نداولها ليكون كيت وكيت وليعلم الله ايذانا بان العلة فيه غير واحدة وان ما يصيب المؤمن فيه من المصالح
ما لا يعلم او الفعل المعلل به محذوف تقديره وليتميز الثابتون على الايمان من الذين على حرف فعلنا ذلك والقصد في
امثاله ونقائضه ليس الى اثبات علمه تعالى ونفيه بل الى اثبات المعلوم ونفيه على طريقة البرهان وقيل معناه ليعلمهم علما
يتعلق به الجزاء وهو العلم بالشيء موجودا ويتخذ منكم شهداء ويكرم ناسا منكم بالشهادة يريد شهداء
احد او يتخذ منكم شهودا معدلين بما صودف منهم من الثبات والصبر على الشدائد والله لا يحب الظالمين
الذين يضمرون خلاف ما يظهرون او الكافرون وهو اعتراض وفيه تنبيه على انه تعالى لا ينصر الكافرين على الحقيقة وانما
يغلبهم احيانا استدراجا لهم وابتلاء للمؤمنين وليمحص الله الذين امنوا ليطهرهم ويصفيهم من الذنوب
ان كانت الدولة عليهم ويمحق الكافرين ويهلكهم ان كانت عليهم والمحق نقص الشيء قليلا قليلا ام حسبتم
ان تدخلوا الجنة بل احسبتم ومعناه الانكار ولما يعلم الله الذين جاهدوا
منكم ولما تجاهدوا وفيه دليل على انه فرض الكفاية والفرق بين لما ولم ان فيه توقع الفعل فيما يستقبل و
قرئ يعلم بفتح الميم على ان اصله يعلمن فحذفت النون ويعلم الصابرين نصب باضمار ان على ان الواو للجمع وقرئ
بالرفع على ان الواو للحال كانه قال ولما تجاهدوا وانتم صابرون ولقد كنتم تمنون الموت اي الحرب
فانها من اسباب الموت او الموت بالشهادة والخطاب للذين لم يشهدوا بدرا وتمنوا ان يشهدوا مع رسول الله
مشهدا فينالوا ما نال شهداء بدر من الكرامة فالحوا يوم احد على الخروج من قبل ان تلقوه من قبل ان تشاهدوه و
تعرفوا شدته فقد رأيتموه وانتم تنظرون اي قد رأيتموه معاينين له حين قتل دونكم من قتل
من اخوانكم وهو توبيخ لهم على انهم تمنوا الحرب وتسببوا لها ثم جبنوا وانهزموا عنها او على تمني الشهادة فان في
تمنيها تمني غلبة الكفار وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل فسيخلو كما خلوا
بالموت او القتل افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم انكار لارتدادهم
وانقلابهم على اعقابهم عن الدين لخلوه بموت او قتل بعد علمهم بخلو الرسل قبله وبقاء دينهم متمسكا به وقيل الفاء

للسببية والهمزة للانكار ان يجعلوا خلوه بموته او قتله سببا لانقلابهم على اعقابهم بعد وفاته خلو الرسل قبله سببا على اعقابهم بعد وفاته فانه روي انه لما رمى عبد الله بن قمية الحارثي رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر فكسر رباعيته و شج وجهه فذب عنه مصعب بن عمير وكان صاحب الراية حتى قتله ابن قمية وهو يرى انه قتل النبي صلى الله عليه وسلم فقال قد قتلت محمدا وصرخ صارخ الا ان محمدا قد قتل فانكفأ الناس وجعل الرسول صلى الله عليه وسلم يدعو الى عباد الله فانحاز اليه ثلثون من اصحابه وحموه حتى كشفوا عنه المشركين وتفرق الباقون وقال بعضهم ليت ابن ابي يأخذ لنا امانا من ابي سفيان وقال ناس من المنافقين لو كان نبيا لما قتل ارجعوا الى اخوانكم ودينكم فقال انس بن النضر عم انس بن مالك يا قوم ان كان محمد قتل فان رب محمد حي لا يموت وما تصنعون بالحيوة بعده فقاتلوا على ما قاتل عليه ثم قال اللهم اني اعتذر اليك مما يقولون وابرأ منه وشد بسيفه وقاتل حتى قتل فنزلت ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا بارتداده بل يضر نفسه وسيجزي الله الشاكرين على نعمة الاسلام بالثبات عليه كانس واضرابه وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله الا بمشية الله او باذنه لملك الموت عليه السلام في قبض روحه والمعنى ان لكل نفس اجلا مسمى في علمه تعالى وقضائه لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون بالاحجام عن القتال والاقدام عليه وفيه تحريض وتشجيع على القتال ووعد للرسول بالحفظ وتأخير الاجل كتابا مصدر مؤكد اذ المعنى كتب الموت كتابا مؤجلا صفة له اي موقتا لا يتقدم ولا يتأخر ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها تعريض بمن شغلتهم الغنائم يوم احد فان المسلمين حملوا على المشركين وهزموهم واخذوا ينهبون فلما راى الرماة ذلك اقبلوا على النهب وخلوا مكانهم فانتهز المشركون وحملوا عليهم من ورائهم فهزموهم ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها اي من ثوابها وسنجزي الشاكرين الذين شكروا نعمة الله فلم يشغلهم شيء عن الجهاد وكأين اصله اي دخلت الكاف عليها وصارت بمعنى كم والنون تنوين اثبت في الخط على غير قياس وقرأ ابن كثير وكائن ككاعن ووجهه انه قلب قلب الكلمة الواحدة كقولهم رعملي في لعمري فصار كيأن ثم حذفت الياء الثانية للتخفيف ثم ابدلت الياء الاخرى الفا كما ابدلت من طائي من نبي بيان له قاتل معه ربيون كثير ربانيون علماء اتقياء او عابدون لربهم وقيل جماعات والربي منسوب الى الربة وهي الجماعة للمبالغة وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو ويعقوب قتل واسناده الى ربيون او ضمير النبي وربيون حال عنه ويؤيد الاول انه قرئ بالتشديد وقرئ ربيون بالفتح على الاصل وبالضم وهو من تغييرات النسب كالكسر فما وهنوا لما اصابهم في سبيل الله فما فتروا ولم ينكسر جدهم لما اصابهم من قتل النبي او بعضهم وما ضعفوا عن العدو او في الدين وما استكانوا وما خضعوا للعدو واصل

استكن من السكون لان الخاضع يسكن لصاحبه ليفعل به ما يريده والالف من اشباع الفتحة او استكون من الكون لانه يطلب من نفسه ان يكون لمن يخضع له وهذا تعريض بما اصابهم عند الارجاف بقتله عليه السلام والله يحب الصابرين فينصرهم ويعظم قدرهم وما كان قولهم الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في امرنا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين اي وما كان قولهم مع ثباتهم وقوتهم في الدين وكونهم ربانيين الا هذا القول وهو اضافة الذنوب والاسراف الى انفسهم هضما لها واضافة لما اصابهم الى سوء اعمالهم والاستغفار عنها ثم طلب التثبيت في مواطن الحرب والنصر على العدو ليكون عن خضوع وطهارة فيكون اقرب الى الاجابة وانما جعل قولهم خبرا لان ان قالوا اعرف لدلالته على جهة النسبة وزوال الحدث فاتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين فاتاهم الله بسبب الاستغفار واللجأ الى الله النصر والغنيمة والعز وحسن الذكر في الدنيا والجنة والنعيم في الآخرة وخص ثوابها بالحسن اشعارا بفضله وانه المعتد به عنده يا ايها الذين امنوا ان تطيعوا الذين كفروا يردوكم على اعقابكم فتنقلبوا خاسرين نزلت في قول المنافقين للمؤمنين عند الهزيمة ارجعوا الى دينكم واخوانكم ولو كان محمد نبيا لما قتل وقيل ان تستكينوا لابي سفيان واشياعه وتستأمنوهم يردوكم الى دينهم وقيل عام في مطاوعة الكفرة والنزول على حكمهم فانه يجر الى موافقتهم بل الله موليكم ناصركم وقرئ بالنصب على تقدير بل اطيعوا الله موليكم وهو خير الناصرين فاستغنوا به عن ولاية غيره ونصره سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب يريد ما قذف في قلوبهم من الخوف يوم احد حتى تركوا القتال ورجعوا من غير سبب ونادى ابو سفيان يا محمد موعدنا موسم بدر القابل ان شئت فقال عليه السلام ان شاء الله وقيل لما رجعوا وكانوا ببعض الطريق ندموا وعزموا ان يعودوا عليهم ليستأصلوهم فالقى الله الرعب في قلوبهم وقرأ ابن عامر والكسائي ويعقوب بالضم على الاصل في كل القرآن بما اشركوا بالله بسبب اشراكهم به ما لم ينزل به سلطانا اي آلهة ليس على اشراكها حجة ولم ينزل به عليهم سلطانا وهو كقوله ولا ترى الضب بها ينجحر واصل السلطنة القوة ومنه السليط لقوة اشتعاله والسلاطة لحدة اللسان ومأواهم النار وبئس مثوى الظالمين اي مثواهم فوضع الظاهر موضع المضمر للتغليظ والتعليل ولقد صدقكم الله وعده اي وعده اياكم بالنصر بشرط التقوى والصبر وكان كذلك حتى خالف الرماة فان المشركين لما اقبلوا جعل الرماة يرشقونهم والباقون يضربونهم بالسيف حتى انهزموا والمسلمون على آثارهم اذ تحسونهم باذنه تقتلونهم من حسه اذا ابطل حسه حتى اذا فشلتم جبنتم وضعف رأيكم او ملتم الى

الغنيمة فان الحرص من ضعف العقل وتنازعتم في الامر يعني اختلاف الرماة حين انهزم المشركون فقال
بعضهم فما موقفنا ههنا وقال الآخرون لا نخالف امر الرسول فثبت مكانه اميرهم في نفر دون العشرة ونفر
الباقون للنهب وهو المعنى بقوله وعصيتم من بعد ما اراكم ما تحبون من الظفر والغنيمة و
انهزام العدو وجواب اذا محذوف وهو امتحنكم منكم من يريد الدنيا وهم التاركون
المركز للغنيمة ومنكم من يريد الآخرة وهم الثابتون محافظة على امر الرسول ثم صرفكم
عنهم ثم كفكم عنهم حتى حالت الحال فغلبوكم ليبتليكم على المصائب ويمتحن ثباتكم على الايمان عندها و
لقد عفا عنكم تفضلا ولما علم من ندمكم على المخالفة والله ذو فضل على المؤمنين
يتفضل عليهم بالعفو في الاحوال كلها سواء اديل لهم او عليهم اذ الابتلاء ايضا رحمة اذ تصعدون متعلق
بصرفكم او ليبتليكم او بمقدر كاذكروا والاصعاد الذهاب والابعاد في الارض يقال اصعدنا من مكة الى المدينة
ولا تلوون على احد لا يقف واحد لاحد ولا ينتظره والرسول يدعوكم كان يقول الي عباد الله
الي عباد الله انا رسول الله من يكر فله الجنة في اخراكم في ساقتكم وجماعتكم الاخرى فاثابكم غما بغم
لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما اصابكم عطف على صرفكم والمعنى فجازاكم الله على
فشلكم وعصيانكم غما متصلا بغم من الاغتمام بالقتل والجرح وظفر المشركين والارجاف بقتل الرسول او
فجازاكم غما بغم اغممتموه رسول الله بعصيانكم له لتتمرنوا على الصبر في الشدائد فلا تحزنوا فيما بعد على نفع فائت
ولا ضر لاحق وقيل لا مزيدة والمعنى لتأسفوا على ما فاتكم من الظفر والغنيمة وعلى ما اصابكم من الجرح والهزيمة عقوبة
لكم وقيل الضمير في فاثابكم للرسول اي فآساكم في الاغتمام فاغتم بما نزل عليكم كما اغتممتم بما نزل عليه ولم
يثربكم على عصيانكم تسلية لكم كيلا تحزنوا على ما فاتكم من النصر ولا على ما اصابكم من الهزيمة والله خبير
بما تعملون عالم باعمالكم وبما قصدتم بها ثم انزل عليكم من بعد الغم
امنة نعاسا انزل الله عليكم الامن حتى اخذتكم النعاس وعن ابي طلحة غشينا النعاس في المصاف حتى
كان السيف يسقط من يد احدنا فيأخذه ثم يسقط فيأخذه والامنة الامن نصب على المفعول ونعاسا
بدل منها او هو المفعول وامنة حال منه متقدمة او مفعول له او حال من المخاطبين بمعنى ذوي امنة او على انه جمع
كبار وبررة وقرئ امنة بسكون الميم كانها المرة من الامن يغشى طائفة منكم اي النعاس و
قرأ حمزة والكسائي بالتاء ردا على الامنة والطائفة المؤمنون حقا وطائفة هم المنافقون قد
اهمتهم انفسهم اوقعتهم انفسهم في الهموم او ما بهم الا هم انفسهم وطلب خلاصها يظنون بالله
غير الحق ظن الجاهلية صفة اخرى لطائفة او حال او استيناف على وجه البيان لما قبله وخبر

الحق نصب على المصدر اي يظنون بالله غير الظن الحق الذي يحق ان يظن به وظن الجاهلية بدل له وهو الظن المختص بالملة
الجاهلية واهلها يقولون اي لرسول الله وهو بدل من يظنون هل لنا من الامر من شيء هل لنا
مما امر الله ووعده من النصر والظفر نصيب قط وقيل اخبر ابن ابي بقتل بني الخزرج فقال ذلك والمعنى انا منعنا
تدبير انفسنا وتصريفها باختيارنا فلم يبق لنا من الامر شيء او هل يزول عنا هذا القهر فيكون لنا من الامر شيء قل
ان الامر كله لله اي الغلبة الحقيقية لله ولاوليائه فان حزب الله هم الغالبون او القضاء له
يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وهو اعتراض وقرأ ابو عمرو ويعقوب كله بالرفع على الابتداء يخفون في انفسهم
ما لا يبدون لك حال من ضمير يقولون اي يقولون مظهرين انهم مسترشدون طالبون للنصر مبطنين الانكار
والتكذيب يقولون اي في انفسهم او اذا خلا بعضهم الى بعض وهو بدل من يخفون او استيناف على وجه
البيان له لو كان لنا من الامر شيء كما وعد محمد صلى الله عليه وسلم وزعم ان الامر كله لله ولاوليائه
او لو كان لنا اختيار وتدبير لم نبرح كما كان راي ابن ابي وغيره ما قتلنا ههنا لما غلبنا ولما قتل
من قتل منا في هذه المعركة قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل
الى مضاجعهم اي لخرج الذين قدر الله عليهم القتل وكتب في اللوح المحفوظ الى مصارعهم ولم تنفع الاقامة
بالمدينة ولم ينج منهم احد فانه قدر الامور ودبرها في سابق قضائه لا معقب لحكمه وليبتلي الله ما
في صدوركم ليمتحن ما في صدوركم ويظهر ما في سرائرها من الاخلاص والنفاق وهو علة فعل محذوف اي
فعل ذلك ليبتلي او عطف على محذوف اي لبرز لنفاذ القضاء او لمصالح جمة وللابتلاء او على قوله لكيلا تحزنوا
وليمحص ما في قلوبكم وليكشفه ويميزه او يخلصه من الوساوس والله عليم بذات الصدور
بخفياتها قبل اظهارها وفيه وعد ووعيد وتنبيه على انه غني عن الابتلاء وانما فعل ذلك لتمرين المؤمنين واظهار حال
المنافقين ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان انما استزلهم الشيطان
ببعض ما كسبوا يعني ان الذين انهزموا يوم احد انما كان السبب في انهزامهم ان الشيطان طلب منهم الزلل فاطاعوه
واقترفوا ذنوبا بترك المركز والحرص على الغنيمة او الحياة لمخالفة النبي فمنعوا التأييد وقوة القلب وقيل استزلال
الشيطان توليهم وذلك بسبب ذنوب تقدمت لهم فان المعاصي يجر بعضها بعضا كالطاعة وقيل استزلهم بذكر
ذنوب سلفت منهم وكرهوا القتل قبل اخلاص التوبة والخروج من المظلمة ولقد عفا الله عنهم لتوبتهم
واعتذارهم ان الله غفور للذنوب حليم لا يعاجل بعقوبة المذنب كي يتوب يا ايها الذين
امنوا لا تكونوا كالذين كفروا يعني المنافقين وقالوا لاخوانهم لاجلهم وفيهم
ومعنى اخوتهم اتفاقهم في النسب والمذهب اذا ضربوا في الارض اذا سافروا فيها وابعدوا للتجارة

او غيرها وكان حقه اذ لقوله قالوا لكنه جاء على حكاية الحال الماضية او كانوا غزى جمع غاز كعاف وعفى
لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا مفعول قالوا وهو يدل على ان اخوانهم لم يكونوا مخاطبين به
ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم متعلق بقالوا على ان اللام لام العاقبة مثلها في ليكون لهم عدوا
وحزنا او لا تكونوا اي لا تكونوا مثلهم في النطق بذلك القول والاعتقاد ليجعله حسرة في قلوبهم خاصة فذلك اشارة
الى ما دل عليه قولهم من الاعتقاد وقيل الى ما دل عليه النهي اي لا تكونوا مثلهم ليجعل الله انتفاء كونكم مثلهم حسرة في قلوبهم
فان مخالفتهم ومضادتهم مما يغمهم والله يحيي ويميت رد لقولهم اي هو المؤثر في الحياة والممات لا
الاقامة والسفر فانه تعالى قد يحيي المسافر والغازي ويميت المقيم والقاعد والله بما تعملون بصير
تهديد للمؤمنين على ان يماثلوهم وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي بالياء على انه وعيد للذين كفروا ولئن قتلتم
في سبيل الله او متم اي متم في سبيله وقرأ نافع وحمزة والكسائي بكسر الميم من مات يمات
لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون جواب القسم وهو ساد مسد الجزاء والمعنى
ان السفر والغزو ليس مما يجلب الموت ويقدم الاجل وان وقع ذلك في سبيل الله فما تنالون من المغفرة والرحمة
بالموت خير مما تجمعون من الدنيا ومنافعها لو لم تموتوا وقرأ حفص بالياء ولئن متم او قتلتم اي على
اي وجه اتفق هلاككم لالى الله تحشرون لالى معبودكم الذي توجهتم اليه وبذلتم مهجكم لوجهه لا الى
غيره لا الى غيره فيوفي جزاءكم ويعظم ثوابكم وقرأ نافع وحمزة والكسائي متم بالكسر فبما رحمة من
الله لنت لهم اي فبرحمة وما مزيدة للتاكيد والدلالة على ان لينه لهم ما كان الا برحمة من الله وهو
ربطه على جاشه وتوفيقه للرفق بهم بعد ان خالفوه ولو كنت فظا سيء الخلق جافيا غليظ
القلب قاسيه لانفضوا من حولك لتفرقوا عنك ولم يسكنوا اليك فاعف
عنهم فيما يختص بك واستغفر لهم فيما لله وشاورهم في الامر اي في امر
الحرب اذ الكلام فيه او فيما يصح ان يشاور فيه استظهارا برأيهم وتطييبا لنفوسهم وتمهيدا لسنة المشاورة
للامة فاذا عزمت فاذا وطنت نفسك على شيء بعد الشورى فتوكل على الله في
امضاء امرك على ما هو اصلح لك فانه لا يعلمه سواه وقرئ فاذا عزمت على التكلم اي فاذا عزمت لك
على شيء وعينته لك فتوكل علي ولا تشاور فيه احدا ان الله يحب المتوكلين فينصرهم و
يهديهم الى الصلاح ان ينصركم الله كما نصركم يوم بدر فلا غالب لكم فلا احد يغلبكم و
ان يخذلكم كما خذلكم يوم احد فمن ذا الذي ينصركم من بعده من بعد خذلانه او
من بعد الله بمعنى اذا جاوزتموه فلا ناصر لكم وهذا تنبيه على المقتضي للتوكل وتحريض على ما يستحق به النصر من الله و

تحذير عما يستجلب خذلانه وعلى الله فليتوكل المؤمنون فليخصوه بالتوكل عليه لما علموا ان لا ناصر لهم سواه وآمنوا به
وما كان لنبي ان يغل وما صح لنبي ان يخون في الغنائم فان النبوة تنافي الخيانة يقال غل شيئا من المغنم
يغل غلولا واغل اغلالا اذا اخذه في خفية والمراد منه اما براءة الرسول عما اتهم به اذ روي ان قطيفة حمراء فقدت
يوم بدر فقال بعض المنافقين لعل رسول الله اخذها او ظن به الرماة يوم احد حين تركوا المركز للغنيمة وقالوا نخشى ان
يقول رسول الله من اخذ شيئا فهو له ولا يقسم الغنائم واما المبالغة في النهي للرسول على ما روي انه بعث طلائع فغنم
رسول الله فقسم على من معه ولم يقسم للطلائع فنزلت فيكون تسميته حرمان بعض المستحقين غلولا تغليظا ومبالغة ثانية
وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائي ويعقوب ان يغل على البناء للمفعول والمعنى وما صح له ان يوجد غالا او ان ينسب الى
الغلول ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة يأت بالذي غله يحمله على عنقه كما جاء في الحديث او بما
احتمل من وباله واثمه ثم توفى كل نفس ما كسبت تعطى جزاء ما كسبت وافيا وكان اللائق بما قبله
ان يقال ثم يوفى ما كسب لكنه عمم الحكم ليكون كالبرهان على المقصود والمبالغة فيه فانه اذا كان كل كاسب مجزيا
بعمله فالغال مع عظم جرمه بذلك اولى وهم لا يظلمون فلا ينقص ثواب مطيعهم ولا يزاد في عقاب
عاصيهم افمن اتبع رضوان الله بالطاعة كمن باء بسخط من الله بسبب المعاصي ومأواه
جهنم وبئس المصير الفرق بينه وبين المرجع ان المصير يجب ان يخالف الحالة الاولى ولا كذلك المرجع
هم درجات عند الله شبهوا بالدرجات لما بينهم من التفاوت في الثواب والعقاب او هم
ذوو درجات والله بصير بما يعملون عالم باعمالهم ودرجاتها صادرة عنهم فيجازيهم على حسبها لقد
من الله على المؤمنين انعم على من آمن مع الرسول من قومه وتخصيصهم مع ان نعمة البعثة عامة لزيادة
انتفاعهم بها وقرئ لمن من الله على انه خبر مبتدأ محذوف مثل منه او بعثه اذ بعث فيهم رسولا من
انفسهم من نسبهم او من جنسهم عربيا مثلهم ليفهموا كلامه بسهولة ويكونوا واقفين على حاله في الصدق والامانة
مفتخرين به وقرئ من انفسهم اي من اشرفهم لانه عليه السلام كان من اشرف قبائل العرب وبطونهم يتلوا
عليهم آياته اي القرآن بعد ما كانوا جهالا لم يسمعوا الوحي ويزكيهم يطهرهم من دنس الطباع
وسوء العقائد والاعمال ويعلمهم الكتاب والحكمة القرآن والسنة وان
كانوا من قبل لفي ضلال مبين ان هي المخففة واللام هي الفارقة والمعنى وان الشأن
كانوا من قبل بعثة الرسول في ضلال مبين او لما اصابتكم مصيبة قد اصبتم مثليها
قلتم انى هذا الهمزة للتقرير والتقريع والواو عاطفة للجملة على ما سبق من قصة احد او على محذوف مثل
افعلتم كذا وقلتم ولما ظرفه المضاف الى اصابتكم اي حين اصابتكم مصيبة وهي قتل سبعين منكم يوم احد والحال

انكم نلتم ضعفيها يوم بدر من قتل سبعين واسر سبعين انى هذا اصابنا وقد وعدنا الله النصر قل هو من
عند انفسكم اى مما اقترفته انفسكم من مخالفة الامر بترك المركز فان الوعد كان مشروطا بالثبات
والمطاوعة او اختيار الخروج من المدينة وعن على رضى الله عنه باختياركم الفداء يوم بدر ان الله
على كل شيء قدير فيقدر على النصر ومنعه وعلى ان يصيب بكم ويصيب منكم وما
اصابكم يوم التقى الجمعان جمع المسلمين وجمع المشركين يريد يوم احد فباذن الله فهو كائن
بقضائه وتخليته الكفار سماها اذنا لانها من لوازمه وليعلم المؤمنين وليعلم الذين
نافقوا وليتميز المؤمنون والمنافقون فيظهر ايمان هؤلاء وكفر هؤلاء وقيل لهم عطف على نافقوا داخل في
الصلة او كلام مبتدا تعالوا قاتلوا في سبيل الله او ادفعوا تقسيم للامر عليهم وتخيير بين
ان يقاتلوا للآخرة او للدفع عن الانفس والاموال وقيل معناه قاتلوا الكفرة او ادفعوهم بتكثيركم سواد المجاهدين
فان كثرة السواد مما يروع العدو ويكسر منه قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم لو نعلم ما يصح ان يسمى قتالا
لاتبعناكم فيه ولكن ما انتم عليه ليس بقتال بل القاء بالانفس الى التهلكة او لو نحسن قتالا لاتبعناكم وانما قالوه
دغلا واستهزاء هم للكفر يومئذ اقرب منهم للايمان لانخزالهم وكلامهم هذا
فانهما اول امارات ظهرت منهم مؤذنة بكفرهم وقيل هم لاهل الكفر اقرب نصرة منهم لاهل الايمان اذ كان انخزالهم
ومقالهم تقوية للمشركين وتخذيلا للمؤمنين يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم يظهرون
خلاف ما يضمرون لا تواطئ قلوبهم السنتهم بالايمان واضافة القول الى الافواه تأكيد وتصوير والله اعلم بما
يكتمون من النفاق وما يخلو به بعضهم الى بعض فانه يعلمه مفصلا بعلم واجب وانتم تعلمونه مجملا
الذين قالوا رفع بدلا من واو يكتمون او نصب على الذم او الوصف للذين نافقوا او جر بدلا من الضمير
في بافواههم او قلوبهم كقوله على جوده لضن بالماء حاتم لاخوانهم اى لاجلهم يريد من قتل يوم احد من
اقاربهم او من جنسهم وقعدوا مقدر بقد اى قالوا قاعدين عن القتال لو اطاعونا اى في القعود
ما قتلوا كما لم نقتل وقرا هشام ما قتّلوا بتشديد التاء قل فادرءوا عن انفسكم الموت
ان كنتم صادقين اى ان كنتم صادقين انكم تقدرون على دفع القتل عمن كتب عليه فادفعوا عن انفسكم
الموت واسبابه فانه احرى بكم والمعنى ان القعود غير مغن فان اسباب الموت كثيرة وكما ان القتال يكون سببا للهلاك
والقعود سببا للنجاة قد يكون الامر بالعكس ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا
نزلت في شهداء احد وقيل في شهداء بدر والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد وقرا هشام كالباقين
وبالياء ايضا على اسناده الى ضمير الرسول او من يحسب او الى الذين قتلوا والمفعول الاول محذوف لانه في الاصل

مبتدا جائز الحذف عند القرينة وقرا ابن عامر قتّلوا بالتشديد لكثرة المقتولين بل احياء اى بل هم احياء وقرئ بالنصب
على معنى بل احسبهم احياء عند ربهم ذوو زلفى منه يرزقون من الجنة وهو تأكيد لكونهم احياء فرحين
بما آتاهم الله من فضله وهو شرف الشهادة والفوز بالحياة الابدية والقرب من الله و
التمتع بنعيم الجنة ويستبشرون يسرون بالبشارة بالذين لم يلحقوا بهم اى باخوانهم
المؤمنين الذين لم يقتلوا فيلحقوا بهم من خلفهم اى الذين من خلفهم زمانا او رتبة الا خوف عليهم
ولا هم يحزنون بدل من الذين والمعنى انهم يستبشرون بما تبين لهم من امر الآخرة وحال من تركوا خلفهم من المؤمنين
وهو انهم اذا ماتوا او قتلوا كانوا احياء حياة لا يكدرها خوف وقوع محذور وخوف فوات محبوب والآية تدل
على ان الانسان غير الهيكل المحسوس بل هو جوهر مدرك بذاته لا يفنى بخراب البدن ولا يتوقف عليه ادراكه وتألمه والتذاذه
ويؤيد ذلك قوله تعالى في آل فرعون النار يعرضون عليها وما روي عن ابن عباس انه عليه السلام قال ارواح الشهداء في اجواف طير خضر
ترد انهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوي الى قناديل معلقة في ظل العرش ومن انكر ذلك ولم ير الروح الا ريحا وعرضا
قال هم احياء يوم القيامة وانما وصفوا به في الحال لتحققه ودنوه او احياء بالذكر او بالايمان وفيها حث على الجهاد وترغيب
في الشهادة وبعث على ازدياد الطاعة واحماد لمن يتمنى لاخوانه مثل ما انعم عليه وبشرى للمؤمنين بالفلاح يستبشرون
كرر للتوكيد وليتعلق به ما هو بيان لقوله الا خوف ويجوز ان يكون الاول بحال اخوانهم وهذا بحال انفسهم بنعمة
من الله ثوابا لاعمالهم وفضل زيادة عليه لقوله للذين احسنوا الحسنى وزيادة وتنكيرهما للتعظيم وان
الله لا يضيع اجر المؤمنين من جملة المستبشر به عطف على فضل وقرا الكسائي بالكسر على انه استئناف
معترض دال على ان ذلك اجر لهم على ايمانهم مشعر بان من لا ايمان له اعماله محبطة واجوره مضيعة الذين استجابوا
لله والرسول من بعد ما اصابهم القرح صفة للمؤمنين او نصب على المدح او مبتدا خبره
للذين احسنوا منهم واتقوا اجر عظيم بجملته ومن للبيان والمقصود من ذكر الوصفين المدح
والتعليل لا التقييد لان المستجيبين كلهم محسنون متقون روي ان ابا سفيان واصحابه لما رجعوا فبلغوا الروحاء ندموا وهموا
بالرجوع فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فندب اصحابه للخروج في طلبه وقال لا يخرجن معنا الا من حضر يومنا بالامس فخرج رسول الله
صلى الله عليه وسلم مع جماعة حتى بلغوا حمراء الاسد وهي على ثمانية اميال من المدينة وكان باصحابه القرح فتحاملوا على انفسهم حتى لا يفوتهم
الاجر والقى الله الرعب في قلوب المشركين فذهبوا فنزلت الذين قال لهم الناس يعني الركب الذين استقبلوهم
من عبد قيس او نعيم بن مسعود الاشجعي واطلق عليه الناس لانه من جنسه كما يقال فلان يركب الخيل وما له الا فرس واحد ولانه انضم
اليه ناس من المدينة واذاعوا كلامه ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم يعني ابا سفيان
واصحابه روي انه نادى عند انصرافه من احد يا محمد موعدنا موسم بدر القابل ان شئت فقال صلى الله عليه وسلم ان شاء الله فلما كان

تخرب

عطف

القابل فخرج في اهل مكة حتى نزل بمر الظهران فانزل الله الرعب في قلبه وبدا له ان يرجع فمر به ركب من عبد قيس يريدون
المدينة للميرة فشرط لهم حمل بعير من زبيب ان ثبطوا المسلمين وقيل لقي نعيم بن مسعود وقد قدم معتمرا فسأله ذلك و
التزم له عشرا من الابل فخرج نعيم فوجد المسلمين يتجهزون فقال لهم اتوكم في دياركم فلم يفلت احد منكم الا شريدا
افترون ان تخرجوا وقد جمعوا لكم ففتروا فقال صلعم والذي نفسي بيده لاخرجن ولو لم يخرج معي احد فخرج في سبعين راكبا
يقولون حسبنا الله فزادهم ايمانا الضمير المستكن للمقول او لمصدر قالوا او لفاعله ان اريد به نعيم وحده والبارز
للمقول لهم والمعنى انهم لم يلتفتوا اليه ولم يضعفوا بل ثبت به يقينهم بالله وازداد ايمانهم واظهروا حمية الاسلام
واخلصوا النية عنده وهو دليل على ان الايمان يزيد وينقص ويعضده قول ابن عمر رض قلنا يا رسول الله الايمان
يزيد وينقص قال نعم يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة وينقص حتى يدخل صاحبه النار وهذا ظاهر ان جعل الطاعة من جملة الايمان
وكذا ان لم تجعل فان اليقين يزداد بالالف وكثرة التامل وتناصر الحجج وقالوا حسبنا الله محسبنا و
كافينا من احسبه اذا كفاه ويدل على انه بمعنى المحسب انه لا يستفيد بالاضافة تعريفا في قولك هذا رجل حسبك و
نعم الوكيل ونعم الموكول اليه هو فانقلبوا فرجعوا من بدر بنعمة من الله وعافية وثبات
على الايمان وزيادة فيه وفضل وربح في التجارة فانهم لما اتوا بدرا وافوا بها سوقا فاتجروا وربحوا لم
يمسسهم سوء من جراحة وكيد عدو واتبعوا رضوان الله الذي هو مناط الفوز بخير الدارين
بجراءتهم وخروجهم والله ذو فضل عظيم قد تفضل عليهم بالتثبيت وزيادة الايمان والتوفيق للمبادرة
الى الجهاد والتصلب في الدين واظهار الجراءة على العدو وبالحفظ عن كل ما يسوؤهم واصابة النفع مع ضمان الاجر حتى انقلبوا
بنعمة منه وفضل وفيه تحسير للمتخلف وتخطئة رايه حيث حرم نفسه ما فازوا انما ذلكم الشيطان
يريد به المثبط نعيما او ابا سفيان والشيطان خبر ذلكم وما بعده بيان لشيطنته او صفة وما بعده خبر ويجوز ان تكون
الاشارة الى قوله على تقدير مضاف اي انما ذلكم قول الشيطان يعني ابليس عليه اللعنة يخوف اولياءه
القاعدين عن الخروج مع الرسول صلعم او يخوفكم اولياءه الذين هم ابو سفيان واصحابه فلا تخافوهم الضمير
للناس الثاني على الاول والى الاولياء على الثاني وخافون في مخالفة امري فجاهدوا مع رسولي ان كنتم
مؤمنين فان الايمان يقتضي ايثار خوف الله على خوف الناس ولا يحزنك الذين
يسارعون في الكفر يقعون فيه سريعا حرصا عليه وهم المنافقون من المتخلفين او قوم
ارتدوا عن الاسلام والمعنى لا يحزنك خوف ان يضروك ويعينوا عليك لقوله انهم لن يضروا الله
شيئا اي لن يضروا اولياء الله بمسارعتهم في الكفر وانما يضرون بها انفسهم وشيئا يحتمل المفعول والمصدر و
قرا نافع يحزنك بضم الياء وكسر الزاي حيث وقع ما خلا قوله في الانبياء لا يحزنهم الفزع الاكبر فانه فتح الياء وضم الزاي

فيه والباقون كذلك في الكل يريد الله الا يجعل لهم حظا في الاخرة نصيبا من الثواب
في الاخرة وهو يدل على تمادي طغيانهم وموتهم على الكفر وفي ذكر الارادة اشعار بان كفرهم بلغ الغاية حتى اراد
ارحم الراحمين ان لا يكون لهم حظ من رحمته وان مسارعتهم في الكفر لانه تعالى لم يرد لهم ان يكون لهم حظ في الاخرة ولهم
عذاب عظيم مع الحرمان عن الثواب ان الذين اشتروا الكفر بالايمان لن
يضروا الله شيئا ولهم عذاب اليم تكرير للتاكيد او تعميم للكفرة بعد تخصيص من نافق
من المتخلفين او ارتد من الاعراب ولا يحسبن الذين كفروا انما نملي لهم خير
لانفسهم خطاب للرسول او لكل من يحسب والذين مفعول وانما نملي لهم بدل منه وانما اقتصر على مفعول واحد لان
التعويل على البدل وهو ينوب عن المفعولين كقوله ام تحسب ان اكثرهم يسمعون او المفعول الثاني على تقدير مضاف
مثل ولا تحسبن الذين كفروا اصحاب ان الاملاء خير لانفسهم او ولا تحسبن حال الذين كفروا ان الاملاء خير لانفسهم وما مصدرية
وكان حقها ان تفصل في الخط ولكنها وقعت متصلة في الامام فاتبع وقرا ابن كثير وابو عمرو وابن عامر وعاصم والكسائي
ويعقوب بالياء على ان الذين فاعل وان مع ما في حيزه مفعول وفتح سينه في جميع القران ابن عامر وعاصم وحمزة والاملاء الامهال
واطالة العمر وقيل تخليتهم وشانهم من املى لفرسه اذا ارخى له الطول ليرعى كيف شاء انما نملي لهم
ليزدادوا اثما استئناف بما هو العلة للحكم قبلها وما كافة واللام لام الارادة وعند المعتزلة لام
العاقبة وقرئ انما بالفتح هنا وبكسر الاولى ولا يحسبن بالياء على معنى ولا يحسبن الذين كفروا ان املاءنا لهم لازدياد الاثم
بل للتوبة والدخول في الايمان وانما نملي لهم خير اعتراض معناه ان املاءنا لهم خير ان انتبهوا وتداركوا فيه ما فرط منهم
ولهم عذاب مهين على هذا يجوز ان يكون حالا من الواو اي ليزدادوا اثما معدا لهم عذاب مهين ما
كان الله ليذر المؤمنين على ما انتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب
الخطاب لعامة المخلصين والمنافقين في عصره والمعنى لا يترككم مختلطين لا يعرف مخلصكم من منافقكم حتى يميز المنافق
من المخلص بالوحي الى نبيه باحوالكم او بالتكاليف الشاقة التي لا يصبر عليها ولا يذعن لها الا الخلص المخلصون منكم
كبذل الاموال والانفس في سبيل الله ليختبر به بواطنكم ويستدل به على عقائدكم وقرا حمزة والكسائي حتى يميز
وفي الانفال بضم الياء وفتح الميم وكسر الياء وتشديدها والباقون بفتح الياء وكسر الميم وسكون الياء وما كان
الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء
وما كان الله ليؤتي احدكم علم الغيب فيطلع على ما في القلوب من كفر وايمان ولكنه يجتبي لرسالته من يشاء
فيوحي اليه ويخبره ببعض المغيبات او ينصب له ما يدل عليها فامنوا بالله ورسله
بصفة الاخلاص او بان تعلموه وحده مطلعا على الغيب وتعلموهم عبادا مجتبين لا يعلمون الا ما علمهم الله

الطول بكسر الطاء وفتح الواو
الحبل الذي يطول للدابة فترعى
فيه ١٢

ولا يطلع الا ما اوحى اليهم روى ان الكفرة قالوا ان كان محمد صادقا فليخبرنا من يؤمن منا ومن يكفر فنزلت وعن
رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال عرضت على امتى واعلمت من يؤمن بى ومن يكفر فقال المنافقون انه يزعم انه يعرف من يؤمن به ومن يكفر
ونحن معه ولا يعرفنا فنزلت وان تؤمنوا حق الايمان وتتقوا النفاق فلكم اجر عظيم
لا يقادر قدره ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو
خيرا لهم القراءات فيه ... ومن قرا بالتاء قدر مضافا ليطابق مفعولاه اى ولا تحسبن بخل الذين يبخلون
هو خيرا لهم وكذا من قرا بالياء ان جعل الفاعل ضمير الرسول او من يحسب وان جعله الموصول كان المفعول الاول
محذوفا لدلالة يبخلون عليه اى لا يحسبن البخلاء بخلهم هو خيرا لهم بل هو اى البخل شر لهم لاستجلاب العقاب
عليهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيمة بيان لذلك والمعنى سيلزمون وبال
ما بخلوا به الزام الطوق وعنه صلى الله عليه وسلم ما من رجل لا يؤدى زكوة ماله الا جعل الله له شجاعا فى عنقه يوم القيمة و
لله ميراث السموات والارض وله ما فيهما مما يتوارث فما لهؤلاء يبخلون عليه بماله
او انه يرث منهم ما يمسكونه ولا ينفقونه فى سبيله بهلاكهم وتبقى عليهم الحسرة والعقوبة والله بما تعملون
من المنع والاعطاء خبير فيجازيهم وقرا نافع وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائى بالتاء على الالتفات
وهو ابلغ فى الوعيد لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء
قالته اليهود لما سمعوا من ذا الذى يقرض الله وروى انه عليه السلام كتب مع ابى بكر الى يهود بنى قينقاع يدعوهم الى الاسلام
واقام الصلوة وايتاء الزكوة وان يقرضوا الله قرضا حسنا فقال فنحاص بن عازوراء ان الله فقير حين سال القرض
فلطمه ابو بكر وقال لولا ما بيننا من العهد لضربت عنقك فشكاه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجحد ما قاله فنزلت والمعنى انه
لم يخف عليه وانه اعد لهم العقاب عليه سنكتب ما قالوا وقتلهم الانبياء
بغير حق اى سنكتبه فى صحائف الكتبة او سنحفظه فى علمنا لا نهمله لانه كلمة عظيمة اذ هو كفر بالله واستهزاء
بالقران والرسول ولذلك نظمه مع قتل الانبياء وفيه تنبيه على انه ليس اول جريمة ارتكبوه وان من اجترا على
قتل الانبياء لم يستبعد منه امثال هذا القول وقرا حمزة سيكتب بالياء وضمها وفتح التاء وقتلهم بالرفع ويقول
بالياء ونقول ذوقوا عذاب الحريق اى وننتقم منهم بان نقول لهم ذوقوا العذاب المحرق
وفيه مبالغات فى الوعيد والذوق ادراك الطعوم وعلى الاتساع يستعمل لادراك سائر المحسوسات و
الحالات وذكره هنا لان العذاب مرتب على قولهم الناشى عن البخل والتهالك على المال وغالب حاجة
الانسان اليه لتحصيل المطاعم ومعظم بخله للخوف من فقدانه ولذلك كثر ذكر الاكل مع المال ذلك
اشارة الى العذاب بما قدمت ايديكم من قتل الانبياء وقولهم هذا وسائر معاصيهم عبر بالايدى

عن الانفس لان اكثر اعمالها بهن وان الله ليس بظلام للعبيد عطف على ما قدمت وسببيته للعذاب
من حيث ان نفى الظلم يستلزم العدل المقتضى اثابة المحسن ومعاقبة المسى الذين قالوا هم كعب بن الاشرف ومالك
وحيى وفنحاص ووهب بن يهوذا ان الله عهد الينا امرنا فى التورية واوصانا الا نؤمن
لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار بان لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بهذه المعجزة الخاصة التى
كانت لانبياء بنى اسرائيل وهو ان يقرب بقربان فيقوم النبى فيدعو فتنزل نار سماوية فتاكله اى تحيله الى طبعها
بالاحراق وهذا من مفترياتهم واباطيلهم لان اكل النار القربان لم يوجب الايمان الا لكونه معجزة فهو وسائر
المعجزات سواء وذلك قل قد جاءكم رسل من قبلى بالبينات وبالذى قلتم فلم
قتلتموهم ان كنتم صادقين تكذيب والزام بان رسلا جاؤهم قبله كزكريا ويحيى بمعجزات
اخر موجبة للتصديق وبما اقترحوه فقتلوهم فلو كان الموجب للتصديق هو الاتيان به وكان توقفهم و
امتناعهم عن الايمان لاجله فما لهم لم يؤمنوا بمن جاء به فى معجزات اخر واجترؤا على قتله فان كذبوك
فقد كذب رسل من قبلك جاؤا بالبينات والزبر والكتاب
المنير تسلية للرسول من تكذيب قومه واليهود والزبر جمع زبور وهو الكتاب المقصور على الحكم من زبرت
الشى اذا حسنته والكتاب فى عرف القران ما يتضمن الشرائع والاحكام ولذلك جاء الكتاب والحكمة متعاطفين
فى عامة القران وقيل الزبر المواعظ والزواجر من زبرته اذا زجرته وقرا ابن عامر وبالزبر وهشام وبالكتاب
باعادة الجار للدلالة على انها مغايرة للبينات بالذات كل نفس ذائقة الموت وعد ووعيد
للمصدق والمكذب وقرى ذائقة الموت بالنصب على التنوين وعدمه كقوله ولا ذاكر الله الا قليلا و
انما توفون اجوركم تعطون جزاء اعمالكم خيرا كان او شرا تاما وافيا يوم القيمة يوم قيامكم من
القبور ولفظ التوفية يشعر بانه قد يكون قبلها بعض الاجور ويؤيده قوله عليه السلام القبر روضة من رياض الجنة او حفرة
من حفر النيران فمن زحزح عن النار بعد عنها والزحزحة فى الاصل تكرير الزح وهو الجذب
بعجلة وادخل الجنة فقد فاز بالنجاة ونيل المراد والفوز الظفر بالبغية وعن النبى صلى الله عليه وسلم من احب ان
يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الاخر ويأتى الى الناس ما يحب ان يؤتى
اليه وما الحيوة الدنيا اى لذاتها وزخارفها الا متاع الغرور شبهها بالمتاع الذى
يدلس به على المستام ويغر حتى يشتريه وهذا لمن آثرها على الاخرة فاما من طلب بها الاخرة فهى له متاع بلاغ والغرور
مصدر او جمع غار لتبلون اى والله لتختبرن فى اموالكم بتكليف الانفاق وما يصيبها من الآفات
وانفسكم بالجهاد والقتل والاسر والجراح وما يرد عليها من المخاوف والامراض والمتاعب ولتسمعن

من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا
من هجاء الرسول والطعن في الدين واغراء الكفرة على المسلمين اخبرهم بذلك قبل وقوعها ليوطنوا انفسهم
على الصبر والاحتمال ويستعدوا للقائها حتى لا يرهقهم نزولها وان تصبروا على ذلك وتتقوا
مخالفة امر الله فان ذلك يعني الصبر والتقوى من عزم الامور من معزومات الامور التي يجب
العزم عليها او مما عزم الله عليه اي امر به وبالغ فيه والعزم في الاصل ثبات الراي على الشيء نحو امضائه
واذ اخذ الله اي اذكر وقت اخذه ميثاق الذين اوتوا الكتاب يريد العلماء به
لتبيننه للناس ولا تكتمونه حكاية لمخاطبتهم وقرا ابن كثير وابو عمرو وعاصم
في رواية ابن عياش بالياء لانهم غيب واللام جواب القسم الذي ناب عنه قوله اخذ الله ميثاق الذين والضمير
للكتاب فنبذوه اي الميثاق وراء ظهورهم فلم يراعوه ولم يلتفتوا اليه والنبذ وراء
الظهر مثل في ترك الاعتداد وعدم الالتفات ونقيضه جعله نصب عينه والقاؤه بين عينيه و
اشتروا به واخذوا بدله ثمنا قليلا من حطام الدنيا واعراضها فبئس ما يشترون
يختارون لانفسهم وعن النبي صلعم من كتم علما من اهله الجم بلجام من نار وعن علي رضه ما اخذ الله على اهل الجهل
ان يتعلموا حتى اخذ على اهل العلم ان يعلموا لا تحسبن الذين يفرحون بما اتوا و
يحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب
والخطاب للرسول ومن ضم الباء جعل الخطاب له وللمؤمنين والمفعول الاول الذين يفرحون والثاني بمفازة
وقوله فلا تحسبنهم تاكيد والمعنى لا تحسبن الذين يفرحون بما فعلوا من التدليس وكتمان الحق ويحبون ان يحمدوا
بما لم يفعلوا من الوفاء بالميثاق واظهار الحق والاخبار بالصدق بمفازة منجاة من العذاب اي فائزين
بالنجاة منه وقرا نافع وابن كثير وابو عمرو بالياء وفتح الباء في الاول وضمها في الثاني على ان الذين فاعل ومفعولا
يحسبن محذوف يدل عليهما مفعولا مؤكده وكانه قيل ولا يحسبن الذين يفرحون بما اتوا فلا يحسبن انفسهم بمفازة
او المفعول الاول محذوف وقوله فلا يحسبنهم تاكيد للفعل وفاعله ومفعوله الاول ولهم عذاب
اليم بكفرهم وتدليسهم روي انه صلعم سال اليهود عن شيء مما في التورية فاخبروه بخلاف ما كان فيها و
اروه انه قد صدقوه وفرحوا بما فعلوا فنزلت وقيل نزلت في قوم تخلفوا عن الغزو ثم اعتذروا بانهم راوا
المصلحة في التخلف واستحمدوا به وقيل نزلت في المنافقين فانهم يفرحون بمنافقتهم ويستحمدون الى المسلمين
بالايمان الذي لم يفعلوه على الحقيقة ولله ملك السموات والارض فهو يملك
امرهم والله على كل شيء قدير فيقدر على عقابهم وقيل هو رد لقولهم ان الله فقير

ان

ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لايات
لاولي الالباب لدلائل واضحة على وجود الصانع ووحدته وكمال علمه وقدرته لذوي العقول المجلوة
الخالصة عن شوائب الحس والوهم كما سبق في سورة البقرة ولعل الاقتصار على هذه الثلثة في هذه الاية لان مناط
الاستدلال هو التغير وهذه متعرضة لجملة انواعه فانه اما ان يكون في ذات الشيء كتغير الليل والنهار او جزئه كتغير العناصر بتبدل
صورها او الخارج عنه كتغير الافلاك بتبدل اوضاعها وعن النبي صلعم ويل لمن قراها ولم يتفكر فيها الذين يذكرون
الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم اي يذكرونه دائما على الحالات كلها قائمين وقاعدين و
مضطجعين وعنه عم من احب ان يرتع في رياض الجنة فليكثر ذكر الله وقيل معناه يصلون على الهيئات
الثلث حسب طاقتهم لقوله عم لعمران بن حصين رضه صل قائما فان لم تستطع فقاعدا فان لم تستطع فعلى جنب
تومي ايماء فهو حجة للشافعي على ان المريض يصلي مضطجعا على جنبه الايمن مستقبلا بمقاديم بدنه ويتفكرون
في خلق السموات والارض استدلالا واعتبارا وهو افضل العبادات كما قال عم لا عبادة كالتفكر لانه
المخصوص بالقلب والمقصود من الخلق وعنه عم بينما رجل مستلق على ظهره اذ رفع راسه فنظر الى السماء والنجوم فقال اشهد ان لك
ربا وخالقا اللهم اغفر لي فنظر الله اليه فغفر له وهذا دليل واضح على شرف علم الاصول وفضل اهله ربنا ما
خلقت هذا باطلا على ارادة القول اي يتفكرون قائلين ذلك وهذا اشارة الى المتفكر فيه او
الخلق على انه اريد به المخلوق من السموات والارض او اليهما لانهما في معنى المخلوق والمعنى ما خلقته عبثا ضائعا من
غير حكمة بل خلقته لحكم عظيمة من جملتها ان يكون مبدأ لوجود الانسان وسببا لمعاشه ودليلا يدله على معرفتك ويحثه على
طاعتك لينال الحيوة الابدية والسعادة السرمدية في جوارك سبحانك تنزيها لك من العبث وخلق
الباطل وهو اعتراض فقنا عذاب النار للاخلال بالنظر فيه والقيام بما يقتضيه وفائدة الفاء هي
الدلالة على ان علمهم بما لاجله خلق السموات والارض حملهم على الاستعاذة ربنا انك من تدخل النار
فقد اخزيته فقد اخزيته غاية الاخزاء ونظيره قوله من ادرك مرعى الصمان فقد ادرك والمراد به تهويل المستعاذ
منه تنبيها على شدة خوفهم وطلبهم الوقاية منه وفيه اشعار بان العذاب الروحاني افظع وما للظالمين
من انصار اراد به المدخلين ووضع المظهر موضع المضمر للدلالة على ان ظلمهم سبب لادخالهم النار وانقطاع
النصرة عنهم في الخلاص منهم ولا يلزم من نفي النصرة نفي الشفاعة لان النصرة دفع بالقهر ربنا اننا
سمعنا مناديا ينادي للايمان اوقع الفعل على المسمع وحذف المسموع لدلالة وصفه عليه و
فيه مبالغة ليست في ايقاعه على نفس المسموع وفي تنكير المنادي واطلاقه ثم تقييده تعظيم لشانه والمراد به
الرسول وقيل القرآن والنداء والدعاء ونحوهما تعدى بالى واللام لتضمنها معنى الانتهاء والاختصاص ان

آمنوا بربكم فآمنا اى امنوا او بان امنوا فامتثلنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا
كبائرنا فانها ذات تبعة وكفر عنا سيئاتنا صغائرنا فانها مستحقة للتكفير عن
مجتنب الكبائر وتوفنا مع الابرار مخصوصين بصحبتهم معدودين في زمرتهم وفيه تنبيه على انهم
يحبون لقاء الله ومن احب لقاء الله احب الله لقاءه والابرار جمع بر كارباب واصحاب ربنا
وآتنا ما وعدتنا على رسلك اى ما وعدتنا على تصديق رسلك من الثواب لما ظهر
امتثالا لما امر به ما وعدت عليه لا خوفا من اخلاف الوعد بل مخافة ان لا نكون من الموعودين لسوء عاقبة او قصور
في الامتثال او تعبدا او استكانة ويجوز ان يعلق على بمحذوف تقديره ما وعدتنا منزلا على رسلك او محمولا عليهم
وقيل معناه على السنة رسلك ولا تخزنا يوم القيامة بان تعصمنا عما يقتضيه انك لا
تخلف الميعاد باثابة المؤمن واجابة الداعي وعن ابن عباس رضه الميعاد البعث بعد الموت وتكرير ربنا
للمبالغة في الابتهال والدلالة على استقلال المطالب وعلو شانها وفي الآثار من حزبه امر فقال خمس مرات ربنا
انجاه الله مما يخاف فاستجاب لهم ربهم الى طلبتهم وهو اخص من اجاب ويعدى بنفسه و
باللام انى لا اضيع عمل عامل منكم اى بانى لا اضيع وقرئ بالكسر على ارادة القول من ذكر
او انثى بيان لعامل بعضكم من بعض لان الذكر من الانثى والانثى من الذكر او لانهما من اصل واحد
او لفرط الاتصال والاتحاد او للاجتماع والاتفاق في الدين وهي جملة معترضة بين بها شركة النساء مع الرجال فيما
وعد للعمال روي ان ام سلمة قالت يا رسول الله انى اسمع الله يذكر الرجال في الهجرة ولا يذكر النساء فنزلت
فالذين هاجروا الى آخره تفصيل لاعمال العمال وما اعد لهم من الثواب على سبيل المدح والتعظيم و
المعنى فالذين هاجروا الشرك والاوطان والعشائر للدين واخرجوا من ديارهم واوذوا
في سبيلي بسبب ايمانهم بالله ومن اجله وقاتلوا الكفار وقتلوا في الجهاد وقرأ حمزة والكسائي
بالعكس لان الواو لا توجب ترتيبا والثاني افضل او لان المراد لما قتل منهم قوم قاتل الباقون ولم يضعفوا وشدد
ابن كثير وابن عامر قتلوا للتكثير لاكفرن عنهم سيئاتهم لامحونها ولادخلنهم جنات
تجري من تحتها الانهار ثوابا من عند الله اى اثيبهم بذلك اثابة من عند الله تفضلا
منه فهو مصدر مؤكد والله عنده حسن الثواب على الطاعات قادر عليه لا يغرنك
تقلب الذين كفروا في البلاد الخطاب للنبي والمراد امته او تثبيته على ما كان عليه
كقوله ولا تطع المكذبين او لكل احد والنهي في المعنى للمخاطب وانما جعل للتقلب تنزيلا للسبب منزلة المسبب
للمبالغة والمعنى لا تنظر الى ما الكفرة عليه من السعة والحظ ولا تغتر بظاهر ما ترى من تبسطهم في مكاسبهم ومتاجرهم

ومزارعهم

ومزارعهم روي ان بعض المؤمنين كانوا يرون المشركين في رخاء ولين عيش فيقولون ان اعداء الله فيما
نرى من الخير وقد هلكنا من الجوع والجهد فنزلت متاع قليل خبر مبتدأ محذوف اى ذلك
التقلب متاع قليل لقصر مدته او في جنب ما اعد الله للمؤمنين قال عم ما الدنيا في الآخرة الا مثل ما يجعل
احدكم اصبعه في اليم فلينظر بم يرجع ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد اى ما مهدوا لانفسهم
لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجري من تحتها الانهار
خالدين فيها نزلا من عند الله النزل والنزل ما يعد للنازل من طعام وشراب وصلة
قال ابو الشعر الضبي وكنا اذا الجبار بالجيش ضافنا جعلنا القنا والمرهفات له نزلا وانتصابه على الحال
من جنات والعامل فيها الظرف وقيل انه مصدر مؤكد والتقدير انزلوه نزلا وما عند الله لكثرته
ودوامه خير للابرار مما يتقلب فيه الفجار لقلته وسرعة زواله وان من اهل الكتاب
لمن يؤمن بالله نزلت في عبد الله بن سلام واصحابه وقيل في اربعين من نجران واثنين وثلثين من الحبشة و
ثمانية من الروم كانوا نصارى فاسلموا وقيل في اصحمة النجاشي لما نعاه جبرئيل الى رسول الله صلعم فخرج فصلى عليه فقال
المنافقون انظروا الى هذا يصلي على علج نصراني لم يره قط وانما دخلت اللام على الاسم للفصل بينه وبين ان
بالظرف وما انزل اليكم من القرآن وما انزل اليهم من الكتابين خاشعين لله حال من
فاعل يؤمن وجمعه باعتبار المعنى لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا كما يفعله المحرفون
من احبارهم اولئك لهم اجرهم عند ربهم ما خص بهم من الاجر ووعده في قوله تعالى اولئك
يؤتون اجرهم مرتين ان الله سريع الحساب لعلمه بالاعمال وما يستوجبه من الجزاء واستغنائه عن
التأمل والاحتياط والمراد ان الاجر الموعود سريع الوصول فان سرعة الحساب تستدعي سرعة الجزاء يا ايها
الذين آمنوا اصبروا على مشاق الطاعات وما يصيبكم من الشدائد وصابروا وغالبوا
اعداء الله في الصبر على شدائد الحرب واعدى عدوكم في الصبر على مخالفة الهوى وتخصيصه بعد الامر بالصبر مطلقا
لشدته ورابطوا ورابطوا ابدانكم وخيولكم في الثغور مترصدين للغزو وانفسكم على الطاعة كما قال عم
من الرباط انتظار الصلوة بعد الصلوة وعنه من رابط يوما وليلة في سبيل الله كان كعدل صيام شهر رمضان
وقيامه لا يفطر ولا ينفتل عن صلوته الا لحاجة واتقوا الله لعلكم تفلحون فاتقوه بالتبري
عما سواه لكي تفلحوا غاية الفلاح او اتقوا القبائح لعلكم تفلحون بنيل المقامات الثلث المرتبة التي هي الصبر على مضض الطاعات
ومصابرة النفس في رفض العادات ومرابطة السر على جناب الحق لترصد الواردات المعبر عنها بالشريعة والطريقة و
الحقيقة عن النبي صلعم من قرأ سورة آل عمران اعطي بكل حرف منها امانا على جسر جهنم وعنه عم من قرأ السورة التي يذكر

تم آل عمران يوم الجمعة [illegible]

سورة النساء وهي مائة وخمس وسبعون اية

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الناس خطاب يعم بني ادم اتقوا ربكم الذي
خلقكم من نفس واحدة هي ادم وخلق منها زوجها عطف على
خلقكم اي خلقكم من شخص واحد وخلق منها امكم حوا من ضلع من اضلاعه او محذوف تقديره من نفس واحدة خلقها و
خلق منها زوجها وهو تقرير لخلقهم من نفس واحدة وبث منهما رجالا كثيرا
ونساء بيان لكيفية تولدهم منهما والمعنى ونشر من تلك النفس والزوج المخلوقة منها بنين وبنات كثيرة
واكتفى بوصف الرجال بالكثرة عن وصف النساء بها اذ الحكمة تقتضي ان يكون اكثر وذكر كثيرا حملا على الجمع وترتيب
الامر بالتقوى على هذه القصة لما فيها من الدلالة على القدرة القاهرة التي من حقها ان تخشى والنعمة الباهرة التي
توجب طاعة مولاها او لان المراد به تمهيد الامر بالتقوى فيما يتصل بحقوق اهل منزله وبني جنسه على ما دلت عليه الايات
التي بعدها وقرئ وخالق وباث على حذف مبتدا تقديره وهو خالق وباث واتقوا الله الذي
تساءلون به اي يسال بعضكم بعضا فيقول اسالك بالله واصله تتساءلون فادغمت التاء الثانية في السين وقرا
عاصم وحمزة والكسائي بطرحها والارحام بالنصب عطف على محل الجار والمجرور كقولك مررت بزيد و
عمرا او على الله اي اتقوا الله واتقوا الارحام فصلوها ولا تقطعوها وقرا حمزة بالجر عطفا على الضمير المجرور وهو ضعيف
لانه كبعض الكلمة وقرئ بالرفع على انه مبتدا محذوف الخبر تقديره والارحام كذلك اي مما يتقى او يتساءل به وقد
نبه سبحانه اذ قرن الارحام باسمه على ان صلتها بمكان منه وعنه عليه السلام الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلني وصله الله
ومن قطعني قطعه الله ان الله كان عليكم رقيبا حافظا مطلعا وآتوا اليتامى اموالهم
اي اذا بلغوا واليتامى جمع يتيم وهو الذي مات ابوه من اليتم وهو الانفراد ومنه الدرة اليتيمة اما على انه
جرى مجرى الاسماء كفارس وصاحب فجمع على يتائم ثم قلب فقيل يتامى او على انه جمع على يتمى كاسرى لانه من
باب الآفات ثم جمع يتمى على يتامى كاسرى واسارى والاشتقاق يقتضي وقوعه على الصغار والكبار لكن
العرف خصصه بمن لم يبلغ وورده في الاية اما للبالغين على الاصل او الاتساع لقرب عهدهم بالصغر حثا على
ان يدفع اليهم اموالهم اول بلوغهم قبل ان يزول عنهم هذا الاسم ان اونس منهم الرشد ولذلك امر بابتلائهم
صغارا او لغير البالغ والحكم مقيد فكانه قال وآتوهم اذا بلغوا ويؤيد الاول ما روي ان رجلا من غطفان
كان معه مال كثير لابن اخ له يتيم فلما بلغ طلب المال منه فمنعه فنزلت فلما سمعها العم قال اطعنا الله ورسوله
نعوذ بالله من الحوب الكبير ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تستبدلوا الحرام
بالحلال من اموالكم بره او الامر الخبيث وهو اختزال اموالهم بالامر الطيب الذي هو حفظها وقيل ولا تاخذوا

من اموالهم صح

الرفيع من اموالهم وتعطوا الخسيس مكانها وهذا تبديل وليس بتبدل ولا تاكلوا اموالهم الى
اموالكم ولا تاكلوها مضمومة الى اموالكم اي لا تنفقوهما معا ولا تسووا بينهما وهذا حلال وذاك حرام
وهو فيما زاد على قدر اجرة لقوله تعالى فلياكل بالمعروف انه الضمير للاكل كان حوبا كبيرا
ذنبا عظيما وقرئ حَوبا وهو مصدر حاب حوبا وحابا كقال قولا وقالا وان خفتم ان لا
تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء اي ان خفتم ان لا تعدلوا
في يتامى النساء اذا تزوجتم بهن فتزوجوا ما طاب من غيرهن اذ كان الرجل يجد يتيمة ذات مال وجمال فيتزوجها
ضنا بها فربما يجتمع عنده منهن عدد ولا يقدر على القيام بحقوقهن او ان خفتم ان لا تعدلوا في حقوق اليتامى فتحرجتم
منها فخافوا ايضا الا تعدلوا بين النساء وانكحوا مقدارا يمكنكم الوفاء بحقه لان المتحرج من الذنب ينبغي ان يتحرج الذنوب
كلها على ما روي انه تعالى لما عظم امر اليتامى تحرجوا من ولايتهم وما كانوا يتحرجون من كثرة النساء واضاعتهن فنزلت
وقيل كانوا يتحرجون من ولاية اليتامى ولا يتحرجون من الزنا فقيل لهم ان خفتم ان لا تعدلوا في امر اليتامى فخافوا
الزنا فانكحوا ما طاب لكم وانما عبر عنهن بما ذهابا الى الصفة واجراء لهن مجرى غير العقلا لنقصان عقلهن ونظيره او
ما ملكت ايمانكم وقرئ تقسطوا بفتح التاء على ان لا مزيدة اي ان خفتم ان تجوروا مثنى وثلاث
ورباع معدولة عن اعداد مكررة ثنتين ثنتين وثلاث ثلاث واربع اربع وهي غير منصرفة للعدل و
الصفة فانها بنيت صفات وان كانت اصولها لم تبن لها وقيل لتكرير العدل فانها معدولة باعتبار الصيغة و
التكرير منصوبة على الحال من فاعل طاب ومعناها الاذن لكل ناكح يريد الجمع ان ينكح ما شاء من العدد المذكور متفقين فيه
ومختلفين كقولك اقتسموا هذه البدرة درهمين درهمين وثلاثة ثلاثة ولو افردت كان المعنى تجويز الجمع بين هذه الاعداد
دون التوزيع ولو ذكرت باو لذهب تجويز الاختلاف في العدد فان خفتم ان لا تعدلوا بين هذه الاعداد ايضا
فواحدة فاختاروا او فانكحوا واحدة وذروا الجمع وقرئ بالرفع على انه فاعل محذوف او خبره تقديره فتكفيكم
واحدة او فالمقنع واحدة او ما ملكت ايمانكم سوى بين الواحدة من الازواج والعدد من السراري
لخفة مؤنتهن وعدم وجوب القسم بينهن ذلك اي التقليل منهن او اختيار الواحدة او التسري ادنى ان لا
تعولوا اقرب من ان لا تميلوا من قولهم عال الميزان اذا مال وعال الحاكم اذا جار وعول الفريضة الميل عن حد السهام
المسماة وفسر بان لا تكثر عيالكم على انه من عال الرجل عياله يعولهم اذا مانهم فعبر عن كثرة العيال بكثرة المؤنة على الكناية
ويؤيده قراءة ان لا تعيلوا من اعال الرجل اذا كثر عياله ولعل المراد بالعيال الازواج وان اريد الاولاد فلان التسري
مظنة قلة الولد بالاضافة الى التزوج لجواز العزل فيه كتزوج الواحدة بالاضافة الى تزوج الاربع وآتوا
النساء صدقاتهن مهورهن وقرئ بفتح الصاد وسكون الدال على التخفيف وبضم الصاد وسكون الدال

جمع صدقة كغرفة وبضمها على التوحيد وهو تثقيل صدقة كظلمة في ظلمة نحلة عطية يقال نحله كذا نحلة ونحلا
إذا أعطاه إياه عن طيب نفس بلا توقع عوض ومن فسرها بالفريضة ونحوها نظر إلى مفهوم الآية لا إلى موضع اللفظ
ونصبها على المصدر لأنها بمعنى الإيتاء أو الحال من الواو أو الصدقات أي آتوهن صدقاتهن ناحلين أو منحولة
وقيل المعنى نحلة من الله وتفضلا منه عليهن فيكون حالا من الصدقات وقيل ديانة من قولهم انتحل فلان كذا إذا دان
على أنه مفعول له أو حال من الصدقات أي دينا من الله شرعه والخطاب للأزواج وقيل للأولياء لأنهم كانوا
يأخذون مهور مولياتهم فإن طبن لكم عن شيء منه نفسا الضمير للصداق حملا على المعنى أو يجري
مجرى اسم الإشارة كقول رؤبة في قوله كأنه في الجلد توليع البهق أردت كأن ذاك وقيل للإيتاء ونفسا تمييز
لبيان الجنس ولذلك وحد والمعنى فإن وهبن لكم من الصداق عن طيب نفس لكن جعل العمدة طيب النفس للمبالغة
وعداه بعن لتضمن معنى التجافي والتجاوز وقال منه بعثا لهن على تقليل الموهوب فكلوه هنيئا
مريئا فخذوه وأنفقوه حلالا بلا تبعة والهنيء والمريء صفتان من هنؤ الطعام ومرؤ إذا ساغ من غير غصص
أقيمتا مقام مصدريهما أو وصف بهما المصدر أو جعلتا حالا من الضمير وقيل الهنيء ما يلذه الإنسان والمريء
ما تحمد عاقبته روي أن ناسا كانوا يتأثمون أن يقبل أحدهم من زوجته شيئا مما ساق إليها فنزلت ولا
تؤتوا السفهاء أموالكم نهي للأولياء عن أن يؤتوا الذين لا رشد لهم أموالهم فيضيعوها
وإنما أضاف المال إلى الأولياء لأنها في تصرفهم وتحت ولايتهم وهو الملائم للآيات المتقدمة والمتأخرة وقيل
نهي لكل أحد أن يعمد إلى ما خوله الله من المال فيعطي امرأته وأولاده ثم ينظر إلى أيديهم وإنما سماهم سفهاء استخفافا
بعقلهم واستهجانا لجعلهم قواما على أنفسهم وهو أوفق لقوله التي جعل الله لكم قياما
أي تقومون بها وتنتعشون وعلى الأول يؤول بأنها التي من جنس ما جعل الله لكم قياما سمي ما به القيام قياما للمبالغة
وقرأ نافع وابن عامر قيما بمعناه كعوذ بمعنى عياذ وقرئ قواما وهو ما يقام به وارزقوهم فيها و
اكسوهم واجعلوها مكانا لرزقهم وكسوتهم بأن تتجروا فيها وتحصلوا من نفعها ما يحتاجون إليه وقولوا
لهم قولا معروفا عدة جميلة تطيب بها نفوسهم والمعروف ما عرفه الشرع أو العقل بالحسن والمنكر ما أنكره
أحدهما لقبحه وابتلوا اليتامى اختبروهم قبل البلوغ بتتبع أحوالهم في صلاح الدين والتهدي إلى
ضبط المال وحسن التصرف بأن يكل إليه مقدمات العقد وعند أبي حنيفة رضه بأن يدفع إليه ما يتصرف فيه
حتى إذا بلغوا النكاح حتى إذا بلغوا حد البلوغ بأن يحتلم أو يستكمل خمسة عشر سنة عندنا لقوله عم إذا
استكمل المولود خمسة عشر سنة كتب ما له وما عليه وأقيمت عليه الحدود وثمانية عشر عند أبي حنيفة وبلوغ النكاح كناية
عن البلوغ لأنه يصلح للنكاح عنده فإن آنستم منهم رشدا فإن أبصرتم منهم رشدا وقرئ أحستم

بمعنى أحسستم فادفعوا إليهم أموالهم من غير تأخير عن حد البلوغ ونظم الآية أن الشرطية جواب إذا المتضمنة
معنى الشرط والجملة غاية الابتلاء فكأنه قيل وابتلوا اليتامى إلى وقت بلوغهم واستحقاقهم دفع أموالهم بشرط إيناس
الرشد منهم وهو دليل على أنه لا يدفع إليهم ما لم يؤنس منهم الرشد وقال أبو حنيفة رضه إذا زادت على سن البلوغ سبع
سنين وهي مدة معتبرة في تغير الأحوال إذ الطفل يميز بعدها ويؤمر بالعبادة دفع إليه المال وإن لم يؤنس منه الرشد و
لا تأكلوها إسرافا وبدارا أن يكبروا مسرفين ومبادرين كبرهم أو لإسرافكم ومبادرتكم كبرهم
ومن كان غنيا فليستعفف من أكلها ومن كان فقيرا فليأكل
بالمعروف بقدر حاجته وأجرة سعيه ولفظ الاستعفاف والأكل بالمعروف مشعر بأن الولي له حق
في مال الصبي وعنه عم أن رجلا قال له إن في حجري يتيما أفآكل من ماله قال بالمعروف غير متأثل مالا ولا واق مالك بماله
وإيراد هذا القسم بعد قوله ولا تأكلوها يدل على أنه نهي للأولياء أن يأخذوا وينفقوا على أنفسهم أموال اليتامى فإذا
دفعتم إليهم أموالهم فأشهدوا عليهم بأنهم قبضوها فإنه أنفى للتهمة وأبعد للخصومة ووجوب
الضمان وظاهره يدل على أن القيم لا يصدق في دعواه إلا بالبينة وهو المختار عندنا وهو مذهب مالك خلافا لأبي حنيفة
وكفى بالله حسيبا محاسبا فلا تخالفوا ما أمرتم ولا تجاوزوا ما حد لكم للرجال نصيب
مما ترك الوالدان والأقربون يريد بهم المتوارثين بالقرابة مما قل منه أو كثر
بدل مما ترك بإعادة العامل نصيبا مفروضا نصب على أنه مصدر مؤكد كقوله فريضة من الله أو حال إذ
المعنى ثابت لهم مفروضا نصيب أو على الاختصاص بمعنى أعني نصيبا مقطوعا واجبا لهم وفيه دليل على أن الوارث
لو أعرض عن نصيبه لم يسقط حقه روي أن أوس بن صامت الأنصاري خلف زوجته أم كحة وثلاث بنات فزوى
ابنا عمه سويد وعرفطة أو قتادة وعرفجة ميراثه عنهن على سنة الجاهلية فإنهم ما كانوا يورثون النساء والأطفال و
يقولون إنما يرث من يحارب ويذب عن الحوزة فجاءت أم كحة إلى رسول الله صلعم في مسجد الفضيخ فشكت إليه فقال
ارجعي حتى أنظر ما يحدث الله فنزلت فبعث إليهما لا تفرقا من مال أوس شيئا فإن الله قد جعل لهن نصيبا ولم
يبين حتى يبين فنزل يوصيكم الله فأعطى أم كحة الثمن والبنات الثلثين والباقي لابني العم وهو دليل على جواز
تأخير البيان عن الخطاب وإذا حضر القسمة أولو القربى ممن لا يرث واليتامى
والمساكين فارزقوهم منه فأعطوهم شيئا من المقسوم تطييبا لقلوبهم وتصدقا
عليهم وهو أمر ندب للبلغ من الورثة وقيل أمر وجوب ثم اختلف في نسخه والضمير لما ترك أو ما دل عليه القسمة و
قولوا لهم قولا معروفا وهو أن يدعوا لهم ويستقلوا ما أعطوهم ولا يمنوا عليهم وليخش
الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم أمر للأوصياء

بان يخافوا الله ويتقوه في امر اليتامى فيفعلوا بهم ما يحبون ان يفعلوا بذراريهم الضعاف بعد وفاتهم او للحاضرين المريض عند الايصاء
بان يخشوا ربهم او يخشوا على اولاد المريض فيشفقوا عليهم شفقتهم على اولادهم فلا يتركوه ان يضربهم بصرف المال عنهم او
للورثة بالشفقة على من حضر القسمة من ضعفاء الاقارب واليتامى والمساكين متصورين انهم لو كانوا اولادهم
بقوا خلفهم ضعافا مثلهم هل يجوزون حرمانهم او للموصين بان ينظروا للورثة فلا يسرفوا في الوصية ولو بما في
حيزه جعل صلة للذين على معنى وليخش الذين حالهم وصفتهم انهم لو شارفوا ان يخلفوا ذرية ضعافا خافوا
عليهم الضياع وفي ترتيب الامر عليه اشارة الى المقصود منه والعلة فيه وبعث على الترحم وان يحب لاولاد
غيره ما يحب لاولاده وتهديد للمخالف بحال اولاده **فليتقوا الله وليقولوا قولا**
سديدا امرهم بالتقوى الذي هو غاية الخشية بعدما امرهم بها مراعاة للمبتدا والمنتهى اذ لا ينفع الاول
دون الثاني ثم امرهم ان يقولوا لليتامى مثل ما يقولون لاولادهم بالشفقة وحسن الادب او للمريض ما يصده عن الاسراف
في الوصية وتضييع الورثة وتذكر التوبة وكلمة الشهادة او لحاضر القسمة عذرا جميلا ووعدا حسنا او ان يقولوا
في الوصية ما لا يؤدي الى مجاوزة الثلث وتضييع الورثة **ان الذين ياكلون اموال اليتامى**
ظلما ظالمين او على وجه الظلم **انما ياكلون في بطونهم** ملء بطونهم **نارا** ما يجر
الى النار ويؤول اليها وعن ابي هريرة رضه انه عم قال يبعث الله قوما من قبورهم تتاجج افواههم نارا
فقيل من هم فقال الم تر ان الله يقول ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما انما ياكلون في بطونهم نارا **و**
سيصلون سعيرا سيدخلون نارا واي نار وقرا ابن عامر وابن عياش عن عاصم بضم اليا مخففا
وقرئ به مشددا يقال صلى النار قاسى حرها وصليته شويته واصليته القيته فيها والسعير فعيل بمعنى
مفعول من سعرت النار اذا الهبتها **يوصيكم الله** يامركم ويعهد اليكم **في اولادكم**
في شان ميراثهم وهو اجمال تفصيله **للذكر مثل حظ الانثيين** اي يعد كل ذكر
بانثيين حيث اجتمع الصنفان فيضعف نصيبه وتخصيص الذكر بالتنصيص على حظه لان القصد الى بيان فضله
والتنبيه على ان التضعيف كاف للتفضيل فلا يحرمن بالكلية وقد اشتركا في الجهة والمعنى للذكر منهم فحذف
للعلم به **فان كن نساء** اي ان كان الاولاد نساء خلصا ليس معهن ذكر فانث الضمير
باعتبار الخبر او على تاويل المولودات **فوق اثنتين** خبر ثان او صفة لنساء اي نساء زائدات
على اثنتين **فلهن ثلثا ما ترك** المتوفى منكم ويدل عليه المعنى **وان كانت واحدة**
فلها النصف اي وان كانت المولودة واحدة وقرا نافع بالرفع على كان التامة واختلف في
البنتين فقال ابن عباس رضه حكمهما حكم الواحدة لانه تعالى جعل الثلثين لما فوقهما وقال الباقون حكمهما

حكم ما فوقهما لانه تعالى لما بين ان حظ الذكر مثل حظ الانثيين اذا كان معه انثى وهو الثلثان اقتضى ذلك ان فرضهما الثلثان
ثم لما اوهم ذلك ان يزاد النصيب بزيادة العدد رد ذلك بقوله فان كن نساء فوق اثنتين ويؤيد ذلك ان البنت
الواحدة لما استحقت الثلث مع اخيها فبالحري ان تستحقه مع اخت مثلها وان البنتين امس رحما من الاختين وقد فرض
لهما الثلثين بقوله فلهما الثلثان مما ترك **ولابويه** ولابوي الميت **لكل واحد منهما** بدل منه
بتكرير العامل وفائدته التنصيص على استحقاق كل واحد منهما السدس والتفصيل بعد الاجمال تاكيد **السدس**
مما ترك ان كان له للميت **ولد** ذكر او انثى غير ان الاب ياخذ السدس مع الانثى بالفريضة
وما بقي من ذوي الفروض ايضا بالعصوبة **فان لم يكن له ولد وورثه ابواه** فحسب
فلامه الثلث مما ترك وانما لم يذكر حصة الاب لانه لما فرض ان الوارث ابواه فقط وعين نصيب الام علم ان
الباقي للاب وكانه قال فلهما ما ترك اثلاثا وعلى هذا ينبغي ان يكون لها حيث كان معهما احد الزوجين ثلث ما بقي من فرضه كما قال
الجمهور لا ثلث المال كما قال ابن عباس رضه فانه يفضي الى تفضيل الانثى على الذكر المساوي لها في الجهة والقرب وهو خلاف
وضع الشرع **فان كان له اخوة فلامه السدس** باطلاقه يدل على ان الاخوة يردونها
من الثلث الى السدس وان كانوا لا يرثون مع الاب وعن ابن عباس رضي الله عنهما انهم ياخذون السدس الذي حجبوا عنه الام
والجمهور على ان المراد بالاخوة عدد ممن له اخوة من غير اعتبار التثليث سواء كان من الاخوة او الاخوات وقال ابن عباس
لا يحجب الام من الثلث ما دون الثلثة ولا الاخوات الخلص اخذا بالظاهر وقرا حمزة والكسائي فلامه بكسر الهمزة اتباعا
للكسرة التي قبلها **من بعد وصية يوصي بها او دين** متعلق بما تقدمه من قسمة المواريث كلها
اي هذه الانصباء للورثة من بعد ما كان من وصية او دين وانما قال باو التي للاباحة دون الواو للدلالة على انهما متساويان
في الوجوب متقدمان على القسمة مجموعين ومفردين وقدم الوصية على الدين وهي متاخرة في الحكم لانها مشبهة بالميراث
شاقة على الورثة مندوب اليها الجميع والدين انما يكون على الندرة وقرا ابن كثير وابن عامر وابو بكر يوصى بفتح الصاد
اباؤكم وابناؤكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا اي لا تعلمون من انفع
لكم ممن يرثكم من اصولكم وفروعكم في عاجلكم واجلكم فتحروا فيهم ما وصاكم الله به ولا تعمدوا الى تفضيل بعض وحرمانه
روي ان احد المتوالدين اذا كان ارفع درجة من الاخر في الجنة سال ان يرفع اليه فيرفع بشفاعته او من مورثيكم منهم او من اوصى منهم
فعرضكم للثواب بامضاء وصيته ام من لم يوص فوفر عليكم ماله فهو اعتراض مؤكد لامر القسمة او تنفيذ الوصية
فريضة من الله مصدر مؤكد او مصدر يوصيكم الله لانه في معنى يامركم ويفرض عليكم **ان الله**
كان عليما بالمصالح والرتب **حكيما** فيما قضى وقدر **ولكم نصف ما**
ترك ازواجكم ان لم يكن لهن ولد فان كان لهن ولد فلكم

الربع مما تركن اي له وارث من بطنها او من صلب بنيها او بني بنيها وان سفل ذكرا كان او انثى
منكم او من غيركم من بعد وصية يوصين بها او دين ولهن الربع مما
تركتم ان لم يكن لكم ولد فان كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم
من بعد وصية توصون بها او دين فرض للرجل بحق الزواج ضعف ما للمراة كما
في النسب وهكذا قياس كل رجل وامراة اشتركا في الجهة والقرب ولا يستثنى منه الا اولاد الام والمعتق والمعتقة
ويستوي الواحدة والعدد منهن في الربع والثمن وان كان رجل اي الميت يورث اي يورث
منه من ورث صفة رجل كلالة خبر كان او يورث خبر وكلالة حال من الضمير فيه وهو من لم يخلف
ولدا ولا والدا او مفعول له والمراد بها قرابة ليست من جهة الوالد والولد ويجوز ان يكون الرجل الوارث ويورث
من اورث وكلالة من ليس بوالد ولا ولد وقرئ يورث على البناء للفاعل فالرجل الميت وكلالة يحتمل المعاني
الثلثة وعلى الاول خبر او حال وعلى الثاني مفعول له وعلى الثالث مفعول به وهي في الاصل مصدر بمعنى الكلال
قال الاعشى فآليت لا ارثي لها من كلالة ولا من حفى حتى الاقي محمدا فاستعيرت لقرابة ليست بالبعضية
لانها كلالة بالاضافة اليها ثم وصف بها المورث والوارث بمعنى ذي كلالة كقولك فلان من قرابتي او
امرأة عطف على رجل وله اي وللرجل واكتفى بحكمه عن حكم المراة لدلالة العطف على تشاركهما فيه
اخ او اخت اي من الام ويدل عليه قراءة ابي وسعد بن مالك وله اخ او اخت من الام وانه ذكر
في اخر السورة ان للاختين الثلثين وللاخوة الكل وهو لا يليق باولاد الام وان ما قدر ههنا فرض الام فيناسب ان يكون
لاولادها فلكل واحد منهما السدس فان كانوا اكثر من ذلك
فهم شركاء في الثلث سوى بين الذكر والانثى في القسمة لان الادلاء بمحض الانوثة ومفهوم
الاية انهم لا يرثون ذلك مع الام والجدة كما لا يرثون مع البنت وبنت الابن فخص فيه بالاجماع من
بعد وصية يوصى بها او دين غير مضار اي غير مضار لورثته بالزيادة على
الثلث وقصد المضارة بالوصية دون القربة والاقرار بدين لا يلزمه وهو حال من فاعل يوصى المذكور
في هذه القراءة والمدلول عليه بقوله يوصى على البناء للمفعول في قراءة ابن كثير وابن عامر وعاصم وصية
من الله مصدر موكد او منصوب بغير مضار على المفعول به ويؤيده انه قرئ غير مضار وصية بالاضافة
اي لا يضار وصية من الله وهو الثلث فما دونه بالزيادة او وصيته منه بالاولاد بالاسراف في الوصية والاقرار
الكاذب والله عليم بالمضار وغيره حليم لا يعاجل بعقوبته تلك اشارة الى الاحكام التي
تقدمت في امر اليتامى والوصايا والمواريث حدود الله شرائعه التي هي كالحدود المحدودة التي لا يجوز مجاوزتها

ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الانهار
خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ومن يعص الله ورسوله و
يتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين توحيد الضمير
في يدخله وجمع خالدين للفظ والمعنى وقرأ نافع وابن عامر ندخله بالنون وخالدين حال مقدرة كقولك مررت
برجل معه صقر صائدا به غدا وكذلك خالدا وليسا صفتين لجنات ونارا والا لوجب ابراز الضمير لانهما جريا على غير
من هما له واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم اي يفعلنها يقال اتى الفاحشة وجاءها وغشيها
ورهقها اذا فعلها والفاحشة الزنا لزيادة قبحها وشناعتها فاستشهدوا عليهن اربعة منكم
فاطلبوا ممن قذفهن اربعة من رجال المؤمنين تشهد عليهن فان شهدوا فامسكوهن في البيوت
فاحبسوهن في البيوت واجعلوها سجنا عليهن حتى يتوفاهن الموت يستوفي ارواحهن الموت او يتوفاهن
ملائكة الموت قيل كان ذلك عقوبتهن في اوائل الاسلام فنسخ بالحد ويحتمل ان يكون المراد به التوصية بامساكهن بعد ان
يجلدن كيلا يجري عليهن ما جرى بسبب الخروج والتعرض للرجال ولم يذكر الحد استغناء بقوله الزانية والزاني او
يجعل الله لهن سبيلا كتعيين الحد المخلص عن الحبس او النكاح المغني عن السفاح واللذان يأتيانها
منكم يعني الزاني والزانية وقرأ ابن كثير واللذان بتشديد النون وتمكين مد الالف والباقون بالتخفيف من غير
تمكين فآذوهما بالتوبيخ والتقريع وقيل بالتعيير والجلد فان تابا واصلحا فاعرضوا
عنهما فاقطعوا عنهما الايذاء او اعرضوا عنهما بالاغماض والستر ان الله كان توابا رحيما علة الامر
بالاعراض وترك المذمة قيل هذه الاية سابقة على الاولى نزولا وكان عقوبة الزناة الاذى ثم الحبس ثم الجلد وقيل
الاولى في السحاقات وهذه في اللواطين والزانية والزاني في الزناة انما التوبة على الله اي ان قبول التوبة
كالمحتوم على الله بمقتضى وعده من تاب عليه اذا قبل توبته للذين يعملون السوء بجهالة متلبسين
بها سفها فان ارتكاب الذنب سفه وتجاهل ولذلك قيل من عصى الله فهو جاهل حتى ينزع من جهالته ثم يتوبون
من قريب اي من زمان قريب اي قبل حضور الموت لقوله تعالى حتى اذا حضر احدهم الموت وقوله ان الله يقبل
توبة عبده ما لم يغرغر وسماه قريبا لان امد الحيوة قريب لقوله قل متاع الدنيا قليل او قبل ان تشرب في قلوبهم حبه فيطبع
عليها فيتعذر عليهم الرجوع ومن للتبعيض اي يتوبون في اي جزء من الزمان القريب الذي هو ما قبل ان ينزل بهم سلطان
الموت او يزين السوء فاولئك يتوب الله عليهم وعد بالوفاء بما وعد به وكتب على نفسه بقوله
انما التوبة على الله وكان الله عليما فهو يعلم باخلاصهم في التوبة حكيما والحكيم لا يعاقب
التائب وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم

الموت قال اني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار سوى بين
من سوف التوبة الى حضور الموت من الفسقة والكفار وبين من مات على الكفر في نفي التوبة للمبالغة في عدم الاعتداد
بها في تلك الحالة وكأنه قال وتوبة هؤلاء وعدم توبة هؤلاء سواء وقيل المراد بالذين يعملون السوء عصاة المؤمنين
وبالذين يعملون السيئات المنافقون لتضاعف كفرهم وسوء اعمالهم وبالذين يموتون الكفار اولئك
اعتدنا لهم عذابا اليما تأكيد لعدم قبول توبتهم وبيان ان العذاب اعده لهم لا يعجزه عذابهم
متى شاء والاعتاد التهيئة من العتاد وهو العدة وقيل اصله اعددنا فابدلت الدال الاولى تاء يا ايها
الذين آمنوا لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها كان الرجل اذا مات وله عصبة القى
ثوبه على امرأته وقال انا احق بها ثم ان شاء تزوجها بصداقها الاول وان شاء زوجها غيره واخذ صداقها
وان شاء عضلها لتفتدي بما ورثت من زوجها فنهوا عن ذلك وقيل لا يحل لكم ان تأخذوهن على سبيل الارث
فتزوجوهن كارهات لذلك او مكرهات عليه وقرأ حمزة والكسائي كرها بالضم في مواضعه وهما لغتان وقيل
بالضم المشقة وبالفتح ما يكره عليه ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن
عطف على ان ترثوا ولا لتأكيد النفي اي ولا تمنعوهن من التزويج واصل العضل التضييق يقال عضلت الدجاجة
ببيضها وقيل الخطاب مع الازواج كانوا يحبسون النساء من غير حاجة ورغبة حتى يرثوا منهن او يختلعن بمهورهن
وقيل تم الكلام بقوله كرها ثم خاطب الازواج ونهاهم عن العضل الا ان يأتين بفاحشة
مبينة كالنشوز وسوء العشرة وعدم التعفف والاستثناء من اعم عام الظرف او المفعول له تقديره
لا تعضلوهن للافتداء الا وقت ان يأتين بفاحشة او لا تعضلوهن لعلة الا ان يأتين بفاحشة وقرأ ابن كثير وابو بكر
بفاحشة مبينة هنا وفي الاحزاب والطلاق بفتح الياء والباقون بكسرها فيهن وعاشروهن
بالمعروف بالانصاف في الفعل والاجمال في القول فان كرهتموهن فعسى
ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا اي فلا تفارقوهن
لكراهة النفس فانها قد تكره ما هو اصلح دينا واكثر خيرا وقد تحب ما هو بخلافه وليكن نظركم الى ما هو اصلح
للدين وادنى الى الخير وعسى في الاصل علة الجزاء فاقيم مقامه والمعنى فان كرهتموهن فاصبروا عليهن
فعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وان اردتم استبدال زوج مكان زوج
تطليق امرأة وتزوج اخرى وآتيتم احداهن اي احدى الزوجات جمع الضمير لانه اراد
بالزوج الجنس قنطارا مالا كثيرا فلا تأخذوا منه شيئا اي من القنطار أتأخذونه
بهتانا واثما مبينا استفهام انكار وتوبيخ اي أتأخذونه باهتين وآثمين ويحتمل النصب على العلة

كما في قولك قعدت عن الحرب جبنا لان الاخذ بسبب بهتانهم واقترافهم المآثم قيل كان الرجل منهم اذا اراد جديدة بهت التي
تحته بفاحشة حتى يلجئها الى الافتداء منه بما اعطاها ليصرفه الى تزوج الجديدة فنهوا عن ذلك والبهتان الكذب الذي
يبهت المكذوب عليه وقد يستعمل في الفعل الباطل ولذلك فسر هنا بالظلم وكيف تأخذونه
وقد افضى بعضكم الى بعض انكار لاسترداد المهر والحال انه وصل اليها بالملامسة ودخل بها وتقرر المهر
واخذن منكم ميثاقا غليظا عهدا وثيقا وهو حق الصحبة والممازجة او ما اوثق الله
عليهم في شأنهن بقوله فامساك بمعروف او تسريح باحسان او ما اشار اليه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله اخذتموهن بامانة الله واستحللتم
فروجهن بكلمة الله ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم ولا تنكحوا التي نكحها آباؤكم وانما ذكر ما دون من لانه اريد
به الصفة وقيل ما مصدرية على ارادة المفعول من المصدر من النساء بيان ما نكح على الوجهين الا ما قد
سلف استثناء من المعنى اللازم للنهي وكانه قيل وتستحقون العقاب بنكاح ما نكح آباؤكم الا ما قد سلف او من اللفظ
للمبالغة في التحريم والتعميم كقوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب والمعنى ولا تنكحوا حلائل
آبائكم الا ما قد سلف ان امكنكم ان تنكحوه وقيل الاستثناء منقطع ومعناه لكن ما قد سلف فانه لا مؤاخذة عليه لا انه مقرر
انه كان فاحشة ومقتا علة للنهي اي ان نكاحهن كان فاحشة عند الله ما رخص فيه لامة من الامم ممقوتا
عند ذوي المروات ولذلك سمي ولد الرجل من زوجة ابيه المقتي وساء سبيلا سبيل من يراه ويفعل
حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم واخواتكم وعماتكم و
خالاتكم وبنات الاخ وبنات الاخت ليس المراد تحريم ذاتهن بل تحريم نكاحهن لانه
معظم ما يقصد منهن ولانه المتبادر الى الفهم كتحريم الاكل من قوله حرمت عليكم الميتة ولان ما قبله وما بعده في النكاح
وامهاتكم يعم من ولدتك او ولد من ولدتك وان علت وبناتكم تتناول من ولدتها او ولدت من ولدها وان سفلت و
اخواتكم الاخوات من الاوجه الثلثة وكذلك الباقيات والعمة كل انثى ولدها من ولد ذكرا ولدك والخالة كل انثى ولدها
من ولد انثى ولدتك قريبا او بعيدا وبنات الاخ وبنات الاخت تتناول القريب والبعيد وامهاتكم
التي ارضعنكم واخواتكم من الرضاعة نزل الله الرضاعة منزلة النسب حتى سمى المرضعة اما و
المرضعة اختا وامرها على قياس النسب باعتبار المرضعة ووالد الطفل الذي در عليه اللبن قال عليه السلام يحرم من الرضاعة ما يحرم
من النسب واستثنى اخت ابن الرجل وام اخيه من الرضاع من هذا الاصل ليس بصحيح فان حرمتهما في النسب بالمصاهرة الا
النسب وامهات نسائكم وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي
دخلتم بهن ذكر اولا محرمات النسب ثم الرضاعة لانها لحمة كلحمة النسب ثم محرمات المصاهرة فان
تحريمهن عارض لمصلحة الزواج والربائب جمع ربيبة والربيب ولد المرأة من آخر سمي به لانه يربه كما يرب ولده

في غالب الامر فعيل بمعنى مفعول وانما لحقه التا لانه صار اسما ومن نسائكم متعلق بربائبكم واللاتي بصلتها صفة لها مقيدة اللفظ والحكم بالاجماع وتصنيف للنظم ولا يجوز تعليقها بالامهات ايضا لان من اذا علقتها بالربائب كانت ابتدائية وان علقتها بالامهات لم يجز ذلك بل وجب ان يكون بيانا لنسائكم والكلمة الوحدة لا تحمل على معنيين عند جمهور الادبا اللهم الا اذا جعلتها للاتصال كقوله اذا حاولت في اسد فجورا فاني لست منك ولست مني على معنى ان امهات النسا وبناتهن متصلات بهن لكن الرسول عم فرق بينهما فقال في رجل تزوج امراة فطلقها قبل ان يدخل بها انه لا باس ان يتزوج ابنتها ولا يحل له ان يتزوج امها واليه ذهب عامة العلما غير انه روي عن علي رض تقييد التحريم فيهما ولا يجوز ان يكون الموصول الثاني صفة للنسائين لان عاملهما مختلف وفائدة قوله في حجوركم تقوية العلة وتكميلها والمعنى ان الربائب اذا دخلتم بامهاتهن وهن في احتضانكم او بصدده قوي الشبه بينها وبين اولادكم وصارت احقا بان تجروها مجرى اولادكم لا تقييد الحرمة واليه ذهب جمهور العلما وقد روي عن علي رض جعله شرطا والامهات والربائب يتناول القريبة والبعيدة وقوله دخلتم بهن اي دخلتم معهن الستر كناية عن الجماع ويؤثر فيه ما ليس بزنا كالوطي بشبهة او ملك يمين وعند ابي حنيفة رح لمس المنكوحة ونحوه كالدخول **فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم** تصريح بعد اشعار دفعا للقياس **وحلائل ابنائكم** زوجاتهم سميت الزوجة حليلة لحلها او لحلولها مع الزوج **الذين من اصلابكم** احتراز عن المتبنين لا عن ابنا الولد **وان تجمعوا بين الاختين** في موضع الرفع عطفا على المحرمات والظاهر ان الحرمة غير مقصورة على النكاح فان المحرمات المعدودة كما هي محرمة في النكاح فهي محرمة في ملك اليمين ولذلك قال عثمان وعلي رضي الله عنهما حرمتهما اية واحلتهما اية يعنيان هذه الاية وقوله او ما ملكت ايمانكم فرجح علي التحريم وعثمان التحليل وقول علي اظهر لان اية التحليل مخصوصة في غير ذلك ولقوله عم ما اجتمع الحلال والحرام الا غلب الحرام **الا ما قد سلف** استثنا من لازم المعنى او منقطع معناه لكن ما سلف مغفور لقوله **ان الله كان غفورا رحيما والمحصنات من النساء** ذوات الازواج احصنهن التزويج او الازواج وقرا الكسائي في جميع القران غير هذا الحرف بكسر الصاد لانهن احصن فروجهن **الا ما ملكت ايمانكم** يريد ما ملكت ايمانهم من اللاتي سبين ولهن ازواج كفار فهن حلال للسابين والنكاح مرتفع بالسبي لقول ابي سعيد رض اصبنا سبايا يوم اوطاس ولهن ازواج فكرهنا ان نقع عليهن فسالنا النبي صلعم فنزلت الاية فاستحللناهن واياه عنى الفرزدق بقوله وذات حليل انكحتها رماحنا حلال لمن يبني بها لم تطلق وقال ابو حنيفة رح لو سبي الزوجان لم يرتفع النكاح ولم تحل للسابي واطلاق الاية والحديث حجة عليه **كتاب الله عليكم** مصدر مؤكد اي كتب الله عليكم تحريم هؤلا كتابا وقرئ كتب الله

بالجمع والرفع اي هذه فرايض الله عليكم وكتب الله بلفظ الفعل **واحل لكم ما وراء ذلكم** ما سوى المحرمات الثمان المذكورة وخص عنه بالسنة ما في معنى المذكورات كسائر محرمات الرضاع والجمع بين المراة وعمتها وخالتها **ان تبتغوا باموالكم محصنين غير مسافحين** مفعول له والمعنى احل لكم ما وراء ذلكم لان تبتغوا باموالكم الصرف في مهورهن او اثمانهن في حال كونكم محصنين غير مسافحين ويجوز ان لا يقدر مفعول تبتغوا وكانه قيل لان تصرفوا اموالكم محصنين غير مسافحين او بدل من ما وراء ذلكم بدل الاشتمال واحتج به الحنفية على ان المهر لا بد ان يكون مالا ولا حجة فيه والاحصان العفة فانها تحصن النفس عن اللوم والعقاب والسفاح الزنا من السفح وهو صب المني فانه الغرض منه **فما استمتعتم به منهن** فمن تمتعتم به من المنكوحات او فما استمتعتم به منهن من جماع او عقد عليهن **فاتوهن اجورهن** مهورهن فان المهر في مقابلة الاستمتاع **فريضة** حال من الاجور بمعنى مفروضة او صفة مصدر محذوف اي ايتاء مفروضا او مصدر مؤكد **ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة** فيما يزاد على المسمى او يحط عنه بالتراضي او فيما تراضيا به من نفقة او مقام او فراق وقيل نزلت الاية في المتعة التي كانت ثلثة ايام حين فتحت مكة ثم نسخت كما روي انه عم اباحها ثم اصبح يقول يا ايها الناس اني كنت امرتكم بالاستمتاع من هذه النسا الا ان الله حرم ذلك الى يوم القيمة وهي النكاح المؤقت بوقت معلوم سمي بها اذ الغرض منه مجرد الاستمتاع بالمراة او تمتيعها بما تعطى وجوزها ابن عباس رض ثم رجع عنه **ان الله كان عليما** بالمصالح **حكيما** فيما شرع من الاحكام **ومن لم يستطع منكم طولا** غنى واعتلا واصله الفضل والزيادة **ان ينكح المحصنات المومنات** في موضع النصب بطولا او بفعل مقدر صفة له اي ومن لم يستطع منكم ان يعتلي نكاح المحصنات او من لم يستطع غنى يبلغ به نكاح المحصنات يعني الحراير لقوله **فمن ما ملكت ايمانكم من فتياتكم المومنات** يعني الاما المومنات وظاهر الاية حجة للشافعي رض في تحريم نكاح الامة على من ملك ما يجعله صداق حرة ومنع نكاح الامة الكتابية مطلقا واول ابو حنيفة طول المحصنات بان يملك فراشهن على ان النكاح هو الوطي وحمل قوله من فتياتكم المومنات على الافضل كما حمل عليه في قوله المحصنات المومنات ومن اصحابنا من حمله ايضا على التقييد وجوز نكاح الامة لمن قدر على الحرة الكتابية دون المومنة حذرا عن مخالطة الكفار وموالاتهم والمحذور في نكاح الامة رق الولد وما فيه من المهانة ونقصان حق الزوج **والله اعلم بايمانكم** فاكتفوا بظاهر الايمان فانه العالم بالسراير وبتفاضل ما بينكم في الايمان فرب امة تفضل الحرة فيه ومن حقكم ان تعتبروا فضل الايمان لا فضل النسب والمراد تانيسهم بنكاح الاما ومنعهم من الاستنكاف منه ويؤيده **بعضكم من بعض** انتم وارقاؤكم متناسبون نسبكم من ادم ودينكم الاسلام **فانكحوهن باذن**

اهليهن يريد اربابهن واعتبار اذنهم مطلق لا اشعار له على ان لهن ان يباشرن العقد باذنهم حتى يحتج به الحنفية
وآتوهن اجورهن اى ادوا اليهن مهورهن باذن اهلهن فحذف ذلك لتقدم ذكره او الى مواليهن
فحذف المضاف للعلم بان المهر للسيد لانه عوض حقه فيجب ان يؤدى اليه وقال مالك رح المهر للامة ذهابا الى
الظاهر بالمعروف من غير مطل واضرار ونقصان محصنات عفائف غير مسافحات غير
مجاهرات بالسفاح ولا متخذات اخدان اخلاء فى السر فاذا احصن بالتزويج وقرا
ابو بكر وحمزة والكسائى بفتح الهمزة والباقون بضمها وكسر الصاد فان اتين بفاحشة زنا فعليهن
نصف ما على المحصنات يعنى الحرائر من العذاب من الحد لقوله وليشهد عذابهما
طائفة من المؤمنين وهو يدل على ان حد العبد نصف حد الحر وانه لا يرجم لان الرجم لا يتنصف ذلك اى
نكاح الاماء لمن خشى العنت منكم لمن خاف الوقوع فى الزنا وهو فى الاصل انكسار العظم بعد الجبر
مستعار لكل مشقة وضرر ولا ضرر اعظم من مواقعة الاثم بافحش القبائح وقيل المراد به الحد وهو شرط اخر لنكاح
الاماء وان تصبروا خير لكم اى وصبركم عن نكاح الاماء متعففين خير لكم قال عمر الحرائر صلاح البيت
والاماء هلاكه والله غفور لمن لم يصبر رحيم بان رخص له يريد الله ليبين لكم ما
تعبدكم به من الحلال والحرام او ما خفى عليكم من مصالحكم ومحاسن اعمالكم وليبين مفعول يريد واللام مزيدة لتاكيد
معنى الاستقبال اللازم للارادة كما فى قول قيس بن سعد اردت لكيما يعلم الناس انه سراويل قيس والوفود شهود
وقيل المفعول محذوف وليبين مفعول له اى يريد الحق لاجله ويهديكم سنن الذين من قبلكم
مناهج من تقدمكم من اهل الرشد لتسلكوا طريقهم ويتوب عليكم ويغفر لكم ذنوبكم او يرشدكم الى ما يمنعكم
عن المعاصى ويحثكم على التوبة او الى ما يكون كفارة لسيئاتكم والله عليم بها حكيم فى وضعها
والله يريد ان يتوب عليكم كرره للتاكيد والمقابلة ويريد الذين يتبعون الشهوات
يعنى الفجرة فان اتباع الشهوات الائتمار لها واما المتعاطى لما سوغه الشرع منها دون غيره فهو متبع له فى الحقيقة لا لها
وقيل المجوس وقيل اليهود فانهم يحلون الاخوات من الاب وبنات الاخ وبنات الاخت ان تميلوا
عن الحق ميلا بموافقتهم على اتباع الشهوات واستحلال المحرمات عظيما بالاضافة الى ميل من اقترف
خطيئة على ندور غير مستحل لها يريد الله ان يخفف عنكم فلذلك شرع لكم الشرعة الحنيفية
السمحة السهلة ورخص لكم فى المضايق كاحلال نكاح الامة وخلق الانسان ضعيفا لا يصبر
عن الشهوات ولا يتحمل مشاق الطاعات وعن ابن عباس رض ثمان آيات فى سورة النساء هن خير لهذه الامة
مما طلعت عليه الشمس وغربت هذه الثلث وان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه ان الله لا يغفر ان يشرك به ان الله

لا يظلم مثقال ذرة ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ما يفعل الله بعذابكم يا ايها الذين آمنوا لا
تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل بما لم يبحه الشرع كالغصب والربا والقمار الا ان تكون
تجارة عن تراض منكم استثناء منقطع اى ولكن كون تجارة عن تراض غير منهى عنه او اقصدوا كون تجارة
وعن تراض صفة لتجارة اى تجارة صادرة عن تراضى المتعاقدين وتخصيص التجارة من الوجوه التى يحل بها تناول مال
الغير لانها اغلب واوفق لذوى المروات ويجوز ان يراد بها الانتقال مطلقا وقيل المراد بالنهى المنع عن صرف المال
فيما لا يرضاه الله وبالتجارة صرفه فيما يرضاه وقرا الكوفيون تجارة بالنصب على كان الناقصة واضمار الاسم اى الا ان تكون
التجارة او الجهة تجارة ولا تقتلوا انفسكم بالبخع كما يفعله جهلة الهند او بالقاء النفس الى التهلكة ويؤيده
ما روى ان عمرو بن العاص رض تاول به التيمم لخوف البرد فلم ينكر عليه النبى صلعم او بارتكاب ما يؤدى الى قتلها او باقتراف
ما يذلها ويرديها فانه القتل الحقيقى للنفس وقيل المراد بالانفس من كان من اهل دينهم فان المؤمنين كنفس واحدة جمع فى التوصية
بين حفظ النفس والمال الذى هو شقيقها من حيث انه سبب قوامها استبقاء لهم ريثما تستكمل النفوس وتستوفى فضائلها رافة
بهم ورحمة كما اشار اليه بقوله ان الله كان بكم رحيما اى امر ما امر ونهى عما نهى لفرط رحمته عليكم معناه
كان بكم يا امة محمد رحيما لما امر بنى اسرائيل بقتل الانفس ونهاكم عنه ومن يفعل ذلك اشارة الى القتل او
ما سبق من المحرمات عدوانا وظلما افراطا فى التجاوز عن الحق واتيانا بما لا يستحقه وقيل اراد بالعدوان
التعدى على الغير وبالظلم ظلم النفس بتعريضها للعقاب فسوف نصليه نارا ندخله اياها و
قرئ بالتشديد من صلى وبفتح النون من صلاه يصليه ومنه شاة مصلية ويصليه بالياء والضمير لله او لذلك
من حيث انه سبب الصلى وكان ذلك على الله يسيرا لا عسر فيه ولا صارف عنه
ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه كبائر الذنوب التى نهاكم الله عنها ورسوله
وقرئ كبير على ارادة الجنس نكفر عنكم سيئاتكم نغفر لكم صغائركم ونمحها عنكم واختلف فى
الكبائر والاقرب ان الكبيرة كل ذنب رتب الشارع عليه حدا او صرح بالوعيد فيه وقيل ما علم حرمته
بقاطع وعن النبى صلعم انها سبع الاشراك بالله وقتل النفس التى حرم الله وقذف المحصنة واكل مال اليتيم و
الربا والفرار من الزحف وعقوق الوالدين وعن ابن عباس رض الكبائر الى سبعمائة اقرب منها الى سبع و
قيل اراد به هنا انواع الشرك لقوله ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك وقيل صغر الذنوب
وكبرها بالاضافة الى ما فوقها وما تحتها فاكبر الكبائر الشرك واصغر الصغائر حديث النفس وبينهما وسائط
يصدق عليها الامران فمن عن له امران ودعت نفسه اليهما بحيث لا يتمالك فكفها عن اكبرهما كفر عنه ما
ارتكبه لما استحق من الثواب على اجتناب الاكبر ولعل هذا مما يتفاوت باعتبار الاشخاص والاحوال

الا ترى انه تعالى عاتب نبيه في كثير من خطراته التي لم يعد على غيره خطيئة فضلا ان يواخذ عليها ويدخلكم مدخلا كريما الجنة وما وعد من الثواب او ادخالا مع كرامة وقرا نافع هنا وفي الحج بفتح الميم وهو ايضا يحتمل المكان والمصدر ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض من الامور الدنيوية كالجاه والمال فلعل عدمه خير والمقتضي للمنع كونه ذريعة الى التحاسد والتعادي معربة عن عدم الرضا بما قسم الله له وانه تشهي لحصول الشي له من غير طلب وهو مذموم لان تمني ما لم يقدر له معارضة لحكمة القدر وتمني ما قدر له بكسب بطالة وتضييع حظ وتمني ما قدر له بغير كسب ضايع ومحال للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن بيان لذلك اي لكل من الرجال والنساء فضل ونصيب بسبب ما اكتسب ومن اجله فاطلبوا الفضل بالعمل لا بالحسد والتمني كما قال عليه السلام ليس الايمان بالتمني وقيل المراد نصيب الميراث وتفضيل الورثة بعضهم على بعض فيه وجعل ما قسم لكل منهم على حسب ما عرف من حاله الموجبة للزيادة والنقص كالمكتسب له واسئلوا الله من فضله اي لا تتمنوا ما للناس واسئلوا الله مثله من خزاينه التي لا تنفد وهو يدل على ان المنهي هو الحسد او لا تتمنوا واسئلوا الله من فضله ما يقربه ويسوقه اليكم وقرا ابن كثير والكسائي وسلوا الله من فضله وسلهم فسلوا الذين وشبهه اذا كان امرا مواجها وقبله الواو او الفاء بغير همزة وحمزة في الوقف على اصله والباقون بالهمز ان الله كان بكل شيء عليما فهو يعلم ما يستحقه كل انسان فيفضل عن علم وتبيان وروي ان ام سلمة رضي الله عنها قالت يا رسول الله تغزو الرجال ولا نغزو وانما لنا نصف الميراث ليتنا كنا رجالا فنزلت ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان والاقربون اي ولكل تركة جعلنا وراثا يلونها ويحرزونها ومما ترك بيان لكل مع الفصل بالعامل او لكل ميت جعلنا وراثا مما ترك على ان من صلة موالي لانه في معنى الوارث وفي ترك ضمير كل والوالدان والاقربون استيناف مفسر للموالي وفيه خروج الاولاد فان الاقربون لا يتناولهم كما لا يتناول الوالدين او ولكل قوم جعلناهم موالي حظ مما ترك الوالدان والاقربون على ان جعلنا موالي صفة كل والراجع اليه محذوف وعلى هذا فالجملة من مبتدا وخبر والذين عاقدت ايمانكم موالي الموالاة كان الحليف يورث السدس من مال حليفه فنسخ بقوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض وعن ابي حنيفة رضه لو اسلم رجل على يد رجل وتعاقدا على ان يتعاقلا ويتوارثا صح وورث وقيل الازواج على ان العقد عقد النكاح وهو مبتدا ضمن معنى الشرط وخبره فآتوهم نصيبهم او منصوب بمضمر يفسره ما بعده كقولك زيدا فاضربه او معطوف على الوالدين وقوله فآتوهم جملة مسببة عن الجملة المتقدمة موكدة لها والضمير للموالي وقرا الكوفيون عقدت بمعنى عقدت عهودهم ايمانكم فحذف العهود واقيم الضمير المضاف اليه مقامه ثم حذف كما حذف في

في القراءة الاخرى ان الله كان على كل شيء شهيدا تهديد على منع نصيبهم الرجال قوامون على النساء يقومون عليهن قيام الولاة على الرعية وعلل ذلك بامرين موهبي وكسبي فقال بما فضل الله به بعضهم على بعض بسبب تفضيله الرجال عليهن بكمال العقل وحسن التدبير ومزيد القوة في الاعمال والطاعات ولذلك خصوا بالنبوة والامامة والولاية واقامة الشعاير والشهادة في مجامع القضايا ووجوب الجهاد والجمعة ونحوهما والتعصيب وزيادة السهم في الميراث والاستبداد بالفراق وبما انفقوا من اموالهم في نكاحهن كالمهر والنفقة روي ان سعد بن الربيع احد نقباء الانصار نشزت عليه امراته حبيبة بنت زيد بن ابي زهير فلطمها فانطلق بها ابوها الى رسول الله صلعم فشكى فقال عليه السلم لتقتص منه فنزلت فقال اردنا امرا واراد الله امرا والذي اراد الله خير فالصالحات قانتات مطيعات لله قايمات بحقوق الازواج حافظات للغيب لمواجب الغيب اي يحفظن في غيبة الازواج ما يجب حفظه في النفس والمال وعنه عم خير النساء امراة ان نظرت اليها سرتك وان امرتها اطاعتك وان غبت عنها حفظتك في مالها ونفسها وتلا الاية وقيل لاسرارهم بما حفظ الله بحفظ الله اياهن بالامر على حفظ الغيب والحث عليه بالوعد والوعيد والتوفيق له او بالذي حفظ الله لهن عليهم من المهر والنفقة والقيام بحفظهن والذب عنهن وقرئ بما حفظ الله بالنصب على ان ما موصولة فانها لو كانت مصدرية لم يكن ليحفظ فاعل والمعنى بالامر الذي حفظ حق الله او طاعته وهو التعفف والتحصن والشفقة على الرجال واللاتي تخافون نشوزهن عصيانهن وترفعهن عن مطاوعة الازواج من النشز فعظوهن واهجروهن في المضاجع في المراقد فلا تدخلوهن تحت اللحف او لا تباشروهن فيكون كناية عن الجماع وقيل المضاجع المبايت اي لا تبايتوهن واضربوهن يعني ضربا غير مبرح ولا شاين والامور الثلثة مرتبة ينبغي ان يدرج فيها فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا بالتوبيخ والايذاء والمعنى فازيلوا عنهن التعرض واجعلوا ما كان منهن كان لم يكن فان التايب من الذنب كمن لا ذنب له ان الله كان عليا كبيرا فاحذروه فانه اقدر عليكم منكم على من تحت ايديكم او انه على علو شانه يتجاوز عن سيئاتكم ويتوب عليكم وانتم احق بالعفو عن ازواجكم او انه يتعالى ويتكبر ان يظلم احدا او ينتقص حقه وان خفتم شقاق بينهما خلافا بين المراة وزوجها اضمرهما وان لم يجر ذكرهما لجري ما يدل عليهما واضافة الشقاق الى الظرف لاجرايه مجرى المفعول به كقوله يا سارق الليلة اهل الدار والفاعل كقولهم نهارك صايم فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها فابعثوا ايها الحكام متى اشتبه عليكم حالهما لتبيين الامر واصلاح ذات البين رجلا وسطا يصلح للحكومة والاصلاح من اهله واخر من اهلها فان الاقارب اعرف ببواطن الاحوال واطلب للصلاح وهذا على وجه الاستحباب فلو نصبا من الاجانب جاز وقيل الخطاب للازواج والزوجات

واستدل به على جواز التحكيم والأظهر أن النصب لإصلاح ذات البين أو لتبيين الأمر ولا يليان الجمع والتفريق إلا
بإذن الزوجين وقال مالك لهما أن يتخالعا إن وجدا الصلاح فيه إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما
الضمير الأول للحكمين والثاني للزوجين أي إن قصدا الإصلاح أوقع الله بحسن سعيهما الموافقة بين الزوجين وقيل كلاهما للحكمين
أي إن قصدا الإصلاح يوفق الله بينهما لتتفق كلمتهما ويحصل مقصودهما وقيل للزوجين أي إن أرادا الإصلاح وزوال
الشقاق أوقع الله بينهما الألفة والوفاق وفيه تنبيه على أن من أصلح نيته فيما يتحراه أصلح الله مبتغاه إن الله
كان عليما خبيرا بالظواهر والبواطن فيعلم كيف يرفع الشقاق ويوقع الوفاق واعبدوا
الله ولا تشركوا به شيئا صنما أو غيره أو شيئا من الإشراك جليا أو خفيا وبالوالدين
إحسانا وأحسنوا بهما إحسانا وبذي القربى وبصاحب القرابة واليتامى والمساكين
والجار ذي القربى الذي قرب جواره وقيل الذي له مع الجوار قرب واتصال بنسب أو دين وقرئ
بالنصب على الاختصاص تعظيما لحقه والجار الجنب البعيد أو الذي لا قرابة له وعنه عليه الصلاة والسلام الجيران ثلاثة فجار
له ثلاثة حقوق حق الجوار وحق القرابة وحق الإسلام وجار له حقان حق الجوار وحق الإسلام وجار له حق واحد
حق الجوار وهو المشرك من أهل الكتاب والصاحب بالجنب الرفيق في أمر حسن كتعلم وتصرف
وصناعة وسفر فإنه صحبك وحصل بجنبك وقيل المرأة وابن السبيل المسافر أو الضيف وما
ملكت أيمانكم العبيد والإماء إن الله لا يحب من كان مختالا متكبرا يأنف
عن أقاربه وجيرانه وأصحابه ولا يلتفت إليهم فخورا يتفاخر عليهم الذين يبخلون ويأمرون
الناس بالبخل بدل من قوله من كان أو نصب على الذم أو رفع عليه أي هم الذين أو مبتدأ خبره
محذوف تقديره الذين يبخلون بما منحوا به ويأمرون الناس بالبخل به وقرأ حمزة والكسائي بالبخل بفتح الحرفين
وهي لغة ويكتمون ما آتاهم الله من فضله الغنى والعلم فهم أحقاء بكل ملامة و
أعتدنا للكافرين عذابا مهينا وضع الظاهر فيه موضع المضمر إشعارا بأن من هذا شأنه
فهو كافر لنعمة الله ومن كان كافرا لنعمة الله فله عذاب يهينه كما أهان النعمة بالبخل والإخفاء والآية نزلت في
طائفة من اليهود كانوا يقولون للأنصار تنصحا لا تنفقوا أموالكم فإنا نخشى عليكم الفقر وقيل في الذين كتموا صفة
محمد ﷺ والذين ينفقون أموالهم رئاء الناس عطف على الذين يبخلون أو الكافرين
وإنما شاركهم في الذم والوعيد لأن البخل والسرف الذي هو الإنفاق لا على ما ينبغي من حيث إنهما طرفا تفريط
وإفراط سواء في القبح واستجلاب الذم أو مبتدأ خبره محذوف مدلول عليه بقوله ومن يكن الشيطان و
لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ليتحروا بالإنفاق مراضيه وثوابه وهم مشركو مكة وقيل

الرئاء ضد التصدق حق

المنافقون ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا تنبيه على أن الشيطان قرنهم فحملهم
على ذلك وزينه لهم كقوله إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين والمراد إبليس وأعوانه الداخلة والخارجة ويجوز
أن يكون وعيدا لهم بأن يقرن بهم الشيطان في النار وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم
الآخر وأنفقوا مما رزقهم الله أي وما الذي عليهم أو أي تبعة تحيق بهم بسبب الإيمان والإنفاق في
سبيل الله وهو توبيخ لهم على الجهل بمكان المنفعة والاعتقاد في الشيء على خلاف ما هو عليه وتحريض على الفكر لطلب الجواب
لعله يؤدي بهم إلى العلم بما فيه من الفوائد الجليلة والعوائد الجميلة وتنبيه على أن المدعو إلى أمر لا ضرر فيه ينبغي أن يجيب إليه
احتياطا فكيف إذا تضمن المنافع وإنما قدم الإيمان ههنا وأخره في الآية الأخرى لأن القصد بذكره إلى التخصيص ههنا
والتعليل ثمة وكان الله بهم عليما وعيد لهم إن الله لا يظلم مثقال ذرة لا ينقص من
الأجر ولا يزيد في العقاب أصغر شيء كالذرة وهي النملة الصغيرة ويقال لكل جزء من أجزاء الهباء والمثقال
مفعال من الثقل وفي ذكره إيماء إلى أنه وإن صغر قدره عظم جزاؤه وإن تك حسنة وإن يك مثقال
الذرة حسنة وأنث الضمير لتأنيث الخبر أو لإضافة المثقال إلى مؤنث وحذف النون من غير قياس تشبيها بحروف العلة
وقرأ ابن كثير ونافع حسنة بالرفع على كان التامة يضاعفها يضاعف ثوابها وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب
يضعفها وكلاهما بمعنى ويؤت من لدنه ويعط صاحبها من عنده على سبيل التفضل زائدا على ما وعد في
مقابلة العمل أجرا عظيما عطاء جزيلا وإنما سماه أجرا لأنه تابع للأجر مزيد عليه فكيف
إذا جئنا من كل أمة بشهيد فكيف حال هؤلاء الكفرة من اليهود وغيرهم إذا جئنا من كل
أمة بشهيد يعني نبيهم يشهد على فساد عقائدهم وقبح أعمالهم والعامل في الظرف مضمون المبتدأ والخبر من هول الأمر
وعظم الشأن وجئنا بك يا محمد على هؤلاء شهيدا تشهد على صدق هؤلاء الشهداء على عقائدهم
واستجماع شرعك مع قواعدهم وقيل هؤلاء إشارة إلى الكفرة المستفهم عن حالهم وقيل إلى المؤمنين لقوله لتكونوا شهداء
على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول
لو تسوى بهم الأرض بيان لحالهم ثمة أي يود الذين جمعوا بين الكفر وعصيان الأمر أو الكفرة والعصاة
في ذلك الوقت أن يدفنوا فتسوى بهم الأرض كالموتى أو لم يبعثوا أو لم يخلقوا وكانوا هم والأرض سواء و
لا يكتمون الله حديثا ولا يقدرون على كتمانه لأن جوارحهم تشهد عليهم وقيل الواو للحال أي يودون أن
تسوى بهم الأرض وحالهم أنهم لا يكتمون من الله حديثا ولا يكذبونه بقولهم والله ربنا ما كنا مشركين إذ روي أنهم إذا
قالوا ذلك ختم الله على أفواههم فتشهد عليهم جوارحهم فيشتد الأمر عليهم فيتمنون أن تسوى بهم الأرض وقرأ نافع و
ابن عامر تسوى على أن أصله تتسوى فأدغمت التاء في السين وحمزة والكسائي تسوى على حذف التاء الثانية يقال سويته

تسوى يا ايها الذين امنوا لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى
حتى تعلموا ما تقولون لا تقوموا اليها وانتم سكارى من نحو نوم او خمر حتى تنتبهوا وتعلموا
ما تقولون في صلوتكم روي ان عبد الرحمن بن عوف صنع مأدبة ودعا نفرا من الصحابة حين كانت الخمر مباحة فاكلوا
وشربوا حتى ثملوا وجاء وقت صلوة المغرب فتقدم احدهم ليصلي بهم فقرأ اعبد ما تعبدون فنزلت وقيل اراد بالصلوة
مواضعها وهي المساجد وليس المراد منه نهي السكران عن قربان الصلوة وانما المراد النهي عن الافراط في
الشرب والسكر من السكر وهو السد وقرئ سكارى بالفتح وسكرى على انه جمع كهلكى او مفرد بمعنى وانتم قوم سكرى
او سكرى كحبلى على انها صفة الجماعة ولا جنبا عطف على قوله وانتم سكارى اذ الجملة في موضع النصب
على الحال والجنب الذي اصابه الجنابة يستوي فيه المذكر والمؤنث والواحد والجمع لانه جرى مجرى المصدر
الا عابري سبيل متعلق بقوله ولا جنبا استثناء من اعم الاحوال اي ولا تقربوا الصلوة جنبا في عامة الاحوال
الا في السفر وذلك اذا لم يجد الماء وتيمم ويشهد له تعقيبه بذكر التيمم او صفة لقوله جنبا اي جنبا غير عابري سبيل وفيه
دليل على ان التيمم لا يرفع الحدث ومن فسر الصلوة بمواضعها فسر عابري سبيل بالمجتازين فيها وجوز للجنب عبور المسجد
وبه قال الشافعي وقال ابو حنيفة لا يجوز المرور في المسجد الا اذا كان فيه الماء او الطريق حتى تغتسلوا
غاية النهي عن القربان حال الجنابة وفي الاية تنبيه على ان المصلي ينبغي ان يتحرز عما يلهيه ويشغل قلبه ويزكي نفسه
عما يجب تطهيرها عنه وان كنتم مرضى مرضا يخاف معه من استعمال الماء فان الواجد له كالفاقد
او مرضا يمنعه عن الوصول اليه او على سفر لا تجدونه فيه او جاء احد منكم من الغائط
فاحدث بخروج الخارج من احد السبيلين واصل الغائط المطمئن من الارض او لامستم النساء
او ماسستم بشرتهن ببشرتكم وبه استدل الشافعي رضي على ان اللمس ينقض الوضوء وقيل او جامعتموهن وقرأ حمزة
والكسائي هنا وفي المائدة لمستم واستعماله كناية عن الجماع اقل من الملامسة فلم تجدوا ماء فلم
تتمكنوا من استعماله اذ الممنوع عنه كالمفقود ووجه هذا التقسيم ان المترخص بالتيمم اما محدث او جنب والحال
المقتضية له في غالب الامر مرض او سفر والجنب لما سبق ذكره اقتصر على بيان حاله والمحدث لما لم يجر ذكره
ذكر اسبابه ما يحدث بالذات وما بالعرض واستغنى عن تفصيل احواله بتفصيل حال الجنب وبيان العذر
مجملا وكانه قيل وان كنتم جنبا مرضى او على سفر او محدثين جئتم من الغائط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء
فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم اي فتعمدوا شيئا من
وجه الارض طاهرا ولذلك قالت الحنفية لو ضرب المتيمم يده على حجر صلد ومسح اجزأه وقال اصحابنا
لا بد ان يعلق باليد شيء من التراب لقوله في المائدة فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه اي من بعضه وجعل من لابتداء

الغاية تعسف اذ لا يفهم من نحو ذلك الا التبعيض واليد اسم للعضو الى المنكب وما روي انه عم تيمم ومسح يديه الى مرفقيه
والقياس على الوضوء دليل على ان المراد ههنا وايديكم الى المرافق ان الله كان عفوا غفورا
فلذلك يسر الامر عليكم ورخص لكم الم تر الى الذين اوتوا من رؤية البصر اي الم تنظر اليهم و
القلب وعدي بالى لتضمين معنى الانتهاء نصيبا من الكتاب حظا يسيرا من علم التورية لان المراد
احبار اليهود يشترون الضلالة يختارونها على الهدى او يستبدلونها به بعد تمكنهم منه او
حصوله لهم بانكار نبوة محمد عم وقيل ياخذون الرشا ويحرفون التورية ويريدون ان تضلوا ايها المؤمنون
السبيل سبيل الحق والله اعلم منكم باعدائكم وقد اخبركم بعداوة هؤلاء وما يريدون بكم
فاحذروهم وكفى بالله وليا يلي امركم وكفى بالله نصيرا يعينكم
فثقوا عليه واكتفوا به عن غيره والباء تزاد في فاعل كفى لتاكيد الاتصال الاسنادي بالاتصال الاضافي من الذين
هادوا بيان للذين اوتوا نصيبا فانه يحتملهم وغيرهم وما بينهما اعتراض او بيان لاعدائكم او صلة لنصيرا اي ينصركم
من الذين هادوا او يحفظكم منهم او خبر مبتدأ محذوف صفته يحرفون الكلم عن مواضعه
اي من الذين هادوا قوم يحرفون الكلم اي يميلونه عن مواضعه التي وضعه الله فيها بازالته عنها واثبات غيره فيها
او يؤولونه على ما يشتهون فيميلونه عما انزل الله فيه وقرئ الكلم بكسر الكاف وسكون اللام جمع كلمة تخفيف كلمة و
يقولون سمعنا قولك وعصينا امرك واسمع غير مسمع اي مدعوا عليك
بلا سمعت لصمم او موت او اسمع غير مجاب الى ما تدعو اليه او اسمع غير مسمع كلاما ترضيه او اسمع كلاما غير
مسمع اياك لان اذنك تنبو عنه فيكون مفعولا به او اسمع غير مسمع مكروها من قولهم اسمعه فلان اذا سبه وانما قالوه
نفاقا وراعنا انظرنا نكلمك او نفهم كلامك ليا بالسنتهم فتلا بها وصرفا للكلام
الى ما يشبه السب حيث وضعوا راعنا المشابه لما يتسابون به موضع انظرنا وغير مسمع موضع لا اسمعت مكروها
او فتلا بها وضما ما يظهرون من الدعاء والتوقير الى ما يضمرون من السب والتحقير نفاقا وطعنا في الدين
استهزاء به وسخرية ولو انهم قالوا سمعنا واطعنا واسمع وانظرنا ولو ثبت
قولهم هذا مكان ما قالوه لكان خيرا لهم واقوم لكان قولهم ذلك خيرا لهم واعدل و
انما يجب حذف الفعل بعد لو في مثل ذلك لدلالة ان عليه ووقوعه موقعه ولكن لعنهم
الله بكفرهم ولكن خذلهم وابعدهم عن الهدى بسبب كفرهم فلا يؤمنون الا قليلا
اي ايمانا قليلا لا يعبؤا به وهو الايمان ببعض الايات والرسل ويجوز ان يراد بالقلة العدم كقوله قليل التشكي للمهم يصيب
او الا قليلا منهم امنوا او سيؤمنون يا ايها الذين اوتوا الكتاب امنوا بما نزلنا

مصدقا لما معكم من قبل أن نطمس وجوها فنردها على أدبارها
من قبل أن نمحو تخطيط صورها ونجعلها على هيئة أدبارها يعني الأقفاء أو ننكسها إلى ورائها في الدنيا والآخرة
وأصل الطمس إزالة الأعلام الماثلة وقد يطلق بمعنى الطلس في إزالة الصورة ولمطلق القلب والتغيير ولذلك
قيل معناه من قبل أن نغير وجوها في الدنيا أو في الآخرة فنسلب وجاهتها وإقبالها ونكسوها الصغار والإدبار
أو نردها إلى حيث جاءت منه وهي أذرعات الشام يعني إجلاء بني النضير ويقرب منه قول من قال
إن المراد بالوجوه الرؤساء أو من قبل أن نطمس وجوها بأن نعمي الأبصار عن الاعتبار ونصم الأسماع عن الإصغاء
إلى الحق بالطبع ونردها عن الهداية إلى الضلالة أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت
أو نخزيهم بالمسخ كما أخزينا به أصحاب السبت أو نلعنهم على لسانك كما لعناهم على لسان داود والضمير لأصحاب
الوجوه أو للذين على طريقة الالتفات أو للوجوه إن أريد بها الوجهاء وعطفه على الطمس بالمعنى الأول يدل
على أن المراد به ليس مسخ الصورة في الدنيا ومن حمل الوعيد على تغيير الصورة في الدنيا قال إنه بعد مترقب أو كان وقوعه
مشروطا بعدم إيمانهم وقد آمن منهم طائفة وكان أمر الله بإيقاع شيء أو وعيده أو ما حكم به وقضاه
مفعولا نافذا أو كائنا فيقع لا محالة ما أوعدتم به إن لم تؤمنوا إن الله لا يغفر أن يشرك به
لأنه بت الحكم على خلود عذابه ولأن ذنبه لا ينمحي عنه أثره فلا يستعد للعفو بخلاف غيره ويغفر ما دون
ذلك أي ما دون الشرك صغيرا كان أو كبيرا لمن يشاء تفضلا عليه وإحسانا والمعتزلة علقوا المشيئة بالفعلين
على معنى أن الله لا يغفر الشرك لمن يشاء وهو من لم يتب ويغفر ما دونه لمن يشاء وهو من تاب وفيه تقييد بلا دليل إذ
ليس عموم آيات الوعيد بالمحافظة أولى منه ونقض لمذهبهم فإن تعليق الأمر بالمشيئة ينافي وجوب التعذيب قبل
التوبة والصفح بعدها فالآية كما هي حجة عليهم فهي حجة على الخوارج الذين زعموا أن كل ذنب شرك وأن صاحبه خالد
في النار ومن يشرك بالله فقد افترى إثما عظيما ارتكب ما يستحقر دونه الآثام
وهو إشارة إلى المعنى الفارق بينه وبين سائر الذنوب والافتراء كما يطلق على القول يطلق على الفعل وكذلك
الاختلاق ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم يعني أهل الكتاب قالوا نحن أبناء الله وأحباؤه
وقيل ناس من اليهود جاؤوا بأطفالهم إلى رسول الله صلعم فقالوا هل على هؤلاء ذنب قال لا قالوا والله ما نحن
إلا كهيئتهم ما عملنا بالنهار يكفر عنا بالليل وما عملنا بالليل يكفر عنا بالنهار وفي معناهم من زكى نفسه وأثنى عليها
بل الله يزكي من يشاء تنبيه على أن تزكيته هي المعتد بها دون تزكية غيره فإنه العالم بما ينطوي عليه
الإنسان من حسن وقبح وقد ذمهم وزكى المرتضين من عباده المؤمنين وأصل التزكية نفي ما يستقبح فعلا أو قولا و
لا يظلمون فتيلا أدنى ظلم وأصغره وهو الخيط الذي في شق النواة يضرب به المثل في الحقارة انظر

كيف يفترون على الله الكذب في زعمهم أنهم أبناء الله وأزكياء عنده وكفى
به بزعمهم هذا أو بالافتراء إثما مبينا لا يخفى كونه مأثما من بين آثامهم ألم تر إلى الذين أوتوا
نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت نزلت في يهود كانوا
يقولون إن عبادة الأصنام أرضى عند الله مما يدعوهم إليه محمد صلعم وقيل في حيي بن أخطب وكعب بن الأشرف في جمع من
اليهود خرجوا إلى مكة يحالفون قريشا على محاربة رسول الله صلعم فقالوا أنتم أهل كتاب وأنتم أقرب إلى محمد صلعم
منكم إلينا فلا نأمن مكركم فاسجدوا لآلهتنا حتى نطمئن إليكم ففعلوا والجبت في الأصل اسم صنم فاستعمل في كل ما عبد من دون الله
وقيل أصله الجبس وهو الذي لا خير فيه فقلبت سينه تاء والطاغوت يطلق لكل باطل من معبود أو غيره و
يقولون للذين كفروا لأجلهم وفيهم هؤلاء إشارة إليهم أهدى من الذين
آمنوا سبيلا أقوم دينا وأرشد طريقا أولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن
الله فلن تجد له نصيرا يمنع العذاب عنه بشفاعة أو غيرها أم لهم نصيب من الملك
أم منقطعة ومعنى الهمزة إنكار أن يكون لهم نصيب من الملك وجحد لما زعمت اليهود من أن الملك سيصير إليهم فإذا
لا يؤتون الناس نقيرا أي لو كان لهم نصيب من الملك فإذا لا يؤتون أحدا ما يوازي نقيرا وهو النقرة
في ظهر النواة وهذا هو الإغراق في بيان شحهم فإنهم بخلوا بالنقير وهم ملوك فما ظنك بهم إذا كانوا أذلاء
متفاقرين ويجوز أن يكون المعنى إنكار أنهم أوتوا نصيبا من الملك على الكناية وأنهم لا يؤتون الناس وإذن إذا وقع
بعد الواو والفاء لا لتشريك مفرد جاز فيه الإلغاء والإعمال ولذلك قرئ فإذا لا يؤتوا على النصب أم
يحسدون الناس بل يحسدون رسول الله صلعم وأصحابه أو العرب أو الناس جميعا لأن من حسد على النبوة
فكأنما حسد الناس كلهم كمالهم ورشدهم وبخهم وأنكر عليهم الحسد كما ذمهم على البخل وهما شر الرذائل وكأن بينهما تلازما
وتجاذبا على ما آتاهم الله من فضله يعني النبوة والكتاب والنصرة والإعزاز وجعل النبي
الموعود منهم فقد آتينا آل إبراهيم الذين هم أسلاف محمد صلعم وأبناء عمه الكتاب و
الحكمة النبوة من آمن به بمحمد أو بما ذكر من حديث آل إبراهيم ومنهم من صد عنه
أعرض عنه ولم يؤمن به وقيل معناه فمن آل إبراهيم من آمن به ومنهم من كفر ولم يكن في ذلك توهين أمره فكذا
لا يوهن كفر هؤلاء أمرك وكفى بجهنم سعيرا نارا مسعورة يعذبون بها أي إن لم يعجلوا بالعقوبة
فقد كفاهم ما أعد لهم من سعير جهنم إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا كالبيان و
التقرير لذلك كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها بأن يعاد ذلك الجلد
بعينه على صورة أخرى كقولك بدلت الخاتم قرطا أو بأن يزال عنه أثر الإحراق ليعود إحساسه للعذاب كما قال

ليذوقوا العذاب اي ليدوم لهم ذوقه وقيل يخلق مكانه جلدا اخر والعذاب في الحقيقة للنفس
العاصية المدركة لا لآلة ادراكها فلا محذور ان الله كان عزيزا حكيما لا يمتنع عليه ما يريده يعاقب على وفق حكمته
والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها
الانهار خالدين فيها ابدا قدم ذكر الكفار ووعيدهم على ذكر المؤمنين ووعدهم لان الكلام
فيهم وذكر المؤمنين بالعرض لهم فيها ازواج مطهرة وندخلهم ظلا ظليلا
فينانا لا جوب فيه ودائما لا تنسخه الشمس وهو اشارة الى النعمة التامة الدائمة والظليل صفة مشتقة من الظل لتأكيده
كقولهم شمس شامس ويوم ايوم وليل اليل ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى
اهلها خطاب يعم المكلفين والامانات وان نزلت في يوم الفتح في عثمان بن طلحة بن عبد الدار لما اغلق باب
الكعبة وابى ان يدفع المفتاح ليدخل فيها وقال لو علمت انه رسول الله لم امنعه فلوى علي يده واخذه منه وفتح
ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى ركعتين فلما خرج سأله العباس ان يعطيه المفتاح ويجمع له السقاية والسدانة
فامره الله ان يرده اليه فامر عليا رضي الله عنه بان يرده اليه ويعتذر وصار ذلك سببا لاسلامه ونزل الوحي بان السدانة في اولاده
ابدا واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل اي وان تحكموا بالانصاف والسوية اذا قضيتم
بين من ينفذ عليه امركم او يرضى بحكمكم ولان الحكم وظيفة الولاة قيل الخطاب لهم ان الله نعما يعظكم به اي نعم
شيئا يعظكم به او نعم الشيء الذي يعظكم به فما منصوبة موصوفة بيعظكم او مرفوعة موصولة به والمخصوص بالمدح محذوف
وهو المأمور به من اداء الامانات والعدل في الحكومات ان الله كان سميعا بصيرا باقوالكم واحكامكم
وما تفعلون في الامانات يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي
الامر منكم يريد بهم امراء المسلمين في عهد الرسول وبعده ويندرج فيهم الخلفاء والقضاة وامراء السرية امر الناس
بطاعتهم بعدما امرهم بالعدل تنبيها على ان وجوب طاعتهم ما داموا على الحق وقيل علماء الشرع لقوله تعالى ولو ردوه
الى الرسول والى اولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم فان تنازعتم انتم واولو الامر منكم في شيء
من امور الدين وهو يؤيد الوجه الاول اذ ليس للمقلد ان ينازع المجتهد في حكمه بخلاف المرؤوس الا ان يقال الخطاب لاولي
الامر على طريقة الالتفات فردوه فراجعوا فيه الى الله الى كتابه والرسول بالسؤال عنه في
زمانه والمراجعة الى سنته بعده واستدل به منكروا القياس وقالوا انه تعالى اوجب رد المختلف الى الكتاب والسنة
دون القياس واجيب بان رد المختلف الى المنصوص عليه انما يكون بالتمثيل والبناء عليه وهو القياس ويؤيد ذلك الامر
به بعد الامر بطاعة الله وطاعة الرسول فانه يدل على ان الاحكام ثلاثة مثبت بالكتاب ومثبت بالسنة ومثبت بالرد
اليهما على وجه القياس ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر فان الايمان يوجب ذلك

ذلك

ذلك اي الرد خير لكم واحسن تأويلا واحمد عاقبة او احسن تأويلا من تأويلكم بلا رد الم تر الى الذين
يزعمون انهم آمنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك يريدون ان يتحاكموا
الى الطاغوت عن ابن عباس رضي الله عنهما ان منافقا خاصم يهوديا فدعاه اليهودي الى النبي صلى الله عليه
وسلم ودعاه المنافق الى كعب بن الاشرف ثم انهما احتكما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحكم لليهودي فلم يرض بقضائه المنافق
وقال نتحاكم الى عمر فقال اليهودي لعمر قضى لي رسول الله فلم يرض بقضائه وخاصم اليك فقال عمر للمنافق اكذلك فقال
نعم فقال مكانكما حتى اخرج اليكما فدخل فاخذ سيفه ثم خرج فضرب عنق المنافق حتى برد وقال هكذا اقضي لمن لم يرض
بقضاء الله ورسوله فنزلت وقال جبريل ان عمر فرق بين الحق والباطل فسمي الفاروق والطاغوت على هذا كعب بن الاشرف
وفي معناه من يحكم بالباطل ويؤثر لاجله سمي بذلك لفرط طغيانه او لتشبهه بالشيطان او لان التحاكم اليه تحاكم الى الشيطان
من حيث انه الحامل عليه كما قال وقد امروا ان يكفروا به ويريد الشيطان
ان يضلهم ضلالا بعيدا وقرئ ان يكفروا بها على ان الطاغوت جمع كقوله اولياؤهم الطاغوت
يخرجونهم واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول وقرئ تعالوا بضم اللام
لواو الضمير رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا هو مصدر او اسم للمصدر الذي
هو الصد والفرق بينه وبين السد انه غير محسوس والسد محسوس ويصدون في موضع الحال فكيف يكون
حالهم اذا اصابتهم مصيبة كقتل عمر رضي الله عنه المنافق او النقمة من الله بما قدمت ايديهم
من التحاكم الى غيرك وعدم الرضا بحكمك ثم جاؤك حين يصابون للاعتذار عطف على اصابتهم وقيل
على يصدون وما بينهما اعتراض يحلفون بالله حال ان اردنا الا احسانا وتوفيقا
ما اردنا بذلك الا الفصل بالوجه الاحسن والتوفيق بين الخصمين ولم نرد مخالفتك وقيل جاء اصحاب القتيل طالبين
بدمه وقالوا ما اردنا بالتحاكم الى عمر الا ان يحسن الى صاحبنا ويوفق بينه وبين خصمه اولئك الذين يعلم
الله ما في قلوبهم من النفاق فلا يغني عنهم الكتمان والحلف الكاذب من العقاب فاعرض
عنهم اي عن عقابهم لمصلحة في استبقائهم او عن قبول معذرتهم وعظهم بلسانك وكفهم عما هم عليه وقل لهم في انفسهم اي في معنى انفسهم او خاليا بهم فان النصح في السر انجع قولا بليغا يبلغ منهم
ويؤثر فيهم امرهم بالتجافي عن ذنوبهم والنصح لهم والمبالغة فيه بالترغيب والترهيب وذلك مقتضى شفقة الانبياء
وتعليق الظرف ببليغا على معنى بليغا في انفسهم مؤثرا فيها ضعيف لان معمول الصفة لا يتقدم الموصوف والقول البليغ في
الاصل هو الذي يطابق مدلوله المقصود به وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله
بسبب اذنه في طاعته وامره المبعوث اليهم بان يطيعوه وكانه احتج بذلك على ان الذي لم يرض بحكمه وان اظهر الاسلام

كان كافرا مستوجب القتل وتقريره لم نرسل رسولا الا ليطاع فكان من لم يطعه ولم يرض بحكمه لم يقبل
رسالته ومن كان كذلك كان كافرا مستوجب القتل ولو انهم اذ ظلموا انفسهم بالنفاق او التحاكم الى الطاغوت
جاؤك تائبين من ذلك وهو خبر ان واذ متعلق به فاستغفروا الله بالتوبة والاخلاص
واستغفر لهم الرسول واعتذروا اليك حتى انتصبت لهم شفيعا وانما عدل عن الخطاب تفخيما لشانه
وتنبيها على ان من حق الرسول ان يقبل اعتذار التائب وان عظم جرمه ويشفع له ومن منصبه ان يشفع في كبائر الذنوب
لوجدوا الله توابا رحيما لعلموه قابلا لتوبتهم متفضلا عليهم بالرحمة وان فسر وجد بصادف
كان توابا حالا ورحيما بدلا منه او حالا من الضمير فيه فلا وربك اي فوربك ولا مزيدة لتاكيد القسم
لا لتظاهر لا في قوله لا يؤمنون لانها تزاد ايضا في الاثبات كقوله تعالى لا اقسم بهذا البلد حتى يحكموك
فيما شجر بينهم فيما اختلف بينهم واختلط ومنه الشجر لتداخل اغصانه ثم لا يجدوا في انفسهم
حرجا مما قضيت ضيقا مما حكمت به او من حكمك او شكا من اجله فان الشاك في ضيق من امره و
يسلموا تسليما وينقادوا لك انقيادا بظاهرهم وباطنهم ولو انا كتبنا عليهم
ان اقتلوا انفسكم تعرضوا بها للقتل بالجهاد او اقتلوها كما قتل بنو اسرائيل وان مصدرية او مفسرة لان
كتبنا في معنى امرنا او اخرجوا من دياركم خروجهم حين استتيبوا من عبادة العجل وقرا ابو عمرو ويعقوب
ان اقتلوا بكسر النون على اصل التحريك او اخرجوا بضم الواو للاتباع والتشبيه بواو الجمع في نحو ولا تنسوا الفضل وقرا
عاصم وحمزة بكسرهما على الاصل والباقون بضمهما اجراء لهما مجرى الهمزة المتصلة بالفعل ما فعلوه الا
قليل منهم الا اناس قليل منهم وهم المخلصون لما بين ان ايمانهم لا يتم الا بان يسلموا حق التسليم نبه على قصور
اكثرهم ووهن اسلامهم والضمير للمكتوب ودل عليه كتبنا او لاحد مصدري الفعلين وقرا ابن عامر بالنصب على الاستثناء
او على الا فعلا قليلا ولو انهم فعلوا ما يوعظون به من متابعة الرسول ومطاوعته طوعا ورغبة
لكان خيرا لهم في عاجلهم وآجلهم واشد تثبيتا في دينهم لانه اشد لتحصيل العلم ونفي الشك
او تثبيتا لثواب اعمالهم ونصبه على التمييز والآية ايضا مما نزلت في شان المنافق واليهودي وقيل انها والتي
قبلها نزلت في حاطب بن ابي بلتعة خاصم زبيرا في شراج من الحرة كانا يسقيان بها النخل فقال اسق يا زبير
ثم ارسل الماء الى جارك فقال حاطب لان كان ابن عمتك فقال عليه السلام اسق يا زبير ثم احبس الماء الى الجدر واستوف
حقك ثم ارسله الى جارك واذا لآتيناهم من لدنا اجرا عظيما جواب لسؤال مقدر فكانه
قيل وما يكون لهم بعد التثبيت فقال واذا لو ثبتوا لآتيناهم لان اذا جواب وجزاء ولهديناهم صراطا
مستقيما يصلون بسلوكه جناب القدس ويفتح عليهم ابواب الغيب قال عليه السلام من عمل بما علم ورثه الله علم ما

لم يعلم ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم مزيد
ترغيب في الطاعة بالوعد عليها مرافقة اكرم الخلائق واعظمهم قدرا من النبيين والصديقين
والشهداء والصالحين بيان للذين او حال منه او من ضميره قسمهم اربعة اقسام بحسب منازلهم
في العلم والعمل وحث كافة الناس على ان لا يتاخروا عنهم وهم الانبياء الفائزون بكمال العلم والعمل المتجاوزون
حد الكمال الى درجة التكميل ثم الصديقون الذين صعدت نفوسهم تارة بمراقي النظر في الحجج والآيات واخرى بمعارج التصفية
والرياضات الى اوج العرفان حتى اطلعوا على الاشياء واخبروا عنها على ما هي عليها ثم الشهداء الذين ادى بهم الحرص على الطاعة
والجد في اظهار الحق حتى بذلوا مهجهم في اعلاء كلمة الله تعالى ثم الصالحون الذين صرفوا اعمارهم في طاعته واموالهم في مرضاته
ولك ان تقول المنعم عليهم هم العارفون بالله وهؤلاء اما ان يكونوا بالغين درجة العيان او واقفين في مقام الاستدلال
والبرهان والاولون اما ان ينالوا مع العيان القرب بحيث يكونون كمن يرى الشيء قريبا وهم الانبياء او لا فيكونون
كمن يرى الشيء من بعيد وهم الصديقون والآخرون اما ان يكون عرفانهم بالبراهين القاطعة وهم العلماء الراسخون
الذين هم شهداء الله في ارضه واما ان يكون بامارات واقناعات تطمئن اليها نفوسهم وهم الصالحون و
حسن اولئك رفيقا في معنى التعجب ورفيقا نصب على التمييز او الحال ولم يجمع لانه يقال للواحد و
الجمع كالصديق او لانه اريد وحسن كل واحد منهم رفيقا روي ان ثوبان مولى رسول الله صلعم اتاه يوما وقد تغير
وجهه ونحل جسمه فسأله عن حاله فقال ما بي من وجع غير اني اذا لم اراك اشتقت اليك واستوحشت وحشة
شديدة حتى القاك ثم ذكرت الآخرة فخفت ان لا اراك هناك لاني عرفت انك ترفع مع النبيين وان ادخلت
الجنة كنت في منزل ادنى من منزلك وان لم ادخل فذاك حين لا اراك ابدا فنزلت ذلك اشارة الى ما للمطيعين
من الاجر ومزيد الهداية ومرافقة المنعم عليهم او الى فضل هؤلاء المنعم عليهم ومزيتهم الفضل صفة من الله
خبره او الفضل خبره ومن الله حال والعامل فيه معنى الاشارة وكفى بالله عليما بجزاء من اطاعه
او بمقادير الفضل واستحقاق اهله يا ايها الذين آمنوا خذوا حذركم تيقظوا واستعدوا
للاعداء والحذر والحذر كالاثر والاثر وقيل ما يحذر به كالحزم والسلاح فانفروا فاخرجوا الى الجهاد ثبات
جماعات متفرقة جمع ثبة من ثبيت على فلان تثبية اذا ذكرت متفرق محاسنه ويجمع ايضا على ثبين جبرا لما حذف
من عجزه او انفروا جميعا مجتمعين كوكبة واحدة والآية وان نزلت في الحرب لكن يقتضي اطلاق لفظها وجوب
المبادرة الى الخيرات كلها كيفما امكن قبل الفوات وان منكم لمن ليبطئن الخطاب لعسكر رسول الله صلعم
المؤمنين منهم والمنافقين والمبطئون منافقوهم تثاقلوا وتخلفوا عن الجهاد من بطأ بمعنى ابطأ وهو لازم او بطأوا
غيرهم كما بطأ ابن ابي ناسا يوم احد من بطأ منقولا من بطؤ كثقل من ثقل واللام الاولى للابتداء دخلت اسم ان

للفصل بالجر والثانية جواب قسم محذوف والقسم بجوابه صلة من والراجع اليه ما استكن في ليبطئن والتقدير وان منكم لمن اقسم بالله ليبطئن فان اصابتكم مصيبة كقتل وهزيمة قال اي المبطئ قد انعم الله علي اذ لم اكن معهم شهيدا حاضرا فيصيبني ما اصابهم ولئن اصابكم فضل من الله كفتح وغنيمة ليقولن اكده تنبيها على فرط تحسرهم وقرئ بضم اللام اعادة للضمير على معنى من كان لم يكن بينكم وبينه مودة اعتراض بين الفعل ومفعوله وهو يا ليتني كنت معهم فافوز فوزا عظيما للتنبيه على ضعف عقيدتهم وان قولهم هذا قول من لا مواصلة بينكم وبينه وانما يريد ان يكون معكم لمجرد المال او حال عن الضمير في ليقولن او داخل في المقول اي يقول المبطئ لمن يثبطه من المنافقين وضعفة المسلمين تضريبا وحسدا كان لم يكن بينكم وبين محمد مودة حيث لم يستعن بكم فتفوزوا بما فاز يا ليتني كنت معهم وقيل انه متصل بالجملة الاولى وهو ضعيف اذ لا يفصل بين ابعاض الجملة بما لا يتعلق بها لفظا ومعنى وكان مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشان وهو محذوف وقرا ابن كثير وحفص عن عاصم ورويس عن يعقوب تكن بالتاء لتانيث لفظ المودة والمنادى في يا ليتني محذوف اي يا قوم وقيل يا اطلق للتنبيه على الاتساع فافوز نصب على جواب التمني وقرئ بالرفع على تقدير فانا افوز في ذلك الوقت او العطف على كنت فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحيوة الدنيا بالاخرة اي الذين يبيعونها بها والمعنى ان بطا هؤلاء عن القتال فليقاتل المخلصون الباذلون انفسهم في طلب الاخرة او الذين يشترونها ويختارونها على الاخرة وهم المبطئون والمعنى حثهم على ترك ما حكي عنهم ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل او يغلب فسوف نؤتيه اجرا عظيما وعد له الاجر العظيم غلب او غلب ترغيبا في القتال وتكذيبا لقولهم قد انعم الله علي اذ لم اكن معهم شهيدا وانما قال فيقتل او يغلب تنبيها على ان المجاهد ينبغي ان يثبت في المعركة حتى يعز نفسه بالشهادة او الدين بالظفر والغلبة وان لا يكون قصده بالذات الى القتل بل الى اعلاء الحق واعزاز الدين وما لكم مبتدا وخبره لا تقاتلون في سبيل الله حال والعامل فيها ما في الظرف من معنى الفعل والمستضعفين عطف على اسم الله اي وفي سبيل المستضعفين وهو تخليصهم من الاسر وصونهم من العدو او على سبيل بحذف المضاف اي وفي خلاص المستضعفين ويجوز نصبه على الاختصاص فان سبيل الله يعم ابواب الخير وتخليص ضعفة المسلمين من ايدي الكفار اعظمها واخصها من الرجال والنساء والولدان بيان للمستضعفين وهم المسلمون بقوا بمكة لصد المشركين او ضعفهم عن الهجرة مستذلين ممتحنين وانما ذكر الولدان مبالغة في الحث وتنبيها على تناهي ظلم المشركين بحيث بلغ اذاهم الصبيان وان دعوتهم اجيبت بسبب مشاركتهم في الدعاء حتى يشاركوا في استنزال

الرحمة واستدفاع البلية وقيل المراد به العبيد والاماء وهو جمع وليد الذين يقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم اهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا فاستجاب الله دعاءهم بان يسر لبعضهم الخروج الى المدينة وجعل لمن بقي منهم خير ولي وناصر ففتح مكة على نبيه صلى الله عليه وسلم فتولاهم ونصرهم ثم استعمل عليهم عتاب بن اسيد فحماهم ونصرهم حتى صاروا اعز اهلها والقرية مكة والظالم صفتها وتذكيره لتذكير ما اسند اليه فان اسم الفاعل او المفعول اذا جرى على غير من هو له كان كالفعل يذكر ويؤنث على حسب ما عمل فيه الذين امنوا يقاتلون في سبيل الله فيما يصلون به الى الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فيما يبلغ بهم الى الشيطان فقاتلوا اولياء الشيطان لما ذكر مقصد الفريقين امر اولياءه ان يقاتلوا اولياء الشيطان ثم شجعهم بقوله ان كيد الشيطان كان ضعيفا اي ان كيده للمؤمنين بالاضافة الى كيد الله تعالى للكافرين ضعيف لا يؤبه به فلا تخافوا اولياءه فان اعتمادهم على اضعف شيء واوهنه الم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم اي عن القتال واقيموا الصلاة واتوا الزكاة واشتغلوا بما امرتم به فلما كتب عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله يخشون الكفار ان يقتلوهم كما يخشون الله ان ينزل عليهم باسه واذا للمفاجاة جواب لما وفريق مبتدا وصفته يخشون خبره وكخشية الله من اضافة المصدر الى المفعول وقع موقع المصدر او الحال من فاعل يخشون على معنى يخشون الناس مثل اهل خشية الله منه او اشد خشية عطف عليه ان جعلته حالا وان جعلته مصدرا فلا لان افعل التفضيل اذا نصب ما بعده لم يكن من جنسه بل هو معطوف على اسم الله اي كخشية الله او كخشية اشد منه على الفرض الذي تجعل الخشية ذات خشية كقولهم جد جده على معنى يخشون الناس خشية مثل خشية الله او خشية اشد خشية من خشية الله وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا اخرتنا الى اجل قريب استزادة في مدة الكف عن القتال حذرا عن الموت ويحتمل انهم ما تفوهوا به ولكن قالوه في انفسهم فحكى الله عنهم قل متاع الدنيا قليل سريع التقضي والاخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا ولا تنقصون ادنى شيء من ثوابكم فلا ترغبوا عنه او من اجالكم المقدرة وقرا ابن كثير وحمزة والكسائي ولا يظلمون لتقدم الغيبة اينما تكونوا يدرككم الموت قرئ بالرفع على حذف الفاء كما في قوله من يفعل الحسنات الله يشكرها او على انه كلام مبتدا واينما متصل بلا تظلمون ولو كنتم في بروج مشيدة في قصور او حصون مرتفعة والبروج في الاصل بيوت على اطراف القصر من تبرجت المراة اذا ظهرت وقرئ مشيدة وصفا لها بوصف فاعلها كقولهم قصيدة

شاهرة وتشييد من شاد البصراء بها وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند
الله وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك كما تقع الحسنة والسيئة على الطاعة
والمعصية يقعان على النعمة والبلية وهما المراد في الآية اي ان تصبهم نعمة كخصب نسبوها الى الله وان تصبهم بلية كقحط اضافوها
اليك وقالوا ان هي الا بشؤمك كما قالت اليهود منذ دخل محمد المدينة نقصت ثمارها وغلت اسعارها قل
كل من عند الله يبسط ويقبض حسب ارادته فمال هؤلاء القوم لا يكادون
يفقهون حديثا يوعظون به وهو القرآن فانهم لو فهموه وتدبروا معانيه لعلموا ان الكل من عند الله
او حديثا ما كبهائم لا افهام لهم او حادثا من صروف الزمان فيتفكروا فيها فيعلموا ان الباسط والقابض هو الله
ما اصابك يا انسان من حسنة من نعمة فمن الله تفضلا فان كل ما يفعله الانسان من الطاعات
لا يكافئ نعمة الوجود فكيف يقتضي غيره ولذلك قال عم ما يدخل احد الجنة الا برحمة الله قيل ولا انت قال ولا انا
وما اصابك من سيئة من بلية فمن نفسك لانها السبب فيها لاستجلابها بالمعاصي وهو
لا ينافي قوله قل كل من عند الله فان الكل منه تعالى ايصالا وايجادا غير ان الحسنة احسان وامتحان والسيئة مجازاة
وانتقام كما قالت عائشة رضها ما من مسلم يصيبه وصب ولا نصب حتى الشوكة يشاكها وحتى انقطاع شسع نعله الا بذنب
وما يعفو الله اكثر والآيتان كما ترى لا حجة فيهما لنا وللمعتزلة وارسلناك للناس رسولا
حال قصد بها التاكيد ان علق الجار بالفعل والتعميم ان علق بها اي رسولا للناس جميعا كقوله تعالى وما ارسلناك
الا كافة للناس ويجوز نصبه على المصدر كقوله ولا خارجا من في زور كلام وكفى بالله
شهيدا على رسالتك بنصب المعجزات من يطع الرسول فقد اطاع الله لانه في
الحقيقة مبلغ والآمر هو الله تعالى روي انه عم قال من احبني فقد احب الله ومن اطاعني فقد اطاع الله فقال
المنافقون لقد قارف الشرك وهو ينهى عنه ما يريد الا ان نتخذه ربا كما اتخذ النصارى عيسى فنزلت و
من تولى عن طاعتك فما ارسلناك عليهم حفيظا تحفظ عليهم اعمالهم وتحاسبهم عليها
انما عليك البلاغ وعلينا الحساب وهو حال من الكاف ويقولون اذا امرتهم بامر طاعة اي امرنا
طاعة اي شاننا طاعة واصلها النصب على المصدر ورفعها للدلالة على الثبات فاذا برزوا من عندك
خرجوا بيت طائفة منهم غير الذي تقول اي زورت خلاف ما قلت لها
او ما قالت لك من القبول وضمان الطاعة والتبييت اما من البيتوتة لان الامور تدبر بالليل او من بيت الشعر
او البيت المبني لانه يسوى ويدبر وقرأ ابو عمرو وحمزة بيت طائفة بالادغام لقربهما في المخرج والله
يكتب ما يبيتون يثبته في صحائفهم للمجازاة او في جملة ما يوحى اليك لتطلع على اسرارهم فاعرض

عنهم

عنهم قلل المبالاة بهم او تجاف عنهم وتوكل على الله في الامور كلها وكفى بالله وكيلا
يكفيك معرتهم وينتقم لك منهم افلا يتدبرون القرآن يتأملون في معانيه ويتبصرون ما فيه
واصل التدبر النظر في ادبار الشيء ولو كان من عند غير الله ولو كان من كلام البشر كما زعم
الكفار لوجدوا فيه اختلافا كثيرا من تناقض المعنى وتفاوت النظم وكان بعضه فصيحا
وبعضه ركيكا وبعضه يصعب معارضته وبعضه يسهل ومطابقة بعض الاخبار المستقبلة للواقع دون بعض وموافقة
العقل لبعض احكامه دون بعض كما دل عليه الاستقراء لنقصان القوة البشرية ولعل ذكره ههنا للتنبيه على ان اختلاف
ما سبق من الاحكام ليس لتناقض في الحكم بل لاختلاف الاحوال في الحكم والمصالح واذا جاءهم امر
من الامن او الخوف مما يوجب الامن او الخوف اذاعوا به افشوه كان يفعله قوم من
ضعفة المسلمين اذا بلغهم خبر عن سرايا رسول الله صلعم او اخبرهم الرسول بما اوحي اليه من وعد بالظفر او تخويف
من الكفرة اذاعوا به لعدم حزمهم وكانت اذاعتهم مفسدة والباء مزيدة او لتضمين الاذاعة معنى التحدث و
لو ردوه ولو ردوا ذلك الخبر الى الرسول والى اولي الامر منهم الى رأيه ورأي
كبار اصحابه البصراء بالامور او الامراء لعلمه لعلم على اي وجه يذكره الذين يستنبطونه
منهم يستخرجون تدبيره بتجاربهم وانظارهم وقيل كانوا يسمعون اراجيف المدينة فيذيعونها فتعود وبالا
على المسلمين ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر منهم حتى يسمعوه منهم وتعرفوا انه هل يذاع لعلم ذلك من هؤلاء الذين
يستنبطونه من الرسول واولي الامر اي يستخرجون علمه من جهتهم واصل الاستنباط اخراج النبط وهو الماء يخرج من البئر
اول ما تحفر ولولا فضل الله عليكم ورحمته بارسال الرسول وانزال الكتاب لاتبعتم
الشيطان بالكفر والضلال الا قليلا منكم تفضل الله عليه بعقل راجح اهتدى به الى الحق والصواب و
عصمه عن متابعة الشيطان كزيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل او الا اتباعا قليلا على الندور فقاتل في
سبيل الله ان تثبطوا وتركوك وحدك لا تكلف الا نفسك الا فعل نفسك لا
يضرك مخالفتهم وتقاعدهم فتقدم الى الجهاد وان لم يساعدك احد فان الله ناصرك لا الجنود روي انه عم
دعا الناس في بدر الصغرى الى الخروج فكرهه بعضهم فنزلت فخرج وما معه الا سبعون لم يلو على احد وقرئ لا تكلف
بالجزم ولا نكلف بالنون على بناء الفاعل اي لا نكلف الا فعل نفسك لا انا لا نكلف احدا الا نفسه لقوله و
حرض المؤمنين على القتال اذ ما عليك في شأنهم الا التحريض عسى الله ان يكف
بأس الذين كفروا يعني قريشا وقد فعل بان القى في قلوبهم الرعب حتى رجعوا والله
اشد بأسا من قريش واشد تنكيلا تعذيبا منهم وهو تقريع وتهديد لمن لم يتبعه من

يشفع شفاعة حسنة راعى بها حق مسلم ودفع بها عنه ضرا او جلب اليه نفعا ابتغاء لوجه الله ومنها الدعاء لمسلم قال عليه السلام من دعا لاخيه المسلم بظهر الغيب استجيب له وقال له الملك ولك مثل ذلك يكن له نصيب منها وهو ثواب الشفاعة والتسبب الى الخير الواقع بها ومن يشفع شفاعة سيئة يريد بها محرما يكن له كفل منها نصيب من وزرها مساو لها في القدر وكان الله على كل شيء مقيتا مقتدرا من اقات على الشيء اذا قدر قال وذي ضغن كففت الضغن عنه وكنت على اساءته مقيتا او شهيدا حفيظا واشتقاقه من القوت فانه يقوي البدن ويحفظه واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها او ردوها الجمهور على انه في السلام ويدل عليه وجوب الجواب لا باحسن منه وهو ان يزيد عليه ورحمة الله فان قاله المسلم زاد وبركاته وهي النهاية والا رد مثله لما روي ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم السلام عليك فقال وعليك السلام ورحمة الله وقال اخر السلام عليك ورحمة الله فقال وعليك السلام ورحمة الله وبركاته فقال اخر السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقال وعليك فقال الرجل نقصتني فاين ما قال الله تعالى وتلى الاية فقال انك لم تترك لي فضلا فرددت عليك مثله وذلك لاستجماعه اقسام المطالب السلامة عن المضار وحصول المنافع وثباتها ومنه قيل او للترديد بين ان يحيي المسلم ببعض التحية وبين ان يحيي بتمامها وهذا الوجوب على الكفاية وحيث السلم مشروع فلا يرد في الخطبة وقراءة القران وفي الحمام وعند قضاء الحاجة ونحوها والتحية في الاصل مصدر حياك الله على الاخبار من الحيوة ثم استعمل للحكم والدعاء بذلك ثم قيل لكل دعاء فغلب في السلم وقيل المراد بالتحية العطية واوجب الثواب او الرد على المتهب وهو قول قديم للشافعي ان الله كان على كل شيء حسيبا يحاسبكم على التحية وغيرها الله لا اله الا هو مبتدا وخبر او الله مبتدا والخبر ليجمعنكم الى يوم القيمة اي الله والله ليحشرنكم من قبوركم الى يوم القيمة او مفضين اليه او في يوم القيمة ولا اله الا هو اعتراض والقيام والقيمة كالطلاب والطلابة قيام الناس من القبور او للحساب لا ريب فيه في اليوم او الجمع فهو حال من اليوم او صفة للمصدر ومن اصدق من الله حديثا انكار ان يكون احد اكثر صدقا منه تعالى فانه تعالى لا يتطرق الكذب الى خبره بوجه لانه نقص وهو على الله محال فما لكم في المنافقين فئتين فما لكم تفرقتم في امر المنافقين فئتين اي فرقتين ولم تتفقوا على كفرهم وذلك ان ناسا منهم استاذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخروج الى البدو لاجتواء المدينة فلما خرجوا لم يزالوا راحلين مرحلة مرحلة حتى لحقوا بالمشركين فاختلف المسلمون في اسلامهم وقيل نزلت في المتخلفين يوم احد او في قوم هاجروا ثم رجعوا معتلين باجتواء المدينة والاشتياق الى الوطن او قوم اظهروا الاسلام وقعدوا عن الهجرة وفئتين حال عاملها لكم او ما لكم كقولك ما لك قائما وفي المنافقين حال من فئتين اي متفرقين

فيهم او من الضمير اي فما لكم تفترقون فيهم ومعنى الافتراق مستفاد من فئتين والله اركسهم بما كسبوا ردهم الى حكم الكفرة او نكسهم بان صيرهم للنار واصل الركس رد الشيء مقلوبا اتريدون ان تهدوا من اضل الله ان تجعلوه من المهتدين ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا الى الهدى ودوا لو تكفرون كما كفروا تمنوا ان تكفروا ككفرهم فتكونون سواء فتكونون معهم سواء في الضلال وهو عطف على تكفرون ولو نصب على جواب التمني لجاز فلا تتخذوا منهم اولياء حتى يهاجروا في سبيل الله فلا توالوهم حتى يؤمنوا وتتحققوا ايمانهم بهجرة هي لله ورسوله لا لاغراض الدنيا وسبيل الله ما امر بسلوكه فان تولوا عن الايمان المظاهر بالهجرة او عن اظهار الايمان فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم كسائر الكفرة ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا اي جانبوهم راسا ولا تقبلوا منهم ولاية ولا نصرة الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق استثناء من قوله فخذوهم واقتلوهم اي الا الذين يصلون وينتهون الى قوم عاهدوكم ويفارقون محاربتكم والقوم هم خزاعة وقيل الاسلميون فانه عليه السلام وادع وقت خروجه الى مكة هلال بن عويمر الاسلمي على ان لا يعينه ولا يعين عليه ومن لجأ اليه فله من الجوار مثل ما له وقيل بنو بكر بن زيد مناة او جاؤكم عطف على الصلة اي او الذين جاؤكم كافين عن قتالكم وقتال قومهم استثنى من المامور باخذهم وقتلهم من ترك المحاربين فلحق بالمعاهدين او اتى الرسول وكف عن قتال الفريقين او على صفة قوم وكانه قيل الا الذين يصلون الى قوم معاهدين او قوم كافين عن القتال لكم وعليكم والاول اظهر لقوله فان اعتزلوكم وقرئ بغير العاطف على انه صفة بعد صفة او بيان ليصلون او استئناف حصرت صدورهم حال باضمار قد بدليل انه قرئ حصرة صدورهم وحصرات او بيان لجاؤكم وقيل صفة محذوف اي جاؤكم قوما حصرت صدورهم وهم بنو مدلج جاؤا رسول الله غير مقاتلين والحصر الضيق والانقباض ان يقاتلوكم او يقاتلوا قومهم اي عن ان او لان او كراهة ان يقاتلوكم ولو شاء الله لسلطهم عليكم بان قوى قلوبهم وبسط صدورهم وازال الرعب عنهم فلقاتلوكم ولم يكفوا عنكم فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم والقوا اليكم السلم الاستسلام والانقياد فما جعل الله لكم عليهم سبيلا فما اذن لكم في قتلهم واخذهم ستجدون اخرين يريدون ان يامنوكم ويامنوا قومهم هم اسد وغطفان وقيل بنو عبد الدار اتوا المدينة واظهروا الاسلام ليامنوا المسلمين فلما رجعوا كفروا كلما ردوا الى الفتنة دعوا الى الكفر والى قتال

المسلمين اركسوا فيها عادوا اليها وقلبوا فيها اقبح قلب فان لم يعتزلوكم ويلقوا اليكم
السلم وينبذوا اليكم العهد ويكفوا ايديهم عن قتالكم فخذوهم واقتلوهم
حيث ثقفتموهم حيث تمكنتم منهم فان مجرد الكف لا يوجب نفي التعرض واولئكم جعلنا
لكم عليهم سلطانا مبينا حجة واضحة في التعرض لهم بالقتل والسبي لظهور عداوتهم ووضوح كفرهم
وغدرهم او تسلطا ظاهرا حيث اذن لكم في قتلهم وما كان لمؤمن وما صح له وما من شانه ان
يقتل مؤمنا بغير حق الا خطأ فانه على عرضته ونصبه على الحال او المفعول له اي لا يقتله في شيء من الاحوال
الا حال الخطأ او لا يقتله لعلة الا للخطأ او على صفة مصدر محذوف اي الا قتلا خطأ وقيل ما كان نفي في معنى النهي
والاستثناء منقطع اي لكن ان قتله خطأ فجزاؤه ما يذكر والخطأ ما لا يصاحبه القصد الى الفعل او الشخص او ما لا يقصد به
زهوق الروح غالبا او لا يقصد به محظور كرمي المسلم في صف الكفار مع الجهل باسلامه او يكون فعل غير المكلف
وقرئ خطاء بالمد وخطا كعصا بتخفيف الهمزة والاية نزلت في عياش بن ابي ربيعة اخي ابي جهل من الام لقي حارث بن
زيد في طريق وكان قد اسلم ولم يشعر به عياش فقتله ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة اي فعليه
او فواجبه تحرير رقبة والتحرير الاعتاق والحر كالعتيق للكريم من الشيء ومنه حر الوجه لاكرم موضع منه سمي به
لان الكرم في الاحرار والرقبة عبر بها عن النسمة كما عبر عنها بالراس مؤمنة محكوم باسلامها وان كانت صغيرة
ودية مسلمة الى اهله مؤداة الى ورثته يقتسمونها كسائر المواريث لقول الضحاك بن سفيان
الكلابي كتب الي رسول الله صلعم يامرني ان اورث امراة اشيم الضبابي من عقل زوجها وهي على العاقلة فان
لم تكن فعلى بيت المال فان لم يكن ففي ماله الا ان يصدقوا الا ان يتصدقوا عليه بالدية سمي العفو عنها صدقة
حثا عليه وتنبيها على فضله وعن النبي صلعم كل معروف صدقة وهو متعلق بعليه او بمسلمة اي تجب الدية عليه او يسلمها
الى اهله الا حال تصدقهم عليه او زمانه فهو في محل النصب على الحال من القاتل او الاهل او الظرف فان كان
من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة اي ان كان المؤمن المقتول من قوم
كفار محاربين او في تضاعيفهم ولم يعلم ايمانه فعلى قاتله الكفارة دون الدية لاهله اذ لا وراثة بينه وبينهم لانهم
محاربون وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة الى
اهله وتحرير رقبة مؤمنة وان كان من قوم كفرة معاهدين او اهل الذمة فحكمه حكم المسلم في وجوب
الكفارة والدية ولعله فيما اذا كان له وارث مسلم فمن لم يجد رقبة بان لم يملكها ولا ما يتوصل به
اليها فصيام شهرين متتابعين فعليه او فالواجب عليه صيام شهرين توبة نصب
على المفعول له اي شرع ذلك توبة من تاب الله عليه اذا قبل توبته او على المصدر اي وتاب الله عليكم توبة

او حال بحذف مضاف اي فعليه صيام شهرين ذا توبة من الله صفتها وكان الله عليما بحاله
حكيما فيما امر في شانه ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها
وغضب الله عليه ولعنه واعد له عذابا عظيما لما فيه من التهديد العظيم
قال ابن عباس لا تقبل توبة قاتل المؤمن عمدا ولعله اراد به التشديد اذ روي عنه خلافه والجمهور على انه مخصوص
بمن لم يتب لقوله تعالى واني لغفار لمن تاب ونحوه وهو عندنا اما مخصوص بالمستحل له كما ذكره عكرمة وغيره ويؤيده
انه نزل في مقيس بن ضبابة وجد اخاه هشاما قتيلا في بني النجار ولم يظهر قاتله فامرهم رسول الله صلعم ان يدفعوا اليه ديته
فدفعوا اليه ثم حمل على مسلم فقتله ورجع الى مكة مرتدا او المراد بالخلود المكث الطويل فان الدلائل متظاهرة على ان
عصاة المسلمين لا يدوم عذابهم يا ايها الذين امنوا اذا ضربتم في سبيل الله سافرتم و
ذهبتم للغزو فتبينوا فاطلبوا بيان الامر وثباته ولا تعجلوا فيه ولا تقولوا لمن القى اليكم
السلام لمن حياكم بتحية السلام وقرا نافع وابن عامر وحمزة السلم بغير الف اي الاستسلام والانقياد وفسر به
السلام ايضا لست مؤمنا وانما فعلت ذلك متعوذا وقرئ مؤمنا بالفتح اي مبذولا له الامان
تبتغون عرض الحيوة الدنيا تطلبون ماله الذي هو حطام سريع النفاد وهو حال من الضمير في تقولوا
مشعر بما هو الحامل لهم على العجلة وترك التثبت فعند الله مغانم كثيرة تغنيكم عن قتل امثاله
لماله كذلك كنتم من قبل اي اول ما دخلتم في الاسلام تفوهتم بكلمة الشهادة فحصنت بها
دماؤكم واموالكم من غير ان تعلم مواطاة قلوبكم السنتكم فمن الله عليكم بالاشتهار بالايمان والاستقامة في الدين
فتبينوا وافعلوا بالداخلين في الاسلام كما فعل الله بكم ولا تبادروا الى قتلهم ظنا بانهم دخلوا فيه اتقاء وخوفا فان ابقاء
الف كافر اهون عند الله من قتل امرئ مسلم وتكريره تاكيد لتعظيم الامر وترتيب الحكم على ما ذكره من حالهم ان الله كان
بما تعملون خبيرا عالما به وبالغرض منه فلا تتهافتوا في القتل واحتاطوا فيه روي ان سرية لرسول الله صلعم
غزت اهل فدك فهربوا وبقي مرداس ثقة باسلامه فلما راى الخيل الجا غنمه الى عاقول من الجبل وصعد فلما تلاحقوا و
كبروا كبر ونزل وقال لا اله الا الله محمد رسول الله السلام عليكم فقتله اسامة واستاق غنمه فنزلت وقيل نزلت في المقداد مر برجل
في غنيمة فاراد قتله فقال لا اله الا الله فقتله وقال ود لو فر باهله وماله وفيه دليل على صحة ايمان المكره وان المجتهد قد يخطئ و
ان خطاه مغتفر لا يستوي القاعدون عن الحرب من المؤمنين في موضع الحال من القاعدين
او من الضمير الذي فيه غير اولي الضرر بالرفع صفة للقاعدين لانه لم يقصد به قوم باعيانهم او بدل منه
وقرا نافع وابن عامر والكسائي بالنصب على الحال او الاستثناء وقرئ بالجر على انه صفة للمؤمنين او بدل منه وعن زيد
بن ثابت رضه انها نزلت ولم يكن فيها غير اولي الضرر فقال ابن ام مكتوم فكيف وانا اعمى فغشي رسول الله صلعم في

بجاء الوحي فوقعت فخذه على فخذي حتى خشيت ان ترضها ثم سري عنه فقال اكتب لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير
اولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله باموالهم وانفسهم اي لا مساواة
بينهم وبين من قعد عن الجهاد من غير علة وفائدته تذكير ما بينهما من التفاوت ليرغب القاعد في الجهاد
رفعا لرتبته وانفة عن انحطاط منزلته فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم
على القاعدين درجة جملة موضحة لما نفى الاستواء فيه والقاعدين على التقييد السابق ودرجة
نصب بنزع الخافض اي بدرجة او على المصدر لانه تضمن معنى التفضيل ووقع موقع المرة منه او الحال بمعنى ذوي
درجة وكلا من القاعدين والمجاهدين وعد الله الحسنى المثوبة الحسنى وهي الجنة لحسن عقيدتهم
وخلوص نيتهم وانما التفاوت في زيادة العمل المقتضي لمزيد الثواب وفضل الله المجاهدين
على القاعدين اجرا عظيما نصب على المصدر لان فضل بمعنى آجر او المفعول الثاني له لتضمنه معنى
الاعطاء كانه قيل واعطاهم زيادة على القاعدين اجرا عظيما درجات منه ومغفرة و
رحمة كل واحد منها بدل من اجرا ويجوز ان ينتصب درجات على المصدر كقولك ضربته اسواطا واجرا
على الحال عنها تقدمت عليها لانها نكرة ومغفرة ورحمة على المصدر باضمار فعلهما كرر تفضيل المجاهدين وبالغ
فيه اجمالا وتفصيلا تعظيما للجهاد وترغيبا فيه وقيل الاول ما خولهم في الدنيا من الغنيمة والظفر وجميل الذكر والثاني
ما جعل لهم في الآخرة وقيل المراد بالدرجة الاولى ارتفاع منزلتهم عند الله وبالدرجات منازلهم في الجنة
وقيل القاعدون الاول هم الاضراء والقاعدون الثاني هم الذين اذن لهم في التخلف اكتفاء بغيرهم وقيل المجاهدون
الاولون من جاهد الكفار والآخرون من جاهد نفسه وعليه قوله عم رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر وكان
الله غفورا لما عسى يفرط منهم رحيما بما وعد لهم ان الذين توفاهم الملائكة يحتمل
الماضي والمضارع وقرئ توفتهم الملائكة وتوفاهم على مضارع وفيت بمعنى ان الله يوفي الملائكة انفسهم فيتوفونها
اي يمكنهم من استيفائها فيستوفونها ظالمي انفسهم في حال ظلمهم انفسهم بترك الهجرة وموافقة الكفرة
فانها نزلت في ناس بمكة اسلموا ولم يهاجروا حين كانت الهجرة واجبة قالوا اي الملائكة توبيخا لهم فيم
كنتم في اي شيء كنتم من امر دينكم قالوا كنا مستضعفين في الارض
اعتذروا مما وبخوا به بضعفهم وعجزهم عن الهجرة او عن اظهار الدين واعلاء كلمته قالوا اي الملائكة تكذيبا
لهم وتبكيتا الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها الى قطر آخر كما
فعل المهاجرون الى المدينة والحبشة فاولئك ماواهم جهنم لتركهم الواجب ومساعدتهم
الكفار وهو خبر ان والفاء فيه لتضمن الاسم معنى الشرط وقالوا فيم كنتم حال من الملائكة باضمار قد او الخبر

قالوا والعائد محذوف اي قالوا لهم وهو جملة معطوفة على الجملة قبلها مستنتجة منه وساءت مصيرا
مصيرهم او جهنم وفي الآية دليل على وجوب الهجرة من موضع لا يتمكن الرجل فيه من اقامة دينه وعن النبي صلعم
من فر بدينه من ارض الى ارض وان كان شبرا من الارض استوجبت له الجنة وكان رفيق ابيه ابراهيم ونبيه محمد عم الا
المستضعفين من الرجال والنساء والولدان استثناء منقطع لعدم
دخولهم في الموصول وضميره والاشارة اليه وذكر الولدان ان اريد به المماليك فظاهر وان اريد به الصبيان
فللمبالغة في الامر والاشعار بانهم على صدد وجوب الهجرة فانهم اذا بلغوا وقدروا على الهجرة فلا محيص لهم
عنها وان قوامهم يجب عليهم ان يهاجروا بهم متى امكنت لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون
سبيلا صفة للمستضعفين اذ لا توقيت فيه او حال عنه او عن المستكن فيه واستطاعة الحيلة وجدان اسباب
الهجرة وما يتوقف عليه واهتداء السبيل معرفة الطريق بنفسه او بدليل فاولئك عسى الله
ان يعفو عنهم ذكر بكلمة الاطماع ولفظ العفو ايذانا بان ترك الهجرة امر خطير حتى ان المضطر من حقه
ان لا يامن ويترصد الفرصة ويعلق بها قلبه وكان الله عفوا غفورا ومن يهاجر
في سبيل الله يجد في الارض مراغما كثيرا متحولا من الرغام وهو التراب
وقيل طريقا يراغم قومه بسلوكه اي يفارقهم على رغم انوفهم وهو ايضا من الرغام وسعة في الرزق و
اظهار الدين ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم
يدركه الموت وقرئ يدركه بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف اي ثم هو يدركه وبالنصب على
اضمار ان كقوله والحق بالحجاز فاستريحا فقد وقع اجره على الله وكان الله
غفورا رحيما الوقوع والوجوب متقاربان والمعنى ثبت اجره عند الله ثبوت الامر الواجب
والآية نزلت في جندب بن ضمرة حملوه بنوه على سرير متوجها الى المدينة فلما بلغ التنعيم اشرف على الموت
فصفق بيمينه على شماله فقال اللهم هذه لك وهذه لرسولك ابايعك على ما بايع عليه رسولك فمات
واذا ضربتم في الارض فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة
بتنصيف ركعاتها ونفي الحرج فيه يدل على جوازه دون وجوبه ويؤيده انه عم اتم في السفر وان عائشة رضها
اعتمرت مع رسول الله صلعم وقالت يا رسول الله قصرت واتممت وصمت وافطرت فقال احسنت يا عائشة
واوجبه ابو حنيفة ره لقول عمر صلوة السفر ركعتان تمام غير قصر على لسان نبيكم ولقول عائشة رضها اول
ما فرضت الصلوة فرضت ركعتين ركعتين فاقرت في السفر وزيدت في الحضر فظاهرهما يخالف الآية فان
فالاول مؤول بانه كالتام في الصحة والاجزاء والثاني لا ينفي جواز الزيادة فلا حاجة الى تاويل الآية بانهم الفوا

الاربع فكان مظنة لان يخطر ببالهم ان ركعتي السفر قصر ونقصان فسمي الاتيان بهما قصرا على ظنهم ونفي الجناح فيه لتطيب به نفسهم واقل سفر تقصر فيه اربعة برد عندنا وستة عند ابي حنيفة وقرئ تقصروا من اقصر بمعنى قصر ومن
الصلوة صفة محذوف اي شيئا من الصلوة عند سيبويه ومفعول تقصروا بزيادة من عند الاخفش ان خفتم
ان يفتنكم الذين كفروا ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا
شرطية باعتبار الغالب في ذلك الوقت ولذلك لم يعتبر مفهومها كما لم يعتبر في قوله تعالى فان خفتم الا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به وقد تظاهرت السنن على جوازه ايضا في حال الامن وقرئ من الصلوة ان يفتنكم بغير ان خفتم بمعنى كراهة ان يفتنكم وهو القتال والتعرض بما يكره واذا كنت فيهم فاقمت لهم
الصلوة تعلق بمفهومه من خص صلوة الخوف بحضرة الرسول لفضل الجماعة وعامة الفقهاء على انه تعالى علم الرسول كيفيتها لتأتم به الائمة بعده وانهم نواب عنه فيكون حضورهم كحضوره فلتقم طائفة
منهم معك فاجعلهم طائفتين فلتقم احداهما معك يصلون وتقوم الطائفة الاخرى تجاه العدو و
لياخذوا اسلحتهم اي المصلون حزما وقيل الضمير للطائفة الاخرى وذكر الطائفة الاولى يدل عليهم فاذا سجدوا يعني المصلين فليكونوا اي غير المصلين من ورائكم يحرسونكم يعني النبي ومن يصلي معه فغلب المخاطب على الغائب ولتات طائفة اخرى لم يصلوا لاشتغالهم بالحراسة فليصلوا معك ظاهر هذه الاية يدل على ان الامام يصلي مرتين بكل طائفة مرة كما فعله صلى الله عليه وسلم ببطن النخل وان اريد به ان يصلي بكل ركعة ان كانت الصلوة ركعتين فكيفيته ان يصلي بالاولى ركعة وينتظر قائما حتى يتموا صلوتهم منفردين ويذهبوا الى وجه العدو وتاتي الاخرى فيتم بهم الركعة الثانية ثم ينتظرهم قاعدا حتى يتموا صلوتهم ويسلم بهم كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بذات الرقاع وقال ابو حنيفة رح يصلي بالاولى ركعة ثم تذهب هذه وتقف بازائه وتاتي الاخرى فتصلي معه ركعة ويتم صلوته ثم تعود الى وجه العدو وتاتي الاولى فتودي الركعة الثانية بغير قراءة وتتم صلوتها ثم تحرس وتاتي الاخرى فتودي الركعة بقراءة وتتم صلوتها وليأخذوا حذرهم واسلحتهم جعل الحذر آلة يتحصن بها الغازي فجمع بينه وبين الاسلحة في وجوب الاخذ ونظيره قوله تعالى والذين تبوءوا الدار والايمان ود الذين كفروا
لو تغفلون عن اسلحتكم وامتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة
تمنوا ان ينالوا منكم غرة في صلوتكم فيشدون عليكم شدة واحدة وهو بيان ما لاجله امروا باخذ السلاح ولا جناح
عليكم ان كان بكم اذى من مطر او كنتم مرضى ان تضعوا اسلحتكم رخصة لهم في وضعها اذا ثقل عليهم اخذها بسبب مطر او مرض وهذا مما يؤيد ان الامر بالاخذ للوجوب دون الاستحباب و

خذوا حذركم امرهم مع ذلك باخذ الحذر كيلا يهجم عليهم العدو ان الله اعد للكافرين
عذابا مهينا وعد للمؤمنين بالنصر على الكفار بعد الامر بالحزم لتقوى قلوبهم وليعلموا ان الامر بالحزم ليس لضعفهم وغلبة عدوهم بل لان الواجب ان يحافظوا في الامور على مراسم التيقظ والتدبير فيتوكلوا على الله فاذا
قضيتم الصلوة اديتم وفرغتم منها فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى
جنوبكم فدوموا على الذكر في جميع الاحوال او اذا اردتم اداء الصلوة واشتد الخوف فصلوها كيف ما امكن قياما مسايفين ومقارعين وقعودا مرامين وعلى جنوبكم مثخنين فاذا اطمأننتم سكنت قلوبكم من
الخوف فاقيموا الصلوة فعدلوا واحفظوا اركانها وشرائطها واتوا بها تامة ان
الصلوة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا فرضا محدود الاوقات لا يجوز اخراجها عن اوقاتها في شيء من الاحوال وهذا دليل على ان المراد بالذكر الصلوة وانها واجبة الاداء حال المسايفة والاضطراب في المعركة وتعليل الامر بالاتيان بها كيف ما امكن وقال ابو حنيفة رح لا يصلي المحارب حتى يطمئن ولا تهنوا ولا تضعفوا في ابتغاء القوم في طلب الكفار بالقتال ان تكونوا
تالمون فانهم يالمون كما تالمون وترجون من الله ما لا يرجون الزام لهم وتقريع على التواني فيه بان ضرر القتال داير بين الفريقين غير مختص بهم وهم يرجون من الله بسببه من اظهار الدين واستحقاق الثواب ما لا يرجوا عدوهم فينبغي ان يكونوا ارغب منهم في الحرب واصبر عليها وقرئ ان تكونوا بالفتح بمعنى ولا تهنوا لان تكونوا تالمون ويكون قوله فانهم يالمون علة للنهي عن الوهن لاجله والاية نزلت في بدر الصغرى وكان الله عليما باعمالكم وضمائركم حكيما فيما يامر وينهى انا انزلنا اليك
الكتاب بالحق لتحكم بين الناس نزلت في طعمة بن ابيرق من بني ظفر سرق درعا من جاره قتادة بن النعمان في جراب دقيق فجعل الدقيق ينتثر من خرق فيه وخباها عند زيد بن السمين اليهودي فالتمس الدرع عند طعمة فلم توجد وحلف ما اخذها وما له بها علم فتركوه واتبعوا اثر الدقيق حتى انتهى الى منزل اليهودي فاخذوها فقال دفعها الي طعمة وشهد له ناس من اليهود فقالت بنو ظفر انطلقوا بنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألوه ان يجادل عن صاحبهم وقالوا ان لم تفعل هلك صاحبنا وافتضح وبرئ اليهودي فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يفعل بما اراك الله بما عرفك واوحى به اليك وليس من الرؤية بمعنى العلم والا لاستدعى ثلثة مفاعيل ولا تكن للخائنين
اي لاجلهم والذب عنهم خصيما للبراء واستغفر الله مما هممت به ان الله كان
غفورا رحيما لمن يستغفره ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم يخونونها فان وبال خيانتهم يعود عليها او جعل المعصية خيانة لها كما جعلت ظلما عليها والضمير لطعمة وامثاله او له ولقومه

طعمة بكسر الطاء وفتحها وضمها غير المطرزي

واتى عند اليهودي

فانهم شاركوه في الاثم حين شهدوا على برائته وخصموا عنه ان الله لا يحب من كان خوانا مبالغا
في الخيانة مصرا عليها اثيما منهمكا فيه روي ان طعمة هرب الى مكة وارتد ونقب حائطا بها ليسرق اهله
فسقط الحائط عليه فقتله يستخفون من الناس يستترون منهم حياء وخوفا ولا يستخفون
من الله وهو احق بان يستحيى ويخاف منه وهو معهم لا يخفى عليه سرهم فلا طريق معه الا ترك
ما يستقبحه ويؤاخذ عليه اذ يبيتون يدبرون ويزورون ما لا يرضى من القول من رمي البري
والحلف الكاذب وشهادة الزور وكان الله بما يعملون محيطا لا يفوت عنه شيء
ها انتم هؤلاء مبتدا وخبر جادلتم عنهم في الحيوة الدنيا جملة مبينة لوقوع
اولاء خبرا او صلة عند من يجعله موصولا فمن يجادل الله عنهم يوم القيمة ام من يكون
عليهم وكيلا محاميا يحميهم من عذاب الله ومن يعمل سوءا قبيحا يسوء به غيره او يظلم
نفسه بما يختص به ولا يتعداه وقيل المراد بالسوء ما دون الشرك وبالظلم الشرك وقيل الصغيرة والكبيرة
ثم يستغفر الله بالتوبة يجد الله غفورا لذنبه رحيما متفضلا عليه وفيه حث لطعمة
وقومه على التوبة والاستغفار ومن يكسب اثما فانما يكسبه على نفسه
فلا يتعداه وباله لقوله وان اسأتم فلها وكان الله عليما حكيما فهو عليم بفعله
حكيم في مجازاته ومن يكسب خطيئة صغيرة او ما لا عمد فيه او اثما كبيرة او
ما كان عن عمد ثم يرم به بريئا كما رمى طعمة زيدا ووحد الضمير لمكان او فقد احتمل
بهتانا واثما مبينا بسبب رمي البري وتبرئة النفس الخاطئة ولذلك سوى بينهما وان كان مقترف
احدهما دون مقترف الاخر ولولا فضل الله عليك ورحمته باعلام ما هموا به
بالوحي والضمير للرسول فان عصمة الرسول واطلاعه على الاحوال لطف في حقهم لهمت طائفة
منهم اي من بني ظفر ان يضلوك عن القضاء بالحق مع علمهم بالحال والجملة جواب لولا وليس القصد فيه
الى نفي همهم بل الى نفي تأثيره فيه وما يضلون الا انفسهم لانه ما ازلك عن الحق وعاد وباله
عليهم وما يضرونك من شيء فان الله عصمك وما خطر ببالك كان اعتمادا منك
على ظاهر الامر لا ميلا في الحكم ومن شيء في موضع النصب على المصدر اي شيئا من الضرر وانزل الله
عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم من خفيات الامور
او امور الدين والاحكام وكان فضل الله عليك عظيما اذ لا فضل اعظم من النبوة لا خير
في كثير من نجويهم من متناجيهم كقوله تعالى واذ هم نجوى او من تناجيهم فقوله الا من امر بصدقة

او معروف على حذف مضاف اي الا نجوى من امر بصدقة او على الانقطاع بمعنى ولكن من امر بصدقة ففي
نجواه الخير والمعروف كل ما يستحسنه الشرع ولا ينكره العقل وفسر هنا بالقرض واغاثة الملهوف وصدقة التطوع وسائر
البر او اصلاح بين الناس او اصلاح ذات بين ومن يفعل ذلك ابتغاء
مرضات الله فسوف نؤتيه اجرا عظيما بنى الكلام على الامر ورتب الجزاء على الفعل ليدل
على انه لما دخل الآمر في زمرة الخيرين كان الفاعل ادخل فيهم وان العمدة والغرض هو الفعل واعتبار الامر من حيث انه وصلة
اليه وقيد الفعل بان يكون لطلب مرضات الله لان الاعمال بالنيات وان من فعل خيرا رياء وسمعة لم يستحق به من الله اجرا ووصف
الاجر بالعظم تنبيها على حقارة ما فات في جنبه من اعراض الدنيا وقرأ حمزة وابو عمرو يؤتيه بالياء ومن يشاقق الرسول
يخالفه من الشق فان كلا من المتخالفين في شق غير شق الاخر من بعد ما تبين له الهدى ظهر له الحق
بالوقوف على المعجزات ويتبع غير سبيل المؤمنين غير ما هم عليه من اعتقاد او عمل نوله ما
تولى نجعله واليا لما تولى من الضلال ونخلي بينه وبين ما اختاره ونصله جهنم وندخله فيها وقرئ بفتح
النون من صلاه وساءت مصيرا جهنم والاية تدل على حرمة مخالفة الاجماع لانه تعالى رتب الوعيد الشديد
على المشاقة واتباع غير سبيل المؤمنين وذلك اما لحرمة كل واحد منهما او احدهما او الجمع بينهما والثاني باطل اذ يقبح ان يقال من
شرب الخمر واكل الخبز استوجب الحد وكذا الثالث لان المشاقة محرمة ضم اليها غيرها او لم يضم واذا كان اتباع غير سبيلهم محرما
كان اتباع سبيلهم واجبا لان ترك اتباع سبيلهم ممن عرف سبيلهم اتباع غير سبيلهم وقد استقصيت الكلام فيه في منهاج
الاصول الى مبادي الاحكام ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك
لمن يشاء كرره للتأكيد او لقصة طعمة وقيل جاء شيخ الى رسول الله وقال اني شيخ منهمك في الذنوب الا اني
لم اشرك بالله شيئا منذ عرفته وآمنت به ولم اتخذ من دونه وليا ولم اوقع المعاصي جراءة وما توهمت طرفة عين اني اعجز الله
هربا واني لنادم تائب فما ترى حالي عند الله فنزلت ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا
بعيدا عن الحق فان الشرك اعظم انواع الضلالة وابعدها عن الصواب والاستقامة وانما ذكر في الاية الاولى
فقد افترى لانها متصلة بقصة اهل الكتاب ومنشأ شركهم نوع افتراء وهو دعوى التبني على الله ان يدعون
من دونه الا اناثا يعني اللات والعزى ومناة ونحوها كان لكل حي صنم يعبدونه ويسمونه انثى بني
فلان وذلك لتأنيث اسمائها كما قال وما ذكر وان يمين فانثى شديد الازم ليس له ضروس فانه عنى القراد
وهو ما كان صغيرا سمي قرادا فاذا كبر سمي حلمة ولانها كانت جمادات والجمادات تؤنث من حيث انها ضاهت
الاناث لانفعالها ولعله تعالى ذكرها بهذا الاسم تنبيها على انهم يعبدون ما يسمونه اناثا لانه ينفعل ولا يفعل ومن حق المعبود ان يكون فاعلا غير
منفعل ليكون دليلا على تناهي جهلهم وفرط حماقتهم وقيل المراد الملائكة لقولهم الملائكة بنات الله وهو جمع انثى كرباب

وربي وقرئ انثى على التوحيد وانثا على انه جمع انيث كخبث وخبيث ووثنا ووثنا بالتخفيف والتثقيل وهو جمع وثن كاسد
واسد واثنا بهما على قلب الواو لضمها همزة وان يدعون وان يعبدون بعبادتها الا
شيطانا مريدا لانه الذي امرهم بعبادتها واغراهم عليها فكان طاعته في ذلك عبادة
له والمارد والمريد الذي لا يعلق بخير واصل التركيب للملاسة ومنه صرح ممرد وغلام امرد وشجرة مرداء التي تناثر
ورقها لعنه الله صفة ثانية للشيطان وقال لاتخذن من عبادك نصيبا
مفروضا عطف عليه اي شيطانا مريدا جامعا بين لعنة الله وهذا القول الدال على فرط عداوته للناس
وقد برهن سبحانه اولا على ان الشرك ضلال في الغاية على سبيل التعليل بان ما يشركون به ينفعل ولا يفعل فعلا اختياريا
وذلك ينافي الالوهية غاية المنافاة فان الاله ينبغي ان يكون فاعلا غير منفعل ثم استدل عليه بانه عبادة الشيطان وهي افظع
الضلال لثلاثة اوجه الاول انه مريد منهمك في الضلال لا يعلق بشيء من الخير والهدى فيكون طاعته ضلالا بعيدا عن
الهدى والثاني انه ملعون لضلاله فلا تستجلب مطاوعته الا الضلال واللعن والثالث انه في غاية العداوة والسعي في
اهلاكهم وموالاة من هذا شانه غاية الضلال فضلا عن عبادته والمفروض المقطوع اي نصيبا قدر لي وفرض من قولهم
فرض له في العطاء ولاضلنهم عن الحق ولامنينهم الاماني الباطلة كطول الحيوة وان لا بعث
ولا عقاب ولآمرنهم فليبتكن آذان الانعام يشقونها لتحريم ما احل الله وهي عبارة
عما كانت العرب تفعل بالبحاير والسوايب واشارة الى تحريم كل ما احل ونقص كل ما خلق كاملا بالفعل او القوة
ولآمرنهم فليغيرن خلق الله عن وجهه صورة او صفة ويندرج فيه ما قيل من فقء عين الحامي
وخصاء العبيد والوشم والوشر واللواط والسحق ونحو ذلك وعبادة الشمس والقمر وتغيير فطرة الله التي هي
الاسلام واستعمال الجوارح والقوى فيما لا يعود على النفس كمالا ولا يوجب لها من الله زلفى وعموم اللفظ يمنع الخصاء
مطلقا لكن الفقهاء رخصوا في خصاء البهائم للحاجة والجمل الاربع كحكاية عما ذكره الشيطان نطقا او اتاه فعلا و
من يتخذ الشيطان وليا من دون الله بايثاره ما يدعوه اليه على ما امره الله به ومجاوزته
عن طاعة الله الى طاعته فقد خسر خسرانا مبينا اذ ضيع راس ماله وبدل مكانه من الجنة
بمكانه من النار يعدهم ما لا ينجز ويمنيهم ما لا ينالون وما يعدهم الشيطان
الا غرورا وهو اظهار النفع فيما فيه الضرر وهذا الوعد اما بالخواطر الفاسدة او بلسان اوليائه
اولئك مأواهم جهنم ولا يجدون عنها محيصا معدلا ومهربا
من حاص يحيص اذا عدل وعنها حال منه وليس صلة له لانه اسم مكان وان جعل مصدرا فلا يعمل ايضا فيما قبله
والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري

من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا وعد الله حقا اي وعده وعدا وحق
ذلك حقا فالاول مؤكد لنفسه لان مضمون الجملة الاسمية التي قبله وعد والثاني مؤكد لغيره ويجوز ان ينصب الموصول
بفعل يفسره ما بعده ووعد الله بقوله سندخلهم لانه بمعنى نعدهم ادخالهم وحقا على انه حال من المصدر ومن
اصدق من الله قيلا جملة مؤكدة بليغة والمقصود من الآية معارضة المواعيد الشيطانية الكاذبة
بوعد الله الصادق لاوليائه والمبالغة في توكيده ترغيبا للعباد في تحصيله ليس بامانيكم ولا
اماني اهل الكتاب اي ليس ينال ما وعد الله من الثواب بامانيكم ايها المسلمون ولا باماني
اهل الكتاب وانما ينال بالايمان والعمل الصالح وقيل الايمان ليس بالتمني ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل روي ان
المسلمين واهل الكتاب افتخروا فقال اهل الكتاب نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم ونحن اولى بالله منكم وقال
المسلمون نحن اولى بالله منكم نبينا خاتم النبيين وكتابنا يقضي على الكتب المتقدمة فنزلت وقيل الخطاب مع
المشركين ويدل عليه تقدم ذكرهم اي ليس الامر باماني المشركين وهو قولهم لا جنة ولا نار وقولهم ان كان الامر كما يزعم
هؤلاء لنكونن خيرا منهم واحسن حالا ولا اماني اهل الكتاب وهو قولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى و
قولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودة ثم قرر ذلك وقال من يعمل سوءا يجز به عاجلا وآجلا لما
روي انه لما نزلت قال ابو بكر رضه فمن ينجو مع هذا يا رسول الله فقال عم اما تحزن اما تمرض اما يصيبك اللأواء
قال بلى يا رسول الله قال هو ذلك ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا و
من يعمل من الصالحات بعضها او شيئا منها فان كل احد لا يتمكن من كلها وليس مكلفا بها من
ذكر او انثى في موضع الحال من المستكن في يعمل ومن للبيان او من الصالحات اي كائنة من ذكر او انثى
ومن للابتداء وهو مؤمن حال شرط اقتران العمل بها في استدعاء الثواب المذكور تنبيها على انه لا اعتداد
به دونه فاولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا بنقص شيء من الثواب واذا
لم ينقص ثواب المطيع فبالحري ان لا يزاد عقاب العاصي لان المجازي ارحم الراحمين ولذلك اقتصر على ذكره
عقيب الثواب وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابو بكر يدخلون الجنة هنا وفي مريم وغافر بضم الياء وفتح الخاء والباقون
بفتح الياء وضم الخاء ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله اخلص نفسه لله لا يعرف لها
ربا سواه وقيل بذل وجهه له في السجود وفي هذا الاستفهام تنبيه على ان ذلك منتهى ما تبلغه القوة البشرية وهو
محسن آت بالحسنات تارك للسيئات واتبع ملة ابراهيم الموافقة لدين الاسلام
المتفق على صحتها حنيفا مائلا عن سائر الاديان وهو حال من المتبع او الملة او ابراهيم واتخذ
الله ابراهيم خليلا اصطفاه وخصصه بكرامة تشبه كرامة الخليل عند خليله وانما اعاد ذكره

ولم يعصم تحلية له وتخصيصا على انه الممدوح والخلة من الخلال فانه ود تخلل النفس وخالطها وقيل من الخلل فان كل واحد
من الخليلين يسد خلل الاخر او من الخل وهو الطريق في الرمل فانهما يترافقان في الطريقة او من الخلة بمعنى الخصلة فانهما
يتوافقان في الخصال والجملة استيناف جيء به للترغيب في اتباع ملته والايذان بانه نهاية في الحسن وغاية كمال البشر روي
ان ابراهيم عم بعث الى خليل له بمصر في ازمة اصابت الناس يمتار منه فقال خليله لو كان ابراهيم يريد لنفسه لفعلت
لكن يريده للاضياف وقد اصابنا ما اصاب الناس فاجتاز غلمانه ببطحاء لينة فملؤا منها الغرائر حياء من الناس فلما اخبروا
ابراهيم عم ساءه الخبر فغلبته عيناه فنام وقامت سارة الى غرارة منها فاخرجت حواري واختبزت فاستيقظ ابراهيم
فاشتم رائحة الخبز فقال من اين لكم فقال من خليلك المصري فقال بل من عند خليلي الله عز وجل فسماه الله خليلا
ولله ما في السموات وما في الارض خلقا وملكا يختار منهما من يشاء وما يشاء وقيل هو
متصل بذكر العمال مقرر لوجوب طاعته على اهل السموات والارض وكمال قدرته على مجازاتهم على الاعمال
وكان الله بكل شيء محيطا احاط علمه وقدرته وكان عالما باعمالهم فجازيهم على خيرها وشرها
ويستفتونك في النساء في ميراثهن اذ سبب نزوله ان عيينة بن حصين اتى النبي صلعم فقال اخبرنا
انك تعطي الابنة النصف والاخت النصف وانما كنا نورث من يشهد القتال ويحوز الغنيمة فقال النبي صلعم
كذلك امرت قل الله يفتيكم فيهن يبين لكم حكمه فيهن والافتاء تبيين المبهم وما يتلى
عليكم في الكتاب عطف على اسم الله او ضميره المستكن في يفتيكم وساغ للفصل فيكون الافتاء
مسندا الى الله والى ما في القرآن من قوله يوصيكم الله ونحوه باعتبارين مختلفين ونظيره اغناني زيد وعطاؤه او
استيناف معترض لتعظيم المتلو عليهم على ان ما يتلى عليكم مبتدأ وفي الكتاب خبره والمراد به اللوح المحفوظ ويجوز ان
ينصب على معنى ويبين لكم ما يتلى عليكم او يخفض على القسم كانه قيل واقسم بما يتلى عليكم في الكتاب ولا يجوز عطفه
على المجرور في فيهن لاختلاله لفظا ومعنى في يتامى النساء صلة يتلى ان عطف الموصول على ما قبله اي يتلى
عليكم في شانهن والا فبدل من فيهن وصلة اخرى ليفتيكم على معنى الله يفتيكم فيهن بسبب يتامى النساء كما تقول
كلمتك اليوم في زيد وهذه الاضافة بمعنى من لانها اضافة الشيء الى جنسه وقرئ بيامى على انه ايامى فقلبت
همزته ياء اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن اي فرض لهن من الميراث وترغبون
ان تنكحوهن في ان تنكحوهن او عن ان تنكحوهن فان اولياء اليتامى كانوا يرغبون فيهن ان كن جميلات
ويأكلون مالهن والا كانوا يعضلونهن طمعا في ميراثهن والواو تحتمل الحال والعطف وليس فيه دليل على جواز
تزويج اليتيمة اذ لا يلزم من الرغبة في نكاحها جريان العقد في صغرها والمستضعفين من الولدان
عطف على يتامى النساء والعرب ما كانوا يورثونهم كما لا يورثون النساء وان تقوموا لليتامى

بالقسط ايضا عطف عليه اي ويفتيكم او ما يتلى في ان تقوموا هذا اذا جعلت في يتامى صلة لاحدهما فان جعلته
بدلا فالوجه نصبهما عطفا على موضع فيهن ويجوز ان ينصب وان تقوموا باضمار فعل اي ويامركم ان تقوموا وهو
خطاب للائمة في ان ينظروا لهم ويستوفوا حقوقهم او للقوام بالنصفة في شانهم وما تفعلوا من خير
فان الله كان به عليما وعد لمن آثر الخير في ذلك وان امرأة خافت من
بعلها توقعت منه لما ظهر لها من المخايل وامرأة فاعل فعل يفسره الظاهر نشوزا تجافيا عنها وترفعا عن
صحبتها كراهة لها ومنعا لحقوقها او اعراضا بان يقل مجالستها ومحادثتها فلا جناح عليهما
ان يصالحا بينهما صلحا ان يتصالحا بان تحط له بعض المهر او القسم او تهب له شيئا تستميله به وقرأ
الكوفيون ان يصلحا من اصلح بين المتنازعين وعلى هذا جاز ان ينتصب صلحا على المفعول به وبينهما ظرف او حال منه او على
المصدر كما في القراءة الاولى والمفعول بينهما او هو محذوف وقرئ يصلحا من اصلح بمعنى اصطلح والصلح خير من
الفرقة وسوء العشرة او من الخصومة ويجوز ان لا يراد به التفضيل بل بيان انه من الخيور كما ان الخصومة من الشرور
وهو اعتراض وكذا قوله واحضرت الانفس الشح ولذلك اغتفر عدم تجانسهما والاول للترغيب
في المصالحة والثاني لتمهيد العذر في المماكسة ومعنى احضار الانفس الشح جعلها حاضرة له مطبوعة عليه فلا تكاد المرأة
تسمح بالاعراض عنها والتقصير في حقها ولا الرجل يسمح بان يمسكها ويقوم بحقها على ما ينبغي اذا كرهها او احب غيرها وان
تحسنوا في العشرة وتتقوا النشوز والاعراض ونقص الحق فان الله كان بما تعملون
من الاحسان والخصومة خبيرا عليما به وبالغرض فيه فيجازيكم عليه اقام كونه عالما باعمالهم مقام اثابته اياهم
عليها الذي هو في الحقيقة جواب الشرط اقامة السبب مقام المسبب ولن تستطيعوا ان تعدلوا
بين النساء لان العدل ان لا يقع ميل البتة وهو متعذر ولذلك كان رسول الله صلعم يقسم بين نسائه فيعدل و
يقول هذه قسمتي فيما املك فلا تؤاخذني فيما تملك ولا املك ولو حرصتم على تحري ذلك وبالغتم فيه
فلا تميلوا كل الميل بترك المستطاع والجور على المرغوب عنها فان ما لا يدرك كله لا يترك كله
فتذروها كالمعلقة التي ليست ذات بعل ولا مطلقة وعن النبي صلعم من كانت له امرأتان يميل
مع احدهما جاء يوم القيامة واحد شقيه مائل وان تصلحوا ما كنتم تفسدون من امورهن وتتقوا فيما يستقبل
فان الله كان غفورا رحيما يغفر لكم ما مضى من ميلكم وان يتفرقا وقرئ وان يتفارقا اي وان
يفارق كل منهما صاحبه يغن الله كلا منهما عن الآخر ببدل او سلو من سعته غناه وقدرته و
كان الله واسعا حكيما مقتدرا متقنا في افعاله واحكامه ولله ما في السموات
وما في الارض تنبيه على كمال قدرته وسعته ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب

من قبلكم يعني اليهود والنصارى ومن قبلهم والكتاب للجنس ومن متعلقة بوصينا او باوتوا
وإياكم عطف على الذين ان اتقوا الله بان اتقوا الله ويجوز ان تكون ان مفسرة
لان التوصية في معنى القول وان تكفروا فان لله ما في السموات وما في الارض على
ارادة القول اي وقلنا لهم ولكم ان تكفروا فان الله مالك الملك كله لا يتضرر بكفركم ومعاصيكم كما لا ينتفع بشكركم
وتقواكم وانما وصاكم لرحمته لا لحاجته ثم قرر ذلك بقوله وكان الله غنيا عن الخلق وعبادتهم
حميدا في ذاته حمد او لم يحمد ولله ما في السموات وما في الارض ذكره ثالثا
للدلالة على كونه غنيا حميدا فان جميع المخلوقات تدل لحاجتها على غناه وبما افاض عليها من الوجود وانواع
الخصائص والكمالات على كونه حميدا وكفى بالله وكيلا راجع الى قوله يغن الله كلا من سعته
فانه توكل بكفايتهما وما بينهما تقرير لذلك ان يشأ يذهبكم ايها الناس يفنكم ومفعول
يشأ محذوف دل عليه الجواب ويأت بآخرين ويوجد قوما آخرين مكانكم او خلقا آخرين
مكان الانس وكان الله على ذلك من الاعدام والايجاد قديرا بليغ القدرة لا يعجزه مراد
وهذا ايضا تقرير لغناه وقدرته وتهديد لمن كفر به وخالف امره وقيل هو خطاب لمن عادى رسول الله صلى الله عليه وسلم
من العرب ومعناه معنى قوله وان تتولوا يستبدل قوما غيركم لما روي انه لما نزلت ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على
ظهر سلمان وقال انهم قوم هذا من كان يريد ثواب الدنيا كالمجاهد يريد بجهاده الغنيمة فعند الله
ثواب الدنيا والآخرة فما له يطلب اخسهما فليطلبهما كمن يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة
حسنة او ليطلب الاشرف منهما فان من جاهد خالصا لله لم تخطئه الغنيمة وله في الآخرة ما هي في جنبه كلا شيء او فعند الله ثواب
الدارين فيعطي كلا ما يريده كقوله من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه الآية وكان الله
سميعا بصيرا عالما بالاغراض فيجازي كلا بحسب قصده يا ايها الذين آمنوا كونوا
قوامين بالقسط مواظبين على العدل مجتهدين في اقامته شهداء لله بالحق تقيمون شهاداتكم
لوجه الله وهو خبر ثان او حال ولو على انفسكم ولو كانت الشهادة على انفسكم بان تقروا عليها لان الشهادة
بيان للحق سواء كان عليه او على غيره او الوالدين والاقربين ولو على والديكم واقاربكم ان
يكن اي المشهود عليه او كل واحد منه ومن المشهود له غنيا او فقيرا فلا تمتنعوا عن اقامة الشهادة
او لا تجوروا فيها ميلا او ترحما فالله اولى بهما بالغني والفقير وبالنظر لهما فلو لم تكن الشهادة عليهما
او لهما صلاحا لما شرعها وهو علة الجواب اقيمت مقامه والضمير في بهما راجع لما دل عليه المذكور وهو جنسا الغني
والفقير لا اليه والا لوحد ويشهد عليه انه قرئ فالله اولى بهم فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا

لان تعدلوا عن الحق او كراهة ان تعدلوا من العدل وان تلووا السنتكم عن شهادة الحق او حكومة العدل وقرأ
نافع وابن كثير وابو عمرو وعاصم والكسائي وان تلووا بمعنى اللام وضم الواو الاولى مضمومة والثانية ساكنة وقرأ حمزة وابن عامر
تلوا بمعنى وان وليتم اقامة الشهادة او تعرضوا عن ادائها فان الله كان بما تعملون خبيرا
فيجازيكم عليه يا ايها الذين آمنوا خطاب للمسلمين او للمنافقين او لمؤمني اهل الكتاب اذ روي ان ابن
سلام واصحابه قالوا يا رسول الله انا نؤمن بك وبكتابك وبموسى والتوراة وعزير ونكفر بما سواه فنزلت
آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب
الذي انزل من قبل اثبتوا على الايمان بذلك وداوموا عليه او آمنوا به بقلوبكم كما آمنتم بألسنتكم او
آمنوا ايمانا عاما يعم الكتب والرسل فان الايمان بالبعض كلا ايمان والكتاب الاول القرآن والثاني
الجنس وقرأ نافع والكوفيون الذي نزل والذي انزل بفتح النون والهمزة والزاي والباقون بضم النون والهمزة
وكسر الزاي ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر
اي ومن يكفر بشيء من ذلك فقد ضل ضلالا بعيدا عن المقصد بحيث لا يكاد يعود الى طريقه
ان الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا يعني اليهود آمنوا بموسى ثم كفروا حين عبدوا العجل ثم آمنوا بعد عوده
اليهم ثم كفروا بعيسى ثم ازدادوا كفرا بمحمد او قوما تكرر منهم الارتداد ثم اصروا على الكفر
وازدادوا تماديا في الغي لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا اذ يستبعد
منهم ان يتوبوا عن الكفر ويثبتوا على الايمان فان قلوبهم ضريت بالكفر وبصائرهم عميت عن الحق لا انهم
لو اخلصوا الايمان لم يقبل منهم ولم يغفر لهم وخبر كان في امثال ذلك محذوف تعلق به اللام مثل لم يكن الله
مريدا ليغفر لهم بشر المنافقين بان لهم عذابا اليما يدل على ان الآية في المنافقين وهم قد آمنوا
في الظاهر وكفروا في السر مرة بعد اخرى ثم ازدادوا بالاصرار على النفاق وافساد الامر على المؤمنين ووضع
بشر مكان انذر تهكما بهم الذين يتخذون الكافرين اولياء من دون المؤمنين
في محل النصب او الرفع على الذم بمعنى اريد الذين او هم الذين أيبتغون عندهم العزة أيتعززون بموالاتهم
فان العزة لله جميعا لا يتعزز الا من اعزه الله وقد كتب العزة لاوليائه فقال ولله العزة ولرسوله
وللمؤمنين ولا يؤبه بعزة غيرهم بالاضافة اليهم وقد نزل عليكم في الكتاب يعني القرآن وقرأ عاصم
نزل والقائم مقام فاعله ان اذا سمعتم آيات الله يكفر
بها ويستهزأ بها حالان من الآيات جيء بهما لتقييد النهي عن المجالسة في قوله فلا تقعدوا
معهم حتى يخوضوا في حديث غيره الذي هو جزاء الشرط بما اذا كان من يجالسه هازئا

معاندا فخرج ويؤيده الغاية وهذا تذكار لما نزل عليهم بمكة من قوله واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا الآية
والضمير في معهم للكفرة المدلول عليهم بقوله يكفر بها ويستهزأ بها **انكم اذا مثلهم** في الاثم لانكم قادرون
على الاعراض عنهم والانكار عليهم او الكفر ان رضيتم بذلك او لان الذين يقاعدون الخائضين في القرآن
من الاحبار كانوا منافقين ويدل عليه **ان الله جامع المنافقين والكافرين في
جهنم جميعا** يعني القاعدين والمقعود معهم واذا ملغاة لوقوعها بين الاسم والخبر ولذلك لم
يذكر بعدها الفعل وافراد مثلهم لانه كالمصدر او للاستغناء بالاضافة الى الجمع وقرئ بالفتح على البناء لاضافته
الى مبني كقوله مثل ما انكم تنطقون **الذين يتربصون بكم** ينتظرون وقوع امر بكم وهو بدل
من الذين يتخذون او صفة للمنافقين والكافرين او ذم مرفوع او منصوب او مبتدأ خبره **فان كان لكم
فتح من الله قالوا الم نكن معكم** مظاهرين لكم فاسهموا لنا فيما غنمتم **و
ان كان للكافرين نصيب** من الحرب فانها سجال **قالوا الم نستحوذ
عليكم** اي قالوا للكفرة الم نغلبكم ونتمكن من قتلكم فابقينا عليكم والاستحواذ الاستيلاء وكان القياس
ان يقال استحاذ يستحيذ استحاذة فجاء على الاصل **ونمنعكم من المؤمنين** بان اخذلناهم
بتخييل ما ضعفت به قلوبهم وتوانينا في مظاهرتهم فاشركونا فيما اصبتم وانما سمى ظفر المسلمين فتحا وظفر
الكافرين نصيبا لخسة حظهم فانه مقصور على امر دنيوي سريع الزوال **فالله يحكم بينكم يوم
القيمة ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا** حينئذ او في
الدنيا والمراد بالسبيل الحجة واحتج به اصحابنا على فساد شراء الكافر المسلم والحنفية على حصول البينونة بنفس الارتداد
وهو ضعيف لانه لا ينفي ان يكون اذا عاد الى الايمان قبل مضي العدة **ان المنافقين يخادعون
الله وهو خادعهم** سبق الكلام فيه اول سورة البقرة **واذا قاموا الى الصلوة
قاموا كسالى** متثاقلين كالمكره على الفعل وقرئ كسالى بالفتح وهما جمعا كسلان **يراؤن
الناس** ليخالوهم مؤمنين والمراءاة مفاعلة بمعنى التفعيل كنعم وناعم او للمقابلة فان المرائي يري
من يرائيه عمله وهو يريه استحسانه **ولا يذكرون الله الا قليلا** اذ المرائي لا يفعل الا بحضرة من
يرائيه وهو اقل احواله او لان ذكرهم باللسان قليل بالاضافة الى الذكر بالقلب وقيل المراد بالذكر الصلوة
وقيل الذكر فيها فانهم لا يذكرون فيها غير التكبير والتسليم **مذبذبين بين ذلك** حال من واو يراؤن
كقوله ولا يذكرون اي يراؤنهم غير ذاكرين مذبذبين او واو يذكرون او منصوب على الذم والمعنى مرددين
بين الايمان والكفر من الذبذبة وهي جعل الشيء مضطربا واصله الذب بمعنى الطرد وقرئ بكسر الذال بمعنى

يذبذبون

يذبذبون قلوبهم او دينهم او يتذبذبون كقولهم صلصل بمعنى تصلصل وقرئ بالدال غير المعجمة بمعنى اخذوا
تارة في دبة وتارة في دبة وهي الطريقة **لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء** لا منسوبين الى المؤمنين و
لا الى الكافرين او لا صائرين الى احد الفريقين بالكلية **ومن يضلل الله فلن تجد له
سبيلا** الى الحق والصواب ونظيره قوله تعالى ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور **يا ايها الذين
امنوا لا تتخذوا الكافرين اولياء من دون المؤمنين** فان ذلك صنيع المنافقين ودينهم و
لا تتشبهوا بهم **اتريدون ان تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا** حجة بينة فان موالاتهم
دليل على النفاق او سلطانا يسلط عليكم عقابه **ان المنافقين في الدرك الاسفل من
النار** وهو الطبقة التي في قعر جهنم وانما كان ذلك لانهم اخبث الكفرة اذ ضموا الى الكفر استهزاء بالاسلام و
خداعا للمسلمين واما قوله عم ثلاث من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى وزعم انه مسلم من اذا حدث كذب واذا
وعد اخلف واذا اؤتمن خان ونحوه فمن باب التشبيه والتغليظ وانما سميت طبقاتها السبع دركات لانها
متداركة متتابعة بعضها فوق بعض وقرأ الكوفيون بسكون الراء وهو لغة كالسطر والسطر والتحريك اوجه لانه
يجمع على ادراك **ولن تجد لهم نصيرا** يخرجهم منه **الا الذين تابوا** عن النفاق **واصلحوا**
ما افسدوا من اسرارهم واحوالهم في حال النفاق **واعتصموا بالله** وثقوا به وتمسكوا بدينه **و
اخلصوا دينهم لله** لا يريدون بطاعتهم الا وجهه **فاولئك مع المؤمنين** ومن عدادهم في
الدارين **وسوف يؤت الله المؤمنين اجرا عظيما** فيساهمونهم فيه **ما يفعل
الله بعذابكم ان شكرتم وامنتم** ايتشفى به غيظا او يدفع به ضرا او يستجلب به نفعا وهو الغني المتعالي
عن النفع والضر وانما يعاقب المصر بكفره لان اصراره عليه كسوء مزاج يؤدي الى مرض فاذا ازاله بالايمان والشكر و
نقى عنه نفسه تخلص من تبعته وانما قدم الشكر لان الناظر يدرك النعمة اولا فيشكر شكرا مبهما ثم يمعن النظر حتى يعرف المنعم
فيؤمن به **وكان الله شاكرا** مثيبا يقبل اليسير ويعطي الجزيل **عليما** بحق شكركم وايمانكم **لا
يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم** الا جهر من ظلم بالدعاء على الظالم
والتظلم منه روي ان رجلا ضاف قوما فلم يطعموه فاشتكاهم فعوتب عليه فنزلت وقرئ من ظلم على البناء للفاعل
فيكون الاستثناء منقطعا اي ولكن الظالم يفعل ما لا يحبه الله **وكان الله سميعا** لكلام المظلوم **عليما** بالظالم
ان تبدوا خيرا طاعة وبرا **او تخفوه** او تفعلوه سرا **او تعفوا عن سوء** لكم المؤاخذة
عليه وهو المقصود وذكر ابداء الخير واخفائه تشبيب له ولذلك رتب عليه قوله **فان الله كان عفوا قديرا**
اي يكثر العفو عن العصاة مع كمال قدرته على الانتقام فانتم اولى بذلك وهو حث للمظلوم على تمهيد العفو بعد ما رخص له

في الانتصار حملا على مكارم الاخلاق ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون
ان يفرقوا بين الله ورسله بان يؤمنوا به ويكفروا برسله ويقولون نؤمن ببعض
ونكفر ببعض نؤمن ببعض الانبياء ونكفر ببعضهم ويريدون ان يتخذوا بين
ذلك سبيلا طريقا وسطا بين الايمان والكفر ولا واسطة اذ الحق لا يختلف فان الايمان بالله لا يتم الا بالايمان
برسله وتصديقهم فيما بلغوا عنه تفصيلا او اجمالا فالكافر ببعض ذلك كالكافر بالكل في الضلال كما قال تعالى فماذا
بعد الحق الا الضلال اولئك هم الكافرون هم الكاملون في الكفر لا عبرة بايمانهم هذا حقا مصدر
مؤكد لغيره او صفة لمصدر الكافرين بمعنى هم الذين كفروا كفرا حقا اي يقينا محققا واعتدنا
للكافرين عذابا مهينا والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا
بين احد منهم اضدادهم ومقابلوهم وانما دخل بين على احد وهو يقتضي متعددا لعمومه من حيث انه
وقع في سياق النفي اولئك سوف يؤتيهم اجورهم الموعودة لهم وتصديره بسوف لتوكيد
الوعد والدلالة على انه كائن لا محالة وان تأخر وقرأ حفص ويعقوب بالياء على تلوين الخطاب وكان الله
غفورا لما فرط منهم رحيما عليهم بتضعيف حسناتهم يسألك اهل الكتاب
ان تنزل عليهم كتابا من السماء نزلت في احبار اليهود قالوا ان كنت صادقا فائتنا
بكتاب من السماء جملة كما اتى به موسى وقيل كتابا بخط سماوي على الواح كما كانت التوراة او كتابا
نعاينه حين ينزل او كتابا الينا باعياننا بانك رسول الله فقد سألوا موسى اكبر
من ذلك جواب شرط مقدر اي ان استكبرت ما سألوه منك فقد سألوا موسى اكبر منه وهذا
السؤال وان كان من آبائهم اسند اليهم لانهم كانوا آخذين بمذهبهم تابعين لهديهم والمعنى ان عرقهم راسخ في
ذلك وان ما اقترحوا عليك ليس باول جهالاتهم وخيالاتهم فقالوا ارنا الله جهرة
عيانا اي ارناه نره جهرة او مجاهرين معاينين له فاخذتهم الصاعقة نار جاءت من السماء
فاهلكتهم بظلمهم وهو تعنتهم وسؤالهم لما يستحيل في تلك الحال التي كانوا عليها وذلك لا يقتضي امتناع
الرؤية مطلقا ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات هذه الجناية الثانية
التي اقترفها ايضا اوائلهم والبينات المعجزات ولا يجوز حملها على التوراة اذ لم تأتهم بعد فعفونا
عن ذلك وآتينا موسى سلطانا مبينا تسلطا ظاهرا عليهم حين امرهم بان يقتلوا انفسهم
توبة عن اتخاذهم ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم بسبب ميثاقهم ليقبلوه وقلنا
لهم ادخلوا الباب سجدا على لسان موسى والطور مظل عليهم وقلنا لهم لا

تعدوا في السبت على لسان داود ويحتمل ان يراد على لسان موسى حين ظلل الجبل عليهم
فانه شرع السبت ولكن كان الاعتداء فيه والمسخ به في زمن داود وقرأ ورش عن نافع لا تعدّوا على ان اصله لا
تعتدوا فادغمت التاء في الدال وقرأ قالون باخفاء حركة العين وتشديد الدال والنص عنه بالاسكان و
اخذنا منهم ميثاقا غليظا على ذلك وهو قولهم سمعنا واطعنا فبما نقضهم ميثا
اي فخالفوا ونقضوا ففعلنا بهم ما فعلنا بنقضهم وما مزيدة للتأكيد والباء متعلقة بالفعل المحذوف ويجوز ان
يتعلق بحرمنا عليهم طيبات فيكون التحريم بسبب النقض وما عطف عليه الى قوله فبظلم لا بما دل عليه قوله بل طبع الله عليها
لانهم لا يؤمنون لانه رد لقولهم قلوبنا غلف فيكون من صلة قولهم المعطوف على المجرور فلا يعمل في جاره و
كفرهم بآيات الله بالقرآن او بما في كتابهم وقتلهم الانبياء بغير حق و
قولهم قلوبنا غلف اوعية للعلوم او في اكنة مما تدعونا اليه بل طبع الله عليها
بكفرهم فجعلها محجوبة عن العلم او خذلها ومنعها التوفيق للتدبر في الآيات والتذكر بالمواعظ
فلا يؤمنون الا قليلا منهم كعبد الله بن سلام او ايمانا قليلا لا عبرة به لنقصانه وبكفرهم
بعيسى وهو معطوف على بكفرهم لانه من اسباب الطبع او على قوله فبما نقضهم ويجوز ان يعطف مجموع هذا وما عطف
عليه على مجموع ما قبله ويكون تكرير ذكر الكفر ايذانا بتكرر كفرهم فانهم كفروا بموسى ثم بعيسى ثم بمحمد عليهم السلام و
قولهم على مريم بهتانا عظيما يعني نسبتها الى الزنا وقولهم انا قتلنا المسيح
عيسى ابن مريم رسول الله اي بزعمه ويحتمل انهم قالوه استهزاء ونظيره ان رسولكم الذي ارسل
اليكم لمجنون وان يكون استئنافا من الله بمدحه او وضعا للذكر الحسن مكان ذكرهم القبيح وما قتلوه و
ما صلبوه ولكن شبه لهم روي ان رهطا من اليهود سبوه وامه فدعا عليهم فمسخهم
قردة وخنازير فاجتمعت اليهود على قتله فاخبره الله بانه يرفعه الى السماء فقال لاصحابه ايكم يرضى ان يلقى عليه
شبهي فيقتل ويصلب ويدخل الجنة فقام رجل منهم فالقى الله عليه شبهه فقتل وصلب وقيل كان رجلا ينافقه
فخرج ليدل عليه فالقى الله عليه شبهه فاخذ وصلب وقتل وقيل دخل طيطايوس اليهودي بيتا كان هو فيه فلم يجده
والقى الله عليه شبهه فلما خرج ظن انه عيسى فاخذ وصلب وامثال ذلك من الخوارق التي لا تستبعد في زمن النبوة وانما
ذمهم الله بما دل عليه الكلام من جراءتهم على الله وقصدهم قتل نبيه المؤيد بالمعجزات القاهرة وتبجحهم به لا
لقولهم هذا على حسب حسبانهم وشبه مسند الى الجار والمجرور وكانه قيل ولكن وقع لهم التشبيه بين عيسى والمقتول او الى
الامر على قول من قال لم يقتل احد ولكن ارجف بقتله وشاع بين الناس او الى ضمير المقتول لدلالة انا قتلنا على ان
ثم مقتولا وان الذين اختلفوا فيه في شأن عيسى فانه لما وقعت تلك الواقعة اختلف الناس

وقيل معناه ما علموه يقيناً اي ما قتلوا الظن عن ابن عباس فقطعوا الظن
بالتعيين اذ لو كان المراد عيسى فلم اكده بالتعيين بل لو كذب بقوله عيسه او نفسه
قال فقتلت اقتلوا ... وحسب بها ...
اخره كذاك يخبر عنها العلامات بها وقد قتلت بعلمي
ذلكم يقيناً ...

فقال بعض اليهود انه كان كاذباً فقتلناه حقاً وتردد آخرون وقال بعضهم ان كان هذا عيسى فاين صاحبنا وقال بعضهم
الوجه وجه عيسى والبدن بدن صاحبنا وقال من سمع منه ان الله يرفعني الى السماء انه رفع الى السماء وقال قوم صلب الناسوت
وصعد اللاهوت لفي شك منه لفي تردد والشك كما يطلق على ما لا يترجح احد طرفيه يطلق على
مطلق التردد وعلى ما يقابل العلم ولذلك اكده بقوله ما لهم به من علم الا اتباع الظن
استثناء منقطع اي لكنهم يتبعون الظن ويجوز ان يفسر الشك بالجهل والعلم بالاعتقاد الذي تسكن اليه النفس جزماً
كان او غيره فيتصل الاستثناء وما قتلوه يقيناً قتلاً يقيناً كما زعموه بقولهم انا قتلنا المسيح او
متيقنين وقيل معناه ما علموه يقيناً كقوله كذلك يخبر عنها العالم بها وقد قتلت بعلمي ذلكم يقيناً من قولهم قتلت
الشيء علماً ونحرته علماً اذا تبالغ علمك فيه بل رفعه الله اليه رد وانكار لقتله واثبات لرفعه
وكان الله عزيزاً لا يغلب على ما يريده حكيماً فيما دبر لعيسى وان من اهل الكتاب
الا ليؤمنن به قبل موته اي وما من اهل الكتاب احد الا ليؤمنن به فقوله ليؤمنن جملة
قسمية وقعت صفة لاحد ويعود اليه الضمير الثاني والاول لعيسى والمعنى ما من اليهود والنصارى احد الا ليؤمنن بان
عيسى عبد الله ورسوله قبل ان يموت ولو حين ان تزهق روحه ولا ينفعه ايمانه ويؤيد ذلك ان قرئ الا ليؤمنن
به قبل موتهم بضم النون لان احداً في معنى الجمع وهذا كالوعيد لهم والتحريض على معالجة الايمان به قبل ان يضطروا
اليه ولم ينفعهم ايمانهم وقيل الضميران لعيسى والمعنى انه اذا نزل من السماء امن به اهل الكتاب جميعاً روي انه ينزل من
السماء حين يخرج الدجال فيهلكه ولا يبقى احد من اهل الكتاب الا ليؤمنن به حتى تكون الملة واحدة وهي ملة الاسلام
وتقع الامنة حتى ترتع الاسود مع الابل والنمور مع البقر والذئاب مع الغنم ويلعب الصبيان بالحيات ويلبث
في الارض اربعين سنة ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون ويدفنونه ويوم القيمة يكون عليهم
شهيداً فيشهد على اليهود بالتكذيب وعلى النصارى بانهم دعوه ابن الله فبظلم من الذين هادوا
اي فباي ظلم منهم حرمنا عليهم طيبات احلت لهم يعني ما ذكره في قوله وعلى الذين هادوا
حرمنا وبصدهم عن سبيل الله كثيراً ناساً كثيراً او صداً كثيراً واخذهم
الربوا وقد نهوا عنه كان الربوا محرماً عليهم كما هو محرم علينا وفيه دليل على ان دلالة النهي على
التحريم واكلهم اموال الناس بالباطل بالرشوة وسائر الوجوه المحرمة واعتدنا
للكافرين منهم عذاباً اليماً دون من تاب وامن لكن الراسخون في
العلم منهم كعبد الله بن سلام واضرابه والمؤمنون اي منهم او من المهاجرين والانصار
يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك خبر المبتدا والمقيمين الصلوة

نصب على المدح ان جعل يؤمنون الخبر لاولئك او عطف على ما انزل اليك والمراد بهم الانبياء اي يؤمنون
بالكتب وبالانبياء وقرئ بالرفع عطفاً على الراسخون او الضمير في يؤمنون او على انه مبتدا والخبر اولئك سنؤتيهم
والمؤتون الزكوة رفعه لاحد الوجوه المذكورة والمؤمنون بالله واليوم الاخر قدم
عليه الايمان بالانبياء والكتب وما يصدقه من اتباع الشرائع لانه المقصود بالاية اولئك سنؤتيهم
اجراً عظيماً على جمعهم بين الايمان الصحيح والعمل الصالح انا اوحينا اليك كما اوحينا
الى نوح والنبيين من بعده جواب لاهل الكتاب عن اقتراحهم ان ينزل عليهم كتاباً
من السماء واحتجاج بان امره كسائر الانبياء واوحينا الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب و
الاسباط وعيسى وايوب ويونس وهرون وسليمان خصهم بالذكر مع
اشتمال النبيين عليهم تعظيماً لهم فان ابراهيم اول اولي العزم منهم وعيسى اخرهم والباقين اشرف الانبياء و
مشاهيرهم واتينا داود زبوراً وقرا حمزة زبوراً بالضم وهو جمع زبر بمعنى مزبور ورسلاً نصب
بمضمر دل عليه اوحينا اليك كارسلنا او فسره قد قصصناهم عليك من قبل اي من قبل
هذه السورة او اليوم ورسلاً لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليماً وهو
منتهى مراتب الوحي خص به موسى من بينهم وقد فضل الله محمداً بان اعطاه مثل ما اعطى كل واحد منهم رسلاً
مبشرين ومنذرين نصب على المدح او باضمار ارسلنا او على الحال ويكون رسلاً موطئاً لما بعده
كقولك مررت بزيد رجلاً صالحاً لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل فيقولوا
لولا ارسلت الينا رسولاً فينبهنا ويعلمنا ما لم نكن نعلم وفيه تنبيه على ان بعثة الانبياء الى الناس ضرورة لقصور الكل عن
ادراك جزئيات المصالح والاكثر عن ادراك كلياتها واللام متعلقة بارسلنا او بقوله مبشرين ومنذرين وحجة
اسم كان وخبره للناس او على الله والاخر حال ولا يجوز تعلقه بحجة لانه مصدر وبعد ظرف لها او صفة وكان
الله عزيزاً لا يغلب فيما يريد حكيماً فيما دبر من امر النبوة وخص كل نبي من الوحي والاعجاز لكن
الله يشهد استدراك عن مفهوم ما قبله وكانه لما تعنتوا عليه بسؤال كتاب ينزل عليهم من السماء واحتج
عليهم بقوله انا اوحينا اليك قال انهم لا يشهدون ولكن الله يشهد او انهم انكروه ولكن الله يثبته ويقرره بما
انزل اليك من القرآن المعجز الدال على نبوتك روي انه لما نزل انا اوحينا اليك قالوا
ما نشهد لك فنزلت انزله بعلمه انزله متلبساً بعلمه الخاص به وهو العلم بتاليفه على نظم يعجز عنه كل بليغ
او بحال من يستعد للنبوة ويستاهل نزول الكتاب عليه او بعلمه الذي يحتاج اليه الناس في معاشهم ومعادهم والى
المجرور على الاول حال من الفاعل وعلى الثاني حال من المفعول والجملة كالتفسير لما قبلها والملئكة يشهدون

ايضا نبوتك وفيه تنبيه على انهم وان لم يعلموا صحة دعوى النبوة على وجه يستغنى عن النظر والتأمل وهذا النوع من
خواص الملك ولا سبيل الى اتباع العلم بامثال ذلك سوى الفكر والنظر فلو لا انه هؤلاء بالنظر الصحيح لعرفوا نبوتك
وشهدوا بها كما عرفت الملائكة وشهدوا عليها وكفى بالله شهيدا اى وكفى بما اقام من الحجج على صحة
نبوتك عن الاستشهاد بغيره ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله قد
ضلوا ضلالا بعيدا لانهم جمعوا بين الضلال والاضلال ولان المضل يكون اعرق فى الضلال
وابعد من الانقلاع عنه ان الذين كفروا وظلموا محمدا بانكار نبوته او الناس بصدهم عما فيه صلاحهم
وخلاصهم او باعم من ذلك والآية تدل على ان الكفار مخاطبون بالفروع اذ المراد بهم الجامعون بين الكفر والظلم
لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا الا طريق جهنم خالدين
فيها ابدا لجرى حكمه السابق ووعده المحتوم على ان من مات على كفره فهو خالد فى النار وخالدين حال مقدرة
وكان ذلك على الله يسيرا لا يصعب عليه ولا يستعظمه يا ايها الناس قد جاءكم
الرسول بالحق من ربكم لما قرر امر النبوة وبين الطريق الموصل الى العلم بها ووعيد من انكرها خاطب
الناس عامة بالدعوة والزام الحجة والوعد بالاجابة والوعيد على الرد فامنوا خيرا لكم اى ايمانا خيرا
لكم ومنعه البصريون لان كان لا يحذف مع اسمه الا فيما لا بد منه ولانه يؤدى الى حذف الشرط وجوابه وان
تكفروا فان لله ما فى السموات والارض يعنى وان تكفروا فهو غنى عنكم
لا يتضرر بكفركم كما لا ينتفع بايمانكم ونبه على غناه بقوله لله ما فى السموات والارض وهو يعم ما اشتملتا عليه و
ما تركبتا منه وكان الله عليما باحوالهم حكيما فيما دبر لهم يا اهل الكتاب لا تغلوا
فى دينكم الخطاب للفريقين غلت اليهود فى حط عيسى حتى رموه بانه ولد لغير رشدة والنصارى فى رفعه
حتى اتخذوه الها وقيل للنصارى خاصة فانه اوفق لقوله ولا تقولوا على الله الا الحق يعنى
تنزيهه عن الصاحبة والولد انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته القاها
الى مريم اوصلها اليها وحصلها فيها وروح منه وذو روح صدر منه لا بتوسط ما يجرى مجرى الاصل
والمادة له وقيل سمى روحا لانه كان يحيى الاموات او القلوب فامنوا بالله ورسله
ولا تقولوا ثلثة اى الالهة ثلثة الله والمسيح ومريم ويشهد عليه قوله تعالى أأنت قلت للناس اتخذونى
وامى الهين من دون الله او الله ثلثة ان صح انهم يقولون الله ثلثة اقانيم الاب والابن وروح القدس
ويريدون بالاب الذات وبالابن العلم وبروح القدس الحيوة انتهوا عن التثليث خيرا لكم نصب
كما سبق انما الله اله واحد اى واحد بالذات لا تعدد فيه بوجه ما سبحانه ان يكون له ولد

اى اسبحه تسبيحا من ان يكون له ولد فانه يكون لمن كان له مثل ويتطرق اليه فناء له ما فى السموات وما فى
الارض ملكا وخلقا لا يماثله شىء من ذلك فيتخذ ولدا وكفى بالله وكيلا تنبيه على
غناه عن الولد فان الحاجة اليه ليكون وكيلا لابيه والله سبحانه وتعالى قائم بحفظ الاشياء كاف فى ذلك مستغن عمن يخلفه او
يعينه لن يستنكف المسيح لن يأنف من نكفت الدمع اذا نحيته باصبعك كيلا يرى اثره عليك
ان يكون عبدا لله من ان يكون عبدا لله فان عبوديته شرف يتباهى به وانما المذلة والاستنكاف
فى عبودية غيره روى ان وفد نجران قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لم تعيب صاحبنا قال ومن صاحبكم قالوا عيسى قال و
اى شىء اقول قالوا تقول انه عبد الله قال انه ليس بعار ان يكون عبد الله قالوا بلى فنزلت ولا
الملائكة المقربون عطف على المسيح اى ولا يستنكف الملائكة المقربون ان يكونوا عبيدا واحتج به من زعم
فضل الملائكة على الانبياء وقال مساقه لرد النصارى فى رفع المسيح عن مقام العبودية وذلك يقتضى ان يكون
المعطوف عليه اعلى درجة منه حتى يكون عدم استنكافهم كالدليل على عدم استنكافه وجوابه ان الآية للرد على
عبدة المسيح والملائكة فلا يتجه ذلك وان سلم اختصاصها بالنصارى فلعله اراد بالعطف المبالغة باعتبار
التكثير دون التكبير كقولك اصبح الامير لا يخالفه رئيس ولا مرؤس وان اراد فيه التكبير فغايته تفضيل المقربين وهم
الكروبيون الذين حول العرش او من اعلى منهم رتبة من الملائكة على المسيح من الانبياء وذلك لا يستلزم فضل احد
الجنسين على الآخر مطلقا والنزاع فيه ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر ويترفع
عنها والاستكبار دون الاستنكاف ولذلك عطف عليه وانما يستعمل حيث لا استحقاق بخلاف التكبر فانه قد يكون
باستحقاق فسيحشرهم اليه جميعا فيجازيهم فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات
فيوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله واما الذين استنكفوا واستكبروا
فيعذبهم عذابا اليما ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا
تفصيل للمجازاة العامة المدلول عليها من فحوى الكلام وكانه قال فسيحشرهم اليه جميعا يوم يحشر العباد للمجازاة او
لمجازاتهم فان اثابة مقابليهم والاحسان اليهم تعذيب لهم بالغم والحسرة يا ايها الناس قد جاءكم
برهان من ربكم وانزلنا اليكم نورا مبينا عنى بالبرهان المعجزات وبالنور القران اى جاءكم
دلائل العقل وشواهد النقل ولم يبق لكم عذر ولا علة وقيل البرهان الدين او رسول الله او القران فاما الذين
امنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم فى رحمة منه ثواب قدره
بازاء ايمانه وعمله رحمة منه لا قضاء لحق وجب عليه وفضل احسان زائد عليه ويهديهم اليه
الى الله وقيل الى الموعود صراطا مستقيما هو الاسلام والطاعة فى الدنيا وطريق الجنة فى الآخرة

يستفتونك اى فى الكلالة حذف لدلالة الجواب عليها روى ان جابر بن عبد الله كان مريضا فعاده رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انى كلالة فكيف اصنع فى مالى فنزلت ان امرؤ هلك ليس له ولد وله اخت فلها نصف ما ترك ارتفع امرؤ بفعل يفسره الظاهر وليس له ولد صفة له او حال من المستكن فى هلك والواو فى وله يحتمل الحال والعطف والمراد بالاخت الاخت من الابوين او الاب لانه جعل اخوها عصبة وابن الام لا يكون عصبة والولد على ظاهره فان الاخت وان ورثت مع البنت عند عامة العلماء غير ابن عباس لكنها لا ترث النصف وهو يرثها اى والمرء يرث ان كان الامر بالعكس ان لم يكن لها ولد ذكرا كان او انثى ان اريد بيرثها يرث جميع مالها والا فالمراد به الذكر اذ البنت لا تحجب الاخ والاية كما لم تدل على سقوط الاخوة بغير الولد لم تدل على عدم سقوطهم به وقد دلت السنة على انهم لا يرثون مع الاب وكذا مفهوم قوله الله يفتيكم فى الكلالة ان فسرت بالميت فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك الضمير لمن يرث بالاخوة وتثنيته محمولة على المعنى وفائدة الاخبار عنه باثنتين التنبيه على ان الحكم باعتبار العدد دون الصغر والكبر وغيرهما فان كانوا اخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الانثيين اصله وان كانوا اخوة واخوات فغلب الذكر يبين الله لكم ان تضلوا اى يبين لكم ضلالكم الذى من شانكم اذا خليتم وطباعكم لتحترزوا عنه وتتحروا خلافه او يبين لكم الحق والصواب كراهة ان تضلوا وقيل لئلا تضلوا فحذف لا وهو قول الكوفيين والله بكل شىء عليم فهو عالم بمصالح العباد فى المحيا والممات عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرا سورة النساء فكانما تصدق على كل مؤمن ومؤمنة ورث ميراثا واعطى من الاجر كمن اشترى محررا وبرئ من الشرك وكان فى مشية الله تعالى من الذين يتجاوز عنهم

سورة المائدة مدنية وهى مائة وثلث وعشرون اية

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الذين امنوا اوفوا بالعقود الوفاء هو القيام بمقتضى العهد وكذلك الايفاء والعقد العهد الموثق قال الحطيئة

قوم اذا عقدوا عقدا لجارهم شدوا العناج وشدوا فوقه الكربا

واصله الجمع بين الشيئين بحيث يعسر الانفصال ولعل المراد بالعقود ما يعم العقود التى عقدها الله تعالى على عباده والزمها اياهم من التكاليف وما يعقدون بينهم من عقود الامانات والمعاملات ونحوها مما يجب الوفاء به او يحسن ان حملنا الامر على المشترك بين الوجوب والندب احلت لكم بهيمة الانعام تفصيل للعقود والبهيمة كل حى لا يميز وقيل كل ذات اربع واضافتها الى الانعام للبيان كقولك ثوب خز ومعناه البهيمة من الانعام وهى الازواج الثمانية والحق بها الظباء وبقر الوحش

يا علي ادركني

وقيل هما المراد بالبهيمة ونحوهما مما يماثل الانعام فى الاجترار وعدم الانياب واضافتها الى الانعام لملابسة الشبه الا ما يتلى عليكم الا محرم ما يتلى عليكم كقوله حرمت عليكم الميتة او الا ما يتلى عليكم تحريمه غير محلى الصيد حال من الضمير فى لكم وقيل من واو اوفوا وقيل استيناف وفيه تعسف والصيد يحتمل المصدر والمفعول وانتم حرم حال مما استكن فى محلى والحرم جمع حرام وهو المحرم ان الله يحكم ما يريد من تحليل او تحريم يا ايها الذين امنوا لا تحلوا شعائر الله يعنى مناسك الحج جمع شعيرة وهى اسم ما اشعر اى جعل شعارا سمى به اعمال الحج ومواقفه لانها علامات الحج واعلام النسك وقيل دين الله لقوله ومن يعظم شعائر الله اى دينه وقيل فرائضه التى حدها لعباده ولا الشهر الحرام بالقتال فيه او بالنسئ ولا الهدى ما اهدى الى الكعبة جمع هدية كجدى فى جمع جدية السرج ولا القلائد اى ذوات القلائد من الهدى وعطفها على الهدى للاختصاص فانها اشرف الهدى او القلائد انفسها والنهى عن احلالها مبالغة فى النهى عن التعرض للهدى ونظيره قوله ولا يبدين زينتهن والقلائد جمع قلادة وهو ما قلد به الهدى من نعل او لحاء شجر او غيرهما ليعلم به انه هدى فلا يتعرض له ولا امين البيت الحرام قاصدين لزيارته يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا ان يثيبهم ويرضى عنهم والجملة فى موضع الحال من المستكن فى امين وليست صفة له لانه عامل والمختار ان اسم الفاعل الموصوف لا يعمل وفائدته استنكار تعرض من هذا شانه والتنبيه على المانع له وقيل معناه يبتغون من الله رزقا بالتجارة ورضوانا بزعمهم اذ روى ان الاية نزلت عام القضية فى حجاج اليمامة لما هم المسلمون ان يتعرضوا لهم بسبب انه كان فيهم الحطم شريح بن ضبيعة وكان قد استاق سرح المدينة وعلى هذا فالاية منسوخة وقرئ تبتغون على خطاب المؤمنين واذا حللتم فاصطادوا اذن فى الاصطياد بعد زوال الاحرام ولا يلزم من ارادة الاباحة هنا من الامر دلالة الامر الاتى بعد الحظر على الاباحة مطلقا وقرئ بكسر الفاء على نقل حركة همزة الوصل عليها وهو ضعيف جدا وقرئ احللتم يقال حل المحرم واحل ولا يجرمنكم لا يحملنكم او لا يكسبنكم شنآن قوم شدة بغضهم وعداوتهم وهو مصدر اضيف الى المفعول او الفاعل وقرا ابن عامر واسمعيل عن نافع وابن عياش عن عاصم بسكون النون وهو ايضا مصدر كليان او نعت بمعنى بغيض قوم وفعلان فى النعت اكثر ان صدوكم عن المسجد الحرام لان صدوكم عام الحديبية وقرا ابن كثير وابو عمرو بكسر الهمزة على انه شرط معترض اغنى عن جوابه لا يجرمنكم ان تعتدوا بالانتقام ثانى مفعولى يجرمنكم فانه يعدى الى واحد والى اثنين ككسب ومن قرا يجرمنكم بضم الياء جعله منقولا عن المتعدى الى مفعول بالهمزة الى مفعولين وتعاونوا على البر والتقوى على العفو والاغضاء ومتابعة الامر ومجانبة الهوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان للتشفى والانتقام واتقوا الله ان الله شديد العقاب

حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ بيان ما يتلى عليكم والميتة ما فارقه الروح من غير تذكية وَالدَّمُ
اى الدم المسفوح لقوله تعالى او دما مسفوحا وكان اهل الجاهلية يصبّونه فى الامعاء ويشوونها وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ
وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ اى رفع الصوت لغير الله كقولهم باسم اللات والعزى عند ذبحه
وَالْمُنْخَنِقَةُ التى ماتت بالخنق وَالْمَوْقُوذَةُ المضروبة بنحو خشب او حجر حتى تموت من وقذته اذا ضربته
وَالْمُتَرَدِّيَةُ التى تردّت من علو او فى بئر فماتت وَالنَّطِيحَةُ التى نطحتها اخرى فماتت و
التاء فيها للنقل وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ اى ما اكل منه السبع فمات وهو يدل على ان جوارح الصيد
اذا اكلت مما اصطادته لم يحل إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ الا ما ادركتم ذكاته وفيه حياة مستقرة من ذلك وقيل الاستثناء
مخصوص بما اكل السبع والذكاة فى الشرع بقطع الحلقوم والمرى بمحدد وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ واحد
الانصاب وهى حجارة كانت منصوبة حول البيت يذبحون عليها ويعدون ذلك قربة وقيل هى الاصنام وعلى
بمعنى اللام او على اصلها بتقدير وما ذبح مسمّى على الاصنام وقيل هو جمع والواحد نصاب وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا
بِالْأَزْلَامِ اى وحرّم عليكم الاستقسام بالاقداح وذلك انهم اذا قصدوا فعلا ضربوا ثلثة اقداح مكتوب على
احدها امرنى ربى وعلى الاخرى نهانى ربى والثالث غفل فان خرج الامر مضوا على ذلك وان خرج الناهى تجنبوا عنه
وان خرج الغفل اجالوها ثانيا فمعنى الاستقسام طلب معرفة ما قسم لهم دون ما لم يقسم بالازلام وقيل هو استقسام الجزور
بالاقداح على الانصباء المعلومة وواحد الازلام زلم كجمل وزلم كصرد ذَلِكُمْ فِسْقٌ اشارة الى الاستقسام
وكونه فسقا لانه دخول فى علم الغيب وضلال باعتقاد ان ذلك طريق اليه وافتراء على الله ان اريد ربى الله
وجهالة وشرك ان اريد به الصنم او الميسر المحرم او الى تناول ما حرم عليهم الْيَوْمَ لم يرد به يوما بعينه وانما
المراد الحاضر وما يتصل به من الازمنة الاتية وقيل اراد يوم نزولها وقد نزلت بعد عصر يوم الجمعة عرفة حجة الوداع
يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ اى من ابطاله ورجوعكم عنه بتحليل هذه الخبائث او غيرها
او من ان يغلبوكم عليه فَلَا تَخْشَوْهُمْ ان يظهروا عليكم وَاخْشَوْنِ واخلصوا الخشية لى الْيَوْمَ
أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ بالنصر والاظهار على الاديان كلها او بالتنصيص على قواعد العقائد و
التوقيف على اصول الشرائع وقوانين الاجتهاد وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي بالهداية والتوفيق
او باكمال الدين او بفتح مكة وهدم منار الجاهلية وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ اخترته
لكم دِينًا من بين الاديان وهو الدين عند الله لا غير فَمَنِ اضْطُرَّ متصل بذكر المحرمات وما بينهما اعتراض
بما يوجب التجنب عنها وهو ان تناولها فسوق وحرمتها من جملة الدين الكامل والنعمة التامة والاسلام المرضى
والمعنى فمن اضطر الى تناول شىء من هذه المحرمات فِي مَخْمَصَةٍ مجاعة غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ

والموقوذة

١٢٨

الجوارح الكواسب من سباع البهائم والطير كالكلب والفهد والنمر والعقاب والصقر والبازى والشاهين كشاف

غير مائل له ومنحرف اليه بان ياكلها تلذذا او مجاوزا حد الرخصة كقوله غير باغ ولا عاد فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ
رَحِيمٌ لا يؤاخذه باكله يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ لما تضمن السؤال معنى القول اوقع على الجملة
وقد سبق الكلام فى ماذا وانما قال لهم ولم يقل لنا على الحكاية لان يسألونك بلفظ الغيبة وكلا الوجهين سائغ فى
امثاله والمسؤول ما احل لهم من المطاعم كانهم لما تلى عليهم ما حرم عليهم سألوا عما احل لهم قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ
الطَّيِّبَاتُ ما لم تستخبثه الطباع السليمة ولم تتنفر عنه ومن مفهومه حرم مستخبثات العرب او ما لم يدل النص
ولا القياس على حرمته وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ عطف على الطيبات ان جعلت ما موصولة على تقدير
وصيد ما علمتم وجملة شرطية ان جعلت شرطا وجوابها فكلوا والجوارح كواسب الصيد على اهلها من سباع ذوات
الاربع والطير مُكَلِّبِينَ معلّمين اياه الصيد والمكلّب مؤدب الجوارح ومضريها بالصيد مشتق من
الكلب لان التاديب يكون اكثر فيه واثر او لان كل سبع يسمى كلبا لقوله عليه السلام اللهم سلط عليه كلبا من كلابك وانتصابه على
الحال من علمتم وفايدتها المبالغة فى التعليم تُعَلِّمُونَهُنَّ حال ثانية او استيناف مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ
من الحيل وطرق التاديب فان العلم بها الهام من الله او مكتسب بالعقل الذى هو منحة منه او مما علمكم ان تعلموه
من اتباع الصيد بارسال صاحبه وينزجر بزجره وينصرف بدعائه ويمسك عليه الصيد ولا ياكل منه فَكُلُوا
مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وهو ما لم ياكل منه لقوله عليه السلام لعدى بن حاتم وان اكل منه فلا
تاكل انما امسك على نفسه واليه ذهب اكثر الفقهاء وقال بعضهم لا يشترط ذلك فى سباع الطير لان تاديبها الى هذا الحد
متعذر وقال اخرون لا يشترط مطلقا وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ الضمير لما علمتم والمعنى سموا عليه عند
ارساله او لما امسكن بمعنى سموا عليه اذا ادركتم ذكاته وَاتَّقُوا اللَّهَ فى محرماته إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ
الْحِسَابِ فيؤاخذكم بما جل ودق الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ
الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ يتناول الذبائح وغيرها ويعم الذين اوتوا الكتاب اليهود
والنصارى واستثنى على رضى الله عنه نصارى بنى تغلب وقال ليسوا على النصرانية ولم ياخذوا منها الا شرب الخمر و
لا يلحق بهم المجوس فى ذلك وان الحق بهم فى التقرير على الجزية لقوله عليه السلام سنوا بهم سنة اهل الكتاب غير ناكحى نسائهم ولا اكلى
ذبائحهم وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ فلا عليكم ان تطعموهم وتبيعوه منهم ولو حرم عليهم لم يجز ذلك وَ
الْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ اى الحرائر العفايف وتخصيصهن بعث على ما هو الاولى وَ
الْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وان كن حربيات وقال ابن عباس لا تحل
الحربيات إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مهورهن وتقييد الحل باتيانها لتاكيد وجوبها والحث
على الاولى وقيل المراد باتيانها التزامها مُحْصِنِينَ اعفاء بالنكاح غَيْرَ مُسَافِحِينَ مجاهرين

بالزنا ولا متخذي أخدان مسرين به والخدن الصديق يقع على الذكر والأنثى ومن يكفر
بالإيمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين يريد بالإيمان شرائع
الإسلام وبالكفر به إنكاره والامتناع عنه يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلوة
أي إذا أردتم القيام كقوله تعالى فإذا قرأت القرآن فاستعذ عبر عن إرادة الفعل بالفعل المسبب عنها للإيجاز والتنبيه
على أن من أراد العبادة ينبغي أن يبادر إليها بحيث لا ينفك الفعل عن الإرادة أو إذا قصدتم الصلوة لأن التوجه إلى
الشيء والقيام إليه قصد له وظاهر الآية يوجب الوضوء على كل قائم إلى الصلوة وإن لم يكن محدثا والإجماع على
خلافه لما روي أنه عم صلى الخمس بوضوء واحد يوم الفتح فقال عمر صنعت شيئا لم تكن تصنعه فقال عمدا فعلته
فقيل مطلق أريد به التقييد والمعنى إذا قمتم إلى الصلوة محدثين وقيل الأمر فيه للندب وقيل كان ذلك أول الأمر ثم
نسخ وهو ضعيف لقوله عم المائدة من آخر القرآن نزولا فأحلوا حلالها وحرموا حرامها فاغسلوا
وجوهكم أمروا الماء عليها ولا حاجة إلى الدلك خلافا لمالك وأيديكم إلى المرافق الجمهور
على دخول المرفقين في المغسول ولذلك قيل إلى بمعنى مع كقوله تعالى ويزدكم قوة إلى قوتكم أو متعلقة بمحذوف
تقديره وأيديكم مضافة إلى المرافق ولو كان كذلك لم يبق معنى التحديد ولا لذكره مزيد فائدة لأن مطلق اليد يشتمل عليها
وقيل إلى تفيد الغاية مطلقا وأما دخولها في الحكم أو خروجها منه فلا دلالة لها عليه وإنما يعلم من خارج ولم يكن في
الآية وكانت الأيدي متناولة لها فحكم بدخولها احتياطا وقيل إلى من حيث إنها تفيد الغاية تقتضي خروجها وإلا
لم تكن غاية كقوله فنظرة إلى ميسرة وقوله ثم أتموا الصيام إلى الليل لكن لما لم تتميز الغاية هنا عن ذي الغاية وجب إدخالها
احتياطا وامسحوا برؤسكم الباء مزيدة وقيل للتبعيض فإنه الفارق بين قولك مسحت المنديل
وبالمنديل ووجهه أن يقال إنها تدل على تضمين الفعل معنى الإلصاق فكأنه قيل وألصقوا المسح برؤسكم و
ذلك لا يقتضي الاستيعاب بخلاف ما لو قيل وامسحوا رؤسكم فإنه كقوله فاغسلوا وجوهكم واختلف العلماء في قدر
الواجب فأوجب الشافعي أقل ما يقع عليه الاسم أخذا باليقين وأبو حنيفة مسح ربع الرأس لأنه عم مسح على
ناصيته وهو قريب من الربع ومالك مسح كله أخذا بالاحتياط وأرجلكم إلى الكعبين نصبه نافع
وابن عامر وحفص والكسائي ويعقوب عطفا على وجوهكم ويؤيده السنة الشائعة وعمل الصحابة وقول أكثر
الأئمة والتحديد إذ المسح لم يحد وجره الباقون على الجوار ونظيره كثير في القرآن والشعر كقوله تعالى عذاب يوم أليم
وحور عين بالجر في قراءة حمزة والكسائي وقولهم جحر ضب خرب وللنحاة باب في ذلك وفائدته التنبيه
على أنه ينبغي أن يقتصد في صب الماء عليها ويغسل غسلا يقرب من المسح وفي الفصل بينه وبين أخواته إيماء على
وجوب الترتيب وقرئ بالرفع على وأرجلكم مغسولة وإن كنتم جنبا فاطهروا فاغتسلوا

وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم
النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم
وأيديكم منه سبق تفسيره ولعل تكريره ليتصل الكلام في بيان أنواع الطهارة ما يريد الله
ليجعل عليكم من حرج أي ما يريد الأمر بالطهارة للصلوة أو الأمر بالتيمم تضييقا عليكم ولكن
يريد ليطهركم لينظفكم أو ليطهركم عن الذنوب فإن الوضوء تكفير للذنوب أو ليطهركم بالتراب إذا أعوزكم
التطهير بالماء فمفعول يريد في الموضعين محذوف واللام للعلة وقيل مزيدة والمعنى ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج
حتى لا يرخص لكم في التيمم ولكن يريد أن يطهركم وهو ضعيف لأن أن لا تقدر بعد المزيدة وليتم نعمته عليكم
ليتم بشرعه ما هو مطهرة لأبدانكم ومكفرة لذنوبكم نعمته عليكم في الدين أو ليتم برخصه إنعامه عليكم بعزائمه
لعلكم تشكرون نعمته والآية مشتملة على سبعة أمور كلها مثنى طهارتان أصل وبدل والأصل اثنان
مستوعب وغير مستوعب وغير المستوعب باعتبار الفعل غسل ومسح وباعتبار المحل محدود وغير محدود وإن آلتهما مائع وجامد وموجبهما حدث
أكبر وأصغر وإن المبيح للعدول إلى البدل مرض أو سفر وإن الموعود عليهما تطهير الذنوب وإتمام النعمة واذكروا
نعمة الله عليكم بالإسلام لتذكركم المنعم وترغبكم في شكره وميثاقه الذي واثقكم
به إذ قلتم سمعنا وأطعنا يعني الميثاق الذي أخذه على المسلمين حين بايعهم رسول الله صلعم على السمع
والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره أو ميثاق ليلة العقبة أو بيعة الرضوان واتقوا الله في إنساء نعمته و
نقض ميثاقه إن الله عليم بذات الصدور أي بخفياتها فيجازيكم عليها فضلا عن جليات أعمالكم
يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم
شنآن قوم على أن لا تعدلوا عداه بعلى لتضمنه معنى الحمل والمعنى لا يحملنكم شدة بغضكم للمشركين
على ترك العدل فيهم فتعتدوا عليهم بارتكاب ما لا يحل كمثلة وقذف وقتل نساء وصبية ونقض عهد تشفيا مما في
قلوبكم اعدلوا هو أقرب للتقوى أي العدل أقرب إلى التقوى صرح لهم بالأمر بالعدل وبين أنه
بمكان من التقوى بعد ما نهاهم عن الجور وبين أنه مقتضى الهوى وإذا كان هذا العدل مع الكفار فما ظنك بالعدل
مع المؤمنين واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون فيجازيكم به وتكرير هذا الحكم لاختلاف السبب
كما قيل إن الأولى نزلت في المشركين وهذه في اليهود أو لمزيد الاهتمام بالعدل والمبالغة في إطفاء نائرة الغيظ
وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر عظيم إنما حذف
ثاني مفعولي وعد استغناء بقوله لهم مغفرة فإنه استئناف يبين ذلك وقيل الجملة في موقع المفعول فإن الوعد ضرب من القول
وكأنه قال وعدهم هذا القول والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك

اصحاب الجحيم هذا من عادته ان يتبع حال احد الفريقين حال الاخر وفاء بحق الدعوة وفيه مزيد وعد للمؤمنين
وتطييب لقلوبهم يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم روي ان المشركين راوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه بعسفان قاموا الى الظهر معا فلما صلوا ندموا ان لا كانوا اكبوا عليهم وهموا ان يوقعوا بهم
اذا قاموا الى العصر فرد الله كيدهم بان انزل صلوة الخوف والاية اشارة الى ذلك وما روي انه عليه السلام اتى قريظة
ومعه الخلفاء الاربعة يستقرضهم لدية مسلمين قتلهما عمرو بن امية الضمري خطأ يحسبهما مشركين فقالوا نعم يا ابا القاسم اجلس
حتى نطعمك ونقرضك فاجلسوه فهموا بقتله فعمد عمرو بن جحاش الى رحى عظيمة يطرحها عليه فامسك الله يده
فنزل جبريل فاخبره فخرج وقيل نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلا وعلق سلاحه بشجرة وتفرق الناس عنه فجاء اعرابي
فسل سيفه فقال من يمنعك مني فقال الله فاسقطه جبريل من يده واخذه الرسول وقال من يمنعك مني
فقال لا احد اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فنزلت اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم
ايديهم بالقتل والاهلاك يقال بسط اليه يده اذا بطش به وبسط اليه لسانه اذا شتمه فكف
ايديهم عنكم منعها ان تمد اليكم ورد مضرتها عنكم واتقوا الله وعلى الله فليتوكل
المؤمنون فانه الكافي لايصال الخير ودفع الشر ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل
وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا شاهدا من كل سبط ينقب عن احوال قومه ويفتش عنها او
كفيلا يكفل عليهم بالوفاء بما امروا به روي ان بني اسرائيل لما فرغوا من فرعون واستقروا بمصر امرهم الله بالمسير
الى اريحا ارض الشام وكان يسكنها الجبابرة الكنعانيون وقال اني كتبتها لكم دارا وقرارا فاخرجوا اليها وجاهدوا
من فيها فاني ناصركم وامر موسى ان ياخذ من كل سبط كفيلا عليهم بالوفاء بما امروا به فاخذ عليهم الميثاق واختار
منهم النقباء وسار بهم فلما دنا من ارض كنعان بعث النقباء يتجسسون الاخبار ونهاهم ان يحدثوا قومهم فراوا
اجراما عظيمة وباسا شديدا فهابوا فرجعوا وحدثوا قومهم الا كالب بن يوفنا من سبط يهوذا ويوشع بن نون
من سبط افرائيم بن يوسف وقال الله اني معكم بالنصرة لئن اقمتم الصلوة و
اتيتم الزكوة وامنتم برسلي وعزرتموهم اي نصرتموهم وقويتموهم واصله الذب
ومنه التعزير واقرضتم الله قرضا حسنا بالانفاق في سبيل الخير وقرضا يحتمل المصدر
والمفعول لاكفرن عنكم سيئاتكم جواب للقسم المدلول عليه باللام في لئن ساد مسد جواب
الشرط ولادخلنكم جنات تجري من تحتها الانهار فمن كفر بعد
ذلك منكم بعد ذلك الشرط المؤكد المعلق به الوعد العظيم فقد ضل سواء السبيل
ضلالا لا شبهة فيه ولا عذر معه بخلاف من كفر قبل ذلك اذ قد يمكن ان يكون له شبهة ويتوهم له معذرة

فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم طردناهم من رحمتنا او مسخناهم او ضربنا عليهم الجزية و
جعلنا قلوبهم قاسية لا تنفعل عن الايات والنذر وقرا حمزة والكسائي قسية وهي اما مبالغة قاسية
او بمعنى رديئة من قولهم درهم قسي اذا كان مغشوشا وهو ايضا من القسوة فان المغشوش فيه يبس وصلابة وقرئ
قسية باتباع القاف للسين يحرفون الكلم عن مواضعه استيناف لبيان قسوة قلوبهم فانه
لا قسوة اشد من تغيير كلام الله والافتراء عليه ويجوز ان يكون حالا من مفعول لعناهم لا من القلوب اذ لا ضمير له فيه
ونسوا حظا وتركوا نصيبا وافيا مما ذكروا به من التورية او من اتباع محمد والمعنى انهم حرفوا
التورية وتركوا حظهم مما انزل عليهم فلم ينالوه وقيل معناه انهم حرفوها فزلت لشومه اشياء منها عن حفظهم
لما روي ان ابن مسعود قال قد ينسى المرء بعض العلم بالمعصية وتلا هذه الاية ولا تزال تطلع على خائنة
منهم خيانة او فرقة خائنة او خائن والهاء للمبالغة والمعنى ان الخيانة والغدر من عادتهم وعادة اسلافهم
لا تزال ترى ذلك منهم الا قليلا منهم لم يخونوا وهم الذين امنوا وقيل الاستثناء من قوله وجعلنا قلوبهم
قاسية فاعف عنهم واصفح ان تابوا وامنوا وعاهدوا والتزموا الجزية وقيل مطلق نسخ باية
السيف ان الله يحب المحسنين تعليل للامر بالصفح وحث عليه وتنبيه على ان العفو عن الكافر
الخائن احسان فضلا عن العفو عن غيره ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم
واخذنا من النصارى ميثاقهم كما اخذنا ممن قبلهم وقيل تقديره ومن الذين قالوا انا نصارى قوم اخذنا وانما قال قالوا
انا نصارى ليدل على انهم سموا انفسهم بذلك ادعاء لنصرة الله فنسوا حظا مما ذكروا به
فاغرينا فالزمنا من غري بالشيء اذا لصق به بينهم العداوة والبغضاء الى
يوم القيمة بين فرق النصارى وهم نسطورية ويعقوبية وملكانية او بينهم وبين اليهود و
سوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون بالجزاء والعقاب يا اهل الكتاب
يعني اليهود والنصارى ووحد الكتاب لانه للجنس قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا
مما كنتم تخفون من الكتاب كنعت محمد واية الرجم في التورية وبشارة عيسى باحمد في الانجيل و
يعفو عن كثير مما تخفونه لا يخبر به اذا لم يضطر اليه امر ديني او عن كثير منكم فلا يواخذه بجرمه قد
جاءكم من الله نور وكتاب مبين يعني القران فانه الكاشف لظلمات الشك و
الضلال والكتاب الواضح الاعجاز وقيل يريد بالنور محمدا صلى الله عليه وسلم يهدي به الله وحد
الضمير لان المراد بهما واحد او لانهما كواحد في الحكم من اتبع رضوانه من اتبع رضاه بالايمان منهم
سبل السلام طرق السلامة من العذاب او سبل الله ويخرجهم من الظلمات الى

النور من انواع الكفر الى الاسلام باذنه بارادته او توفيقه ويهديهم الى صراط مستقيم
طريق هو اقرب الطرق الى الله ومؤد اليه لا محالة لقد كفر الذين قالوا ان الله هو
المسيح بن مريم هم الذين قالوا بالاتحاد منهم وقيل لم يصرح به احد منهم ولكن لما زعموا ان فيه لاهوتا
وقالوا لا اله الا واحد لزمهم ان يكون هو المسيح فنسب اليهم لازم قولهم توضيحا لجهلهم وتفضيحا لمعتقدهم قل فمن
يملك من الله شيئا فمن يمنع من قدرته وارادته شيئا ان اراد ان يهلك المسيح بن
مريم وامه ومن في الارض جميعا احتج بذلك على فساد قولهم وتقريره ان المسيح مقدور مقهور
قابل للفناء كساير الممكنات ومن كان كذلك فهو بمعزل عن الالوهية ولله ملك السموات والارض
وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كل شيء قدير ازاحة لما عرض لهم من الشبهة في امره
والمعنى انه تعالى قادر على الاطلاق يخلق من غير اصل كما خلق السموات والارض ومن اصل كخلق ما بينهما وينشئ من
اصل ليس من جنسه كادم وكثير من الحيوانات ومن اصل يجانسه اما من ذكر وحده كما خلق حوا او من انثى وحدها كعيسى
او منهما كساير الناس وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه
اشياع ابنيه عزير والمسيح كما قيل لاشياع ابن الزبير الخبيبيون او مقربون عنده قرب الاولاد من والدهم وقد
سبق لنحو ذلك مزيد بيان في ال عمران قل فلم يعذبكم بذنوبكم اي فان صح ما زعمتم فلم
يعذبكم بذنوبكم فان من كان بهذا المنصب لا يفعل ما يوجب تعذيبه وقد عذبكم في الدنيا بالقتل والاسر والمسخ
واعترفتم انه سيعذبكم بالنار اياما معدودة بل انتم بشر ممن خلق ممن خلقه يغفر لمن يشاء
وهم من امن به وبرسله ويعذب من يشاء وهم من كفر والمعنى انه يعاملكم معاملة ساير الناس لا مزية لكم
عليه ولله ملك السموات والارض وما بينهما كلها سواء في كونه خلقا وملكا له
واليه المصير فيجازي المحسن باحسانه والمسيء باسائته يا اهل الكتاب قد جاءكم
رسولنا يبين لكم اي الدين وحذف لظهوره او ما كتمتم وحذف لتقدم ذكره ويجوز ان لا يقدر مفعول
على معنى يبذل لكم البيان والجملة في موقع الحال اي جاءكم رسولنا مبينا لكم على فترة من الرسل متعلق
بجاءكم اي جاءكم على حين فتور من الارسال وانقطاع من الوحي او بيبين حال من الضمير فيه ان تقولوا ما
جاءنا من بشير ولا نذير كراهة ان تقولوا ذلك وتعتذروا به فقد جاءكم بشير
ونذير متعلق بمحذوف اي لا تعتذروا بما جاءنا فقد جاءكم والله على كل شيء قدير فيقدر
على الارسال تترى كما فعل بين موسى وعيسى عليهما السلم وكان بينهما الف وستمائة سنة والف نبي وعلى الارسال
على فترة كما فعل بين عيسى ومحمد عليهما السلم كان بينهما ستمائة او خمسمائة وتسع وستون سنة واربعة انبياء ثلثة

من بني اسرائيل وواحد من العرب خالد بن سنان العبسي وفي الاية امتنان عليهم ان بعث اليهم حين انطمست اثار الوحي وكانوا
احوج ما يكون اليه واذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل
فيكم انبياء فارشدكم وشرفكم بهم ولم يبعث في امة ما بعث في بني اسرائيل من الانبياء وجعلكم ملوكا
اي وجعل فيكم او منكم وقد تكاثر فيهم الملوك تكاثر الانبياء بعد فرعون حتى قتلوا يحيى وهموا بقتل عيسى وقيل لما كانوا
مملوكين في ايدي القبط فانقذهم وجعلهم مالكين لانفسهم وامورهم سماهم ملوكا واتاكم ما لم يؤت احدا
من العالمين من فلق البحر وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى ونحوه مما اتاهم وقيل المراد بالعالمين عالمي زمانهم
يا قوم ادخلوا الارض المقدسة ارض بيت المقدس سميت بذلك لانها كانت قرار الانبياء
ومسكن المؤمنين وقيل الطور وما حوله وقيل دمشق وفلسطين وبعض الاردن وقيل الشام التي كتب الله لكم
قسمها لكم او كتب في اللوح انها تكون مسكنا لكم ولكن ان امنتم واطعتم لقوله لهم بعد ما عصوا فانها محرمة عليهم ولا ترتدوا
على ادباركم ولا ترجعوا مدبرين خوفا من الجبابرة وقيل لما سمعوا حالهم من النقباء بكوا وقالوا ليتنا متنا بمصر
تعالوا نجعل علينا راسا ينصرف بنا الى مصر او لا ترتدوا في دينكم بالعصيان وعدم الوثوق على الله فتنقلبوا
خاسرين ثواب الدارين ويجوز في فتنقلبوا الجزم على العطف والنصب على الجواب قالوا يا موسى
ان فيها قوما جبارين متغلبين لا يتاتى مقاومتهم والجبار فعال من جبره على الامر بمعنى اجبره وهو الذي يجبر الناس
على ما يريده وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون اذ لا طاقة لنا بهم
قال رجلان كالب ويوشع من الذين يخافون اي يخافون الله ويتقونه وقيل كان رجلين من الجبابرة اسلما
وصارا الى موسى فعلى هذا الواو لبني اسرائيل والراجع الى الموصول محذوف اي من الذين يخافهم بنو اسرائيل ويشهد له
انه قرئ الذين يخافون بالضم اي المخوفين وعلى المعنى الاول يكون هذا من الاخافة اي من الذين يخوفون بالتشديد من الله بالتذكير
او يخوفهم الوعيد انعم الله عليهما بالايمان والتثبيت وهو صفة ثانية لرجلين او اعتراض ادخلوا
عليهم الباب باب قريتهم اي باغتوهم وضاغطوهم في المضيق وامنعوهم من الاصحار فاذا
دخلتموه فانكم غالبون لتعسر الكر عليهم في المضايق من عظم اجسامهم ولانهم اجسام لا
قلوب فيها ويجوز ان يكون علمهما بذلك من اخبار موسى وقوله كتب الله لكم او مما علما من عادته تعالى في نصرة رسله
وما عهدا من صنعه لموسى في قهر اعدائه وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين اي مؤمنين به
ومصدقين لوعده قالوا يا موسى انا لن ندخلها ابدا نفوا دخولهم على التاكيد والتابيد
ما داموا فيها بدل من ابدا بدل البعض فاذهب انت وربك فقاتلا انا
ههنا قاعدون قالوا ذلك استهانة بالله ورسوله وعدم مبالاة بهما وقيل تقديره اذهب

وربك معك قال رب اني لا املك الا نفسي واخي قاله شكوى بثه وحزنه الى الله لما خالفه قومه وايس منهم ولم يبق معه موافق يثق به غير هرون والرجلان المذكوران وان كانا يوافقانه لم يثق عليهما لما كابد من تلون قومه ويجوز ان يراد باخي من يواخيني في الدين فيدخلان فيه ويحتمل نصبه عطفا على نفسي او على اسم ان ورفعه عطفا على الضمير في لا املك او على ان واسمها وجره عند الكوفيين عطفا على الضمير في نفسي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين بان تحكم لنا بما نستحقه وتحكم عليهم بما يستحقون او بالتبعيد بيننا وبينهم وتخليصنا من صحبتهم قال فانها فان الارض المقدسة محرمة عليهم لا يدخلونها ولا يملكونها بسبب عصيانهم اربعين سنة يتيهون في الارض عامل الظرف اما محرمة فيكون التحريم موقتا غير مؤبد فلا يخالف ظاهر قوله التي كتب الله لكم ويؤيد ذلك ما روي ان موسى عم سار بعد بمن بقي من بني اسرائيل ففتح اريحا واقام فيها ما شاء الله ثم قبض وقيل انه قبض في التيه ولما احتضر اخبرهم بان يوشع بعده نبي وان الله امره بقتال الجبابرة فسار بهم يوشع وقتل الجبابرة وصار الشام كله لبني اسرائيل واما يتيهون اي يسيرون فيها متحيرين لا يرون طريقا فيكون التحريم مطلقا وقيل لم يدخل الارض المقدسة احد ممن قال انا لن ندخلها بل هلكوا في التيه وانما قاتل الجبابرة اولادهم روي انهم لبثوا اربعين سنة في ستة فراسخ يسيرون من الصباح الى المساء فاذا هم بحيث ارتحلوا عنه وكان الغمام يظلهم من الشمس وعمود من نور يطلع بالليل فيضيء لهم وكان طعامهم المن والسلوى وماؤهم من الحجر الذي يحملونه والاكثر على ان موسى وهرون كانا معهم في التيه الا انه كان ذلك روحا لهما وزيادة في درجتهما وعقوبة لهم وانهما ماتا فيه مات هرون وموسى بعده بسنة ثم دخل يوشع اريحا بعد ثلثة اشهر ومات النقباء فيه بغتة غير كالب ويوشع فلا تأس على القوم الفاسقين خاطب به موسى لما ندم على الدعاء عليهم وبين انهم احقاء بذلك لفسقهم واتل عليهم نبأ ابني ادم قابيل وهابيل اوحى الله الى ادم ان يزوج كل واحد منهما توأم الاخر فسخط منه قابيل لان توأمته كانت اجمل فقال لهما ادم قربا قربانا فمن ايكما قبل تزوجها فقبل قربان هابيل بان نزلت نارا فاكلته فازداد قابيل سخطا وفعل ما فعل وقيل لم يرد بهما ابني ادم لصلبه وانهما رجلان من بني اسرائيل ولذلك قال كتبنا على بني اسرائيل بالحق صفة مصدر محذوف اي تلاوة ملتبسة بالحق او حال من الضمير في اتل او من نبأ اي ملتبسا بالصدق موافقا لما في كتب الاولين اذ قربا قربانا ظرف لنبأ او حال منه او بدل على حذف مضاف اي اتل عليهم نبأهما نبأ ذلك الوقت والقربان اسم ما يتقرب به الى الله من ذبيحة او غيرها كما ان الحلوان اسم ما يحلى اي يعطى وهو في الاصل مصدر ولذلك لم يثن وقيل تقديره اذ قرب كل واحد منهما قربانا قيل كان قابيل صاحب زرع وقرب اردى قمح عنده وهابيل صاحب ضرع قرب جملا سمينا

فتقبل من احدهما ولم يتقبل من الاخر لانه سخط حكم الله ولم يخلص النية في قربانه وقصد الى اخس ما عنده قال لاقتلنك توعده بالقتل لفرط الحسد له على تقبل قربانه ولذلك قال انما يتقبل الله من المتقين في جوابه اي انما اتيت من قبل نفسك بترك التقوى لا من قبلي فلم تقتلني وفيه اشارة الى ان الحاسد ينبغي ان يرى حرمانه من تقصيره ويجتهد في تحصيل ما به صار المحسود محظوظا لا في ازالة حظه فان ذلك مما يضره ولا ينفعه وان الطاعة لا تقبل الا من مؤمن متق لئن بسطت الي يدك لتقتلني ما انا بباسط يدي اليك لاقتلك اني اخاف الله رب العالمين قيل كان هابيل اقوى منه ولكن تحرج عن قتله واستسلم له خوفا من الله لان الدفع لم يبح بعد او تحريا لما هو الافضل قال عم كن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل وانما قال ما انا بباسط في جواب لئن بسطت للتبري عن هذا الفعل الشنيع راسا والتحرز من ان يوصف به ويطلق عليه ولذلك اكد النفي بالباء اني اريد ان تبوء باثمي واثمك فتكون من اصحاب النار وذلك جزاء الظالمين تعليل ثان للامتناع عن المعارضة والمقاومة والمعنى انما استسلم لك ارادة ان تحمل اثمي لو بسطت اليك يدي واثمك ببسطك يدك الي ونحوه المستبان ما قالا فعلى البادي ما لم يعتد المظلوم وقيل معنى باثمي باثم قتلي وباثمك الذي لم يتقبل لاجله قربانك وكلاهما في موضع الحال اي ترجع ملتبسا بالاثمين حاملا لهما ولعله لم يرد معصية اخيه وشقاوته بل قصده بهذا الكلام الى ان ذلك ان كان لا محالة واقعا فاريد ان يكون لك لا لي فالمراد بالذات ان لا يكون له لا ان يكون لاخيه ويجوز ان يكون المراد بالاثم عقوبته وارادة عقاب العاصي جائزة فطوعت له نفسه قتل اخيه فسهلته له ووسعته من طاع له المرتع اذا اتسع وقرئ فطاوعت على انه فاعل بمعنى فعل او على ان قتل اخيه كان يدعوه الى الاقدام عليه فطاوعته وله لزيادة الربط كقولك حفظت لزيد ماله فقتله فاصبح من الخاسرين دينا ودنيا اذ بقي مدة عمره مطرودا محزونا قيل قتل هابيل وهو ابن عشرين سنة عند عقبة حرا وقيل بالبصرة في موضع المسجد الاعظم فبعث الله غرابا يبحث في الارض ليريه كيف يواري سوأة اخيه روي انه لما قتله تحير في امره ولم يدر ما يصنع به اذ كان اول ميت من بني ادم فبعث الله غرابين فاقتتلا فقتل احدهما الاخر فحفر له بمنقاره ورجليه ثم القاه في الحفرة والضمير في ليريه لله او للغراب وكيف حال من الضمير في يواري والجملة ثاني مفعولي يرى والمراد بسوأة اخيه جسده الميت فانه مما يستقبح ان يرى قال يا ويلتى كلمة جزع وتحسر والالف فيها بدل من ياء المتكلم والمعنى يا ويلتي احضري فهذا اوانك والويل والويلة الهلكة اعجزت ان اكون مثل هذا الغراب فاواري سوأة اخي لا اهتدي الى ما اهتدى اليه وقوله فاواري عطف

على الكون وليس جواب الاستفهام اذ ليس المعنى لو عجزت لواريت وقرئ بالسكون على فانا اوارى او على الاسكون المنصوب تخفيفا فاصبح من النادمين على قتله لما كابد فيه من التحير في امره وحمله على رقبته سنة او اكثر على ما قيل وتلمذه للغراب واسوداد لونه وتبري ابويه منه اذ روي انه لما قتله اسود جسده فسأله ادم عن اخيه فقال ما كنت عليه وكيلا فقال بل قتلته ولذلك اسود جسدك وتبرأ منه ومكث بعد ذلك مائة سنة لا يضحك وعدم الظفر بما فعله من اجله من اجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل بسببه قضينا عليهم واجل في الاصل مصدر اجل شرا اذا جناه استعمل في تعليل الجنايات كقولهم من جراك فعلته اي من جريرته او جنيته ثم اتسع فيه فاستعمل في كل تعليل ومن ابتدائية متعلقة بكتبنا اي ابتداء الكتب وانشاؤه من اجل ذلك انه من قتل نفسا بغير نفس بغير قتل نفس يوجب الاقتصاص او فساد في الارض او بغير فساد فيها كالشرك وقطع الطريق فكانما قتل الناس جميعا من حيث انه هتك حرمة الدماء وسن القتل وجرأ الناس عليه او من حيث ان قتل الواحد وقتل الجميع سواء في استجلاب غضب الله والعذاب العظيم ومن احياها فكانما احيا الناس جميعا اي ومن تسبب لبقاء حياتها بعفو او منع عن القتل او استنقاذ من بعض اسباب الهلكة فكانما فعل ذلك بالناس جميعا والمقصود منه تعظيم قتل النفس واحياؤها في القلوب ترهيبا عن التعرض لها وترغيبا في المحاماة عليها ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك لمسرفون اي بعد ما كتبنا عليهم هذا التشديد العظيم من اجل امثال تلك الجناية وارسلنا اليهم الرسل بالآيات الواضحة تاكيدا للامر وتجديدا للعهد كي يتحاموا عنها كثير منهم يسرفون في الارض بالقتل ولا يبالون به وبهذا اتصلت الآية بما قبلها والاسراف التباعد عن حد الاعتدال في الامر انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله اي يحاربون اولياءهما وهم المسلمون جعل محاربتهم محاربتهما تعظيما واصل الحرب السلب والمراد به هنا قطع الطريق وقيل المكابرة باللصوصية وان كانت في مصر ويسعون في الارض فسادا اي مفسدين ويجوز نصبه على العلة او المصدر لان سعيهم كان فسادا فكانه قيل ويفسدون في الارض فسادا ان يقتلوا اي قصاصا من غير صلب ان افردوا القتل او يصلبوا اي يصلبوا مع القتل ان قتلوا واخذوا المال وللفقهاء خلاف في انه يقتل ويصلب او يصلب حيا ويترك او يطعن حتى يموت او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف تقطع ايديهم اليمنى وارجلهم اليسرى ان اخذوا المال ولم يقتلوا او ينفوا من الارض ينفوا من بلد الى بلد بحيث لا يتمكنون من القرار في موضع ان اقتصروا على الاخافة وفسر ابو حنيفة رحمه الله النفي بالحبس واو في الآية على هذا للتفصيل وقيل انه للتخيير والامام مخير بين هذه العقوبات

في كل قاطع طريق ذلك لهم خزي في الدنيا ذل وفضيحة ولهم في الآخرة عذاب عظيم لعظم ذنوبهم الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم استثناء مخصوص بما هو حق الله تعالى ويدل عليه قوله تعالى فاعلموا ان الله غفور رحيم اما القتل قصاصا فالى الاولياء يسقط بالتوبة وجوبه لا جوازه وتقييد التوبة بالتقدم على القدرة يدل على انها بعد القدرة لا تسقط الحد وان اسقطت العذاب وان الآية في قطاع المسلمين لان توبة المشرك تدرأ عنه العقوبة قبل القدرة وبعدها يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة اي ما تتوسلون به الى ثوابه والزلفى منه من فعل الطاعات وترك المعاصي من وسل الى كذا اذا تقرب اليه وفي الحديث الوسيلة منزلة في الجنة وجاهدوا في سبيله بمحاربة اعدائه الظاهرة والباطنة لعلكم تفلحون بالوصول الى الله والفوز بكرامته ان الذين كفروا لو ان لهم ما في الارض من صنوف الاموال جميعا ومثله معه ليفتدوا به ليجعلوه فدية لانفسهم من عذاب يوم القيامة واللام متعلقة بمحذوف تستدعيه لو اذ التقدير لو ثبت ان لهم ما في الارض وتوحيد الضمير في به والمذكور شيئان لاجرائه مجرى اسم الاشارة في نحو قوله تعالى عوان بين ذلك او لان الواو في ومثله معه بمعنى مع ما تقبل منهم جواب لو ولو بما في حيزه خبر ان والجملة تمثيل للزوم العذاب لهم وانه لا سبيل لهم الى الخلاص منه ولهم عذاب اليم تصريح بالمقصود منه وكذلك قوله يريدون ان يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم وقرئ يخرجوا من اخرج وانما قال وما هم بخارجين بدل وما يخرجون للمبالغة والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما جملتان عند سيبويه اذ التقدير فيما يتلى عليكم السارق والسارقة اي حكمهما وجملة عند المبرد والفاء للسببية دخل الخبر لتضمنهما معنى الشرط اذ المعنى والذي سرق والتي سرقت وقرئ بالنصب وهو المختار في امثاله لان الانشاء لا يقع خبرا الا باضمار وتأويل والسرقة اخذ مال الغير في خفية وانما توجب القطع اذا كانت من حرز والماخوذ ربع دينار او ما يساويه لقوله عليه السلام القطع في ربع دينار فصاعدا وللعلماء خلاف في ذلك لاحاديث وردت فيه وقد استقصيت الكلام فيه في شرح المصابيح والمراد بالايدي الايمان ويؤيده قراءة ابن مسعود ايمانهما ولذلك ساغ وضع الجمع موضع المثنى كما في قوله فقد صغت قلوبكما اكتفاء بتثنية المضاف اليه واليد اسم لتمام العضو ولذلك ذهب الخوارج الى ان المقطع هو المنكب والجمهور على انه الرسغ لانه عليه السلام اتي بسارق فامر بقطع يمينه منه جزاء بما كسبا نكالا من الله منصوبان على المفعول له او المصدر ودل على فعلهما فاقطعوا والله عزيز حكيم فمن تاب من السراق من بعد ظلمه اي سرقته واصلح امره بالتفصي عن التبعات والعزم على ان لا يعود اليها فان الله

يتوب عليه ان الله غفور رحيم يقبل توبته فلا يعذبه في الاخرة واما القطع فلا يسقطها عند
الاكثرين لان فيه حق المسروق منه الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض الخطاب
للنبي او لكل احد يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء والله على كل شيء
قدير قدم التعذيب على المغفرة ايماء على ترتيب ما سبق او لان استحقاق التعذيب مقدم او لان المراد به القطع
وهو في الدنيا يا ايها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر اي
صنيع الذين يقعون في الكفر سريعا اي في اظهاره اذا وجدوا منه فرصة من الذين قالوا امنا بافواههم
ولم تؤمن قلوبهم اي من المنافقين والباء متعلقة بقالوا لا بامنا والواو تحتمل الحال والعطف ومن
الذين هادوا عطف على من الذين قالوا سماعون للكذب خبر محذوف اي هم سماعون
والضمير للفريقين او للذين يسارعون ويجوز ان يكون مبتدا ومن الذين خبره اي ومن اليهود قوم سماعون واللام في للكذب
لام مزيدة للتاكيد او لتضمين السماع معنى القبول اي قابلون لما يفتريه الاحبار او للعلة والمفعول محذوف اي
سماعون كلامك ليكذبوا عليك فيها سماعون لقوم اخرين لم ياتوك اي لجمع اخر
من اليهود لم يحضروا مجلسك وتجافوا عنك تكبرا وافراطا في البغضاء والمعنى على الوجهين اي مصغون لهم
قابلون كلامهم او سماعون منك لاجلهم وللانهاء اليهم ويجوز ان تتعلق اللام بالكذب لان سماعون الثاني مكرر
للتاكيد اي سماعون ليكذبوا لقوم اخرين يحرفون الكلم من بعد مواضعه اي يميلونه
عن مواضعه التي وضعه الله فيها اما لفظا باهماله او تغيير وضعه واما معنى بحمله على غير المراد واجرائه في غير مورده
والجملة صفة اخرى لقوم او صفة لسماعون او حال من الضمير فيه او استئناف لا موضع له او في موضع الرفع خبر
لمحذوف اي هم يحرفون وكذلك يقولون ان اوتيتم هذا فخذوه اي ان اوتيتم هذا
المحرف فاقبلوه واعملوا به وان لم تؤتوه بل افتاكم محمد بخلافه فاحذروا اي فاحذروا
قبول ما افتاكم به روي ان شريفا من خيبر زنا بشريفة وكانا محصنين فكرهوا رجمهما فارسلوهما مع رهط
بني قريظة ليسالوا رسول الله صلعم عنه وقالوا ان امركم بالجلد والتحميم فاقبلوا وان امركم بالرجم فلا فامرهم بالرجم
فابوا عنه فجعل ابن صوريا حكما بينهم وبينه وقال له انشدك الله الذي لا اله الا هو الذي فلق البحر لموسى
ورفع فوقكم الطور وانجاكم واغرق ال فرعون والذي انزل عليكم كتابه وحلاله وحرامه هل تجد فيه الرجم على من
احصن قال نعم فوثبوا عليه فقال خفت ان كذبته ان ينزل علينا العذاب فامر رسول الله صلعم بالزانيين فرجما
عند باب المسجد ومن يرد الله فتنته ضلالته او فضيحته فلن تملك له من الله
شيئا فلن تستطيع له من الله شيئا في دفعها اولئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم

من الكفر وهو كما ترى نص على فساد قول المعتزلة لهم في الدنيا خزي هوان بالجزية والخوف من
المؤمنين ولهم في الاخرة عذاب عظيم وهو الخلود في النار والضمير للذين هادوا
ان استانفت بقوله ومن الذين هادوا والا فللفريقين سماعون للكذب كرره للتاكيد
اكالون للسحت اي الحرام كالرشا من سحته اذا استاصله لانه مسحوت البركة وقرا ابن كثير وابو
عمرو والكسائي ويعقوب بضمتين وهما لغتان كالعنق والعنق وقرئ بفتح السين على لفظ المصدر فان
جاؤك فاحكم بينهم او اعرض عنهم تخيير لرسول الله صلعم اذا تحاكموا اليه
بين الحكم والاعراض ولهذا قيل لو تحاكم كتابيان الى القاضي لم يجب عليه الحكم وهو قول الشافعي والاصح وجوبه
اذا كان المترافعان او احدهما ذميا لانا التزمنا الذب عنهم ودفع الظلم منهم والاية ليست في اهل الذمة وعند
ابي حنيفة يجب مطلقا وان تعرض عنهم فلن يضروك شيئا بان يعادوك لاعراضك
عنهم فان الله يعصمك من الناس وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط بالعدل الذي امر الله به
ان الله يحب المقسطين فيحفظهم ويعظم شانهم وكيف يحكمونك و
عندهم التورية فيها حكم الله تعجيب من تحكيمهم من لا يؤمنون به والحال ان الحكم
منصوص عليه في الكتاب الذي هو عندهم وتنبيه على انهم ما قصدوا بالتحكيم معرفة الحق واقامة الشرع
وانما طلبوا به ما يكون اهون عليهم وان لم يكن حكم الله في زعمهم وفيها حكم الله حال من التورية ان رفعتها بالظرف
وان جعلتها مبتدا فمن ضميرها المستكن فيه وتانيثها لكونها نظير المؤنث في كلامهم لفظا كموماة ودوداة
ثم يتولون من بعد ذلك ثم يعرضون عن حكمك الموافق لكتابهم بعد التحكيم وهو عطف على يحكمونك
داخل في حكم التعجيب وما اولئك بالمؤمنين بكتابهم لاعراضهم عنه اولا وعما يوافقه ثانيا
او بك وبه انا انزلنا التورية فيها هدى يهدي الى الحق ونور يكشف ما استبهم
من الاحكام يحكم بها النبيون يعني انبياء بني اسرائيل او موسى ومن بعده ان قلنا شرع من قبلنا شرع لنا ما لم ينسخ
وبهذه الاية تمسك القائل به الذين اسلموا صفة اجريت على النبيين مدحا لهم وتنويها بشان المسلمين
وتعريضا باليهود وانهم بمعزل عن دين الانبياء واقتفاء هداهم للذين هادوا متعلق بانزل او بيحكم اي يحكمون بها
في تحاكمهم وهو يدل على ان النبيين انبياؤهم والربانيون والاحبار زهادهم وعلماؤهم السالكون
طريقة انبيائهم عطف على النبيين بما استحفظوا من كتاب الله بسبب امر الله اياهم
بان يحفظوا كتابه من التضييع والتحريف والراجع الى ما محذوف ومن للتبيين وكانوا عليه شهداء
رقباء لا يتركون ان يغيروا او شهداء يبينون ما يخفى منه كما فعل ابن صوريا فلا تخشوا الناس واخشون

نهي للحكام أن يخشوا غير الله في حكوماتهم ويداهنوا فيها خشية ظالم أو مراقبة كبير ولا تشتروا بآياتي
ولا تستبدلوا بأحكامي التي أنزلتها ثمنا قليلا هو الرشوة والجاه ومن لم يحكم بما أنزل الله
مستهينا به منكرا له فأولئك هم الكافرون لاستهانتهم به وتمردهم بأن حكموا بغيره ولذلك
وصفهم بقوله الكافرون والظالمون والفاسقون فكفرهم لإنكاره وظلمهم بالحكم على خلافه وفسقهم بالخروج عنه
ويجوز أن يكون كل واحدة من الصفات الثلث باعتبار حال انضمت إلى الامتناع عن الحكم به ملائمة لها أو
لطائفة كما قيل هذه في المسلمين لاتصالها بخطابهم والظالمون في اليهود والفاسقون في النصارى وكتبنا
عليهم وفرضنا على اليهود فيها في التورية أن النفس بالنفس أي أن النفس تقتل بالنفس
والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن
بالسن رفعها الكسائي على أنها جمل معطوفة على أن وما في حيزها باعتبار المعنى كأنه قيل كتبنا عليهم النفس بالنفس
والعين بالعين فإن الكتابة والقراءة يقعان على الجمل كالقول أو جمل مستأنفة ومعناها وكذلك العين مفقوءة بالعين
والأنف مجدوعة بالأنف والأذن مصلومة بالأذن والسن مقلوعة بالسن أو على أن المرفوع منها معطوف
على المستكن في قوله بالنفس وإنما ساغ لأنه في الأصل مفصول عنه بالظرف والجار والمجرور حال مبينة للمعنى و
الجروح قصاص أي ذات قصاص وقرأه الكسائي أيضا بالرفع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر
على أنه إجمال للحكم بعد التفصيل فمن تصدق من المستحقين به بالقصاص أي فمن عفا عنه فهو
كفارة له للمتصدق يكفر الله به ذنوبه وقيل للجاني يسقط عنه ما لزمه وقرئ فهو كفارته له
أي فالمتصدق كفارته التي يستحقها بالتصدق له لا ينقص منها شيء ومن لم يحكم بما أنزل الله
من القصاص وغيره فأولئك هم الظالمون وقفينا على آثارهم أي أتبعناهم على آثارهم
فحذف المفعول لدلالة الجار والمجرور عليه والضمير للنبيين بعيسى بن مريم مفعول ثان عدي إليه الفعل
بالباء مصدقا لما بين يديه من التورية وآتيناه الإنجيل وقرئ بفتح الهمزة
فيه هدى ونور في موضع النصب بالحال ومصدقا لما بين يديه من التورية
عطف عليه وكذا قوله وهدى وموعظة للمتقين ويجوز نصبهما على المفعول له عطفا
على محذوف أو تعليقا به وعطف وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه عليه في
قراءة حمزة وعلى الأول اللام متعلقة بمحذوف أي وآتيناه ليحكم وقرئ وأن ليحكم على أن أن موصولة بالأمر
كقوله أمرت بأن قم أي وأمرنا بأن ليحكم ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون
عن حكمه أو عن الإيمان إن كان مستهينا به والآية تدل على أن الإنجيل مشتملة على الأحكام وأن اليهودية منسوخة ببعثه

عيسى عم وأنه كان مستقلا بالشرع وحمله على وليحكموا بما أنزل الله فيه من إيجاب العمل بأحكام التورية خلاف الظاهر و
أنزلنا إليك الكتاب بالحق أي القرآن مصدقا لما بين يديه من الكتاب
من جنس الكتب المنزلة فاللام الأولى للعهد والثانية للجنس ومهيمنا عليه ورقيبا على سائر الكتب يحفظه
عن التغيير ويشهد لها بالصحة والثبات وقرئ على بنية المفعول أي هومن عليه وحوفظ من التحريف والحافظ له هو
الله تعالى أو الحفاظ في كل عصر فاحكم بينهم بما أنزل الله أي بما أنزل إليك ولا تتبع
أهواءهم عما جاءك من الحق بالانحراف عنه إلى ما يشتهونه فعن صلة لا تتبع لتضمنه معنى لا تنحرف أو
حال من فاعله أي لا تتبع أهواءهم مائلا عما جاءك لكل جعلنا منكم أيها الناس شرعة
شريعة وهي الطريقة إلى الماء شبه بها الدين لأنه طريق إلى ما هو سبب الحيوة الأبدية وقرئ بفتح الشين ومنهاجا
وطريقا واضحا في الدين من نهج الأمر إذا وضح واستدل به على أنا غير متعبدين بالشرائع المتقدمة ولو شاء الله
لجعلكم أمة واحدة جماعة متفقة على دين واحد في جميع الأعصار من غير نسخ وتحويل ومفعول لو شاء
محذوف دل عليه الجواب وقيل المعنى لو شاء الله اجتماعكم على الإسلام لأجبركم عليه ولكن ليبلوكم
فيما آتاكم من الشرائع المختلفة المناسبة لكل عصر وقرن هل تعملون بها مذعنين لها معتقدين أن اختلافها بمقتضى
الحكمة الإلهية أم تزيغون عن الحق وتفرطون في العمل فاستبقوا الخيرات فابتدروها انتهازا للفرصة
وحيازة لفضل السبق والتقدم إلى الله مرجعكم جميعا استئناف فيه تعليل الأمر بالاستباق ووعد
ووعيد للمبادرين والمقصرين فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون بالجزاء الفاصل بين المحق
والمبطل والعامل والمقصر وأن احكم بينهم بما أنزل الله عطف على الكتاب أي أنزلنا إليك
الكتاب والحكم أو على الحق أي أنزلناه بالحق وبأن احكم ويجوز أن يكون جملة بتقدير وأمرنا أن احكم ولا تتبع
أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك أي أن يضلوك
ويصرفوك عنه وأن بصلته بدل من هم بدل الاشتمال أي احذر فتنتهم أو مفعول له أي احذرهم مخافة أن يفتنوك
روي أن أحبار اليهود قالوا اذهبوا بنا إلى محمد لعلنا نفتنه عن دينه فقالوا يا محمد قد عرفت أنا أحبار اليهود وأنا
إن اتبعناك اتبعنا اليهود كلهم وإن بيننا وبين قومنا خصومة فنتحاكم إليك فتقضي لنا عليهم ونحن نؤمن بك ونصدقك
فأبى ذلك رسول الله صلعم فنزلت فإن تولوا عن الحكم المنزل وأرادوا غيره فاعلم أنما يريد الله
أن يصيبهم ببعض ذنوبهم يعني ذنب التولي عن حكم الله فعبر عنه بذلك تنبيها على أن لهم ذنوبا كثيرة
وهذا مع عظمه واحد منها معدود من جملتها وفيه دلالة على التعظيم كما في التنكير ونظيره قول لبيد أو يرتبط بعض
النفوس حمامها وإن كثيرا من الناس لفاسقون لمتمردون في الكفر معتدون فيه أفحكم

الجاهلية يبغون الذى هو الميل و المداهنة فى الحكم والمراد بالجاهلية الملة التى هى متابعة الهوى وقيل نزلت فى بنى قريظة والنضير طلبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يحكم بما كان يحكم به اهل الجاهلية من التفاضل بين القتلى وقرى برفع الحكم على انه مبتدأ ويبغون خبره والراجع محذوف حذفه فى الصلة فى قوله تعالى اهذا الذى بعث الله رسولا واستضعف ذلك فى غير الشعر وقرى افحكم الجاهلية اى يبغون حاكما كحكام الجاهلية يحكم بحسب شهيتهم وقرأ ابن عامر تبغون بالتاء على قل لهم افحكم الجاهلية تبغون ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون اى عندهم واللام للبيان كما فى قوله هيت لك اى هذا الاستفهام لقوم يوقنون فانهم هم الذين يتدبرون الامور ويتحققون الاشياء بانظارهم فيعلمون ان لا احسن حكما من الله جلت عظمته يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء فلا تعتمدوا عليهم ولا تعاشروهم معاشرة الاحباب بعضهم اولياء بعض ايماء الى علة النهى اى فانهم متفقون على خلافكم يوالى بعضهم بعضا لاتحادهم فى الدين واجتماعهم فى مضادتكم ومن يتولهم منكم فانه منهم اى من والاهم منكم فانه من جملتهم وهذا تشديد على وجوب مجانبتهم كما قال عليه السلام لا تتراءى ناراهما او لانهم لا يوالونهم الا اذا كانوا منهم ان الله لا يهدى القوم الظالمين اى الذين ظلموا انفسهم بموالاة الكفار او المؤمنين بموالاة اعدائهم فترى الذين فى قلوبهم مرض يعنى ابن ابى واضرابه يسارعون فيهم اى فى موالاتهم ومعاونتهم يقولون نخشى ان تصيبنا دائرة يعتذرون بانهم يخافون ان تصيبهم دائرة من دوائر الزمان بان ينقلب الامر وتكون الدولة للكفار روى ان عبادة بن الصامت قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان لى موالى من اليهود كثيرا عددهم وانى ابرأ الى الله ورسوله من ولايتهم واوالى الله ورسوله فقال ابن ابى انى رجل اخاف الدوائر لا ابرأ من ولاية مواليى فنزلت فعسى الله ان ياتى بالفتح لرسول الله على اعدائه واظهار المسلمين او امر من عنده يقطع شأفة اليهود من القتل والاجلاء او الامر باظهار اسرار المنافقين وقتلهم فيصبحوا اى هؤلاء المنافقون على ما اسروا فى انفسهم نادمين على ما استبطنوه من الكفر والشك فى امر الرسول فضلا عما اظهروا مما اشعر على نفاقهم ويقول الذين امنوا بالرفع قراءة عاصم وحمزة والكسائى على انه كلام مبتدأ ويؤيده قراءة ابن كثير ونافع وابن عامر مرفوعا بغير واو على انه جواب قائل يقول فماذا يقول المؤمنون حينئذ وبالنصب قراءة ابى عمرو ويعقوب عطفا على ان ياتى باعتبار المعنى فكانه قال عسى ان ياتى الله بالفتح ويقول الذين امنوا او يجعله بدلا من اسم الله داخلا فى اسم عسى مغنيا عن الخبر بما تضمنه من الحدث او على الفتح بمعنى عسى الله ان ياتى بالفتح وبقول المؤمنين فان الاتيان بما يوجبه

كالاتيان به اهؤلاء الذين اقسموا بالله جهد ايمانهم انهم لمعكم يقوله المؤمنون بعضهم لبعض تعجبا من حال المنافقين وتبجحا بما من الله عليهم من الاخلاص او يقولونه لليهود فان المنافقين حلفوا لهم بالمعاضدة كما حكى الله عنهم وان قوتلتم لننصرنكم وجهد الايمان اغلظها وهو فى الاصل مصدر ونصبه على الحال على تقدير واقسموا بالله يجتهدون جهد ايمانهم فحذف الفعل واقيم المصدر مقامه ولذلك ساغ كونها معرفة او على المصدر لانه بمعنى اقسموا حبطت اعمالهم فاصبحوا خاسرين من جملة المقول او من قول الله شهادة لهم بحبوط اعمالهم وفيه معنى التعجب كانه قيل ما احبط اعمالهم وما اخسرهم يا ايها الذين امنوا من يرتد منكم عن دينه قراءة على الاصل نافع وابن عامر وهو كذلك فى الامام والباقون بالادغام وهذا من الكائنات التى اخبر الله عنها قبل وقوعها وقد ارتد من العرب فى اواخر عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلث فرق بنو مدلج وكان رئيسهم ذو الخمار الاسود العنسى تنبأ باليمن واستولى على بلاده ثم قتله فيروز الديلمى ليلة قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم من غدها واخبر الرسول عليه السلام تلك الليلة فسر المسلمون واتى الخبر فى اواخر ربيع الاول وبنو حنيفة اصحاب مسيلمة تنبأ وكتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله اما بعد فان الارض نصفها لى ونصفها لك فاجاب من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب اما بعد فان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين فحاربه ابو بكر بجند من المسلمين وقتله وحشى قاتل حمزة وبنو اسد قوم طليحة بن خويلد تنبأ فبعث اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم خالدا فهرب بعد القتال الى الشام ثم اسلم وحسن اسلامه وفى عهد ابى بكر سبع فزارة قوم عيينة بن حصين وغطفان قوم قرة بن سلمة وبنو سليم قوم الفجاءة بن عبد ياليل وبنو يربوع قوم مالك بن نويرة وبعض تميم قوم سجاح بنت المنذر المتنبئة زوجة مسيلمة وكندة قوم الاشعث بن قيس وبنو بكر بن وائل بالبحرين قوم الحطم وكفى الله امرهم على يده وفى امارة عمر غسان قوم جبلة بن الايهم تنصر ولحق بالشام فسوف ياتى الله بقوم يحبهم ويحبونه قيل هم اهل اليمن لما روى انه عليه السلام اشار الى ابى موسى وقال قوم هذا وقيل الفرس لانه عليه السلام سئل عنهم فضرب يده على عاتق سلمان فقال هذا وذووه وقيل الذين جاهدوا يوم القادسية الفان من النخع وخمسة الاف من كندة وبجيلة وثلثة الاف من افناء الناس والراجع الى من محذوف تقديره فسوف ياتى الله بقوم مكانهم ومحبة الله تعالى للعباد ارادة الهدى والتوفيق لهم فى دار الدنيا وحسن الثواب فى الاخرة ومحبة العباد له ارادة طاعته والتحرز عن معاصيه اذلة على المؤمنين عاطفين عليهم متذللين لهم جمع ذليل لا ذلول لان جمعه ذلل واستعماله مع على لتضمين معنى العطف والحنو والتنبيه على انهم مع علو طبقتهم وفضلهم على المؤمنين خافضين لهم او للمقابلة اعزة على الكافرين شداد متغلبين عليهم من عزه اذا غلبه وقرى بالنصب على الحال يجاهدون فى سبيل الله صفة اخرى لقوم او حال

وكان فى الكشاف ذو الخمار وهو الاسود العنسى

من الضمير في اعزة ولا يخافون لومة لائم عطف على يجاهدون بمعنى انهم الجامعون بين المجاهدة
في سبيل الله والتصلب في دينه او حال بمعنى انهم يجاهدون وحالهم خلاف حال المنافقين فانهم يخرجون في جيش المسلمين خائفين
ملامة اوليائهم من اليهود فلا يعملون شيئا يلحقهم فيه لوم من جهتهم واللومة المرة من اللوم وفيها وفي تنكير لائم مبالغتان
ذلك اشارة الى ما تقدم من الاوصاف فضل الله يؤتيه من يشاء يمنحه ويوفق له
والله واسع كثير الفضل عليم بمن هو اهله انما وليكم الله ورسوله والذين
آمنوا لما نهى عن موالاة الكفرة ذكر عقيبه من هو حقيق بها وانما قال وليكم ولم يقل اولياؤكم للتنبيه على ان الولاية
لله على الاصالة ولرسوله والمؤمنين على التبع الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة
صفة للذين آمنوا فانه جرى مجرى الاسم او بدل منه ويجوز نصبه ورفعه على المدح وهم راكعون متخشعون في
صلوتهم وزكاتهم وقيل هو حال مخصوصة بيؤتون اي يؤتون الزكوة في حال ركوعهم في الصلوة حرصا على
الاحسان ومسارعة اليه وانها نزلت في علي رضي الله عنه حين سأله سائل وهو راكع في صلوته فطرح له خاتمه واستدل
بها الشيعة على امامته زاعمين ان المراد بالولي المتولي للامور والمستحق للتصرف فيها والظاهر ما ذكرناه مع ان حمل
الجمع على الواحد ايضا خلاف الظاهر وان صح انه نزل فيه فلعله جيء بلفظ الجمع مع الواحد ايضا لترغيب الناس في مثل
فعله فيندرجوا فيه وعلى هذا يكون دليلا على ان الفعل القليل في الصلوة لا يبطلها وان صدقة التطوع تسمى زكوة و
من يتول الله ورسوله والذين آمنوا ومن يتخذهم اولياء فان حزب
الله هم الغالبون اي فانهم الغالبون ولكن وضع الظاهر موضع المضمر تنبيها على البرهان عليه فكأنه
قيل ومن يتول هؤلاء فهم حزب الله وحزب الله هم الغالبون وتنويها بذكرهم وتعظيما لشأنهم وتشريفا
لهم بهذا الاسم وتعريضا لمن يوالي غير هؤلاء بانه حزب الشيطان واصل الحزب القوم يجتمعون لامر حزبهم يا
ايها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا
من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم والكفار اولياء نزلت في
رفاعة بن زيد وسويد بن الحارث اظهرا الاسلام ثم نافقا وكان رجال من المسلمين يوادونهما وقد رتب النهي
عن موالاتهم على اتخاذهم دينكم هزوا ولعبا ايماء على العلة وتنبيها على ان من هذا شأنه بعيد عن الموالاة جدير بالمعاداة
وفصل المستهزئين باهل الكتاب والكفار على قراءة من جره وهم ابو عمرو والكسائي ويعقوب والكفار وان عم اهل
الكتاب يطلق على المشركين خاصة لتضاعف كفرهم ومن نصبه عطفه على الذين اتخذوا على ان النهي عن موالاة
من ليس على الحق رأسا سواء من كان ذا دين تبع فيه الهوى وحرفه عن الصواب كاهل الكتاب ومن لم يكن كالمشركين
واتقوا الله بترك المناهي ان كنتم مؤمنين لان الايمان حقا يقتضي ذلك وقيل ان كنتم

مؤمنين بوعده ووعيده واذا ناديتم الى الصلوة اتخذوها هزوا ولعبا
اي اتخذوا الصلوة او المناداة وفيه دليل على ان الاذان مشروع للصلوة روي ان نصرانيا بالمدينة كان اذا سمع المؤذن
يقول اشهد ان محمدا رسول الله يقول احرق الله الكاذب فدخل خادمه ذات ليلة بنار واهله نيام فتطاير شرره
في البيت فاحرقه واهله ذلك بانهم قوم لا يعقلون فان السفه يؤدي الى الجهل بالحق و
الهزء به والعقل يمنع منه قل يا اهل الكتاب هل تنقمون منا هل تنكرون منا و
تعيبون يقال نقم منه كذا اذا انكره وانتقم اذا كافأه وقرئ تنقمون بفتح القاف وهي لغة الا ان آمنا بالله
وما انزل الينا وما انزل من قبل بالايمان بالكتب المنزلة كلها وان اكثركم فاسقون
عطف على ان آمنا وكان المستثنى لازم الامرين وهو المخالفة اي ما تنكرون منا الا مخالفتكم حيث دخلنا الايمان
وانتم خارجون منه او كان الاصل واعتقاد ان اكثركم فاسقون فحذف المضاف او على ما اي وما تنقمون منا الا الايمان
لقلة انصافكم وفسقكم او نصب باضمار فعل دل عليه هل تنقمون اي ولا تنقمون ان اكثركم فاسقون او رفع على الابتداء والخبر محذوف
اي وفسقكم ثابت معلوم عندكم لكن حب الرياسة والمال يمنعكم عن الانصاف والآية خطاب ليهود سألوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم عمن يؤمن به فقال اومن بالله وما انزل الينا الى قوله ونحن له مسلمون فقالوا حين سمعوا ذكر عيسى لا نعلم دينا شرا من دينكم
قل هل انبئكم بشر من ذلك اي من ذلك المنقوم مثوبة عند الله جزاء
ثابتا عند الله والمثوبة مختصة بالخير كالعقوبة بالشر فوضعت ههنا موضعها على طريقة قوله تحية بينهم ضرب وجيع
ونصبها على التمييز عن بشر من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة
والخنازير بدل من بشر على حذف مضاف اي بشر من اهل ذلك من لعنه الله او بشر من ذلك دين من لعنه الله
او خبر محذوف اي هو من لعنه الله وهم اليهود ابعدهم الله من رحمته وسخط عليهم بكفرهم وانهماكهم في المعاصي بعد
وضوح الآيات ومسخ بعضهم قردة وهم اصحاب السبت وبعضهم خنازير وهم كفار اهل مائدة عيسى وقيل كلا
المسخين في اصحاب السبت مسخت شبانهم قردة ومشايخهم خنازير وعبد الطاغوت عطف على
صلة من وكذا عبد الطاغوت على البناء للمفعول ورفع الطاغوت وعبد بمعنى صار معبودا فيكون الراجع محذوفا اي
فيهم او بينهم ومن قرأ عابد الطاغوت او عبد على انه نعت كفطن ويقظ او عبدة او عبد الطاغوت
على انه جمع كخدم او ان اصله عبدة فحذف التاء للاضافة عطفه على القردة ومن قرأ عبد الطاغوت بالجر عطفه
على من والمراد من الطاغوت العجل وقيل الكهنة وكل من اطاعوه في معصية الله وقرأ حمزة عبد الطاغوت بضم
الباء وجر التاء والباقون بفتح الباء ونصب التاء اولئك اي الملعونون شر مكانا جعل مكانهم شرا
ليكون ابلغ في الدلالة على شرارتهم وقيل مكانا منصرفا واضل عن سواء السبيل قصد الطريق المتوسط

بشر على النصارى وقدح اليهود والمراد من صيغة التفضيل الزيادة مطلقا لا بالاضافة الى المؤمنين في الشرارة والضلال
واذا جاؤكم قالوا امنا به نزلت في يهود نافقوا رسول الله او في عامة المنافقين وقد
دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به اي يخرجون من عندك كما دخلوا لا يؤثر فيهم ما سمعوا
منك والجملتان حالان من فاعل قالوا وبالكفر وبه حالان من فاعلي دخلوا وخرجوا وقد وان دخلت لتقريب الماضي من
الحال ليصح ان يقع حالا افادت ايضا لما فيها من التوقع ان امارة النفاق كانت لائحة عليهم وكان الرسول يظنه
ولذلك قال والله اعلم بما كانوا يكتمون اي من الكفر وفيه وعيد لهم وترى كثيرا منهم
اي من اليهود او المنافقين يسارعون في الاثم اي الحرام وقيل الكذب لقوله عن قولهم الاثم والعدوان
الظلم او مجاوزة الحد في المعاصي وقيل الاثم ما يختص بهم والعدوان ما يتعدى الى غيرهم واكلهم السحت
اي الحرام خصه بالذكر للمبالغة لبئس ما كانوا يعملون لبئس شيئا عملوه لولا ينهاهم الربانيون
والاحبار عن قولهم الاثم واكلهم السحت تحضيض لعلمائهم على النهي عن ذلك فان لولا اذا
دخل على الماضي افاد التوبيخ واذا دخل على المستقبل افاد التحضيض لبئس ما كانوا يصنعون ابلغ
من قوله لبئس ما كانوا يعملون من حيث ان الصنع عمل الانسان بعد تدرب فيه وتروٍّ وتحري اجادة ولذلك ذم به
خواصهم ولان ترك الحسبة اقبح من مواقعة المعصية لان النفس تلتذ بها وتميل اليها ولا كذلك ترك الانكار عليها فكان جديرا
بابلغ الذم وقالت اليهود يد الله مغلولة اي هو ممسك يقتر الرزق وغل اليد وبسطها
مجاز عن البخل والجود ولا قصد فيه الى اثبات يد وغل او بسط ولذلك يستعمل حيث لا يتصور ذلك كقوله جاد الحمى
بسط اليدين بوابل شكرت نداه تلاعه ووهاده ونظيره من المجازات المركبة شابت لمة الليل وقيل
انه فقير لقوله تعالى لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء غلت ايديهم ولعنوا بما
قالوا دعاء عليهم بالبخل والنكد او بالفقر والمسكنة او بغل الايدي حقيقة يغلون اسارى في الدنيا ويسحبون
الى النار في الاخرة فتكون المطابقة من حيث اللفظ وملاحظة الاصل كقولك سبني سب الله دابره بل يداه
مبسوطتان ثنى اليد مبالغة في الرد ونفي البخل عنه واثباتا لغاية الجود فان غاية ما يبذله السخي من ماله ان يعطيه
بيديه وتنبيها على منح الدنيا والاخرة وعلى ما يعطى للاستدراج وما يعطى للاكرام ينفق كيف يشاء
تاكيد لذلك اي هو مختار في انفاقه يوسع تارة ويضيق اخرى على حسب مشيته ومقتضى حكمته لا على تعاقب ضيق
وسعة في ذات يد ولا يجوز جعله حالا من الهاء للفصل بينهما بالخبر ولانها مضاف اليها ولا من اليدين اذ الضمير لهما
ولا من ضمير لهما لذلك والاية نزلت في فنحاص بن عازوراء فانه قال ذلك لما كف الله عن اليهود ما بسط عليهم من
السعة بشؤم تكذيبهم محمدا واشرك فيه الاخرون لانهم رضوا بقوله وليزيدن كثيرا منهم

ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا اي هم طاغون كافرون ويزدادون طغيانا
وكفرا بما يسمعون من القران كما يزداد المريض مرضا من تناول الغذاء الصالح للاصحاء والقينا بينهم العداوة
والبغضاء الى يوم القيمة فلا تتوافق قلوبهم ولا تتطابق اقوالهم كلما اوقدوا نارا
للحرب اطفأها الله كلما ارادوا حرب الرسول واثارة شر عليه ردهم الله بان اوقع بينهم منازعة
كف بها عنه شرهم وكلما ارادوا حرب احد غلبوا فانهم لما خالفوا حكم التورية سلط الله عليهم بخت نصر ثم افسدوا
فسلط عليهم فطرس الرومي ثم افسدوا فسلط عليهم المجوس ثم افسدوا فسلط عليهم المسلمين وللحرب صلة اوقدوا او صفة
نارا ويسعون في الارض فسادا اي للفساد وهو اجتهادهم في الكيد واثارة الحروب والفتن
وهتك المحارم والله لا يحب المفسدين فلا يجازيهم الا شرا ولو ان اهل الكتاب
امنوا بمحمد وما جاء به واتقوا ما عددنا من معاصيهم ونحوه لكفرنا عنهم سيئاتهم
التي فعلوها ولم يؤاخذهم بها ولادخلناهم جنات النعيم ولجعلناهم داخلين فيها و
فيه تنبيه على عظم معاصيهم وكثرة ذنوبهم وان الاسلام يجب ما قبله وان جل وان الكتابي لا يدخل الجنة ما لم يسلم ولو
انهم اقاموا التورية والانجيل باذاعة ما فيهما والقيام باحكامهما وما انزل اليهم
من ربهم يعني سائر الكتب المنزلة فانها من حيث انهم مكلفون بالايمان بها كالمنزل اليهم او القران
لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم لوسع عليهم ارزاقهم بان يفيض عليهم بركات
من السماء والارض او يكثر ثمرة الاشجار وغلة الزروع او يرزقهم الجنان اليانعة الثمار فيجتنون ما تهدل منها من رأس الشجر ويلتقطون
ما تساقط على الارض بين بذلك ان ما كف عنهم لشؤم كفرهم ومعاصيهم لا لقصور الفيض ولو انهم امنوا واقاموا
ما امروا به لوسع عليهم وجعل لهم خير الدارين منهم امة مقتصدة عادلة غير غالية ولا مقصرة وهم
الذين امنوا بمحمد وقيل مقتصدة متوسطة في عداوته وكثير منهم ساء ما يعملون
اي بئس ما يعملونه وفيه معنى التعجب اي ما اسوأ عملهم وهو المعاندة وتحريف الحق والاعراض عنه والافراط في
العداوة يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك جميع ما انزل اليك غير مراقب
احدا ولا خائف مكروها وان لم تفعل وان لم تبلغ جميعه كما امرتك فما بلغت رسالته
فما اديت شيئا منها لان كتمان بعضها يضيع ما ادي منها كترك بعض اركان الصلوة فان غرض الدعوة ينتقض
به او فكانك ما بلغت شيئا منها كقوله فكانما قتل الناس جميعا من حيث ان كتمان البعض والكل سواء في الشناعة
واستجلاب العقاب وقرأ نافع وابن عامر وابو بكر فما بلغت رسالاته بالجمع وكسر التاء والله يعصمك
من الناس عدة وضمان من الله بعصمة روحه من تعرض الاعادي وازاحة لمعاذيره ان الله لا يهدي

القوم الكافرين لا يمكنهم مما يريدون بك وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال بعثني الله برسالته فضقت بها ذرعا
فاوحى الله تعالى الي ان لم تبلغ رسالتي عذبتك وضمن لي العصمة فقويت وعن انس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرس حتى نزلت
فاخرج راسه من قبة ادم فقال انصرفوا يا ايها الناس فقد عصمني الله من الناس وظاهر الاية يوجب تبليغ كل ما انزل
ولعل المراد تبليغ ما يتعلق به مصالح العباد وقصد بانزاله اطلاعهم عليه فان من الاسرار الالهية ما يحرم افشاؤه قل يا
اهل الكتاب لستم على شيء اي دين يعتد به ويصح ان يسمى شيئا لانه باطل حتى تقيموا
التوراة والانجيل وما انزل اليكم من ربكم ومن اقامتها الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والاذعان لحكمه
فان الكتب الالهية باسرها امرة بالايمان بمن صدقه المعجزة ناطقة بوجوب الطاعة له والمراد اقامة اصولها وما لم ينسخ من
فروعها وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا
فلا تاس على القوم الكافرين فلا تحزن عليهم لزيادة طغيانهم وكفرهم بما تبلغه اليهم فان ضرر ذلك
لاحق بهم لا يتخطاهم وفي المؤمنين مندوحة لك عنهم ان الذين امنوا والذين هادوا والصابئون
والنصارى سبق تفسيره في سورة البقرة والصابئون رفع على الابتداء وخبره محذوف والنية به التاخير عما
في حيز ان والتقدير ان الذين امنوا والذين هادوا والنصارى حكمهم كذا والصابئون كذلك كقوله فاني وقيار بها لغريب
وقوله والا فاعلموا انا وانتم بغاة ما بقينا في شقاق وهو كاعتراض دل به على انه لما كان الصابئون مع ظهور
ضلالهم وميلهم عن الاديان كلها يتاب عليهم ان صح منهم الايمان والعمل الصالح كان غيرهم اولى بذلك ويجوز ان
يكون والنصارى معطوفا عليه ومن امن خبرهما وخبر ان مقدر دل عليه ما بعده كقوله نحن بما عندنا وانت بما عندك
راض والراي مختلف ولا يجوز عطفه على محل ان واسمها فانه مشروط بالفراغ من الخبر اذ لو عطف عليه قبله كان
الخبر خبر المبتدا وخبر ان معا فيجتمع عليه عاملان ولا على الضمير في هادوا لعدم التاكيد والفصل ولانه يوجب كون الصابئين
هودا وقيل ان بمعنى نعم وما بعدها في موضع الرفع بالابتداء وقيل الصابئون منصوب بالفتحة وذلك كما جوز بالياء
جوز بالواو من امن بالله واليوم الاخر وعمل صالحا في محل الرفع بالابتداء وخبره
فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والجملة خبر ان او خبر المبتدا كما مر والراجع محذوف
اي من امن منهم او النصب على البدل من اسم ان وما عطف عليه وقرئ والصابيون وهو الظاهر والصابون
بقلب الهمزة ياء والصابين بحذفها من صبا بابدال الهمزة الفا او من صبوت لانهم صبوا الى اتباع الشهوات ولم يتبعوا
شرعا ولا عقلا لقد اخذنا ميثاق بني اسرائيل وارسلنا اليهم رسلا ليذكروهم
وليبينوا لهم امر دينهم كلما جاءهم رسول بما لا تهوى انفسهم بما يخالف هواهم من الشرائع
ومشاق التكاليف فريقا كذبوا وفريقا يقتلون جواب الشرط والجملة صفة رسلا والراجع الى الموصوف

محذوف اي رسول منهم وقيل الجواب محذوف دل عليه ذلك وهو استئناف وانما جيء بيقتلون موضع قتلوا
على حكاية الحال الماضية استحضارا لها واستفظاعا للقتل وتنبيها على ان ذلك ديدنهم ماضيا ومستقبلا ومحافظة على
رؤوس الاي وحسبوا ان لا تكون فتنة اي وحسب بنو اسرائيل ان لا يصيبهم بلاء وعذاب
بقتل الانبياء وتكذيبهم وقرا ابو عمرو وحمزة والكسائي ويعقوب الا تكون بالرفع على ان ان هي المخففة من الثقيلة واصله
انه لا تكون وادخال فعل الحسبان عليها وهي للتحقيق تنزيل له منزلة العلم لتمكنه في قلوبهم وان او لما في حيزها ساد مسد
مفعوليه فعموا عن الدين او الدلائل والهدى وصموا عن استماع الحق كما فعلوا حين عبدوا العجل ثم
تاب الله عليهم اي ثم تابوا فتاب الله عليهم ثم عموا وصموا كرة اخرى وقرئ
بالضم فيهما على ان الله عماهم وصمهم اي رماهم بالعمى والصمم وهو قليل واللغة الفاشية اعمي واصم كثير
منهم بدل من الضمير او فاعل والواو علامة الجمع كقولهم اكلوني البراغيث او خبر مبتدا محذوف اي العمي والصم
كثير منهم وقيل مبتدا والجملة قبله خبره وهو ضعيف لان تقديم الخبر في مثله ممتنع والله بصير بما يعملون
فيجازيهم وفق اعمالهم لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم و
قال المسيح يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم اي اني عبد مربوب مثلكم فاعبدوا
خالقي وخالقكم انه من يشرك بالله في عبادته او فيما يختص به من الصفات والافعال فقد
حرم الله عليه الجنة يمنع من دخولها كما يمنع المحرم عليه من المحرم فانها دار الموحدين و
ماواه النار فانها المعدة للمشركين وما للظالمين من انصار اي وما لهم احد ينصرهم
من النار فوضع الظاهر موضع المضمر تسجيلا على انهم ظلموا بالاشراك وعدلوا عن طريق الحق وهو يحتمل ان يكون من تمام كلام
عيسى وان يكون من كلام الله نبه به على انهم قالوا ذلك تعظيما لعيسى وتقربا اليه وهو معاديهم بذلك ومخاصمهم فيه فما ظنك
بغيره لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلثة اي احد ثلثة وهو حكاية عما قاله
النسطورية والملكانية منهم القائلين بالاقانيم الثلثة وما مر قول اليعقوبية القائلين بالاتحاد وما
من اله الا اله واحد وما في الوجود ذات واجب مستحق للعبادة من حيث انه مبدا جميع الموجودات
الا اله واحد موصوف بالوحدانية متعال عن قبول الشركة ومن مزيدة للاستغراق وان لم ينتهوا عما
يقولون ولم يوحدوا ليمسن الذين كفروا منهم عذاب اليم اي ليمسن الذين بقوا
منهم على الكفر او ليمسن الذين كفروا من النصارى وضعه موضع ليمسنهم تكريرا للشهادة على كفرهم وتنبيها على ان
العذاب على من دام على الكفر ولم ينقلع عنه ولذلك عقبه بقوله افلا يتوبون الى الله و
يستغفرونه اي الا يتوبون بالانتهاء عن تلك العقائد والاقوال الزائغة ويستغفرون بالتوحيد والتنزيه

عن الاتحاد والحلول بعد هذا التقرير والتهديد والله غفور رحيم يغفر لهم ويمنحهم من فضله إن تابوا وفي هذا
الاستفهام تعجيب من إصرارهم ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله
الرسل أي ما هو إلا رسول كالرسل قبله خصه الله بآيات كما خصهم بها فإن أحيا الموتى على يده فقد أحيا
العصا وجعلها حية تسعى على يد موسى وهو أعجب وإن خلقه من غير أب فقد خلق آدم من غير أب وأم وهو أغرب
وأمه صديقة كسائر النساء اللاتي يلازمن الصدق أو يصدقن الأنبياء كانا يأكلان
الطعام ويفتقران إليه افتقار الحيوانات بين أولاً أقصى ما لهما من الكمال ودل على أنه لا يوجب الألوهية
لأن كثيراً من الناس يشاركهما مثله ثم نبه على نقصهما وذكر ما ينافي الربوبية ويقتضي أن يكونا من أعداد المركبات
الكائنة الفاسدة ثم تعجب ممن يدعي الربوبية لهما مع أمثال هذه الأدلة الظاهرة فقال انظر كيف
نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون كيف يصرفون عن استماع الحق وتأمله وثم لتفاوت
ما بين العجبين أي إن بياننا للآيات عجب وإعراضهم عنها أعجب قل أتعبدون من دون الله
ما لا يملك لكم ضراً ولا نفعاً يعني عيسى وهو وإن ملك ذلك بتمليك الله إياه لا يملكه
من ذاته ولا يملك مثل ما يضر الله به من البلايا والمصائب وما ينفع به من الصحة والسعة وإنما قال ما نظراً إلى ما هو عليه
في ذاته وتوطئة لنفي القدرة عنه رأساً وتنبيهاً على أنه من هذا الجنس ومن كان له حقيقة تقبل المجانسة والمشاركة فبمعزل
عن الألوهية وإنما قدم الضر لأن التحرز عنه أهم من تحري النفع والله هو السميع العليم بالأقوال
والعقائد فيجازي عليها إن خيراً فخير وإن شراً فشر قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم
غير الحق أي غلواً باطلاً فترفعوا عيسى إلى أن تدعوا له الإلهية أو تضعوه فتزعموا أنه لغير رشدة وقيل الخطاب
للنصارى خاصة ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل يعني أسلافهم وأئمتهم
الذين ضلوا قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم في شريعتهم وأضلوا كثيراً ممن شايعهم على بدعهم وضلالهم
وضلوا عن سواء السبيل عن قصد السبيل الذي هو الإسلام بعد مبعثه لما كذبوه وبغوا عليه
وقيل الأول إشارة إلى ضلالهم عن مقتضى العقل والثاني إشارة إلى ضلالهم عما جاء به الشرع لعن الذين
كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم أي لعنهم الله في
الزبور والإنجيل على لسانهما وقيل أهل أيلة لما اعتدوا في السبت لعنهم داود فمسخهم الله قردة وأصحاب المائدة
لما كفروا دعا عيسى عليهم ولعنهم فأصبحوا خنازير وكانوا خمسة آلاف رجل ذلك بما عصوا و
كانوا يعتدون أي ذلك اللعن الشنيع المقتضي للمسخ بسبب عصيانهم واعتدائهم ما حرم عليهم
كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه أي لا ينهى بعضهم بعضاً عن معاودة منكر فعلوه أو

عن مثل منكر فعلوه أو عن منكر أرادوا فعله وتهيؤوا له أو لا ينتهون عنه من قولهم تناهى عن الأمر وانتهى عنه إذا امتنع
لبئس ما كانوا يفعلون تعجيب من سوء فعلهم مؤكد بالقسم ترى كثيراً منهم
من أهل الكتاب يتولون الذين كفروا يوالون المشركين بغضاً لرسول الله والمؤمنين لبئس
ما قدمت لهم أنفسهم أي لبئس شيئاً قدموا ليردوا عليه يوم القيامة أن سخط الله
عليهم وفي العذاب هم خالدون هو المخصوص بالذم والمعنى موجب سخط الله والخلود
في العذاب أو علة الذم والمخصوص محذوف أي لبئس شيئاً ذلك لأنه كسبهم السخط والخلود ولو كانوا
يؤمنون بالله والنبي يعني نبيهم وإن كانت الآية في المنافقين فالمراد نبينا وما
أنزل إليه ما اتخذوهم أولياء إذ الإيمان يمنع ذلك ولكن كثيراً
منهم فاسقون خارجون عن دينهم أو متمردون في نفاقهم لتجدن أشد الناس
عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا لشدة شكيمتهم وتضاعف كفرهم و
انهماكهم في اتباع الهوى وركونهم إلى التقليد وبعدهم عن التحقيق وتمرنهم على تكذيب الأنبياء ومعاداتهم و
لتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى للين جانبهم ورقة
قلوبهم وقلة حرصهم على الدنيا وكثرة اهتمامهم بالعلم والعمل وإليه أشار بقوله ذلك بأن منهم قسيسين
ورهباناً وأنهم لا يستكبرون عن قبول الحق إذا فهموه أو يتواضعون ولا يتكبرون
كاليهود وفيه دليل على أن التواضع والإقبال على العلم والعمل والإعراض عن الشهوات محمودة وإن كانت في كافر
وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع عطف على
لا يستكبرون وهو بيان لرقة قلوبهم وشدة خشيتهم ومسارعتهم إلى قبول الحق وعدم تأبيهم عنه والفيض انصباب
عن امتلاء فوضع موضع الامتلاء للمبالغة أو جعلت أعينهم من فرط البكاء كأنها تفيض بأنفسها مما عرفوا
من الحق من الأولى للابتداء والثانية للتبيين ما عرفوا أو للتبعيض فإنه بعض الحق والمعنى أنهم عرفوا بعض
الحق فأبكاهم فكيف إذا عرفوا كله يقولون ربنا آمنا بذلك أو بمحمد فاكتبنا
مع الشاهدين من الذين شهدوا بأنه حق أو بنبوته أو من أمته الذين هم شهداء على الأمم يوم القيامة
وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع أن يدخلنا ربنا
مع القوم الصالحين استفهام إنكار واستبعاد لانتفاء الإيمان مع قيام الداعي وهو الطمع في الانخراط
مع الصالحين والدخول في مداخلهم أو جواب سائل قال لم آمنتم ولا نؤمن حال من الضمير والعامل ما في اللام من معنى
الفعل أي أي شيء حصل لنا غير مؤمنين بالله أي بوحدانيته فإنهم كانوا مثلثين أو بكتابه ورسوله فإن الإيمان بهما

ايمان به حقيقة وذكره توطئة وتعظيما ونطمع عطف على نؤمن او خبر محذوف والواو للحال اي نحن نطمع والعامل الاول مقيدا بها او نؤمن فاثابهم الله بما قالوا اي عن اعتقاد من قولك هذا قول فلان اي معتقده جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين الذين احسنوا النظر والعمل او الذين اعتادوا الاحسان في الامور والايات الاربع روي انها نزلت في النجاشي واصحابه بعث رسول الله اليه كتابه فقرأه ثم دعا جعفر بن ابي طالب والمهاجرين معه واحضر الرهبان والقسيسين فامر جعفرا ان يقرأ عليهم القرآن فقرأ سورة مريم فبكوا وامنوا بالقرآن وقيل نزلت في ثمانين او سبعين رجلا من قومه وفدوا على رسول الله فقرأ عليهم سورة يس فبكوا وامنوا والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب الجحيم عطف التكذيب بايات الله على الكفر وهو ضرب منه لان القصد الى بيان حال المكذبين وذكرهم في معرض المصدقين بها جمعا بين الترغيب والترهيب يا ايها الذين امنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم اي ما طاب ولذ منه كانه لما تضمن ما قبله مدح النصارى على ترهبهم والحث على كسر النفس ورفض الشهوات عقبه النهي عن الافراط في ذلك والاعتداء عما حد الله بجعل الحلال حراما فقال ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين ويجوز ان يراد به ولا تعتدوا حدود ما احل لكم الى ما حرم عليكم فتكون الاية ناهية عن تحريم ما احل وتحليل ما حرم داعية الى القصد بينهما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وصف القيامة لاصحابه يوما وبالغ في انذارهم فرقوا واجتمعوا في بيت عثمان بن مظعون وتواثقوا على ان لا يزالوا صائمين قائمين وان لا يناموا على الفرش ولا ياكلوا اللحم والودك ولا يقربوا النساء والطيب ويرفضوا الدنيا ويلبسوا المسوح ويسيحوا في الارض ويجبوا مذاكيرهم فبلغ ذلك رسول الله فقال لهم اني لم اومر بذلك ان لانفسكم عليكم حقا فصوموا وافطروا وقوموا وناموا فاني انام واقوم واصوم وافطر واكل اللحم والدسم واتي النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني فنزلت وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا اي كلوا ما حل لكم وطاب مما رزقكم الله فيكون حلالا مفعول كلوا ومما حال منه تقدمت عليه لانه نكرة ويجوز ان تكون من ابتدائية متعلقة بكلوا ويجوز ان تكون مفعولا وحلالا حالا من الموصول او العائد المحذوف او صفة لمصدر محذوف وعلى الوجوه لو لم يقع الرزق على الحرام لم يكن لذكر الحلال فائدة زائدة واتقوا الله الذي انتم به مؤمنون لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم هو ما يبدو من المرء بلا قصد كقول الرجل لا والله وبلى والله واليه ذهب الشافعي وقيل الحلف على ما يظن انه كذلك ولم يكن واليه ذهب ابو حنيفة وفي ايمانكم صلة يؤاخذكم او اللغو لانه مصدر او حال منه ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان بما وثقتم الايمان عليه بالقصد والنية والمعنى ولكن يؤاخذكم بما عقدتم اذا حنثتم او بنكث ما عقدتم

فحذف للعلم به وقرأ حمزة والكسائي وابن عياش عن عاصم عقدتم بالتخفيف وابن عامر برواية ابن ذكوان عاقدتم وهو من فاعل بمعنى فعل فكفارته فكفارة نكثه اي الفعلة التي تذهب اثمه وتستره واستدل بظاهره على جواز التكفير بالمال قبل الحنث وهو عندنا خلافا للحنفية لقوله عم من حلف على يمين ورأى غيرها خيرا منها فليكفر يمينه وليأت الذي هو خير اطعام عشرة مساكين من اوسط ما تطعمون اهليكم من اقصده في النوع او القدر وهو مد لكل مسكين عندنا ونصف صاع عند الحنفية ومحله النصب لانه صفة مفعول محذوف وتقديره ان تطعموا عشرة مساكين طعاما من اوسط ما تطعمون او الرفع على البدل من طعام والاهلون كارضون وقرئ اهاليكم بسكون الياء على لغة من يسكنها في الاحوال الثلث كالالف وهو جمع اهل كالليالي في جمع ليل والاراضي في جمع ارض وقيل جمع اهلاة او كسوتهم عطف على اطعام او من اوسط ان جعل بدلا وهو ثوب يغطي العورة وقيل جامع او قميص او رداء او ازار وقرئ بضم الكاف وهو لغة كقدوة وكاسوتهم بمعنى او كمثل ما تطعمون اهليكم اسرافا وتقتيرا تواسون بينهم وبينهم ان لم تطعموهم الاوسط والكاف في محل الرفع وتقديره او اطعام كاسوتهم او تحرير رقبة او اعتاق انسان وشرط الشافعي فيه الايمان قياسا على كفارة القتل ومعنى او ايجاب احدى الخصال الثلث مطلقا وتخيير المكلف في التعيين فمن لم يجد اي واحدا منها فصيام ثلاثة ايام فكفارته صيام ثلاثة ايام وشرط ابو حنيفة رحمه الله فيه التتابع لانه قرئ ثلاثة ايام متتابعات والشواذ ليس بحجة عندنا اذ لم يثبت كتابا ولم ترو سنة ذلك اي المذكور كفارة ايمانكم اذا حلفتم وحنثتم واحفظوا ايمانكم بان تضنوا بها ولا تبذلوها لكل امر او بان تبروا فيها ما استطعتم ولم يفت بها خيرا او بان تكفروها اذا حنثتم كذلك اي مثل ذلك البيان يبين الله لكم اياته اعلام شرائعه لعلكم تشكرون نعمة التعليم او نعمة الواجب شكرها فان مثل هذا التبيين يسهل لكم المخرج منه يا ايها الذين امنوا انما الخمر والميسر والانصاب اي الاصنام التي نصبت للعبادة والازلام سبق تفسيرها في اول السورة رجس قذر تعاف عنه العقول وافراده لانه خبر للخمر وخبر المعطوفات محذوف او المضاف المحذوف كانه قال انما تعاطي الخمر والميسر من عمل الشيطان لانه مسبب من تسويله وتزيينه فاجتنبوه الضمير للرجس او لما ذكر او للتعاطي لعلكم تفلحون لكي تفلحوا بالاجتناب عنه واعلم انه تعالى اكد تحريم الخمر والميسر في هذه الاية بان صدر الجملة بانما وقرنهما بالاصنام والازلام وسماهما رجسا وجعلهما من عمل الشيطان تنبيها على ان الاشتغال بهما شر بحت او غالب وامر بالاجتناب عن عينهما وجعله سببا يرجى منه الفلاح ثم قرر ذلك بان بين ما فيهما من المفاسد الدنيوية والدينية المقتضية للتحريم فقال انما

يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر و
يصدكم عن ذكر الله وعن الصلوة انما خصهما باعادة الذكر وشرح ما فيهما من
الوبال تنبيها على انهما المقصود بالبيان وذكر الانصاب والازلام للدلالة على انهما مثلهما في الحرمة والشرارة لقوله عم
شارب الخمر كعابد الوثن وخص الصلوة من الذكر بالافراد للتعظيم والاشعار بان الصاد عنها كالصاد عن الايمان
من حيث انها عماده والفارق بينه وبين الكفر ثم اعاد الحث على الانتهاء بصيغة الاستفهام مرتبا على ما تقدم من انواع الصوارف
فقال فهل انتم منتهون ايذانا بان الامر في المنع والتحذير بلغ الغاية وان الاعذار قد انقطعت و
اطيعوا الله واطيعوا الرسول فيما امر به واحذروا ما نهيا عنه او مخالفتهما فان
توليتم فاعلموا انما على رسولنا البلاغ المبين اي فاعلموا انكم لم تضروا الرسول بتوليكم
فانما عليه البلاغ وقد ادى وانما ضررتم به انفسكم ليس على الذين امنوا وعملوا الصالحات
جناح فيما طعموا مما لم يحرم عليهم لقوله اذا ما اتقوا وامنوا وعملوا الصالحات
اي اتقوا المحرم وثبتوا على الايمان والاعمال الصالحة ثم اتقوا ما حرم عليهم بعد كالخمر وامنوا بتحريمه ثم
اتقوا ثم استمروا وثبتوا على اتقاء المعاصي واحسنوا وتحروا الاعمال الجميلة واشتغلوا روي انه لما نزل
تحريم الخمر قالت الصحابة يا رسول الله فكيف باخواننا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر وياكلون الميسر فنزلت ويحتمل ان يكون
هذا التكرير باعتبار الاوقات الثلثة او باعتبار الحالات الثلث استعمال الانسان التقوى والايمان بينه وبين نفسه
وبينه وبين الناس وبينه وبين الله ولذلك بدل الايمان بالاحسان في الكرة الثالثة اشارة الى ما قال عم في تفسيره
او باعتبار المراتب الثلث المبدا والوسط والمنتهى او باعتبار ما يتقى فانه ينبغي ان يترك المحرمات توقيا من العقاب
والشبهات تحرزا عن الوقوع في الحرام وبعض المباحات تحفظا للنفس عن الخسة وتهذيبا لها عن دنس الطبيعة و
الله يحب المحسنين فلا يواخذهم بشيء وفيه ان من فعل ذلك صار محسنا ومن صار محسنا صار لله محبوبا
يا ايها الذين امنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد تناله ايديكم و
رماحكم نزلت عام الحديبية ابتلاهم الله بالصيد وكانت الوحوش تغشاهم في رحالهم بحيث يتمكنون
من صيدها اخذا بايديهم وطعنا برماحهم وهم محرمون والتقليل والتحقير في بشيء للتنبيه على انه ليس من العظائم التي
تدحض الاقدام كالابتلاء ببذل الانفس والاموال فمن لم يثبت عنده كيف يثبت عند ما هو اشد منه ليعلم
الله من يخافه بالغيب ليتميز الخائف من عقابه وهو غائب منتظر لقوة ايمانه ممن لا يخافه
لضعف قلبه وقلة ايمانه فذكر العلم واراد وقوع المعلوم وظهوره او تعلق العلم فمن اعتدى بعد ذلك
بعد الابتلاء بالصيد فله عذاب اليم فالوعيد لاحق به فان من لا يملك جاشه في مثل ذلك ولا يراعي

الحداة الطائر المعروف ولا يقال حداءة وجمعها حدا مثل عنبة وعنب ح

حكم الله فيه فكيف به فيما تكون النفس اميل اليه واحرص عليه يا ايها الذين امنوا لا تقتلوا الصيد و
انتم حرم اي محرمون جمع حرام كرداح وردح ولعله ذكر القتل دون الذبح والذكوة للتعميم واراد بالصيد ما
يوكل لحمه لانه الغالب فيه عرفا ويؤيده قوله عم خمس يقتلن في الحل والحرم الحداة والغراب والعقرب والفارة
والكلب العقور وفي رواية اخرى الحية بدل العقرب مع ما فيه من التنبيه على جواز قتل كل موذ واختلف في ان
هذا النهي هل يلغي حكم الذبائح فيلحق مذبوح المحرم بالميتة ومذبوح الوثني او لا فيكون كالشاة المغصوبة اذا ذبحها الغاصب
ومن قتله منكم متعمدا ذاكرا لاحرامه عالما بانه حرام عليه قتل ما يقتله والاكثر على ان ذكره ليس
لتقييد وجوب الجزاء فان اتلاف العامد والمخطي واحد في ايجاب الضمان بل لقوله ومن عاد فينتقم الله منه ولان
الاية نزلت فيمن تعمد اذ روي انه عن لهم في عمرة الحديبية حمار وحش فطعنه ابو اليسر برمحه فقتله فنزلت
فجزاء مثل ما قتل من النعم برفع الجزاء والمثل قراءة الكوفيين ويعقوب بمعنى فعليه او فواجبه
جزاء يماثل ما قتل من النعم وعليه لا يتعلق الجار بجزاء للفصل بينهما بالصفة فان متعلق المصدر كالصلة له فلا توصف
ما لم يتم بها وانما يكون صفته وقرا الباقون على اضافة المصدر الى المفعول واقحام مثل كما في قولهم مثلي لا يقول كذا
والمعنى فعليه ان يجزي مثل ما قتل وقرئ فجزاء مثل ما قتل بنصبهما على فليجز جزاء او فعليه ان يجزي جزاء يماثل ما قتل و
جزاؤه مثل ما قتل وهذه المماثلة باعتبار الخلقة والهيئة عند مالك والشافعي والقيمة عند ابي حنيفة وقال يقوم
الصيد حيث صيد فان بلغ ثمن هدي تخير بين ان يهدي ما قيمته قيمته وبين ان يشتري بها طعاما فيعطي كل مسكين
نصف صاع من بر او صاعا من غيره وبين ان يصوم عن طعام كل مسكين نصف صاع يوما وان لم يبلغ تخير بين الاطعام
والصوم واللفظ للاول او فق يحكم به ذوا عدل منكم صفة جزاء ويحتمل ان يكون حالا منه لتخصيصه بالصفة
خبره او منه اذا اضفته او وصفته ورفعته بخبر مقدر لمن وكما ان التقويم يحتاج الى نظر واجتهاد تحتاج المماثلة في
الخلقة والهيئة اليهما فان الانواع تتشابه كثيرا وقرئ ذو عدل على ارادة الجنس او الامام هديا حال
من الهاء في به او من جزاء وان نون لتخصيصه بالصفة او بدل عن مثل باعتبار محله او لفظه فيمن نصبه بالغ
الكعبة وصف به هديا لان اضافته لفظية ومعنى بلوغه الكعبة ذبحه بالحرم والتصدق به ثم و
قال ابو حنيفة يذبح بالحرم ويتصدق به حيث شاء او كفارة عطف على جزاء ان رفعته وان
نصبته فخبر محذوف طعام مساكين عطف بيان او بدل منه او خبر محذوف اي هي طعام
وقرا نافع وابن عامر كفارة طعام بالاضافة للتبيين كقولك خاتم فضة والمعنى عند الشافعي او ان يكفر باطعام مساكين
ما يساوي قيمة الهدي من غالب قوت البلد فيعطي كل مسكين مدا او عدل ذلك صياما او ما ساواه
من الصوم فيصوم عن طعام كل مسكين يوما وهو في الاصل مصدر اطلق للمفعول وقرئ بكسر العين وهو ما عدل بالشيء في

المقدار كعدل الحمل وذلك اشارة الى الطعام وصياما تمييز للعدل ليذوق وبال امره متعلق بمحذوف
اي فعليه الجزاء او الطعام او الصوم ليذوق ثقل وسوء عاقبة هتكه لحرمة الاحرام او الثقل الشديد على مخالفة
امر الله واصل الوبل الثقل ومنه الطعام الوبيل عفى الله عما سلف من قتل الصيد محرما في الجاهلية
او قبل التحريم او في هذه المرة ومن عاد الى مثل هذا فينتقم الله منه فهو ينتقم الله منه و
ليس فيه ما يمنع الكفارة على العائد كما حكي عن ابن عباس وشريح والله عزيز ذو انتقام ممن اصر
على عصيانه احل لكم صيد البحر ما صيد منه مما لا يعيش الا في الماء وهو حلال كله لقوله
عم في البحر هو الطهور ماؤه والحل ميتته وقال ابو حنيفة رح لا يحل منه الا السمك وقيل يحل السمك وما يؤكل
نظيره في البر وطعامه ما قذفه او نضب عنه وقيل الضمير للصيد وطعامه اكله متاعا لكم تمتيعا لكم
نصب على الغرض وللسيارة اي لسيارتكم يتزودونه قديدا وحرم عليكم صيد
البر اي ما صيد فيها او الصيد فيها فيحرم على المحرم ايضا ما صاده الحلال وان لم يكن له فيه مدخل والجمهور
على حله لقوله عم لحم الصيد حلال لكم ما لم تصطادوه او يصد لكم ما دمتم حرما اي محرمين وقرئ بكسر
الدال من دام يدام واتقوا الله الذي اليه تحشرون جعل الله الكعبة صيرها
وانما سمي البيت كعبة لتكعبه البيت الحرام عطف بيان على جهة المدح او المفعول الثاني قياما
للناس انتعاشا لهم اي سبب انتعاشهم في امر معاشهم ومعادهم يلوذ به الخائف ويامن فيه الضعيف
ويربح فيه التجار ويتوجه اليه الحجاج والعمار او ما يقوم به امر دينهم ودنياهم وقرأ ابن عامر قيما على انه مصدر على
فعل كالشبع اعل عينه كما اعل في فعله ونصبه على المصدر او الحال والشهر الحرام و
الهدي والقلائد سبق تفسيرها والمراد بالشهر الشهر الذي يؤدى فيه الحج وهو ذو الحجة لانه المناسب
لقرنائه وقيل الجنس ذلك اشارة الى الجعل او الى ما ذكر من الامر بحفظ حرمة الاحرام وغيره لتعلموا
ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض فان شرع الاحكام لدفع المضار قبل وقوعها
وجلب المنافع المترتبة عليها دليل حكمة الشارع وكمال علمه وان الله بكل شيء عليم تعميم بعد
تخصيص ومبالغة بعد اطلاق اعلموا ان الله شديد العقاب وان الله غفور
رحيم وعيد ووعد لمن انتهك محارمه ولمن حافظ عليها او لمن اصر عليه ولمن انقلع عنه ما على
الرسول الا البلاغ تشديد في ايجاب القيام بما امر اي الرسول اتى بما امر به من التبليغ ولم يبق
لكم عذرا في التفريط والله يعلم ما تبدون وما تكتمون من تصديق
وتكذيب وفعل وعزيمة قل لا يستوي الخبيث والطيب حكم عام في نفي المساواة

عند الله بين الردي من الاشخاص والاعمال والاموال وجيدها رغب به في صالح العمل وحلال المال ولو
اعجبك كثرة الخبيث فان العبرة بالجودة والرداءة دون القلة والكثرة فان المحمود القليل خير
من المذموم الكثير والخطاب لكل معتبر ولذلك قال فاتقوا الله يا اولي الالباب اي فاتقوه
في تحري الخبيث وان كثر واثروا الطيب وان قل لعلكم تفلحون راجين ان تبلغوا الفلاح روي
انها نزلت في حجاج اليمامة لما هم المسلمون ان يوقعوا بهم فنهوا عنه وان كانوا مشركين يا ايها الذين
امنوا لا تسألوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم وان تسألوا عنها
حين ينزل القران تبد لكم الشرطية وما عطف عليها صفتان لاشياء والمعنى لا تسألوا رسول الله عن اشياء
ان تظهر لكم تغمكم وان تسألوا عنها في زمان الوحي تظهر لكم وهما كمقدمتين تنتجان ما يمنع السؤال وهو انه مما يغمهم والعاقل لا يفعل
ما يغمه واشياء اسم جمع كطرفاء غير انه قلبت لامه فجعلت لفعاء وقيل افعلاء حذفت لامه جمع لشيء على ان اصله شيئ كهين
او شيء كصديق فخفف وقيل افعال جمع له من غير تغيير كبيت وابيات ويرده منع صرفه عفى الله
عنها صفة اخرى اي عن اشياء عفى الله عنها ولم يكلف بها اذ روي انه لما نزل ولله على الناس حج البيت قال
سراقة بن مالك اكل عام فاعرض عنه رسول الله صلعم حتى اعاد ثلاثا فقال لا ولو قلت نعم لوجبت ولو وجبت لما
استطعتم فاتركوني ما تركتكم فنزلت او استئناف اي عفى الله عما سلف من مسألتكم فلا تعودوا الى مثلها والله
غفور حليم لا يعاجلكم بعقوبة ما يفرط منكم ويعفو عن كثير وعن ابن عباس رض انه عم كان يخطب ذات يوم غضبان
من كثرة ما يسألون عنه مما لا يعنيهم فقال لا اسأل عن شيء الا اجبت فقال رجل اين ابي فقال في النار وقال اخر
من ابي فقال حذافة وكان يدعى لغيره فنزلت قد سألها قوم الضمير للمسألة التي دل عليها لا تسألوا ولذلك
لم يعد بعن او لاشياء بحذف الجار من قبلكم متعلق بسألها وليس صفة لقوم فان ظرف الزمان لا
يكون صفة للجثة ولا حالا منها ولا خبرا عنها ثم اصبحوا بها كافرين اي بسببها حيث لم يأتمروا
بما سألوا وجحدوا ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة و
لا حام رد وانكار لما ابتدعه اهل الجاهلية وهو انه اذا نتجت الناقة خمسة ابطن اخرها ذكر بحروا اذنها
اي شقوها وخلوا سبيلها فلا تركب ولا تحلب وكان الرجل منهم يقول ان شفيت فناقتي سائبة ويجعلها كالبحيرة في
تحريم الانتفاع بها واذا ولدت الشاة انثى فهي لهم وان ولدت ذكرا فهو لالهتهم وان ولدتهما وصلت الانثى
اخاها فلا يذبح لها الذكر واذا نتجت من صلب الفحل عشرة ابطن حرموا ظهره ولم يمنعوه من ماء ولا مرعى وقالوا قد حمى ظهره
ومعنى ما جعل ما شرع ووضع ولذلك تعدى الى مفعول واحد وهو البحيرة ومن مزيدة ولكن الذين كفروا
يفترون على الله الكذب بتحريم ذلك ونسبته اليه واكثرهم لا

يعقلون اى الحلال من الحرام والمبيح من المحرم او الامر من الناهى ولكنهم يقلدون كبارهم وفيه ان منهم من يعرف بطلان ذلك ولكن يمنعهم حب الرياسة وتقليد الاباء ان يعترفوا به واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه اباءنا بيان لقصور عقلهم وانهماكهم فى التقليد وان لا سند لهم سواه اولو كان اباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون الواو للحال والهمزة دخلت عليها لانكار الفعل على هذه الحالة اى احسبهم ما وجدوا عليه اباءهم ولو كانوا جهلة ضالين والمعنى ان الاقتداء انما يصح بمن علم انه عالم مهتد وذلك لا يعرف الا بالحجة فلا يكفى التقليد يا ايها الذين امنوا عليكم انفسكم اى احفظوها والزموا اصلاحها والجار مع المجرور جعل اسما لالزموا ولذلك نصب انفسكم وقرى بالرفع على الابتداء لا يضركم من ضل اذا اهتديتم لا يضركم الضلال اذا كنتم مهتدين ومن الاهتداء ان ينكر المنكر حسب طاقته كما قال عليه السلام من راى منكرا واستطاع ان يغيره بيده فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه والاية نزلت لما كان المؤمنون يتحسرون على الكفرة ويتمنون ايمانهم وقيل كان الرجل اذا اسلم قال له سفهت اباك فنزلت ولا يضركم يحتمل الرفع على انه مستانف ويؤيده انه قرى لا يضيركم والجزم على الجواب او النهى لكنه ضمت الراء اتباعا لضمة الضاد المنقولة اليها من الراء المدغمة وينصره قراءة من قرا لا يضركم بالفتح ولا يضركم بكسر الضاد وضمها من ضاره يضيره ويضوره الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون وعد ووعيد للفريقين وتنبيه على ان احدا لا يؤاخذ بذنب غيره يا ايها الذين امنوا شهادة بينكم اى فيما امرتم شهادة بينكم والمراد بالشهادة الاشهاد والوصية واضافتها الى الظرف على الاتساع وقرى شهادة بالنصب والتنوين على ليقم اذا حضر احدكم الموت اذا شارفه وظهرت اماراته وهو ظرف للشهادة حين الوصية بدل منه وفى ابداله تنبيه على ان الوصية مما ينبغى ان لا يتهاون فيه او ظرف حضر اثنان فاعل شهادة ويجوز ان يكون خبرها على حذف المضاف ذوا عدل منكم اى من اقاربكم او المسلمين وهما صفتان لاثنان او اخران من غيركم عطف على اثنان ومن فسر الغير باهل الذمة جعله منسوخا فان شهادته على المسلم لا تسمع اجماعا ان انتم ضربتم فى الارض اى سافرتم فيها فاصابتكم مصيبة الموت اى قاربتم الاجل تحبسونهما تقفونهما وتصبرونهما صفة لاخران والشرط بجوابه المحذوف المدلول عليه بقوله او اخران من غيركم اعتراض فائدته الدلالة على انه ينبغى ان يشهد اثنان منكم فان تعذر كما فى السفر فمن غيركم او استيناف كانه قيل كيف نعمل ان ارتبنا بالشاهدين فقال تحبسونهما من بعد الصلوة صلوة العصر لانه وقت اجتماع الناس وتصادم ملئكة الليل وملئكة النهار وقيل اى صلوة كانت

فيقسمان بالله ان ارتبتم اى ارتاب الوارث منكم لا نشترى به ثمنا مقسم عليه وان ارتبتم اعتراض يفيد اختصاص القسم بحال الارتياب والمعنى لا نستبدل بالقسم او بالله عرضا من اعراض الدنيا اى لا نحلف بالله كاذبا لطمع ولو كان ذا قربى ولو كان المقسم له قريبا منه جوابه ايضا محذوف اى لا نشترى ولا نكتم شهادة الله اى الشهادة التى امرنا الله باقامتها وعن الشعبى انه وقف على شهادة ثم ابتدا الله بالمد على حذف حرف القسم وتعويض حرف الاستفهام منه وروى عنه بغير مد كقولهم الله لافعلن انا اذا لمن الاثمين اى ان كتمنا وقرى لملاثمين بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وادغام النون فيها فان عثر فان اطلع على انهما استحقا اثما اى فعلا ما اوجب اثما كتحريف فاخران فشاهدان اخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم من الذين جنى عليهم وهم الورثة وقرا حفص استحق على البناء للفاعل وهو الاوليان الاوليان الاحقان بالشهادة لقرابتهما ومعرفتهما وهو خبر محذوف اى هما الاوليان او خبر اخران او مبتدا خبره اخران او بدل منهما او من الضمير فى يقومان وقرا حمزة ويعقوب وابو بكر عن عاصم الاولين على انه صفة للذين او بدل منه اى من الذين استحق عليهم وقرى الاولين على التثنية وانتصابه على المدح والاولان واعرابه اعراب الاوليان فيقسمان بالله لشهادتنا احق من شهادتهما اصدق منها واولى بان يقبل وما اعتدينا وما تجاوزنا فيها الحق انا اذا لمن الظالمين الواضعين الباطل موضع الحق او الظالمين انفسهم ان اعتدينا ومعنى الايتين ان المحتضر اذا اراد الوصية ينبغى ان يشهد عدلين من ذوى نسبه او دينه على وصيته او يوصى اليهما احتياطا فان لم يجدهما بان كان فى سفر فاخرين من غيرهم ثم ان وقع نزاع وارتياب اقسما على صدق ما يقولان بالتغليظ فى الوقت فان اطلع على انهما كذبا بامارة ومظنة حلف اخران من اولياء الميت والحكم منسوخ ان كان الاثنان شاهدين فانه لا يحلف الشاهد ولا يعارض يمينه بيمين الوارث وثابت ان كانا وصيين ورد اليمين الى الورثة لظهور خيانة الوصيين فان تصديق الوصى باليمين لامانته او لتغير الدعوى اذ روى ان تميما الدارى وعدى بن بدى خرجا الى الشام للتجارة وكانا حينئذ نصرانيين ومعهما بديل مولى عمرو بن العاص وكان مسلما فلما قدموا الشام مرض بديل فدون ما معه فى صحيفة وطرحها فى متاعه ولم يخبرهما به واوصى اليهما بان يدفعا متاعه الى اهله ومات ففتشاه واخذا منه اناء من فضة فيه ثلثمائة مثقال منقوشا بالذهب فغيباه فاصاب اهله الصحيفة فطلبوهما بالاناء فجحدا فترافعوا الى رسول الله صلعم فنزلت يا ايها الذين امنوا الاية فحلفهما رسول الله صلعم بعد صلوة العصر عند المنبر وخلى سبيلهما ثم وجد الاناء فى ايديهما فاتاهم بنو سهم فى ذلك فقالا قد اشتريناه منه ولكن لم يكن لنا عليه بينة فكرهنا ان نقر به فرفعوهما الى رسول الله صلعم فنزلت فان عثر فقام عمرو بن العاص والمطلب بن ابى وداعة السهميان وحلف

ولعل تخصيص العدد لخصوص الواقعة ذلك اي الحكم الذي تقدم او تحليف الشاهد ادنى ان ياتوا بالشهادة
على وجهها على نحو ما حملوها من غير تحريف وخيانة فيها او يخافوا ان ترد ايمان بعد
ايمانهم او ترد اليمين على المدعين بعد ايمانهم فيفتضحوا بظهور الخيانة واليمين الكاذبة وانما جمع الضمير لانه حكم
يعم الشهود كلهم واتقوا الله واسمعوا ما توصون به سمع اجابة والله لا يهدي
القوم الفاسقين اي فان لم تتقوا ولم تسمعوا كنتم قوما فاسقين والله لا يهدي القوم الفاسقين
اي لا يهديهم الى حجة او الى طريق الجنة يوم يجمع الله الرسل ظرف له وقيل بدل من مفعول
واتقوا بدل الاشتمال او مفعول اسمعوا على حذف المضاف اي واسمعوا خبر يوم جمعهم او منصوب باضمار اذكر
فيقول اي للرسل ماذا اجبتم اي اجابة اجبتم على ان ماذا في موضع المصدر او باي شيء اجبتم
فحذف الجار وهذا السؤال لتوبيخ قومهم كما ان سؤال الموؤدة لتوبيخ الوائد ولذلك قالوا لا علم
لنا اي لا علم لنا بما لست تعلمه انك انت علام الغيوب فتعلم ما نعلم مما اجابونا و
اظهروا لنا وما لم نعلم مما اضمروا في قلوبهم وفيه التشكي منهم ورد الامر الى علمه بما كابدوا منهم وقيل المعنى لا علم لنا
الى جنب علمك او لا علم لنا بما احدثوا بعدنا وانما الحكم للخاتمة وقرئ علام بالنصب على ان الكلام قد تم بقوله
انك انت اي انك الموصوف بصفاتك المعروفة وعلام منصوب على الاختصاص او النداء وقرأ ابو بكر وحمزة الغيوب
بكسر الغين حيث وقع اذ قال الله يا عيسى بن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى
والدتك بدل من يوم يجمع وهو على طريقة ونادى اصحاب الجنة والمعنى انه تعالى يوبخ الكفرة يومئذ بسؤال
الرسل عن اجابتهم وتعديد ما اظهر عليهم من الآيات فكذبتهم طائفة وسموهم سحرة وغلا آخرون فاتخذوهم آلهة
او نصب باضمار اذكر اذ ايدتك قويتك وهو ظرف لنعمتي او حال منه وقرئ آيدتك بروح
القدس بجبريل عم او بالكلام الذي يحيى به الدين او النفس حيوة ابدية ويطهر من الآثام ويؤيده قوله
تكلم الناس في المهد وكهلا اي كائنا في المهد وكهلا والمعنى تكلمهم في الطفولية و
الكهولة على سواء والمعنى الحاق حاله في الطفولية بحال الكهولة في كمال العقل والتكلم وبه استدل على انه سينزل فانه
رفع قبل ان اكتهل واذ علمتك الكتاب والحكمة والتوريه والانجيل و
اذ تخلق من الطين كهيئة الطير فتنفخ فيها فتكون طيرا باذني
وتبرئ الاكمه والابرص باذني واذ تخرج الموتى باذني
سبق تفسيره في سورة آل عمران وقرأ نافع ويعقوب طائرا ويحتمل الافراد والجمع كالباقر واذ
كففت بني اسرائيل عنك يعني اليهود حين هموا بقتله اذ جئتهم بالبينات

ظرف لكففت فقال الذين كفروا منهم ان هذا الا سحر مبين
اي ما هذا الذي جئت به الا سحر وقرأ حمزة والكسائي الا ساحر فالاشارة الى عيسى واذ اوحيت
الى الحواريين اي امرتهم على السنة رسلي ان آمنوا بي وبرسولي يجوز ان تكون ان مصدرية وان
تكون مفسرة قالوا آمنا واشهد باننا مسلمون مخلصون واذ
قال الحواريون يا عيسى بن مريم منصوب باذكروا او ظرف لقالوا فيكون تنبيها على ان
ادعاءهم الاخلاص مع قولهم هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة
من السماء لم يكن بعد عن تحقيق واستحكام معرفة وقيل هذه الاستطاعة على ما تقتضيه الحكمة والارادة لا على ما تقتضيه القدرة
وقيل المعنى هل يطيع ربك اي هل يجيبك واستطاع بمعنى اطاع كاستجاب واجاب وقرأ الكسائي هل تستطيع ربك
اي سؤال ربك والمعنى هل تسأله ذلك من غير صارف والمائدة الخوان اذا كان عليه الطعام من ماد الماء يميد
اذا تحرك او من ماده اذا اعطاه كانها تميد من تقدم اليه ونظيرها قولهم شجرة مطعمة قال اتقوا الله من امثال
هذا السؤال ان كنتم مؤمنين بكمال قدرته وصحة نبوتي او صدقتم في ادعائكم الايمان قالوا
نريد ان ناكل منها تمهيد عذر وبيان لما دعاهم الى السؤال وهو ان يتمتعوا بالاكل منها و
تطمئن قلوبنا بانضمام علم المشاهدة الى علم الاستدلال بكمال قدرته ونعلم ان قد صدقتنا
في ادعاء النبوة او ان الله يجيب دعوتنا ونكون عليها من الشاهدين اذا استشهدتنا او من الشاهدين
للعين دون السامعين للخبر قال عيسى بن مريم لما راى ان لهم غرضا صحيحا في ذلك او انهم لا يقلعون عنه فاراد
الزامهم الحجة بكمالها اللهم ربنا انزل علينا مائدة من السماء تكون لنا
عيدا اي يكون يوم نزولها عيدا نعظمه وقيل العيد السرور العائد ولذلك سمي يوم العيد عيدا وقرئ تكن على جواب الامر
لاولنا وآخرنا بدل من لنا باعادة العامل اي عيدا لمتقدمينا ومتأخرينا روي انها نزلت يوم الاحد
فلذلك اتخذه النصارى عيدا وقيل ياكل منها اولنا وآخرنا وقرئ لاولانا واخرانا بمعنى الامة او الطائفة و
آية عطف على عيدا منك صفة لها اي آية كائنة منك دالة على كمال قدرتك وصحة نبوتي وارزقنا
المائدة او الشكر عليها وانت خير الرازقين خير من يرزق لانه خالق الرزق ومعطيه بلا عوض
قال الله اني منزلها عليكم اجابة الى سؤالكم وقرأ نافع وابن عامر وعاصم منزلها بالتشديد فمن
يكفر بعد منكم فاني اعذبه عذابا اي تعذيبا ويجوز ان يجعل مفعولا به على السعة لا
اعذبه الضمير للمصدر او العذاب ان اريد به ما يعذب به على حذف حرف الجر احدا من العالمين
اي من عالمي زمانهم او العالمين مطلقا فانهم مسخوا قردة وخنازير ولم يعذب بمثل ذلك غيرهم روي انه

سفرة حمراء بين غمامتين وهم ينظرون اليها حتى سقطت بين ايديهم فبكى عيسى وقال اللهم اجعلني من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة للعالمين ولا تجعلها مثلة وعقوبة ثم قام وتوضى وصلى وبكى ثم كشف المنديل وقال بسم الله خير الرازقين فاذا سمكة مشوية بلا فلوس ولا شوك تسيل دسما وعند راسها ملح وعند ذنبها خل وحولها من الوان البقول ما خلا الكراث واذا خمسة ارغفة على واحد منها زيتون وعلى الثاني عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون يا روح الله امن طعام الدنيا او من طعام الاخرة قال ليس منهما ولكنه اخترعه الله بقدرته كلوا ما سألتم واشكروا يمددكم الله ويزدكم من فضله فقالوا يا روح الله لو اريتنا من هذه الاية اية اخرى فقال يا سمكة احيي باذن الله فاضطربت ثم قال لها عودي كما كنت فعادت مشوية ثم طارت المائدة ثم عصوا بعدها فمسخوا وقيل كانت تاتيهم اربعين يوما غبا ويجتمع عليها الفقراء والاغنياء والصغار والكبار يأكلون حتى اذا فاء الفيء طارت وهم ينظرون في ظلها ولم يأكل منها فقير الا غني مدة عمره ولا مريض الا برئ ولم يمرض ابدا ثم اوحى الله تعالى الى عيسى ان اجعل مائدتي في الفقراء والمرضى دون الاغنياء والاصحاء فاضطرب الناس لذلك فمسخ منهم ثلثة وثمانون رجلا وقيل لما وعد الله انزالها بهذه الشريطة استعفوا وقالوا لا نريدها فلم تنزل وعن مجاهد هذا مثل ضربه الله لمقترحي المعجزات وعن بعض الصوفية المائدة ههنا عبارة عن حقائق المعارف فانها غذاء الروح كما ان الاطعمة غذاء البدن وعلى هذا فلعل الحال انهم رغبوا في حقائق لم يستعدوا للوقوف عليها فقال لهم عيسى ان حصلتم الايمان فاستعملوا التقوى حتى تتمكنوا من الاطلاع عليها فلم يقلعوا عن السؤال والحوا فيه فسأل لاجل اقتراحهم فبين الله تعالى ان انزاله سهل ولكن فيه خطر وخوف عاقبة فان السالك اذا انكشف له ما هو اعلى من مقامه لعله لا يحتمله ولا يستقر له فيضل به ضلالا بعيدا **واذ قال الله يا عيسى ابن مريم ءانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله** يريد به توبيخ الكفرة وتبكيتهم ومن دون الله صفة لالهين او صلة اتخذوني ومعنى دون اما المغايرة فيكون فيه تنبيه على ان عبادة الله مع عبادة غيره كلا عبادة فمن عبده مع عبادتهما كانه عبدهما ولم يعبده او القصور فانهم لم يعتقدوا انهما مستقلان باستحقاق العبادة وانما زعموا ان عبادتهما توصل الى عبادة الله وكانه قيل اتخذوني وامي الهين متوصلين بنا الى الله **قال سبحانك** اي انزهك تنزيها من ان يكون لك شريك **ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق** ما ينبغي لي ان اقول قولا لا يحق لي ان اقوله **ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك** تعلم ما اخفيه في نفسي كما تعلم ما اعلنه ولا اعلم ما تخفيه من معلوماتك وقوله في نفسك للمشاكلة وقيل المراد بالنفس الذات **انك انت علام الغيوب** تقرير للجملتين باعتبار منطوقه ومفهومه **ما قلت لهم الا ما امرتني به** تصريح بنفي المستفهم عنه بعد تقديم ما يدل عليه **ان اعبدوا الله ربي و**

ربكم عطف بيان للضمير في به او بدل منه وليس من شرط البدل جواز طرح المبدل منه مطلقا ليلزم بقاء الموصول بلا راجع او خبر مضمر او مفعول له مثل هو واعني ولا يجوز ابداله مما امرتني به فان المصدر لا يكون مفعول القول ولا ان تكون مفسرة لان الامر مسند الى الله وهو لا يقول اعبدوا الله ربي وربكم والقول لا يفسر بل الجملة تحكى بعده الا ان يؤول القول بالامر فكانه قيل ما امرتهم الا ما امرتني به ان اعبدوا الله **وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم** اي رقيبا عليهم امنعهم ان يقولوا ذلك ويعتقدوه او مشاهدا لاحوالهم من كفر وايمان **فلما توفيتني** بالرفع الى السماء كقوله اني متوفيك ورافعك الي والتوفي اخذ الشيء وافيا والموت نوع منه قال الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها **كنت انت الرقيب عليهم** المراقب لاحوالهم فتمنع من اردت عصمته من القول به بالارشاد الى الدلائل والتنبيه عليها بارسال الرسل وانزال الايات **وانت على كل شيء شهيد** مطلع عليه مراقب له **ان تعذبهم فانهم عبادك** اي تعذبهم فانك تعذب عبادك ولا اعتراض على المالك المطلق فيما يفعل بملكه وفيه تنبيه على انهم استحقوا ذلك لانهم عبادك وقد عبدوا غيرك **وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم** فلا عجز ولا استقباح فانك القادر القوي على الثواب والعقاب الذي لا يثيب ولا يعاقب الا عن حكمة وصواب فان المغفرة مستحسنة لكل مجرم فان عذبت فعدل وان غفرت ففضل وعدم غفران الشرك مقتضى الوعيد فلا امتناع فيه لذاته ليمتنع الترديد والتعليق بان **قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم** وقرا نافع يوم بالنصب على انه ظرف لقال وخبر هذا محذوف او ظرف مستقر وقع خبرا والمعنى هذا الذي من كلام عيسى عليه السلام واقع يوم ينفع الصادقين وقيل انه خبر ولكن بني على الفتح لاضافته الى الفعل وليس بصحيح لان المضاف اليه معرب والمراد بالصدق الصدق في الدنيا فان النافع ما كان حال التكليف **لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم** بيان النفع **لله ملك السموات والارض وما فيهن وهو على كل شيء قدير** تنبيه على كذب النصارى وفساد دعواهم في المسيح وامه وانما لم يقل ومن فيهن تغليبا للعقلاء وقال وما فيهن اتباعا على انهم غير اولي العقل في غاية القصور عن معنى الربوبية والنزول عن رتبة العبودية اهانة بهم وتنبيها على المجانسة المنافية للالوهية ولان ما يطلق متناولا للاجناس كلها فهو اولى بارادة العموم عن النبي صلى الله عليه واله وسلم من قرا سورة المائدة اعطي من الاجر عشر حسنات ومحي عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات بعدد كل يهودي ونصراني في الدنيا

سورة الانعام مكية غير ست ايات من قوله تعالوا وهي مائة وخمس وستون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي خلق السموات والارض اخبر بانه تعالى حقيق بالحمد ونبه على انه المستحق له على هذه النعم الجسام حمدا او لم يحمد ليكون حجة على الذين هم بربهم يعدلون وجمع السموات دون الارض وهي مثلهن لان طبقاتها مختلفة بالذات متفاوتة الاثار والحركات وقدمها لشرفها وعلو مكانها وتقدم وجودها وجعل الظلمات والنور انشاهما والفرق بين خلق وجعل الذي له مفعول واحد ان الخلق فيه معنى التقدير والجعل فيه معنى التضمين ولذلك عبر عن احداث النور والظلمة بالجعل تنبيها على انهما لا يقومان بانفسهما كما زعمت الثنوية وجمع الظلمات لكثرة اسبابها والاجرام الحاملة لها او لان المراد بالظلمة الضلال وبالنور الهدى والهدى واحد والضلال متعدد وتقديمها لتقدم الاعدام على الملكات ومن زعم ان الظلمة عرض يضاد النور احتج بهذه الاية ولم يعلم ان عدم الملكة كالعمى ليس صرف العدم حتى لا يتعلق به الجعل ثم الذين كفروا بربهم يعدلون عطف على قوله الحمد لله على معنى ان الله حقيق بالحمد على ما خلقه نعمة على العباد ثم الذين كفروا به يعدلون فيكفرون نعمته ويكون بربهم تنبيها على انه خلق هذه الاشياء اسبابا لتكوينهم وتعيشهم فمن حقه ان يحمد عليه ولا يكفر او على قوله خلق على معنى انه خلق ما لا يقدر عليه احد سواه ثم هم يعدلون به ما لا يقدر على شيء منه ومعنى ثم استبعاد عدولهم بعد هذا البيان والباء على الاول متعلقة بكفروا وصلة يعدلون محذوفة اي يعدلون عنه ليقع الانكار على نفس الفعل وعلى الثاني متعلقة بيعدلون والمعنى ان الكفار يعدلون بربهم الاوثان اي يسوونها به هو الذي خلقكم من طين اي ابتدأ خلقكم منه فانه المادة الاولى وان ادم الذي هو اصل البشر خلق منه او خلق اباكم فحذف المضاف ثم قضى اجلا اجل الموت واجل مسمى عنده اجل القيامة وقيل الاول ما بين الخلق والموت والثاني ما بين الموت والبعث فان الاجل كما يطلق لاخر المدة يطلق لجملتها وقيل الاول النوم والثاني الموت وقيل الاول الموت لمن مضى والثاني لمن بقي ولمن ياتي واجل نكرة خصصت بالصفة ولذلك استغنى عن تقديم الخبر والاستئناف به لتعظيمه ولذلك نكر ووصف بانه مسمى اي مثبت معين لا يقبل التغير واخبر عنه بانه عند الله لا مدخل لغيره فيه بعلم ولا قدرة ولانه المقصود بيانه ثم انتم تمترون استبعاد لامترائهم بعد ما ثبت انه خالقهم وخالق اصولهم ومحييهم الى اجالهم فان من قدر على خلق المواد وجمعها وابداع الحيوة فيها وابقائها ما يشاء كان اقدر على جمع تلك المواد واحيائها ثانيا فالاية الاولى دليل على التوحيد والثانية دليل على البعث والامتراء الشك واصله المري وهو استخراج اللبن من الضرع وهو الله في السموات وفي الارض متعلق باسم الله والمعنى هو المستحق للعبادة فيهما لا غير كقوله وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله او بقوله يعلم سركم وجهركم والجملة خبر ثان او هي الخبر

والله بدل وتكفي لصحة الظرفية كون المعلوم فيهما كقولك رميت الصيد في الحرم اذا كنت خارجه والصيد فيه او ظرف مستقر وقع خبرا والمعنى انه تعالى لكمال علمه بما فيهما كانه فيهما ويعلم سركم وجهركم بيان وتقرير له وليس متعلق المصدر لان صلته لا تتقدم ويعلم ما تكسبون من خير او شر فيثيب عليه ويعاقب ولعله اريد بالسر والجهر ما يخفى وما يظهر من احوال الانفس وبالمكتسب احوال الجوارح وما تاتيهم من اية من ايات ربهم من الاولى مزيدة للاستغراق والثانية للتبعيض اي ما يظهر لهم دليل قط من الادلة او معجزة من المعجزات او اية من ايات القران الا كانوا عنها معرضين تاركين للنظر فيه غير ملتفتين اليه فقد كذبوا بالحق لما جاءهم يعني القران وهو كاللازم لما قبله كانه قيل انهم لما كانوا معرضين عن الايات كلها كذبوا به لما جاءهم كالدليل عليه على معنى انهم لما اعرضوا عن القران وكذبوا به وهو اعظم الايات فكيف لا يعرضون عن غيره ولذلك رتب عليه بالفاء فسوف ياتيهم انباء ما كانوا به يستهزءون اي سيظهر لهم ما كانوا به يستهزءون عند نزول العذاب بهم في الدنيا والاخرة او عند ظهور الاسلام وارتفاع امره الم يروا كم اهلكنا من قبلهم من قرن اي من اهل زمان والقرن مدة اغلب اعمار الناس وهي سبعون سنة وقيل ثمانون وقيل القرن اهل عصر فيه نبي او فائق في العلم قلت المدة او كثرت واشتقاقه من قرنت مكناهم في الارض جعلنا لهم فيها مكانا وقررناهم فيها او اعطيناهم من القوى والالات ما تمكنوا بها من انواع التصرف فيها ما لم نمكن لكم ما لم نجعل لكم في السعة وطول المقام يا اهل مكة او ما لم نعطكم من القوة والسعة في المال والاستظهار بالعدد والاسباب وارسلنا السماء عليهم اي المطر او السحاب او المظلة فان مبدا المطر منها مدرارا مغزارا وجعلنا الانهار تجري من تحتهم فعاشوا في الخصب والريف بين الانهار والثمار فاهلكناهم بذنوبهم اي لم يغن ذلك عنهم شيئا وانشانا واحدثنا من بعدهم قرنا اخرين بدلا منهم والمعنى انه تعالى كما قدر ان يهلك من قبلكم كعاد وثمود وينشئ مكانهم اخرين يعمر بهم بلادهم قادر ان يفعل ذلك بكم ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس مكتوبا في ورق فلمسوه بايديهم فمسوه وتخصيص اللمس لان التزوير لا يقع فيه فلا يمكنهم ان يقولوا انما سكرت ابصارنا ولانه يتقدمه الابصار حيث لا مانع وتقييده بالايدي لدفع التجوز فانه قد يتجوز به للفحص كقوله وانا لمسنا السماء لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين تعنتا وعنادا وقالوا لولا انزل عليه ملك هلا انزل معه ملك يكلمنا انه نبي كقوله لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا ولو انزلنا ملكا لقضي الامر جواب لقولهم وبيان لما هو المانع مما اقترحوه والخلل فيه والمعنى ان الملك لو انزل بحيث عاينوه كما اقترحوه لحق اهلاكهم

سنة الله جرت بذلك فيمن قبلهم ثم لا ينظرون بعد نزوله طرفة عين ولو جعلناه
ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون جواب ثان ان جعل الهاء
للمطلوب وان جعل للرسول فهو جواب اقتراح ثان فانهم تارة يقولون لولا انزل عليه ملك وتارة يقولون لو شاء
ربنا لانزل ملئكة والمعنى ولو جعلنا قرينا لك ملكا يعاينوه او الرسول ملكا لمثلناه رجلا كما مثل جبريل في
صورة دحية الكلبي فان القوة البشرية لا تقوى على روية الملك في صورته وانما راهم كذلك الافراد من
الانبياء بقوتهم القدسية وللبسنا جواب محذوف اي ولو جعلناه رجلا للبسنا اي لخلطنا عليهم ما
يخلطون على انفسهم فيقولون ما هذا الا بشر مثلكم وقرئ لبسنا بلام واحدة ولبّسنا بالتشديد للمبالغة ولقد استهزئ
برسل من قبلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما يرى من قومه فحاق بالذين سخروا منهم
ما كانوا به يستهزءون فاحاط بهم الذي كانوا يستهزءون به حيث اهلكوا لاجله او فنزل
بهم وبال استهزائهم قل سيروا في الارض ثم انظروا كيف كان عاقبة
المكذبين كيف اهلكهم الله بعذاب الاستيصال كي تعتبروا والفرق بينه وبين قوله سيروا
في الارض فانظروا ان السير ثمة لاجل النظر ولا كذلك ههنا ولذلك قيل معناه اباحة السير للتجارة وغيرها
وايجاب النظر في اثار الهالكين قل لمن ما في السموات والارض خلقا وملكا وهو
سؤال تبكيت قل لله تقرير لهم وتنبيه على انه المتعين للجواب بالاتفاق بحيث لا يمكنهم ان يذكروا غيره
كتب على نفسه الرحمة التزمها تفضلا واحسانا والمراد بالرحمة ما يعم الدارين
ومن ذلك الهداية الى معرفته والعلم بتوحيده بنصب الادلة وانزال الكتب والامهال على الكفر
ليجمعنكم الى يوم القيمة استيناف وقسم للوعيد على اشراكهم واغفالهم النظر اي ليجمعنكم في القبور
مبعوثين الى يوم القيمة فيجازيكم على شرككم او في يوم القيمة والى بمعنى في وقيل بدل من الرحمة بدل البعض فانه من رحمته
بعثه اياكم وانعامه عليكم لا ريب فيه في اليوم او الجمع الذين خسروا انفسهم بتضييع
راس مالهم وهو الفطرة الاصلية والعقل السليم وموضع الذين نصب على الذم او رفع على الخبر اي وانتم الذين او
على الابتداء والخبر فهم لا يؤمنون والفاء للدلالة على ان عدم ايمانهم مسبب عن خسرانهم فان ابطال
العقل باتباع الحواس والوهم والانهماك في التقليد واغفال النظر ادى بهم الى الاصرار على الكفر والامتناع
عن الايمان ولله عطف على لله ما سكن في الليل والنهار من السكنى وتعديته بفي
كما في قوله وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم والمعنى ما اشتملا عليه او من السكون اي ما سكن فيهما او تحرك
فاكتفى باحد الضدين عن الاخر وهو السميع لكل مسموع العليم بكل معلوم فلا يخفى عليه شيء ويجوز

ان يكون وعيدا للمشركين على اقوالهم وافعالهم قل اغير الله اتخذ وليا انكار لاتخاذ غير الله وليا
لا لاتخاذ الولي فلذلك قدم واولي الهمزة والمراد بالولي المعبود لانه رد لمن دعاه الى الشرك فاطر
السموات والارض مبدعهما وعن ابن عباس ما عرفت معنى الفاطر حتى اتاني اعرابيان يختصمان في بئر
فقال احدهما انا فطرتها اي ابتدأتها وجره على الصفة لله فانه بمعنى الماضي ولذلك قرئ فطر وقرئ بالرفع والنصب
على المدح وهو يطعم ولا يطعم يرزق ولا يرزق وتخصيص الطعام لشدة الحاجة اليه وقرئ
بفتح الياء وبعكس الاول على ان الضمير لغير الله والمعنى كيف اشرك بمن هو فاطر السموات والارض ما هو نازل عن رتبة
الحيوانية وببنائهما للفاعل على ان الثاني من اطعم بمعنى استطعم او على معنى انه يطعم تارة ولا يطعم اخرى كقوله يقبض و
يبسط قل اني امرت ان اكون اول من اسلم لان النبي سابق امته في الدين ولا تكونن من
المشركين وقيل لي ولا تكونن ويجوز عطفه على قل قل اني اخاف ان عصيت ربي
عذاب يوم عظيم مبالغة اخرى في قطع اطماعهم وتعريض لهم بانهم عصاة مستوجبون للعذاب والشرط
معترض بين الفعل والمفعول به وجوابه محذوف دل عليه الجملة من يصرف عنه يومئذ اي يصرف
العذاب عنه وقرا حمزة والكسائي ويعقوب وابو بكر عن عاصم يصرف على ان الضمير فيه لله وقد قرئ باظهاره
والمفعول به محذوف او يومئذ بحذف المضاف فقد رحمه نجاه وانعم عليه وذلك الفوز
المبين اي الصرف او الرحمة وان يمسسك الله بضر ببلية كمرض وفقر فلا
كاشف له فلا قادر على كشفه الا هو وان يمسسك بخير بنعمة كصحة وغنى فهو
على كل شيء قدير فكان قادرا على حفظه وادامته فلا يقدر غيره على دفعه كقوله فلا راد لفضله
وهو القاهر فوق عباده تصوير لقهره وعلوه بالغلبة والقدرة وهو الحكيم في امره وتدبيره
الخبير بالعباد وخفايا احوالهم قل اي شيء اكبر شهادة نزلت حين قالت قريش
يا محمد لقد سالنا عنك اليهود والنصارى فزعموا ان ليس عندهم ذكر ولا صفة فارنا من يشهد لك انك رسول الله و
الشيء يقع على كل موجود وقد سبق القول فيه في سورة البقرة قل الله اي الله اكبر شهادة ثم ابتدا شهيد
بيني وبينكم اي هو شهيد ويجوز ان يكون الله شهيد هو الجواب لانه تعالى اذا كان الشهيد كان اكبر شهادة واوحي
الي هذا القران لانذركم به اي بالقران واكتفى بذكر الانذار عن ذكر البشارة ومن بلغ
عطف على ضمير المخاطبين اي لانذركم به يا اهل مكة وسائر من بلغه من الاسود والاحمر او من الثقلين او لانذركم ايها
الموجودون ومن بلغه الى يوم القيمة وهو دليل على ان احكام القران تعم الموجودين وقت انزاله ومن بعدهم وانه لا يؤاخذ
بها من لم تبلغه ائنكم لتشهدون ان مع الله الهة اخرى تقرير لهم مع انكار واستبعاد

قل لا اشهد بما تشهدون قل انما هو اله واحد اي بل اشهد ان لا اله الا هو وانني
بريء مما تشركون يعني الاصنام الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه
يعرفون رسول الله بحليته المذكورة في التورية والانجيل كما يعرفون ابناءهم بحلاهم الذين خسروا
انفسهم من اهل الكتاب والمشركين فهم لا يؤمنون لتضييعهم ما يكتسب الايمان ومن
اظلم ممن افترى على الله كذبا كقولهم الملئكة بنات الله وهؤلاء شفعاؤنا عند الله او
كذب بآياته كان كذبوا القرآن والمعجزات وسموها سحرا وانما ذكر او وهم قد جمعوا بين الامرين
تنبيها على ان كلا منهما وحده بالغ غاية الافراط في الظلم على النفس انه الضمير للشان لا يفلح الظالمون
فضلا عمن لا احد اظلم منه ويوم نحشرهم جميعا منصوب بمضمر تهويلا للامر ثم نقول
للذين اشركوا اين شركاؤكم اي آلهتكم التي جعلتموها شركاء لله وقرا يعقوب يحشرهم ويقول بالياء
الذين كنتم تزعمون اي تزعمونهم شركاء فحذف المفعولان والمراد من الاستفهام التوبيخ ولعله يحال
بينهم وبين آلهتهم حينئذ ليفقدوها في الساعة التي علقوا بها الرجاء فيها ويحتمل ان يشاهدوهم ولكن لما لم ينفعوهم فكأنهم
غيب عنهم ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا اي كفرهم والمراد عاقبته وقيل معذرتهم التي
يتوهمون ان يتخلصوا بها من فتنت الذهب اذا خلصته وقيل جوابهم وانما سماه فتنة لانه كذب او لانهم
قصدوا بها الخلاص وقرا ابن كثير وابن عامر وحفص عن عاصم بالتاء وفتنتهم بالرفع على انها الاسم ونافع وابو عمرو
وعاصم وابو بكر عنه بالتاء والنصب على ان الاسم ان قالوا والتأنيث للخبر كقولهم من كانت امك والباقون
بالياء والنصب والله ربنا ما كنا مشركين يكذبون ويحلفون عليه مع علمهم بانه لا ينفع من
فرط الحيرة والدهشة كما يقولون ربنا اخرجنا منها وقد ايقنوا بالخلود وقيل معناه ما كنا مشركين عند انفسنا
وهو لا يوافق قوله انظر كيف كذبوا على انفسهم اي بنفي الشرك عنها وحمله
على كذبهم في الدنيا تعسف يخل بالنظم ونظير ذلك قوله يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم وقرا
حمزة والكسائي ربنا بالنصب على النداء او المدح وضل عنهم ما كانوا يفترون من الشركاء
ومنهم من يستمع اليك حين تتلو القرآن والمراد ابو سفيان والوليد والنضر وعتبة و
شيبة وابو جهل واضرابهم اجتمعوا فسمعوا رسول الله يقرأ فقالوا للنضر ما يقول فقال والذي جعلها بيته ما ادري
ما يقول الا انه يحرك لسانه ويقول اساطير الاولين مثل ما حدثتكم عن القرون الماضية فقال ابو سفيان اني
لاراه حقا فقال ابو جهل كلا وجعلنا على قلوبهم اكنة اغطية جمع كنان وهو ما يستر
الشيء ان يفقهوه كراهة ان يفقهوه وفي آذانهم وقرا يمنع من استماعه وقد مر تحقيق ذلك

اول البقرة وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها لفرط عنادهم واستحكام التقليد فيهم حتى
اذا جاؤك يجادلونك اي بلغ تكذيبهم الآيات الى انهم جاؤك يجادلونك وحتى هي التي تقع
بعدها الجمل لا عمل لها والجملة اذا وجوابه وهو يقول الذين كفروا ان هذا الا اساطير
الاولين فانه جعل اصدق الحديث خرافات الاولين غاية التكذيب ويجادلونك حال لمجيئهم ويجوز
ان تكون الجارة واذا جاؤك في موضع الجر ويجادلونك حال ويقول تفسير له والاساطير الاباطيل
جمع اسطورة او اسطارة بمع التاء او اسطار جمع سطر واصل السطر الخط وهم ينهون عنه اي
ينهون الناس عن القرآن او الرسول والايمان به وينأون عنه بانفسهم او ينهون عن التعرض لرسول الله
صلى الله عليه وسلم وينأون عنه فلا يؤمنون به كابي طالب وان يهلكون وما يهلكون بذلك الا انفسهم
وما يشعرون ان ضررهم لا يتعداهم الى غيرهم ولو ترى اذ وقفوا على النار جوابه
محذوف اي لو تراهم حين يوقفون على النار حتى يعاينوها او يطلعون عليها او يدخلونها فيعرفون مقدار
عذابها لرايت امرا شنيعا وقرئ وقفوا على البناء للفاعل من وقف عليه وقوفا فقالوا يا ليتنا نرد
تمنيا للرجوع الى الدنيا ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين
استئناف كلام منهم على وجه الاثبات كقولهم دعني ولا اعود اي انا لا اعود تركتني او لم تتركني او عطف على نرد او
حال من الضمير فيه فيكون في حكم التمني وقوله وانهم لكاذبون راجع الى ما تضمنه التمني من الوعد ونصبهما حمزة و
يعقوب وحفص على الجواب باضمار ان بعد الواو واجرائها مجرى الفاء وقرا ابن عامر برفع الاول على العطف ونصب الثاني
على الجواب بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل الاضراب عن ارادة الايمان المفهوم
من التمني والمعنى انه ظهر لهم ما كانوا يخفون من نفاقهم او قبائح اعمالهم فتمنوا ذلك ضجرا لا عزما على انهم لو ردوا لآمنوا
ولو ردوا اي الى الدنيا لعادوا لما نهوا عنه من الكفر والمعاصي وانهم لكاذبون
فيما وعدوا من انفسهم وقالوا عطف على لعادوا او على انهم لكاذبون او على نهوا او استئناف بذكر ما
قالوه في الدنيا ان هي الا حياتنا الدنيا الضمير للحيوة وما نحن بمبعوثين ولو
ترى اذ وقفوا على ربهم مجاز عن الحبس للسؤال والتوبيخ وقيل معناه وقفوا على قضاء ربهم او جزائه
او عرفوه حق التعريف قال أليس هذا بالحق كانه جواب قائل قال ماذا قال ربهم حينئذ والهمزة
للتقريع على التكذيب والاشارة الى البعث وما يتبعه من الثواب والعقاب قالوا بلى وربنا اقرار
مؤكد باليمين لانجلاء الامر غاية الانجلاء قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون
بسبب كفركم او ببدله قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله اذ فاتهم النعيم واستوجبوا

العذاب الأليم ولقاء البعث وما يتبعه حتى اذا جاءتهم الساعة غاية لكذبوا لا لخسر لان
خسرانهم لا غاية له بغتة فجأة ونصبها على الحال او المصدر فانها نوع من المجيء قالوا يا حسرتنا
اي تعالي فهذا اوانك على ما فرطنا قصرنا فيها في الحيوة الدنيا اضمرت وان لم يجر ذكرها للعلم
بها او في الساعة يعني في شأنها والايمان بها وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم تمثيل
لاستحقاقهم آصار الآثام الا ساء ما يزرون بئس شيئا يزرونه وزرهم وما الحيوة
الدنيا الا لعب ولهو اي وما اعمالها الا لعب ولهو يلهي الناس ويشغلهم عما يعقب منفعة
دائمة ولذة حقيقية وهو جواب لقولهم ان هي الا حياتنا الدنيا وللدار الآخرة خير
للذين يتقون لدوامها وخلوص منافعها ولذاتها وقوله للذين يتقون تنبيه على ان ما ليس من اعمال
المتقين لعب ولهو وقرأ ابن عامر ولدار الآخرة افلا تعقلون اي الامرين خير وقرأ نافع و
ابن عامر وحفص عن عاصم ويعقوب بالتاء على خطاب المخاطبين او تغليب الحاضرين على الغائبين قد
نعلم انه ليحزنك الذي يقولون معنى قد زيادة الفعل وكثرته كما في قوله ولكنه قد
يهلك المال نائله والهاء في انه للشأن وقرئ ليحزنك من احزن فانهم لا يكذبونك في
الحقيقة وقرأ نافع والكسائي لا يكذبونك من اكذبه اذا وجده كاذبا او نسبه الى الكذب ولكن
الظالمين بآيات الله يجحدون ولكنهم يجحدون بآيات الله ويكذبونها فوضع الظاهر
موضع المضمر للدلالة على انهم ظلموا بجحودهم او جحدوا لتمرنهم على الظلم والباء لتضمن الجحود معنى التكذيب روي ان
ابا جهل كان يقول ما نكذبك وانك عندنا لصادق وانما نكذب ما جئتنا به فنزلت ولقد كذبت
رسل من قبلك تسلية لرسول الله وفيه دليل على ان قوله لا يكذبونك ليس بنفي تكذيبه مطلقا
فصبروا على ما كذبوا واوذوا على تكذيبهم وايذائهم فتأس بهم واصبر حتى
اتاهم نصرنا فيه ايماء بوعد النصر للصابرين ولا مبدل لكلمات الله لمواعيده
من قوله ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين والآيات ولقد جاءك من نبإ المرسلين
اي من قصصهم وما كابدوا من قومهم وان كان كبر عليك عظم وشق اعراضهم
عنك وعن الايمان بما جئت به فان استطعت ان تبتغي نفقا في الارض او
سلما في السماء فتأتيهم بآية منفذا تنفذ فيه الى جوف الارض فتطلع لهم آية او
مصعدا تصعد به الى السماء فتنزل منها آية وفي الارض صفة لنفقا وفي السماء صفة لسلما ويجوز ان يكونا متعلقين
بتبتغي او حالين من المستكن وجواب الشرط الثاني محذوف تقديره فافعل والجملة جواب الاول والمقصود بيان

حرصه البالغ على اسلام قومه وانه لو قدر ان يأتيهم بآية من تحت الارض او من فوق السماء لأتى بها رجاء ايمانهم و
لو شاء الله لجمعهم على الهدى اي ولو شاء الله جمعهم على الهدى لوفقهم للايمان
حتى يؤمنوا بآية ملجئة ولكن لم يتعلق به مشيئته فلا تتهالك عليه والمعتزلة اولوه بانه لو شاء لجمعهم على الهدى
بان يأتيهم بآية ملجئة ولكن لم يفعل لخروجه عن الحكمة فلا تكونن من الجاهلين بالحرص على ما لا
يكون والجزع في مواطن الصبر فان ذلك من دأب الجهلة انما يستجيب الذين يسمعون
بفهم وتأمل كقوله او القى السمع وهو شهيد وهؤلاء كالموتى الذين لا يسمعون والموتى
يبعثهم الله فيعلمهم حين لا ينفعهم الايمان ثم اليه يرجعون للجزاء وقالوا
لولا نزل عليه آية من ربه اي آية مما اقترحوه او آية اخرى سوى ما انزل من
الآيات المتكاثرة لعدم اعتدادهم بها عنادا قل ان الله قادر على ان ينزل
آية مما اقترحوه او آية تضطرهم الى الايمان كنتق الجبل او آية ان جحدوها هلكوا ولكن
اكثرهم لا يعلمون ان الله قادر على ان ينزلها وان انزالها يستجلب عليهم البلاء وان لهم فيما نزل
مندوحة عن غيره وقرأ ابن كثير ينزل بالتخفيف والمعنى واحد وما من دابة في الارض تدب
على وجهها ولا طائر يطير بجناحيه في الهواء وصفه به قطعا لمجاز السرعة ونحوها
وقرئ ولا طائر بالرفع على المحل الا امم امثالكم محفوظة احوالها مقدرة ارزاقها واجالها والمقصود
من ذلك الدلالة على كمال قدرته وشمول علمه وسعة تدبيره ليكون كالدليل على انه قادر على ان ينزل آية وجمع الامم
للحمل على المعنى ما فرطنا في الكتاب من شيء يعني اللوح المحفوظ فانه مشتمل على ما
يجري في العالم من الجليل والدقيق لم يهمل فيه امر حيوان ولا جماد او القرآن فانه قد دون فيه ما يحتاج اليه من
امر الدين مفصلا او مجملا ومن مزيدة وشيء في موضع المصدر لا المفعول به فان فرط لا يتعدى بنفسه وقد عدي
بفي الى الكتاب وقرئ ما فرطنا بالتخفيف ثم الى ربهم يحشرون يعني الامم كلها فينصف بعضها
من بعض كما روي انه يأخذ للجماء من القرناء وعن ابن عباس حشرها موتها والذين كذبوا
بآياتنا صم لا يسمعون مثل هذه الآيات الدالة على ربوبيته وكمال علمه وعظم قدرته سماعا تتأثر
به نفوسهم وبكم لا ينطقون بالحق في الظلمات خبر ثالث اي خابطون في ظلمات
الكفر او في ظلمة الجهل وظلمة العناد وظلمة التقليد ويجوز ان يكون حالا من المستكن في الخبر من يشأ الله
يضلله من يشأ الله ضلاله يضلله وهو دليل واضح لنا على المعتزلة ومن يشأ يجعله على
صراط مستقيم بان يرشده الى الهدى ويحمله عليه قل ارأيتكم استفهام تعجيب والكاف

حرف خطاب اكد به الضمير للتأكيد لا محل له من الاعراب لانك تقول ارأيتك زيدا ما شأنه فلو جعلت
الكاف مفعولا كما قاله الكوفيون لعديت الفعل الى ثلثة مفاعيل وللزم في الاية ان يقال ارأيتموكم بل الفعل معلق
او المفعول محذوف تقديره ارأيتكم الهتكم تنفعكم اذ تدعونها وقرأ نافع ارأيتكم وارأيت وارأيتم وافرأيت
وشبهه اذا كان قبل الراء همزة بتسهيل الهمزة التي بعد الراء والكسائي يحذفها اصلا والباقون يحققونها وحمزة اذا
وقف وافق نافعا ان اتاكم عذاب الله كما اتى من قبلكم او اتتكم الساعة وهولها و
يدل عليه اغير الله تدعون وهو تبكيت لهم ان كنتم صادقين ان الاصنام الهة
وجوابه محذوف اي فادعوه بل اياه تدعون بل تخصونه بالدعاء كما حكى عنهم في مواضع وتقديم
المفعول لافادة التخصيص فيكشف ما تدعون اليه اي ما تدعونه الى كشفه ان شاء
ان يتفضل عليكم ولا يشاء في الاخرة وتنسون ما تشركون وتتركون الهتكم في ذلك الوقت لما
ركز في العقول انه القادر على كشف الضر دون غيره او تنسونه من شدة الامر وهوله ولقد ارسلنا
الى امم من قبلك اي قبلك ومن زائدة فاخذناهم اي فكفروا وكذبوا المرسلين فاخذناهم
بالبأساء بالشدة والفقر والضراء الضر والافات وهما صيغتا تأنيث لا مذكر لهما لعلهم
يتضرعون يتذللون لنا ويتوبون عن ذنوبهم فلولا اذ جاءهم بأسنا تضرعوا
معناه نفي تضرعهم في ذلك الوقت مع قيام ما يدعوهم اليه ولكن قست قلوبهم وزين
لهم الشيطان ما كانوا يعملون استدراك على المعنى وبيان للصارف لهم عن
التضرع وانه لا مانع لهم الا قساوة قلوبهم واعجابهم باعمالهم التي زينها الشيطان لهم فلما نسوا
ما ذكروا به من البأساء والضراء ولم يتعظوا به فتحنا عليهم ابواب كل شيء
من انواع النعم مراوحة عليهم بين نوبتي الضراء والسراء وامتحانا لهم بالشدة والرخاء الزاما للحجة وازاحة للعلة او مكرا
بهم لما روي انه عم قال مكر بالقوم ورب الكعبة وقرأ ابن عامر فتحنا بالتشديد في جميع القران ووافقه يعقوب
فيما عدا هذا والذي في الاعراف حتى اذا فرحوا بما اوتوا من النعم ولم يزيدوا على
البطر والاشتغال بالنعم عن المنعم والقيام بحقه اخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون
متحسرون ايسون فقطع دابر القوم الذين ظلموا اي اخرهم بحيث لم يبق منهم احد من دبره
دبرا ودبورا اذا تبعه والحمد لله رب العالمين على اهلاكهم فان هلاك الكفار
والعصاة من حيث انه تخليص لاهل الارض من شؤم عقائدهم واعمالهم نعمة جليلة يحق ان يحمد عليها قل
ارأيتم ان اخذ الله سمعكم وابصاركم اصمكم واعماكم وختم على

قلوبكم بان يغطي عليها ما يزول به عقلكم وفهمكم من اله غير الله يأتيكم به اي بذلك اي بما اخذ
وختم عليه او باحد هذه المذكورات انظر كيف نصرف الايات نكررها تارة من
جهة المقدمات العقلية وتارة من جهة الترغيب والترهيب وتارة بالتنبيه والتذكير باحوال المتقدمين ثم
هم يصدفون يعرضون عنها وثم لاستبعاد الاعراض بعد تصريف الايات وظهورها قل
ارأيتكم ان اتاكم عذاب الله بغتة من غير مقدمة او جهرة بتقدمها او امارة
تؤذن بحلوله وقيل ليلا ونهارا وقرئ بغتة وجهرة هل يهلك اي ما يهلك به هلاك سخط وتعذيب
الا القوم الظالمون ولذلك صح الاستثناء المفرغ منه وقرئ يهلك بفتح الياء وما نرسل
المرسلين الا مبشرين المؤمنين بالجنة ومنذرين الكافرين بالنار ولم
نرسلهم ليقترح عليهم ويتلهى بهم فمن امن واصلح ما يجب اصلاحه على ما شرع لهم فلا
خوف عليهم من العذاب ولا هم يحزنون بفوات الثواب و
الذين كذبوا باياتنا يمسهم العذاب جعل العذاب
ماسا لهم كأنه الطالب للوصول اليهم واستغنى بتعريفه عن التوصيف بما كانوا يفسقون بسبب خروجهم
عن التصديق والطاعة قل لا اقول لكم عندي خزائن الله مقدوراته او خزائن رزقه
ولا اعلم الغيب ما لم يوح الي ولم ينصب عليه دليل وهو من جملة المقول ولا اقول لكم
اني ملك اي من جنس الملائكة او اقدر على ما يقدرون عليه ان اتبع الا ما يوحى الي تبرأ
عن دعوى الالوهية والملكية وادعى النبوة التي هي من كمالات البشر ردا لاستبعادهم دعواه وجزمهم على فساد مدعاه
قل هل يستوي الاعمى والبصير مثل للضال والمهتدي او الجاهل والعالم او مدعي المستحيل
كالالوهية والملكية ومدعي المستقيم كالنبوة افلا تتفكرون فتهتدوا او فتميزوا بين ادعاء الحق والباطل او
فتعلموا ان اتباع الوحي مما لا محيص عنه وانذر به الضمير لما يوحى الذين يخافون ان يحشروا
الى ربهم هم المؤمنون المفرطون في العمل او المجوزون للحشر مؤمنا كان او كافرا مقرا به او مترددا فيه فان الانذار
ينجع فيهم دون الفارغين الجازمين باستحالته ليس لهم من دونه من ولي ولا شفيع
في موضع الحال من يحشروا فان المخوف هو الحشر على هذه الحال لعلهم يتقون لكي يتقوا ولا
تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي بعدما امره بانذار غير
المتقين ليتقوا امره باكرام المتقين وتقريبهم وان لا يطردهم ترضية لقريش روي انهم قالوا لو طردت هؤلاء
الاعبد يعنون فقراء المسلمين كعمار وصهيب وخباب وسلمان جلسنا اليك وحادثناك فقال ما انا بطارد

المؤمنين قالوا فهم عنا اذ جئناك قال نعم وروي ان عمر قال له لو فعلت حتى ننظر الى ما ذا يصيرون فدعا بالصحيفة
وبعلي ليكتب فنزلت والمراد بذكر الغداة والعشي الدوام وقيل صلوتا الصبح والعصر وقرا ابن عامر بالغدوة
هنا وفي الكهف يريدون وجهه حال من يدعون اي يدعون ربهم مخلصين فيه قيد الدعا
بالاخلاص تنبيها على انه ملاك الامر ورتب النهي عليه اشعارا بانه يقتضي اكرامهم وينافي ابعادهم ما
عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء
اي ليس عليك حساب ايمانهم فلعل ايمانهم عند الله اعظم من ايمان من تطردهم بسؤالهم طمعا في ايمانهم لو
امنوا او ليس عليك اعتبار بواطنهم واخلاصهم لما اتسموا بسيرة المتقين فان كان لهم باطن غير مرضي كما ذكره المشركون
وطعنوا في دينهم فحسابهم عليهم لا يتعداهم اليك كما ان حسابك عليك لا يتعداك اليهم وقيل ما عليك من حساب
رزقهم اي من فقرهم وقيل الضمير للمشركين والمعنى لا تؤاخذ بهم ولا هم بك حتى يهمك ايمانهم بحيث تطرد
المؤمنين طمعا فيه فتطردهم فتبعدهم وهو جواب النفي فتكون من الظالمين
جواب النهي ويجوز عطفه على فتطردهم على وجه التسبب وفيه نظر وكذلك فتنا
بعضهم ببعض ومثل ذلك الفتن وهو اختلاف احوال الناس في امور الدنيا فتنا اي ابتلينا
بعضهم ببعض في امر الدين فقدمنا هؤلاء الضعفاء على اشراف قريش بالسبق الى الايمان ليقولوا اهؤلاء
من الله عليهم من بيننا اي هؤلاء من انعم الله عليهم بالهداية والتوفيق لما يسعدهم دوننا ونحن
الاكابر والرؤسا وهم المساكين والضعفاء وهو انكار لان يخص هؤلاء من بينهم باصابة الحق والسبق الى الخير
كقولهم لو كان خيرا ما سبقونا اليه واللام للعاقبة او للتعليل على ان فتنا متضمن معنى خذلنا اليس الله
باعلم بالشاكرين بمن يقع منهم الايمان والشكر فيوفقه وبمن لا يقع منه فيخذله واذا جاءك
الذين يؤمنون باياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه
الرحمة الذين يؤمنون هم الذين يدعون ربهم وصفهم بالايمان بالقران واتباع الحجج بعد ما وصفهم
بالمواظبة على العبادة وامره بان يبدأهم بالتسليم او يبلغ سلام الله اليهم ويبشرهم بسعة رحمة الله وفضله بعد
النهي عن طردهم ايذانا بانهم الجامعون لفضيلتي العلم والعمل ومن كان كذلك ينبغي ان يقرب ولا يطرد
ويعز ولا يذل ويبشر من الله بالسلامة في الدنيا والرحمة في الاخرة وقيل ان قوما جاءوا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا
انا اصبنا ذنوبا عظاما فلم يرد عليهم شيئا فانصرفوا فنزلت انه من عمل منكم سوءا استيناف
بتفسير الرحمة وقرا نافع وابن عامر وعاصم ويعقوب بالفتح على البدل منها بجهالة في موضع الحال
اي من عمل ذنبا جاهلا بحقيقة ما يتبعه من المضار والمفاسد كعمر فيما اشار اليه او ملتبسا بفعل الجهالة فان ارتكاب

ما يؤدي الى الضرر من افعال اهل السفه والجهل ثم تاب من بعده بعد العمل او السوء واصلح بالتدارك
والعزم على ان لا يعود اليه فانه غفور رحيم فتحه من فتح الاول غير نافع على اضمار مبتدا او خبر اي فامره او له
غفرانه وكذلك ومثل ذلك التفصيل الواضح نفصل الايات ايات القرآن في صفة
المطيعين والمجرمين المصرين منهم والاوابين ولتستبين سبيل المجرمين قرا نافع بالتاء ونصب
السبيل على معنى ولتستوضح يا محمد سبيلهم فتعامل كلا منهم بما يحق له فصلنا هذا التفصيل وابن كثير وابن عامر وابو عمرو و
يعقوب وحفص عن عاصم برفعه على معنى ولتتبين سبيلهم والباقون بالياء والرفع على تذكير السبيل فانه يذكر ويؤنث ويجوز
ان يعطف على علة مقدرة اي نفصل الايات ليظهر الحق ولتستبين قل اني نهيت صرفت وزجرت بما نصب
لي من الادلة وانزل علي من الايات في امر التوحيد ان اعبد الذين تدعون من دون الله عن عبادة
ما تعبدون من دون الله او ما تدعونها الهة اي تسمونها قل لا اتبع اهواءكم تاكيد لقطع اطماعهم واشارة
الى الموجب للنهي وعلة الامتناع عن متابعتهم واستجهال لهم وبيان لمبدأ ضلالهم وان ما هم عليه هوى وليس بهدى
وتنبيه لمن تحرى الحق على ان يتبع الحجة ولا يقلد قد ضللت اذا اي ان اتبعت اهواءكم فقد ضللت وما
انا من المهتدين اي في شيء من الهدى حتى اكون من عدادهم وفيه تعريض بانهم كذلك قل
اني على بينة تنبيه على ما يجب اتباعه بعد ما بين ما لا يجوز اتباعه والبينة الدلالة الواضحة
التي تفصل الحق من الباطل وقيل المراد بها القرآن او الوحي او الحجج العقلية او ما يعمها من ربي من معرفته وانه
لا معبود سواه ويجوز ان يكون صفة لبينة وكذبتم به الضمير لربي اي وكذبتم به حيث اشركتم به غيره او للبينة
باعتبار المعنى ما عندي ما تستعجلون به يعني العذاب الذي استعجلوه بقولهم فامطر علينا حجارة
من السماء او ائتنا بعذاب اليم ان الحكم الا لله في تعجيل العذاب وتاخيره يقص الحق اي القضاء الحق
او يصنع الحق ويدبره من قولهم قضى الدرع اذا صنعها فيما يقضي من تعجيل وتاخير واصل القضاء الفصل بتمام الامر واصل
الحكم المنع فكانه منع الباطل وقرا ابن كثير ونافع وعاصم يقص من قص الاثر او قص الخبر وهو خير الفاصلين
القاضين قل لو ان عندي اي في قدرتي ومكنتي ما تستعجلون به من العذاب
لقضي الامر بيني وبينكم لاهلكتكم عاجلا غضبا لربي وانقطع ما بيني وبينكم والله اعلم
بالظالمين في معنى الاستدراك كانه قال ولكن الامر الى الله وهو اعلم بمن ينبغي ان يؤخذ وبمن
ينبغي ان يمهل منهم وعنده مفاتح الغيب خزائنه جمع مفتح بفتح الميم وهو المخزن او ما يتوصل به
الى المغيبات مستعار من المفاتح الذي هو جمع مفتح بالكسر وهو المفتاح ويؤيده انه قرئ مفاتيح والمعنى انه المتوصل
الى المغيبات المحيط علمه بها لا يعلمها الا هو فيعلم اوقاتها وما في تعجيلها وتاخيرها من الحكم فيظهر

المذكور في الآيات السابقة

قال السيد يذكر ويؤنث

على ما يقتضيه حكمته وتعلقت به مشيته وقيل انه تعالى يعلم الاشياء قبل وقوعها ويعلم ما في البر والبحر
عطف على الاخبار بتعلق علمه بالمشاهدات اثر الاخبار عن اختصاص العلم بالمغيبات به وما تسقط من
ورقة الا يعلمها مبالغة في احاطة علمه بالجزئيات ولا حبة في ظلمات الارض
ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين بدل من الاستثناء الاول بدل الكل على ان
الكتاب المبين علم الله او بدل الاشتمال ان اريد به اللوح وقرئت بالرفع للعطف على محل ورقة او رفعا على الابتداء والخبر الا في
كتاب مبين وهو الذي يتوفاكم بالليل ينيمكم فيه ويراقبكم استعير التوفي من الموت للنوم لما بينهما
من المشاركة في زوال الاحساس والتمييز فان اصله قبض الشيء بتمامه ويعلم ما جرحتم بالنهار كسبتم فيه
خص الليل بالنوم والنهار بالكسب جريا على المعتاد ثم يبعثكم يوقظكم اطلق البعث ترشيحا للتوفي فيه
في النهار ليقضى اجل مسمى ليبلغ المتيقظ اخر اجله المسمى له في الدنيا ثم اليه مرجعكم بالموت
ثم ينبئكم بما كنتم تعملون بالمجازاة عليه وقيل الاية خطاب للكفرة والمعنى انكم ملقون كالجيف
بالليل وكاسبون للاثام بالنهار وانه تعالى مطلع على اعمالكم يبعثكم من القبور في شان ذلك الذي قطعتم به اعماركم من
النوم بالليل وكسب الاثام بالنهار ليقضى الاجل الذي سماه وضربه لبعث الموتى وجزائهم على اعمالهم ثم اليه
مرجعكم بالحساب ثم ينبئكم بما كنتم تعملون بالجزاء وهو القاهر فوق عباده ويرسل
عليكم حفظة ملائكة تحفظ اعمالكم وهم الكرام الكاتبون والحكمة فيه ان المكلف اذا علم ان اعماله تكتب
عليه وتعرض على رؤوس الاشهاد كان ازجر عن المعاصي وان العبد اذا وثق بلطف سيده واعتمد على عفوه و
ستره لم يحتشم منه احتشامه من خدمه المطلعين عليه حتى اذا جاء احدكم الموت
توفته رسلنا ملك الموت واعوانه وقرا حمزة توفاه بالف ممالة وهم لا يفرطون
بالتواني والتاخير وقرئ بالتخفيف والمعنى لا يجاوزون ما حد لهم بزيادة او نقصان ثم ردوا الى الله الى
حكمه وجزائه مولاهم الذي يتولى امرهم الحق العدل الذي لا يحكم الا بالحق وقرئ بالنصب على المدح الا
له الحكم يومئذ لا حكم لغيره فيه وهو اسرع الحاسبين يحاسب الخلائق في مقدار حلب شاة لا
يشغله حساب عن حساب قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر من شدائدهما استعيرت
الظلمة للشدة لمشاركتهما في الهول وابطال الابصار فقيل لليوم الشديد يوم مظلم ويوم ذو كواكب او من الخسف في
البر والغرق في البحر وقرا يعقوب ينجيكم بالتخفيف والمعنى واحد تدعونه تضرعا وخفية معلنين و
مسرين او اعلانا واسرارا وقرا ابو بكر هنا وفي الاعراف خفية بالكسر لئن انجيتنا من هذه لنكونن
من الشاكرين على ارادة القول اي تقولون لئن انجيتنا وقرا الكوفيون لئن انجانا ليوافق قوله تدعونه

وهذه اشارة الى الظلمة قل الله ينجيكم منها شدده الكوفيون وهشام وخففه الباقون و
من كل كرب غم سواها ثم انتم تشركون تعودون الى الشرك ولا توفون بالعهد
وانما وضع تشركون موضع لا تشكرون تنبيها على ان من اشرك في عبادة الله فكانه لم يعبده راسا قل هو
القادر على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم كما فعل بقوم نوح ولوط واصحاب
الفيل او من تحت ارجلكم كما اغرق فرعون وخسف بقارون وقيل من فوقكم اكابركم و
حكامكم ومن تحت ارجلكم سفلتكم وعبيدكم او يلبسكم يخلطكم شيعا فرقا متحزبين على اهواء شتى
فينشب القتال بينكم قال وكتيبة لبستها بكتيبة حتى اذا التبست نفضت لها يدي ويذيق
بعضكم باس بعض يقاتل بعضكم بعضا انظر كيف نصرف الايات
بالوعد والوعيد لعلهم يفقهون وكذب به قومك اي بالعذاب او بالقران
وهو الحق الواقع لا محالة او الصدق قل لست عليكم بوكيل بحفيظ وكل الي
امركم فامنعكم من التكذيب او اجازيكم انما انا منذر والله الحفيظ لكل نبا خبر يريد انباء العذاب
او الايعاد به مستقر وقت استقرار ووقوع وسوف تعلمون عند وقوعه في الدنيا والاخرة
واذا رايت الذين يخوضون في اياتنا بالتكذيب والاستهزاء بها والطعن فيها فاعرض
عنهم فلا تجالسهم وقم عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره اعاد الضمير على معنى الايات لانها
القران واما ينسينك الشيطان بان يشغلك بوسوسته حتى تنسى النهي وقرا ابن عامر
ينسينك بالتشديد فلا تقعد بعد الذكرى بعد ان تذكره مع القوم الظالمين
اي معهم فوضع الظاهر موضعه دلالة على انهم ظلموا بوضع التكذيب والاستهزاء موضع التصديق والاعظام و
ما على الذين يتقون وما يلزم المتقين الذين يجالسونهم من حسابهم من شيء مما يحاسبون
عليه ولكن ذكرى ولكن عليهم ان يذكروهم ذكرى ويمنعوهم عن الخوض وغيره من القبائح ويظهروا
كراهتها وهو يحتمل النصب على المصدر والرفع على ولكن عليهم ذكرى ولا يجوز عطفه على محل من شيء لان من حسابهم يابى
ولا على شيء لذلك ولان من لا تزاد بعد الاثبات لعلهم يتقون يجتنبون ذلك حياء او كراهة لمساءتهم
ويحتمل ان يكون الضمير للذين يتقون والمعنى لعلهم يثبتون على تقواهم ولا تنثلم بمجالستهم روي ان المسلمين قالوا لئن كنا نقوم كلما
استهزؤوا بالقران لم نستطع ان نجلس في المسجد ونطوف فنزلت وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا
ولهوا اي بنوا امر دينهم على التشهي وتدينوا بما لا يعود عليهم بنفع عاجلا واجلا كعبادة الاصنام وتحريم البحائر
والسوائب او اتخذوا دينهم الذي كلفوه لعبا ولهوا حيث سخروا به او جعلوا عيدهم الذي جعل ميقات عبادتهم

تناولهم ولعب ولهو واعرض عنهم ولا تبال بافعالهم واقوالهم ويجوز ان يكون تهديدا لهم كقوله ذرني ومن خلقت وحيدا ومن جعله
منسوخا باية السيف حمله على الامر بالكف عنهم وترك التعرض لهم وغرتهم الحيوة الدنيا حتى انكروا البعث
وذكر به اي بالقران ان تبسل نفس بما كسبت مخافة ان تسلم الى الهلاك وترهن بسوء
عملها واصل الابسال والبسل المنع ومنه اسد باسل لان فريسته لا تفلت منه والباسل الشجاع لامتناعه من قرنه
وهذا بسل عليك اي حرام ليس لها من دون الله ولي ولا شفيع يدفع عنها العذاب
وان تعدل كل عدل وان تفد كل فداء والعدل الفدية لانها تعادل المفدى وههنا الفداء وكل
نصب على المصدر لا يؤخذ منها الفعل مسند الى منها لا الى ضميره بخلاف قوله ولا يؤخذ منها عدل
فانه المفدى به اولئك الذين ابسلوا بما كسبوا اي سلموا الى العذاب بسبب اعمالهم
القبيحة وعقائدهم الزائغة لهم شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون
تاكيد وتفصيل لذلك والمعنى هم بين ماء مغلي يتجرجر في بطونهم ونار تشتعل بابدانهم قل اندعو من دون
الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا ما لا يقدر على نفعنا وضرنا ونرد على اعقابنا
ونرجع الى الشرك بعد اذ هدانا الله فانقذنا منه ورزقنا الاسلام كالذي استهوته
الشياطين كالذي ذهبت به مردة الجن الى المهامه استفعال من هوى اذا ذهب وقرا حمزة استهواه
بالف ممالة ومحل الكاف النصب على الحال من فاعل نرد اي مشبهين الذي استهوته او على المصدر اي ردا مثل
رد الذي استهوته في الارض حيران متحيرا ضالا عن الطريق له اصحاب لهذا المستهوى رفقة
يدعونه الى الهدى اي يهدونه الطريق المستقيم او الى الطريق المستقيم وسماه هدى تسمية للمفعول
بالمصدر ائتنا يقولون له ائتنا قل ان هدى الله الذي هو الاسلام هو الهدى وحده
وما عداه ضلال وامرنا لنسلم لرب العالمين من جملة المقول عطف على ان هدى الله واللام
لتعليل الامر اي امرنا بذلك لنسلم وقيل هي بمعنى الباء وقيل هي زائدة وان اقيموا الصلوة
واتقوه عطف على لنسلم اي للاسلام ولاقامة الصلوة او على موقعه كانه قيل وامرنا ان نسلم وان اقيموا
روي ان عبد الرحمن بن ابي بكر دعا اباه الى عبادة الاوثان فنزلت وعلى هذا كان امر الرسول بهذا القول اجابة عن
الصديق تعظيما لشانه واظهارا للاتحاد الذي كان بينهما وهو الذي اليه تحشرون يوم القيمة
وهو الذي خلق السموات والارض بالحق قائما بالحق والحكمة ويوم يقول
كن فيكون قوله الحق جملة اسمية قدم فيها الخبر اي قوله الحق يوم يقول كقولك القتال يوم الجمعة والمعنى
انه الخالق للسموات والارض وقوله الحق نافذ في الكائنات وقيل يوم منصوب بالعطف على السموات او الهاء

او بتقوه او بالمحذوف دل عليه بالحق وقوله الحق مبتدا وخبر او فاعل يكون على معنى وحين يقول لقوله الحق اي قضاؤه كن
فيكون والمراد به حين يكون الاشياء ويحدثها او حين تقوم القيمة فيكون التكوين حشر الاموات واحياءها وله الملك
يوم ينفخ في الصور كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار عالم الغيب والشهادة
اي هو عالم الغيب وهو الحكيم الخبير كالفذلكة للاية واذ قال ابراهيم لابيه
ازر هو عطف بيان لابيه وفي كتب التواريخ ان اسمه تارح وقيل هما علمان له كاسرائيل ويعقوب
وقيل العلم تارح وازر وصف معناه الشيخ او المعوج ولعل منع صرفه لانه اعجمي حمل على موازنه او نعت مشتق من
الازر او الوزر والاقرب انه علم اعجمي على فاعل كعابر وشالخ وقيل اسم صنم يعبده فلقب به للزوم عبادته
او اطلق عليه بحذف المضاف وقيل المراد به الصنم ونصبه بفعل مضمر يفسره ما بعده اي اتعبد ازر ثم قال اتتخذ
اصناما الهة تفسيرا وتقريرا ويدل عليه انه قرئ اازرا تتخذ اصناما بفتح همزة ازر وكسرها وهو اسم صنم
وقرا يعقوب بالضم على النداء وهو يدل على انه علم اني اراك وقومك في ضلال مبين ظاهر
الضلالة وكذلك نري ابراهيم ومثل هذا التبصير نبصره وهو حكاية حال ماضية وقرئ
ترى بالتاء ورفع الملكوت ومعناه تبصره دلائل الربوبية ملكوت السموات والارض
ربوبيتها وملكها وقيل عجائبها وبدائعها والملكوت اعظم الملك والتاء فيه للمبالغة وليكون من الموقنين
اي ليستدل وليكون او وفعلنا ذلك ليكون فلما جن عليه الليل راى كوكبا قال
هذا ربي تفصيل وبيان لذلك وقيل عطف على قال ابراهيم وكذلك نري اعتراض فان اباه وقومه
كانوا يعبدون الاصنام والكواكب فاراد ان ينبههم على ضلالتهم ويرشدهم الى الحق من طريق النظر والاستدلال
وجن عليه الليل ستره بظلامه والكوكب كان الزهرة او المشتري وقوله هذا ربي على سبيل الوضع فان المستدل على
فساد قول يحكيه على ما يقوله الخصم ثم يكر عليه بالافساد او على وجه النظر والاستدلال وانما قاله زمان مراهقته او اول
اوان بلوغه فلما افل اي غاب قال لا احب الافلين فضلا عن عبادتهم فان الانتقال
والاحتجاب بالاستار يقتضي الامكان والحدوث وينافي الالوهية فلما راى القمر بازغا
مبتدئا في الطلوع قال هذا ربي فلما افل قال لئن لم يهدني ربي لاكونن
من القوم الضالين استعجز نفسه واستعان بربه في درك الحق فانه لا يهتدي اليه الا بتوفيقه ارشادا
لقومه وتنبيها لهم على ان القمر ايضا لتغير حاله لا يصلح للالوهية وان من اتخذه الها فهو ضال فلما راى
الشمس بازغة قال هذا ربي ذكر اسم الاشارة لتذكير الخبر وصيانة للرب عن شبهة التانيث
هذا اكبر كبره استدلالا او اظهارا لشبهة الخصم فلما افلت قال يا قوم اني بريء

مما تشركون من الاجرام المحدثة المحتاجة الى محدث يحدثها ومخصص يخصصها بما تختص به ثم لما تبرأ منها
توجه الى موجدها ومبدعها الذي دلت هذه الممكنات عليه فقال اني وجهت وجهي للذي فطر
السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين وانما احتج بالافول
دون البزوغ مع انه ايضا انتقال لتعدد دلالته ولانه رأى الكوكب الذي يعبدونه في وسط السماء حين حاول
الاستدلال وحاجه قومه وخاصموه في التوحيد قال اتحاجوني في الله في وحدانيته
وقرأ نافع وابن عامر بتخفيف النون وقد هدان الى توحيده ولا اخاف ما تشركون
به اي لا اخاف معبوداتكم في وقت لانها لا تضر بنفسها ولا تنفع الا ان يشاء ربي شيئا ان
يصيبني بمكروه من جهتها ولعله جواب لتخويفهم اياه من آلهتهم وتهديد لهم بعذاب الله وسع ربي
كل شيء علما كأنه علة الاستثناء اي احاط به علما فلا يبعد ان يكون في علمه ان يحيق بي مكروه من جهتها
افلا تتذكرون فتميزوا بين الصحيح والفاسد والقادر والعاجز وكيف اخاف
ما اشركتم ولا يتعلق به ضر ولا تخافون انكم اشركتم بالله وهو حقيق بان يخاف
منه كل الخوف لانه اشراك للمصنوع بالصانع وتسوية بين المقدور العاجز والقادر الضار النافع ما لم
ينزل به عليكم سلطانا ما لم ينزل باشراكه كتابا او لم ينصب عليه دليلا فأي الفريقين
احق بالامن اي الموحدون او المشركون وانما لم يقل اينا انا ام انتم احترازا من تزكية نفسه ان كنتم
تعلمون ما يحق ان يخاف منه الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك
لهم الامن وهم مهتدون استئناف منه او من الله بالجواب عما استفهم عنه والمراد بالظلم
الشرك لما روي ان الآية لما نزلت شق ذلك على الصحابة وقالوا اينا لم يظلم نفسه فقال عم ليس ما تظنون
انما هو ما قال لقمان لابنه يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم وليس الايمان به ان يصدق بوجود
الصانع الحكيم ويخلط بهذا التصديق الاشراك به وقيل المعصية وتلك اشارة الى ما احتج به ابراهيم
على قومه من قوله فلما جن عليه الليل الى قوله وهم مهتدون او من قوله اتحاجوني اليه حجتنا آتيناها
ابراهيم ارشدناه اليها وعلمناه اياها على قومه متعلق بحجتنا ان جعل خبر تلك وبمحذوف ان جعل بدله
اي آتيناها ابراهيم حجة على قومه نرفع درجات من نشاء في العلم والحكمة وقرأ الكوفيون ويعقوب
بالتنوين ان ربك حكيم في رفعه وخفضه عليم بحال من يرفعه واستعداده له ووهبنا
له اسحق ويعقوب كلا هدينا اي كلا منهما ونوحا هدينا من قبل
من قبل ابراهيم عد هداه نعمة على ابراهيم من حيث انه ابوه وشرف الوالد يتعدى الى الولد ومن

ذريته الضمير لابراهيم اذ الكلام فيه وقيل لنوح لانه اقرب ولان يونس ولوطا ليسا من ذرية ابراهيم فلو كان
لابراهيم اختص البيان بالمعدودين في تلك الآية والتي بعدها والمذكورون في الآية الثالثة عطف على نوحا داود
وسليمان وايوب ايوب بن اموص من اسباط عيص بن اسحق ويوسف و
موسى وهرون وكذلك نجزي المحسنين اي ونجزي المحسنين جزاء
مثل ما جزينا ابراهيم برفع درجاته وكثرة اولاده والنبوة فيهم وزكريا ويحيى و
عيسى هو ابن مريم وفي ذكره دليل على ان الذرية تتناول اولاد البنت والياس قيل هو ادريس
جد نوح فيكون البيان مخصوصا بمن في الآية الاولى وقيل هو من اسباط هرون اخي موسى كل من الصالحين
الكاملين في الصلاح وهو الاتيان بما ينبغي والتحرز عما لا ينبغي واسمعيل واليسع هو اليسع بن اخطوب
وقرأ حمزة والكسائي والليسع وعلى القراءتين علم اعجمي ادخل عليه اللام كما ادخل في اليزيد في قوله رأيت الوليد بن
اليزيد مباركا شديدا باعباء الخلافة كاهله ويونس هو يونس بن متى ولوطا هو ابن هاران
اخي ابراهيم وكلا فضلنا على العالمين بالنبوة وفيه دليل فضلهم على من عداهم من
الخلق ومن آبائهم وذرياتهم واخوانهم عطف على كلا او نوحا اي فضلنا كلا منهم او
هدينا هؤلاء وبعض آبائهم وذرياتهم واخوانهم فان منهم من لم يكن نبيا ولا مهديا واجتبيناهم عطف على
فضلنا او هدينا وهديناهم الى صراط مستقيم تكرير لبيان ما هدوا اليه ذلك هدى
الله اشارة الى ما دانوا به يهدي به من يشاء من عباده دليل على انه متفضل بالهداية
ولو اشركوا اي لو اشرك هؤلاء الانبياء مع فضلهم وعلو شانهم لحبط عنهم ما كانوا
يعملون لكانوا كغيرهم في حبوط اعمالهم بسقوط ثوابها اولئك الذين آتيناهم
الكتاب يريد به الجنس والحكم الحكمة او فصل الامر على ما يقتضيه الحق والنبوة الرسالة
فان يكفر بها اي بهذه الثلثة هؤلاء يعني قريشا فقد وكلنا بها قوما اي بمراعاتها
ليسوا بها بكافرين وهم الانبياء المذكورون ومتابعوهم وقيل هم الانصار واصحاب النبي
او كل من آمن به او الفرس وقيل الملائكة اولئك الذين هدى الله يريد الانبياء المتقدم ذكرهم
فبهداهم اقتده فاختص طريقتهم والمراد بهداهم ما توافقوا عليه من التوحيد واصول الدين دون الفروع
المختلف فيها فانها ليست هدى مضافا الى الكل ولا يمكن التأسي بهم جميعا فليس فيه دليل على انه عم متعبد بشرع
من قبله والهاء في اقتده للوقف ومن اثبتها في الدرج ساكنة كابن كثير ونافع وابو عمرو اجرى الوصل مجرى الوقف
وحذف الهاء في الوصل خاصة حمزة والكسائي واشبعها ابن عامر برواية ابن ذكوان على انها كناية المصدر وكسر الهاء بغير اشباع برواية

بهم قل لا أسألكم عليه على التبليغ أو القرآن أجرا جعلا من جهتكم كما لم يسأل من قبلي من النبيين وهذا من جملة
ما أمر بالاقتداء بهم فيه إن هو أي التبليغ أو القرآن أو الغرض إلا ذكرى للعالمين إلا تذكيرا وموعظة
لهم وما قدروا الله حق قدره وما عرفوه حق معرفته في الرحمة والإنعام على العباد إذ
قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء حين أنكروا الوحي وبعثة الرسل وذلك من عظائم
رحمته وجلائل نعمته أو في السخط على الكفار وشدة البطش بهم حين جسروا على هذه المقالة والقائلون هم اليهود
قالوا ذلك مبالغة في إنكار إنزال القرآن بدليل نقض كلامهم وإلزامهم بقوله قل من أنزل الكتاب
الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس وقراءة الجمهور تجعلونه قرا

طيس

تبدونها وتخفون كثيرا بالتاء وإنما قرأ بالياء ابن كثير وأبو عمرو حملا على قالوا
وما قدروا وتضمين ذلك توبيخهم على سوء جهلهم بالتوراة وذمهم على تجزئتها بإبداء بعض انتخبوه وكتبوه في ورقات
متفرقة وإخفاء بعض لا يشتهونه روي أن مالك بن الصيف قاله لما أغضبه الرسول بقوله أنشدك بالذي
أنزل التوراة على موسى هل تجد فيها أن الله يبغض الحبر السمين قال نعم فقال أنت الحبر السمين وقيل هم
المشركون وإلزامهم بإنزال التوراة لأنه كان من المشهورات الذائعة عندهم ولذلك كانوا يقولون لو أنا أنزل
علينا الكتاب لكنا أهدى منهم وعلمتم على لسان محمد ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم زيادة
على ما في التوراة وبيانا لما التبس عليكم وعلى آبائكم الذين كانوا أعلم منكم ونظيره إن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل
أكثر الذي هم فيه يختلفون وقيل الخطاب لمن آمن من قريش قل الله أي أنزله الله أو الله أنزله أمره بأن يجيب عنهم
إشعارا بأن الجواب متعين لا يمكن غيره وتنبيها على أنهم بهتوا بحيث لا يقدرون على الجواب ثم ذرهم في
خوضهم في أباطيلهم فلا عليك بعد التبليغ وإلزام الحجة يلعبون حال من هم الأول والظرف صلة ذرهم
أو يلعبون أو حال من المفعول أو فاعل يلعبون أو من هم الثاني والظرف متصل بالأول وهذا كتاب
أنزلناه مبارك كثير الفائدة والنفع مصدق الذي بين يديه يعني التوراة أو
الكتب التي قبله ولتنذر أم القرى عطف على ما دل عليه مبارك أي للبركات ولتنذر أو علة
محذوف أي ولتنذر أهل أم القرى أنزلناه وإنما سميت مكة بذلك لأنها قبلة أهل القرى ومحجهم ومجتمعهم
وأعظم القرى شأنا وقيل لأن الأرض دحيت من تحتها أو لأنها مكان أول بيت وضع للناس وقرأ أبو بكر عن عاصم
بالياء لينذر الكتاب ومن حولها أهل الشرق والغرب والذين يؤمنون بالآخرة
يؤمنون به وهم على صلاتهم يحافظون فإن من صدق بالآخرة خاف العاقبة
ولا يزال الخوف يحمله على النظر والتدبر حتى يؤمن بالنبي والكتاب والضمير يحتملهما ويحافظ على الطاعة وتخصيص الصلاة

لانها

لأنها عماد الدين وعلم الإيمان ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا فزعم أنه
بعثه نبيا كمسيلمة والأسود العنسي أو اختلق عليه أحكاما كعمرو بن لحي ومتابعيه أو قال أوحي إلي ولم
يوح إليه شيء كعبد الله بن سعد بن أبي سرح كان يكتب لرسول الله فلما نزلت ولقد خلقنا الإنسان من
سلالة من طين فلما بلغ قوله ثم أنشأناه خلقا آخر قال عبد الله فتبارك الله أحسن الخالقين تعجبا من تفصيل خلق
الإنسان فقال عليه السلام اكتبها فكذلك نزلت فشك عبد الله وقال لئن كان محمد صادقا لقد أوحي إلي كما أوحي
إليه ولئن كان كاذبا لقد قلت كما قال ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله كالذين قالوا
لو نشاء لقلنا مثل هذا ولو ترى إذ الظالمون حذف مفعوله لدلالة الظرف عليه أي ولو ترى
الظالمين في غمرات الموت شدائده من غمره الماء إذا غشيه والملائكة
باسطوا أيديهم بقبض أرواحهم كالمتقاضي الملظ أو بالعذاب أخرجوا أنفسكم أي
يقولون لهم أخرجوها إلينا من أجسادكم تغليظا وتعنيفا عليهم أو أخرجوها من العذاب وخلصوها من أيدينا
اليوم يريد به وقت الإماتة أو الوقت الممتد من الإماتة إلى ما لا نهاية له تجزون عذاب الهون
أي الهوان يريد العذاب المتضمن لشدة وإهانة فإضافته إلى الهون لعراقته وتمكنه فيه بما كنتم
تقولون على الله غير الحق كاتخاذ الولد ونسبة الشريك له ودعوى النبوة والوحي كاذبا و
كنتم عن آياته تستكبرون فلا تتأملون فيها ولا تؤمنون ولقد جئتمونا
للحساب والجزاء فرادى منفردين عن الأموال والأولاد وسائر ما آثرتموه من الدنيا أو عن الأعوان
والأوثان التي زعمتم أنها شفعاؤكم وهو جمع فرد والألف للتأنيث ككسالى وقرئ فرادا كرخال وفراد كثلاث
وفردى كسكرى كما خلقناكم أول مرة بدل منه أي على الهيئة التي ولدتم عليها في الانفراد أو حال ثان
إن جوز التعدد فيها أو حال من الضمير في فرادى أي مشبهين ابتداء خلقكم عراة حفاة غرلا بهما أو صفة مصدر جئتمونا
أي مجيئا كخلقنا لكم وتركتم ما خولناكم ما تفضلنا به عليكم في الدنيا فشغلتم به عن الآخرة
وراء ظهوركم ما قدمتم منه شيئا ولم تحتملوا نقيرا وما نرى معكم شفعاء

كم

الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء أي شركاء لله في ربوبيتكم واستحقاق عبادتكم لقد
تقطع بينكم أي تقطع وصلكم وتشتت جمعكم والبين من الأضداد يستعمل للفصل والوصل وقيل هو الظرف
أسند إليه الفعل على الاتساع والمعنى وقع التقطع بينكم ويشهد له قراءة نافع والكسائي وحفص عن عاصم بالنصب على
إضمار الفاعل لدلالة ما قبله عليه أو أقيم مقام موصوفه وأصله لقد تقطع ما بينكم وقد قرئ به وضل
عنكم بطل وضاع ما كنتم تزعمون أنها شفعاؤكم أو أن لا بعث ولا جزاء إن الله

فالق الحب والنوى بالنبات والشجر وقيل المراد به الشقاق الذي في الحنطة والنواة يخرج
الحي يريد به ما ينمو من الحيوان والنبات ليطابق ما قبله من الميت مما لا ينمو كالنطف والحب
ومخرج الميت من الحي ومخرج ذلك من الحيوان والنبات ذكره بلفظ الاسم حملا على فالق
الحب فان قوله يخرج الحي واقع موقع البيان له ذلكم الله اي ذلكم المحيي المميت هو الذي يحق
له العبادة فانى تؤفكون تصرفون عنه الى غيره فالق الاصباح شاق عمود الصبح عن ظلمة الليل
او عن بياض النهار او شاق ظلمة الاصباح وهو الغبش الذي يليه والاصباح في الاصل مصدر اصبح اذا دخل
في الصباح سمي به الصبح وقرئ بفتح الهمزة على الجمع وقرئ فالق بالنصب على المدح وجاعل الليل
سكنا يسكن اليه التعب بالنهار لاستراحته فيه من سكن اليه اذا اطمأن اليه استيناسا به او يسكن
فيه الخلق من قوله لتسكنوا فيه ونصبه بفعل دل عليه جاعل لا به فانه في معنى الماضي ويدل
عليه قراءة الكوفيين وجعل الليل حملا على معنى المعطوف عليه فان فالق بمعنى فلق ولذلك قرئ به او به على ان
المراد منه جعل مستمر في الازمنة المختلفة وعلى هذا يجوز ان يكون والشمس والقمر عطفا على محل الليل و
يشهد له قراءتهما بالجر والاحسن نصبهما بجعل مقدرا وقرئ بالرفع على الابتداء والخبر محذوف اي مجعولان حسبانا
اي على ادوار مختلفة يحسب بهما الاوقات ويكونان علمي الحساب وهو مصدر حسب بالفتح كما ان الحسبان
بالكسر مصدر حسب وقيل جمع حساب كشهاب وشهبان ذلك اشارة الى جعلهما حسبانا اي
ذلك التسيير بالحساب المعلوم تقدير العزيز الذي قهرهما وسيرهما على الوجه المخصوص العليم
بتدبيرهما والانفع من التداوير الممكنة لهما وهو الذي جعل لكم النجوم خلقها لكم لتهتدوا
بها في ظلمات البر والبحر في ظلمات الليل في البر والبحر واضافتها اليهما للملابسة او في
مشتبهات الطرق وسماها ظلمات على الاستعارة وهو افراد لبعض منافعها بالذكر بعدما اجملها بقوله لكم قد
فصلنا الايات بيناها فصلا فصلا لقوم يعلمون فانهم المنتفعون به وهو
الذي انشاكم من نفس واحدة وهو آدم فمستقر ومستودع اي
فلكم استقرار في الاصلاب او فوق الارض واستيداع في الارحام او تحت الارض او موضع استقرار واستيداع
وقرأ ابن كثير والبصريان بكسر القاف على انه اسم فاعل والمستودع مفعول اي فمنكم قار ومنكم مستودع لان الاستقرار
منا دون الاستيداع قد فصلنا الايات لقوم يفقهون ذكر مع ذكر النجوم يعلمون لان امرها
ظاهر ومع ذكر تخليق بني آدم يفقهون لان انشاءهم من نفس واحدة وتصريفهم بين احوال مختلفة دقيق غامض يحتاج
الى استعمال فطنة وتدقيق نظر وهو الذي انزل من السماء ماء من السحاب او من جانب السماء

فاخرجنا به على تلوين الخطاب بالماء نبات كل شيء نبت كل صنف من النبات والمعنى
اظهار القدرة في انبات الانواع المفننة بماء واحد كما في قوله تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل
فاخرجنا منه من النبات او الماء خضرا شيئا اخضر يقال اخضر وخضر كاعور وعور و
هو الخارج من الحبة المتشعب نخرج منه من الخضر حبا متراكبا وهو السنبل ومن
النخل من طلعها قنوان اي واخرجنا من النخل نخلا من طلعها قنوان او من النخل شيء من
طلعها قنوان ويجوز ان يكون من النخل خبر قنوان ومن طلعها بدل منه والمعنى وحاصلة من طلع النخل قنوان وهو الاعذاق
جمع قنو كصنوان جمع صنو وقرئ بضم القاف كذئب وذؤبان وبفتحها على انه اسم جمع اذ ليس فعلان
من ابنية الجمع دانية قريبة من المتناول او ملتفة قريب بعضها من بعض وانما اقتصر على ذكرها عن مقابلها لدلالتها
عليه وزيادة النعمة فيها وجنات من اعناب عطف على نبات كل شيء وقرئ بالرفع
على الابتداء اي ولكم او ثم جنات او من الكرم جنات ولا يجوز عطفه على قنوان اذ العنب لا يخرج من النخل
والزيتون والرمان ايضا عطف على نبات او نصب على الاختصاص لعزة هذين الصنفين عندهم
مشتبها وغير متشابه حال من الرمان او من الجميع اي بعض ذلك متشابه وبعضه غير
متشابه في الهيئة واللون والقدر والطعم انظروا الى ثمره اي ثمر كل واحد من ذلك وقرأ حمزة
والكسائي بضم الثاء والميم وهو جمع ثمرة كخشبة وخشب او ثمار ككتاب وكتب اذا اثمر اذا اخرج
ثمره كيف يثمر ضئيلا لا يكاد ينتفع به وينعه والى حال نضجه او الى نضجه كيف يعود ضخما ذا نفع و
لذة وهو في الاصل مصدر ينعت الثمرة اذا ادركت وقيل جمع يانع كتاجر وتجر وقرئ بالضم وهو لغة
فيه ويانعه ان في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون اي لآيات على وجود القادر الحكيم وتوحيده
فان حدوث الاجناس المختلفة والانواع المفننة من اصل واحد ونقلها من حال الى حال لا يكون الا باحداث قادر
يعلم تفاصيلها ويرجح ما تقتضيه حكمته مما يمكن من احوالها ولا يعوقه عن فعله ند يعارضه او ضد يعانده و
لذلك عقبه بتوبيخ من اشرك به والرد عليه فقال وجعلوا لله شركاء الجن اي الملائكة
بان عبدوهم وقالوا الملائكة بنات الله وسماهم جنا لاجتنانهم تحقيرا لشأنهم او الشياطين لانهم اطاعوهم
كما يطاع الله او عبدوا الاوثان بتسويلهم وتحريضهم او قالوا الله خالق الخير وكل نافع والشيطان خالق الشر
وكل ضار كما هو رأي الثنوية ومفعولا جعلوا لله شركاء والجن بدل من شركاء او شركاء الجن ولله متعلق بشركاء او حال
وقرئ الجن بالرفع كانه قيل من هم فقيل الجن وبالجر على الاضافة للتبيين وخلقهم حال بتقدير قد والمعنى و
قد علموا ان الله خالقهم دون الجن وليس من يخلق كمن لا يخلق وقرئ وخلقهم عطفا على الجن اي وما يخلقونه من الاصنام او

علم شركاء اي وجعلوا له خلاقهم للافك حيث نسبوا اليه وخرقوا له افتعلوا وافتروا له وقرأ نافع
بتشديد الراء للتكثير وقرئ وحرفوا اي زوّروا بنين وبنات فقالت اليهود عزير ابن الله و
قالت النصارى المسيح ابن الله وقالت العرب الملائكة بنات الله بغير علم من غير ان يعلموا حقيقة ما
قالوا ويروا عليه دليلا وهو في موضع الحال من الواو او المصدر اي خرقا بغير علم سبحانه وتعالى
عما يصفون وهو ان له شريكا او ولدا بديع السموات والارض من اضافة الصفة
المشبهة الى فاعلها او الى الظرف كقولهم ثبت الغدر بمعنى انه عديم النظير فيهما وقيل معناه المبدع وقد سبق
الكلام فيه ورفعه على الخبر والمبتدأ محذوف او على الابتداء وخبره انى يكون له ولد اي من
اين او كيف له ولد ولم تكن له صاحبة يكون منها الولد وقرئ بالياء للفصل او
لان الاسم ضمير الله او ضمير الشأن وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم لا يخفى عليه
خافية وانما لم يقل به لتطرق التخصيص الى الاول وفي الاية استدلال على نفي الولد من وجوه الاول انه من مبدعاته
السموات والارض وهي مع انها من جنس ما يوصف بالولادة مبرأة عنها لاستمرارها وطول مدتها فهو اولى بان
يتعالى عنها او ان ولد الشيء نظيره ولا نظير له فلا ولد له والثاني ان المعقول من الولد ما يتولد من ذكر وانثى
متجانسين والله تعالى منزه عن المجانسة والثالث ان الولد كفو الوالد ولا كفو له لوجهين الاول ان كل ما عداه
مخلوقه فلا يكافيه والثاني انه لذاته عالم بكل المعلومات ولا كذلك غيره بالاجماع ذلكم اشارة الى
الموصوف بما سبق من الصفات وهو مبتدأ الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شيء
اخبار مترادفة ويجوز ان يكون البعض بدلا او صفة والبعض خبرا فاعبدوه حكم مسبب عن مضمونها
فان من استجمع هذه الصفات استحق العبادة وهو على كل شيء وكيل اي وهو مع تلك
الصفات متولي اموركم فكلوها اليه وتوسلوا بعبادته الى انجاح مآربكم ورقيب على اعمالكم فيجازيكم عليها
لا تدركه لا تحيط به الابصار جمع بصر وهي حاسة النظر وقد يقال للعين من حيث انها
محلها واستدل به المعتزلة على امتناع الرؤية وهو ضعيف لانه ليس الادراك مطلق الرؤية ولا النفي في الاية
عاما في الاوقات فلعله مخصوص ببعض الحالات ولا في الاشخاص فانه في قوة قولنا لا كل بصر يدركه مع ان النفي
لا يوجب الامتناع وهو يدرك الابصار يحيط علمه بها وهو اللطيف
الخبير فيدرك ما لا يدركه الابصار كالابصار ويجوز ان يكون من باب اللف اي لا تدركه الابصار
لانه اللطيف وهو يدرك الابصار لانه الخبير فيكون اللطيف مستعارا من مقابل الكثيف لما لا يدرك
بالحاسة ولا ينطبع فيها قد جاءكم بصائر من ربكم البصائر جمع بصيرة وهي للنفس كالبصر

للبدن سميت بها الدلالة لانها تجلي لها الحق وتبصرها فمن ابصر اي ابصر الحق وآمن به فلنفسه
ابصر لان نفعه لها ومن عمي عن الحق وضل فعليها وباله وما انا عليكم بحفيظ
وانما انا منذر والله هو الحفيظ عليكم يحفظ اعمالكم ويجازيكم عليها وهذا كلام ورد على لسان الرسول و
كذلك نصرف الآيات مثل ذلك التصريف نصرف وهو اجراء المعنى الدائر
في المعاني المتعاقبة من الصرف وهو نقل الشيء من حال الى حال وليقولوا درست اي و
ليقولوا درست صرفنا واللام لام العاقبة والدرس القراءة والتعلم وقرأ ابن كثير وابو عمرو دارست اي
دارست اهل الكتاب وذاكرتهم وابن عامر ويعقوب درست من الدروس اي قدمت هذه الآيات
وعفت كقولهم اساطير الاولين وقرئ درُست بضم الراء مبالغة في درست ودُرِست على البناء للمفعول بمعنى
قرئت او عفيت ودارست بمعنى درست او دارست اليهود محمدا وجاز اضمارهم بلا ذكر لشهرتهم بالدراسة
ودرسن اي عفون ودرس اي درس محمد ودارسات اي قديمات او ذات درس كقولهم عيشة راضية و
لنبينه اللام على اصله لان التبيين مقصود التصريف والضمير للآيات باعتبار المعنى او القرآن وان لم يذكر لكونه
معلوما او للمصدر لقوم يعلمون فانهم المنتفعون به اتبع ما اوحي اليك من ربك
بالتدين به لا اله الا هو اعتراض اكد به ايجاب الاتباع او حال مؤكدة من ربك بمعنى منفردا في
الالوهية واعرض عن المشركين ولا تحتفل باقوالهم ولا تلتفت الى آرائهم ومن جعله منسوخا بآية
السيف حمل الاعراض على ما يعم الكف عنهم ولو شاء الله توحيدهم وعدم اشراكهم ما اشركوا
وهو دليل على انه تعالى لا يريد ايمان الكافر وان مراده واجب الوقوع وما جعلناك عليهم
حفيظا رقيبا وما انت عليهم بوكيل تقوم بامورهم ولا تسبوا
الذين يدعون من دون الله اي ولا تذكروا آلهتهم التي يعبدونها بما فيها من القبائح فيسبوا
الله عدوا تجاوزا عن الحق الى الباطل بغير علم على جهالة بالله وبما يجب ان يذكر به وقرأ
يعقوب عُدُوّا يقال عدا فلان عَدْوا وعُدُوّا وعُدوانا روي انه عليه السلام كان يطعن في آلهتهم فقالوا لتنتهين عن سب
آلهتنا او لنهجون الهك فنزلت وقيل كان المسلمون يسبونها فنهوا لئلا يكون سبهم سببا لسب الله وفيه دليل
على ان الطاعة اذا ادت الى معصية راجحة وجب تركها فان ما يؤدي الى الشر شر كذلك
زينا لكل امة عملهم من الخير والشر باحداث ما يمكنهم منه ويحملهم عليه توفيقا و
تخذيلا ويجوز تخصيص العمل بالشر وكل امة بالكفرة لان الكلام فيهم والمشبه به تزيين سب الله لهم ثم الى
ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون بالمحاسبة والمجازاة عليه و

وأقسموا بالله جهد أيمانهم مصدر في موضع الحال والداعي لهم إلى هذا القسم والتأكيد
فيه التحكم على الرسول في طلب الآيات واستحقار ما رأوا منها لئن جاءتهم آية من مقترحاتهم
ليؤمنن بها قل إنما الآيات عند الله هو قادر عليها يظهر منها ما يشاء وليس شيء
منها بقدرتي وإرادتي وما يشعركم وما يدريكم استفهام إنكار أنها أي الآية المقترحة إذا
جاءت لا يؤمنون أي لا تدرون أنهم لا يؤمنون أنكر السبب مبالغة في نفي المسبب وفيه تنبيه على أنه
تعالى إنما لم ينزلها لعلمه بأنها إذا جاءت لا يؤمنون بها وقيل لا مزيدة وقيل أن بمعنى لعل إذ قرئ لعلها وقرأ
ابن كثير وأبو عمرو وأبو بكر عن عاصم ويعقوب إنها بالكسر كأنه قال وما يشعركم ما يكون منهم ثم أخبرهم بما علم منهم
والخطاب للمؤمنين فإنهم يتمنون مجيء الآية طمعا في إيمانهم فنزلت وقيل للمشركين إذ قرأ ابن عامر وحمزة
لا تؤمنون بالتاء وقرئ وما يشعرهم أنها إذا جاءتهم فيكون إنكارا لهم على حلفهم أي ما يشعرهم أن قلوبهم حينئذ لم تكن
مطبوعة كما كانت عند نزول القرآن وغيره من الآيات فيؤمنون بها ونقلب أفئدتهم
وأبصارهم عطف على لا يؤمنون أي وما يشعركم أنا حينئذ نقلب أفئدتهم عن الحق فلا يفقهونه وأبصارهم
فلا يبصرونه فلا يؤمنون بها كما لم يؤمنوا به أي بما أنزل من الآيات أول مرة و
نذرهم في طغيانهم يعمهون ندعهم متحيرين لا نهديهم هداية المؤمنين وقرئ ويقلب
ويذرهم على الغيبة وتقلب على البناء للمفعول والإسناد إلى الأفئدة ولو أننا نزلنا إليهم
الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا
كما اقترحوا فقالوا لولا أنزل علينا الملائكة فأتوا بآبائنا أو تأتي بالله والملائكة قبيلا وقبلا جمع قبيل بمعنى
كفيل أي كفلاء بما بشروا به وأنذروا أو جمع قبيل الذي هو جمع قبيلة بمعنى جماعات أو مصدر بمعنى مقابلة كقبلا
وهو قراءة ابن عامر ونافع وهو على الوجوه حال من كل وإنما جاز ذلك لعمومه ما كانوا
ليؤمنوا لما سبق عليهم القضاء بالكفر إلا أن يشاء الله استثناء من أعم الأحوال أي لا يؤمنون في
حال إلا حال مشيئة الله إيمانهم وقيل منقطع وهو حجة واضحة على المعتزلة ولكن أكثرهم
يجهلون أنهم لو أوتوا بكل آية لم يؤمنوا فيقسمون بالله جهد أيمانهم على ما لا يشعرون ولذلك أسند
الجهل إلى أكثرهم مع أن مطلق الجهل يعمهم أو ولكن أكثر المسلمين يجهلون أنهم لا يؤمنون فيتمنون نزول الآية طمعا في
إيمانهم وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا أي كما جعلنا لك عدوا
جعلنا لكل نبي سبقك عدوا وهو دليل على أن عداوة الكفرة للأنبياء بفعل الله وخلقه شياطين
الإنس والجن مردة الفريقين وهو بدل من عدوا أو أول مفعولي جعلنا وعدوا مفعوله الثاني ولكل

متعلق به أو حال منه يوحي بعضهم إلى بعض يوسوس شياطين الجن إلى شياطين الإنس أو بعض الجن إلى بعض
وبعض الإنس إلى بعض زخرف القول الأباطيل المموهة من زخرفه إذا زينه غرورا مفعول له
أو مصدر في موقع الحال ولو شاء ربك إيمانهم ما فعلوه أي ما فعلوا ذلك يعني معاداة الأنبياء
وإيحاء الزخارف ويجوز أن يكون الضمير للإيحاء أو الزخرف أو الغرور وهو أيضا دليل على المعتزلة فذرهم وما
يفترون وكفرهم ولتصغى إليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة عطف على
غرورا إن جعل علة أو متعلق بمحذوف أي وليكون ذلك جعلنا لكل نبي عدوا والمعتزلة لما اضطروا فيه قالوا اللام لام العاقبة
أو لام القسم كسرت لما لم يؤكد الفعل بالنون أو لام الأمر وضعفه ظاهر والصغو الميل والضمير لما له الضمير في فعلوه و
ليرضوه لأنفسهم وليقترفوا وليكتسبوا ما هم مقترفون من الآثام أفغير الله
أبتغي حكما على إرادة القول أي قل لهم يا محمد أفغير الله أطلب من يحكم بيني وبينكم ويفصل المحق منا من
المبطل وغير مفعول أبتغي وحكما حال منه ويحتمل عكسه وحكما أبلغ من حاكم ولذلك لا يوصف به غير العادل و
هو الذي أنزل إليكم الكتاب القرآن المعجز مفصلا مبينا فيه الحق والباطل بحيث
ينفي التخليط والالتباس وفيه تنبيه على أن القرآن بإعجازه وتقريره مغن عن سائر الآيات والذين آتيناهم الكتاب
يعلمون أنه منزل من ربك بالحق تأييد لدلالة الإعجاز على أن القرآن حق منزل من عند الله
يعلم أهل الكتاب به لتصديقه ما عندهم مع أنه عليه السلام لم يمارس كتبهم ولم يخالط علماءهم وإنما وصف جميعهم بالعلم
لأن أكثرهم يعلمون ومن لم يعلم فهو متمكن منه بأدنى تأمل وقيل المراد مؤمنو أهل الكتاب وقرأ ابن عامر وحفص منزل بالتشديد
فلا تكونن من الممترين في أنهم يعلمون ذلك أو في أنه منزل لجحود أكثرهم وكفرهم به فيكون من باب التهييج
كقوله فلا تكونن من المشركين أو خطاب الرسول خطاب للأمة وقيل الخطاب لكل أحد على معنى أن الأدلة
لما تعاضدت على صحته فلا ينبغي لأحد أن يمتري فيه وتمت كلمة ربك بلغت الغاية أخباره
وأحكامه ومواعيده صدقا في الأخبار والمواعيد وعدلا في الأقضية والأحكام ونصبهما يحتمل التمييز و
الحال والمفعول له لا مبدل لكلماته لا أحد يبدل شيئا منها بما هو أصدق وأعدل أو لا أحد
يقدر أن يحرفها شائعا ذائعا كما فعل بالتوراة على أن المراد بها القرآن فيكون ضمانا لها من الله بالحفظ كقوله وإنا
له لحافظون أو لا نبي ولا كتاب بعدها ينسخها ويبدل أحكامها وقرأ الكوفيون ويعقوب كلمة ربك أي ما
تكلم به أو القرآن وهو السميع لما يقولون العليم بما يضمرون فلا يهملهم وإن تطع
أكثر من في الأرض أي أكثر الناس يريد الكفار أو الجهال أو اتباع الهوى وقيل الأرض أرض مكة
يضلوك عن سبيل الله عن الطريق الموصل إليه فإن الضال في غالب الأمر لا يأمر إلا بما فيه

ضلال إن يتبعون إلا الظن وهو ظنهم أن آباءهم كانوا على الحق أو جهالاتهم وآراؤهم الفاسدة فإن الظن
يطلق على ما يقابل العلم وإن هم إلا يخرصون يكذبون على الله فيما ينسبون إليه كاتخاذ الولد وجعل
عبادة الأوثان وصلة إليه وتحليل الميتة وتحريم البحائر أو يقدرون أنهم على شيء وحقيقته ما يقال عن ظن وتخمين إن
ربك هو أعلم من يضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين أي أعلم
بالفريقين ومن موصولة أو موصوفة في محل النصب بفعل دل عليه أعلم لا به فإن أفعل لا ينصب الظاهر في مثل ذلك
أو استفهامية مرفوعة بالابتداء والخبر يضل والجملة معلق عنها الفعل المقدر وقرئ من يضل أي يضله الله فتكون من منصوبة
بالفعل المقدر أو مجرورة بإضافة أعلم إليه أي أعلم المضلين من قوله من يضلل الله أو من أضللته إذا وجدته ضالا و
التفضيل في العلم بكثرته وإحاطته بالوجوه التي يمكن تعلق العلم بها ولزومه وكونه بالذات لا بالغير فكلوا
مما ذكر اسم الله عليه مسبب عن إنكار اتباع المضلين الذين يحرمون الحلال ويحللون
الحرام والمعنى كلوا مما ذكر اسم الله على ذبحه لا مما ذكر عليه اسم غيره أو مات حتف أنفه إن كنتم
بآياته مؤمنين فإن الإيمان بها يقتضي استباحة ما أحل الله واجتناب ما حرمه وما
لكم ألا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه أي وأي غرض لكم في أن تتحرجوا عن
أكله وما يمنعكم عنه وقد فصل لكم ما حرم عليكم مما لم يحرم بقوله حرمت عليكم
الميتة وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر فصل على البناء للمفعول ونافع ويعقوب وحفص حرم على البناء للفاعل إلا
ما اضطررتم إليه مما حرم عليكم فإنه أيضا حلال حال الضرورة وإن كثيرا ليضلون
بتحليل الحرام وتحريم الحلال وقرأ الكوفيون بضم الياء والباقون بالفتح بأهوائهم بغير علم
بتشهيهم من غير تعلق بدليل يفيد العلم إن ربك هو أعلم بالمعتدين المتجاوزين الحق إلى الباطل والحلال
إلى الحرام وذروا ظاهر الإثم وباطنه ما يعلن وما يسر أو ما بالجوارح وما بالقلب وقيل الزنا
في الحوانيت واتخاذ الأخدان إن الذين يكسبون الإثم سيجزون بما
كانوا يقترفون يكسبون ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه
ظاهر في تحريم متروك التسمية عمدا أو نسيانا وإليه ذهب داود وعن أحمد مثله وقال مالك والشافعي بخلافه لقوله عليه السلام
ذبيحة المسلم حلال وإن لم يذكر اسم الله عليه وفرق أبو حنيفة بين العمد والنسيان وأوله بالميتة أو بما ذكر غير اسم الله
عليه لقوله وإنه لفسق فإن الفسق ما أهل لغير الله به والضمير لما ويجوز أن يكون للأكل الذي دل عليه لا تأكلوا
وإن الشياطين ليوحون ليوسوسون إلى أوليائهم من الكفار ليجادلوكم بقولهم
تأكلون ما قتلتم أنتم وجوارحكم وتدعون ما قتله الله وهو يؤيد التأويل بالميتة وإن أطعتموهم في استحلال

ما حرم إنكم لمشركون فإن من ترك طاعة الله إلى طاعة غيره واتبعه في دينه فقد أشرك وإنما حسن حذف
الفاء فيه لأن الشرط بلفظ الماضي أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا
يمشي به في الناس مثل به من هداه الله وأنقذه من الضلال وجعل له نور الحجج والآيات يتأمل بها في الأشياء فيميز
بين الحق والباطل والمحق والمبطل وقرأ نافع ويعقوب ميّتا على الأصل كمن مثله صفته وهو مبتدأ خبره
في الظلمات وقوله ليس بخارج منها حال من المستكن في الظرف لا من الهاء في مثله للفصل وهو مثل
لمن بقي على الضلالة لا يفارقها بحال كذلك كما زين للمؤمنين إيمانهم زين للكافرين ما
كانوا يعملون والآية نزلت في حمزة وأبي جهل وقيل في عمر أو عمار وأبي جهل وكذلك
جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها أي كما جعلنا في مكة أكابر
مجرميها ليمكروا فيها جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها وجعلنا بمعنى صيرنا ومفعولاه أكابر مجرميها ليمكروا فيها
على تقديم المفعول الثاني أو في كل قرية أكابر ومجرميها بدل ويجوز أن يكون مضافا إليه إن فسر الجعل بالتمكين وأفعل التفضيل
إذا أضيف جاز فيه الإفراد والمطابقة ولذلك قرئ أكبر مجرميها وتخصيص الأكابر لأنهم أقوى على استتباع الناس
والمكر بهم وما يمكرون إلا بأنفسهم لأن وباله يحيق بهم وما يشعرون ذلك
وإذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل الله
يعني كفار قريش لما روي أن أبا جهل قال زاحمنا بني عبد مناف في الشرف حتى إذا صرنا كفرسي رهان قالوا منا نبي يوحى إليه
والله لا نرضى به إلا أن يأتينا وحي كما يأتيه فقال الله أعلم حيث يجعل رسالاته
استئناف للرد عليهم بأن النبوة ليست بالنسب والمال وإنما هي بفضائل نفسانية يخص الله بها من يشاء من
عباده فيجتبي لرسالته من علم أنه يصلح لها وهو أعلم بالمكان الذي يضعها فيه وقرأ ابن كثير وحفص عن عاصم رسالته
سيصيب الذين أجرموا صغار ذل وحقارة بعد كبرهم عند الله يوم القيامة
وقيل تقديره من عند الله وعذاب شديد بما كانوا يمكرون بسبب
مكرهم أو جزاء على مكرهم فمن يرد الله أن يهديه يعرفه طريق الحق ويوفقه للإيمان يشرح
صدره للإسلام فيتسع له ويفسح فيه مجاله وهو كناية عن جعل النفس قابلة للحق مهيأة لحلوله
فيها مصفاة عما يمنعه وينافيه وإليه أشار عليه السلام حين سئل عنه فقال نور يقذفه الله في قلب المؤمن فينشرح له وينفسح
فقالوا هل لذلك أمارة يعرف بها فقال نعم الإنابة إلى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت
قبل نزوله ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا بحيث ينبو عن
قبول الحق فلا يدخله الإيمان وقرأ ابن كثير ضيقا بالتخفيف ونافع وأبو بكر عن عاصم حرجا بالكسر أي شديد الضيق والباقون

بالفتح وصفا بالمصدر كأنما يصعد في السماء شبهه مبالغة في ضيق صدره بمن يزاول ما لا يقدر
عليه فإن صعود السماء مثل فيما يبعد عن الاستطاعة ونبه على أن الإيمان يمتنع عنه كما يمتنع عنه الصعود وقيل معناه
كأنما يتصاعد إلى السماء نبوا عن الحق وتباعدا في الهرب منه وأصله يتصعد وقد قرئ به وقرأ ابن كثير يصعد و
أبو بكر عن عاصم يصاعد بمعنى يتصاعد كذلك أي كما يضيق صدره ويبعد قلبه عن الحق يجعل الله
الرجس على الذين لا يؤمنون يجعل العذاب والخذلان عليهم فوضع الظاهر موضع المضمر للتعليل
وهذا إشارة إلى البيان الذي جاء به القرآن أو إلى الإسلام أو إلى ما سبق من التوفيق والخذلان صراط
ربك الطريق الذي ارتضاه أو عادته وطريقه الذي اقتضته حكمته مستقيما لا عوج فيه أو عادلا
مطردا وهو حال مؤكدة كقوله وهو الحق مصدقا أو مقيدة والعامل فيها معنى الإشارة قد فصلنا الآيات
لقوم يذكرون فيعلمون أن القادر هو الله وأن كل ما يحدث من خير أو شر فهو بقضائه وخلقه وأنه عالم
بأحوال العباد حكيم عادل فيما يفعل بهم لهم دار السلام دار الله أضاف الجنة إلى نفسه تعظيما
لها أو دار السلامة من المكاره أو دار تحيتهم فيها سلام عند ربهم في ضمانه أو ذخيرة لهم عنده لا
يعلم كنهها غيره وهو وليهم مواليهم أو ناصرهم بما كانوا يعملون بسبب أعمالهم أو
متوليهم بجزائها فيتولى إيصاله إليهم ويوم نحشرهم جميعا نصب بإضمار اذكر أو نقول و
الضمير لمن يحشر من الثقلين وقرأ حفص عن عاصم وروح عن يعقوب بالياء يا معشر الجن يعني الشياطين
قد استكثرتم من الإنس أي من إغوائهم وإضلالهم أو منهم بأن جعلتموهم أتباعكم فحشروا معكم
كقولهم استكثر الأمير من الجنود وقال أولياؤهم من الإنس الذين أطاعوهم ربنا
استمتع بعضنا ببعض أي انتفع الإنس بالجن بأن دلوهم على الشهوات وما يتوصل به إليها والجن
بالإنس بأن أطاعوهم وحصلوا مرادهم وقيل استمتاع الإنس بهم أنهم كانوا يعوذون بهم في المفاوز وعند
المخاوف واستمتاعهم بالإنس اعترافهم بأنهم يقدرون على إجارتهم وبلغنا أجلنا الذي أجلت
لنا أي البعث وهو اعتراف بما فعلوا من طاعة الشيطان واتباع الهوى وتكذيب البعث وتحسر على حالهم
قال النار مثواكم منزلكم أو ذات مثواكم خالدين فيها حال والعامل فيها مثواكم إن جعل
مصدرا ومعنى الإضافة إن جعل مكانا إلا ما شاء الله إلا الأوقات التي ينقلون فيها من النار
إلى الزمهرير وقيل إلا ما شاء قبل الدخول كأنه قيل النار مثواكم أبدا إلا ما أمهلكم إن ربك حكيم
في أفعاله عليم بأعمال الثقلين وأحوالهم وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا
نكل بعضهم إلى بعض أو نجعل بعضهم يتولى بعضا فيغويهم أو أولياء بعض وقرناءهم في العذاب كما كانوا

في الدنيا

في الدنيا بما كانوا يكسبون من الكفر والمعاصي يا معشر الجن والإنس
ألم يأتكم رسل منكم الرسل من الإنس خاصة لكن لما جمعوا مع الجن في الخطاب صح ذلك
ونظيره يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان والمرجان يخرج من الملح دون العذب وتعلق بظاهره قوم وقالوا بعث إلى
كل من الثقلين رسل من جنسهم وقيل الرسل من الجن رسل الرسل إليهم لقوله ولوا إلى قومهم منذرين يقصون
عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا يعني يوم القيامة قالوا جوابا شهدنا
على أنفسنا بالجرم والعصيان وهو اعتراف منهم بالكفر واستيجاب العذاب وغرتهم
الحيوة الدنيا وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين ذم لهم
على سوء نظرهم وخطأ رأيهم فإنهم اغتروا بالحياة الدنيوية واللذات المخدجة وأعرضوا عن الآخرة بالكلية
حتى كان عاقبة أمرهم أن اضطروا إلى الشهادة على أنفسهم بالكفر والاستسلام للعذاب المخلد تحذيرا للسامعين من مثل
حالهم ذلك إشارة إلى إرسال الرسل وهو خبر مبتدأ محذوف أي الأمر ذلك أن لم يكن
ربك مهلك القرى بظلم وأهلها غافلون تعليل للحكم وأن مصدرية
أو مخففة من الثقيلة أي الأمر ذلك لانتفاء كون ربك أو لأن الشأن لم يكن ربك مهلك القرى بسبب ظلم
فعلوه أو ملتبسين بظلم أو ظالما وهم غافلون لم ينبهوا برسول أو بدلا من ذلك ولكل من المكلفين
درجات مراتب مما عملوا من أعمالهم أو من جزائها أو من أجلها وما ربك بغافل
عما يعملون فيخفى عليه عمل أو قدر ما يستحق به من ثواب أو عقاب وقرأ ابن عامر بالتاء على تغليب الخطاب
على الغيبة وربك الغني عن العباد والعبادة ذو الرحمة يترحم عليهم بالتكليف تكميلا لهم
ويمهلهم على المعاصي وفيه تنبيه على أن ما سبق ذكره من الإرسال ليس لنفعه بل لترحمه على العباد وتأسيس لما بعده
وهو قوله إن يشأ يذهبكم أي ما به إليكم حاجة إن يشأ يذهبكم أيها العصاة ويستخلف
من بعدكم ما يشاء من الخلق كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين
أي قرنا بعد قرن لكنه أبقاكم ترحما عليكم إنما توعدون من البعث وأحواله لآت لكائن لا محالة
وما أنتم بمعجزين طالبكم به قل يا قوم اعملوا على مكانتكم على غاية تمكنكم
واستطاعتكم يقال مكن مكانة إذا تمكن أبلغ التمكن أو على ناحيتكم وجهتكم التي أنتم عليها من قولهم مكان ومكانة
كمقام ومقامة وقرأ أبو بكر عن عاصم مكاناتكم بالجمع في كل القرآن وهو أمر تهديد والمعنى اثبتوا على كفركم وعداوتكم
إني عامل ما كنت عليه من المصابرة والثبات على الإسلام والتهديد بصيغة الأمر مبالغة في الوعيد
كأن المهدد يريد تعذيبه مجمعا عليه فيحمله بالأمر على ما يفضي إليه وتسجيل بأن المهدد لا يأتي إلا بالشر كالمأمور به الذي

لا يعدل عنه فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار من موصولة او استفهامية
بمعنى اينا تكون له العاقبة الحسنى التي خلق الله لها هذه الدار ومحلها الرفع وفعل العلم معلق عنه وان جعلت خبرية
فالنصب بتعلمون اي فسوف تعرفون الذي تكون له عاقبة الدار وفيه مع الانذار انصاف في المقال وحسن الادب
وتنبيه على وثوق المنذر بانه محق وقرا حمزة والكسائي يكون بالياء لان تانيث العاقبة غير حقيقي انه لا يفلح
الظالمون وضع الظالمين موضع الكافرين لانه اعم واكثر فائدة وجعلوا اي مشركو العرب
لله مما ذرأ خلق من الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله
بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله و
ما كان لله فهو يصل الى شركائهم روي انهم كانوا يعينون شيئا من حرث
ونتاج لله ويصرفونه الى الضيفان والمساكين وشيئا منها لآلهتهم وينفقونه على سدنتها ويذبحون عندها
ثم ان راوا ما عينوا لله ازكى بدلوه بما لآلهتهم وان راوا ما لآلهتهم ازكى تركوه لها حبا لآلهتهم
وفي قوله مما ذرأ تنبيه على فرط جهالتهم فانهم اشركوا الخالق في خلقه جمادا لا يقدر على شيء ثم رجحوه عليه بان
جعلوا الزاكي له وفي قوله بزعمهم تنبيه على ان ذلك مما اخترعوه لم يامرهم الله به وقرا الكسائي بالضم في الموضعين
وهو لغة فيه وقد جاء فيه الكسر ايضا كالود والود ساء ما يحكمون حكمهم هذا وكذلك
ومثل ذلك التزيين في قسمة القربان زين لكثير من المشركين قتل اولادهم
بالواد ونحرهم لآلهتهم شركاؤهم من الجن او من السدنة وهو فاعل زين وقرا ابن عامر زين على البناء
للمفعول الذي هو القتل ونصب الاولاد وجر الشركاء باضافة القتل اليه مفصولا بينهما بمفعوله وهو ضعيف في العربية معدود
من ضرورات الشعر كقوله فزججتها بمزجة زج القلوص ابي مزادة وقرئ بالبناء للمفعول وجر اولادهم ورفع شركائهم
باضمار فعل دل عليه زين ليردوهم ليهلكوهم بالاغواء وليلبسوا عليهم دينهم وليخلطوا
عليهم ما كانوا عليه من دين اسمعيل او ما وجب عليهم ان يتدينوا به واللام للتعليل ان كان التزيين من الشياطين
وللعاقبة ان كان من السدنة ولو شاء الله ما فعلوه ما فعل المشركون ما زين لهم او الشركاء التزيين
او الفريقان جميع ذلك فذرهم وما يفترون افتراءهم او ما يفترونه من الافك وقالوا
هذه اشارة الى ما جعل لآلهتهم انعام وحرث حجر حرام فعل بمعنى مفعول كالذبح
يستوي فيه الواحد والكثير والذكر والانثى وقرئ حجر بالضم وحرج اي مضيق لا يطعمها الا من نشاء
يعنون خدم الاوثان والرجال دون النساء بزعمهم من غير حجة وانعام حرمت ظهورها
يعني البحائر والسوائب والحوامي وانعام لا يذكرون اسم الله عليها في الذبح وانما

يذكرون اسماء الاصنام عليها وقيل لا يحجون على ظهورها افتراء عليه نصب على المصدر لان ما قالوه
تقول على الله والجار متعلق بقالوا او بمحذوف هو صفة له او على الحال او المفعول له والجار متعلق به او بالمحذوف
سيجزيهم بما كانوا يفترون بسببه او بدله وقالوا ما في بطون هذه
الانعام يعنون اجنة البحائر والسوائب خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا
حلال للذكور خاصة دون الاناث ان ولد حيا لقوله وان يكن ميتة فهم فيه شركاء
فالذكور والاناث فيه سواء وتانيث الخالصة للمعنى فان ما في معنى الاجنة ولذلك وافق عاصم في رواية
ابي بكر ابن عامر في تكن بالتاء وخالفه هو وابن كثير في ميتة فنصب كغيرهم او التاء فيه للمبالغة كما في رواية الشعر او
مصدر كالعافية وقع موقع الخالص وقرئ بالنصب على انه مصدر مؤكد والخبر لذكورنا او حال من الضمير الذي في الظرف
لا الذي في لذكورنا ولا من الذكور لانها لا تتقدم على العامل المعنوي ولا على صاحبها المجرور وقرئ خالص بالرفع وخالصه
بالرفع والاضافة الى الضمير على انه بدل من ما او مبتدا ثان والمراد به ما كان حيا والتذكير في فيه لان المراد بالميتة
ما يعم الذكر والانثى فغلب الذكر سيجزيهم وصفهم اي جزاء وصفهم الكذب على الله في التحريم و
التحليل من قوله وتصف السنتهم الكذب انه حكيم عليم قد خسر الذين
قتلوا اولادهم سفها يريد بهم العرب الذين قتلوا بناتهم مخافة السبي والفقر وقرا ابن كثير و
ابن عامر بالتشديد بمعنى التكثير بغير علم لخفة عقلهم وجهلهم بان الله رازق اولادهم لا هم ويجوز
نصبه على الحال او المصدر وحرموا ما رزقهم الله من البحائر ونحوها افتراء
على الله يحتمل الوجوه المذكورة في مثله قد ضلوا وما كانوا مهتدين الى الحق و
الصواب وهو الذي انشا جنات من الكروم معروشات
مرفوعات على ما يحملها وغير معروشات ملقيات على وجه الارض وقيل المعروشات
ما غرسه الناس فعرشوه وغير معروشات ما نبت في البراري والجبال والنخل والزرع مختلفا
اكله ثمره الذي يؤكل في الهيئة والكيفية والضمير للزرع والباقي مقيس عليه او للنخل والزرع داخل في حكمه لكونه
معطوفا عليه او للجميع على تقدير اكل ذلك او كل واحد منها ومختلفا حال مقدرة لانه لم يكن كذلك عند الانشاء
والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه يتشابه بعض افرادهما في اللون و
الطعم ولا يتشابه بعضها كلوا من ثمره من ثمر كل واحد من ذلك اذا اثمر وان لم يدرك ولم يينع
وقيل فائدته رخصة المالك في الاكل منه قبل اداء حق الله وآتوا حقه يوم حصاده
يريد به ما كان يتصدق به يوم الحصاد لا الزكاة المقدرة لانها فرضت بالمدينة والآية مكية وقيل الزكاة والآية

مدنيه والامر بايتائه يوم الحصاد ليهتم به حتى لا يؤخر عن وقت الاداء وليعلم ان الوجوب بالادراك لا بالتنقيه و
قرأ ابن كثير ونافع وحمزة والكسائي حصاده بكسر الحاء وهو لغة فيه ولا تسرفوا في التصدق كقوله ولا تبسطها
كل البسط انه لا يحب المسرفين لا يرتضي فعلهم ومن الانعام حمولة وفرشا
عطف على جنات اي وانشأ من الانعام ما يحمل الاثقال وما يفرش للذبح او ما يفرش المنسوج من شعره وصوفه
ووبره وقيل الكبار الصالحة للحمل والصغار الدانية من الارض مثل الفرش المفروش عليها كلوا مما رزقكم
الله كلوا ما احل لكم منه ولا تتبعوا خطوات الشيطان في التحليل والتحريم من عند انفسكم
انه لكم عدو مبين ظاهر العداوة ثمانية ازواج بدل من حمولة وفرشا
او مفعول كلوا ولا تتبعوا معترض بينهما او فعل دل عليه او حال من ما بمعنى مختلفة او متعددة والزوج ما معه آخر من جنسه
يزاوجه وقد يقال لمجموعهما والمراد الاول من الضأن اثنين زوجين اثنين الكبش والنعجة وهو بدل من ثمانية
وقرئ اثنان على الابتداء والضأن اسم جنس كالابل وجمعه ضئين او جمع ضائن كتاجر وتجر وقرئ بفتح الهمزة وهو لغة فيه
ومن المعز اثنين اي التيس والعنز وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر ويعقوب بالفتح وهو جمع ماعز كصاحب وصحب
او حارس وحرس وقرئ معزى قل آلذكرين ذكر الضأن وذكر المعز حرم ام
الانثيين ام انثييهما ونصب الذكرين والانثيين بحرم اما اشتملت عليه ارحام
الانثيين او ما حملت اناث الجنسين ذكرا كان او انثى نبئوني بعلم بامر معلوم يدل على ان الله حرم شيئا من
ذلك ان كنتم صادقين في دعوى التحريم عليه ومن الابل اثنين ومن البقر
اثنين قل آلذكرين حرم ام الانثيين اما اشتملت عليه ارحام
الانثيين كما سبق والمعنى انكار ان الله حرم من الاجناس الاربعة ذكرا او انثى او ما تحمل اناثها ردا عليهم فانهم
كانوا يحرمون ذكور الانعام تارة واناثها تارة واولادها كيف كانت تارة زاعمين ان الله حرمها ام كنتم
شهداء بل اكنتم حاضرين مشاهدين اذ وصاكم الله بهذا حين وصاكم بهذا التحريم اذ انتم لا تؤمنون
بنبي فلا طريق لكم الى معرفة امثال ذلك الا المشاهدة والسماع فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا
فنسب اليه تحريم ما لم يحرم والمراد كبراؤهم المقررون لذلك او عمرو بن لحي المؤسس له ليضل الناس بغير
علم ان الله لا يهدي القوم الظالمين قل لا اجد فيما اوحي الي اي في
القرآن او فيما اوحي الي مطلقا وفيه تنبيه على ان التحريم انما يعلم بالوحي لا بالهوى محرما طعاما محرما على
طاعم يطعمه الا ان يكون ميتة الا ان يكون الطعام ميتة وقرأ ابن كثير وحمزة تكون بالتاء لتأنيث
الخبر وقرأ ابن عامر بالتاء ورفع ميتة على ان كان هي التامة وقوله او دما مسفوحا عطف على ان مع ما في

حيزه اي الا وجود ميتة او دما مسفوحا اي مصبوبا كالدم في العروق لا كالكبد والطحال او لحم خنزير فانه
رجس فان الخنزير او لحمه قذر لتعوده اكل النجاسات او خبيث مخبث او فسقا عطف على لحم خنزير وما بينهما
اعتراض للتعليل اهل لغير الله به صفة له موضحة وانما سمي ما ذبح على اسم الصنم فسقا لتوغله في الفسق ويجوز
ان يكون فسقا مفعولا له من اهل وهو عطف على يكون والمستكن فيه راجع الى ما رجع اليه المستكن في يكون فمن اضطر فمن دعته
الضرورة الى تناول شيء من ذلك غير باغ على مضطر مثله ولا عاد قدر الضرورة فان ربك
غفور رحيم لا يؤاخذه والآية محكمة لانها تدل على انه لم يجد فيما اوحي اليه الى تلك الغاية محرما غير هذه وذلك
لا ينافي ورود التحريم في شيء آخر فلا يصح الاستدلال بها على نسخ الكتاب بخبر الواحد ولا على حل الاشياء الاخرى وعلى
الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر كل ما له اصبع كالابل والسباع والطيور وقيل كل
ذي مخلب وحافر وسمي الحافر ظفرا مجازا ولعل المسبب عن الظلم تعميم التحريم ومن البقر والغنم حرمنا
عليهم شحومهما الثروب وشحوم الكلى والاضافة لزيادة الربط الا ما حملت ظهورهما
الا ما علقت بظهورهما او الحوايا او ما اشتمل على الامعاء جمع حاوية او حاوياء كقاصعاء وقواصع او حوية
كسفينة وسفائن وقيل هو عطف على شحومهما واو بمعنى الواو او ما اختلط بعظم هو شحم الالية لاتصالها
بالعصعص ذلك التحريم او الجزاء جزيناهم ببغيهم بسبب ظلمهم وانا لصادقون في الاخبار
او الوعد والوعيد فان كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة يمهلكم على التكذيب
فلا تغتروا بامهاله فانه لا يهمل ولا يرد باسه عن القوم المجرمين حين ينزل او ذو رحمة
واسعة على المطيعين وذو باس شديد على المجرمين فاقام مقامه ولا يرد باسه لتضمنه التنبيه على انزال البأس عليهم مع
الدلالة على انه لاحق بهم لا يمكن رده عنهم سيقول الذين اشركوا اخبار عن مستقبل ووقوع مخبره يدل
على اعجازه لو شاء الله ما اشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء اي لو شاء
خلاف ذلك مشيئة ارتضاء لقوله فلو شاء لهداكم اجمعين لما فعلنا نحن ولا آباؤنا ارادوا بذلك انهم على الحق المشروع
المرضي عند الله لا الاعتذار عن ارتكاب هذه القبائح بارادة الله تعالى اياها منهم حتى ينهض ذمهم به دليلا للمعتزلة ويؤيد
ذلك قوله كذلك كذب الذين من قبلهم اي مثل هذا التكذيب لك في ان الله منع من الشرك
ولم يحرم ما حرموه كذب الذين من قبلهم الرسل وعطف آباؤنا على الضمير في اشركنا من غير تأكيد للفصل بلا حتى
ذاقوا باسنا الذي انزلنا عليهم بتكذيبهم قل هل عندكم من علم من امر معلوم
يصح الاحتجاج به على ما زعمتم فتخرجوه لنا فتظهروه لنا ان تتبعون الا الظن ما تتبعون
في ذلك الا الظن وان انتم الا تخرصون تكذبون على الله وفيه دليل على المنع من اتباع الظن سيما في

الاصول ولعل ذلك حيث يعارضه قاطع اذ الاية فيه قل فلله الحجة البالغة
البينة الواضحة التي بلغت غاية المتانة والقوة على الاثبات او بلغ بها صاحبها صحة دعواه وهي من الحج
بمعنى القصد كانها تقصد اثبات الحكم وتطلبه فلو شاء لهداكم اجمعين بالتوفيق
لها والحمل عليها ولكن شاء هداية قوم وضلالة آخرين قل هلم شهداءكم احضروهم وهو
اسم فعل لا يتصرف عند اهل الحجاز وفعل يؤنث ويجمع عند بني تميم واصله عند البصريين ها لم
من لم اذا قصد حذفت الالف لتقدير السكون في اللام فانه الاصل وعند الكوفيين هل ام فحذفت الهمزة
بالقاء حركتها وهو بعيد لان هل لا تدخل الامر ويكون متعديا كما في الاية ولازما كقوله هلم الينا الذين
يشهدون ان الله حرم هذا يعني قدوتهم فيه استحضرهم ليلزمهم الحجة ويظهر
بانقطاعهم ضلالتهم وانه لا متمسك لهم كمن يقلدهم ولذلك قيد الشهداء بالاضافة ووصفهم بما يقتضي العهد بهم
فان شهدوا فلا تشهد معهم فلا تصدقهم فيه وبين لهم فساده فان تسليمه موافقة
لهم في الشهادة الباطلة ولا تتبع اهواء الذين كذبوا باياتنا
من وضع المظهر موضع المضمر للدلالة على ان مكذب الايات متبع الهوى لا غير وان متبع الحجة لا يكون الا مصدقا
بها والذين لا يؤمنون كعبدة الاصنام وهم بربهم يعدلون يجعلون له
عديلا قل تعالوا امر من التعالي واصله ان يقوله من كان في علو لمن كان في سفل فاتسع فيه بالتعميم اتل
اقرأ ما حرم ربكم منصوب باتل وما تحتمل الخبرية والمصدرية ويجوز ان تكون استفهامية منصوبة بحرم
والجملة مفعول اتل لانه بمعنى قل اي شيء حرم ربكم عليكم متعلق بحرم او اتل ان لا تشركوا به
اي لا تشركوا ليصح عطف الامر عليه ولا يمنع تعليق الفعل المفسر بما حرم فان التحريم باعتبار الاوامر يرجع الى اضدادها ومن
جعل ان ناصبة فمحلها النصب بعليكم على انه للاغراء او البدل من ما او من عائده المحذوف على ان لا زائدة او الجر بتقدير
اللام او الرفع على تقدير المتلو ان لا تشركوا او المحرم ان تشركوا شيئا يحتمل المصدر والمفعول وبالوالدين
احسانا اي واحسنوا بهما احسانا ووضعه موضع النهي عن الاساءة اليهما للمبالغة والدلالة على ان ترك الاساءة
في شانهما غير كاف بخلاف غيرهما ولا تقتلوا اولادكم من املاق من اجل فقر ومن خشية
كقوله خشية املاق نحن نرزقكم واياهم منع لموجبية ما كانوا يفعلون لاجله واحتجاج عليه ولا
تقربوا الفواحش كبائر الذنوب او الزنا ما ظهر منها وما بطن بدل منه
وهو مثل قوله ظاهر الاثم وباطنه ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق
كالقود وقتل المرتد ورجم المحصن ذلكم اشارة الى ما ذكر مفصلا وصاكم

٥٠

به اي بحفظه لعلكم تعقلون ترشدون فان كمال العقل هو الرشد ولا تقربوا مال
اليتيم الا بالتي هي احسن الا بالفعلة التي هي احسن ما يفعل بماله كحفظه وتثميره حتى
يبلغ اشده حتى يصير بالغا وهو جمع شدة كنعمة وانعم او شد كصر واصر وقيل مفرد
كآنك واوفوا الكيل والميزان بالقسط بالعدل والتسوية لا نكلف
نفسا الا وسعها الا ما يسعها ولا يعسر عليها وذكره عقيب الامر معناه ان ايفاء الحق عسر فعليكم بما في
وسعكم وما وراءه معفو عنكم واذا قلتم في حكومة ونحوها فاعدلوا فيها ولو كان ذا قربى
ولو كان المقول له او عليه من ذوي قرابتكم وبعهد الله اوفوا يعني ما عهد اليكم من ملازمة العدل وتادية
احكام الشرع ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون تتعظون به وقرأ حمزة والكسائي وحفص تذكرون
بتخفيف الذال حيث وقع اذا كان بالتاء والباقون بتشديدها وان هذا صراطي مستقيما
الاشارة فيه الى ما ذكر في السورة فانه بامرها في اثبات التوحيد والنبوة وبيان الشريعة وقرأ حمزة والكسائي
بالكسر على الاستئناف وابن عامر ويعقوب بالفتح والتخفيف والباقون به مشددة بتقدير اللام على انه علة لقوله
فاتبعوه وقرأ ابن عامر صراطي بفتح الياء وقرئ وهذا صراطي وهذا صراط ربكم وهذا صراط ربك ولا
تتبعوا السبل الاديان المختلفة او الطرق التابعة للهوى فان مقتضى الحجة واحد ومقتضى الهوى متعدد
لاختلاف الطبائع والعادات فتفرق بكم عن سبيله الذي هو اتباع الوحي واقتفاء البرهان
ذلكم الاتباع وصاكم به لعلكم تتقون الضلال والتفرق عن الحق
ثم آتينا موسى الكتاب عطف على وصاكم وثم للتراخي في الاخبار او للتفاوت في الرتبة
كانه قيل ذلكم وصاكم به قديما وحديثا ثم اعظم من ذلك انا آتينا موسى الكتاب تماما للكرامة والنعمة على
الذي احسن على من احسن القيام به ويؤيده انه قرئ على الذين احسنوا او على الذي احسن تبليغه وهو موسى او
تماما على ما احسنه اي اجاده من العلم والشرائع اي زيادة على علمه اتماما له وقرئ بالرفع على انه خبر محذوف اي على الذي
هو احسن او على الوجه الذي هو احسن ما يكون عليه الكتب وتفصيلا لكل شيء وبيانا مفصلا لكل ما يحتاج اليه
في الدين وهو عطف على تماما ونصبهما يحتمل العلة والحال والمصدر وهدى ورحمة لعلهم لعل بني اسرائيل
بلقاء ربهم يؤمنون اي بلقائه للجزاء وهذا كتاب يعني القرآن انزلناه
مبارك كثير النفع فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون بواسطة اتباعه والعمل بما فيه ان
تقولوا كراهة ان تقولوا علة لانزلناه انما انزل الكتاب على طائفتين من قبلنا
اليهود والنصارى ولعل الاختصاص في انما لان الباقي المشهور حينئذ من الكتب السماوية لم يكن غير كتبهم وان كنا
[illegible]

لتهي المخففة ولذلك دخلت اللام الفارقة خبر كان اي وانه كنا عن دراستهم اي قراءتهم لغافلين
لا ندري ما هي او لا نعرف مثلها او تقولوا عطف على الاول لو انا انزل علينا الكتاب
لكنا اهدى منهم لحدة اذهاننا وثقابة افهامنا ولذلك تلقفنا فنونا من العلم كالقصص
والاشعار والخطب على انا اميون فقد جاءكم بينة من ربكم حجة واضحة تعرفونها و
هدى ورحمة لمن تامل فيه وعمل به فمن اظلم ممن كذب بايات
الله بعد ان عرف صحتها او تمكن من معرفتها وصدف اعرض او صد عنها فضل واضل
سنجزي الذين يصدفون عن اياتنا سوء العذاب شدته بما كانوا
يصدفون باعراضهم وصدهم هل ينظرون اي ما ينتظرون يعني اهل مكة وهم ما كانوا منتظرين
لذلك ولكن لما كان يلحقهم لحوق المنتظر شبهوا بالمنتظرين الا ان تاتيهم الملئكة ملئكة الموت او العذاب
وقرا حمزة والكسائي بالياء هنا وفي النحل او ياتي ربك اي امره بالعذاب او كل اية يعني ايات القيمة
والهلاك الكلي لقوله او ياتي بعض ايات ربك يعني اشراط الساعة وعن حذيفة والبراء بن عازب
كنا نتذاكر الساعة اذ اشرف علينا رسول الله فقال ما تتذاكرون قلنا نتذاكر الساعة قال انها لا تقوم حتى تروا قبلها
عشر ايات الدخان ودابة الارض وخسفا بالمشرق وخسفا بالمغرب وخسفا بجزيرة العرب والدجال و
طلوع الشمس من مغربها وياجوج وماجوج ونزول عيسى ونارا تخرج من عدن يوم ياتي بعض ايات
ربك لا ينفع نفسا ايمانها كالمحتضر اذا صار الامر عيانا والايمان برهاني وقرئ تنفع بالتاء
لاضافة الايمان الى ضمير المؤنث لم تكن امنت من قبل صفة نفسا او كسبت في
ايمانها خيرا عطف على امنت والمعنى انه لا ينفع الايمان حينئذ نفسا غير مقدمة ايمانها او غير كاسبة
في ايمانها خيرا وهو دليل لمن لم يعتبر الايمان المجرد عن العمل وللمعتبر تخصيص هذا الحكم بذلك اليوم وحمل الترديد على
اشتراط النفع باحد الامرين على معنى لا ينفع نفسا خلت عنهما ايمانها والعطف على لم تكن بمعنى لا ينفع
نفسا ايمانها الذي احدثته حينئذ وان كسبت فيه خيرا قل انتظروا انا منتظرون وعيد
لهم اي انتظروا اتيان احد الثلاثة فانا منتظرون له وحينئذ لنا الفوز وعليكم الويل ان الذين فرقوا دينهم
بددوه فامنوا ببعض وكفروا ببعض او افترقوا فيه قال عم افترقت اليهود على احدى وسبعين فرقة كلها في الهاوية الا
واحدة وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة كلها في الهاوية الا واحدة وتفترق امتي على ثلث وسبعين فرقة
كلها في الهاوية الا واحدة وقرا حمزة والكسائي فارقوا اي باينوا وكانوا شيعا فرقا تشيع كل فرقة
اماما لست منهم في شيء اي من السؤال عنهم وعن تفرقهم او عن عقابهم او انت بريء منهم وقيل هو نهي

عن التعرض لهم وهو منسوخ باية السيف انما امرهم الى الله يتولى جزاءهم ثم ينبئهم بما كانوا
يفعلون بالعقاب من جاء بالحسنة فله عشر امثالها اي عشر حسنات
امثالها فضلا من الله وقرا يعقوب عشرٌ بالتنوين وامثالها بالرفع على الوصف وهذا اقل ما وعد من الاضعاف وقد
الوعد بسبعين وسبعمائة وبغير حساب ولذلك قيل المراد بالعشر الكثرة دون العدد ومن جاء بالسيئة
فلا يجزى الا مثلها قضية للعدل وهم لا يظلمون بنقص الثواب وزيادة العقاب
قل انني هداني ربي الى صراط مستقيم بالوحي والارشاد الى ما نصب من الحجج دينا
بدل من محل الى صراط اذ المعنى وهداني صراطا كقوله ويهديكم صراطا مستقيما او مفعول فعل مضمر دل عليه الملفوظ قيما فيعل
من قام كسيد من ساد وهو ابلغ من المستقيم باعتبار الزنة والمستقيم باعتبار الصيغة وقرا ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي قيما
على انه مصدر نعت به وكان قياسه قوما كعوض فاعل لاعلال فعله كالقيام ملة ابراهيم عطف بيان لدينا
حنيفا حال من ابراهيم وما كان من المشركين عطف عليه قل ان صلوتي و
نسكي عبادتي كلها وقرباني او حجي ومحياي ومماتي وما انا عليه في حياتي واموت عليه من
الايمان والطاعة او طاعات الحيوة والخيرات المضافة الى الممات كالوصية والتدبير او الحيوة والممات انفسهما وقرا نافع
محياي باسكان الياء اجراء للوصل مجرى الوقف لله رب العالمين لا شريك له خالصة له
لا اشرك فيها غيره وبذلك القول او الاخلاص امرت وانا اول المسلمين لان اسلام كل
نبي متقدم على اسلام امته قل اغير الله ابغي ربا فاشركه في عبادته وهو جواب عن دعائهم له الى عبادة
الهتهم وهو رب كل شيء حال في موضع العلة للانكار والدليل له اي وكل ما سواه مربوب مثلي لا يصلح للربوبية و
لا تكسب كل نفس الا عليها فلا ينفعني في ابتغاء رب غيره ما انتم عليه من ذلك ولا تزر وازرة
وزر اخرى جواب عن قولهم اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم ثم الى ربكم مرجعكم يوم القيمة
فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون بتبيين الرشد من الغي وتمييز المحق من المبطل وهو الذي
جعلكم خلائف الارض يخلف بعضكم بعضا او خلفاء الله في ارضه تتصرفون فيها على ان الخطاب للمؤمنين
ورفع بعضكم فوق بعض درجات في الشرف والغنى ليبلوكم فيما اتاكم من الجاه والمال
ان ربك سريع العقاب لان ما هو ات قريب او لانه يسرع اذا اراده وانه لغفور رحيم
وصف العقاب ولم يضفه الى نفسه ووصف ذاته بالمغفرة وضم اليه الوصف بالرحمة واتى ببناء المبالغة واللام المؤكدة تنبيها على انه تعالى
غفور بالذات معاقب بالعرض كثير الرحمة مبالغ فيها قليل العقوبة مسامح فيها عن النبي عم انزلت علي سورة الانعام جملة واحدة يشيعها سبعون الف ملك
لهم زجل بالتسبيح والتحميد فمن قرا الانعام صلى عليه واستغفر له اولئك السبعون الف ملك بعدد كل اية من سورة الانعام يوما وليلة

سورة الاعراف مكية غير ثمان آيات من قوله واسألهم

بسم الله الرحمن الرحيم

المص سبق الكلام في مثله كتاب خبر محذوف اي هو كتاب او خبر المص والمراد به السورة
او القرآن انزل اليك صفته فلا يكن في صدرك حرج منه اي شك
فان الشاك حرج الصدر او ضيق قلب من تبليغه مخافة ان يكذب فيه او تقصر في القيام بحقه وتوجيه النهي اليه للمبالغة
كقولهم لا أرينك ههنا والفاء تحتمل العطف والجواب كانه قيل اذا انزل اليك لتنذر به فلا يحرج صدرك منه
لتنذر به متعلق بانزل او بلا يكن لانه اذا ايقن انه من عند الله جسر على الانذار وكذا اذا لم يخفهم او علم انه موفق
للقيام بتبليغه وذكرى للمؤمنين يحتمل النصب باضمار فعلها اي لتنذر وتذكر ذكرى فانها بمعنى
التذكير والجر عطفا على محل تنذر والرفع على كتاب او خبر المحذوف اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم يعم
القرآن والسنة لقوله وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى ولا تتبعوا من دونه اولياء يضلونكم
من الجن والانس وقيل الضمير في من دونه لما انزل اي ولا تتبعوا من دون دين الله دين اولياء وقرئ ولا تبتغوا قليلا ما تذكرون
اي تذكرا قليلا او زمانا قليلا تذكرون حيث تتركون دين الله وتتبعون غيره وما مزيدة لتأكيد القلة وان جعلت مصدرية لم
ينتصب قليلا بتذكرون وقرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم تذكرون بحذف التاء وابن عامر يتذكرون على ان الخطاب
بعد مع النبي وكم من قرية وكثير من القرى اهلكناها اردنا اهلاك اهلها او اهلكناها بالخذلان
فجاءها اي اهلها بأسنا عذابنا بياتا بائتين كقوم لوط مصدر وقع موقع الحال او هم
قائلون عطف عليه اي قائلين نصف النهار كقوم شعيب وانما حذف واو الحال استثقالا لاجتماع حرفي
عطف فانها واو عطف استعير للوصل لا اكتفاء بالضمير فانه غير فصيح وفي التعبير مبالغة في غفلتهم وامنهم عن العذاب
ولذلك خص الوقتين ولانهما وقت دعة واستراحة فيكون مجيء العذاب فيهما افظع فما كان دعواهم
اي دعاؤهم واستغاثتهم او ما كانوا يدعونه من دينهم اذ جاءهم بأسنا الا ان قالوا انا كنا ظالمين
الا اعترافهم بظلمهم فيما كانوا عليه وبطلانه تحسرا عليه فلنسألن الذين ارسل اليهم عن قبول الرسالة
واجابتهم الرسل ولنسألن المرسلين عما اجيبوا به والمراد بهذا السؤال توبيخ الكفرة وتقريعهم والمنفي
في قوله ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون سؤال الاستعلام او الاول في موقف الحساب وهذا عند حصولهم على العقوبة
فلنقصن عليهم على الرسل حين يقولون لا علم لنا انك انت علام الغيوب او على الرسل والمرسل اليهم ما كانوا
عليه بعلم عالمين بظواهرهم وبواطنهم او بمعلومنا منهم وما كنا غائبين عنهم فيخفى علينا
شيء من احوالهم والوزن اي القضاء او وزن الاعمال وهو مقابلتها بالجزاء والجمهور على ان صحائف الاعمال توزن

بميزان له لسان وكفتان ينظر اليه الخلائق اظهارا للمعدلة وقطعا للمعذرة كما يسألهم عن اعمالهم فيعترف بها بألسنتهم وتشهد
بها جوارحهم ويؤيده ما روي ان الرجل يؤتى به الى الميزان فينشر عليه تسعة وتسعون سجلا كل سجل مد البصر فيخرج له بطاقة
فيها كلمتا الشهادة فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة وقيل توزن
الاشخاص لما روي انه قال ليأتي العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة يومئذ خبر المبتدأ الذي
هو الوزن الحق صفته او خبر محذوف ومعناه العدل السوي فمن ثقلت موازينه حسناته او ما
يوزن به حسناته وجمعه باعتبار اختلاف الموزونات وتعدد الوزن فهو جمع موزون او ميزان فاولئك هم
المفلحون الفائزون بالنجاة والثواب ومن خفت موازينه فاولئك الذين
خسروا انفسهم بتضييع الفطرة السليمة التي فطرت عليها واقتراف ما عرضها للعذاب بما كانوا
بآياتنا يظلمون فيكذبون بدل التصديق ولقد مكناكم في الارض اي مكناكم من سكناها و
زرعها والتصرف فيها وجعلنا لكم فيها معايش اسبابا تعيشون بها جمع معيشة وعن نافع انها
همزه تشبيها بما الياء فيه زائدة كصحائف قليلا ما تشكرون فيما صنعت اليكم ولقد
خلقناكم ثم صورناكم اي خلقنا اباكم آدم طينا غير مصور ثم صورناه نزل خلقه وتصويره منزلة خلق
الكل وتصويره او ابتدأنا خلقكم ثم تصويركم بان خلقنا آدم ثم صورناه ثم قلنا للملئكة اسجدوا
لآدم وقيل ثم قلنا لتأخير الاخبار فسجدوا الا ابليس لم يكن من الساجدين
ممن سجد لآدم قال ما منعك الا تسجد اي ان تسجد ولا صلة مثلها في لئلا يعلم مؤكدة معنى الفعل الذي
دخلت عليه ومنبهة على ان الموبخ عليه ترك السجود وقيل الممنوع عن الشيء مضطر الى خلافه فكأنه قيل ما اضطرك الى ان
لا تسجد اذ امرتك دليل على ان مطلق الامر للوجوب والفور قال انا خير منه جواب من حيث
المعنى استأنف به استبعادا لان يكون مثله مأمورا بالسجود لمثله كأنه قال المانع اني خير منه ولا يحسن للفاضل ان يسجد للمفضول
فكيف يحسن ان يؤمر به فهو الذي سن التكبر وقال بالحسن والقبح العقليين اولا خلقتني من نار وخلقته
من طين تعليل لفضله عليه وقد غلط في ذلك بان رأى الفضل كله باعتبار العنصر وغفل عما يكون باعتبار الفاعل كما اشار
اليه بقوله ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي اي بغير واسطة وباعتبار الصورة كما نبه عليه بقوله ونفخت فيه من روحي
فقعوا له ساجدين وباعتبار الغاية وهو ملاكه ولذلك امر الملئكة بسجوده لما بين لهم انه اعلم منهم وان له خواص ليست
لغيره والآية دليل الكون والفساد وان الشياطين اجسام كائنة ولعل اضافة خلق الانسان الى الطين والشيطان الى النار
باعتبار الجزء الغالب قال فاهبط منها من السماء او الجنة فما يكون لك فما يصح لك ان تتكبر فيها
وتعصي فانها مكان الخاشع المطيع وفيه تنبيه على ان التكبر لا يليق باهل الجنة وانه تعالى انما طرده واهبطه لتكبره لا لمجرد

عصيانه فاخرج انك من الصاغرين ممن اهانه الله لتكبره قال عليه السلام من تواضع لله رفعه الله ومن
تكبر وضعه الله قال انظرني الى يوم يبعثون امهلني الى يوم القيمة فلا تمتني او لا تعجل عقوبتي
قال انك من المنظرين يقتضي الاجابة الى ما سأله ظاهرا لكنه محمول على ما جاء مقيدا بقوله الى يوم الوقت
المعلوم وهو النفخة الاولى او وقت يعلم الله انتهاء اجله فيه وفي اسعافه اليه ابتلاء للعباد وتعريضهم للثواب بمخالفته
قال فبما اغويتني اي بعد ان امهلتني لاجتهدن في اغوائهم باي طريق يمكنني بسبب اغوائك اياي بواسطتهم
تسمية او حملا على الغي او تكليفا بما غويت لاجله والباء متعلقة بفعل القسم المحذوف لا باقعدن فان اللام تصد عنه
وقيل الباء للقسم لاقعدن لهم ترصدا بهم كما يقعد القطاع للسابلة صراطك المستقيم طريق
الاسلام ونصبه على الظرف كقوله كما عسل الطريق الثعلب وقيل تقديره على صراطك كقولهم ضرب زيد
الظهر والبطن ثم لآتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن
شمائلهم اي من جميع الجهات الاربع مثل قصده اياهم بالتسويل والاضلال من اي وجه يمكنه باتيان العدو
من الجهات الاربع ولذلك لم يقل من فوقهم ومن تحت ارجلهم وقيل لم يقل من فوقهم لان الرحمة تنزل منه ولم
يقل من تحتهم لان الاتيان منه يوحش وعن ابن عباس من بين ايديهم من قبل الاخرة ومن خلفهم من قبل الدنيا وعن ايمانهم
وعن شمائلهم من جهة حسناتهم وسيئاتهم ويحتمل ان يقال من بين ايديهم من حيث يعلمون ويقدرون التحرز عنه ومن خلفهم
من حيث لا يعلمون ولا يقدرون وعن ايمانهم وعن شمائلهم من حيث يتيسر لهم ان يعلموا ويتحرزوا ولكن لم يفعلوا لعدم تيقظهم و
احتياطهم وانما عدى الفعل الى الاولين بحرف الابتداء لانه منهما متوجه اليهم والى الاخرين بحرف المجاوزة فان
الآتي منهما كالمنحرف عنهم المار على عرضهم ونظيره قولهم جلست عن يمينه ولا تجد اكثرهم شاكرين
مطيعين وانما قاله ظنا لقوله ولقد صدق عليهم ابليس ظنه لما راى فيهم مبدأ الشر متعددا ومبدأ الخير واحدا
وقيل سمعه من الملائكة قال اخرج منها مذؤما مذموما من ذأمه اذا ذمه وقرئ مذوما كمسول في
مسؤول او كمكول في مكيل من ذامه يذيمه ذيما مدحورا مطرودا لمن تبعك منهم اللام فيه لتوطئة
القسم وجوابه لاملأن جهنم منكم اجمعين وهو ساد مسد جواب الشرط وقرئ لمن
بكسر اللام على انه خبر لاملأن على معنى لمن تبعك هذا الوعيد او علة لاخرج ولاملأن جواب قسم محذوف
ومعنى منكم منك ومنهم فغلب المخاطب ويا آدم اي وقلنا يا ادم اسكن انت وزوجك
الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة و
قرئ هذي وهو الاصل لتصغيره على ذيا والهاء بدل من الياء فتكونا من الظالمين فتصيرا من
الذين ظلموا انفسهم وتكونا يحتمل الجزم على العطف والنصب على الجواب فوسوس لهما الشيطان

اي فعل الوسوسة لاجلهما وهي في الاصل الصوت الخفي كالهينمة والخشخشة ومنه وسوس الحلي وقد سبق في البقرة
كيفية وسوسته ليبدي لهما ليظهر لهما واللام للعاقبة او للغرض على انه اراد ايضا بوسوسته ان يسوءهما بانكشاف
عورتيهما ولذلك عبر عنهما بالسوأة وفيه دليل على ان كشف العورة في الخلوة وعند الزوج من غير حاجة قبيح مستهجن في الطباع
ما ووري عنهما من سوآتهما ما غطي عنهما من عوراتهما وكانا لا يريانها من انفسهما ولا احدهما من
الاخر وانما لم تقلب الواو المضمومة همزة في المشهور كما قلبت في اويصل تصغير واصل لان الثانية مدة وقرئ سواتهما بحذف
الهمزة والقاء حركتها على الواو وبقلبها واوا وادغام الواو الساكنة فيها وقال ما نهاكما ربكما
عن هذه الشجرة الا ان تكونا الا كراهة ان تكونا ملكين او تكونا
من الخالدين الذين لا يموتون او يخلدون في الجنة واستدل به على فضل الملائكة على الانبياء وجوابه انه كان
من المعلوم ان الحقائق لا تنقلب وانما كانت رغبتهما في ان يحصل لهما ايضا ما للملائكة من الكمالات الفطرية والاستغناء عن
الاطعمة والاشربة وذلك لا يدل على فضلهم مطلقا وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين
اي اقسم لهما على ذلك واخرجه على زنة المفاعلة للمبالغة وقيل اقسما له بالقبول وقيل اقسما عليه بالله انه لمن الناصحين واقسم لهما
فجعل ذلك مقاسمة فدلاهما فنزلهما الى الاكل من الشجرة نبه به على انه اهبطهما من درجة عالية الى رتبة سافلة فان
التدلية والادلاء ارسال الشيء من اعلى الى اسفل بغرور بما غرهما به من القسم فانهما ظنا ان احدا لا يحلف
بالله كاذبا او ملتبسين بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما اي فلما وجدا
طعمها آخذين في الاكل منها اخذتهما العقوبة وشؤم المعصية فتهافت عنهما لباسهما فظهرت لهما عوراتهما واختلف
في ان الشجرة كانت سنبلة او الكرم او غيرهما وان اللباس كان نورا او حلة او ظفرا وطفقا يخصفان
اخذا يرقعان ويلزقان ورقة فوق ورقة عليهما من ورق الجنة قيل كان ورق التين
وقرئ يخصفان من اخصف اي يخصفان انفسهما ويخصفان من خصف ويخصفان واصله يختصفان و
ناداهما ربهما الم انهكما عن تلكما الشجرة واقل لكما ان
الشيطان لكما عدو مبين عتاب على مخالفة النهي وتوبيخ على الاغترار بقول العدو وفيه دليل
على ان مطلق النهي للتحريم قالا ربنا ظلمنا انفسنا اضررناها بالمعصية والتعريض للاخراج من
الجنة وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين دليل على ان الصغائر يعاقب
عليها ان لم تغفر وقالت المعتزلة لا تجوز المعاقبة عليها مع اجتناب الكبائر ولذلك قالوا انما قالا ذلك على
عادة المقربين في استعظام الصغير من السيئات واستحقار العظيم من الحسنات قال اهبطوا الخطاب
لادم وحوا وذريتهما او لهما ولابليس كرر الامر له تبعا ليعلم انهم قرناء ابدا او اخبر عما قال لهم متفرقا بعضكم

لبعض عدو في موضع الحال اي متعادين ولكم في الارض مستقر استقرار او موضع
استقرار ومتاع وتمتع الى حين الى تقضي اجالكم قال فيها تحيون وفيها تموتون
ومنها تخرجون للجزا يا بني ادم قد انزلنا عليكم لباسا اي خلقناه لكم
بتدبيرات سماوية واسباب نازلة ونظيره قوله وانزل لكم من الانعام وقوله وانزلنا الحديد يواري
سوآتكم التي قصد الشيطان ابداها ويغنيكم عن خصف الورق روي انهم كانوا يطوفون بالبيت
عراة ويقولون لا نطوف في ثياب عصينا الله فيها فنزلت ولعله ذكر قصة ادم تقدمة لذلك حتى يعلم ان انكشاف
العورة اول سوء اصاب الانسان من الشيطان وانه اغواهم في ذلك كما اغوى ابويهم وريشا ولباسا تتجملون
به والريش الجمال وقيل مالا ومنه تريش الرجل اذا تمول وقرئ رياشا وهو جمع ريش كشعب وشعاب ولباس
التقوى خشية الله وقيل الايمان وقيل السمت الحسن وقيل لباس الحرب ورفعه بالابتداء وخبره ذلك
خير او خير وذلك صفته كانه قيل ولباس التقوى المشار اليه خير وقرأ نافع وابن عامر والكسائي ولباس
بالنصب عطف على لباسا ذلك اي انزال اللباس من ايات الله الدالة على فضله ورحمته لعلهم
يذكرون فيعرفون نعمته او يتعظون فيتورعون عن القبائح يا بني ادم لا يفتننكم
الشيطان لا يمحننكم بان يمنعكم دخول الجنة بافتتانكم كما اخرج ابويكم من الجنة
كما محن ابويكم بان اخرجهما منها والنهي في اللفظ للشيطان والمعنى نهيهم عن اتباعه والافتتان به ينزع
عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما حال من ابويكم او من فاعل اخرج واسناد النزع اليه
للتسبب انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم تعليل للنهي وتأكيد للتحذير من فتنته
وقبيله جنوده ورؤيته ايانا من حيث لا نراهم في الجملة لا يقتضي امتناع رؤيتهم وتمثلهم لنا انا جعلنا
الشياطين اولياء للذين لا يؤمنون بما اوجدنا بينهم من التناسب او بارسالهم عليهم
وتمكينهم من خذلانهم وحملهم على ما سولوا لهم والاية مقصود القصة وفذلكة الحكاية واذا فعلوا فاحشة
فعلة متناهية في القبح كعبادة الصنم وكشف العورة في الطواف قالوا وجدنا عليها
اباءنا والله امرنا بها اعتذروا واحتجوا بامرين تقليد الاباء والافتراء على الله فاعرض عن
الاول لظهور فساده ورد الثاني بقوله قل ان الله لا يأمر بالفحشاء لان عادته تعالى جرت على الامر
بمحاسن الافعال والحث على مكارم الخصال ولا دلالة فيه على ان قبح الفعل بمعنى ترتب الذم عليه اجلا عقلي فان
المراد بالفاحشة ما ينفر عنه الطبع السليم ويستنقصه العقل المستقيم وقيل هما جوابا سؤالين مترتبين كانه قيل لهم لما فعلوها
لم فعلتم فقالوا وجدنا عليها اباءنا فقيل ومن اين اخذ اباؤكم فقالوا الله امرنا بها وعلى الوجهين يمنع التقليد اذا قام

الدليل على خلافه لا مطلقا اتقولون على الله ما لا تعلمون انكار يتضمن النهي عن الافتراء على الله
قل امر ربي بالقسط بالعدل وهو الوسط من كل امر المتجافي عن طرفي الافراط والتفريط و
اقيموا وجوهكم وتوجهوا الى عبادته مستقيمين غير عادلين الى غيرها او اقيموها نحو القبلة عند كل
مسجد في كل وقت سجود او مكانه وهو الصلوة او في اي مسجد حضرتكم الصلوة ولا تؤخروها حتى تعودوا
الى مساجدكم وادعوه واعبدوه مخلصين له الدين اي الطاعة فان اليه مصيركم كما
بدأكم تعودون باعادته فيجازيكم على اعمالكم وانما شبه الاعادة بالابداء تقريرا لامكانها
القدرة عليها وقيل كما بدأكم من التراب تعودون اليه وقيل كما بدأكم حفاة عراة غرلا تعودون وقيل كما بدأكم
مؤمنا وكافرا يعيدكم فريقا هدى بان وفقهم للايمان وفريقا حق عليهم الضلالة
بمقتضى القضاء السابق وانتصابه بفعل يفسره ما بعده اي وخذل فريقا انهم اتخذوا الشياطين
اولياء من دون الله تعليل لخذلانهم او تحقيق لضلالتهم ويحسبون انهم مهتدون
يدل على ان الكافر المخطئ والمعاند سواء في استحقاق الذم وللفارق ان يحمله على المقصر في النظر يا بني ادم
خذوا زينتكم ثيابكم لمواراة عورتكم عند كل مسجد لطواف او صلوة ومن السنة
ان يأخذ الرجل احسن هيئته للصلوة وفيه دليل على وجوب ستر العورة في الصلوة وكلوا واشربوا
ما طاب لكم روي ان بني عامر في ايام حجهم كانوا لا يأكلون الطعام الا قوتا ولا يأكلون دسما يعظمون بذلك
حجهم فهم المسلمون به فنزلت ولا تسرفوا بتحريم الحلال او بالتعدي الى الحرام او بافراط الطعام والشره عليه
وعن ابن عباس كل ما شئت والبس ما شئت ما اخطأتك خصلتان سرف ومخيلة وقال علي بن الحسين بن
واقد جمع الله الطب في نصف اية فقال كلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين اي لا يرتضي
فعلهم قل من حرم زينة الله من الثياب وسائر ما يتجمل به التي اخرج لعباده
من النبات كالقطن والكتان والحيوان كالحرير والصوف والمعادن كالدروع والطيبات
من الرزق المستلذات من الماكل والمشارب وفيه دليل على ان الاصل في المطاعم والملابس وانواع التجملات
الاباحة لان الاستفهام في من للانكار قل هي للذين امنوا في الحيوة الدنيا بالاصالة والكفرة
وان شاركوهم فيها فتبع خالصة يوم القيمة لا يشاركهم فيها غيرهم وانتصابها على الحال وقرأ
نافع بالرفع على انها خبر بعد خبر كذلك نفصل الايات لقوم يعلمون اي كتفصيلنا هذا
الحكم نفصل سائر الاحكام لهم قل انما حرم ربي الفواحش ما تزايد قبحه وقيل ما يتعلق بالفروج
ما ظهر منها وما بطن جهرها وسرها والاثم وما يوجب الاثم تعميم بعد تخصيص وقيل شرب

الخمر والبغي الظلم او الكبر افرده بالذكر للمبالغة بغير الحق متعلق بالبغي مؤكد لمعنى وان تشركوا
بالله ما لم ينزل به سلطانا تهكم بالمشركين وتنبيه على تحريم اتباع ما لم يدل عليه برهان
وان تقولوا على الله ما لا تعلمون بالالحاد في صفاته والافتراء عليه كقولهم والله امرنا بها
ولكل امة اجل مدة او وقت لنزول العذاب بهم وهو وعيد لاهل مكة فاذا جاء اجلهم
انقرضت مدتهم او حان وقتهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون اي
لا يتاخرون ولا يتقدمون اقصر وقت او لا يطلبون التاخر والتقدم لشدة الهول يا بني ادم اما
ياتينكم رسل منكم يقصون عليكم اياتي شرط ذكره بحرف الشك للتنبيه على
ان اتيان الرسل امر جائز غير واجب كما ظنه اهل التعليم وضمت اليها ما لتاكيد معنى الشرط ولذلك اكد فعلها
بالنون وجوابه فمن اتقى واصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين
كذبوا باياتنا واستكبروا عنها اولئك اصحاب النار هم
فيها خالدون والمعنى فمن اتقى التكذيب واصلح عمله منكم والذين كذبوا باياتنا منكم وادخال الفاء في
الخبر الاول دون الثاني للمبالغة في الوعد والمسامحة في الوعيد فمن اظلم ممن افترى على الله
كذبا او كذب باياته ممن تقول على الله ما لم يقله او كذب ما قاله اولئك
ينالهم نصيبهم من الكتاب مما كتب لهم من الارزاق والاجال وقيل الكتاب اللوح
اي مما اثبت لهم فيه حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم اي يتوفون ارواحهم وهو حال من
الرسل وحتى غاية لنيلهم وهي التي يبتدأ بعدها الكلام قالوا جواب اذا اينما كنتم تدعون
من دون الله اين الالهة التي كنتم تعبدونها وما وصلت باين في خط المصحف وحقها الفصل لانها موصولة
قالوا ضلوا عنا غابوا عنا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين
اعترفوا بانهم كانوا ضالين فيما كانوا عليه قال ادخلوا اي قال الله لهم يوم القيامة او احد من الملائكة في
امم قد خلت من قبلكم اي كائنين في جملة امم مصاحبين لهم من الجن والانس يعني كفار
الامم الماضية من النوعين في النار متعلق بادخلوا كلما دخلت امة اي في النار لعنت
اختها التي ضلت بالاقتداء بها حتى اذا اداركوا فيها جميعا اي تداركوا وتلاحقوا في النار
قالت اخراهم دخولا او منزلة وهم الاتباع لاولاهم لاجل اولاهم اذ الخطاب مع الله لا معهم
ربنا هؤلاء اضلونا سنوا لنا الضلال فاقتدينا بهم فاتهم عذابا ضعفا
من النار مضاعفا لانهم ضلوا واضلوا قال لكل ضعف اما القادة فبكفرهم وتضليلهم

وللاتباع بكفرهم وتقليدهم ولكن لا تعلمون ما لكم او ما لكل فريق وقرا عاصم بالياء على الانفصال
وقالت اولاهم لاخراهم فما كان لكم علينا من فضل عطفوا كلامهم على جواب الله
لاخراهم ورتبوه عليه اي فقد ثبت ان لا فضل لكم علينا وانا واياكم متساوون في الضلال واستحقاق العذاب
فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون من قول القادة او من قول الفريقين ان
الذين كذبوا باياتنا واستكبروا عنها اي عن الايمان بها لا تفتح لهم ابواب
السماء لادعيتهم واعمالهم او لارواحهم كما تفتح لاعمال المؤمنين وارواحهم لتتصل بالملائكة والتاء في تفتح
لتانيث الابواب والتشديد لكثرتها وقرا ابو عمرو بالتخفيف وحمزة والكسائي بها وبالياء لان التانيث غير حقيقي و
الفعل مقدم وقرئ على البناء للفاعل ونصب الابواب بالتاء على ان الفعل للايات وبالياء على ان الفعل لله ولا
يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط اي حتى يدخل ما هو مثل في عظم الجرم
فيما هو مثل في ضيق المسلك وهو ثقبة الابرة وذلك مما لا يكون فكذا ما توقف عليه وقرئ الجمل كالقمل والجمل كالنغر
والجمل كالقفل والجمل كالنصب والجمل كالحبل وهي الحبل الغليظ من القنب وقيل حبل السفينة وسم بالضم والكسر
وفي سم المخيط وهو والخياط ما يخاط به كالحزام والمحزم وكذلك ومثل ذلك الجزاء الفظيع نجزي
المجرمين لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش اغطية والتنوين فيه للبدل
عن الاعلال عند سيبويه وللصرف عند غيره وقرئ غواش على الغاء المحذوف وكذلك نجزي
الظالمين عبر عنهم بالمجرمين تارة وبالظالمين اخرى اشعارا بانهم بتكذيبهم الايات اتصفوا بهذه الاوصاف
الذميمة وذكر الجرم مع الحرمان من الجنة والظلم مع التعذيب بالنار تنبيها على انه اعظم الاجرام والذين امنوا
وعملوا الصالحات لا نكلف نفسا الا وسعها اولئك اصحاب
الجنة هم فيها خالدون على عادته سبحانه وتعالى في ان يشفع الوعيد بالوعد ولا نكلف نفسا الا
وسعها اعتراض بين المبتدا والخبر للترغيب في اكتساب النعيم المقيم بما يسعه طاقتهم ويسهل عليهم وقرئ لا تكلف
نفس ونزعنا ما في صدورهم جملة حالية من اصحاب من غل اي نخرج من قلوبهم اسباب
الغل او نطهرها منه حتى لا يكون بينهم الا التواد وعن علي رضي الله عنه اني لارجو ان اكون انا وعثمان وطلحة والزبير منهم
تجري من تحتهم الانهار زيادة في لذتهم وسرورهم وقالوا الحمد لله الذي
هدانا لهذا لما جزاؤه هذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله
لولا هداية الله وتوفيقه واللام لتوكيد النفي وجواب لولا محذوف دل عليه ما قبله وقرا ابن عامر ما كنا بغير واو
على انها مبينة للاولى لقد جاءت رسل ربنا بالحق فاهتدينا بارشادهم يقولون ذلك اغتباطا

وتبجحاً بأنهم علموا يقيناً في الدنيا صار لهم عين اليقين في الآخرة ونودوا ان تلكم الجنة اذا رأوها من
بعيد او بعد دخولها والمنادى له بالذات أورثتموها بما كنتم تعملون اي أعطيتموها بسبب اعمالكم وهو
حال من الجنة والعامل فيها معنى الاشارة او خبر والجنة صفة تلكم وان في المواقع الخمسة هي المخففة او المفسرة لان
المناداة والتأذين من القول ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار ان قد وجدنا
ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا انما
قالوا تبجحا بحالهم وشماتة باصحاب النار وتحسيرا لهم وانما لم يقل ما وعدكم كما قال ما وعدنا لان ما ساءهم من
الموعود لم يكن بأسره مخصوصا وعده بهم كالبعث والحساب ونعيم اهل الجنة قالوا نعم وقرأ الكسائي
بكسر العين وهما لغتان فأذن مؤذن قيل هو صاحب الصور بينهم بين الفريقين ان
لعنة الله على الظالمين وقرأ ابن كثير وابن عامر وحمزة والكسائي ان لعنة الله بالتشديد
والنصب وقرئ ان بالكسر على ارادة القول او اجراء اذن مجرى قال الذين يصدون عن سبيل
الله صفة للظالمين مقررة او ذم مرفوع او منصوب ويبغونها عوجا زيغا وميلا عما هو عليه
والعوج بالكسر في المعاني والاعيان ما لم تكن منتصبة وبالفتح ما كان في المنتصبة كالحائط والرمح وهم بالآخرة
كافرون وبينهما حجاب اي بين الفريقين لقوله فضرب بينهم بسور او بين الجنة والنار
ليمنع وصول اثر احداهما الى الاخرى وعلى الاعراف وعلى اعراف الحجاب اي اعاليه وهو السور
المضروب بينهما جمع عرف مستعار من عرف الفرس وقيل العرف ما ارتفع من الشيء فانه يكون لظهوره اعرف
من غيره رجال طائفة من الموحدين قصروا في العمل فيحبسون بين الجنة والنار حتى يقضي الله فيهم ما يشاء وقيل
قوم علت درجاتهم كالانبياء او الشهداء او خيار المؤمنين وعلمائهم او ملائكة يرون في صورة الرجال يعرفون
كلا من اهل الجنة والنار بسيماهم بعلامتهم التي اعلمهم الله تعالى بها كبياض الوجه وسواده
فعلى من سام ابله اذا ارسلها في المرعى معلمة او من وسم على القلب كالجاه من الوجه وانما يعرفون ذلك بالالهام او
تعليم الملائكة ونادوا اصحاب الجنة ان سلام عليكم اي اذا نظروا اليهم سلموا عليهم
لم يدخلوها وهم يطمعون حال من الواو او من اصحاب على الوجه الاول ومن اصحاب على الوجوه الاخر
واذا صرفت ابصارهم تلقاء اصحاب النار قالوا تعوذا بالله ربنا
لا تجعلنا مع القوم الظالمين اي في النار ونادى اصحاب الاعراف
رجالا يعرفونهم بسيماهم من رؤساء الكفرة قالوا ما اغنى عنكم
جمعكم كثرتكم او جمعكم المال وما كنتم تستكبرون عن الحق او على الخلق

ما مصدرية اي ما اغنى عنكم جمعكم واستكباركم المستمر عن قبول الحق او على الخلق وهو الانسب بما بعده ابو السعود

وقرئ تستكثرون من الكثرة أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة من تتمة قولهم للرجال
والاشارة الى ضعفاء اهل الجنة الذين كانت الكفرة يحتقرونهم في الدنيا ويحلفون ان الله لا يدخلهم الجنة ادخلوا
الجنة لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون اي فالتفتوا الى اصحاب الجنة وقالوا لهم ادخلوا
وهو اوفق للوجوه الاخيرة او فقيل لاصحاب الاعراف ادخلوا الجنة بفضل الله بعد ان حبسوا حتى ابصروا الفريقين
وعرفوهم وقالوا لهم ما قالوا او قيل لما عيروا اصحاب النار اقسموا ان اصحاب الاعراف لا يدخلون الجنة
فقال الله او بعض الملائكة اهؤلاء الذين اقسمتم وقرئ ادخلوا ودخلوا على الاستئناف وتقديره دخلوا الجنة مقولا
لهم لا خوف عليكم ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة ان افيضوا علينا
من الماء اي صبوه وهو دليل على ان الجنة فوق النار او مما رزقكم الله من سائر
الاشربة ليلائم الافاضة او من الطعام كقوله علفتها تبنا وماء باردا قالوا ان الله حرمهما على الكافرين
منعهما عنهم منع المحرم عن المكلف الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا كتحريم البحيرة
والتصدية حول البيت واللهو صرف الهم بما لا يحسن ان يصرف به واللعب طلب الفرح بما لا يحسن ان يطلب به و
غرتهم الحيوة الدنيا فاليوم ننساهم نفعل بهم فعل الناسين فنتركهم في النار كما
نسوا لقاء يومهم هذا فلم يخطروه ببالهم ولم يستعدوا له وما كانوا بآياتنا
يجحدون وكما كانوا منكرين انها من عند الله ولقد جئناهم بكتاب فصلناه بينا معانيه
من العقائد والاحكام والمواعظ مفصلة على علم عالمين بوجه تفصيله حتى جاء حكيما وفيه دليل على انه تعالى عالم
بعلم او مشتملا على علم فيكون حالا من المفعول وقرئ فضلناه اي على سائر الكتب عالمين بانه حقيق بذلك هدى
ورحمة لقوم يؤمنون حال من الهاء هل ينظرون هل ينتظرون الا تأويله الا ما يؤول
اليه امره من تبين صدقه بظهور ما نطق به من الوعد والوعيد يوم يأتي تأويله يقول الذين
نسوه من قبل تركوه ترك الناسي قد جاءت رسل ربنا بالحق اي قد تبين
انهم جاؤا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا اليوم او نرد او هل نرد الى الدنيا
وقرئ بالنصب عطفا على فيشفعوا او لان او بمعنى الى ان فعلى الاول المسؤول احد الامرين وعلى الثاني ان يكون لهم
شفعاء اما لاحد الامرين او لامر واحد هو الرد فنعمل غير الذي كنا نعمل جواب الاستفهام
الثاني وقرئ بالرفع اي فنحن نعمل قد خسروا انفسهم بصرف اعمارهم في الكفر وضل عنهم
ما كانوا يفترون بطل عنهم فلم ينفعهم ان ربكم الله الذي خلق
السموات والارض في ستة ايام اي في ستة اوقات كقوله ومن يولهم يومئذ دبره

أو في مقدار ستة أيام فإن المتعارف باليوم زمان طلوع الشمس إلى غروبها ولم يكن حينئذ وفي خلق الأشياء مدرجا مع القدرة على إيجادها
دفعة دليل للاختيار واعتبار للنظار وحث على التأني في الأمور ثم استوى على العرش
استوى أمره أو استولى وعن أصحابنا أن الاستواء على العرش صفة لله بلا كيف والمعنى أن له تعالى استواء على العرش على الوجه
الذي عناه منزها عن الاستقرار والتمكن والعرش الجسم المحيط بسائر الأجسام سمي به لارتفاعه أو للتشبيه بسرير الملك
فإن الأمور والتدابير تنزل منه وقيل الملك يغشي الليل النهار يغطيه به ولم يذكر عكسه للعلم
به أو لأن اللفظ يحتملهما ولذلك قرئ يغشى الليل النهار بنصب الليل ورفع النهار وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب
وأبو بكر عن عاصم بالتشديد فيه وفي الرعد للدلالة على التكرير يطلبه حثيثا يعقبه سريعا كالطالب له
لا يفصل بينهما شيء والحثيث فعيل من الحث وهو صفة مصدر محذوف أو حال من الفاعل بمعنى حاثا أو المفعول
بمعنى محثوثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره بقضائه وتصريفه
ونصبها بالعطف على السموات ونصب مسخرات على الحال وقرأ ابن عامر كلها بالرفع على الابتداء والخبر
ألا له الخلق والأمر فإنه الموجد والمتصرف تبارك الله رب العالمين تعالى
بالوحدانية في الألوهية وتعظم بالتفرد في الربوبية وتحقيق الآية والله أعلم أن الكفرة كانوا متخذين أربابا
فبين لهم أن المستحق للربوبية واحد وهو الله تعالى لأنه الذي له الخلق والأمر فإنه تعالى خلق العالم على ترتيب
قويم وتدبير حكيم فأبدع الأفلاك ثم زينها بالكواكب كما أشار إليه بقوله فقضاهن سبع سموات في يومين
وعمد إلى إيجاد الأجرام السفلية فخلق جسما قابلا للصور المتبدلة والهيئات المختلفة ثم قسمها بصور نوعية متضادة
الآثار والأفعال وأشار إليه بقوله خلق الأرض في يومين أي ما في جهة السفل في يومين ثم أنشأ أنواع المواليد
الثلاثة بتركيب موادها أولا وتصويرها ثانيا كما قال بعد قوله خلق الأرض في يومين وجعل فيها رواسي من
فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام أي مع اليومين الأولين لقوله في سورة السجدة الله الذي
خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم لما تم له عالم الملك عمد إلى تدبيره كالملك الجالس
على عرشه لتدبير المملكة فدبر الأمر من السماء إلى الأرض بتحريك الأفلاك وتسيير الكواكب وتكوير الليالي و
الأيام ثم صرح بما هو فذلكة التقرير ونتيجته فقال ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين ثم أمرهم بأن
يدعوه متذللين مخلصين فقال ادعوا ربكم تضرعا وخفية أي ذوي تضرع
وخفية فإن الإخفاء دليل الإخلاص إنه لا يحب المعتدين المجاوزين ما أمروا به في الدعاء وغيره
نبه به على أن الداعي ينبغي أن لا يطلب ما لا يليق به كرتبة الأنبياء والصعود إلى السماء وقيل هو الصياح في الدعاء و
الإسهاب فيه وعن النبي صلى الله عليه وسلم سيكون قوم يعتدون في الدعاء وحسب المرء أن يقول اللهم إني أسألك الجنة وما قرب

إليها من قول وعمل وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول وعمل ثم قرأ إنه لا يحب المعتدين ولا تفسدوا
في الأرض بالكفر والمعاصي بعد إصلاحها ببعث الأنبياء وشرع الأحكام وادعوه
خوفا وطمعا ذوي خوف من الرد لقصور أعمالكم وعدم استحقاقكم وطمع في إجابته تفضلا وإحسانا
لفرط رحمته إن رحمة الله قريب من المحسنين ترجيح للطمع وتنبيه على ما يتوسل به
إلى الإجابة وتذكير قريب لأن الرحمة بمعنى الرحم أو لأنه صفة محذوف أي أمر قريب أو على تشبيهه بفعيل الذي بمعنى
مفعول أو الذي هو مصدر كالنقيض أو للفرق بين القريب من النسب والقريب من غيره وهو الذي
يرسل الرياح وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي الريح على الوحدة بشرا جمع نشور بمعنى ناشر وقرأ ابن عامر
نشرا بالتخفيف حيث وقع وحمزة والكسائي نشرا بفتح النون حيث وقع على أنه مصدر في موقع الحال بمعنى ناشرات
أو مفعول مطلق فإن الإرسال والنشر متقاربان وعاصم بشرا وهو تخفيف بشر جمع بشير وقد قرئ به وبشرا بفتح الباء
مصدر بشره بمعنى باشرات أو للبشارة وبشرى بين يدي رحمته قدام رحمته يعني المطر فإن الصبا تثير
السحاب والشمال تجمعه والجنوب تدره والدبور تفرقه حتى إذا أقلت أي حملت واشتقاقه من القلة
فإن المقل للشيء يستقله سحابا ثقالا بالماء جمعه لأن السحاب جمع بمعنى السحائب سقناه أي السحاب
أفراد الضمير باعتبار اللفظ لبلد ميت لأجله أو لإحيائه أو لسقيه وقرئ ميت فأنزلنا به
الماء بالبلد أو بالسحاب أو بالسوق أو بالريح وكذلك فأخرجنا به ويحتمل فيه عود الضمير إلى الماء
وإذا كان للبلد فالباء للإلصاق في الأول وللظرفية في الثاني وإذا كان لغيره فهي للسببية من كل
الثمرات من كل أنواعها كذلك نخرج الموتى الإشارة فيه إلى إخراج الثمرات أو
إلى إحياء البلد الميت أي كما نحييه بإحداث القوة النامية فيه وتطريتها بأنواع النبات والثمرات نخرج الموتى
من الأجداث ونحييها برد النفوس إلى مواد أبدانها بعد جمعها وتطريتها بالقوى والحواس لعلكم
تذكرون فتعلمون أن من قدر على ذلك قدر على هذا والبلد الطيب الأرض الكريمة التربة
يخرج نباته بإذن ربه بمشيئته وتيسيره عبر به عن كثرة النبات وحسنه وغزارة نفعه
لأنه أوقعه في مقابلة والذي خبث كالحرة والسبخة لا يخرج إلا نكدا قليلا عديم
النفع ونصبه على الحال والتقدير والبلد الذي خبث لا يخرج نباته إلا نكدا فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه
مقامه فصار مرفوعا مستترا وقرئ يخرج أي يخرجه البلد فيكون إلا نكدا مفعولا ونكدا على المصدر أي ذا نكد ونكدا
بالإسكان للتخفيف كذلك نصرف الآيات نرددها ونكررها لقوم يشكرون
نعمة الله فيتفكرون فيها ويعتبرون بها والآية مثل لمن تدبر الآيات وانتفع بها ولمن لم يرفع إليها رأسا ولم يتأثر

بها لقد أرسلنا نوحا إلى قومه جواب قسم محذوف ولا تكاد تطلق هذه اللام إلا مع قد لأنها مظنة التوقع فإن المخاطب إذا سمعها توقع وقوع ما صدر بها ونوح بن لمك بن متوشلخ بن إدريس أول نبي بعده بعث وهو ابن خمسين سنة أو أربعين فقال يا قوم اعبدوا الله أي اعبدوه وحده لقوله ما لكم من إله غيره وقرأ الكسائي غيره بالكسر على اللفظ وقرئ بالنصب على الاستثناء إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم إن لم تؤمنوا وهو وعيد وبيان للداعي إلى عبادته واليوم يوم القيامة أو يوم نزول الطوفان قال الملأ من قومه أي الأشراف فإنهم يملؤون العيون رواء إنا لنراك في ضلال مبين زوال عن الحق بين قال يا قوم ليس بي ضلالة أي شيء من الضلال بالغ في النفي كما بالغوا في الإثبات وعرض لهم به ولكني رسول من رب العالمين استدراك باعتبار ما يلزمه وهو كونه على هدى كأنه قال ولكني على هدى في الغاية لأني رسول من الله أبلغكم رسالات ربي وأنصح لكم وأعلم من الله ما لا تعلمون صفات لرسول أو استئناف ومساقها على الوجهين لبيان كونه رسولا وقرأ أبو عمرو أبلغكم بالتخفيف وجمع الرسالات لاختلاف أوقاتها أو لتنوع معانيها كالعقائد والمواعظ والأحكام أو لأن المراد بها ما أوحي إليه وإلى الأنبياء قبله كصحف شيث وإدريس وزيادة اللام في لكم للدلالة على إمحاض النصح لهم وفي أعلم من الله تقرير لما أوعدهم به فإن معناه أعلم من قدرته وشدة بطشه أو من جهته بالوحي أشياء لا علم لكم بها أوعجبتم الهمزة للإنكار والواو للعطف على محذوف أي أكذبتم وعجبتم أن جاءكم من أن جاءكم ذكر من ربكم رسالة أو موعظة على رجل على لسان رجل منكم من جملتكم أو من جنسكم فإنهم كانوا يتعجبون من إرسال البشر ويقولون لو شاء الله لأنزل ملائكة ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين لينذركم عاقبة الكفر والمعاصي ولتتقوا منهما بسبب الإنذار ولعلكم ترحمون بالتقوى وفائدة حرف الترجي التنبيه على أن التقوى غير موجب والترحم من الله تفضل وأن المتقي ينبغي أن لا يعتمد على تقواه ولا يأمن من عذاب الله فكذبوه فأنجيناه والذين معه وهم من آمن به وكانوا أربعين رجلا وأربعين امرأة وقيل تسعة بنوه سام وحام ويافث وستة ممن آمن به في الفلك متعلق بمعه أو بأنجيناه أو حال من الموصول أو من الضمير في معه وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا بالطوفان إنهم كانوا قوما عمين عمي القلوب غير مستبصرين وأصله عميين فخفف وقرئ عامين والأول أبلغ لدلالته على الثبات وإلى عاد أخاهم عطف على نوحا إلى قومه هودا عطف بيان لأخاهم والمراد به الواحد منهم كقولهم يا أخا العرب فإنه هود بن عبد الله

بن رباح بن الخلود بن عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح وقيل هود بن شالخ بن أرفخشد بن سام ابن عم أبي عاد وإنما جعل منهم لأنهم أفهم لقوله وأعرف بحاله وأرغب في اقتفائه قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره استئناف به ولم يعطف كأنه جواب سائل قال فما قال لهم حين أرسل وكذلك جوابهم أفلا تتقون عذاب الله وكان قومه كانوا أقرب من قوم نوح ولذلك قال قال الملأ الذين كفروا من قومه إذ كان في أشرافهم من آمن به كمرثد بن سعد إنا لنراك في سفاهة متمكنا في خفة عقل وراسخا فيها حيث فارقت دين قومك وإنا لنظنك من الكاذبين قال يا قوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين أبلغكم رسالات ربي وأنا لكم ناصح أمين أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم سبق تفسيره وفي إجابة الأنبياء الكفرة عن كلماتهم الحمقاء بما أجابوا والإعراض عن مقابلتهم كمال النصح والشفقة وهضم النفس وحسن المجادلة وهكذا ينبغي لكل ناصح وفي قوله وأنا لكم ناصح أمين تنبيه على أنهم عرفوه بالأمرين واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح أي في مساكنهم أو في الأرض بأن جعلكم ملوكا فإن شداد بن عاد ممن ملك معمورة الأرض من رمل عالج إلى بحر عمان خوفهم من عقاب الله ثم ذكرهم بإنعامه وزادكم في الخلق بسطة قامة وقوة فاذكروا آلاء الله تعميم بعد تخصيص لعلكم تفلحون لكي يفضي بكم ذكر النعم إلى شكرها المؤدي إلى الفلاح قالوا أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا استبعدوا اختصاص الله بالعبادة والإعراض عما أشرك به آباؤهم انهماكا في التقليد وحبا لما ألفوه ومعنى المجيء في أجئتنا إما المجيء من مكان اعتزل به عن قومه أو من السماء على التهكم أو القصد على المجاز كقولهم ذهب يسبني فأتنا بما تعدنا من العذاب المدلول عليه بقوله أفلا تتقون إن كنت من الصادقين فيه قال قد وقع عليكم قد وجب أو حق عليكم أو نزل عليكم على أن المتوقع كالواقع من ربكم رجس عذاب من الارتجاس وهو الاضطراب وغضب إرادة انتقام أتجادلونني في أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما نزل الله بها من سلطان أي في أشياء سميتموها آلهة وليس فيها معنى الإلهية لأن المستحق للعبادة بالذات هو الموجد للكل وأنها لو استحقت كان استحقاقها بجعله تعالى إما بإنزال آية أو نصب حجة بين أن منتهى حجتهم وسندهم أن الأصنام تسمى آلهة من غير دليل يدل على تحقق المسمى وإسناد الإطلاق إلى من لا يؤبه بقوله إظهارا لغاية جهالتهم وفرط غباوتهم واستدل به على أن الاسم هو المسمى وأن اللغات توقيفية إذ لو لم يكن كذلك لم يتوجه الذم والإبطال بأنها أسماء مخترعة لم ينزل الله بها سلطانا وضعفهما ظاهر

فانتظروا لما وضح الحق وانتم مصرون على العناد نزول العذاب انى معكم من المنتظرين
فانجيناه والذين معه فى الدين برحمة منا عليهم وقطعنا دابر الذين
كذبوا باياتنا اى استأصلناهم وما كانوا مؤمنين تعريض بمن آمن منهم وتنبيه
على ان الفارق بين من نجا ومن هلك هو الايمان روى انهم كانوا يعبدون الاصنام فبعث الله اليهم هودا فكذبوه
وازدادوا عتوا فامسك الله القطر عنهم ثلاث سنين حتى جهدهم وكان الناس حينئذ مسلمهم وكافرهم اذا نزل بهم
بلاء توجهوا الى البيت الحرام وطلبوا من الله الفرج فجهزوا اليه قيل بن عنز ومرثد بن سعد فى سبعين من اعيانهم وكان اذ ذاك
بمكة العمالقة اولاد عمليق بن لاوذ بن سام وسيدهم معاوية بن بكر فلما قدموا عليه وهو بظاهر مكة انزلهم واكرمهم وكانوا
اخواله واصهاره فلبثوا عنده شهرا يشربون الخمر وتغنيهم الجرادتان قينتان له فلما رأى ذهولهم باللهو عما بعثوا له اهمه
ذلك واستحيى ان يكلمهم فيه مخافة ان يظنوا به ثقل مقامهم فعلم القينتين الا يا قيل ويحك قم فهينم لعل الله يسقينا غماما
فيسقى ارض عاد ان عادا قد امسوا ما يبينون الكلاما حتى غنتا به فازعجهم ذلك فقال مرثد والله لا تسقون بدعائكم
ولكن ان اطعتم نبيكم وتبتم الى الله سقيتم فقالوا لمعاوية احبسه عنا لا يقدمن معنا مكة فانه قد اتبع دين هود وترك ديننا
ثم دخلوا مكة فقال قيل اللهم اسق عادا ما كنت تسقيهم فانشأ الله سحابات ثلاثا بيضاء وحمراء وسوداء
ثم ناداه مناد من السماء يا قيل اختر لنفسك ولقومك فقال اخترت السوداء فانها اكثرهن ماء فخرجت على عاد
من وادى المغيث فاستبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا فجاءتهم منها ريح عقيم فاهلكتهم ونجا هود والمؤمنون
معه فاتوا مكة وعبدوا الله فيها حتى ماتوا والى ثمود قبيلة اخرى من العرب سموا باسم ابيهم الاكبر ثمود بن
عابر بن ارم بن سام وقيل سموا به لقلة مائهم من الثمد وهو الماء القليل وقرئ مصروفا بتأويل الحى او باعتبار الاصل وكانت
مساكنهم الحجر بين الحجاز والشام الى وادى القرى اخاهم صالحا صالح بن عبيد بن آسف بن ماسح بن عبيد بن
حاذر بن ثمود قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد
جاءتكم بينة من ربكم معجزة ظاهرة الدلالة على صحة نبوتى وقوله هذه ناقة الله
لكم آية استيناف لبيانها وآية نصب على الحال والعامل فيها معنى الاشارة ولكم بيان
لمن هى له آية ويجوز ان يكون ناقة الله بدلا او عطف بيان ولكم خبرا عاملا فى آية واضافة الناقة الى الله لتعظيمها ولانها
جاءت من عنده بلا وسائط واسباب معهودة ولذلك كانت آية فذروها تأكل فى ارض
الله العشب ولا تمسوها بسوء نهى عن المس الذى هو مقدمة الاصابة بالسوء الجامع لانواع
الاذى مبالغة فى الامر وازاحة للعذر فيأخذكم عذاب اليم جواب للنهى واذكروا
اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم فى الارض ارض الحجر تتخذون

من سهولها

من سهولها قصورا اى تبنون فى سهولها او من سهولة الارض بما تعملون منها كاللبن والآجر و
تنحتون الجبال بيوتا وقرئ تنحتون بالفتح وتنحاتون بالاشباع وانتصاب بيوتا على الحال المقدرة
او المفعول على ان التقدير بيوتا من الجبال او تنحتون بمعنى تتخذون فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا
فى الارض مفسدين قال الملأ الذين استكبروا من قومه اى عن
الايمان للذين استضعفوا اى للذين استضعفوهم واستذلوهم لمن آمن منهم بدل من الذين استضعفوا
بدل الكل ان كان الضمير لقومه وبدل البعض ان كان للذين وقرأ ابن عامر وقال بالواو اتعلمون ان
صالحا مرسل من ربه قالوه على الاستهزاء قالوا انا بما ارسل به مؤمنون
عدلوا عن الجواب السوى الذى هو نعم تنبيها على ان ارساله اظهر من ان يشك فيه عاقل ويخفى على ذى رأى
وانما الكلام فيمن آمن به ومن كفر فلذلك قال قال الذين استكبروا انا بالذى آمنتم
به كافرون على وجه المقابلة ووضعوا آمنتم به موضع ارسل به ردا لما جعلوه معلوما مسلما فعقروا
الناقة فنحروها اسند الى جميعهم فعل بعضهم للملابسة او لانه كان برضاهم وعتوا عن امر ربهم
واستكبروا عن امتثاله وهو ما بلغهم صالح عليه السلام بقوله فذروها وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا
ان كنت من المرسلين فاخذتهم الرجفة الزلزلة فاصبحوا فى دارهم
جاثمين خامدين ميتين روى انهم بعد عاد عمروا بلادهم وخلفوهم وكثروا وعمروا اعمارا طوالا لا تفى بها
الابنية فنحتوا البيوت من الجبال وكانوا فى خصب وسعة فعتوا وافسدوا فى الارض وعبدوا الاصنام فبعث الله
اليهم صالحا من اشرافهم فانذرهم فسألوه آية فقال اية آية تريدون قالوا اخرج معنا الى عيدنا فتدعو الهك
وندعو آلهتنا فمن استجيب له اتبع فخرج معهم فدعوا اصنامهم فلم تجبهم ثم اشار سيدهم جندع بن عمرو الى صخرة منفردة
يقال لها الكاثبة وقال له اخرج من هذه الصخرة ناقة مخترجة جوفاء وبراء فان فعلت صدقناك فاخذ عليهم صالح مواثيقهم
لئن فعلت ذلك لتؤمنن فقبلوا فصلى ودعا ربه فتمخضت الصخرة تمخض النتوج بولدها فانصدعت عن ناقة
عشراء جوفاء وبراء كما وصفوا وهم ينظرون ثم نتجت ولدا مثلها فى العظم فآمن به جندع فى جماعة ومنع الباقين
عن الايمان ذؤاب بن عمرو والحباب صاحب اوثانهم ورباب بن صمعر كاهنهم فمكثت الناقة مع ولدها ترعى
الشجر وترد الماء غبا فما ترفع راسها من البئر حتى تشرب كل ما فيها ثم تتفحج فيحلبون ما شاؤوا حتى تمتلئ اوانيهم
فيشربون ويدخرون وكانت تصيف بظهر الوادى فتهرب منها انعامهم الى بطنه وتشتو ببطنه فتهرب
مواشيهم الى ظهره فشق ذلك عليهم وزينت عقرها عنيزة ام غنم وصدقة بنت المختار فعقروها واقتسموا
لحمها فرقى سقبها جبلا اسمه قارة فرغا ثلاثا فقال صالح ادركوا الفصيل عسى ان يرفع عنكم العذاب فلم يقدروا

عليه اذ انفجرت الصخرة بعد رغائه فدخلها فقال لهم صالح تصبح وجوهكم غدا مصفرة وبعد غد محمرة واليوم الثالث
مسودة ثم يصبحكم العذاب فلما رأوا العلامات طلبوا ان يقتلوه فانجاه الله الى ارض فلسطين ولما كان ضحوة اليوم
الرابع تحنطوا وتكفنوا بالانطاع فاتتهم صيحة فتقطعت قلوبهم فهلكوا فتولى عنهم وقال يا قوم
لقد ابلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين
ظاهره ان توليه عنهم كان بعد ان ابصرهم جاثمين ولعله خاطبهم به بعد هلاكهم كما خاطب رسول الله اهل قليب
بدر وقال انا وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا او ذكر ذلك على سبيل التحسر عليهم ولوطا
اي وارسلنا لوطا اذ قال لقومه وقت قوله لهم او واذكر لوطا واذ بدل منه أتأتون
الفاحشة توبيخ وتقريع على تلك الفعلة المتمادية في القبح ما سبقكم بها من احد
من العالمين ما فعلها قبلكم احد قط والباء للتعدية ومن الاولى لتاكيد النفي والاستغراق والثانية
للتبعيض والجملة استيناف مقررة للانكار كانه وبخهم اولا باتيان الفاحشة ثم باختراعها فانه اسوأ انكم
لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بيان لقوله أتأتون الفاحشة وهو ابلغ في
الانكار والتوبيخ وقرأ نافع وحفص انكم على الاخبار المستأنف وشهوة مفعول له او مصدر في موقع الحال وفي
التقييد بها وصفهم بالبهيمية الصرفة وتنبيه على ان العاقل ينبغي ان يكون الداعي له الى المباشرة طلب الولد وبقاء
النوع لا قضاء الوطر بل انتم قوم مسرفون اضراب عن الانكار الى الاخبار عن حالهم التي
ادت بهم الى ارتكاب امثالها وهي اعتياد الاسراف في كل شيء او عن الانكار عليها الى الذم على جميع معايبهم
او عن محذوف مثل لا عذر لكم فيه بل انتم قوم عادتكم الاسراف وما كان جواب قومه الا
ان قالوا اخرجوهم من قريتكم اي ما جاءوا بما يكون جوابا عن قوله ولكنهم قابلوا نصحه بالامر باخراجه
فيمن معه من المؤمنين من قريتهم والاستهزاء بهم فقالوا انهم اناس يتطهرون اي من الفواحش فانجيناه
واهله اي من آمن به الا امرأته استثناء من اهله فانها كانت تسر الكفر كانت من
الغابرين من الذين بقوا في ديارهم فهلكوا والتذكير لتغليب الذكور وامطرنا عليهم مطرا
اي نوعا من المطر عجيبا وهو مبين بقوله وامطرنا عليهم حجارة من سجيل فانظر كيف كان
عاقبة المجرمين روي ان لوط بن هاران بن تارخ لما هاجر مع عمه ابراهيم الى الشام نزل بالاردن فارسله الله
الى اهل سدوم ليدعوهم الى الله وينهاهم عما اخترعوه من الفاحشة فلم ينتهوا عنها فامطر الله عليهم الحجارة فهلكوا
وقيل خسف بالمقيمين منهم وامطرت الحجارة على مسافريهم والى مدين اخاهم شعيبا اي وارسلنا
اليهم وهم اولاد مدين بن ابراهيم شعيب بن ميكيل بن يشجر بن مدين وكان يقال له خطيب الانبياء لحسن مراجعته قومه قال

يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد جاءتكم بينة من
ربكم يريد المعجزة التي كانت له وليس في القرآن انها ما هي وما روي من محاربة عصا موسى التنين وولادة الغنم التي
دفعها اليه الدرع خاصة وكانت الموعودة له من اولادها ووقوع عصا آدم على يده في المرات السبع متأخر عن هذه المقالة
ويحتمل ان تكون كرامة لموسى او ارهاصا لنبوته فاوفوا الكيل اي آلة الكيل على الاضمار او اطلاق الكيل
على المكيال كالعيش على المعاش لقوله والميزان كما قال في سورة هود اوفوا المكيال والميزان او الميزان
يكون مصدرا كالميعاد ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تنقصوهم حقوقهم وانما قال اشياءهم
للتعميم تنبيها على انهم كانوا يبخسون الجليل والحقير والقليل والكثير وقيل كانوا مكاسين لا يدعون شيئا الا مكسوه
ولا تفسدوا في الارض بالكفر والحيف بعد اصلاحها بعد ما اصلح امرها او اهلها الانبياء
واتباعهم بالشرائع او اصلحوا فيها والاضافة اليها كالاضافة في بل مكر الليل والنهار ذلكم خير لكم
ان كنتم مؤمنين اشارة الى العمل بما امرهم به ونهاهم عنه ومعنى الخيرية اما الزيادة مطلقا او في الانسانية
وحسن الاحدوثة وجمع المال ولا تقعدوا بكل صراط توعدون بكل طريق من طرق
الدين كالشيطان وصراط الحق وان كان واحدا لكنه يتشعب الى معارف وحدود واحكام وكانوا اذا رأوا
احدا يسعى في شيء منها منعوه وقيل كانوا يجلسون على المراصد فيقولون لمن يريد شعيبا انه كذاب لا يفتننك عن دينك
ويوعدون لمن آمن به وقيل كانوا يقطعون الطريق وتصدون عن سبيل الله يعني الذي قعدوا
عليه فوضع الظاهر موضع المضمر بيانا لكل صراط ودلالة على عظم ما يصدون عنه وتقبيحا لما كانوا عليه او الايمان بالله
من آمن به اي بالله او بكل صراط على الاول ومن مفعول تصدون على اعمال الاقرب ولو كان مفعول
توعدون لقال وتصدونهم وتوعدون بما عطف عليه في موضع الحال من الضمير في تقعدوا وتبغونها عوجا
وتطلبون لسبيل الله عوجا بالقاء الشبه او وصفها للناس بانها معوجة واذكروا اذ كنتم قليلا عددكم
او عددكم فكثركم بالبركة في النسل والمال وانظروا كيف كان عاقبة
المفسدين من الامم قبلكم واعتبروا بهم وان كان طائفة منكم آمنوا بالذي
ارسلت به وطائفة لم يؤمنوا فاصبروا فتربصوا حتى يحكم
الله بيننا اي بين الفريقين بنصر المحقين على المبطلين فهو وعد للمؤمنين ووعيد للكافرين وهو خير
الحاكمين اذ لا معقب لحكمه ولا حيف فيه قال الملأ الذين استكبروا من قومه
لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا او لتعودن
في ملتنا اي ليكونن احد الامرين لا محالة اما اخراجكم عن القرية او عودكم في الكفر وشعيب لم يكن في ملتهم قط لان الانبياء لا تجوز

عليهم الكفر مطلقا لكن غلبوا الجماعة على الواحد فخوطب هو وقومه بخطابهم وعلى ذلك اجرى الجواب في قوله قال
اولو كنا كارهين اى كيف نعود فيها ونحن كارهون لها او اتعيدوننا في حال كراهتنا قد
افترينا على الله كذبا قد اختلقنا عليه ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا
الله منها شرط جوابه محذوف دليله قد افترينا وهو بمعنى المستقبل لانه لم يقع لكنه جعل كالواقع للمبالغة
وادخل عليه قد لتقريبه من الحال اى قد افترينا وهو بمعنى المستقبل لانه لم يقع لكنه جعل كالواقع الان ان هممنا بالعود
بعد الخلاص منها حيث زعم ان لله ندا وانه قد تبين لنا ان ما كنتم عليه باطل وما انتم عليه حق وقيل انه جواب
قسم تقديره والله لقد افترينا وما يكون لنا وما يصح لنا ان نعود فيها الا ان
يشاء الله ربنا خذلاننا وارتدادنا وفيه دليل على ان الكفر بمشيئته وقيل اراد به حسم طمعهم في العود
بالتعليق على ما لا يكون وسع ربنا كل شيء علما اى احاط علمه بكل شيء مما كان وما يكون منا ومنكم على
الله توكلنا في ان يثبتنا على الايمان ويخلصنا من الاشرار ربنا افتح بيننا وبين
قومنا بالحق اى احكم بيننا والفتاح القاضي والفتاحة الحكومة او اظهر امرنا حتى ينكشف
ما بيننا وبينهم ويتميز المحق من المبطل من فتح المشكل اذا بينه وانت خير الفاتحين على المعنيين
وقال الملأ الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيبا وتركتم دينكم
انكم اذا لخاسرون لاستبدالكم ضلالته بهداكم او لفوات ما يحصل لكم بالبخس والتطفيف
وهو ساد مسد جواب الشرط والقسم الموطئ باللام فاخذتهم الرجفة الزلزلة وفي سورة
الحجر فاخذتهم الصيحة ولعلها كانت من مباديها فاصبحوا في دارهم جاثمين اى في مدينتهم
الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين دينا ودنيا لا الذين صدقوه و
اتبعوه كما زعموا فانهم الرابحون في الدارين وللتنبيه على هذا والمبالغة فيه كرر الموصول واستانف بالجملتين
واتى بهما اسميتين فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالات ربي
ونصحت لكم قاله تاسفا بهم لشدة حزنه عليهم ثم انكر على نفسه فقال فكيف
آسى على قوم كافرين ليسوا اهل حزن لاستحقاقهم ما نزل عليهم بكفرهم او قاله اعتذارا عن عدم شدة
حزنه عليهم والمعنى لقد بالغت في الابلاغ والانذار وبذلت وسعي في النصح والاشفاق فلم تصدقوا قولي
فكيف آسى عليكم وقرئ فكيف ايسى بالامالة وما ارسلنا في قرية من نبي الا اخذنا
اهلها بالبأساء والضراء بالبؤس والضر لعلهم يضرعون كي يتضرعوا ويتذللوا
ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة اى اعطيناهم بدل ما كانوا فيه من البلاء والشدة

الذين كذبوا شعيبا مبتدأ وخبر كان لم يغنوا فيها اى لم يقيموا بها والمغنى المنزل صح

السلامة والسعة ابتلاء لهم بالامرين حتى عفوا كثروا عددا وعددا يقال عفا النبات اذا كثر ومنه اعفاء
اللحى وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء كفرانا لنعمة الله ونسيانا لذكره واعتقادا
بانه من عادة الدهر يعاقب في الناس بين الضراء والسراء وقد مس آباءنا منه مثل ما مسنا فاخذناهم
بغتة فجأة وهم لا يشعرون بنزول العذاب ولو ان اهل القرى يعني
القرى المدلول عليها بقوله وما ارسلنا في قرية من نبي وقيل مكة وما حولها آمنوا واتقوا مكان كفرهم
وعصيانهم لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض لوسعنا عليهم الخير
ويسرناه لهم من كل جانب وقيل المطر والنبات وقرأ ابن عامر لفتحنا بالتشديد ولكن كذبوا
الرسل فاخذناهم بما كانوا يكسبون من الكفر والمعاصي افامن اهل القرى
عطف على قوله فاخذناهم بغتة وهم لا يشعرون وما بينهما اعتراض والمعنى ابعد ذلك امن اهل القرى ان
ياتيهم باسنا بياتا تبييتا او وقت بيات او مبيتا او مبيتين وهو في الاصل مصدر بمعنى
البيتوتة ويجيء بمعنى التبييت كالسلام بمعنى التسليم وهم نائمون حال من ضميرهم البارز او المستتر في
بياتا او امن اهل القرى وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر او بالسكون على الترديد ان ياتيهم
باسنا ضحى ضحوة النهار وهو في الاصل ضوء الشمس اذا ارتفعت وهم يلعبون يلهون من
فرط الغفلة او يشتغلون بما لا ينفعهم افامنوا مكر الله تقرير لقوله افامن اهل القرى ومكر الله
استعارة لاستدراج العبد واخذه من حيث لا يحتسب فلا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون
الذين خسروا بالكفر وترك النظر والاعتبار اولم يهد للذين يرثون الارض من بعد
اهلها اى يخلفون من خلا قبلهم ويرثون ديارهم وانما عدي يهد باللام لانه بمعنى يبين ان لو
نشاء اصبناهم بذنوبهم ان الشان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم كما اصبنا من قبلهم وهو
فاعل يهد ومن قرأ بالنون جعله مفعولا ونطبع على قلوبهم عطف على ما دل عليه اولم يهد اى
يغفلون عن الهداية او منقطع عنه بمعنى ونحن نطبع ولا يجوز عطفه على اصبناهم على انه بمعنى وطبعنا لانه في
سياقه جواب لو لافضائه الى نفي الطبع عنهم فهم لا يسمعون سماع تفهم واعتبار تلك
القرى يعني قرى الامم المار ذكرهم نقص عليك من انبائها حال ان جعل القرى خبرا و
يكون افادته بالتقييد بها وخبر ان جعلت صفة ويجوز ان يكونا خبرين ومن للتبعيض اى نقص بعض انبائها ولها انباء غيرها
لا نقصها ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات بالمعجزات فما كانوا ليؤمنوا عند
مجيئهم بها بما كذبوا من قبل بما كذبوه من قبل الرسل بل كانوا مستمرين على التكذيب

او ما كانوا ليؤمنوا مدة عمرهم بما كذبوا به اولا حين جاءتهم الرسل ولم يؤثر فيهم قط دعوتهم المتطاولة والآيات المتتابعة واللام لتأكيد النفي والدلالة على انهم ما صلحوا للايمان لمنافاته بحالهم في التصميم على الكفر والطبع على قلوبهم كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين فلا تلين شكيمتهم بالآيات والنذر

وما وجدنا لاكثرهم لاكثر الناس والآية اعتراض او لاكثر الامم المذكورين من عهد وفاء عهد فان اكثرهم نقضوا ما عهد الله اليهم في الايمان والتقوى بانزال الآيات ونصب الحجج او ما عهدوا اليه حين كانوا في ضر ومخافة مثل لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين وان وجدنا اكثرهم اي علمناهم لفاسقين من وجدت زيدا ذا الحفاظ لدخول ان المخففة واللام الفارقة وذلك لا يسوغ الا في المبتدا والخبر والافعال الداخلة عليهما وعند الكوفيين ان للنفي واللام بمعنى الا

ثم بعثنا من بعدهم موسى الضمير للرسل في قوله ولقد جاءتهم رسلهم او للامم بآياتنا يعني المعجزات الى فرعون وملائه فظلموا بها بان كفروا بها مكان الايمان الذي هو من حقها لوضوحها ولهذا المعنى وضع ظلموا موضع كفروا وفرعون لقب لمن ملك مصر ككسرى لمن ملك فارس وكان اسمه قابوس وقيل الوليد بن مصعب بن الريان فانظر كيف كان عاقبة المفسدين

وقال موسى يا فرعون اني رسول من رب العالمين اليك وقوله حقيق على ان لا اقول على الله الا الحق لعله جواب لتكذيبه اياه في دعوى الرسالة وانما لم يذكره لدلالة قوله فظلموا بها عليه وكان اصله حقيق علي ان لا اقول كما قرأ نافع فقلب لأمن الالباس كقوله وتشقى الرماح بالضياطرة الحمر او لان ما لزمك فقد لزمته او للاغراق في الوصف بالصدق والمعنى انه حق واجب على القول الحق ان اكون انا قائله لا يرضى الا بمثلي ناطقا به او ضمن حقيق معنى حريص او وضع على مكان الباء لافادة التمكن كقولهم رميت على القوس وجئت على حال حسنة ويؤيده قراءة أبي بأن لا اقول وقرئ حقيق ان لا اقول

قد جئتكم ببينة من ربكم فارسل معي بني اسرائيل فخلهم يرجعوا معي الى الارض المقدسة التي هي وطن آبائهم وكان قد استعبدهم واستخدمهم في الاعمال قال ان كنت جئت بآية من عند من ارسلك فأت بها فاحضرها عندي ليثبت بها صدقك ان كنت من الصادقين في الدعوى فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين ظاهر امره لا يشك في انه ثعبان وهو الحية العظيمة روي انه لما القاها صارت ثعبانا اشعر فاغرا فاه بين لحييه ثمانون ذراعا وضع لحيه الاسفل على الارض والاعلى على سور القصر ثم توجه نحو فرعون فهرب منه واحدث وانهزم الناس مزدحمين فمات منهم خمسة وعشرون الفا وصاح فرعون يا موسى

انشدك بالذي ارسلك خذه وانا اؤمن بك وارسل معك بني اسرائيل فاخذه فعاد عصا ونزع يده من جيبه او من تحت ابطه فاذا هي بيضاء للناظرين اي بيضاء بياضا خارجا عن العادة يجتمع عليها النظارة او بيضاء للنظار لا انها كانت بيضاء في جبلتها روي انه كان آدم شديد الادمة فادخل يده في جيبه او تحت ابطه ثم نزعها فاذا هي بيضاء نورانية غلب شعاعها شعاع الشمس قال الملأ من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم قيل قاله هو واشراف قومه على سبيل التشاور وحكي عنه في سورة الشعراء وعنهم ههنا يريد ان يخرجكم من ارضكم فماذا تأمرون تشيرون في ان نفعل قالوا ارجه واخاه وارسل في المدائن حاشرين يأتوك بكل ساحر عليم كأنه اتفقت عليه آراؤهم فاشاروا به الى فرعون والارجاء التأخير اي أخر امره واصله ارجئه كما قرأ ابو عمرو ويعقوب من ارجأت وكذلك ارجئهو على قراءة ابن كثير على الاصل في الضمير او ارجيه من ارجيت كما قرأ نافع في رواية ورش واسمعيل والكسائي واما قراءته في رواية قالون ارجه بحذف الياء والاكتفاء بالكسرة عنها وقراءة حمزة وعاصم ارجه بسكون الهاء فلتشبيه المنفصل بالمتصل وجعل جه ككبل في اسكان وسطه واما قراءة ابن عامر ارجئه بالهمزة وكسر الهاء فلا يرتضيه النحاة فان الهاء لا تكسر الا اذا كان قبلها كسرة او ياء ساكنة ووجهه ان الهمزة لما كانت تقلب ياء أجريت مجراها وقرأ حمزة والكسائي بكل سحار فيه وفي يونس ويؤيده اتفاقهم عليه في الشعراء

وجاء السحرة فرعون بعدما ارسل الشرط في طلبهم قالوا ان لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين استئناف به كأنه جواب سائل قال ما قالوا اذ جاءوا وقرأ ابن كثير ونافع وحفص عن عاصم ان لنا على الاخبار وايجاب الاجر كأنهم قالوا لا بد لنا من اجر والتنكير للتعظيم قال نعم ان لكم اجرا وانكم لمن المقربين عطف على ما سد مسده نعم وزيادة على الجواب لتحريضهم قالوا يا موسى اما ان تلقي واما ان نكون نحن الملقين خيروا موسى مراعاة للادب واظهارا للجلادة ولكن كانت رغبتهم في ان يلقوا قبله فنبهوا عليها بتغيير النظم الى ما هو ابلغ وتعريف الخبر وتوسيط الفصل او تأكيد ضميرهم المتصل بالمنفصل فلذلك قال بل القوا كرما وتسامحا وازدراء بهم ووثوقا على شأنه

فلما القوا سحروا اعين الناس بان خيلوا اليها ما الحقيقة بخلافه واسترهبوهم وارهبوهم ارهابا شديدا كأنهم طلبوا رهبتهم وجاءوا بسحر عظيم في فنه روي انهم القوا حبالا غلاظا وخشبا طوالا كأنها حيات ملأت الوادي وركب بعضها بعضا واوحينا الى موسى ان الق عصاك فالقاها فصارت حية فاذا هي تلقف ما يأفكون

اى يزورونه من الافك وهو الصرف وقلب الشىء عن وجهه ويجوز ان تكون ما مصدرية وهى مع الفعل بمعنى المفعول
روى انها لما تلقفت حبالهم وعصيهم وابتلعتها باسرها اقبلت على الحاضرين فهربوا وازدحموا حتى هلك
جمع عظيم ثم اخذها موسى فصارت عصى كما كانت فقالت السحرة لو كان هذا سحرا لبقيت حبالنا وعصينا
وقرا حفص عن عاصم تلقف بالتخفيف فى طه والشعراء فوقع الحق ثبت لظهور امره وبطل ما كانوا
يعملون من السحر والمعارضة فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين صاروا اذلاء
مبهوتين او رجعوا الى المدينة مقهورين والضمير لفرعون وقومه والقى السحرة ساجدين جعلهم
ملقين على وجوههم تنبيها على ان الحق بهرهم واضطرهم الى السجود بحيث لم يبق لهم تمالك او ان الله الهمهم
ذلك وحملهم عليه حتى ينكسر فرعون بالذين اراد بهم كسر موسى وينقلب الامر عليه او مبالغة فى سرعة خرورهم بجوده
وشدته قالوا امنا برب العالمين رب موسى وهرون ابدلوا الثانى
من الاول لئلا يتوهم انهم ارادوا به فرعون قال فرعون امنتم به بالله او بموسى والاستفهام
فيه للانكار وقرا حمزة والكسائى وابو بكر عن عاصم وروح عن يعقوب بتحقيق الهمزتين على الاصل وقرا حفص
امنتم به على الاخبار قبل ان اذن لكم ان هذا لمكر مكرتموه اى ان هذا
الصنيع حيلة احتلتموها انتم وموسى فى المدينة اى فى مصر قبل ان تخرجوا الى الميعاد لتخرجوا منها
اهلها يعنى القبط وتخلص لكم ولبنى اسرائيل فسوف تعلمون عاقبة ما فعلتم وهو تهديد
مجمل تفصيله لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف من كل شق طرفا ثم
لاصلبنكم اجمعين تفضيحا لكم وتنكيلا لامثالكم قيل انه اول من سن ذلك فشرعه الله للقطاع
تعظيما لجرمهم ولذلك سماه محاربة الله ورسوله ولكن على التعاقب لفرط رحمته قالوا انا الى ربنا
منقلبون بالموت لا محالة فلا نبالى بوعيدك او انا منقلبون الى ربنا وثوابه ان فعلت بنا ذلك
كانهم استطابوه شغفا على لقاء الله او مصيرنا ومصيرك الى ربنا فيحكم بيننا وما تنقم منا وما
تنكر منا الا ان امنا بايات ربنا لما جاءتنا وهو خير الاعمال واصل المناقب ليس مما يتاتى لنا
العدول عنه طلبا لمرضاتك ثم فزعوا الى الله ربنا افرغ علينا صبرا افض علينا
صبرا يغمرنا كما يفرغ الماء او صب علينا ما يطهرنا من الاثام وهو الصبر على وعيد فرعون وتوفنا مسلمين
ثابتين على الاسلام قيل انه فعل بهم ما اوعدهم وقيل انه لم يقدر عليهم لقوله تعالى انتما ومن اتبعكما الغالبون
وقال الملأ من قوم فرعون اتذر موسى وقومه ليفسدوا
فى الارض بتغيير الناس عليك ودعوتهم الى مخالفتك ويذرك عطف على يفسدوا

او جواب للاستفهام بالواو كقول الحطيئة الم اك جاركم ويكون بينى وبينكم المودة والاخاء على معنى ايكون منك
ترك موسى ويكون تركه اياك وقرئ بالرفع على انه عطف على اتذر او استئناف او حال وقرئ بالسكون كانه قيل
يفسدوا ويذرك كقوله فاصدق واكن والهتك معبوداتك قيل كان يعبد الكواكب وقيل صنع
لقومه اصناما وامرهم ان يعبدوها تقربا اليه ولذلك قال انا ربكم الاعلى وقرئ الاهتك اى عبادتك
قال سنقتل ابناءهم ونستحيى نساءهم كما كنا نفعل من قبل ليعلم انا على ما
كنا عليه من القهر والغلبة ولا يتوهم انه المولود الذى حكم المنجمون والكهنة بذهاب ملكنا على يده وقرئ سنقتل
وانا فوقهم قاهرون غالبون وهم مقهورون تحت ايدينا قال
موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا لما سمعوا قول فرعون وتضجروا منه
تسكينا لهم ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده تسلية وتقرير للامر بالاستعانة
بالله والتثبت فى الامر والعاقبة للمتقين وعد لهم بالنصرة وتذكير لما وعدهم من اهلاك
القبط وتوريثهم ديارهم وتحقيق له وقرئ والعاقبة بالنصب عطفا على اسم ان واللام فى الارض تحتمل العهد
والجنس قالوا اى بنو اسرائيل اوذينا من قبل ان تاتينا بالرسالة بقتل الابناء ومن
بعد ما جئتنا باعادته قال عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم
فى الارض تصريحا بما كنى عنه اولا لما راى انهم لم يتسلوا بذلك ولعله لم يجزم به لعدم جزمه
بانهم المستخلفون باعيانهم او اولادهم وقد روى ان مصر انما فتح لهم فى زمن داود عليه السلام فينظر كيف
تعملون فيرى ما تعملون من شكر وكفران وطاعة وعصيان ليجازيكم على حسب ما يوجد منكم ولقد
اخذنا ال فرعون بالسنين بالجدوب لقلة الامطار والمياه والسنة غلبت على عام
القحط لكثرة ما يذكر عنه ويؤرخ به ثم اشتق منها فقيل اسنت القوم اذا قحطوا ونقص من الثمرات
بكثرة العاهات لعلهم يذكرون لكى يتنبهوا على ان ذلك بشؤم كفرهم ومعاصيهم فيتعظوا او
ترق قلوبهم بالشدائد فيفزعوا الى الله ويرغبوا فيما عنده فاذا جاءتهم الحسنة من الخصب والسعة
قالوا لنا هذه لاجلنا ونحن مستحقوها وان تصبهم سيئة جدب وبلاء يطيروا
بموسى ومن معه يتشاءموا به ويقولوا ما اصابتنا الا بشؤمهم وهذا اغراق فى وصفهم بالغباوة
والقساوة فان الشدائد ترقق القلوب وتذلل العرائك وتزيل التماسك سيما بعد مشاهدة الايات و
هى لم تؤثر فيهم بل زادوا عندها عتوا وانهماكا فى الغى وانما عرف الحسنة وذكرها مع اداة التحقيق لكثرة وقوعها
وتعلق الارادة باحداثها بالذات ونكر السيئة واتى بها مع حرف الشك لندورها وعدم القصد لها الا بالتبع

الا انما طائرهم عند الله اي سبب خيرهم وشرهم عنده وهو حكمه ومشيئته او سبب شؤمهم عند الله
وهو اعمالهم المكتوبة عنده فانها التي ساقت اليهم ما يسوءهم وقرئ انما طيرهم وهو اسم الجمع وقيل هو جمع و
لكن اكثرهم لا يعلمون اي ما يصيبهم من الله تعالى او من شؤم اعمالهم وقالوا مهما
اصله ما الشرطية ضمت اليها ما المزيدة للتاكيد ثم قلبت الفها هاء استثقالا للتكرير وقيل مركبة من مه الذي يصوت به
الكاف وما الجزائية ومحلها الرفع على الابتداء او النصب بفعل يفسره تاتنا به اي اي شيء تحضرنا تاتنا
به من آية بيان لمهما وانما سموها آية على زعم موسى لا لاعتقادهم ولذلك قالوا لتسحرنا بها
فما نحن لك بمؤمنين اي لتسحر بها اعيننا وتشبه علينا والضمير في به وبها لما ذكره قبل
التبيين باعتبار اللفظ وانثه باعتبار المعنى فارسلنا عليهم الطوفان ما طاف بهم
وغشي اماكنهم وحروثهم من مطر او سيل وقيل الجدري وقيل الموتان وقيل الطاعون والجراد و
القمل قيل هو كبار القردان وقيل اولاد الجراد قبل نبات اجنحتها والضفادع والدم
روي انهم مطروا ثمانية ايام في ظلمة شديدة لا يقدر احد ان يخرج من بيته ودخل الماء بيوتهم حتى قاموا
فيه الى تراقيهم وكانت بيوت بني اسرائيل مشتبكة ببيوتهم ولم يدخل فيها قطرة وركد على اراضيهم فمنعهم
من الحرث والتصرف فيها ودام ذلك عليهم اسبوعا فقالوا لموسى ادع لنا ربك يكشف عنا ونحن نؤمن
بك فدعا فكشف عنهم ونبت لهم من الكلا والزرع ما لم يعهد مثله ولم يؤمنوا فبعث الله عليهم الجراد فاكلت
زروعهم وثمارهم ثم اخذت تاكل الابواب والسقوف والثياب ففزعوا اليه ثانيا فدعا وخرج الى
الصحراء واشار بعصاه نحو المشرق والمغرب فرجعت الى النواحي التي جاءت منها فلم يؤمنوا فسلط الله
عليهم القمل فاكل ما ابقاه وكان يقع في اطعمتهم ويدخل بين اثوابهم وجلودهم فيمصها ففزعوا اليه فرفع
عنهم فقالوا قد تحققنا الان انك ساحر ثم ارسل الله عليهم الضفادع بحيث لا يكشف ثوب ولا طعام
الا وجدت فيه وكانت تمتلئ منها مضاجعهم وتثب الى قدورهم وهي تغلي وافواههم عند التكلم
ففزعوا اليه وتضرعوا فاخذ عليهم العهود فدعا فكشف الله عنهم ونقضوا العهد ثم ارسل عليهم الدم فصارت
مياههم دما حتى كان يجتمع القبطي مع الاسرائيلي على اناء فيكون ما يليه دما وما يلي الاسرائيلي ماء ويمص الماء
من فم الاسرائيلي فيصير دما في فيه وقيل سلط الله عليهم الرعاف آيات نصب على الحال
مفصلات مبينات لا يشكل على عاقل انها آيات الله ونقمة عليهم او مفصلات لامتحان
احوالهم اذ كان بين كل اثنين منها شهر وكان امتداد كل واحدة اسبوعا وقيل ان موسى لبث فيهم بعد
ما غلب السحرة عشرين سنة يريهم هذه الآيات على مهل فاستكبروا عن الايمان وكانوا

قوما مجرمين ولما وقع عليهم الرجز يعني العذاب المفصل او الطاعون الذي ارسله
بعد ذلك قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك بعهده عندك
وهو النبوة او بالذي عهده اليك ان تدعوه به فيجيبك كما اجابك في آياتك وهو صلة لادع او حال
من الضمير فيه بمعنى ادع الله متوسلا اليه بما عهد عندك او متعلق بفعل محذوف دل عليه التماسهم مثل اسعفنا
الى ما نطلب منك بحق ما عهد عندك او قسم مجاب بقوله لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن
لك ولنرسلن معك بني اسرائيل اي اقسمنا بعهد الله عندك لئن كشفت عنا الرجز
لنؤمنن لك ولنرسلن فلما كشفنا عنهم الرجز الى اجل هم بالغوه الى حد من
الزمان هم بالغوه فمعذبون فيه او مهلكون وهو وقت الغرق او الموت وقيل الى اجل عينوه لايمانهم
اذا هم ينكثون جواب لما اي فلما كشفنا عنهم فاجئوا النكث من غير توقف وتامل فيه
فانتقمنا منهم فاردنا الانتقام فاغرقناهم في اليم اي البحر الذي لا يدرك
قعره وقيل لجته بانهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين اي كان اغراقهم
بسبب تكذيبهم بالآيات وعدم فكرهم فيها حتى صاروا كالغافلين عنها وقيل الضمير للنقمة المدلول عليها بقوله
فانتقمنا منهم واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون بالاستعباد وذبح الابناء من
مستضعفيهم مشارق الارض ومغاربها يعني ارض الشام ملكها بنو اسرائيل بعد الفراعنة
والعمالقة وتمكنوا في نواحيها التي باركنا فيها بالخصب وسعة العيش وتمت كلمة
ربك الحسنى على بني اسرائيل ومضت عليهم واتصلت بالانجاز عدته اياهم بالنصر والتمكين و
هو قوله ونريد ان نمن على الذين الى قوله ما كانوا يحذرون وقرئ كلمات ربك لتعدد المواعيد بما صبروا
بسبب صبرهم على الشدائد ودمرنا وخربنا ما كان يصنع فرعون وقومه من القصور
والعمارات وما كانوا يعرشون من الجنات او ما كانوا يرفعون من البنيان كصرح هامان وقرا
ابن عامر وابو بكر يعرشون هنا وفي النحل بالضم وهذا اخر قصة فرعون وقومه وقوله وجاوزنا ببني
اسرائيل البحر وما بعده ذكر ما احدثه بنو اسرائيل من الامور الشنيعة بعد ان من الله عليهم بالنعم الجسام واراهم
من الآيات العظام تسلية لرسول الله صلعم لما راى منهم وايقاظا للمؤمنين حتى لا يغفلوا عن محاسبة انفسهم ومراقبة
احوالهم روي ان موسى عبر بهم يوم عاشوراء بعد مهلك فرعون فصاموه شكرا فاتوا على قوم
فمروا عليهم يعكفون على اصنام لهم يقيمون على عبادتها قيل كانت تماثيل بقر وذلك
اول شان العجل والقوم كانوا من العمالقة الذين امر موسى بقتالهم وقيل من لخم [illegible]

في الجاهلية وقرأ حمزة والكسائي يعكفون بالكسر قالوا يا موسى اجعل لنا إلها مثالا نعبده كما لهم
آلهة يعبدونها وما كافة للكاف قال إنكم قوم تجهلون وصفهم بالجهل المطلق
وأكده لبعد ما صدر عنهم بعد ما رأوا من الآيات الكبرى عن العقل إن هؤلاء إشارة إلى القوم
متبر مكسر مدمر ما هم فيه يعني أن الله يهدم دينهم الذي هم عليه ويحطم أصنامهم ويجعلها رضاضا
وباطل مضمحل ما كانوا يعملون من عبادتها وإن قصدوا بها التقرب إلى الله
وإنما بالغ في هذا الكلام بإيقاع هؤلاء اسم إن والإخبار عما هم فيه بالتبار وعما فعلوا بالبطلان وتقديم
الخبرين في الجملتين الواقعتين خبرا لإن للتنبيه على أن الدمار لاحق لما هم فيه لا محالة وأن الإحباط الكلي لازم
لما مضى عنهم تنفيرا وتحذيرا عما طلبوا قال أغير الله أبغيكم إلها أطلب لكم معبودا وهو
فضلكم على العالمين والحال أنه خصكم بنعم لم يعطها غيركم وفيه تنبيه على سوء مقابلتهم حيث
قابلوا تخصيص الله إياهم من أمثالهم بما لم يستحقوه تفضلا بأن قصدوا أن يشركوا به أخس شيء من مخلوقاته
وإذ أنجيناكم من آل فرعون واذكروا صنيعه معكم في هذا الوقت وقرأ ابن عامر أنجاكم
يسومونكم سوء العذاب استئناف لبيان ما أنجاهم منه أو حال من المخاطبين أو من آل فرعون أو منهما
يقتلون أبناءكم ويستحيون نساءكم بدل منه مبين وفي ذلكم بلاء
من ربكم عظيم وفي الإنجاء أو العذاب نعمة أو محنة عظيمة وواعدنا موسى ثلاثين
ليلة ذا القعدة وقرأ أبو عمرو ويعقوب ووعدنا وأتممناها بعشر من ذي الحجة
فتم ميقات ربه أربعين ليلة بالغا أربعين روي أنه عليه السلام وعد بني إسرائيل بمصر
أن يأتيهم بعد مهلك فرعون بكتاب من الله فيه بيان ما يأتون ويذرون فلما هلك سأل ربه فأمره
بصوم ثلاثين فلما أتم أنكر خلوف فيه فتسوك فقالت الملائكة كنا نشم منك رائحة المسك فأفسدته بالسواك فأمره
أن يزيد عليها عشرا وقيل أمره أن يتخلى ثلاثين بالصوم والعبادة ثم أنزل عليه التوراة في العشر وكلمه فيها وقال
موسى لأخيه هرون اخلفني في قومي كن خليفتي فيهم و
أصلح ما يجب أن يصلح من أمورهم أو كن مصلحا ولا تتبع سبيل المفسدين ولا
تتبع من سلك الإفساد ولا تطع من دعاك إليه ولما جاء موسى لميقاتنا لوقتنا
الذي وقتنا واللام للاختصاص أي اختص مجيئه لميقاتنا وكلمه ربه من غير وسط كما يكلم الملائكة
وفيما روي أن موسى عليه السلام كان يسمع ذلك الكلام من كل جهة تنبيه على أن سماع الكلام القديم ليس من جنس سماع
كلام المحدثين قال رب أرني أنظر إليك أرني نفسك بأن تمكنني من رؤيتك أو تتجلى لي

فأنظر إليك وأراك وهو دليل على أن رؤيته تعالى جائزة في الجملة لأن طلب المستحيل من الأنبياء محال وخصوصا ما يقتضي الجهل
بالله ولذلك رده بقوله لن تراني دون لن أرى ولن أريك ولن تنظر إلي تنبيها على أنه قاصر عن رؤيته لتوقفها على
معد في الرائي لم يوجد فيه بعد وجعل السؤال لتبكيت قومه الذين قالوا أرنا الله جهرة خطأ إذ لو كانت الرؤية
ممتنعة لوجب أن يجهلهم ويزيح شبهتهم كما فعل بهم حين قالوا اجعل لنا إلها ولا يتبع سبيلهم كما قال لأخيه ولا تتبع سبيل
المفسدين والاستدلال بالجواب على استحالتها أشد خطأ إذ لا يدل الإخبار عن عدم رؤيته إياه على أن لا يراه أبدا
وأن لا يراه غيره أصلا فضلا عن أن يدل على استحالتها ودعوى الضرورة فيه مكابرة أو جهالة بحقيقة الرؤية قال
لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني
استدراك يريد أن يبين به أنه لا يطيقه وفي تعليق الرؤية بالاستقرار أيضا دليل الجواز ضرورة أن المعلق على الممكن
ممكن والجبل قيل جبل زبير فلما تجلى ربه للجبل ظهر له عظمته وتصدى له اقتداره وأمره وقيل أعطى له
حياة ورؤية حتى رآه جعله دكا مدكوكا مفتتا والدك والدق أخوان كالشك والشق وقرأ حمزة
والكسائي دكاء أي أرضا مستوية ومنه ناقة دكاء للتي لا سنام لها وقرئ دكا أي قطعا جمع دكاء وخر
موسى صعقا مغشيا عليه من هول ما رأى فلما أفاق تعظيما لما رأى قال سبحانك تبت
إليك من الجراءة والإقدام على السؤال بغير إذن وأنا أول المؤمنين مرتبه وقيل معناه أنا أول
من آمن بأنك لا ترى في الدنيا قال يا موسى إني اصطفيتك اخترتك على الناس
أي على الموجودين في زمانك وهرون وإن كان نبيا كان مأمورا باتباعه ولم يكن كليما ولا صاحب شرع برسالاتي
يعني أسفار التوراة وقرأ ابن كثير ونافع برسالتي وبكلامي وبتكليمي إياك فخذ ما
آتيتك أعطيتك من الرسالة وكن من الشاكرين على النعمة فيه روي أن سؤال الرؤية
كان يوم عرفة وإعطاء التوراة يوم النحر وكتبنا له في الألواح من كل شيء مما
يحتاجون إليه من أمر الدين موعظة وتفصيلا لكل شيء بدل من الجار والمجرور أي كتبنا له
كل شيء من المواعظ وتفصيل الأحكام واختلف في أن الألواح كانت عشرة أو سبعة وكانت من زمرد أو زبرجد
أو ياقوت أحمر أو صخرة صماء لينها الله لموسى فقطعها بيده أو شقها بأصابعه وكان فيها التوراة أو غيرها فخذها
على إضمار القول عطفا على كتبنا أو بدل من قوله فخذ ما آتيتك والهاء للألواح أو لكل شيء فإنه بمعنى الأشياء أو
للرسالات بقوة بجد وعزيمة وأمر قومك يأخذوا بأحسنها أي بأحسن ما فيها كالصبر
والعفو بالإضافة إلى الانتصار والاقتصاص على طريقة الندب والحث على الأفضل كقوله واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من
ربكم أو بواجباتها فإن الواجب أحسن من غيره ويجوز أن يراد بالأحسن البالغ في الحسن مطلقا لا بالإضافة وهو المأمور به

كقولهم الصيف احر من الشتاء سأريكم دار الفاسقين دار فرعون وقومه بمصر خاوية على عروشها
او منازل عاد وثمود واضرابهم لتعتبروا فلا تفسقوا او دارهم في الآخرة وهي جهنم وقرئ سأورثكم بمعنى سأبين
من اورثت الزند وسأورثكم ويؤيده قوله واورثنا القوم سأصرف عن آياتي المنصوبة في
الآفاق والانفس الذين يتكبرون في الارض بالطبع على قلوبهم فلا يتفكرون فيها ولا
يعتبرون بها وقيل سأصرفهم عن ابطالها وان اجتهدوا كما فعل فرعون فعاد عليه باعلائها او باهلاكهم
بغير الحق صلة يتكبرون اي يتكبرون بما ليس بحق وهو دينهم الباطل او حال من فاعله وان يروا
كل آية منزلة او معجزة لا يؤمنوا بها لعنادهم او اختلال عقلهم بسبب انهماكهم في الهوى و
التقليد وهو يؤيد الوجه الاول وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا
لاستيلاء الشيطنة عليهم وقرأ حمزة والكسائي الرشد بفتحتين وقرئ الرشاد وثلاثتها لغات كالسقم والسقم و
السقام وان يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا ذلك بانهم
كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين اي ذلك الصرف بسبب تكذيبهم و
عدم تدبرهم للآيات ويجوز ان ينتصب ذلك على المصدر اي سأصرف ذلك الصرف بسببهما و
الذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة اي ولقائهم الدار الآخرة او ما وعد الله
في الآخرة حبطت اعمالهم لا ينتفعون بها هل يجزون الا ما كانوا يعملون الا جزاء
اعمالهم واتخذ قوم موسى من بعده من بعد ذهابه للميقات من حليهم
التي استعاروا من القبط حين هموا بالخروج من مصر واضافتها اليهم لانها كانت في ايديهم او ملكوها بعد هلاكهم
وهو جمع حلي كثدي وثدي وقرأ حمزة والكسائي بالكسر بالاتباع كدلي ويعقوب على الافراد عجلا
جسدا بدنا ذا لحم ودم او جسدا من الذهب خاليا من الروح ونصبه على البدل له خوار
اي صوت البقر روي ان السامري لما صاغ العجل القى في فمه من تراب اثر فرس جبريل فصار حيا وقيل
صاغه بنوع من الحيل فيدخل الريح جوفه ويصوت وانما نسب الاتخاذ اليهم وهو فعله لانهم رضوا به
او لان المراد اتخاذهم اياه الها وقرئ جؤار اي صياح الم يروا انه لا يكلمهم ولا
يهديهم سبيلا تقريع على فرط ضلالتهم واخلالهم بالنظر والمعنى الم يروا حين اتخذوه الها انه لا
يقدر على كلام ولا على ارشاد سبيل كآحاد البشر حتى حسبوا انه خالق الاجسام والقوى والقدر اتخذوه
تكرير للذم اي اتخذوه الها وكانوا ظالمين واضعين الاشياء في غير موضعها فلم يكن اتخاذ العجل بدعا منهم
ولما سقط في ايديهم كناية عن اشتداد ندمهم فان النادم المتحسر يعض يده غما فتصير يده مسقوطا

فيها وقرئ سقط على البناء للفاعل بمعنى وقع العض فيها وقيل معناه سقط الندم في انفسهم ورأوا وعلموا انهم
قد ضلوا باتخاذ العجل قالوا لئن لم يرحمنا ربنا بانزال التوبة ويغفر لنا بالتجاوز
عن الخطيئة لنكونن من الخاسرين وقرأهما حمزة والكسائي بالتاء وربنا على النداء ولما
رجع موسى الى قومه غضبان اسفا شديد الغضب وقيل حزينا قال بئسما
خلفتموني من بعدي فعلتم بعدي حيث عبدتم العجل والخطاب للعبدة او قمتم مقامي فلم
تكفوا العبدة والخطاب لهرون والمؤمنين معه وما نكرة موصوفة تفسر المستكن في بئس والمخصوص بالذم محذوف
تقديره بئس خلافة خلفتمونيها من بعدي ومعنى من بعدي من بعد انطلاقي او من بعد ما رأيتم مني من التوحيد والتنزيه
والحمل عليه والكف عما ينافيه اعجلتم امر ربكم اتركتموه غير تام كأنه ضمن عجل معنى سبق فعدي تعديته
او اعجلتم وعد ربكم الذي وعدنيه من الاربعين وقدرتم موتي وغيرتم كما غيرت الامم بعد انبيائهم والقى
الالواح طرحها من شدة الغضب وفرط الضجر حمية للدين روي ان التوراة كانت سبعة اسباع في سبعة
الواح فلما القاها انكسرت فرفع ستة اسباعها وكان فيها تفصيل كل شيء وبقي سبع كان فيه المواعظ والاحكام
واخذ برأس اخيه بشعر رأسه يجره اليه توهما بانه قصر في كفهم وهرون كان اكبر منه بثلاث
سنين وكان حمولا لينا ولذلك كان احب الى بني اسرائيل قال ابن ام ذكر الام ليرققه عليه وكانا من اب
وام وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وابو بكر عن عاصم يا ابن ام بالكسر واصله يا ابن امي فحذف الياء اكتفاء بالكسرة
تخفيفا كالمنادى المضاف الى الياء والباقون بالفتح زيادة في التخفيف لطوله او تشبيها بخمسة عشر ان
القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني ازاحة لتوهم التقصير في حقه والمعنى بذلت
وسعي في كفهم حتى قهروني واستضعفوني وقاربوا قتلي فلا تشمت بي الاعداء فلا تفعل بي ما
يشمتون بي لاجله ولا تجعلني مع القوم الظالمين معدودا في عدادهم بالمؤاخذة او
نسبة التقصير قال رب اغفر لي ما صنعت باخي ولاخي ان فرط في كفهم ضمه اليه في
الاستغفار ترضية له ودفعا للشماتة عنه وادخلنا في رحمتك بمزيد الانعام علينا وانت
ارحم الراحمين فانت ارحم بنا منا على انفسنا ان الذين اتخذوا العجل سينالهم
غضب من ربهم وهو ما امرهم به من قتل انفسهم وذلة في الحياة الدنيا وهي خروجهم
من ديارهم وقيل الجزية وكذلك نجزي المفترين على الله ولا فرية اعظم من فريتهم هذا
الهكم واله موسى ولعله لم يفتر مثلها احد قبلهم ولا بعدهم والذين عملوا السيئات من الكفر و
المعاصي ثم تابوا من بعدها من بعد السيئات وآمنوا واشتغلوا بالايمان وما هو مقتضاه

الاعمال الصالحة ان ربك من بعدها من بعد التوبة لغفور رحيم وان عظم الذنب
كجريمة عبدة العجل وكثر كجرائم بني اسرائيل ولما سكت سكن وقد قرئ به عن موسى الغضب
باعتذار هرون او بتوبتهم وفي هذا الكلام مبالغة وبلاغة من حيث انه جعل الغضب الحامل له على ما فعل كالآمر به
والمغري عليه حتى عبر عن سكونه بالسكوت وقرئ سكت واسكت على ان المسكت هو الله تعالى او اخوه او
الذين تابوا اخذ الالواح التي القاها وفي نسختها وفيما نسخ فيها اي كتب فعلة بمعنى
مفعول كالخطبة وقيل فيما نسخ منها اي من الالواح المنكسرة هدى بيان للحق ورحمة ارشاد الى الصلاح
والخير للذين هم لربهم يرهبون دخلت اللام على المفعول لضعف الفعل بالتأخير او حذف المفعول
واللام للتعليل والتقدير يرهبون معاصي الله لربهم واختار موسى قومه اي من قومه فحذفت
الجار واوصل الفعل اليه سبعين رجلا لميقاتنا فلما اخذتهم الرجفة روي
انه تعالى امره ان يأتيه في سبعين من بني اسرائيل فاختار من كل سبط ستة فزاد اثنان فقال ليتخلف منكم رجلان
فتشاجروا فقال ان لمن قعد اجر من خرج فقعد كالب ويوشع وذهب مع الباقين فلما دنوا من الجبل غشيه غمام فدخل موسى بهم
الغمام وخروا سجدا فسمعوه يكلم موسى يأمره وينهاه ثم انكشف الغمام فاقبلوا اليه وقالوا لن نؤمن لك حتى
نرى الله جهرة فاخذتهم الرجفة اي الصاعقة او رجفة الجبل فصعقوا منها قال رب لو شئت
اهلكتهم من قبل واياي تمنى هلاكهم وهلاكه قبل ان يرى ما رأى او بسبب آخر او عنى به انك
قدرت على اهلاكهم قبل ذلك بحمل فرعون على اهلاكهم وباغراقهم في البحر وغيرهما فترحمت عليهم بالانقاذ
منها وان ترحمت عليهم مرة اخرى لم يبعد من عميم احسانك اتهلكنا بما فعل السفهاء
منا من العناد والتجاسر على طلب الرؤية وكان ذلك قاله بعضهم وقيل المراد بما فعل السفهاء عبادة العجل
والسبعون اختارهم موسى لميقات التوبة عنها فغشيتهم هيبة قلقوا منها ورجفوا حتى كادت تبين مفاصلهم
واشرفوا على الهلاك فخاف عليهم موسى فبكى ودعا فكشفها الله عنهم ان هي الا فتنتك ابتلاؤك
حين اسمعتهم كلامك حتى طمعوا في الرؤية او اوجدت في العجل خوارا فزاغوا به تضل بها من
تشاء ضلالة بالتجاوز عن حده او باتباع المخايل وتهدي من تشاء هداه فيقوى بها ايمانه
انت ولينا القائم بامرنا فاغفر لنا بمغفرة ما قارفنا وارحمنا وانت خير
الغافرين تغفر السيئة وتبدلها بالحسنة واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة
حسن معيشة وتوفيق طاعة وفي الآخرة الجنة انا هدنا اليك تبنا اليك من هاد يهود
اذا رجع وقرئ بالكسر من هاده يهيده اذا اماله ويحتمل ان يكون مبنيا للفاعل والمفعول بمعنى املنا انفسنا او

انفسنا اليك او ملنا اليك ويكون من المضموم مبنيا للمفعول منه على لغة من يقول عود المريض قال عذابي اصيب
به من اشاء تعذيبه ورحمتي وسعت كل شيء في الدنيا المؤمن والكافر بل
المكلف وغيره فسأكتبها فأثبتها في الآخرة او فاكتبها كتبة خاصة منكم يا بني اسرائيل للذين
يتقون الكفر والمعاصي ويؤتون الزكوة خصها بالذكر لانافتها ولانها كانت اشق عليهم
والذين هم بآياتنا يؤمنون فلا يكفرون بشيء منها الذين يتبعون الرسول النبي
الامي مبتدأ خبره يأمرهم او خبر مبتدأ محذوف تقديره هم الذين او بدل من الذين يتقون بدل البعض او
الكل والمراد من آمن منهم بمحمد صلعم وانما سماه رسولا بالاضافة الى الله ونبيا بالاضافة الى العباد الامي
الذي لا يكتب ولا يقرأ وصفه به تنبيها على ان كمال علمه مع حاله احدى معجزاته الذي يجدونه
مكتوبا عندهم في التورية والانجيل اسما وصفة يأمرهم بالمعروف
وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات مما حرم عليهم كالشحوم ويحرم
عليهم الخبائث كالدم ولحم الخنزير او كالربوا والرشوة ويضع عنهم اصرهم و
الاغلال التي كانت عليهم ويخفف عليهم ما كلفوا به من التكاليف الشاقة كتعين القصاص
في العمد والخطاء وقطع الاعضاء الخاطئة وقرض موضع النجاسة واصل الاصر الثقل الذي يأصر صاحبه اي
يحبسه من الحراك لثقله فالذين آمنوا به وعزروه وعظموه بالتقوية وقرئ بالتخفيف واصله
المنع ومنه التعزير ونصروه واتبعوا النور الذي انزل معه اي مع نبوته يعني القرآن
وانما سماه نورا لانه باعجازه ظاهر امره مظهر غيره او لانه كاشف الحقائق مظهر لها ويجوز ان يكون معه
متعلقا باتبعوا اي واتبعوا النور المنزل مع اتباع النبي فيكون اشارة الى اتباع الكتاب والسنة اولئك
هم المفلحون الفائزون بالرحمة الابدية ومضمون الآية جواب دعاء موسى قل يا ايها النا
س اني رسول الله اليكم الخطاب عام وكان رسول الله صلعم مبعوثا الى كافة الثقلين و
سائر الرسل الى اقوامهم جميعا حال من اليكم الذي له ملك السموات والارض
صفة لله وان حيل بينهما بما هو متعلق المضاف اليه لانه كالمتقدم عليه او مدح منصوب او مرفوع او مبتدأ
خبره لا اله الا هو وهو على الوجه الاول بيان لما قبله فان من ملك العالم كان هو الاله لا غيره
وفي يحيي ويميت مزيد تقرير لاختصاصه بالالوهية فآمنوا بالله ورسوله النبي
الامي الذي يؤمن بالله وكلماته ما انزل عليه وعلى سائر الرسل من كتبه ووحيه وقرئ
وكلمته على ارادة الجنس او القرآن او عيسى تعريضا لليهود وتنبيها على ان من لم يؤمن به لم يعتبر ايمانه وانما عدل عن التكلم

الكلم الى الغيبة لاجراء الصفات الداعية الى الايمان به والاتباع له واتبعوه لعلكم تهتدون جعل رجاء الاهتداء اثر الامرين تنبيها على ان من صدقه ولم يتابعه بالتزام شرعه فهو بعد في خطط الضلالة ومن قوم موسى يعني من بني اسرائيل امة يهدون بالحق يهدون الناس محقين او بكلمة الحق وبه وبالحق يعدلون بينهم في الحكم والمراد بها الثابتون على الايمان القائمون بالحق من اهل زمانه اتبع ذكرهم ذكر اضدادهم على ما هو عادة القرآن تنبيها على ان تعارض الخير والشر وتزاحم اهل الحق والباطل امر مستمر وقيل مؤمنوا اهل الكتاب وقيل قوم وراء الصين رآهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج فآمنوا به وقطعناهم وصيرناهم قطعا متميزا بعضهم عن بعض اثنتي عشرة مفعول ثان لقطع فانه متضمن معنى صير او حال وتأنيثه للحمل على الامة او القطعة اسباطا بدل منه ولذلك جمع او تمييز له على ان كل واحدة من اثنتي عشرة اسباط فكأنه قيل اثنتي عشرة قبيلة وقرئ بكسر الشين واسكانها امما بدل بعد بدل او نعت اسباطا وعلى الثاني بدل من اسباط واوحينا الى موسى اذ استسقاه قومه في التيه ان اضرب بعصاك الحجر فانبجست اي فضربت فانبجست وحذفه للايماء على ان موسى لم يتوقف في الامتثال وان ضربه لم يكن مؤثرا يتوقف عليه الفعل في ذاته منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل اناس كل سبط مشربهم وظللنا عليهم الغمام ليقيهم حر الشمس وانزلنا عليهم المن والسلوى كلوا اي وقلنا لهم كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون سبق تفسيره في سورة البقرة واذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية باضمار اذكر والقرية بيت المقدس وكلوا منها حيث شئتم وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا مثل ما في البقرة معنى غير ان قوله فكلوا فيها بالفاء افاد تسبب سكناهم للاكل منها ولم يتعرض له هاهنا اكتفاء بذكره ثم او بدلالة الحال عليه ولا تقديم قولوا على وادخلوا فلا اثر له في المعنى لانه لا يوجب الترتيب وكذا الواو العاطفة بينهما يغفر لكم خطاياكم سنزيد المحسنين وعد بالغفران والزيادة عليه بالاثابة وانما اخرج الثاني مخرج الاستئناف للدلالة على انه تفضل محض ليس في مقابلة ما امروا به وقرأ نافع وابن عامر ويعقوب تغفر بالتاء والبناء للمفعول وخطيئاتكم بالجمع والرفع غير ابن عامر فانه وحد وقرأ ابو عمرو خطاياكم فبدل الذين ظلموا منهم قولا غير الذي قيل لهم فارسلنا عليهم رجزا من السماء بما كانوا يظلمون

سبق تفسيره فيها واسألهم للتقرير والتقريع بقديم كفرهم وعصيانهم والاعلام بما هو من علومهم التي لا تعلم الا بالتعليم او وحي ليكون ذلك معجزة عليهم عن القرية عن خبرها وما وقع باهلها التي كانت حاضرة البحر قريبة منه وهي ايلة قرية بين مدين والطور على شاطئ البحر وقيل مدين وقيل طبرية اذ يعدون في السبت يتجاوزون حدود الله بالصيد يوم السبت واذ ظرف لكانت او حاضرة او للمضاف المحذوف او بدل منه بدل الاشتمال اذ تأتيهم حيتانهم ظرف ليعدون او بدل بعد بدل وقرئ يعدون واصله يعتدون ويعدون من الاعداد اي يعدون آلات الصيد يوم السبت وقد نهوا ان يشتغلوا فيه بغير العبادة يوم سبتهم شرعا يوم تعظيمهم امر السبت مصدر سبتت اليهود اذا عظمت سبتها بالتجرد للعبادة وقيل اسم لليوم والاضافة لاختصاصهم باحكام فيه ويؤيد الاول ان قرئ يوم اسباتهم وقوله ويوم لا يسبتون لا تأتيهم وقرئ لا يسبتون من اسبت ولا يسبتون على البناء للمفعول بمعنى لا يدخلون في السبت وشرعا حال من الحيتان ومعناه ظاهرة على الماء من شرع علينا اذا دنا واشرف كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون مثل ذلك البلاء الشديد نبلوهم بسبب فسقهم وقيل كذلك متصل بما قبله اي لا تأتيهم مثل اتيانهم يوم السبت واذ قالت عطف على اذ يعدون امة منهم جماعة من اهل القرية يعني صلحاءهم الذين اجتهدوا في موعظتهم حتى ايسوا من اتعاظهم لم تعظون قوما الله مهلكهم مخترمهم او معذبهم عذابا شديدا في الآخرة لتماديهم في العصيان قالوه مبالغة في ان الوعظ لا ينفع فيهم او سؤالا عن علة الوعظ لمن لم يرعوا وقيل المراد طائفة من الفرقة الهالكة اجابوا به وعاظهم ردا عليهم وتهكما بهم قالوا معذرة الى ربكم جواب للسؤال اي موعظتنا انهاء عذر الى الله حتى لا ننسب الى تفريط في النهي عن المنكر وقرأ حفص معذرة بالنصب على المصدر او العلة اي اعتذرنا به معذرة او وعظناهم معذرة ولعلهم يتقون اذ اليأس لا يحصل الا بالهلاك فلما نسوا تركوا ترك الناسي ما ذكروا به ما ذكرهم به صلحاؤهم انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا بالاعتداء ومخالفة امر الله بعذاب بئيس شديد فعيل من بؤس يبؤس بأسا اذا اشتد وقرأ ابو بكر بيئس على فيعل كضيغم وابن عامر بئس بكسر الباء وسكون الهمزة على انه بئس كحذر تخفف عنه بنقل حركتها الى الفاء ككبد في كبد ونافع بيس على قلب الهمزة ياء كما قلب في ذئب او على انه فعل الذم وصف به فجعل اسما وقرئ بيس كريس على قلب الهمزة ياء ثم ادغامها وبيس على التخفيف كهين وبائس بما كانوا يفسقون بسبب فسقهم فلما عتوا عما نهوا عنه تكبروا عن ترك ما نهوا عنه كقوله وعتوا عن امر ربهم قلنا لهم كونوا قردة خاسئين كقوله انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون والظاهر يقتضي ان الله عذبهم اولا بعذاب شديد فعتوا بعد ذلك فمسخهم

ويجوز ان تكون الاية الثانية تقريرا وتفصيلا للاولى روي ان الناهين لما ايسوا عن اتعاظ المعتدين كرهوا مساكنتهم فقسموا القرية بجدار فيه باب مطروق فاصبحوا يوما ولم يخرج اليهم احد من المعتدين فقالوا ان لهم شأنا فدخلوا عليهم فاذا هم قردة فلم يعرفوا انسابهم ولكن القرود تعرفهم فجعلت القرود تاتي انسابهم وتشم ثيابهم وتدور حولهم باكية ثم ماتوا بعد ثلث وعن مجاهد مسخت قلوبهم لا ابدانهم واذ تاذن ربك اي اعلم تفعل من الايذان بمعناه كالتوعد والايعاد او عزم لان العازم على الشيء يؤذن نفسه بفعله واجري مجرى فعل القسم كعلم الله وشهد الله ولذلك اجيب بجوابه وهو ليبعثن عليهم الى يوم القيمة والمعنى واذ اوجب ربك على نفسه ليسلطن على اليهود من يسومهم سوء العذاب كالاذلال وضرب الجزية بعث الله عليهم بعد سليمان عليه السلام بخت نصر فخرب ديارهم وقتل مقاتليهم وسبى نساءهم وذراريهم وضرب الجزية على من بقي منهم وكانوا يؤدونها الى المجوس حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم ففعل ما فعل ثم ضرب عليهم الجزية فلا تزال مضروبة الى اخر الدهر ان ربك لسريع العقاب عاقبهم في الدنيا وانه لغفور رحيم لمن تاب وامن وقطعناهم في الارض امما وفرقناهم فيها بحيث لا يكاد يخلو قطر منهم تتمة لادبارهم حتى لا تكون لهم شوكة قط وامما مفعول ثان او حال منهم الصالحون صفة او بدل منه وهم الذين امنوا بالمدينة ونظراؤهم ومنهم دون ذلك تقديره ومنهم ناس دون ذلك اي منحطون عن الصلاح وهم كفرتهم وفسقتهم وبلوناهم بالحسنات والسيئات بالنعم والنقم لعلهم يرجعون ينتهون فيرجعون عما كانوا عليه فخلف من بعدهم من بعد المذكورين خلف بدل سوء مصدر نعت به ولذلك يقع على الواحد والجمع وقيل جمع وهو شايع في الشر والخلف بالفتح في الخير والمراد به الذين كانوا في عصر النبي ورثوا الكتاب التورية من اسلافهم يقرؤنها ويقفون على ما فيها ياخذون عرض هذا الادنى حطام هذا الشيء الادنى يعني الدنيا وهو من الدنو او الدناءة وهو ما كانوا ياخذون من الرشى في الحكومة وعلى تحريف الكلم والجملة حال من الواو ويقولون سيغفر لنا لا يؤاخذنا الله بذلك ويتجاوز عنه ويحتمل العطف والحال والفعل مسند الى الجار والمجرور او الى مصدر ياخذون وان ياتهم عرض مثله ياخذوه حال من الضمير في لنا اي يرجون المغفرة مصرين على الذنب عائدين الى مثله غير تائبين عنه الم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب اي في الكتاب ان لا يقولوا على الله الا الحق عطف بيان للميثاق او متعلق به اي بان لا يقولوا والمراد توبيخهم على البت بالمغفرة مع عدم التوبة والدلالة على انه افتراء على الله وخروج عن ميثاق الكتاب

١٨٢

ودرسوا ما فيه عطف على الم يؤخذ من حيث المعنى فانه تقرير او على ورثوا وهو اعتراض والدار الاخرة خير للذين يتقون مما ياخذ هؤلاء افلا تعقلون فيعلموا ذلك ولا يستبدلوا الادنى الدني المؤدي الى العقاب بالنعيم المخلد وقرأ نافع وابن عامر وحفص ويعقوب بالتاء على التلوين والذين يمسكون بالكتاب واقاموا الصلوة عطف على الذين يتقون وقوله افلا تعقلون اعتراض او مبتدأ خبره انا لا نضيع اجر المصلحين على تقدير منهم او وضع الظاهر موضع المضمر تنبيها على ان الاصلاح كالمانع من التضييع وقرأ ابو بكر يمسكون بالتخفيف وافراد الاقامة لانافتها على سائر انواع التمسكات واذ نتقنا الجبل فوقهم اي قلعناه ورفعناه فوقهم واصل النتق الجذب كانه ظلة سقيفة وهي كل ما اظلك وظنوا وتيقنوا انه واقع بهم ساقط عليهم لان الجبل لا يثبت في الجو ولانهم كانوا يوعدون به وانما اطلق الظن لانه لم يقع متعلقه وذلك انهم ابوا ان يقبلوا احكام التورية لثقلها فرفع الله الطور فوقهم وقيل لهم ان قبلتم ما فيها والا ليقعن عليكم خذوا على اضمار القول اي وقلنا خذوا او قائلين خذوا ما اتيناكم من الكتاب بقوة بجد وعزم على تحمل مشاقه وهو حال من الواو واذكروا ما فيه بالعمل به ولا تتركوه كالمنسي لعلكم تتقون قبايح الاعمال ورذايل الاخلاق واذ اخذ ربك من بني ادم من ظهورهم ذريتهم اي اخرج من اصلابهم نسلهم على ما يتوالدون قرنا بعد قرن ومن ظهورهم بدل البعض وقرأ نافع وابو عمرو وابن عامر ويعقوب ذرياتهم واشهدهم على انفسهم الست بربكم اي ونصب لهم دلائل ربوبيته وركب في عقولهم ما يدعوهم الى الاقرار بها حتى صاروا بمنزلة من قيل لهم الست بربكم قالوا بلى فنزل تمكينهم من العلم بها وتمكنهم منه منزلة الاشهاد والاعتراف على طريقة التمثيل ويدل عليه قوله قالوا بلى شهدنا ان تقولوا يوم القيمة اي كراهة ان تقولوا انا كنا عن هذا غافلين لم ننبه عليه بدليل او تقولوا عطف على ان تقولوا وقرأ ابو عمرو كليهما بالياء لان اول الكلام على الغيبة انما اشرك اباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم فاقتدينا بهم لان التقليد عند قيام الدليل والتمكن من العلم به لا يصلح عذرا افتهلكنا بما فعل المبطلون يعني اباءهم المبطلين بتأسيس الشرك وقيل لما خلق الله ادم اخرج من ظهره ذرية كالذر واحياهم وجعل لهم العقل والنطق والهمهم ذلك لحديث رواه عمر رضه وقد حققت الكلام فيه في شرح كتاب المصابيح والمقصود من ايراد هذا الكلام ههنا الزام اليهود بمقتضى الميثاق العام بعد ما الزمهم بالميثاق المخصوص بهم والاحتجاج عليهم بالحجج السمعية والعقلية ومنعهم عن التقليد وحملهم

على النظر والاستدلال كما قال وكذلك نفصل الآيات ولعلهم يرجعون عن التقليد واتباع الباطل واتل عليهم اي على اليهود نبا الذي اتيناه اياتنا وهو احد علماء بني اسرائيل او امية بن ابي الصلت كان قد قرا الكتب وعلم ان الله تعالى مرسل رسولا في ذلك الزمان ورجا ان يكون هو فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم حسده وكفر به او بلعم بن باعوراء من الكنعانيين اوتي علم بعض كتب الله فانسلخ منها من الآيات بان كفر بها واعرض عنها فاتبعه الشيطان حتى لحقه وقيل استتبعه فكان من الغاوين فصار من الضالين روي ان قومه سالوه ان يدعو على موسى ومن معه فقال كيف ادعو على من معه الملائكة فالحوا عليه حتى دعا عليهم فبقوا في التيه ولو شئنا لرفعناه الى منازل الابرار من العلماء بها بسبب تلك الآيات وملازمتها ولكنه اخلد الى الارض مال الى الدنيا والى السفالة واتبع هواه في ايثار الدنيا واسترضاء قومه واعرض عن مقتضى الآيات وانما علق رفعه بمشيئة الله ثم استدرك عنه بفعل العبد تنبيها على ان المشيئة سبب لفعله الموجب لرفعه وان عدمه دليل عدمها دلالة انتفاء المسبب على انتفاء سببه وان السبب الحقيقي هو المشيئة وان ما نشاهده من الاسباب وسائط معتبرة في حصول المسبب من حيث ان المشيئة تعلقت به كذلك وكان من حقه ان يقول ولكنه اعرض عنها فاوقع موقعه اخلد الى الارض واتبع هواه مبالغة وتنبيها على ما حمله عليه وان حب الدنيا راس كل خطيئة فمثله فصفته التي هي مثل في الخسة كمثل الكلب كصفته في اخس احواله وهو ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث اي يلهث دائما سواء حمل عليه بالزجر والطرد او ترك ولم يتعرض له بخلاف سائر الحيوانات لضعف فؤاده واللهث ادلاع اللسان من التنفس الشديد والشرطية في موضع الحال والمعنى لاهثا في الحالتين والتمثيل واقع موقع لازم التركيب الذي هو نفي الرفع ووضع المنزلة للمبالغة والبيان وقيل لما دعا على موسى خرج لسانه فوقع على صدره وجعل يلهث كالكلب ذلك مثل القوم الذين كذبوا باياتنا فاقصص القصص المذكورة على اليهود فانها نحو قصصهم لعلهم يتفكرون تفكرا يؤدي بهم الى الاتعاظ ساء مثلا القوم اي مثل القوم وقرئ ساء مثل القوم على حذف المخصوص بالذم الذين كذبوا باياتنا بعد قيام الحجة عليها وعلمهم بها وانفسهم كانوا يظلمون اما ان يكون داخلا في الصلة معطوفا على كذبوا بمعنى الذين جمعوا بين تكذيب الآيات وظلم انفسهم او منقطعا عنها بمعنى وما ظلموا بالتكذيب الا انفسهم فان وباله لا يتخطاها ولذلك قدم المفعول من يهدي الله فهو المهتد ومن يضلل فاولئك هم الخاسرون تصريح بان الهدى والضلال من الله وان هدايته تختص ببعض دون بعض وانها مستلزمة للاهتداء

والافراد في الاول والجمع في الثاني لاعتبار اللفظ والمعنى تنبيه على ان المهتدين كواحد لاتحاد طريقهم بخلاف الضالين والاقتصار في الاخبار عمن هداه الله بالمهتدي تعظيم لشان الاهتداء وتنبيه على انه في نفسه كمال جسيم ونفع عظيم لو لم يحصل له غيره لكفاه وانه المستلزم للفوز بالنعم الآجلة والعنوان لها ولقد ذرانا لجهنم كثيرا من الجن والانس يعني المصرين على الكفر في علمه تعالى لهم قلوب لا يفقهون بها اذ لا يلقونها الى معرفة الحق والنظر في دلائله ولهم اعين لا يبصرون بها اي لا ينظرون الى ما خلق الله نظر اعتبار ولهم آذان لا يسمعون بها الآيات والمواعظ سماع تامل وتذكر اولئك كالانعام في عدم الفقه والابصار للاعتبار والاستماع للتدبر او في ان مشاعرهم وقواهم متوجهة الى اسباب التعيش مقصورة عليها بل هم اضل فانها تدرك ما يمكن لها ان تدرك من المنافع والمضار وتجتهد في جذبها ودفعها غاية جهدها وهم ليسوا كذلك بل اكثرهم يعلم انه معاند فيقدم على النار اولئك هم الغافلون الكاملون في الغفلة ولله الاسماء الحسنى لانها دالة على معان هي احسن المعاني والمراد بها الالفاظ وقيل الصفات فادعوه بها فسموه بتلك الاسماء وذروا الذين يلحدون في اسمائه واتركوا تسمية الزائغين فيها الذين يسمونه بما لا توقيف فيه او بما يوهم معنى فاسدا كقولهم يا ابا المكارم يا ابيض الوجه او لا تبالوا بانكارهم ما سمى به نفسه كقولهم ما نعرف الا رحمن اليمامة او وذروهم والحادهم فيها باطلاقها على الاصنام واشتقاق اسمائها منها كاللات من الله والعزى من العزيز ولا توافقوهم عليه واعرضوا عنهم فان الله مجازيهم كما قال سيجزون ما كانوا يعملون وقرا حمزة يلحدون بالفتح يقال لحد والحد اذا مال عن القصد وممن خلقنا امة يهدون بالحق وبه يعدلون ذكر ذلك بعد ما بين انه خلق للنار طائفة ضالين ملحدين عن الحق للدلالة على انه خلق ايضا للجنة امة هادين بالحق عادلين في الامر واستدل به على صحة الاجماع لان المراد منه ان في كل قرن طائفة بهذه الصفة لقوله عليه السلام لا تزال من امتي طائفة على الحق الى ان ياتي امر الله اذ لو اختص بعهد الرسول او غيره لم يكن لذكره فائدة فانه معلوم والذين كذبوا باياتنا سنستدرجهم سنستدنيهم الى الهلاك قليلا قليلا واصل الاستدراج الاستصعاد او الاستنزال درجة بعد درجة بهم فيزدادوا بطرا وانهماكا في الغي حتى يحق عليهم كلمة العذاب واملي لهم وامهلهم عطف على سنستدرجهم ان كيدي متين ان اخذي شديد وانما سماه كيدا لان ظاهره احسان وباطنه خذلان اولم يتفكروا ما بصاحبهم يعني محمدا صلى الله عليه وسلم من جنة جنون روي انه عليه السلام صعد على الصفا فدعاهم فخذا فخذا يحذرهم باس الله فقال قائلهم ان صاحبكم لمجنون بات يصوت الى الصباح

نزلت ان هو الا نذير مبين موضح انذاره بحيث لا يخفى على ناظر او لم ينظروا نظر استدلال
في ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شيء مما
يقع عليه الشيء من الاجناس التي لا يمكن حصرها ليدلهم على كمال قدرة صانعها ووحدة مبدعها وعظم شان
مالكها ومتولي امرها ليظهر لهم صحة ما يدعوهم اليه وان عسى ان يكون قد اقترب اجلهم
عطف على ملكوت وان مصدرية او مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشان وكذا اسم يكون والمعنى او لم ينظروا
في اقتراب آجالهم وتوقع حلولها فيسارعوا الى طلب الحق والتوجه الى ما ينجيهم قبل مغافصة الموت ونزول
العذاب فباي حديث بعده بعد القرآن يؤمنون اذا لم يؤمنوا به وهو النهاية في البيان
كانه اخبار عنهم بالطبع والتصميم على الكفر بعد الزام الحجة والارشاد الى النظر وقيل هو متعلق بقوله عسى ان يكون
كانه قيل لعل اجلهم قد اقترب فما بالهم لا يبادرون الايمان بالقرآن وماذا ينتظرون بعد وضوحه فان
لم يؤمنوا به فباي حديث احق منه يريدون ان يؤمنوا به وقوله من يضلل الله فلا هادي
له كالتقرير والتعليل له ويذرهم في طغيانهم بالرفع على الاستيناف وقرأ ابو عمرو وعاصم
ويعقوب بالياء لقوله من يضلل الله وحمزة والكسائي به وبالجزم عطفا على محل فلا هادي له كانه قيل لا يهده
احد غيره ويذرهم يعمهون حال من هم يسألونك عن الساعة عن القيامة وهي من
الاسماء الغالبة واطلاقها عليها اما لوقوعها بغتة او لسرعة حسابها او لانها على طولها عند الله كساعة
ايان مرساها متى ارساؤها اي اثباتها وتقررها واستقراره ومنه رسا الجبل وارسى
السفينة واشتقاق ايان من اي لان معناه اي وقت وهو من أويت اليه لان البعض آو الى الكل قل
انما علمها عند ربي استأثر به لم يطلع عليه ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا لا يجليها
لوقتها لا يظهر امرها في وقتها الا هو والمعنى ان الخفاء بها مستمر على غيره الى وقت وقوعها واللام
للتاقيت كاللام في قوله اقم الصلوة لدلوك الشمس ثقلت في السموات والارض
عظمت على اهلها من الملئكة والثقلين لهولها وكانه اشارة الى الحكمة في اخفائها لا تأتيكم الا بغتة
فجأة على غفلة كما قال عم ان الساعة تهيج بالناس والرجل يصلح حوضه والرجل يسقي ماشيته والرجل يقوم سلعته
في سوقه والرجل يخفض ميزانه ويرفعه يسألونك كانك حفي عنها عالم بها فعيل من حفي
عن الشيء اذا سأل عنه فان من بالغ في السؤال عن الشيء وبحث عنه استحكم علمه فيه ولذلك عدي بعن وقيل
هي صلة يسألونك وقيل هو من الحفاوة بمعنى الشفقة فان قريشا قالوا له ان بيننا وبينك قرابة فقل لنا متى
الساعة والمعنى يسألونك عنها كانك حفي تتحفى بهم فتخصهم لاجل قرابتهم بتعليم وقتها وقيل معناه كانك

حفي بالسؤال عنها تحبه اي انك تكره السؤال عنها لانه من الغيب الذي استأثر الله بعلمه قل انما علمها
عند الله كرره لتكرير يسألونك لما نيط به من هذه الزيادة والمبالغة ولكن اكثر
الناس لا يعلمون ان علمها عند الله لم يؤته احدا من خلقه قل لا املك لنفسي نفعا و
لا ضرا جلب نفع ولا دفع ضر وهو اظهار للعبودية والتبري عن ادعاء العلم بالغيوب الا ما شاء
الله من ذلك فيلهمني اياه ويوفقني له ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت
من الخير وما مسني السوء ولو كنت اعلمه لخالفت حالي ما هي عليه من استكثار المنافع
واجتناب المضار حتى لا يمسني سوء ان انا الا نذير وبشير وما انا الا عبد مرسل بالانذار
والبشارة لقوم يؤمنون فانهم المنتفعون بهما ويجوز ان يكون متعلقا بالبشير والنذير محذوف هو
الذي خلقكم من نفس واحدة هو آدم وجعل منها من جسدها من ضلع من
اضلاعها او من جنسها كقوله جعل لكم من انفسكم ازواجا زوجها حواء ليسكن اليها
ليستانس بها ويطمئن اليها اطمئنان الشيء الى جزئه او جنسه وانما ذكر الضمير ذهابا الى المعنى ليناسب فلما
تغشاها اي جامعها حملت حملا خفيفا خف عليها ولم تلق منه ما تلقى منه الحوامل غالبا من
الاذى او محمولا خفيفا وهو النطفة فمرت به فاستمرت به وقعدت وقرئ فمرت بالتخفيف وفاسترت
وفارت من المور وهو المجيء والذهاب او من المرية اي فظنت الحمل وارتابت به فلما اثقلت صارت
ذات ثقل بكبر الولد في بطنها وقرئ على البناء للمفعول اي اثقلها حملها دعوا الله ربهما لئن
آتيتنا صالحا ولدا سويا قد صلح بدنه لنكونن من الشاكرين لك على هذه
النعمة المجددة فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما اي جعل اولادهما
له شركاء فيما آتى اولادهما فسموه عبد العزى وعبد مناف على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه
ويدل عليه قوله فتعالى الله عما يشركون ايشركون ما لا يخلق شيئا
وهم يخلقون يعني الاصنام وقيل لما حملت حواء اتاها ابليس في صورة رجل فقال لها ما يدريك ما
في بطنك لعله بهيمة او كلب وما يدريك من اين يخرج فخافت من ذلك وذكرت لآدم فهما منه ثم
عاد اليهما وقال اني من الله بمنزلة فان دعوت الله ان يجعله خلقا مثلك ويسهل عليك خروجه تسميه
عبد الحارث وكان اسمه حارثا في الملائكة فتقبلت فلما ولدت سمته عبد الحارث وامثال ذلك لا يليق
بالانبياء ويحتمل ان يكون الخطاب في خلقكم لآل قصي من قريش فانهم خلقوا من قصي وكان له زوج من جنسها
عربية قرشية وطلبا من الله الولد فاعطاهما اربعة بنين فسمياهم عبد مناف وعبد شمس وعبد قصي وعبد الدار

ويكمل الضمير فهم يشركون لها ولا عقابا لها المعتقدين بها وقرأ نافع وابو بكر شركا اي شركة بان اشركا فيه غيره او
ذوي شرك وهم الشركاء وهم ضمير الاصنام جئ به على تسميتهم اياها الهة ولا يستطيعون لهم
نصرا اي لعبدتهم ولا انفسهم ينصرون فيدفعون عنها ما يعتريها وان
تدعوهم اي المشركين الى الهدى الى الاسلام لا يتبعوكم وقرأ نافع بالتخفيف وقيل
الخطاب للمشركين وهم ضمير الاصنام اي ان تدعوهم الى ان يهدوكم لا يتبعوكم الى مرادكم ولا يجيبوكم كما
يجيبكم الله سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون وانما
لم يقل ام صمتم للمبالغة في عدم افادة الدعاء من حيث انه مسوى بالثبات على الصمات او لانهم ما كانوا
يدعونها لحوائجهم فكانه قيل سواء عليكم احداثكم دعاءهم واستمراركم على الصمات عند دعائهم ان
الذين تدعون من دون الله اي تعبدونهم وتسمونهم الهة عباد امثالكم
من حيث انها مملوكة مسخرة فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين
انهم الهة ويحتمل انهم لما نحتوها بصور الاناسي قال لهم ان قصارى امرهم ان يكونوا احياء عقلاء امثالكم
فلا يستحقون عبادتكم كما لا يستحق بعضكم عبادة بعض ثم عاد عليه بالنقض فقال الهم ارجل
يمشون بها ام لهم ايد يبطشون بها ام لهم اعين يبصرون بها ام
لهم اذان يسمعون بها وقرئ ان الذين بتخفيف ان ونصب عبادا على انها نافية عملت عمل
ما الحجازية ولم يثبت مثله ويبطشون بالضم هاهنا وفي القصص والدخان قل ادعوا شركاءكم
واستعينوا بهم في عداوتي ثم كيدون فبالغوا فيما تقدرون عليه من مكروه انتم وشركاؤكم
فلا تنظرون فلا تمهلون فاني لا ابالي بكم لوثوقي على ولاية الله وحفظه ان وليي الله
الذي نزل الكتاب القران وهو يتولى الصالحين اي ومن عادته تعالى
ان يتولى الصالحين من عباده فضلا عن انبيائه والذين تدعون من دونه لا يستطيعون
نصركم ولا انفسهم ينصرون من تمام التعليل لعدم مبالاته بهم وان تدعوهم
الى الهدى لا يسمعوا وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون
يشبهون الناظرين اليك لانهم صوروا بصورة من ينظر الى من يواجهه خذ العفو اي خذ ما
عفا لك من افعال الناس وتسهل ولا تطلب ما يشق عليهم من العفو الذي هو ضد الجهد او خذ العفو عن المذنبين
او الفضل وما يسهل من صدقاتهم وذلك قبل وجوب الزكوة وامر بالعرف المعروف المستحسن
من الافعال واعرض عن الجاهلين فلا تمارهم ولا تكافئهم بمثل افعالهم وهذه الاية جامعة

لمكارم الاخلاق امرة للرسول باستجماعها وإما ينزغنك من الشيطان نزغ
ينخسنك منه نخس اي وسوسة تحملك على خلاف ما امرت به كاعتراء غضب وفكر والنزغ النخس والنخس
الغرز شبه وسوسته للناس اغراء لهم على المعاصي وازعاجا بغرز السائق ما يسوقه فاستعذ
بالله انه سميع يسمع استعاذتك عليم يعلم ما فيه صلاح امرك فيحملك عليه او سميع باقوال
من اذاك عليم بافعاله فيجازيه عليها مغنيا اياك عن الانتقام ومتابعة الشيطان ان الذين اتقوا
اذا مسهم طيف من الشيطان لمة منه وهو اسم فاعل من طاف يطوف كانها
طافت بهم ودارت حولهم فلم تقدر ان تؤثر فيهم او من طاف به الخيال يطيف طيفا وقرأ ابن كثير وابو عمرو
والكسائي ويعقوب طيف على انه مصدر او تخفيف طيف كلين وهين والمراد بالشيطان الجنس ولذلك
جمع ضميره تذكروا ما امر الله به ونهى عنه فاذا هم مبصرون بسبب التذكر مواقع
الخطاء ومكايد الشيطان فيتحرزون عنها ولا يتبعونه فيها والاية تاكيد وتقرير لما قبلها وكذا قوله واخوانهم
يمدونهم اي واخوان الشياطين الذين لم يتقوا يمدهم الشياطين في الغي بالتزيين والحمل عليه وقرئ
يمدونهم من امد ويمادونهم كانهم يعينونهم بالتسهيل والاغراء وهؤلاء يعينونهم بالاتباع والامتثال ثم لا
يقصرون لا يمسكون عن اغوائهم حتى يردوهم ويجوز ان يكون الضمير للاخوان اي لا يكفون عن الغي ولا
يقصرون كالمتقين ويجوز ان يراد بالاخوان الشياطين ويرجع الضمير الى الجاهلين فيكون الخبر جاريا على ما هو له و
اذا لم تأتهم باية من القران او مما اقترحوه قالوا لولا اجتبيتها هلا جمعتها تقولا من
نفسك كسائر ما تقرؤه او هلا طلبتها من الله قل انما اتبع ما يوحى الي من ربي لست
بمختلق للايات او لست بمقترح لها هذا بصائر من ربكم هذا القران بصائر للقلوب بها يبصر الحق
ويدرك الصواب وهدى ورحمة لقوم يؤمنون سبق تفسيره واذا
قرئ القران فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون نزلت في الصلوة
كانوا يتكلمون فيها فامروا باستماع قراءة الامام والانصات له وظاهر اللفظ يقتضي وجوبهما حيث يقرأ القران
مطلقا وعامة العلماء على استحبابهما خارج الصلوة واحتج به من لا يرى القراءة على المأموم وهو ضعيف واذكر
ربك في نفسك عام في الاذكار من القراءة والدعاء وغيرهما او امر للمأموم بالقراءة سرا بعد فراغ
الامام عن قراءته كما هو مذهب الشافعي رح تضرعا وخيفة متضرعا وخائفا ودون الجهر من القول
ومتكلما كلاما فوق السر ودون الجهر فانه ادخل في الخشوع والاخلاص بالغدو والاصال باوقات الغدو
والعشيات وقرئ والايصال وهو مصدر آصل اذا دخل في الاصيل مطابق للغدو ولا تكن من

الغافلين عن ذكر الله ان الذين عند ربك يعني ملئكة الملا الاعلى لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وينزهونه وله يسجدون ويخصونه بالعبادة والتذلل لا يشركون به غيره وهو تعريض بمن عداهم من المكلفين ولذلك شرع السجود لقراءته وعن النبي صلعم اذا قرا ابن ادم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي فيقول يا ويلاه امر هذا بالسجود فسجد فله الجنة وامرت بالسجود فعصيت فلي النار وعنه صلعم من قرا سورة الاعراف جعل الله بينه وبين ابليس سترا وكان ادم شفيعا له يوم القيمة والله تعالى اعلم

سورة الانفال بسم الله الرحمن الرحيم مدنية وآيها ست وسبعون

يسألونك عن الانفال اي عن الغنايم يعني حكمها وانما سميت الغنيمة نفلا لانها عطية من فضل الله وفضل كما سمي به ما يشرطه الامام لمقتحم خطر عطية له وزيادة على سهمه قل الانفال لله والرسول اي امرها مختص بهما يقسمها الرسول على ما يامره الله به وسبب نزوله اختلاف المسلمين في غنايم بدر انها كيف تقسم ومن يقسم المهاجرون منهم او الانصار وقيل شرط رسول الله صلعم لمن كان له غناء ان ينفله فتسارع شبانهم حتى قتلوا سبعين واسروا سبعين ثم طلبوا نفلهم وكان المال قليلا فقال الشيوخ والوجوه الذين كانوا عند الرايات كنا ردءا لكم وفئة تنحازون اليها فنزلت فقسمها رسول الله صلعم بينهم على السواء ولهذا قيل لا يلزم الامام ان يفي بما وعد وهو قول الشافعي رضه وعن سعد بن ابي وقاص قال لما كان يوم بدر قتل اخي عمير وقتلت سعيد بن العاص فاخذت سيفه فاتيت به رسول الله صلعم واستوهبته منه فقال ليس هذا لي ولا لك اطرحه في القبض فطرحته وبي ما لا يعلمه الا الله من قتل اخي واخذ سلبي فما جاوزت الا قليلا حتى نزلت سورة الانفال فقال لي رسول الله صلعم سالتني السيف وليس لي وانه قد صار لي فاذهب فخذه وقرئ يسلونك عنفال بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وادغام نون عن فيها ويسألونك الانفال اي يسألك الشبان ما شرطت لهم فاتقوا الله في الاختلاف والمشاجرة واصلحوا ذات بينكم الحال التي بينكم بالمواساة والمساعدة فيما رزقكم الله وتسليم امره الى الله والرسول واطيعوا الله ورسوله فيه ان كنتم مومنين فان الايمان يقتضي ذلك او ان كنتم كاملي الايمان فان كمال الايمان بهذه الثلثة طاعة الاوامر والاتقاء عن المعاصي واصلاح ذات البين بالعدل والاحسان انما المومنون اي الكاملون في الايمان الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم فزعت لذكره استعظاما له وتهيبا من جلاله وقيل هو الرجل يهم بمعصية فيقال له اتق الله فينزع عنها خوفا من عقابه وقرئ وجلت بالفتح وهي لغة وفرقت اي خافت واذا تليت عليهم اياته زادتهم

ايمانا لزيادة المومن به او لاطمينان النفس ورسوخ اليقين بتظاهر الادلة او بالعمل بموجبها وهو قول من قال الايمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية بناء على ان العمل داخل فيه وعلى ربهم يتوكلون يفوضون اليه امورهم ولا يخشون ولا يرجون الا اياه الذين يقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون اولئك هم المومنون حقا لانهم حققوا ايمانهم بان ضموا اليه مكارم اعمال القلوب من الخشية والاخلاص والتوكل ومحاسن افعال الجوارح التي هي العيار عليها من الصلوة والصدقة وحقا صفة مصدر محذوف او مصدر موكد كقوله هو عبد الله حقا لهم درجات عند ربهم كرامة وعلو منزلة وقيل درجات الجنة يرتقونها باعمالهم ومغفرة لما فرط منهم ورزق كريم اعد لهم في الجنة لا ينقطع عدده ولا ينتهي امده كما اخرجك ربك من بيتك بالحق خبر مبتدا محذوف تقديره هذه الحال في كراهتهم لها كحال اخراجك للحرب في كراهتهم له او صفة مصدر الفعل المقدر في قوله لله والرسول اي الانفال ثبتت لله والرسول مع كراهتهم ثباتا مثل ثبات اخراجك ربك من بيتك يعني المدينة لانها مهاجره ومسكنه او بيته فيها مع كراهتهم وان فريقا من المومنين لكارهون في موقع الحال اي اخرجك في حال كراهتهم وذلك ان عير قريش اقبلت من الشام وفيها تجارة عظيمة ومعها اربعون راكبا منهم ابو سفيان وعمرو بن العاص ومخرمة بن نوفل وعمرو بن هشام فاخبر جبريل رسول الله فاخبر المسلمين فاعجبهم تلقيها لكثرة المال وقلة الرجال فلما خرجوا بلغ الخبر اهل مكة فنادى ابو جهل فوق الكعبة يا اهل مكة النجاء النجاء على كل صعب وذلول عيركم اموالكم ان اصابها محمد لن تفلحوا ابدا وقد رات قبل ذلك بثلث عاتكة بنت عبد المطلب ان ملكا نزل من السماء واخذ صخرة من الجبل ثم حلق بها فلم يبق بيت في مكة الا اصابه شيء منها فحدثت بها العباس وبلغ ذلك ابا جهل فقال ما ترضى رجالهم ان يتنبؤا حتى تتنبا نساؤهم فخرج ابو جهل بجميع اهل مكة ومضى بهم الى بدر وهو ماء كانت العرب تجتمع عليه لسوقهم يوما في السنة وكان رسول الله صلعم بوادي دفران فنزل عليه جبريل بالوعد باحدى الطايفتين اما العير واما قريش فاستشار فيه اصحابه فقال بعضهم هلا ذكرت لنا القتال حتى نتاهب له انا خرجنا للعير فردد عليهم وقال ان العير قد مضت على ساحل البحر وهذا ابو جهل قد اقبل فقالوا يا رسول الله عليك بالعير ودع العدو فغضب رسول الله صلعم فقام ابو بكر وعمر فاحسنا ثم قام سعد بن عبادة فقال انظر امرك فامض فوالله لو سرت الى عدن ابين ما تخلف عنك رجل من الانصار ثم قال مقداد امض لما امرك الله فانا معك حيثما احببت لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكن اذهب انت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون فتبسم رسول الله صلعم ثم قال اشيروا علي ايها الناس وهو يريد الانصار لانهم كانوا عددهم وقد شرطوا

حين بايعوه بالعقبة انهم برآء من ذمامه حتى يصل الى ديارهم فتخوف ان لا يروا نصرته الا على عدو دهمه بالمدينة
فقام سعد بن معاذ فقال فكانك تريدنا يا رسول الله قال اجل قال قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا
ان ما جئت به هو الحق واعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما
اردت فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد
وما نكره ان تلقى بنا عدونا وانا لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك
فسر بنا على بركة الله فنشطه قوله ثم قال سيروا على بركة الله وابشروا فان الله قد وعدني احدى الطائفتين
والله لكاني انظر الى مصارع القوم وقيل انه عم لما فرغ من بدر قيل له عليك بالعير فناداه العباس وهو في وثاقه
لا يصلح فقال له لم فقال لان الله وعدك احدى الطائفتين وقد اعطاك ما وعدك فكره بعضهم قوله
يجادلونك في الحق في ايثارك الجهاد باظهار الحق لايثارهم تلقي العير عليه بعد
ما تبين انهم ينصرون اينما توجهوا باعلام الرسول كانما يساقون الى الموت وهم
ينظرون اي يكرهون القتال كراهة من يساق الى الموت وهو يشاهد اسبابه وكان ذلك لقلة
عددهم وعدم تأهبهم اذ روي انهم كانوا رجالة وما كان فيهم الا فارسان وفيه ايماء الى ان مجادلتهم كان
لفرط فزعهم ورعبهم واذ يعدكم الله احدى الطائفتين على اضمار اذكر و
احدى ثاني مفعولي يعدكم وقد ابدل عنها انها لكم بدل الاشتمال وتودون ان غير ذات
الشوكة تكون لكم يعني العير فانه لم يكن فيها الا اربعون فارسا ولذلك يتمنونها ويكرهون
ملاقاة النفير لكثرة عددهم وعُددهم والشوكة الحدة مستعارة من واحدة الشوك ويريد الله ان
يحق الحق ان يثبته ويعليه بكلماته الموحى بها في هذه الحال او باوامره للملائكة بالامداد و
قرئ بكلمته ويقطع دابر الكافرين ويستاصلهم والمعنى انكم تريدون ان تصيبوا مالا ولا تلقوا مكروها
والله يريد اعلاء الدين واظهار الحق وما يحصل لكم فوز الدارين ليحق الحق ويبطل الباطل اي فعل ما فعل
وليس بتكرير لان الاول لبيان المراد وما بينه وبين مرادهم من التفاوت والثاني لبيان الداعي الى حمل الرسول على
اختيار ذات الشوكة ونصره عليها ولو كره المجرمون ذلك اذ تستغيثون
ربكم بدل من اذ يعدكم او متعلق بقوله ليحق الحق او على اضمار اذكر واستغاثتهم انهم لما علموا ان لا محيص من القتال
اخذوا يقولون اي رب انصرنا على عدوك اغثنا يا غياث المستغيثين وعن عمر انه عم نظر الى المشركين وهم
الف والى اصحابه وهم ثلثمائة فاستقبل القبلة ومد يديه يدعو اللهم انجز لي ما وعدتني اللهم ان تهلك هذه
العصابة لا تعبد في الارض فما زال كذلك حتى سقط رداؤه فقال ابو بكر يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك

فانه سينجز لك ما وعدك فاستجاب لكم اني ممدكم باني ممدكم فحذف الجار وسلط عليه الفعل اي استجاب
وقرأ ابو عمرو بالكسر على ارادة القول او اجراء استجاب مجرى قال لان الاستجابة من القول بالف من
الملائكة مردفين متبعين المؤمنين او بعضهم بعضا من اردفته اذا جئت بعده او متبعين بعضهم
بعض المؤمنين او انفسهم المؤمنين من اردفته اياه فردفه وقرأ نافع ويعقوب مردفين بفتح الدال اي متبعين او
متبعين بمعنى انهم كانوا مقدمة الجيش او ساقتهم وقرئ مردفين بكسر الراء وضمها واصلهما مرتدفين بمعنى مترادفين
فادغمت التاء في الدال فالتقى ساكنان فحركت الراء بالكسر على الاصل او بالضم على الاتباع وقرئ بآلاف ليوافق ما في
سورة آل عمران ووجه التوفيق بينه وبين المشهور ان المراد بالالف الذين كانوا على المقدمة او الساقة او وجوههم و
اعيانهم او من قاتل منهم واختلف في مقاتلتهم وقد روي اخبار تدل عليها وما جعله الله الا
بشرى الا بشارة لكم بالنصر ولتطمئن به قلوبكم فيزول ما بها من الوجل لقلتكم وذلتكم
وما النصر الا من عند الله ان الله عزيز حكيم وامداد الملائكة وكثرة
العدد والاهب ونحوهما وسائط لا تاثير لها فلا تحسبوا النصر منها ولا تياسوا منه بفقدها اذ يغشيكم
النعاس بدل ثان من اذ يعدكم لاظهار نعمة ثالثة او متعلق بالنصر او بما في عند الله من معنى الفعل او بجعل الله
او باضمار اذكر وقرأ نافع بالتخفيف من اغشيته الشيء اذا غشيته اياه والفاعل على القراءتين هو الله تعالى وقرأ ابن
كثير وابو عمرو ويغشاكم النعاس بالرفع امنة منه امنا من الله وهو مفعول له باعتبار المعنى فان قوله
يغشيكم النعاس يتضمن معنى تنعسون ويغشاكم بمعناه والامنة فعل لفاعله ويجوز ان يراد بها الايمان فيكون
فعل المغشي وان يجعل على القراءة الاخيرة فعل النعاس على المجاز لانها لاصحابه او لانه كان من حقه ان لا يغشاهم
لشدة الخوف فلما غشيهم فكانه حصلت له امنة من الله لولاها لم يغشهم كقوله يهاب النوم ان يغشى عيونا
تهابك فهو نفار شرود وقرئ امنة كرحمة وهي لغة وينزل عليكم من السماء ماء
ليطهركم به من الحدث والجنابة ويذهب عنكم رجز الشيطان يعني الجنابة لانه
من تخييله او وسوسته وتخويفه اياهم من العطش روي انهم نزلوا في كثيب اعفر تسوخ فيه الاقدام على غير ماء و
ناموا فاحتلم اكثرهم وقد غلب المشركون على الماء فوسوس اليهم الشيطان وقال كيف تنصرون وقد غلبتم على الماء و
انتم تصلون محدثين مجنبين وتزعمون انكم اولياء الله وفيكم رسوله فاشفقوا فانزل الله المطر فمطروا ليلا حتى
جرى الوادي فاتخذوا الحياض على عدوته وسقوا الركاب واغتسلوا وتوضؤوا وتلبد الرمل الذي بينهم وبين
العدو حتى ثبتت عليه الاقدام وزالت الوسوسة وليربط على قلوبكم بالوثوق على لطف الله بهم
ويثبت به الاقدام اي بالمطر حتى لا تسوخ في الرمل او بالربط على القلوب حتى تثبت في المعركة

إذ يوحي ربك بدل ثالث او متعلق بيثبت الى الملائكة اني معكم في اعانتهم وتثبيتهم وهو مفعول يوحي وقرئ بالكسر على ارادة القول او اجراء الوحي مجراه فثبتوا الذين آمنوا بالبشارة او بتكثير سوادهم او بمحاربة اعدائهم فيكون قوله سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب كالتفسير لقوله اني معكم فثبتوا وفيه دليل على انهم قاتلوا ومن منع ذلك جعل الخطاب فيه مع المؤمنين اما على تغيير الخطاب او على ان قوله سألقي الى قوله كل بنان تلقين للملائكة ما يثبتون المؤمنين به كأنه قال قولوا لهم قولي هذا فاضربوا فوق الاعناق اعاليها التي هي المذابح او الرؤس واضربوا منهم كل بنان اصابع اي جزوا رقابهم واقطعوا اطرافهم ذلك اشارة الى الضرب او الامر به والخطاب للرسول او لكل احد من المخاطبين بأنهم شاقوا الله ورسوله بسبب مشاقتهم لهما واشتقاقه من الشق لان كلا من المتعاديين في شق خلاف شق الآخر كالمعاداة من العدوة والمخاصمة من الخصم وهو الجانب ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب تقرير للتعليل او وعيد بما اعد لهم في الآخرة بعد ما حاق بهم في الدنيا ذلكم الخطاب فيه مع الكفرة على طريقة الالتفات ومحله الرفع اي الامر ذلكم او ذلكم واقع او النصب بفعل دل عليه فذوقوه او غيره مثل باشروا او عليكم لتكون الفاء عاطفة وان للكافرين عذاب النار عطف على ذلكم او نصب على المفعول معه والمعنى ذوقوا ما عجل لكم مع ما اجل لكم في الآخرة ووضع الظاهر فيه موضع الضمير للدلالة على ان الكفر سبب للعذاب الآجل او الجمع بينهما وقرئ وان بالكسر على الاستئناف يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا كثيرا بحيث يرى لكثرتهم كأنهم يزحفون وهو مصدر زحف الصبي اذا دب على مقعده قليلا قليلا سمي به وجمع على زحوف وانتصابه على الحال فلا تولوهم الادبار بالانهزام فضلا عن ان يكونوا مثلكم او اقل منكم والاظهر انها محكمة مخصوصة بقوله حرض المؤمنين الآية ويجوز ان ينتصب زحفا على الحال من الفاعل والمفعول اي اذا لقيتموهم متزاحفين يدبون اليكم وتدبون اليهم فلا تنهزموا او من الفاعل وحده ويكون اشعارا بما سيكون منهم يوم حنين حين تولوا وهم اثنا عشر الفا ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال يريد الكر بعد الفر وتغرير العدو فانه من مكايد الحرب او متحيزا الى فئة او منحازا الى فئة اخرى من المسلمين على القرب ليستعين بهم ومنهم من لم يعتبر القرب لما روى ابن عمر انه كان في سرية بعثهم رسول الله ففروا الى المدينة فقلت يا رسول الله نحن الفرارون فقال بل انتم العكارون وانا فئتكم وانتصاب متحرفا ومتحيزا على الحال والا لغو لا عمل له او الاستثناء من المولين اي الا رجلا متحرفا او متحيزا ووزن متحيز متفيعل لا متفعل والا لكان متحوزا لانه من حاز يحوز فقد باء بغضب من الله و

مأواه جهنم وبئس المصير هذا اذا لم يزد العدد على الضعف لقوله الآن خفف الله عنكم الآية وقيل الآية مخصوصة باهل بدر والحاضرين معه في الحرب فلم تقتلوهم بقوتكم ولكن الله قتلهم بنصركم وتسليطكم عليهم والقاء الرعب في قلوبهم روي انه لما طلعت قريش من العقنقل قال هذه قريش جاءت بخيلائها وفخرها يكذبون رسولك اللهم اني اسألك ما وعدتني فأتاه جبريل وقال له خذ قبضة من التراب فارمهم بها فلما التقى الجمعان تناول كفا من الحصباء فرمى بها في وجوههم وقال شاهت الوجوه فلم يبق مشرك الا شغل بعينه فانهزموا وردفهم المؤمنون يقتلونهم ويأسرونهم ثم لما انصرفوا اقبلوا على التفاخر فيقول الرجل قتلت واسرت فنزلت والفاء جواب شرط محذوف تقديره ان افتخرتم بقتلهم فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت يا محمد رميا توصلها الى اعينهم ولم تقدر عليه اذ رميت اي اتيت بصورة الرمي ولكن الله رمى اتى بما هو غاية الرمي فاوصلها الى اعينهم جميعا حتى انهزموا وتمكنتم من قطع دابرهم وقد عرفت ان اللفظ يطلق على المسمى وعلى ما هو كماله والمقصود منه وقيل معناه ما رميت بالرعب اذ رميت بالحصباء ولكن الله رمى بالرعب في قلوبهم وقيل انه نزل في طعنة طعن بها ابي بن خلف يوم احد ولم يخرج منه دم فجعل يخور حتى مات او رمية سهم رماه يوم خيبر نحو الحصن فاصاب كنانة بن ابي الحقيق على فراشه والجمهور على الاول وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي ولكن بالتخفيف ورفع ما بعده في الموضعين وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا ولينعم عليهم نعمة عظيمة بالنصر والغنيمة ومشاهدة الآيات فعل ما فعل ان الله سميع لاستغاثتهم ودعائهم عليم بنياتهم واحوالهم ذلكم اشارة الى البلاء الحسن او القتل او الرمي ومحله الرفع اي المقصود او الامر ذلكم وقوله وان الله موهن كيد الكافرين معطوف عليه اي المقصود ابلاء المؤمنين وتوهين كيد الكافرين وابطال حيلهم وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو موهن بالتشديد وحفص موهن كيد بالاضافة والتخفيف ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح خطاب لاهل مكة على سبيل التهكم وذلك انهم حين ارادوا الخروج تعلقوا باستار الكعبة وقالوا اللهم انصر اعلى الجندين واهدى الفئتين واكرم الحزبين وان تنتهوا عن الكفر ومعاداة الرسول فهو خير لكم لتضمنه سلامة الدارين وخير المنزلين وان تعودوا لمحاربته نعد لنصره ولن تغني ولن تدفع عنكم فئتكم جماعتكم شيئا من الاغناء او المضار ولو كثرت فئتكم وان الله مع المؤمنين بالنصر والمعونة وقرأ نافع وابن عامر وحفص وان بالفتح على ولان الله مع المؤمنين كان ذلك وقيل الآية خطاب للمؤمنين والمعنى ان تستنصروا فقد جاءكم النصر وان تنتهوا عن التكاسل في القتال والرغبة فيما يستأثره الرسول فهو خير لكم وان تعودوا اليه نعد عليكم بالانكار او تهييج العدو ولن تغني عنكم

قوله ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا اه اى ادعوا السماع وهم لا يسمعون لانهم ليسوا بمصدقين فكانهم غير سامعين والمعنى انكم تصدقون بالقرآن والنبوة فاذا توليتم عن طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم فى بعض الامور من قسمة الغنائم وغيرها كان تصديقكم تصديق

كرتكم او الم يكن الله معكم بالنصر فانه مع الكاملين فى ايمانهم وتوكيد لذلك يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه اى ولا تتولوا عن الرسول فان المراد من الآية الامر بطاعته والنهى عن الاعراض عنه وذكر طاعة الله للتوطئة والتنبيه على ان طاعة الله فى طاعة الرسول لقوله من يطع الرسول فقد اطاع الله وقيل الضمير للجهاد او للامر الذى دل عليه الطاعة وانتم تسمعون القرآن والمواعظ سماع فهم وتصديق ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا كالكفرة او المنافقين الذين ادعوا السماع وهم لا يسمعون سماعا ينتفعون به فكانهم لا يسمعون رأسا ان شر الدواب عند الله شر ما يدب على الارض او شر البهائم الصم عن الحق البكم الذين لا يعقلون اياه عدهم من البهائم ثم جعلهم شرها لابطالهم ما ميزوا به وفضلوا لاجله ولو علم الله فيهم خيرا سعادة كتبت لهم او انتفاعا بالآيات لاسمعهم سماع تفهم ولو اسمعهم وقد علم ان لا خير فيهم لتولوا ولم ينتفعوا به وارتدوا بعد التصديق والقبول وهم معرضون لعنادهم وقيل كانوا يقولون للنبى احى لنا قصيا فانه كان شيخا مباركا حتى يشهد لك ونؤمن بك والمعنى لاسمعهم كلام قصى يا ايها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول بالطاعة اذا دعاكم وحد الضمير فيه لما سبق ولان دعوة الله تسمع من الرسول وروى انه عليه السلام مر على أبى وهو يصلى فدعاه فعجل فى صلاته ثم جاء فقال ما منعك عن اجابتى قال كنت اصلى قال الم تخبر فيما اوحى الى استجيبوا لله وللرسول واختلف فيه فقيل هذا لان اجابته لا تقطع الصلوة فان الصلوة ايضا اجابة وقيل لان دعاءه كان لامر لا يحتمل التأخير وللمصلى ان يقطع الصلوة لمثله وظاهر الحديث يناسب الاول لما يحييكم من العلوم الدينية فانها حيوة القلب والجهل موته وقال لا تعجبن الجهول حلته فذاك ميت وثوبه كفن او مما يورثكم الحيوة الابدية فى النعيم الدائم من العقائد والاعمال او من الجهاد فانه سبب بقائكم اذ لو تركوه لغلبهم العدو وقتلهم او الشهادة لقوله تعالى بل احياء عند ربهم واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه تمثيل لغاية قربه من العبد كقوله ونحن اقرب اليه من حبل الوريد وتنبيه على انه مطلع على مكنونات القلوب ما عسى يغفل عنها صاحبها او حث على المبادرة الى اخلاص القلوب وتصفيتها قبل ان يحول الله بينه وبين القلب بالموت او غيره او تصوير وتخييل لتملكه على العبد قلبه فيفسخ عزائمه ويغير مقاصده ويحول بينه وبين الكفران اراد شقاوته وبينه وبين الايمان ان قضى سعادته وقرئ بين المر بالتشديد على حذف الهمزة والقاء حركتها على الراء واجراء الوصل مجرى الوقف على لغة من يشدد فيه وانه اليه تحشرون فيجزيكم باعمالكم واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم

قيل نزلت فى اهل بدر او اهل الجمل عليا وعمار وطلحة والزبير

قريظة والنضير قبيلتان من يهود خيبر وقد دخلوا فى العرب على نسبهم الى هرون اخى موسى عليهما السلام منهم محمد بن كعب القرظى

خاصة اتقوا ذنبا يعمكم اثره كاقرار المنكر بين اظهركم والمداهنة فى الامر بالمعروف وافتراق الكلمة وظهور البدع والتكاسل فى الجهاد على ان قوله لا تصيبن اما جواب الامر على معنى ان اصابتكم لا تصيب الظالمين منكم خاصة وفيه ان جواب الشرط متردد فلا يليق به النون المؤكدة لكنه لما تضمن معنى النهى ساغ فيه كقوله ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده واما صفة لفتنة ولا للنفى وفيه شذوذ لان النون لا تدخل المنفى فى غير القسم او للنهى على ارادة القول كقوله حتى اذا جن الظلام واختلط جاؤا بمذق هل رأيت الذئب قط واما جواب قسم محذوف كقراءة من قرأ لتصيبن وان اختلفا فى المعنى ويحتمل ان يكون نهيا بعد الامر باتقاء الذنب عن التعرض للظلم فان وباله يصيب الظالم خاصة ويعود عليه ومن فى منكم على الوجوه الاول للتبعيض وعلى الاخيرين للتبيين وفائدته التنبيه على ان الظلم منكم اقبح من غيركم واعلموا ان الله شديد العقاب واذكروا اذ انتم قليل مستضعفون فى الارض ارض مكة يستضعفكم قريش والخطاب للمهاجرين وقيل للعرب كافة فانهم كانوا اذلاء فى ايدى فارس والروم تخافون ان يتخطفكم الناس كفار قريش او من عداهم فانهم كانوا جميعا معادين لهم فآواكم الى المدينة او جعل لكم مأوى تتحصنون به من اعاديكم وايدكم بنصره على الكفار او بمظاهرة الانصار او بامداد الملائكة يوم بدر ورزقكم من الطيبات من الغنائم لعلكم تشكرون هذه النعمة يا ايها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول بتعطيل الفرائض والسنن او بان تضمروا خلاف ما تظهرون او بالغلول فى المغانم وروى انه عليه السلام حاصر بنى قريظة احدى وعشرين ليلة فسألوا الصلح كما صالح اخوانهم بنى النضير على ان يسيروا الى اخوانهم باذرعات واريحاء من ارض الشام فابى الا ان ينزلوا على حكم سعد بن معاذ فابوا وقالوا ارسل الينا ابا لبابة وكان مناصحا لهم لان عياله وماله فى ايديهم فبعثه اليهم فقالوا ما ترى هل ننزل على حكم سعد فاشار الى حلقه انه الذبح قال ابو لبابة فما زالت قدماى حتى علمت انى قد خنت الله ورسوله فنزلت فشد نفسه على سارية فى المسجد وقال والله لا اذوق طعاما ولا شرابا حتى اموت او يتوب الله على فمكث سبعة ايام حتى خر مغشيا عليه ثم تاب الله عليه فقيل له قد تيب عليك فحل نفسك فقال لا والله لا احلها حتى يكون رسول الله هو الذى يحلنى فجاءه فحله بيده فقال ان من تمام توبتى ان اهجر دار قومى التى اصبت فيها الذنب وان انخلع من مالى فقال عليه السلام يجزيك الثلث ان تتصدق به واصل الخون النقص كما ان اصل الوفاء التمام واستعماله فى ضد الامانة لتضمنه اياه وتخونوا اماناتكم فيما بينكم وهو مجزوم بالعطف على الاول او منصوب على الجواب بالواو وانتم تعلمون انكم تخونون او وانتم علماء تميزون الحسن من القبيح واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة لانهم سبب الوقوع فى الاثم او العقاب او محنة من الله ليبلوكم فيهم فلا يحملكم حبهم على الخيانة كابى لبابة وان الله عنده اجر عظيم لمن آثر رضا الله عليهم وراعى حدوده فيهم فانيطوا

بحكم ما يورثكم البيت يا ايها الذين امنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا هداية في قلوبكم
تفرقون بها بين الحق والباطل او نصرا يفرق بين المحق والمبطل باعزاز المؤمنين واذلال الكافرين او مخرجا من
الشبهات او نجاة عما يحذرون في الدارين او ظهورا يشهر امركم ويبث صيتكم من قولهم بت افعل كذا حتى
سطع الفرقان اي الصبح ويكفر عنكم سيئاتكم ويسترها ويغفر لكم بالتجاوز
والعفو عنه وقيل السيئات الصغاير والذنوب الكباير وقيل المراد ما تقدم وما تاخر لانها في اهل بدر
وقد غفرها الله لهم والله ذو الفضل العظيم تنبيه على ان ما وعده لهم على التقوى تفضل منه و
احسان وانه ليس مما يوجب تقواهم عليه كالسيد اذا وعد عبده انعاما على عمل واذ يمكر بك الذين
كفروا تذكار لما مكر قريش به حين كان بمكة ليشكر نعمة الله في خلاصه من مكرهم واستيلائه عليهم والمعنى
واذكر اذ يمكرون بك ليثبتوك بالوثاق او الحبس او الاثخان بالجرح من قولهم ضربه حتى اثبته لا حراك به
ولا براح وقرئ ليثبتوك بالتشديد وليبيتوك من البيات وليقيدوك او يقتلوك بسيوفهم او
يخرجوك من مكة وذلك انهم لما سمعوا باسلام الانصار ومتابعتهم فرقوا واجتمعوا في دار الندوة
متشاورين في امره فدخل عليهم ابليس في صورة شيخ وقال انا من نجد سمعت اجتماعكم فاردت ان احضركم ولن تعدموا
مني رايا ونصحا فقال ابو البختري راي ان تحبسوه في بيت وتسدوا منافذه غير كوة تلقون اليه طعامه وشرابه
منها حتى يموت فقال الشيخ بئس الراي ياتيكم من يقاتلكم من قومه ويخلصه من ايديكم فقال هشام بن عمرو رايي ان
تحملوه على جمل فتخرجوه من ارضكم فلا يضركم ما صنع فقال بئس الراي يفسد قوما غيركم ويقاتلكم بهم فقال ابو جهل انا
ارى ان تاخذوا من كل بطن غلاما وتعطوه سيفا فيضربوه ضربة واحدة فيتفرق دمه في القبايل فلا يقوى بنو هاشم
على حرب قريش كلهم فاذا طلبوا العقل عقلناه فقال صدق هذا الفتى فتفرقوا على رايه فاتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم
واخبره الخبر وامره بالهجرة فبيت عليا في مضجعه وخرج مع ابي بكر الى الغار ويمكرون ويمكر الله
برد مكرهم عليهم او بمجازاتهم عليه او بمعاملة الماكرين معهم بان اخرجهم الى بدر وقلل المسلمين في اعينهم حتى حملوا عليهم
فقتلوا والله خير الماكرين اذ لا يؤبه بمكرهم دون مكره واسناد مثل هذا مما يحسن للمزاوجة ولا يجوز
اطلاقها ابتداء لما فيه من ايهام الذم واذا تتلى عليهم اياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء
لقلنا مثل هذا هو قول النضر بن الحارث واسناده الى الجميع اسناد ما فعله رئيس القوم اليهم فانه كان
قاصهم او قول الذين ائتمروا في امره وهذا غاية مكابرتهم وفرط عنادهم اذ لو استطاعوا ذلك فما منعهم
ان يشاؤوا وقد تحداهم وقرعهم بالعجز عشر سنين ثم قارعهم بالسيف فلم يعارضوا سورة مع انفتهم وفرط استنكافهم
ان يغلبوا خصوصا في باب البيان ان هذا الا اساطير الاولين ما سطره الاولون من القصص

واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من
السماء او ائتنا بعذاب اليم هذا ايضا من كلام ذلك القائل ابلغ في الجحود روي انه لما قال النضر
ان هذا الا اساطير الاولين قال له النبي صلى الله عليه وسلم ويلك انه كلام الله فقال ذلك والمعنى ان كان القران حقا منزلا فامطر
الحجارة علينا عقوبة على انكاره او ائتنا بعذاب اليم سواه والمراد منه التهكم واظهار اليقين والجزم التام على كونه
باطلا وقرئ الحق بالرفع على ان هو مبتدا غير فصل وفائدة التعريف فيه الدلالة على ان المعلق به كونه حقا بالوجه الذي
يدعيه النبي وهو تنزيله لا الحق مطلقا لتجويزهم ان يكون مطابقا للواقع غير منزل كاساطير الاولين وما كان
الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون
بيان لما كان الموجب لامهالهم والتوقف في اجابة دعائهم واللام لتاكيد النفي والدلالة على ان تعذيبهم عذاب
استيصال والنبي بين اظهرهم خارج عن عادته غير مستقيم في قضائه والمراد باستغفارهم اما استغفار من بقي فيهم من المؤمنين
او قولهم اللهم غفرانك او فرضه على معنى لو استغفروا لم يعذبوا كقوله وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون
وما لهم الا يعذبهم الله وما لهم مما يمنع تعذيبهم متى زال ذلك وكيف لا يعذبون وهم
يصدون عن المسجد الحرام وحالهم ذلك ومن صدهم عنه الجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين الى
الهجرة واحصارهم عام الحديبية وما كانوا اولياءه مستحقين ولاية امره مع شركهم وهو رد لما كانوا يقولون
نحن ولاة البيت والحرم فنصد من نشاء وندخل من نشاء ان اولياؤه الا المتقون من الشرك الذين
لا يعبدون فيه غيره وقيل الضميران لله ولكن اكثرهم لا يعلمون ان لا ولاية لهم عليه كانه نبه
بالاكثر ان منهم من يعلم ويعاند او اراد به الكل كما يراد بالقلة العدم وما كان صلاتهم عند البيت
اي دعاؤهم او ما يسمونه صلاة او ما يضعون موضعها الا مكاء صفيرا فعال من مكا يمكو اذا صفر وقرئ
بالقصر كالبكا وتصدية تصفيقا تفعلة من الصدد او من الصد على ابدال احد حرفي التضعيف بالياء
وقرئ صلاتهم بالنصب على انه الخبر المقدم ومساق الكلام لتقرير استحقاقهم العذاب او عدم ولايتهم للمسجد فانها لا تليق
بمن هذه صلاته روي انهم كانوا يطوفون عراة الرجال والنساء مشبكين بين اصابعهم يصفرون فيها ويصفقون وقيل كانوا
يفعلون ذلك اذا اراد النبي صلى الله عليه وسلم ان يصلي يخلطون عليه ويرون انهم يصلون ايضا فذوقوا العذاب
يعني القتل والاسر يوم بدر وقيل عذاب الاخرة واللام يحتمل ان تكون للعهد والمعهود ائتنا بعذاب اليم بما
كنتم تكفرون اعتقادا وعملا ان الذين كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا
عن سبيل الله نزلت في المطعمين يوم بدر وكانوا اثني عشر رجلا من قريش يطعم كل واحد منهم كل يوم عشر جزر
او في ابي سفيان استاجر ليوم احد الفين من العرب سوى من استجاش من العرب وانفق عليهم اربعين اوقية او في اصحاب العير

فإنه لما أصيب قريش ببدر قيل لهم أعينوا بهذا المال على حرب محمد لعلنا ندرك منه ثأرنا ففعلوا والمراد بسبيل الله دينه واتباع رسوله فسينفقونها بتمامها ولعل الأول إخبار عن انفاقهم في تلك الحال وهو انفاق بدر والثاني إخبار عن انفاقهم فيما يستقبل وهو انفاق أحد ويحتمل أن يراد بهما واحد على أن مساق الأول لبيان غرض الانفاق ومساق الثاني لبيان عاقبته وأنه لم يقع بعد ثم تكون عليهم حسرة ندما وغما لفواتها من غير مقصود جعل ذاتها تصير حسرة وهي عاقبة انفاقها مبالغة ثم يغلبون آخر الأمر وإن كان الحرب بينهم سجالا قبل ذلك والذين كفروا أي الذين ثبتوا على الكفر منهم إذ أسلم بعضهم إلى جهنم يحشرون يساقون ليميز الله الخبيث من الطيب الكافر من المؤمن أو الفساد من الصلاح واللام متعلقة بيحشرون أو يغلبون أو ما أنفقه المشركون في عداوة رسول الله مما أنفقه المسلمون في نصرته واللام متعلقة بقوله ثم تكون عليهم حسرة وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب ليميز من التمييز وهو أبلغ من الميز ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا فيجمعه ويضم بعضه إلى بعض حتى يتراكبوا لفرط ازدحامهم أو يضم إلى الكافر ما أنفقه ليزيد به عذابه كمال الكانزين فيجعله في جهنم كله أولئك إشارة إلى الخبيث لأنه مقدر بالفريق الخبيث أو إلى المنفقين هم الخاسرون الكاملون في الخسران لأنهم خسروا أنفسهم وأموالهم قل للذين كفروا يعني أبا سفيان وأصحابه قل لأجلهم إن ينتهوا عن معاداة الرسول بالدخول في الإسلام يغفر لهم ما قد سلف من ذنوبهم وقرئ بالتاء والكاف على أنه خاطبهم ويغفر على البناء للفاعل وهو الله وإن يعودوا إلى قتاله فقد مضت سنة الأولين الذين تحزبوا على الأنبياء بالتدمير كما جرى على أهل بدر فليتوقعوا مثل ذلك وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة لا يوجد فيهم شرك ويكون الدين كله لله وتضمحل عنهم الأديان الباطلة فإن انتهوا عن الكفر فإن الله بما يعملون بصير فيجازيهم على انتهائهم عنه وإسلامهم وعن يعقوب تعملون بالتاء على معنى فإن الله بما تعملون من الجهاد والدعوة إلى الإسلام والإخراج من ظلمة الكفر إلى نور الإسلام بصير فيجازيكم ويكون تعليقه بانتهائهم دلالة على أنه كما يستدعي إثابتهم للمباشرة يستدعي إثابة مقاتليهم للتسبب وإن تولوا ولم ينتهوا فاعلموا أن الله مولاكم ناصركم فثقوا به ولا تبالوا بمعاداتهم نعم المولى لا يضيع من تولاه ونعم النصير لا يغلب من نصره واعلموا أنما غنمتم أي الذي أخذتموه من الكفار قهرا من شيء مما يقع عليه اسم الشيء حتى الخيط فأن لله خمسه مبتدأ خبره محذوف أي فثابت أن لله خمسه وقرئ فإن بالكسر والجمهور على أن ذكر الله للتعظيم كما في قوله والله ورسوله أحق أن يرضوه وأن المراد قسم الخمس على الخمسة المعطوفين وللرسول

ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل فكأنه قال فأن لله خمسه يصرف إلى هؤلاء الأخصين به وحكمه بعد باق غير أن سهم الرسول صلى الله عليه وسلم يصرف إلى ما كان يصرفه إليه من مصالح المسلمين كما فعله الشيخان وقيل إلى الإمام وقيل إلى الأصناف الأربعة وقال أبو حنيفة سقط سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وسهم ذوي القربى بوفاته وصار الكل مصروفا إلى الثلاثة الباقية وعن مالك الرأي فيه مفوض إلى رأي الإمام يصرفه إلى ما يراه أهم وذهب أبو العالية إلى ظاهر الآية وقال يقسم ستة أقسام ويصرف سهم الله إلى الكعبة لما روي أنه عليه السلام كان يأخذ منه قبضة فيجعلها للكعبة ثم يقسم ما بقي على خمسة وقيل سهم الله لبيت المال وقيل هو مضموم إلى سهم الرسول وذو القربى بنو هاشم وبنو المطلب لما روي أنه عليه السلام قسم سهم ذوي القربى عليهما فقال له عثمان وجبير بن مطعم هؤلاء إخوتك بنو هاشم لا ننكر فضلهم لمكانك الذي جعلك الله منهم أرأيت إخواننا من بني المطلب أعطيتهم وحرمتنا وإنما نحن وهم بمنزلة فقال عليه السلام إنهم لم يفارقونا في جاهلية ولا إسلام وشبك بين أصابعه وقيل بنو هاشم وحدهم وقيل جميع قريش الغني والفقير فيه سواء وقيل هو مخصوص بفقرائهم كسهم ابن السبيل وقيل الخمس كله لهم والمراد باليتامى والمساكين وابن السبيل من كان منهم والعطف للتخصيص والآية نزلت ببدر وقيل كان الخمس في غزوة بني قينقاع بعد بدر بشهر وثلاثة أيام للنصف من شوال على رأس عشرين شهرا من الهجرة إن كنتم آمنتم بالله متعلق بمحذوف دل عليه واعلموا أي إن كنتم آمنتم بالله فاعلموا أنه جعل الخمس لهؤلاء فسلموه إليهم واقتنعوا بالأخماس الأربعة فإن العلم العملي إذا أمر به لم يرد منه العلم المجرد لأنه مقصود بالعرض والمقصود بالذات هو العمل وما أنزلنا على عبدنا محمد من الآيات والملائكة والنصر وقرئ عُبُدنا بضمتين أي الرسول والمؤمنين يوم الفرقان يوم بدر لأنه فرق فيه بين الحق والباطل يوم التقى الجمعان المسلمون والكفار والله على كل شيء قدير فيقدر على نصر القليل على الكثير والإمداد بالملائكة إذ أنتم بالعدوة الدنيا بدل من يوم الفرقان والعدوة بالحركات الثلاث شط الوادي وقد قرئ بها والمشهور الضم والكسر وهو قراءة ابن كثير وأبي عمرو ويعقوب وهم بالعدوة القصوى البعدى من المدينة تأنيث الأقصى وكان قياسه قلب الواو كالدنيا والعليا تفرقة بين الاسم والصفة فجاء على الأصل كالقود وهو أكثر استعمالا من القصيا والركب أي العير أو قوادها أسفل منكم في مكان أسفل من مكانكم يعني الساحل وهو منصوب على الظرف واقع موقع الخبر والجملة حال من الظرف قبله وفائدتها الدلالة على قوة العدو واستظهارهم بالركب وحرصهم على المقاتلة عنها وتوطين نفوسهم على أن لا يخلوا مراكزهم ويبذلوا منتهى جهدهم وضعف شأن المسلمين والتياث أمرهم واستبعاد غلبتهم عادة وكذا ذكر مراكز الفريقين فإن العدوة الدنيا كانت رخوة تسوخ فيها الأرجل ولا يمشى فيها إلا بتعب ولم يكن فيها ماء بخلاف العدوة القصوى وكذا قوله ولو

یا علی ادرکنی

تواعدتم لاختلفتم في الميعاد اي ولو تواعدتم انتم وهم القتال ثم علمتم حالكم وحالهم لاختلفتم
في الميعاد هيبة منهم ويأساً من الظفر عليهم ليتحققوا ان ما اتفق لهم من الفتح ليس الا صنعاً من الله خارقاً للعادة فيزدادوا ايماناً وشكراً
ولكن جمع بينكم على هذه الحال من غير ميعاد ليقضي الله امراً كان مفعولاً
حقيقاً بان يفعل وهو نصر اوليائه وقهر اعدائه وقوله ليهلك من هلك عن بينة ويحيى
من حي عن بينة بدل منه او متعلق بقوله مفعولاً والمعنى ليموت من يموت عن بينة عاينها ويعيش
من يعيش عن حجة شاهدها لئلا يكون له حجة ومعذرة فان وقعة بدر من الآيات الواضحة او ليصدر كفر من كفر وايمان
من آمن عن وضوح بينة على استعارة الهلاك والحيوة للكفر والاسلام والمراد بمن هلك ومن حي المشارف للهلاك
والحيوة او من هذا حاله في علم الله وقضائه وقرئ ليهلك بالفتح وقرأ ابن كثير ونافع وابو بكر ويعقوب من
حيي بفك الادغام للحمل على المستقبل وان الله لسميع عليم بكفر من كفر وعقابه وايمان من آمن
وثوابه ولعل الجمع بين الوصفين لاشتمال الامرين على القول والاعتقاد اذ يريكهم الله في
منامك قليلاً مقدر باذكر او بدل ثان من يوم الفرقان او متعلق بعليم اي يعلم المصالح اذ يقللهم في
عينك في رؤياك وهو ان تخبر به اصحابك فيكون تثبيتاً لهم وتشجيعاً على عدوهم ولو اراكهم كثيراً
لفشلتم لجبنتم ولتنازعتم في الامر امر القتال وتفرقت آراؤكم بين الثبات والفرار
ولكن الله سلم انعم بالسلامة من الفشل والتنازع انه عليم بذات الصدور
يعلم ما سيكون فيها وما يغير احوالها واذ يريكموهم اذ التقيتم في اعينكم قليلاً الضميران
مفعولا يرى وقليلاً حال من الثاني وانما قللهم في اعين المسلمين حتى قال ابن مسعود لمن الى جنبه اتراهم سبعين فقال
اراهم مائة تثبيتاً لهم وتصديقاً لرؤيا الرسول ويقللكم في اعينهم حتى قال ابو جهل ان محمداً واصحابه
اكلة جزور قللهم في اعينهم قبل التحام القتال ليجترؤا عليهم ولا يستعدوا لهم ثم كثرهم حتى رأوهم مثليهم
لتفجأهم الكثرة فتبهتهم وتكسر قلوبهم وهذا من عظائم آيات تلك الواقعة فان البصر وان كان قد يرى
الكثير قليلاً والقليل كثيراً لكن لا على هذا الوجه ولا الى هذا الحد وانما يتصور ذلك بصد الله الابصار عن ابصار بعض دون
بعض مع التساوي في الشروط ليقضي الله امراً كان مفعولاً كرره لاختلاف الفعل المعلل به او
لان المراد بالامر ثم الالتقاء على الوجه المحكي وههنا اعزاز الاسلام واهله واذلال الشرك وحزبه والى الله
ترجع الامور يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة حاربتم جماعة ولم يصفها
لان المؤمنين ما كانوا يلقون الا الكفار واللقاء مما غلب في القتال فاثبتوا للقائهم واذكروا الله
كثيراً في مواطن الحرب داعين له مستظهرين بذكره مترقبين لنصره لعلكم تفلحون

تظفرون بمرادكم من النصرة والمثوبة وفيه تنبيه على ان العبد ينبغي ان لا يشغله شيء عن ذكر الله وان يلتجئ اليه عند الشدائد
ويقبل عليه بشراشره فارغ البال واثقاً بان لطفه لا ينفك عنه في شيء من الاحوال واطيعوا الله و
رسوله ولا تنازعوا باختلاف الآراء كما فعلتم ببدر او احد فتفشلوا جواب النهي وقيل عطف
عليه ولذلك قرئ وتذهب ريحكم بالجزم والريح مستعارة للدولة من حيث انها في تمشي امرها ونفاذه
مشبهة بها في هبوبها ونفوذها وقيل المراد بها الحقيقة فان النصرة لا تكون الا بريح يبعثها الله وفي الحديث نصرت بالصبا
واهلكت عاد بالدبور واصبروا ان الله مع الصابرين بالكلاءة والنصر ولا تكونوا
كالذين خرجوا من ديارهم يعني اهل مكة حين خرجوا منها لحماية العير بطراً فخراً واشراً
ورئاء الناس ليثنوا عليهم بالشجاعة وذلك انهم لما بلغوا الجحفة وافاهم رسول ابي سفيان ان ارجعوا فقد
سلمت عيركم فقال ابو جهل لا والله حتى نقدم بدراً ونشرب بها الخمور وتعزف علينا القينات ونطعم بها من حضرنا
من العرب فوافوها ولكن سقوا كأس المنايا وناحت عليهم النوائح فنهى المؤمنين ان يكونوا امثالهم بطرين مرائين
وامرهم بان يكونوا اهل تقوى واخلاص من حيث ان النهي عن الشيء امر بضده ويصدون عن سبيل
الله معطوف على بطراً ان جعل مصدراً في موضع الحال وكذا ان جعل مفعولاً له لكن على تأويل المصدر والله
بما تعملون محيط فيجازيكم عليه واذ زين لهم الشيطان مقدر باذكر اعمالهم في
معاداة الرسول وغيرها بان وسوس اليهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس و
اني جار لكم مقالة نفسانية والمعنى انه القى في روعهم وخيل اليهم انهم لا يغلبون ولا يطاقون لكثرة عددهم و
عددهم واوهمهم ان اتباعهم اياه فيما يظنون انها قربات مجير لهم حتى قالوا اللهم انصر اهدى الفئتين وافضل
الدينين ولكم خبر لا غالب او صفته وليس صلته والا لانتصب كقولك لا ضارباً زيداً عندنا فلما تراءت
الفئتان اي تلاقى الفريقان نكص على عقبيه رجع القهقرى اي بطل كيده وعاد ما خيل
اليهم انه مجيرهم سبب هلاكهم وقال اني بريء منكم اني ارى ما لا ترون
اني اخاف الله اي تبرأ منهم وخاف عليهم وأيس من حالهم لما رأى امداد الله المسلمين بالملائكة وقيل لما
اجتمعت قريش على المسير ذكرت ما بينهم وبين كنانة من الاحنة وكاد ذلك يثنيهم فتمثل لهم ابليس بصورة سراقة
بن مالك الكناني وقال لا غالب لكم اليوم واني مجيركم من بني كنانة فلما رأى الملائكة تنزل نكص وكان يده في يد الحارث
بن هشام فقال له الى اين اتخذلنا في هذه الحالة فقال اني ارى ما لا ترون ودفع في صدر الحارث فانطلق وانهزموا
فلما بلغوا مكة قالوا هزم الناس سراقة فبلغه ذلك فقال والله ما شعرت بمسيركم حتى بلغتني هزيمتكم فلما اسلموا
علموا انه الشيطان وعلى هذا يحتمل ان يكون معنى قوله اني اخاف الله اني اخافه ان يصيبني بمكروه من الملائكة او يهلكني

ويكون الوقت هو الوقت الموعود اذ ارى فيه ما لم ير قبله والاول ما قاله الحسن واختاره ابن بحر والله
شديد العقاب يجوز ان يكون من كلامه وان يكون مستانفا اذ يقول المنافقون و
الذين في قلوبهم مرض والذين لم يطمئنوا الى الايمان بعد وبقي في قلوبهم شبهة وقيل هم المشركون
وقيل هم المنافقون والعطف لتغاير الوصفين غر هؤلاء يعنون المؤمنين دينهم حتى تعرضوا لما لا يدي
لهم به فخرجوا وهم ثلثمائة وبضعة عشر الى زهاء الالف ومن يتوكل على الله جواب لهم فان
الله عزيز غالب لا يذل من استجار به وان قل حكيم يفعل بحكمته البالغة ما يستبعده العقل ويعجز
عن ادراكه ولو ترى اي ولو رايت فان لو تجعل المضارع ماضيا عكس ان اذ يتوفى الذين
كفروا الملائكة ببدر واذ ظرف ترى والمفعول محذوف اي ولو ترى الكفرة او حالهم ح
والملائكة فاعل يتوفى ويدل عليه قراءة ابن عامر بالتاء ويجوز ان يكون الفاعل ضمير الله عز وجل وهو مبتدا خبره
يضربون وجوههم والجملة حال من الذين كفروا واستغنى فيه بالضمير عن الواو وهو على الاول حال منهم
او من الملائكة او منهما لاشتماله على الضميرين وادبارهم ظهورهم واستاههم ولعل المراد تعميم الضرب اي
يضربون ما اقبل منهم وما ادبر وذوقوا عذاب الحريق عطف على يضربون على اضمار القول
اي ويقولون ذوقوا بشارة لهم بعذاب الاخرة وقيل كانت معهم مقامع من حديد كلما ضربوا التهبت النار منها و
جواب لو محذوف لتفظيع الامر وتهويله ذلك الضرب والعذاب بما قدمت ايديكم
بسبب ما كسبتم من الكفر والمعاصي وهو خبر لذلك وان الله ليس بظلام للعبيد
عطف عليه اي على ما للدلالة على ان سببيته مقيدة بانضمامه اليه اذ لولاه لامكن ان يعذبهم بغير ذنوبهم
لا ان لا يعذبهم بذنوبهم فان ترك التعذيب من مستحقه ليس بظلم شرعا ولا عقلا حتى ينتهض نفي الظلم
سببا للتعذيب وظلام للتكثير لاجل العبيد كدأب ال فرعون اي داب هؤلاء
مثل داب ال فرعون وهو عملهم وطريقتهم الذي داموا فيه اي داموا عليه والذين من
قبلهم من قبل ال فرعون كفروا بايات الله تفسير لدابهم فاخذهم
الله بذنوبهم كما اخذ هؤلاء ان الله قوي شديد العقاب لا يغلبه في اخذه شيء
ذلك اشارة الى ما حل بهم بان الله بسبب ان الله لم يك مغيرا
نعمة انعمها على قوم مبدلا اياها بالنقمة حتى يغيروا ما بانفسهم يبدلوا
ما بهم من الحال الى حال اسوأ كتغيير قريش حالهم في صلة الرحم والكف عن تعرض الايات والرسل بمعاداة
الرسول ومن تبعه منهم والهم في اراقة دمائهم والتكذيب بالايات والاستهزاء بها الى غير ذلك مما احدثوه بعد

المبعث وليس السبب عدم تغيير الله ما انعم عليهم حتى يغيروا حالهم بل ما هو المفهوم له وهو جري عادته تعالى على تغييره متى تغيروا حالهم
واصل لم يك لم يكن فحذفت الحركة للجزم ثم الواو لالتقاء الساكنين ثم النون لشبهه بحروف اللين تخفيفا وان الله سميع
لما يقولون عليم بما يفعلون كدأب ال فرعون والذين من قبلهم كذبوا
بايات ربهم فاهلكناهم بذنوبهم واغرقنا ال فرعون تكرير للتأكيد
ولما نيط به من الدلالة على كفران النعم بقوله بايات ربهم وبيان ما اخذ به ال فرعون وقيل الاول لتشبيه الكفر و
الاخذ به والثاني لتشبيه التغيير في النعمة بسبب تغييرهم ما بانفسهم وكل من الفرق المكذبة او من غرقى القبط وقتلى
قريش كانوا ظالمين انفسهم بالظلم والمعاصي ان شر الدواب عند الله الذين
كفروا اصروا على الكفر ورسخوا فيه فهم لا يؤمنون فلا يتوقع منهم ايمان ولعله اخبار عن قوم
مطبوعين على الكفر بانهم لا يؤمنون والفاء للعطف والتنبيه على ان تحقق المعطوف عليه يستدعي تحقق المعطوف وقوله
الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة بدل من الذين كفروا
بدل البعض للبيان والتخصيص وهم يهود قريظة عاهدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا يمالئوا عليه فاعانوا المشركين
بالسلاح وقالوا نسينا ثم عاهدهم فنكثوا ومالؤوهم عليه يوم الخندق وركب كعب بن الاشرف الى مكة فحالفهم ومن لتضمين المعاهدة
معنى الاخذ والمراد بالمرة مرة المعاهدة او المحاربة وهم لا يتقون سبة الغدر ومغبته او لا يتقون الله
فيه او نصره للمؤمنين وتسليطه عليهم فاما تثقفنهم فاما تصادفنهم وتظفرن بهم في الحرب
فشرد بهم ففرق عن مناصبتك ونكل عنها بقتلهم والنكاية فيهم من خلفهم من وراءهم من
الكفرة والتشريد تفريق على اضطراب وقرئ فشرذ بالذال المعجمة وكانه مقلوب شذر ومن خلفهم والمعنى
واحد فكانه اذا شرد من وراءهم فقد فعل التشريد في الوراء لعلهم يذكرون لعل المشردين يتعظون واما
تخافن من قوم معاهدين خيانة نقض عهد بامارات تلوح لك فانبذ اليهم فاطرح اليهم
عهدهم على سواء على عدل وطريق قصد في العداوة ولا تناجزهم الحرب فانه يكون خيانة منك او على سواء في
الخوف او العلم بنقض العهد وهو في موضع الحال من النابذ على الوجه الاول اي ثابتا على طريق سوي او منه او من المنبوذ
اليهم او منهما على غيره ان الله لا يحب الخائنين تعليل للامر بالنبذ والنهي عن مناجزة القتال المدلول عليه بالحال
على طريقة الاستئناف ولا تحسبن خطاب للنبي وقوله الذين كفروا سبقوا مفعولاه وقرئ بالياء
وحفص بالياء على ان الفاعل ضمير احد او من خلفهم او الذين كفروا والمفعول الاول انفسهم فحذف للتكرار او على تقدير ان سبقوا وهو
ضعيف لان ان المصدرية كالموصول فلا تحذف وعلى ايقاع الفعل على انهم لا يعجزون بالفتح على قراءة ابن عامر
ولا صلة وسبقوا حال بمعنى سابقين او مفلتين والاظهر انه تعليل للنهي اي لا تحسبنهم سبقوا فافلتوا لانهم لا يفوتون

او لا يجدون طالبهم عاجزا عن ادراكهم وكذا ان كسرت ان الا انه تعليل على سبيل الاستيناف ولعل الاية ازاحة لما يحذر به من نبذ العهد وايقاظ العدو وقيل نزلت فيمن افلت من فل المشركين **واعدوا لهم** لناقضي العهد او الكفار **ما استطعتم من قوة** من كل ما يتقوى به في الحرب وعن عقبة بن عامر سمعته عليه السلام يقول على المنبر الا ان القوة الرمي قالها ثلثا ولعله عليه السلام خصه بالذكر لانه اقواه **ومن رباط الخيل** اسم للخيل التي تربط في سبيل الله فعال بمعنى مفعول او مصدر سمي به يقال ربط ربطا ورباطا ورابط مرابطة ورباطا او جمع ربيط كفصيل وفصال وقرئ ربط الخيل بضم الباء وسكونها جمع رباط وعطفها على القوة كعطف جبريل وميكائيل على الملائكة **ترهبون به** تخوفون به وعن يعقوب ترهّبون بالتشديد والضمير لما استطعتم او للاعداد **عدو الله وعدوكم** يعني كفار مكة **وآخرين من دونهم** من غيرهم من الكفرة قيل هم اليهود وقيل المنافقون وقيل الفرس **لا تعلمونهم** لا تعرفونهم باعيانهم **الله يعلمهم** يعرفهم **وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف اليكم** جزاؤه **وانتم لا تظلمون** بتضييع العمل او نقص الثواب **وان جنحوا** مالوا ومنه الجناح وقد يعدى باللام والى **للسلم** للصلح والاستسلام وقرأ ابو بكر بالكسر **فاجنح لها** وعاهد معهم وتأنيث الضمير لحمل السلم على نقيضها فيه قال السلم تأخذ منها ما رضيت به والحرب يكفيك من انفاسها جرع وقرئ فاجنح بالضم **وتوكل على الله** ولا تخف من ابطانهم خداعا فيه فان الله يعصمك من مكرهم ويحيقه بهم **انه هو السميع** لاقوالهم **العليم** بنياتهم والاية مخصوصة باهل الكتاب لاتصالها بقصتهم وقيل عامة نسختها اية السيف **وان يريدوا ان يخدعوك فان حسبك الله** فان محسبك الله وكافيك قال جرير اني وجدت من المكارم حسبكم ان تلبسوا خز الثياب وتشبعوا **هو الذي ايدك بنصره وبالمؤمنين والف بين قلوبهم** مع ما فيهم من العصبية والضغينة في ادنى شيء والتهالك على الانتقام بحيث لا يكاد يأتلف فيهم قلبان حتى صاروا كنفس واحدة وهذا من معجزاته عليه السلام وبيانه **لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم** اي تناهى عداوتهم الى حد لو انفق منفق في اصلاح ذات بينهم ما في الارض من الاموال لم يقدر على الالفة والاصلاح **ولكن الله الف بينهم** بقدرته البالغة فانه المالك للقلوب يقلبها كيف يشاء **انه عزيز** تام القدرة والغلبة لا يعصى عليه ما يريده **حكيم** يعلم انه كيف ينبغي ان يفعل ما يريده وقيل الاية في الاوس والخزرج كان بينهم احن لا امد لها ووقائع هلكت فيها ساداتهم فانساهم الله ذلك والف بينهم بالاسلام حتى تصافوا وصاروا انصارا

يا ايها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين كافيك والنصب على المفعول معه كقوله فحسبك والضحاك سيف مهند اذا كانت الهيجاء وانشقت العصا او الجر عطفا على المكني عند الكوفيين او الرفع عطفا على اسم الله اي كفاك الله والمؤمنون والاية نزلت بالبيداء في غزوة بدر وقيل اسلم مع النبي ثلثة وثلثون رجلا وست نسوة ثم اسلم عمر فنزلت ولذلك قال ابن عباس نزلت في اسلامه **يا ايها النبي حرض المؤمنين على القتال** بالغ في حثهم عليه واصله الحرض وهو ان ينهكه المرض حتى يشفى على الموت وقرئ حرص من الحرص **ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا الفا من الذين كفروا** شرط في معنى الامر بمصابرة الواحد للعشرة والوعد بانهم ان صبروا غلبوا بعون الله وتأييده وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر تكن بالتاء في الايتين ووافقهم البصريان في وان يكن منكم مائة **بانهم قوم لا يفقهون** بسبب انهم جهلة بالله واليوم الآخر لا يثبتون ثبات المؤمنين رجاء الثواب وعلو الدرجات قتلوا او قُتلوا ولا يستحقون من الله الا الهوان والخذلان **الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم الف يغلبوا الفين باذن الله** لما اوجب على الواحد مقاومة العشرة والثبات لهم وثقل ذلك عليهم خفف عنهم بمقاومة الواحد الاثنين وقيل كان فيهم قلة فامروا بذلك ثم لما كثروا خفف عنهم وتكرير المعنى الواحد بذكر الاعداد المتناسبة للدلالة على ان حكم القليل والكثير واحد والضعف ضعف البدن وقيل ضعف البصيرة وكانوا متفاوتين فيها وفيه لغتان الفتح وهو قراءة عاصم وحمزة والضم وهو قراءة الباقين **والله مع الصابرين** بالنصر والمعونة فكيف لا يغلبون **ما كان لنبي** وقرئ للنبي على العهد **ان يكون له اسرى** وقرأ البصريان بالتاء **حتى يثخن في الارض** يكثر القتل ويبالغ فيه حتى يذل الكفرة ويقل حزبه ويعز الاسلام ويستولي اهله من اثخنه المرض اذا اثقله واصله الثخانة وقرئ يثخّن بالتشديد للمبالغة **تريدون عرض الدنيا** حطامها باخذكم الفداء **والله يريد الآخرة** يريد لكم ثواب الآخرة او سبب نيل الآخرة من اعزاز دينه وقمع اعدائه وقرئ بجر الآخرة على اضمار المضاف كقوله اكل امرئ تحسبين امرأ ونار توقد بالليل نارا **والله عزيز** يغلب اولياءه على اعدائه **حكيم** يعلم ما يليق بكل حال ويخصه بها كما امر بالاثخان ومنع عن الفداء حين كانت الشوكة للمشركين وخير بينه وبين المن لما تحولت الحال وصارت الغلبة للمؤمنين روي انه عليه السلام

اتى يوم بدر بسبعين اسيرا فيهم العباس وعقيل بن ابي طالب فاستشار فيهم فقال ابو بكر قومك واهلك استبقهم لعل
الله يتوب عليهم وخذ منهم فدية تتقوى بها اصحابك قال عمر اضرب اعناقهم فانهم ائمة الكفر وان الله اغناك عن الفدا مكني
من فلان لنسيب له ومكن عليا وحمزة من اخويهما فلنضرب اعناقهم فلم يهو ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان الله ليلين
قلوب رجال حتى تكون الين من اللبن وان الله ليشدد قلوب رجال حتى تكون اشد من الحجارة وان مثلك يا ابا بكر
مثل ابراهيم قال فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم ومثلك يا عمر مثل نوح قال لا تذر على الارض
من الكافرين ديارا فخير اصحابه فاخذوا الفدا فنزلت فدخل عمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو وابو بكر يبكيان فقال
يا رسول الله اخبرني فان اجد بكاء بكيت والا تباكيت فقال ابكي على اصحابك في اخذهم الفداء ولقد عرض علي
عذابهم ادنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة منه والآية دليل على ان الانبياء يجتهدون وانه قد يكون خطأ ولكن لا
يقرون عليه **لولا كتاب من الله سبق** لولا حكم من الله سبق اثباته في اللوح وهو
ان لا يعاقب المخطئ في اجتهاده او ان لا يعذب اهل بدر او قوما بما لم يصرح لهم بالنهي عنه او ان الفدية التي
اخذوها ستحل لهم **لمسكم** لنالكم **فيما اخذتم** من الفداء **عذاب عظيم** روي انه عليه السلام قال
لو نزل العذاب لما نجا منه غير عمر وسعد بن معاذ وذلك لانه ايضا اشار بالاثخان **فكلوا
مما غنمتم** من الفدية فانها من جملة الغنائم وقيل امسكوا عن الغنائم فنزلت والفاء للتسبب والسبب
محذوف تقديره ابحت لكم الغنائم فكلوا وبنحوه تشبث من زعم ان الامر الوارد بعد الحظر للاباحة **حلالا** حال
من المغنوم او صفة للمصدر اي اكلا حلالا وفائدته ازاحة ما وقع في نفوسهم منه بسبب تلك المعاتبة
او حرمتها على الاولين ولذلك وصفه بقوله **طيبا واتقوا الله** في مخالفته **ان الله غفور**
غفر لكم ذنبكم **رحيم** اباح لكم ما اخذتم **يا ايها النبي قل لمن في ايديكم من الاسارى**
وقرأ ابو عمرو من الاسارى **ان يعلم الله في قلوبكم خيرا** ايمانا واخلاصا **يؤتكم خيرا
مما اخذ منكم** من الفداء روي انها نزلت في العباس كلفه رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يفدي نفسه وابني اخويه عقيل بن ابي طالب
ونوفل بن الحارث فقال يا محمد تركتني اتكفف قريشا ما بقيت فقال فاين الذهب الذي دفعته
الى ام الفضل وقت خروجك وقلت لها اني لا ادري ما يصيبني في وجهي هذا فان حدث بي حدث فهو لك
ولعبد الله وعبيد الله والفضل وقثم فقال وما يدريك قال اخبرني به ربي قال فاشهد انك صادق وان
لا اله الا الله وانك رسوله لم يطلع عليه احد الا الله ولقد دفعته اليها في سواد الليل قال العباس فابدلني
الله خيرا من ذلك لي الآن عشرون عبدا ان ادناهم ليضرب في عشرين الفا واعطاني زمزم ما احب ان لي بها جميع
اموال اهل مكة وانا انتظر المغفرة من ربكم يعني الموعود بقوله **ويغفر لكم والله**

غفور رحيم وان يريدوا خيانتك نقض ما عاهدوك **فقد خانوا الله**
بالكفر ونقض ميثاقه المأخوذ بالعقل **من قبل فامكن منهم** اي فامكنك منهم كما فعل يوم بدر فان
اعادوا الخيانة فسيمكنك منهم **والله عليم حكيم ان الذين آمنوا وهاجروا**
هم المهاجرون هجروا اوطانهم حبا لله ولرسوله **وجاهدوا باموالهم** فصرفوها في
الكراع والسلاح وانفقوها على المحاويج **وانفسهم في سبيل الله** بمباشرة القتال
والذين آووا ونصروا هم الانصار آووا المهاجرين الى ديارهم ونصروهم على اعدائهم
اولئك بعضهم اولياء بعض في الميراث وكان المهاجرون والانصار يتوارثون بالهجرة
والنصرة دون الاقارب حتى نسخ بقوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض او بالنصرة والمظاهرة **والذين
آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا** اي
من توليهم في الميراث وقرأ حمزة ولايتهم بالكسر تشبيها لها بالعمل والصناعة كالكتابة والامارة كانه بتوليه صاحبه
يزاول عملا **وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر** فوجب عليكم ان تنصروهم
الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق عهد فانه لا ينقض عهدهم لنصرهم عليهم
والله بما تعملون بصير والذين كفروا بعضهم اولياء بعض
في الميراث والمؤازرة وهو بمفهومه يدل على منع التوارث او المؤازرة بينهم وبين المسلمين **الا تفعلوه**
الا تفعلوا ما امرتم به من التواصل بينكم وتولي بعضكم لبعض حتى في التوارث وقطع العلائق بينكم وبين الكفار
تكن فتنة في الارض تحصل فتنة فيها عظيمة وهي ضعف الايمان وظهور الكفر **وفساد كبير** في الدين وقرئ كثير
**والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا
اولئك هم المؤمنون حقا** لما قسم المؤمنين ثلاثة اقسام بين ان الكاملين في الايمان منهم هم الذين حققوا ايمانهم بتحصيل
مقتضاه من الهجرة والجهاد وبذل المال ونصرة الحق ووعد لهم الموعد الكريم فقال **لهم مغفرة ورزق كريم** لا تبعة
له ولا منة فيه ثم الحق بهم في الامرين من سيلحق بهم ويتسم بسمتهم فقال **والذين آمنوا من بعد وهاجروا
وجاهدوا معكم فاولئك منكم** اي من جملتكم ايها المهاجرون والانصار **واولوا الارحام
بعضهم اولى ببعض** في التوارث من الاجانب **في كتاب الله** في حكمه او في اللوح او في القرآن واستدل به
على توريث ذوي الارحام **ان الله بكل شيء عليم** من المواريث والحكمة في اناطتها بنسبة الاسلام والمظاهرة اولا و
اعتبار القرابة ثانيا عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الانفال وبراءة فانا شفيع له يوم القيامة وشاهد انه بريء من النفاق واعطي عشر حسنات
بعدد كل منافق ومنافقة وكان العرش وحملته يستغفرون له ايام حياته

سورة براءة مدنية وقيل الا آيتين من قوله لقد جاءكم رسول

وهي آخر ما نزل ولها اسماء اخر التوبة والمقشقشة والبحوث والمبعثرة والمنقرة والمثيرة والحافرة والمخزية والفاضحة والمنكلة والمشردة والمدمدمة وسورة العذاب لما فيها من التوبة للمؤمنين والقشقشة من النفاق وهي التبري منه والبحث عن حال المنافقين واثارتها والحفر عنها وما يخزيهم ويفضحهم وينكلهم ويشردهم ويدمدم عليهم وآيها مائة وثلثون وقيل تسع وعشرون وانما تركت التسمية فيها لانها نزلت لرفع الامان وبسم الله امان وقيل كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا نزلت عليه سورة او آية بين موضعها وتوفي ولم يبين موضعها وكانت قصتها تشابه قصة الانفال وتناسبها لان في الانفال ذكر العهود وفي براءة نبذها فضمت اليها وقيل لما اختلفت الصحابة في انهما سورة واحدة وهي سابعة السبع الطوال او سورتان تركت بينهما فرجة ولم تكتب بسم الله براءة من الله ورسوله اي هذه براءة ومن ابتدائية متعلقة بمحذوف تقديره واصلة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين ويجوز ان تكون براءة مبتدأ لتخصيصها بصفتها والخبر الى الذين عاهدتم وقرئ بنصبها على اسمعوا براءة والمعنى ان الله ورسوله بريئان من العهد الذي عاهدتم به المشركين وانما علقت البراءة بالله ورسوله والمعاهدة بالمسلمين للدلالة على انه يجب عليهم نبذ عهود المشركين اليهم وان كانت صادرة باذن الله واتفاق الرسول فانهما برئا منها وذلك انهم عاهدوا مشركي العرب فنكثوا الا اناسا منهم بنو ضمرة وبنو كنانة فامرهم بنبذ العهد الى الناكثين وامهل المشركين اربعة اشهر ليسيروا اين شاؤوا فقال فسيحوا في الارض اربعة اشهر شوال وذي القعدة وذي الحجة والمحرم لانها نزلت في شوال وقيل هي عشرون من ذي الحجة والمحرم وصفر وربيع الاول وعشر من ربيع الآخر لان التبليغ كان يوم النحر لما روي انها لما نزلت ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا رضي الله عنه راكب العضباء ليقراها على اهل الموسم وكان قد بعث ابا بكر اميرا على الموسم فقيل له لو بعثت بها الى ابي بكر فقال لا يؤدي عني الا رجل مني فلما دنا علي سمع ابو بكر الرغاء فوقف فقال هذا رغاء ناقة رسول الله فلما لحقه قال امير او مأمور قال مأمور فلما كان قبل التروية خطب ابو بكر وحدثهم عن مناسكهم وقام علي يوم النحر عند جمرة العقبة فقال ايها الناس اني رسول رسول الله اليكم فقالوا بماذا فقرا عليهم ثلثين او اربعين آية ثم قال امرت باربع ان لا يقرب البيت بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة الا كل نفس مؤمنة وان يتم الى كل ذي عهد عهده ولعل قوله عليه السلام لا يؤدي عني الا رجل مني ليس على العموم فانه عليه السلام بعث لان يؤدي عنه كثيرا لم يكونوا من عترته بل هو مخصوص بالعهود فان عادة العرب ان لا يتولى العهد ونقضه على القبيلة الا رجل منها ويدل عليه انه في بعض الروايات لا ينبغي لاحد ان يبلغ هذا الا رجل من اهلي واعلموا انكم غير معجزي الله لا تفوتونه وان امهلكم وان الله

مخزي الكافرين بالقتل والاسر في الدنيا والعذاب في الآخرة واذان من الله ورسوله الى الناس اعلام فعال بمعنى الافعال كالامان والعطاء ورفعه كرفع براءة على الوجهين يوم الحج الاكبر يوم العيد لان فيه تمام الحج ومعظم افعاله ولان الاعلام كان فيه ولما روي انه عليه السلام وقف يوم النحر عند الجمرات في حجة الوداع فقال هذا يوم الحج الاكبر وقيل يوم عرفة لقوله عليه السلام الحج عرفة ووصف الحج بالاكبر لان العمرة تسمى الحج الاصغر او لان المراد بالحج ما يقع في ذلك اليوم من اعماله فانه اكبر من باقي الاعمال او لان ذلك الحج اجتمع فيه المسلمون والمشركون ووافق عيده اعياد اهل الكتاب او لانه ظهر فيه عز المسلمين وذل المشركين ان الله اي بان الله بريء من المشركين اي من عهودهم ورسوله عطف على المستكن في بريء او على محل ان واسمها في قراءة من كسرها اجراء للاذان مجرى القول وقرئ بالنصب عطفا على اسم ان او لان الواو بمعنى مع ولا تكرير فيه فان قوله براءة اخبار بثبوت البراءة وهذه اخبار بوجوب الاعلام بذلك ولذلك علقه بالناس ولم يخصه بالمعاهدين فان تبتم من الكفر والغدر فهو خير لكم وان توليتم عن التوبة او ثبتم على التولي عن الاسلام والوفاء فاعلموا انكم غير معجزي الله لا تفوتونه طلبا ولا تعجزونه هربا في الدنيا وبشر الذين كفروا بعذاب اليم في الآخرة الا الذين عاهدتم من المشركين استثناء من المشركين او استدراك وكانه قيل لهم بعد ان امروا بنبذ العهد الى الناكثين ولكن الذين عاهدوا منهم ثم لم ينقصوكم شيئا من شروط العهد ولم ينكثوه او لم يقتلوا منكم ولم يضروكم قط ولم يظاهروا عليكم احدا من اعدائكم فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم الى تمام مدتهم ولا تجروهم مجرى الناكثين ان الله يحب المتقين تعليل وتنبيه على ان اتمام عهدهم من باب التقوى فاذا انسلخ انقضى واصل الانسلاخ خروج الشيء مما لابسه من سلخ الشاة الاشهر الحرم التي ابيح للناكثين ان يسيحوا فيها وقيل هي رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم وهذا مخل بالنظم مخالف للاجماع فانه يقتضي بقاء حرمة الاشهر الحرم اذ ليس فيما نزل بعد ما ينسخها فاقتلوا المشركين الناكثين حيث وجدتموهم من حل او حرم وخذوهم واسروهم والاخيذ الاسير واحصروهم واحبسوهم او حيلوا بينهم وبين المسجد الحرام واقعدوا لهم كل مرصد كل ممر لئلا يتبسطوا في البلاد وانتصابه على الظرف فان تابوا عن الشرك بالايمان واقاموا الصلوة وآتوا الزكوة تصديقا لتوبتهم وايمانهم فخلوا سبيلهم فدعوهم ولا تتعرضوا لهم بشيء من ذلك وفيه دليل على ان تارك الصلوة ومانع الزكوة لا يخلى سبيله ان الله غفور رحيم يغفر لهم ما قد سلف ووعدهم الثواب بالتوبة وان احد من المشركين المأمور بالتعرض لهم استجارك استامنك وطلب منك جوارك فاجره فامنه حتى يسمع كلام الله

ويتدبره ويطلع على حقيقة الامر ثم ابلغه مامنه موضع امنه ان لم يسلم وان رفع بفعل يفسره ما بعده لا بالابتداء لان ان من عوامل الفعل ذلك بانهم قوم لا يعلمون ما الايمان وحقيقة ما تدعوهم اليه فلا بد من امانهم ريثما يسمعون ويتدبرون كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله استفهام بمعنى الانكار والاستبعاد لان يكون لهم عهد ولا ينكثوه مع وغرة صدورهم او لان يفي الله ورسوله بالعهد وهم نكثوه وخبر يكون كيف وقدم للاستفهام او للمشركين او عند الله وهو على الاولين صفة للعهد او ظرف له او ليكون وكيف على الاخيرين حال من العهد وللمشركين ان لم يكن خبرا فتبيين الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام هم المستثنون قبل ومحله النصب على الاستثناء او الجر على البدل او الرفع على ان الاستثناء منقطع اي ولكن الذين عاهدتم منهم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم اي فتربصوا امرهم فان استقاموا على العهد فاستقيموا على الوفاء وهو كقوله فاتموا اليهم عهدهم غير انه مطلق وهذا مقيد وما تحتمل الشرطية والمصدرية ان الله يحب المتقين سبق بيانه كيف تكرار لاستبعاد ثباتهم على العهد او بقاء حكمه مع التنبيه على العلة وحذف الفعل للعلم به كما في قوله وخبرتماني انما الموت بالقرى فكيف وهاتا هضبة وقليب اي فكيف مات وان يظهروا عليكم اي وحالهم انهم ان يظفروا بكم لا يرقبوا فيكم الا حلفا وقيل قرابة قال حسان لعمرك ان الك من قريش كال السقب من رال النعام وقيل ربوبية ولعله اشتق للحلف من الال وهو الجوار لانهم كانوا اذا تحالفوا رفعوا به اصواتهم وشهروه ثم استعير للقرابة لانها تعقد بين الاقارب ما لا يعقده الحلف ثم للربوبية والتربية وقيل اشتقاقه من ال الشي اذا حدده او من ال البرق اذا لمع وقيل انه عبري بمعنى الاله لانه قرئ ايلا كجبرال وجبرائيل ولا ذمة عهدا او حقا يعاب على اغفاله يرضونكم بافواههم استيناف لبيان حالهم المنافية لثباتهم على العهد المؤدية الى عدم مراقبتهم عند الظفر ولا يجوز جعله حالا من فاعل لا يرقبوا فانهم بعد ظهورهم لا يرضون ولان المراد اثبات ارضائهم المؤمنين بوعد الايمان والطاعة والوفاء بالعهد في الحال واستبطان الكفر والمعاداة بحيث ان ظفروا لم يبقوا عليهم والحالية تنافيه وتابى قلوبهم ما تتفوه به افواههم واكثرهم فاسقون متمردون لا عقيدة تزعهم ولا مروة تردعهم وتخصيص الاكثر لما في بعض الكفرة من التفادي عن الغدر والتعفف عما يجر احدوثة السوء اشتروا بايات الله استبدلوا بالقران ثمنا قليلا عرضا يسيرا وهو اتباع الاهوا والشهوات فصدوا عن سبيله دينه الموصل اليه او سبيل بيته بصد الحجاج والعمار والفا للدلالة على ان اشتراهم اداهم الى الصد انهم ساء ما كانوا يعملون عملهم هذا او ما دل عليه قوله لا يرقبون في مومن الا ولا ذمة فهو تفسير لا تكرير وقيل الاول عام في المناقضين

وهذا خاص بالذين اشتروا وهم اليهود او الاعراب الذين جمعهم ابو سفيان واطعمهم واولئك هم المعتدون في الشرارة فان تابوا عن الكفر واقاموا الصلوة واتوا الزكوة فاخوانكم فهم اخوانكم في الدين لهم ما لكم وعليهم ما عليكم ونفصل الايات لقوم يعلمون اعتراض للحث على تامل ما فصل من احكام المعاهدين او خصال التايبين وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم وان نكثوا ما بايعوا عليه من الايمان او الوفا بالعهود وطعنوا في دينكم بصريح التكذيب وتقبيح الاحكام فقاتلوا ائمة الكفر اي فقاتلوهم فوضع ائمة الكفر موضع الضمير للدلالة على انهم صاروا بذلك ذوي الرياسة والتقدم في الكفر احقا بالقتل وقيل المراد بالائمة رؤسا المشركين فالتخصيص اما لان قتلهم اهم وهم احق به او للمنع من مراقبتهم وقرا عاصم وابن عامر وحمزة والكسائي وروح عن يعقوب ائمة بتحقيق الهمزتين واظهار اليا لحن انهم لا ايمان لهم اي لا ايمان لهم على الحقيقة والا لما طعنوا ولم ينكثوا وفيه دليل على ان الذمي اذا طعن في الاسلام فقد نكث عهده واستشهد به الحنفية على ان يمين الكافر ليس يمينا وهو ضعيف لان المراد نفي الوثوق عليها لا انها ليست بايمان لقوله تعالى وان نكثوا ايمانهم وقرا ابن عامر لا ايمان بمعنى لا امان او لا اسلام وتشبث به من لم يقبل توبة المرتد وهو ضعيف لجواز ان يكون بمعنى لا يومنون على الاخبار عن قوم معينين او ليس لهم ايمان فيراقبوا لاجله لعلهم ينتهون متعلق بقاتلوا اي ليكن غرضكم في المقاتلة ان ينتهوا عما هم عليه لا ايصال الاذية بهم كما هو طريقة المؤذين الا تقاتلون قوما تحريض على القتال لان الهمزة دخلت على النفي للانكار فافادت المبالغة في الفعل نكثوا ايمانهم التي حلفوها مع الرسول والمؤمنين على ان لا يعاونوا عليهم فعاونوا بني بكر على خزاعة وهموا باخراج الرسول حين تشاوروا في امره بدار الندوة على ما ذكر في قوله واذ يمكر بك الذين كفروا وقيل هم اليهود نكثوا عهد الرسول وهموا باخراجه من المدينة وهم بدأوكم اول مرة بالمعاداة والمقاتلة لانه عم بداهم بالدعوة والزام الحجة بالكتاب والتحدي به فعدلوا عن معارضته الى المعاداة والمقاتلة فما يمنعكم ان تعارضوهم وتصادموهم اتخشونهم اتتركون قتالهم خشية ان ينالكم مكروه منهم فالله احق ان تخشوه فقاتلوا اعداه ولا تتركوا امره ان كنتم مومنين فان قضية الايمان ان لا يخشى الا منه قاتلوهم امر بالقتال بعد بيان موجبه والتوبيخ على تركه والتوعد عليه يعذبهم الله بايديكم ويخزهم وينصركم عليهم وعد لهم ان قاتلوهم بالنصر عليهم والتمكن من قتلهم واذلالهم ويشف صدور قوم مومنين يعني بني خزاعة وقيل بطونا من اليمن وسبا قدموا مكة فاسلموا فلقوا من اهلها اذى شديدا فشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابشروا فان الفرج قريب ويذهب غيظ قلوبهم لما لقوا منهم وقد

اوفى الله بما وعدهم والاية من المعجزات ويتوب الله على من يشاء ابتداء اخبار بان بعضهم يتوب
عن كفره وقد كان ذلك ايضا وقرئ ويتوب بالنصب على اضمار ان على انه من جملة ما اجيب به الامر فان القتال
كما تسبب لتعذيب قوم تسبب لتوبة قوم اخرين والله عليم بما كان وما سيكون حكيم لا يفعل ولا
يحكم الا على وفق الحكمة ام حسبتم خطاب للمؤمنين حين كره بعضهم القتال وقيل للمنافقين وام منقطعة
ومعنى الهمزة فيها التوبيخ على الحسبان ان تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا
منكم ولم يتبين الخلص منكم وهم الذين جاهدوا من غير علة نفى العلم واراد نفى المعلوم للمبالغة فانه كالبرهان
عليه من حيث ان تعلق العلم به مستلزم لوقوعه ولم يتخذوا عطف على جاهدوا داخل في الصلة من
دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة بطانة يوالونهم ويفشون اليهم
اسرارهم وما في لما من معنى التوقع منبه على ان تبين ذلك متوقع والله خبير بما تعملون يعلم
غرضكم منه وهو كالمزيح لما يتوهم من ظاهر قوله ولما يعلم الله ما كان للمشركين ما صح لهم ان يعمروا
مساجد الله شيئا من المساجد فضلا عن المسجد الحرام وقيل هو المراد وانما جمع لانه قبلة المساجد وامامها
فعامره كعامر الجميع ويدل عليه قراءة ابن كثير وابي عمرو ويعقوب بالتوحيد شاهدين على
انفسهم بالكفر باظهار الشرك وتكذيب الرسول وهو حال من الواو والمعنى ما استقام لهم ان
يجمعوا بين امرين متنافيين عمارة بيت الله وعبادة غيره روي انه لما اسر العباس عيره المسلمون بالشرك و
قطيعة الرحم واغلظ له علي رض في القول فقال تذكرون مساوينا وتكتمون محاسننا انا لنعمر المسجد الحرام ونحجب
الكعبة ونسقي الحجيج ونفك العاني فنزلت اولئك حبطت اعمالهم التي يفتخرون بها بما
قارنها من الشرك وفي النار هم خالدون لاجله انما يعمر مساجد الله
من امن بالله واليوم الاخر واقام الصلوة واتى الزكوة اي انما يستقيم عمارتها
لهولاء الجامعين للكمالات العلمية والعملية ومن عمارتها تزيينها بالفرش وتنويرها بالسرج وادامة العبادة
والذكر ودرس العلم فيها وصيانتها مما لم تبن له كحديث الدنيا وعن النبي صلعم قال الله تعالى ان بيوتي في
الارض المساجد وان زواري فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني في بيتي فحق على المزور
ان يكرم زايره وانما لم يذكر الايمان بالرسول لما علم ان الايمان بالله قرينه وتمامه الايمان به ولدلالة
قوله واقام الصلوة واتى الزكوة عليه ولم يخش الا الله اي في ابواب الدين فان الخشية من
المحاذير جبلية لا يكاد العاقل يتمالك عنها فعسى اولئك ان يكونوا من المهتدين
ذكره بصيغة التوقع قطعا لاطماع المشركين في الاهتداء والانتفاع باعمالهم وتوبيخا لهم بالقطع بانهم مهتدون

فان هولاء مع كمالهم اذا كان اهتداؤهم دايرا بين عسى ولعل فما ظنك باضدادهم ومنعا للمؤمنين ان
يغتروا باحوالهم ويتكلوا عليها اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام
كمن امن بالله واليوم الاخر وجاهد في سبيل الله السقاية و
العمارة مصدرا سقى وعمر فلا يشبهان بالجثث بل لا بد من اضمار تقديره اجعلتم اهل سقاية الحاج كمن امن او
اجعلتم سقاية الحاج كايمان من امن ويؤيد الاول قراءة من قرأ سقاة الحاج وعمرة المسجد والمعنى انكار ان
يشبه المشركون واعمالهم المحبطة بالمؤمنين واعمالهم المثبتة ثم قرر ذلك بقوله لا يستوون عند الله
وبين عدم تساويهم بقوله والله لا يهدي القوم الظالمين اي الكفرة ظلمة بالشرك ومعاداة
الرسول منهمكون في الضلالة فكيف يساوون الذين هداهم الله ووفقهم للحق والصواب وقيل المراد بالظالمين
الذين يسوون بينهم وبين المؤمنين الذين امنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله
باموالهم وانفسهم اعظم درجة عند الله اعلى رتبة واكثر كرامة ممن لم تستجمع فيه
الصفات او من اهل السقاية والعمارة عندكم واولئك هم الفائزون بالثواب ونيل الحسنى
عند الله دونكم يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها
في الجنات نعيم مقيم دائم وقرأ حمزة يبشرهم بالتخفيف وتنكير المبشر به اشعار بانه وراء التعيين
والتعريف خالدين فيها ابدا اكد الخلود بالتأبيد لانه قد يستعمل للمكث الطويل ان الله عنده
اجر عظيم يستحقر دونه ما استوجبوه لاجله ونعيم الدنيا يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا
اباءكم واخوانكم اولياء نزلت في المهاجرين فانهم لما امروا بالهجرة قالوا ان هاجرنا قطعنا
اباءنا وابناءنا وعشايرنا وذهبت تجارتنا وبقينا ضايعين وقيل نزلت نهيا عن موالاة التسعة الذين ارتدوا
ولحقوا بمكة والمعنى لا تتخذوهم اولياء يمنعونكم عن الايمان ويصدونكم عن الطاعة لقوله ان استحبوا الكفر
على الايمان ان اختاروه وحرضوا عليه ومن يتولهم منكم فاولئك هم الظالمون
بوضعهم الموالاة في غير موضعها قل ان كان اباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم و
عشيرتكم اقرباؤكم ماخوذ من العشرة وقيل من العشرة فان العشيرة جماعة ترجع الى عقد كعقد العشرة و
قرأ ابو بكر عشيراتكم وقرئ عشائركم واموال اقترفتموها اكتسبتموها وتجارة
تخشون كسادها فوات وقت نفاقها ومساكن ترضونها احب
اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله الحب الاختياري دون
الطبيعي فانه لا يدخل تحت التكليف والتحفظ عنه فتربصوا حتى ياتي الله بامره جواب ووعيد

والامر عقوبة عاجلة او آجلة وقيل فتح مكة والله لا يهدي القوم الفاسقين لا يرشدهم
وفي الآية تشديد عظيم وقل من يتخلص منه لقد نصركم الله في مواطن كثيرة يعني مواطن
الحرب وهي مواقعها ويوم حنين وموطن يوم حنين ويجوز ان يقدر في ايام مواطن او يفسر الموطن
بالوقت كمقتل الحسين ولا يمنع ابدال قوله اذ اعجبتكم كثرتكم منه ان يعطف على موضع في مواطن
فانه لا يقتضي تشاركهما فيما اضيف اليه المعطوف حتى يقتضي كثرتهم واعجابها اياهم في جميع المواطن وحنين واد
بين مكة والطائف حارب فيه رسول الله والمؤمنون وكانوا اثني عشر الفا العشرة الذين حضروا فتح مكة والفان
انضموا اليهم من الطلقاء هوازن وثقيفا وكانوا اربعة آلاف فلما التقوا قال النبي او ابو بكر او غيره من المسلمين لن نغلب
اليوم من قلة اعجابا بكثرتهم واقتتلوا قتالا شديدا فادرك المسلمين اعجابهم واعتمادهم على كثرتهم فانهزموا حتى
بلغ فلهم مكة وبقي رسول الله في مركزه ليس معه الا عمه عباس آخذا بلجامه وابن عمه ابو سفيان بن الحرث وناهيك
بهذا شهادة على تناهي شجاعته فقال للعباس وكان صيتا صح بالناس فنادى يا عباد الله يا اصحاب الشجرة
يا اصحاب سورة البقرة فكروا عنقا واحدا يقولون لبيك لبيك ونزلت الملائكة فالتقوا مع المشركين فقال هذا
حين حمي الوطيس ثم اخذ كفا من تراب فرماهم ثم قال انهزموا ورب الكعبة فانهزموا فلم تغن عنكم
شيئا من الاغناء او من امر العدو وضاقت عليكم الارض بما رحبت برحبها اي
لسعتها لا تجدون فيها مقرا تطمئن اليه نفوسكم من شدة الرعب او لا تثبتون فيها كمن لا يسعه مكانه ثم وليتم
الكفار ظهوركم مدبرين منهزمين والادبار الذهاب الى خلف خلاف الاقبال ثم انزل الله
سكينته رحمته التي سكنوا بها وامنوا على رسوله وعلى المؤمنين الذين
انهزموا واعادة الجار للتنبيه على اختلاف حاليهما وقيل هم الذين ثبتوا مع الرسول ولم يفروا وانزل
جنودا لم تروها باعينكم يعني الملائكة وكانوا خمسة آلاف او ثمانية او ستة عشر على اختلاف الاقوال
وعذب الذين كفروا بالقتل والسبي والاسر وذلك جزاء الكافرين اي
ما فعل بهم جزاء كفرهم في الدنيا ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء منهم بالتوفيق
للاسلام والله غفور رحيم يتجاوز عنهم ويتفضل عليهم روي ان ناسا منهم جاؤوا الى رسول
الله صلعم واسلموا وقالوا يا رسول الله انت خير الناس وابرهم وقد سبي اهلونا واولادنا واخذت
اموالنا وقد سبي يومئذ ستة آلاف نفس واخذ من الابل والغنم ما لا يحصى فقال اختاروا اما سباياكم و
اما اموالكم فقالوا ما كنا نعدل بالاحساب شيئا فقام رسول الله صلعم فقال ان هؤلاء جاؤوا مسلمين وانا
خيرناهم بين الذراري والاموال فلم يعدلوا بالاحساب شيئا فمن كان بيده سبي وطابت نفسه ان

يرده فشأنه ومن لا فليعطنا وليكن قرضا علينا حتى نصيب شيئا فنعطيه مكانه فقالوا رضينا وسلمنا فقال اني لا ادري
لعل فيكم من لا يرضى فمروا عرفاءكم فليرفعوا الينا فرفعوا انهم قد رضوا يا ايها الذين آمنوا انما
المشركون نجس لخبث باطنهم او لانه يجب ان يجتنب عنهم كما يجتنب عن الانجاس او لانهم لا
يتطهرون ولا يجتنبون عن النجاسات فهم ملابسون لها غالبا وفيه دليل على ان ما الغالب نجاسته نجس وعن ابن
عباس ان اعيانهم نجسة كالكلاب وقرئ نجس بالسكون وكسر النون وهو ككبد في كبد
واكثر ما جاء تابعا لرجس فلا يقربوا المسجد الحرام لنجاستهم وانما نهي عن الاقتراب للمبالغة
او للمنع عن دخول الحرم وقيل المراد النهي عن الحج والعمرة لا عن الدخول مطلقا واليه ذهب ابو حنيفة وقاس مالك
سائر المساجد على المسجد الحرام في المنع وفيه دليل على ان الكفار مخاطبون بالفروع بعد عامهم هذا يعني
سنة براءة وهي التاسعة وقيل سنة حجة الوداع وان خفتم عيلة فقرا بسبب منعهم من الحرم وانقطاع
ما كان لكم من قدومهم من المكاسب والارفاق فسوف يغنيكم الله من فضله من عطائه
او تفضله بوجه آخر وقد انجز وعده بان ارسل السماء عليهم مدرارا ووفق اهل تبالة وجرش فاسلموا وامتاروا
لهم ثم فتح عليهم البلاد والغنائم وتوجه اليهم الناس من اقطار الارض وقرئ عائلة على انها مصدر كالعافية
او حال ان شاء قيده بالمشيئة لتنقطع الآمال الى الله ولينبه على انه متفضل في ذلك وان الغنى الموعود يكون
لبعض دون بعض وفي عام دون عام ان الله عليم باحوالكم حكيم فيما يعطي ويمنع قاتلوا الذين
لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر اي لا يؤمنون بهما على ما ينبغي كما بيناه في اول البقرة
فان ايمانهم كلا ايمان ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ما ثبت تحريمه بالكتاب
والسنة وقيل رسوله هو الذي يزعمون اتباعه والمعنى انهم يخالفون اصل دينهم المنسوخ اعتقادا وعملا
ولا يدينون دين الحق الثابت الذي هو ناسخ سائر الاديان ومبطلها من الذين اوتوا
الكتاب بيان للذين لا يؤمنون حتى يعطوا الجزية ما تقرر عليهم ان يعطوه مشتق من جزى
دينه اذا قضاه عن يد حال من الضمير اي عن يد مواتية بمعنى منقادين او عن يدهم بمعنى مسلمين بايديهم
غير باعثين بايدي غيرهم ولذلك منع من التوكيل فيه او عن غنى ولذلك قيل لا يؤخذ من الفقير او عن يد
قاهرة عليهم بمعنى عاجزين اذلاء او عن انعام عليهم فان ابقاءهم بالجزية نعمة عظيمة او من الجزية بمعنى نقدا
مسلمة عن يد الى يد وهم صاغرون اذلاء وعن ابن عباس تؤخذ الجزية من الذمي وتوجأ عنقه
ومفهوم الآية يقتضي تخصيص الجزية باهل الكتاب ويؤيده ان عمر لم يكن يأخذ الجزية من المجوس حتى شهد
عبد الرحمن بن عوف انه عم اخذها من مجوس هجر وانه قال سنوا بهم سنة اهل الكتاب وذلك

لهم

والارزاق

الميرة الاختيار جلب الطعام للبيع والعيال

في قوله تعالى حكاية لن تمسنا النار الا اياما معدودة

لان لهم شبهة كتاب فالحقوا بالكتابيين واما سائر الكفرة فلا تؤخذ منهم الجزية عندنا وعند ابي حنيفة تؤخذ منهم الا من مشركي العرب لما روى الزهري انه عم صالح عبدة الاوثان الا من كان من العرب وعند مالك تؤخذ من كل كافر الا المرتد واقلها في كل سنة دينار سواء فيه الغني والفقير وقال ابو حنيفة على الغني ثمانية واربعون درهما وعلى المتوسط نصفها وعلى الفقير الكسوب ربعها ولا شي على فقير غير كسوب وقالت اليهود عزير ابن الله انما قال بعضهم من متقدميهم او ممن كانوا بالمدينة وانما قالوا ذلك لانه لم يبق فيهم بعد وقعة بخت نصر من يحفظ التورية وهو لما احياه الله بعد مائة عام املى عليهم التورية حفظا فتعجبوا من ذلك وقالوا ما هذا الا لانه ابن الله والدليل على ان هذا القول كان فيهم ان الاية قرئت عليهم فلم يكذبوا مع تهالكهم على التكذيب وقرا عاصم والكسائي ويعقوب عزير بالتنوين على انه عربي مخبر عنه بابن غير موصوف به وحذفه في القراءة الاخرى لمنع صرفه للعجمة والتعريف او لالتقاء الساكنين تشبيها للنون بحروف اللين او لان الابن صفة والخبر محذوف مثل معبودنا او صاحبنا وهو مزيف لانه يؤدي الى تسليم النسب وانكار الخبر المقدر وقالت النصارى المسيح ابن الله هو ايضا قول بعضهم وانما قالوه استحالة لان يكون ولد بلا اب او لان يفعل ما فعله من ابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى من لم يكن الها ذلك قولهم بافواههم اما تاكيد لنسبة هذا القول اليهم ونفي للتجوز عنها او اشعار بانه قول مجرد عن برهان وتحقيق مماثل للمهمل الذي يوجد في الافواه ولا يوجد مفهومه في الاعيان يضاهئون قول الذين كفروا اي يضاهي قولهم قول الذين كفروا فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه من قبل اي من قبلهم والمراد قدماؤهم على معنى ان الكفر قديم فيهم او المشركون الذين قالوا الملئكة بنات الله او اليهود على ان الضمير للنصارى والمضاهاة المشابهة والهمز لغة فيه وقد قرا به عاصم ومنه قولهم امراة ضهياء على فعيل للتي شابهت الرجال في انها لا تحيض قاتلهم الله دعاء عليهم بالاهلاك فان من قاتله الله هلك او تعجب من شناعة قولهم انى يؤفكون كيف يصرفون عن الحق الى الباطل اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله بان اطاعوهم في تحريم ما احل الله وتحليل ما حرم او بالسجود لهم والمسيح ابن مريم بان جعلوه ابنا لله وما امروا اي وما امر المتخذون او المتخذون اربابا فيكون كالدليل على بطلان الاتخاذ الا ليعبدوا الها واحدا وهو الله تعالى واما طاعة الرسول وسائر من امر الله بطاعته فهو في الحقيقة طاعة الله لا اله الا هو صفة ثانية او استئناف مقرر للتوحيد سبحانه عما يشركون تنزيه له عن ان يكون له شريك يريدون ان يطفئوا نور الله حجته الدالة على وحدانيته وتقدسه عن الولد او القران او نبوة محمد

بافواههم بشركهم او بتكذيبهم ويابى الله لا يرضى الا ان يتم نوره باعلاء التوحيد واعزاز الاسلام وقيل انه تمثيل لحالهم في طلبهم ابطال نبوة محمد عم بالتكذيب بحال من يطلب اطفاء نور عظيم منبث في الافاق يريد الله ان يزيده بنفخه وانما صح الاستثناء المفرغ والفعل موجب لانه في معنى النفي ولو كره الكافرون محذوف الجواب لدلالة ما قبله عليه هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله كالبيان لقوله ويابى الله الا ان يتم نوره ولذلك كرر ولو كره المشركون غير انه وضع المشركون موضع الكافرون للدلالة على انهم ضموا الكفر بالرسول الى الشرك بالله والضمير في ليظهره للدين الحق او للرسول واللام في الدين للجنس اي على سائر الاديان فينسخها او على اهلها فيخذلهم يا ايها الذين امنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان لياكلون اموال الناس بالباطل ياخذونها بالرشى في الاحكام سمي اخذ المال اكلا لانه الغرض الاعظم منه ويصدون عن سبيل الله دينه والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله يجوز ان يراد به الكثير من الاحبار والرهبان فيكون مبالغة في وصفهم بالحرص على المال والضن بها وان يراد المسلمون الذين يجمعون المال ويقتنونه ولا يؤدون حقه ويكون اقترانه بالمرتشين من اهل الكتاب للتغليظ ويدل عليه انه لما نزل كبر على المسلمين فذكر عمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان الله لم يفرض الزكوة الا ليطيب بها ما بقي من اموالكم وقوله عم ما ادي زكوته فليس بكنز اي بكنز اوعد عليه فان الوعيد على الكنز مع عدم الانفاق فيما امر الله ان ينفق فيه واما قوله من ترك صفراء او بيضاء كوي بها ونحوه فالمراد منها ما لم يؤد حقها لقوله عم فيما اورده الشيخان مرويا عن ابي هريرة ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها الا اذا كان يوم القيمة صفحت له صفائح من نار فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره فبشرهم بعذاب اليم هو الكي بها يوم يحمى عليها في نار جهنم اي يوم توقد نار ذات حمي شديد عليها واصله تحمى بالنار فجعل الاحماء للنار مبالغة ثم حذفت النار واسند الفعل الى الجار والمجرور تنبيها على المقصود فانتقل من صيغة التانيث الى صيغة التذكير وانما قال عليها والمذكور شيئان لان المراد بهما دنانير ودراهم كثيرة كما قال علي رضه اربعة الاف وما دونها نفقة وما فوقها كنز وكذا قوله ولا ينفقونها وقيل الضمير فيهما للكنوز او للاموال فان الحكم عام وتخصيصهما بالذكر لانهما قانون التمول او للفضة وتخصيصها لقربها ودلالة حكمها على ان الذهب اولى بهذا الحكم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم لان جمعهم وامساكهم كان لطلب الوجاهة بالغنى والتنعم بالمطاعم الشهية والملابس البهية او لانهم ازوروا عن السائل واعرضوا عنه وولوه ظهورهم او لانها اشرف الاعضاء الظاهرة فانها المشتملة على الاعضاء الرئيسة التي هي الدماغ والقلب

والكبد او لانها اشرف الجهات الاربع التي هي مقاديم البدن ومآخره وجنبتاه **هذا ما كنزتم**
على ارادة القول **لانفسكم** لمنفعتها وكان عين مضرتها وسبب تعذيبها **فذوقوا ما كنتم**
تكنزون اي وبال كنزكم او ما تكنزونه وقرئ تكنُزون بضم النون **ان عدة الشهور**
اي مبلغ عددها **عند الله** معمول عدة لانها مصدر **اثنا عشر شهرا في كتاب**
الله في اللوح المحفوظ او في حكمه وهو صفة لاثني عشر وقوله **يوم خلق السموات والارض**
متعلق بما فيه من معنى الثبوت او بالكتاب ان جعل مصدرا والمعنى ان هذا امر ثابت في نفس الامر مذ خلق الله
الاجرام والازمنة **منها اربعة حرم** واحد فرد وهو رجب وثلاثة سرد ذو القعدة وذو الحجة
والمحرم **ذلك الدين القيم** اي تحريم الاشهر الاربعة هو الدين القويم دين ابراهيم واسمعيل عليهما السلام
والعرب ورثوه منهما **فلا تظلموا فيهن انفسكم** بهتك حرمتها وارتكاب حرامها و
الجمهور على ان حرمة المقاتلة فيها منسوخة واولوا الظلم بارتكاب المعاصي فيهن فانه اعظم وزرا كارتكابها
في الحرم وحال الاحرام وعن عطاء انه لا يحل للناس ان يغزوا في الحرم والاشهر الحرم الا ان يقاتلوا ويؤيد الاول
ما روي انه عم حاصر الطائف وغزا هوازن بحنين في شوال وذي القعدة **وقاتلوا المشركين**
كافة كما يقاتلونكم كافة جميعا وهو مصدر كف عن الشيء فان الجميع مكفوف عن الزيادة
وقع موقع الحال **واعلموا ان الله مع المتقين** بشارة وضمان لهم بالنصر بسبب تقواهم **انما**
النسيء اي تاخير حرمة الشهر الى شهر اخر كانوا اذا جاء شهر حرام وهم محاربون احلوه وحرموا مكانه شهرا اخر
حتى رفضوا خصوص الاشهر واعتبروا مجرد العدد وعن نافع النسي بقلب الهمزة ياء وادغام الياء فيها وقرئ
النسء بحذفها والنسء والنساء وثلاثتها مصادر نسأه اذا اخره **زيادة في الكفر** لانه
تحريم ما احله الله وتحليل ما حرمه فهو كفر اخر ضموه الى كفرهم **يضل به الذين كفروا** اضلالا زائدا
وقرأ حمزة والكسائي وحفص يضل على البناء للمفعول وعن يعقوب يضل على ان الفعل لله **يحلونه عاما**
يحلون النسيء من الاشهر الحرم سنة ويحرمون مكانه شهرا اخر **ويحرمونه عاما** فيتركونه
على حرمته قيل اول من احدث ذلك جنادة بن عوف الكناني كان يقوم على جمل في الموسم فينادي
ان آلهتكم قد احلت لكم المحرم فاحلوه ثم ينادي في القابل ان آلهتكم قد حرمت عليكم المحرم فحرموه والجملتان
تفسير للضلال او حال **ليواطئوا عدة ما حرم الله** اي ليوافقوا عدة الاربعة المحرمة و
اللام متعلقة بيحرمونه او بما دل عليه مجموع الفعلين **فيحلوا ما حرم الله** بمواطاة العدة وحدها
من غير مراعاة الوقت **زين لهم سوء اعمالهم** وقرئ على البناء للفاعل وهو الله تعالى و

فيحلوا ما حرم الله بمواطاة العدة وحدها من غير مراعاة الوقت

المعنى خذلهم واضلهم حتى حسبوا قبيح اعمالهم حسنا **والله لا يهدي القوم الكافرين**
هداية موصلة الى الاهتداء **يا ايها الذين آمنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا**
في سبيل الله اثاقلتم تباطأتم وقرئ تثاقلتم على الاصل واثاقلتم على الاستفهام للتوبيخ **الى**
الارض متعلق به كانه ضمن معنى الاخلاد والميل فعدي بالى وكان ذلك في غزوة تبوك امروا بها بعد
رجوعهم من الطائف في وقت عسرة وقحط مع بعد الشقة وكثرة العدو فشق عليهم **ارضيتم بالحيوة**
الدنيا وغرورها **من الآخرة** بدل الآخرة ونعيمها **فما متاع الحيوة الدنيا**
فما التمتع بها **في الآخرة** في جنب الآخرة **الا قليل** مستحقر **الا تنفروا** الا تنفروا
الى ما استنفرتم اليه **يعذبكم عذابا اليما** بالاهلاك بسبب فظيع كقحط وظهور عدو **و**
يستبدل قوما غيركم ويستبدل بكم آخرين مطيعين كاهل اليمن وابناء فارس
ولا تضروه شيئا اذ لا يقدح تثاقلكم في نصر دينه شيئا فانه الغني عن كل شيء وفي كل امر
وقيل الضمير للرسول اي ولا تضروه فان الله وعد له بالعصمة والنصرة ووعده حق **والله على كل شيء**
قدير فيقدر على التبديل وتغيير الاسباب والنصرة بلا مدد كما قال **الا تنصروه فقد**
نصره الله اي ان لم تنصروه فسينصره الله كما نصره **اذ اخرجه الذين كفروا**
ثاني اثنين اذ لم يكن معه الا رجل واحد فحذف الجزاء واقيم ما هو كالدليل مقامه او ان لم تنصروه فقد
اوجب الله له النصرة حتى نصره في مثل ذلك الوقت فلن يخذله في غيره واسناد الاخراج الى الكفرة لان همهم
باخراجه او قتله تسبب لاذن الله له بالخروج وقرئ ثاني اثنين بالسكون على لغة من يجري المنقوص مجرى
المقصور في الاعراب ونصبه على الحال **اذ هما في الغار** بدل من اذ اخرجه بدل البعض اذ المراد
به زمان متسع والغار نقب في اعلى ثور وهو جبل في يمنى مكة على مسيرة ساعة مكثا فيه ثلاثا **اذ يقول** بدل ثان
او ظرف لثاني **لصاحبه** وهو ابو بكر **لا تحزن ان الله معنا** بالعصمة والمعونة روي ان
المشركين طلعوا فوق الغار فاشفق ابو بكر على رسول الله فقال ما ظنك باثنين الله ثالثهما فاعماهم الله
عن الغار فجعلوا يترددون حوله فلم يروه وقيل لما دخلا الغار بعث الله حمامتين فباضتا في اسفله والعنكبوت
فنسجت عليه **فانزل الله سكينته** امنته التي تسكن عندها القلوب **عليه** على النبي
او على صاحبه وهو الاظهر لانه كان منزعجا **وايده بجنود لم تروها** يعني الملائكة انزلهم ليحرسوه
في الغار او ليعينوه على العدو يوم بدر والاحزاب وحنين فتكون الجملة معطوفة على قوله نصره **وجعل**
كلمة الذين كفروا السفلى يعني الشرك او دعوة الكفر **وكلمة الله هي**

العليا يعني التوحيد او دعوة الاسلام والمعنى وجعل ذلك بتخليص الرسول عن ايدي الكفار الى المدينة فانه
المبدا له او بتاييده اياه بالملائكة في هذه المواطن او بحفظه ونصره له حيث حضر وقرا يعقوب كلمة الله
بالنصب عطفا على كلمة الذين والرفع ابلغ لما فيه من الاشعار بان كلمة الله عالية في نفسها وان فاق غيرها فلا
ثبات لتفوقه ولا اعتبار ولذلك وسط الفصل والله عزيز حكيم في امره وتدبيره انفروا
خفافا لنشاطكم له وثقالا عنه لمشقته عليكم او لقلة عيالكم ولكثرتها او ركبانا ومشاة او
خفافا وثقالا من السلاح او صحاحا ومراضا ولذلك لما قال ابن ام مكتوم لرسول الله اعلي ان انفر فقال نعم
حتى نزل ليس على الاعمى حرج وجاهدوا باموالكم وانفسكم في سبيل الله
بما امكن لكم منهما كليهما او احدهما ذلكم خير لكم من تركه ان كنتم تعلمون الخير علمتم
انه خير او ان كنتم تعلمون انه خير اذ اخبار الله تعالى به صدق فبادروا اليه لو كان عرضا قريبا
اي لو كان ما دعوا اليه نفعا دنيويا قريبا سهل الماخذ وسفرا قاصدا متوسطا لاتبعوك
لوافقوك ولكن بعدت عليهم الشقة المسافة التي تقطع بمشقة وقرئ
بكسر العين والشين وسيحلفون بالله اي المتخلفون اذا رجعت من تبوك معتذرين
لو استطعنا يقولون لو كان لنا استطاعة العدة او البدن وقرئ لو استطعنا بضم الواو تشبيها
لها بواو الضمير في قوله اشتروا الضلالة لخرجنا معكم ساد مسد جوابي القسم والشرط وهذا من
المعجزات لانه اخبار عما وقع قبل وقوعه يهلكون انفسهم بايقاعها في العذاب وهو بدل
من سيحلفون لان الحلف الكاذب ايقاع للنفس في الهلاك او حال من فاعله والله يعلم
انهم لكاذبون في ذلك لانهم كانوا مستطيعين الخروج عفا الله عنك كناية
عن خطائه في الاذن فان العفو من روادفه لم اذنت لهم بيان لما كنى عنه بالعفو ومعاتبة
عليه والمعنى لاي شيء اذنت لهم في القعود حين استاذنوك واعتلوا باكاذيب وهلا توقفت
حتى يتبين لك الذين صدقوا في الاعتذار وتعلم الكاذبين فيه قيل انما
فعل رسول الله شيئين لم يومر بهما اخذه الفداء واذنه للمنافقين فعاتبه الله عليهما لا يستاذنك
الذين يؤمنون بالله واليوم الاخر ان يجاهدوا باموالهم و
انفسهم اي ليس من عادة المؤمنين ان يستاذنوك في ان يجاهدوا وان الخلص منهم يبادرون
اليه ولا يوقفونه على الاذن فيه فضلا ان يستاذنوك في التخلف عنه او ان يستاذنوك في التخلف كراهة
ان يجاهدوا والله عليم بالمتقين شهادة لهم بالتقوى وعدة لهم بثوابه انما

يستاذنك في التخلف الذين لا يؤمنون بالله واليوم الاخر
تخصيص الايمان بالله واليوم الاخر في الموضعين للاشعار بان الباعث على الجهاد والوازع عنه الايمان
وعدم الايمان بهما وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون يتحيرون
ولو ارادوا الخروج لاعدوا له عدة اهبة وقرئ عده بحذف التاء
عند الاضافة كقوله واخلفوك عد الامر الذي وعدوا وعدة بكسر العين باضافة وبغيرها ولكن
كره الله انبعاثهم استدراك عن مفهوم قوله ولو ارادوا الخروج كانه قال ما خرجوا
ولكن تثبطوا لانه تعالى كره انبعاثهم اي نهوضهم للخروج فثبطهم فحبسهم بالجبن والكسل وقيل
اقعدوا مع القاعدين تمثيل لالقاء الله كراهة الخروج في قلوبهم او وسوسة الشيطان
بالامر بالقعود او حكاية قول بعضهم لبعض او اذن الرسول لهم والقاعدين يحتمل المعذورين وغيرهم وعلى
الوجهين لا يخلو عن ذم لو خرجوا فيكم ما زادوكم بخروجهم شيئا الا خبالا
فسادا وشرا ولا يستلزم ذلك ان يكون لهم خبال حتى لو خرجوا زادوه لان الزيادة باعتبار العام الذي
وقع منه الاستثناء ولاجل هذا التوهم جعل الاستثناء منقطعا وليس كذلك لانه لا يكون مفرغا ولاوضعوا
خلالكم ولاسرعوا ركائبهم بينكم بالنميمة والتضريب او الهزيمة والتخذيل من وضع البعير وضعا
اذا اسرع يبغونكم الفتنة يريدون ان يفتنوكم بايقاع الخلاف فيما بينكم او الرعب في
قلوبكم والجملة حال من الضمير في اوضعوا وفيكم سماعون لهم ضعفة يسمعون قولهم ويطيعونهم او
نمامون يسمعون حديثكم للنقل اليهم والله عليم بالظالمين فيعلم ضمائرهم وما يتاتى منهم
لقد ابتغوا الفتنة تشتيت امرك وتفريق اصحابك من قبل يعني يوم احد فان ابن ابي واصحابه
كما تخلفوا عن تبوك بعد ما خرجوا مع الرسول الى ذي جدة اسفل من ثنية الوداع انصرفوا يوم احد وقلبوا
لك الامور ودبروا لك المكايد والحيل ودوروا الاراء في ابطال امرك حتى جاء الحق
النصر والتاييد الالهي وظهر امر الله علا دينه وهم كارهون اي على رغم منهم والاية
لتسلية الرسول والمؤمنين على تخلفهم وبيان ما ثبطهم الله لاجله وكره انبعاثهم له وهتك استارهم وكشف
اسرارهم وازاحة اعتذارهم تداركا لما فوت الرسول بالمبادرة الى الاذن ولذلك عوتب عليه و
منهم من يقول ائذن لي في القعود ولا تفتني ولا توقعني في الفتنة اي العصيان
والمخالفة بان لا تاذن لي وفيه اشعار بانه لا محالة متخلف اذن او لم ياذن او في الفتنة بسبب ضياع المال والعيال اذ
لا كافل لهم بعدي او في الفتنة بنساء الروم لما روي ان جد بن قيس قال قد علمت الانصار اني مولع بالنساء فلا تفتني

بنات صفر ولكن اعينك بمالي فاتركني الا في الفتنة سقطوا اي ان الفتنة هي التي سقطوا فيها
وهي فتنة التخلف وظهور النفاق لا ما احترزوا عنه وان جهنم لمحيطة بالكافرين
جامعة لهم يوم القيمة او الان لاحاطة اسبابها بهم ان تصبك في بعض غزواتك حسنة
ظفر وغنيمة تسؤهم لفرط حسدهم وان تصبك في بعضها مصيبة شدة كما اصاب
يوم احد يقولوا قد اخذنا امرنا من قبل تبجحوا بانصرافهم واستحمدوا رايهم في التخلف و
يتولوا عن متحدثهم بذلك ومجتمعهم او عن الرسول وهم فرحون مسرورون قل لن يصيبنا
الا ما كتب الله لنا الا ما اختصنا باثباته وبايجابه من النصرة او الشهادة او ما كتب
لاجلنا في اللوح لا يتغير بموافقتكم ولا مخالفتكم وقرئ هل يصيبنا وهو من فيعل لا من فعّل لانه من بنات
الواو لقولهم صاب السهم يصوب واشتقاقه من الصواب لانه وقوع الشيء فيما قصد به وقيل من الصيب
هو مولانا ناصرنا ومتولي امرنا وعلى الله فليتوكل المؤمنون لان حقهم ان لا
يتوكلوا على غيره قل هل تربصون بنا تنتظرون بنا الا احدى الحسنيين
الا احدى العاقبتين اللتين كل منهما حسنى العواقب النصرة والشهادة ونحن نتربص بكم
احدى السوأتين ان يصيبكم الله بعذاب من عنده بقارعة من السماء او
بايدينا او بعذاب بايدينا وهو القتل على الكفر فتربصوا ما هو عاقبتنا انا معكم
متربصون ما هو عاقبتكم قل انفقوا طوعا او كرها لن يتقبل منكم
امر في معنى الخبر اي لن يتقبل منكم نفقاتكم انفقتم طوعا او كرها وفايدته المبالغة في تساوي الانفاقين في
عدم القبول كانهم امروا بان يمتحنوا فينفقوا او ينظروا هل يتقبل منهم وهو جواب قول جد بن قيس واعينك
بمالي ونفي التقبل يحتمل امرين ان لا يؤخذ منهم وان لا يثابوا عليه وقوله انكم كنتم قوما
فاسقين تعليل له على سبيل الاستيناف وما بعده بيان وتقرير له وما منعهم ان تقبل
منهم نفقاتهم الا انهم كفروا بالله وبرسوله اي وما منعهم قبول
نفقاتهم الا كفرهم وقرأ حمزة والكسائي ان يقبل بالياء لان تانيث النفقات غير حقيقي وقرئ يقبل على ان الفعل لله
ولا ياتون الصلوة الا وهم كسالى متثاقلين ولا ينفقون الا
وهم كارهون لانهم لا يرجون بهما ثوابا ولا يخافون على تركهما عقابا ولا تعجبك اموالهم
ولا اولادهم فان ذلك استدراج ووبال لهم كما قال انما يريد الله ليعذبهم بها في
الحيوة الدنيا بسبب ما يكابدون لجمعها وحفظها من المتاعب وما يرون فيها من الشدائد والمصائب و

تزهق انفسهم وهم كافرون فيموتوا وهم كافرون مشتغلين بالتمتع عن النظر في العاقبة فيكون
ذلك استدراجا لهم واصل الزهوق الخروج بصعوبة ويحلفون بالله انهم لمنكم لمن جملة المسلمين وما
هم منكم لكفر قلوبهم ولكنهم قوم يفرقون يخافون منكم ان تفعلوا بهم ما
تفعلون بالمشركين فيظهرون الاسلام تقية لو يجدون ملجأ حصنا يلجأون اليه او مغارات
غيرانا او مدخلا نفقا ينجحرون فيه مفتعل من الدخول وقرأ يعقوب مدخلا من دخل وقرئ مدخلا اي
مكانا يدخلون فيه انفسهم ومتدخلا ومندخلا من تدخل واندخل لولوا اليه لاقبلوا نحوه وهم
يجمحون يسرعون اسراعا لا يردهم شيء كالفرس الجموح وقرئ يجمزون ومنه الجمازة ومنهم
من يلمزك يعيبك وقرأ ابن كثير يلامزك وقرأ يعقوب يلمزك بالضم في الصدقات
في قسمها فان اعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون
قيل انها نزلت في ابي الجواظ المنافق قال الا ترون الى صاحبكم انما يقسم صدقاتكم في رعاة الغنم ويزعم انه
يعدل وقيل في ابن ذي الخويصرة راس الخوارج كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم غنائم حنين فاستعطف قلوب اهل مكة
بتوفير الغنائم عليهم فقال اعدل يا رسول الله فقال ويلك ان لم اعدل فمن يعدل واذا للمفاجاة نايب
مناب الفاء الجزائية ولو انهم رضوا ما اتاهم الله ورسوله ما اعطاهم الرسول
من الغنيمة او الصدقة وذكر الله للتعظيم وللتنبيه على ان ما فعله الرسول كان بامره وقالوا حسبنا
الله كفانا فضله سيؤتينا الله من فضله صدقة او غنيمة اخرى ورسوله
فيؤتينا اكثر مما اتانا انا الى الله راغبون في ان يغنينا من فضله والاية باسرها في حيز الشرط والجواب
محذوف تقديره لكان خيرا لهم ثم بين مصارف الصدقات تصويبا وتحقيقا لما فعله الرسول فقال
انما الصدقات للفقراء والمساكين اي الزكوات لهؤلاء المعدودين دون غيرهم
وهو دليل على ان المراد باللمز لمزهم في قسم الزكوات دون الغنائم والفقير من لا مال له ولا كسب يقع موقعا من حاجته
من الفقار كانه اصيب فقاره والمسكين من له مال او كسب لا يكفيه من السكون كان العجز اسكنه ويدل عليه
قوله تعالى اما السفينة فكانت لمساكين وانه عليه السلام سأل المسكنة وتعوذ من الفقر وقيل بالعكس لقوله تعالى او مسكينا ذا
متربة والعاملين عليها الساعين في تحصيلها وجمعها والمؤلفة قلوبهم قوم اسلموا
ونيتهم ضعيفة فيه فيستألف قلوبهم او اشراف يترقب باعطائهم ومراعاتهم اسلام نظرائهم وقد اعطى
رسول الله صلى الله عليه وسلم عيينة بن حصن والاقرع بن حابس والعباس بن مرداس لذلك وقيل اشراف يستألفون على ان
يسلموا فانه صلى الله عليه وسلم كان يعطيهم والاصح انه كان يعطيهم من خمس الخمس الذي كان خاص ماله وقد عد منهم من يؤلف قلبه بشيء

منها على قتال الكفار ومانعي الزكاة وقيل كان سهم المؤلفة لتكثير سواد الاسلام فلما اعزه الله واكثر اهله سقط
وفي الرقاب وللصرف في فك الرقاب بان يعاون المكاتب بشيء منها على اداء النجوم وقيل بان
يبتاع الرقاب فتعتق وبه قال مالك واحمد او بان تفدى الاسارى والعدول عن اللام الى في للدلالة على
ان الاستحقاق للجهة لا للرقاب وقيل للايذان بانهم احق بها والغارمين والمديونين لانفسهم في غير معصية
اذا لم يكن لهم وفاء او لاصلاح ذات البين وان كانوا اغنياء لقوله عم لا تحل الصدقة لغني الا لخمسة لغاز
في سبيل الله او لغارم او رجل اشتراها بماله او رجل له جار مسكين فتصدق على المسكين فاهدى المسكين للغني
او لعامل عليها وفي سبيل الله وللصرف في الجهاد بالانفاق على المتطوعة وابتياع الكراع
والسلاح وقيل وفي بناء القناطر والمصانع وابن السبيل المسافر المنقطع عن ماله فريضة
من الله مصدر لما دل عليه الاية اي فرض لهم الصدقات فريضة او حال من الضمير المستكن في للفقراء
وقرئ بالرفع على تلك فريضة والله عليم حكيم يضع الاشياء في مواضعها وظاهر
الاية يقتضي تخصيص استحقاق الزكوة بالاصناف الثمانية ووجوب الصرف الى كل صنف وجد منهم
ومراعاة التسوية بينهم قضية للاشتراك واليه ذهب الشافعي وعن عمر وحذيفة وابن عباس وغيرهم من
الصحابة والتابعين جواز صرفها الى صنف واحد وبه قال الائمة الثلثة واختاره بعض اصحابنا وبه
كان يفتي شيخي ووالدي رحمهما الله على ان الاية بيان ان الصدقة لا تخرج منهم لا ايجاب قسمتها عليهم ومنهم
الذين يؤذون النبي ويقولون هو اذن يسمع كل ما يقال له ويصدقه سمي بالجارحة
مبالغة كانه من فرط استماعه صار جملته آلة السماع كما سمي الجاسوس عينا لذلك او اشتق له فعل من اذن
اذنا اذا استمع كانف وشلل روي انهم قالوا محمد اذن سامعة نقول ما شئنا ثم ناتيه فيصدقنا
بالقول قل اذن خير لكم تصديق لهم بانه اذن ولكن لا على الوجه الذي ذموا به بل من حيث
انه يسمع الخير ويقبله ثم فسر ذلك بقوله يؤمن بالله يصدق به لما قام عنده من الادلة و
يؤمن للمؤمنين ويصدقهم لما علم من خلوصهم واللام مزيدة للتفرقة بين ايمان التصديق فانه بمعنى التسليم
وايمان الامان ورحمة اي وهو رحمة للذين آمنوا منكم لمن اظهر الايمان حيث يقبله و
لا يكشف سره وفيه تنبيه على انه ليس يقبل قولكم جهلا بحالكم بل رفقا بكم وترحما عليكم وقرا حمزة ورحمة
بالجر عطفا على خير وقرئ بالنصب على انها علة فعل دل عليه اذن خير اي ياذن لكم رحمة وقرا نافع اذن
بالتخفيف فيهما وقرئ اذن خير على ان خير صفة له او خبر ثان والذين يؤذون رسول الله
لهم عذاب اليم بايذائه يحلفون بالله لكم على معاذيرهم فيما قالوا

او تخلفوا ليرضوكم لترضوا عنهم والخطاب للمؤمنين والله ورسوله احق ان يرضوه
احق بالارضاء بالطاعة والوفاق وتوحيد الضمير لتلازم الرضاءين او لان الكلام في ايذاء الرسول وارضائه او لان
التقدير والله احق ان يرضوه والرسول كذلك ان كانوا مؤمنين صدقا الم يعلموا انه اي
الشان وقرئ بالتاء من يحادد الله ورسوله يشاقق مفاعلة من الحد فان له نار
جهنم خالدا فيها على حذف الخبر اي فحق ان له او على تكرير ان للتاكيد ويحتمل ان يكون معطوفا على انه
ويكون الجواب محذوفا تقديره من يحادد الله ورسوله يهلك وقرئ فان بالكسر ذلك الخزي العظيم
يعني الهلاك الدائم يحذر المنافقون ان تنزل عليهم على المؤمنين سورة تنبئهم
بما في قلوبهم وتهتك عليهم استارهم ويجوز ان يكون الضماير للمنافقين فان النازل فيهم كالنازل عليهم
من حيث انه مقرو ومحتج به عليهم وذلك يدل على ترددهم ايضا في كفرهم وانهم لم يكونوا على بت في امر الرسول
بشيء وقيل انه خبر في معنى الامر وقيل كانوا يقولونه فيما بينهم استهزاء لقوله قل استهزءوا ان الله
مخرج مبرز او مظهر ما تحذرون اي ما تحذرونه من انزال السورة فيكم او ما تحذرون اظهاره من
مساويكم ولئن سالتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب روي ان ركب المنافقين
مروا على رسول الله في غزوة تبوك فقالوا انظروا الى هذا الرجل يريد ان يفتح قصور الشام وحصونه هيهات
هيهات فاطلع الله نبيه فدعاهم فقال قلتم كذا وكذا فقالوا لا والله ما كنا في شيء من امرك وامر اصحابك
ولكن كنا في شيء مما يخوض فيه الركب ليقصر بعضنا على بعض السفر قل ابالله واياته ورسوله
كنتم تستهزءون توبيخ على استهزائهم بمن لا يصح الاستهزاء به والزام للحجة عليهم ولا تعبئوا
باعتذارهم الكاذب لا تعتذروا لا تشتغلوا باعتذاراتكم فانها معلومة الكذب قد
كفرتم قد اظهرتم الكفر بايذاء الرسول والطعن فيه بعد ايمانكم بعد اظهاركم الايمان
ان نعف عن طائفة منكم لتوبتهم واخلاصهم او لتجنبهم عن الايذاء والاستهزاء نعذب
طائفة بانهم كانوا مجرمين مصرين على النفاق او مقدمين على الايذاء والاستهزاء
وقرا عاصم بالنون فيهما وقرئ بالياء وبناء الفاعل فيهما وهو الله وان تعف بالتاء والبناء على المفعول ذهابا
الى المعنى كانه قال ان ترحم طائفة المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض
اي متشابهة في النفاق والبعد عن الايمان كابعاض الشيء الواحد وقيل انه تكذيب لهم في حلفهم بالله انهم لمنكم وتقرير
لقوله وما هم منكم وما بعده كالدليل عليه فانه يدل على مضادة حالهم لحال المؤمنين وهو قوله يامرون
بالمنكر بالكفر والمعاصي وينهون عن المعروف عن الايمان والطاعة ويقبضون

ايديهم عن المبار وقبض اليد كناية عن الشح نسوا الله اغفلوا ذكر الله وتركوا طاعته فنسيهم فتركهم من لطفه وفضله ان المنافقين هم الفاسقون الكاملون في التمرد والفسوق عن دائرة الخير وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار

جهنم خالدين فيها مقدرين الخلود هي حسبهم عقابا وجزاء وفيه دليل على عظم عذابها ولعنهم الله ابعدهم من رحمته واهانهم ولهم عذاب مقيم

لا ينقطع والمراد به ما وعدوه او ما يقاسونه من تعب النفاق كالذين من قبلكم اي انتم مثل الذين او فعلتم مثل فعل الذين من قبلكم كانوا اشد منكم قوة واكثر اموالا

واولادا بيان لتشبيههم بهم وتمثيل حالهم بحالهم فاستمتعوا بخلاقهم نصيبهم من ملاذ الدنيا واشتقاقه من الخلق بمعنى التقدير فانه ما قدر لصاحبه فاستمتعتم بخلاقكم

كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم ذم الاولين باستمتاعهم بحظوظهم المخدجة من الشهوات الفانية والتهائهم بها عن النظر في العاقبة والسعي في تحصيل اللذائذ الحقيقية تمهيدا

لذم المخاطبين بمشابهتهم واقتفاء اثارهم وخضتم ودخلتم في الباطل كالذي خاضوا كالذين خاضوا او كالفوج الذي خاضوا او كالخوض الذي خاضوه اولئك حبطت

اعمالهم في الدنيا والاخرة لم يستحقوا عليها ثوابا في الدارين واولئك هم الخاسرون الذين خسروا الدنيا والاخرة الم ياتهم نبأ الذين من قبلهم قوم

نوح اغرقوا بالطوفان وعاد اهلكوا بالريح وثمود اهلكوا بالرجفة وقوم ابراهيم اهلك نمرود ببعوض واهلك اصحابه واصحاب مدين واهل مدين وهم قوم شعيب اهلكوا بالنار يوم الظلة والموتفكات اتتهم رسلهم بالبينات

فما كان الله ليظلمهم اي لم يكن من عادته ما يشابه ظلم الناس كالعقوبة بلا جرم ولكن كانوا انفسهم يظلمون حيث عرضوها للعقاب بالكفر والتكذيب والمومنون

والمومنات بعضهم اولياء بعض في مقابلة قوله المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلوة

ويؤتون الزكوة ويطيعون الله ورسوله في سائر الامور اولئك سيرحمهم الله لا محالة فان السين مؤكدة للوقوع ان الله عزيز غالب على كل شيء لا يمتنع

عليه ما يريده حكيم يضع الاشياء مواضعها وعد الله المومنين والمومنات

جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة تستطيبها النفس او يطيب فيها العيش وفي الحديث انها قصور من اللؤلؤ والزبرجد والياقوت الاحمر في جنات عدن

اقامة وخلود وعنه عليه السلام عدن دار الله التي لم ترها عين ولم تخطر على قلب بشر لا يسكنها غير ثلثة النبيون والصديقون والشهداء يقول الله تعالى طوبى لمن دخلك ومرجع العطف فيها يحتمل ان يكون الى تعدد الموعود لكل واحد او

للجميع على سبيل التوزيع او الى تغاير وصفه وكانه وصفه اولا بانه من جنس ما هو ابهى الاماكن التي يعرفونها لتميل اليه طباعهم اول ما يقرع اسماعهم ثم وصفه بانه محفوف بطيب العيش معرى عن شوائب الكدورات التي لا تخلو عن شيء منها اماكن الدنيا وفيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين ثم وصفه بانه دار اقامة وثبات في جوار العليين

لا يعتريهم فيها فناء ولا تغير ثم وعدهم بما هو اكبر من ذلك فقال ورضوان من الله اكبر

لانه المبدأ لكل سعادة وكرامة والمؤدي الى نيل الوصول والفوز باللقاء وعنه عليه السلام ان الله تعالى يقول لاهل الجنة هل رضيتم فيقولون ما لنا لا نرضى وقد اعطيتنا ما لم تعط احدا من خلقك فيقول انا اعطيكم افضل من ذلك قالوا واي شيء افضل من ذلك قال احل عليكم

رضواني فلا اسخط عليكم ابدا ذلك اي الرضوان او جميع ما تقدم هو الفوز العظيم الذي يستحقر دونه الدنيا وما فيها يا ايها النبي جاهد الكفار بالسيف والمنافقين

بالزام الحجة واقامة الحدود واغلظ عليهم في ذلك ولا تحابهم وماويهم جهنم

وبئس المصير مصيرهم يحلفون بالله ما قالوا روي انه عليه السلام اقام في غزوة تبوك شهرين ينزل عليه القران ويعيب المتخلفين فقال الجلاس بن سويد لئن كان ما يقول محمد لاخواننا حقا فنحن شر من الحمير فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستحضره فحلف بالله ما قاله فنزلت فتاب الجلاس وحسنت توبته

ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم واظهروا الكفر بعد اظهار الاسلام وهموا بما لم ينالوا من فتك الرسول وهو ان خمسة عشر منهم توافقوا عند مرجعه من تبوك

ان يدفعوه عن راحلته الى الوادي اذا تسنم العقبة بالليل فاخذ عمار بن ياسر بخطام راحلته يقودها وحذيفة خلفها يسوقها فبينما هما كذلك اذ سمع حذيفة بوقع اخفاف الابل وقعقعة السلاح فقال اليكم اليكم يا اعداء الله فهربوا او اخراجه واخراج المومنين من المدينة او بان يتوجوا عبد الله بن ابي وان لم يرض رسول الله

وما نقموا وما انكروا او ما وجدوا ما يورث نقمتهم الا ان اغناهم الله ورسوله من فضله فان اكثر اهل المدينة كانوا محاويج في ضنك من العيش فلما قدمهم رسول الله اثروا بالغنائم وقتل للجلاس مولى فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بديته اثني عشر الف درهم فاستغنى والاستثناء مفرغ من اعم المفاعيل او العلل فان يتوبوا يك خيرا لهم هو الذي حمل الجلاس على التوبة والضمير في يك للتوب

وان يتولوا بالاصرار على النفاق يعذبهم عذابا اليما في الدنيا والاخرة
بالقتل والنار وما لهم في الارض من ولي ولا نصير فينجيهم من العذاب و
منهم من عاهد الله لئن اتانا من فضله لنصدقن ولنكونن
من الصالحين نزلت في ثعلبة بن حاطب اتى النبي صلعم وقال ادع الله ان يرزقني مالا فقال عم يا ثعلبة
قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه فراجعه وقال والذي بعثك بالحق لئن رزقني مالا لاعطين كل ذي
حق حقه فدعا له ثم اتخذ غنما فنمت كما ينمى الدود حتى ضاقت بها المدينة فنزل واديا وانقطع عن الجماعة والجمعة
فسال عنه رسول الله صلعم فقيل كثر ماله حتى لا يسعه واد فقال يا ويح ثعلبة فبعث مصدقين لاخذ الصدقات
فاستقبلهما الناس بصدقاتهم ومرا بثعلبة فسالاه الصدقة واقرآه الذي فيه الفرائض فقال ما هذه الا جزية
ما هذه الا اخت الجزية فارجعا حتى ارى رايي فنزلت فجاء ثعلبة بالصدقة فقال ان الله منعني ان اقبل منك
فجعل التراب يحثو على راسه فقال هذا عملك قد امرتك فلم تطعني فقبض رسول الله فجاء بها الى ابي بكر فلم
يقبلها ثم جاء بها الى عمر في خلافته فلم يقبلها وهلك في زمن عثمان فلما اتاهم من فضله بخلوا
به منعوا حق الله منه وتولوا عن طاعة الله وهم معرضون وهم قوم عادتهم الاعراض
عنها فاعقبهم نفاقا في قلوبهم اي فجعل الله عاقبة فعلهم ذلك نفاقا وسوء اعتقاد في
قلوبهم ويجوز ان يكون الضمير للبخل والمعنى فاورثهم البخل نفاقا متمكنا في قلوبهم الى يوم يلقونه يلقون الله
بالموت او يلقون عمله اي جزاءه وهو يوم القيمة بما اخلفوا الله ما وعدوه بسبب اخلافهم
ما وعدوه من التصدق والصلاح وبما كانوا يكذبون وبكونهم كاذبين فيه فان خلف
الوعد متضمن للكذب مستقبح من الوجهين او المقال مطلقا وقرئ يكذبون بالتشديد الم يعلموا اي
المنافقون او من عاهد الله وقرئ بالتاء على الالتفات ان الله يعلم سرهم ما اسروه في انفسهم
من النفاق او العزم على الاخلاف ونجويهم وما يتناجون به فيما بينهم من المطاعن او تسمية الزكوة
جزية وان الله علام الغيوب فلا يخفى عليه ذلك الذين يلمزون ذم مرفوع او منصوب
او بدل من الضمير في سرهم وقرئ يلمزون بالضم المطوعين المتطوعين من المؤمنين في
الصدقات روي انه صلعم حث على الصدقة فجاء عبد الرحمن بن عوف باربعة الاف درهم
قال لي ثمانية الاف فاقرضت ربي اربعة وامسكت لعيالي اربعة فقال رسول الله صلعم بارك الله لك
فيما اعطيت وفيما امسكت فبارك الله له حتى صولحت احدى امراتيه عن نصف الثمن على ثمانين الف
درهم وتصدق عاصم بن عدي بمائة وسق تمر وجاء ابو عقيل الانصاري بصاع تمر فقال بت ليلتي
اجر

فلمزهم المنافقون وقالوا ما اعطى عبد الرحمن وعاصم الا رياء ولقد كان الله ورسوله لغنيين عن صاع ابي عقيل ولكنه احب ان يذكر بنفسه ليعطى من الصدقة

اجر بالجرير على صاعين فتركت صاعا لعيالي وجئت بصاع فامره رسول الله ان ينثره على الصدقات فنزلت و
الذين لا يجدون الا جهدهم الا طاقتهم وقرئ بالفتح وهو مصدر جهد في الامر اذا بالغ فيه
فيسخرون منهم يستهزئون بهم سخر الله منهم جازاهم على سخريتهم كقوله الله يستهزئ
بهم ولهم عذاب اليم على كفرهم استغفر لهم او لا تستغفر لهم يريد به التساوي
بين الامرين في عدم الافادة لهم كما نص عليه بقوله ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن
يغفر الله لهم روي ان عبد الله بن عبد الله بن ابي وكان من المخلصين سال رسول الله صلعم في مرض ابيه ان
يستغفر له ففعل فنزلت فقال عم لازيدن على السبعين فنزلت سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن
يغفر الله لهم وذلك لانه عم فهم من السبعين العدد المخصوص لانه الاصل فجوز ان يكون ذلك حدا يخالفه حكم ما وراءه
فبين له ان المراد به التكثير دون التحديد وقد شاع استعمال السبعة والسبعين والسبع والسبعمائة ونحوها في التكثير لاشتمال
السبعة على جملة اقسام العدد فكانه العدد باسره ذلك بانهم كفروا بالله ورسوله
اشارة الى ان الياس من المغفرة وعدم قبول استغفارك ليس لبخل منا ولا قصور فيك بل لعدم قابليتهم بسبب
الكفر الصارف عنها والله لا يهدي القوم الفاسقين المتمردين في كفرهم
وهو كالدليل على الحكم السابق فان مغفرة الكافر بالاقلاع عن الكفر والارشاد الى الحق والمنهمك في كفره المطبوع
عليه لا ينقلع ولا يهتدي والتنبيه على عذر الرسول في استغفاره وهو عدم ياسه من ايمانهم ما لم يعلم انهم مطبوعون
على الضلالة والممنوع هو الاستغفار بعد العلم كقوله ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولي
قربى من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله
بقعودهم عن الغزو خلفه يقال اقام خلاف الحي اي بعدهم ويجوز ان يكون بمعنى المخالفة فيكون انتصابه على العلة
او الحال وكرهوا ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل
الله ايثارا للدعة والخفض على طاعة الله وفيه تعريض بالمؤمنين الذين اثروا عليها تحصيل رضاه ببذل
الاموال والمهج وقالوا لا تنفروا في الحر اي قال بعضهم لبعض او قالوه للمؤمنين تثبيطا
قل نار جهنم اشد حرا وقد اثرتموها بهذه المخالفة لو كانوا يفقهون ان
مآبهم اليها او انها كيف هي ما اختاروها بايثار الدعة على الطاعة فليضحكوا قليلا و
ليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون اخبار عما يؤول اليه حالهم في الدنيا
والاخرة اخرجه على صيغة الامر للدلالة على انه حتم واجب ويجوز ان يكون الضحك والبكاء كنايتين عن السرور
والغم والمراد من القلة العدم فان رجعك الله الى طائفة منهم فان ردك الله

المدينة وفيها طائفة من المتخلفين يعني منافقيهم فان كلهم لم يكونوا منافقين او من بقي منهم وكان المتخلفون اثني عشر رجلا
فاستاذنوك للخروج الى غزوة اخرى بعد تبوك فقل لن تخرجوا معي
ابدا ولن تقاتلوا معي عدوا اخبار في معنى النهي للمبالغة انكم رضيتم
بالقعود اول مرة تعليل له وكان اسقاطهم عن ديوان الغزاة عقوبة لهم على تخلفهم واول مرة هي
الخرجة الى غزوة تبوك فاقعدوا مع الخالفين اي المتخلفين لعدم لياقتهم للجهاد كالنساء
والصبيان وقرئ مع الخلفين على قصر الخالفين ولا تصل على احد منهم مات ابدا
روي ان ابن ابي دعا رسول الله في مرضه فلما دخل عليه سأله ان يستغفر له ويكفنه في شعاره الذي يلي جسده و
عليه فلما مات ارسل قميصه ليكفن فيه وذهب ليصلي عليه فنزلت وقيل صلى عليه ثم نزلت وانما لم ينه عن
التكفين في قميصه ونهى عن الصلوة عليه لان الضنة بالقميص كان مخلا بالكرم ولانه كان مكافاة لالباسه العباس
قميصه حين اسر ببدر والمراد من الصلوة الدعا للميت والاستغفار وهو ممنوع في حق الكافر ولذلك رتب النهي
على قوله مات ابدا يعني الموت على الكفر فان احياء الكافر للتعذيب دون التمتع فكانه لم يحي ولا تقم
على قبره ولا تقف عند قبره للدفن او الزيارة انهم كفروا بالله ورسوله
وماتوا وهم فاسقون تعليل للنهي او لتابيد الموت ولا تعجبك اموالهم
ولا اولادهم انما يريد الله ان يعذبهم بها في الدنيا وتزهق انفسهم
وهم كافرون تكرير للتاكيد والامر حقيق به فان الابصار طامحة الى الاموال والاولاد والنفوس
مغتبطة عليها ويجوز ان يكون هذه في فريق غير الاول واذا انزلت سورة من القران ويجوز ان يراد
بها بعضها ان امنوا بالله بان امنوا بالله ويجوز ان تكون ان المفسرة وجاهدوا مع رسوله
استاذنك اولوا الطول منهم ذوو الفضل والسعة وقالوا ذرنا نكن
مع القاعدين الذين قعدوا لعذر رضوا بان يكونوا مع الخوالف
جمع خالفة وقد يقال الخالفة الذي لا خير فيه وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون ما في
الجهاد وموافقة الرسول من السعادة وما في التخلف عنه من الشقاوة لكن الرسول و
الذين امنوا معه جاهدوا باموالهم وانفسهم اي فان تخلف هؤلاء
ولم يجاهدوا فقد جاهد من هو خير منهم واولئك لهم الخيرات منافع الدارين النصر والغنيمة في
الدنيا والجنة والكرامة في الاخرة وقيل الحور لقوله فيهن خيرات حسان وهي جمع خيرة تخفيف خيرة و
اولئك هم المفلحون الفائزون بالمطالب اعد الله لهم جنات تجري

من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم بيان لما لهم من الخيرات الاخروية
وجاء المعذرون من الاعراب ليؤذن لهم يعني اسدا وغطفان استاذنوا في
شروع في بيان احوال المنافقين من الاعراب اثر بيان منافقي اهل المدينة ابو السعود
التخلف معتذرين بالجهد وكثرة العيال وقيل هم رهط عامر بن الطفيل قالوا ان غزونا معك اغارت طي
على اهالينا ومواشينا والمعذر اما من عذر في الامر اذا قصر فيه موهما ان له عذرا ولا عذر له او من اعتذر اذا
العذر بادغام التاء في الذال ونقل حركتها الى العين ويجوز كسر العين لالتقاء الساكنين وضمها للاتباع لكن لم يقرأ بهما
وقرأ يعقوب المعذرون من اعذر اذا اجتهد في العذر وقرئ المعذرون بتشديد العين والذال على انه من تعذر بمعنى
اعتذر وهو لحن اذ التاء لا تدغم في العين وقد اختلف في انهم كانوا معتذرين بالتصنع او بالصحة فيكون قوله وقعد
الذين كذبوا الله ورسوله في غيرهم وهم منافقو الاعراب كذبوا الله ورسوله في ادعاء
الايمان وان كانوا هم الاولين فكذبهم بالاعتذار سيصيب الذين كفروا منهم
من الاعراب او من المعذرين فان منهم من اعتذر لكسله لا لكفره عذاب اليم بالقتل والنار ليس
على الضعفا ولا على المرضى كالهرمى والزمنى ولا على الذين لا يجدون
ما ينفقون حرج لفقرهم كجهينة ومزينة وبني عذرة حرج اثم في التاخر اذا نصحوا لله
ورسوله بالايمان والطاعة في السر والعلانية كما يفعل الموالي الناصح او بما قدروا عليه فعلا او قولا يعود
على الاسلام والمسلمين بالصلاح ما على المحسنين من سبيل اي ليس عليهم جناح ولا الى معاتبتهم
سبيل وانما وضع المحسنين موضع الضمير للدلالة على انهم منخرطون في سلك المحسنين غير معاتبين لذلك والله
غفور رحيم لهم او للمسي فكيف للمحسن ولا على الذين اذا ما اتوك لتحملهم
عطف على الضعفاء او على المحسنين وهم البكاؤون سبعة من الانصار معقل بن يسار وصخر بن خنساء وعبد الله
بن كعب وسالم بن عمير وثعلبة بن غنمة وعبد الله بن مغفل وعلبة بن زيد اتوا رسول الله صلعم فقالوا نذرنا
الخروج فاحملنا على الخفاف المرقوعة والنعال المخصوفة نغزو معك فقال لا اجد فتولوا وهم يبكون و
قيل هم بنو مقرن معقل وسويد والنعمان وقيل ابو موسى واصحابه قلت لا اجد ما احملكم
عليه حال من الكاف في اتوك باضمار قد تولوا جواب اذا واعينهم تفيض
من الدمع اي دمعها فان من للبيان وهي مع المجرور في محل النصب على التمييز وهو ابلغ من يفيض دمعها لانه
يدل على ان العين صارت دمعا فياضا حزنا نصب على العلة او الحال او المصدر لفعل يدل عليه ما قبله الا
يجدوا اي لئلا يجدوا متعلق بحزنا او بتفيض ما ينفقون في مغزاهم انما السبيل بالمعاتبة

على الذين يستأذنونك وهم أغنياء واجدون الأهبة رضوا بأن يكونوا مع الخوالف استئناف بيان لما هو السبب لاستئذانهم من غير عذر وهو رضاهم بالدناءة والانتظام في جملة الخوالف ايثاراً للدعة وطبع الله على قلوبهم حتى غفلوا عن وخامة العاقبة فهم لا يعلمون مغبته يعتذرون اليكم في التخلف اذا رجعتم اليهم من هذه السفرة قل لا تعتذروا بالمعاذير الكاذبة لانه لن نؤمن لكم لن نصدقكم لانه قد نبأنا الله من اخباركم اعلمنا بالوحي الى نبيه بعض اخباركم وهو ما في ضمائركم من الشر والفساد وسيرى الله عملكم ورسوله أتتوبون عن الكفر ام تثبتون عليه وكأنه استتابة وامهال للتوبة ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة اي اليه فوضع الوصف موضع الضمير للدلالة على انه مطلع على سرهم وعلنهم لا يفوت عن علمه شيء من ضمائرهم واعمالهم فينبئكم بما كنتم تعملون بالتوبيخ والعقاب عليه سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم فلا تعاتبوهم فأعرضوا عنهم ولا توبخوهم انهم رجس لا ينفع فيهم التأنيب فان المقصود منه التطهير بالحمل على الانابة وهؤلاء ارجاس لا تقبل التطهير فهو علة الاعراض وترك المعاتبة ومأواهم جهنم من تمام التعليل وكأنه قال انهم ارجاس من اهل النار لا ينفع فيهم التوبيخ في الدنيا والآخرة او تعليل ثان والمعنى ان النار كفتهم عتاباً فلا تتكلفوا عتابهم جزاء بما كانوا يكسبون يجوز ان يكون مصدراً وان يكون علة يحلفون لكم لترضوا عنهم بحلفهم فتستديموا عليهم ما كنتم تفعلون بهم فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين اي فان رضاكم لا يستلزم رضا الله ورضاكم وحدكم لا ينفعهم اذا كانوا في سخط الله وبصدد عقابه او ان امكنهم ان يلبسوا عليكم لا يمكنهم ان يلبسوا على الله فلا يهتك سترهم ولا ينزل الهوان بهم والمقصود من الآية النهي عن الرضى عنهم والاغترار بمعاذيرهم بعد الأمر بالاعراض وعدم الالتفات نحوهم الأعراب اهل البدو اشد كفراً ونفاقاً من اهل الحضر لتوحشهم وقساوتهم وعدم مخالطتهم لاهل العلم وقلة استماعهم للكتاب والسنة واجدر ان لا يعلموا واحق بان لا يعلموا حدود ما انزل الله على رسوله من الشرائع فرائضها وسننها والله عليم يعلم حال كل احد من اهل الوبر والمدر حكيم فيما يصيب به مسيئهم ومحسنهم عقاباً وثواباً ومن الأعراب من يتخذ يعد ما ينفق يصرفه في سبيل الله ويتصدق به مغرماً غرامة وخسراناً اذ لا يحتسبه عند الله ولا يرجو عليه ثواباً وانما ينفق رئاء وتقية ويتربص بكم الدوائر دوائر الزمان ونُوَبه لينقلب الامر عليكم فيتخلص من الانفاق عليهم دائرة السوء اعتراض بالدعاء عليهم بنحو ما يتربصونه او الاخبار عن وقوع ما يتربصون عليهم والدائرة في الاصل مصدر او اسم فاعل من دار يدور سمي بها عقبة الزمان والسوء بالفتح مصدر اضيف اليه للمبالغة كقولك رجل صدق وقرأ ابن كثير وابو عمرو السوء هنا وفي الفتح بضم السين والله سميع لما يقولون عند الانفاق عليم بما يضمرون ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله سبب قربات وهي ثاني مفعولي يتخذ وعند الله صفتها او ظرف ليتخذ وصلوات الرسول وسبب صلواته لانه عليه السلام كان يدعو للمتصدقين ويستغفر لهم ولذلك سن للمصدق ان يدعو للمتصدق عند اخذ صدقته لكن ليس له ان يصلي عليه كما قال عليه السلام اللهم صل على آل ابي اوفى لانه منصبه فله ان يتفضل به على غيره ألا انها قربة لهم شهادة من الله بصحة معتقدهم وتصديق لرجائهم على الاستئناف مع حرف التنبيه وان المحققة للنسبة والضمير لنفقاتهم وقرأ ورش قربة بضم الراء وقوله سيدخلهم الله في رحمته وعد لهم باحاطة الرحمة عليهم والسين لتحقيقه وقوله ان الله غفور رحيم لتقريره قيل الاولى في اسد وغطفان وبني تميم والثانية في عبد الله ذي البجادين وقومه والسابقون الأولون من المهاجرين هم الذين صلوا الى القبلتين او الذين شهدوا بدراً او الذين اسلموا قبل الهجرة والأنصار اهل بيعة العقبة الاولى وكانوا سبعة واهل العقبة الثانية وكانوا سبعين والذين آمنوا حين قدم عليهم ابو زرارة مصعب بن عمير وقرئ بالرفع عطفاً على والسابقون والذين اتبعوهم بإحسان اللاحقون بالسابقين او من اتبعوهم بالايمان والطاعة الى يوم القيامة رضي الله عنهم بقبول طاعتهم وارتضاء اعمالهم ورضوا عنه بما نالوا من نعمه الدينية والدنيوية وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار وقرأ ابن كثير من تحتها كما هو في سائر المواضع خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم وممن حولكم اي وممن حول بلدتكم يعني المدينة من الأعراب منافقون وهم جهينة ومزينة واسلم واشجع وغفار كانوا نازلين حولها ومن اهل المدينة عطف على ممن حولكم او خبر لمحذوف صفته مردوا على النفاق في حذف الموصوف واقامة الصفة مقامه كقوله انا ابن جلا وطلاع الثنايا وعلى الاول صفة لمنافقون فصل بينها وبينه بالمعطوف على الخبر او كلام مبتدأ لبيان تمرنهم وتمهرهم في النفاق لا تعلمهم لا تعرفهم باعيانهم وهو تقرير لمهارتهم فيه وتنوقهم في تحامي مواقع التهم الى حد اخفى عليك حالهم مع كمال

نفسك وصدق فراستك نحن نعلمهم ونطلع على اسرارهم ان قدروا ان يلبسوا عليك لم يقدروا ان يلبسوا علينا سنعذبهم مرتين بالفضيحة والقتل او باحدهما وعذاب القبر او باخذ الزكوة ثم يردون الى عذاب عظيم الى عذاب النار وآخرون اعترفوا بذنوبهم ولم يعتذروا من تخلفهم بالمعاذير الكاذبة وهم طائفة من المتخلفين اوثقوا انفسهم على سوارى المسجد لما بلغهم ما نزل في المتخلفين فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل المسجد على عادته فصلى ركعتين فرآهم فسأل عنهم فذكر له انهم اقسموا ان لا يحلوا انفسهم حتى تحلهم فقال وانا اقسم ان لا احلهم حتى اومر فيهم فنزلت فاطلقهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا خلطوا العمل الصالح الذي هو اظهار الندم والاعتراف بالذنب بآخر سيئا هو التخلف وموافقة اهل النفاق والواو بمعنى الباء كما في قولهم بعت الشاة شاة ودرهما او للدلالة على ان كل واحد منهما مخلوط بالآخر عسى الله ان يتوب عليهم ان يقبل توبتهم وهي مدلول عليها بقوله اعترفوا بذنوبهم ان الله غفور رحيم يتجاوز عن التائب ويتفضل عليه خذ من اموالهم صدقة روي انهم لما اطلقوا قالوا يا رسول الله هذه اموالنا التي خلفتنا فتصدق بها وطهرنا فقال ما امرت ان آخذ من اموالكم شيئا فنزلت تطهرهم عن الذنوب او حب المال المؤدي بهم الى مثله وقرئ تطهرهم من اطهره بمعنى طهره وتطهرهم بالجزم جوابا للامر وتزكيهم بها وتنمي بها حسناتهم وترفعهم الى منازل المخلصين وصل عليهم واعطف عليهم بالدعاء والاستغفار لهم ان صلوتك سكن لهم تسكن اليها نفوسهم وتطمئن بها قلوبهم وجمعها لتعدد المدعو لهم وقرأ حمزة والكسائي وحفص بالتوحيد والله سميع باعترافهم عليم بندامتهم الم يعلموا الضمير اما للمتوب عليهم والمراد ان يمكن في قلوبهم قبول توبتهم والاعتداد بصدقاتهم او لغيرهم والمراد به التحضيض عليها ان الله هو يقبل التوبة عن عباده اذا صحت وتعديته بعن لتضمنه معنى التجاوز ويأخذ الصدقات يقبلها قبول من يأخذ شيئا ليؤدي بدله وان الله هو التواب الرحيم وان من شأنه قبول توبة التائبين والتفضل عليهم وقل اعملوا فسيرى الله عملكم فانه لا يخفى عليه خيرا كان او شرا ورسوله والمؤمنون فانه لا يخفى عنهم كما رأيتم وتبين لكم وستردون الى عالم الغيب والشهادة بالموت فينبئكم بما كنتم تعملون بالمجازاة عليه وآخرون من المتخلفين مرجون مؤخرون اي موقوف امرهم من ارجأته اذا اخرته وقرأ نافع وحمزة والكسائي وحفص مرجون بالواو وهما لغتان لامر الله في شأنهم اما يعذبهم ان اصروا على النفاق واما يتوب عليهم

قوله عز وجل وآخرون بيان لحال طائفة من المسلمين ضعيفة الهمم في امور الدين وهو عطف على منافقون اي وممن حولكم ومن اهل المدينة قوم آخرون تفسير ابو السعود

ان تابوا والترديد للعباد وفيه دليل على ان كلا الامرين بارادة الله تعالى والله عليم باحوالهم حكيم فيما يفعل بهم وقرئ والله غفور رحيم والمراد بهؤلاء كعب بن مالك وهلال بن امية ومرارة بن الربيع امر رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه ان لا يسلموا عليهم ولا يكلموهم فلما رأوا ذلك اخلصوا نياتهم وفوضوا امرهم الى الله فرحمهم الله والذين اتخذوا مسجدا عطف على وآخرون مرجون او مبتدأ خبره محذوف اي وفيمن وصفنا الذين اتخذوا او منصوب على الاختصاص وقرأ نافع وابن عامر بغير واو ضرارا مضارة للمؤمنين روي ان بني عمرو بن عوف لما بنوا مسجد قباء سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يأتيهم فاتاهم فصلى فيه فحسدتهم اخوانهم بنو غنم بن عوف فبنوا مسجدا على قصد ان يؤمهم فيه ابو عامر الراهب اذا قدم من الشام فلما اتموه اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا انا قد بنينا مسجدا لذي الحاجة والعلة والليلة المطيرة والشاتية فصل فيه حتى نتخذه مصلى فاخذ ثوبه ليقوم معهم فنزلت فدعا بمالك بن الدخشم ومعن بن عدي وعامر بن السكن والوحشي فقال لهم انطلقوا الى هذا المسجد الظالم اهله فاهدموه واحرقوه ففعل واتخذ مكانه كناسة وكفرا وتقوية للكفر الذي يضمرونه وتفريقا بين المؤمنين يريد الذين كانوا يجتمعون للصلوة في مسجد قباء وارصادا ترقبا لمن حارب الله ورسوله من قبل يعني الراهب فانه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد لا اجد قوما يقاتلونك الا قاتلتك معهم فلم يزل يقاتله الى يوم حنين فلما انهزم مع هوازن هرب الى الشام ليأتي من قيصر بجنود يحارب بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ومات بقنسرين وحيدا وقيل كان يجمع الجيوش يوم الاحزاب فلما انهزموا خرج الى الشام ومن قبل متعلق بحارب او باتخذوا اي اتخذوا مسجدا من قبل ان ينافق هؤلاء بالتخلف لما روي انه بني قبيل غزوة تبوك فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يأتيه فقال انا على جناح سفر واذا قدمنا ان شاء الله صلينا فيه فلما قفل كرر عليه فنزلت وليحلفن ان اردنا الا الحسنى ما اردنا ببنائه الا الخصلة الحسنى او الارادة الحسنى وهي الصلوة والذكر والتوسعة على المصلين والله يشهد انهم لكاذبون في حلفهم لا تقم فيه ابدا للصلوة لمسجد اسس على التقوى يعني مسجد قباء اسسه رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى فيه ايام مقامه بقباء من الاثنين الى الجمعة لانه اوفق للقصة او مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم لقول ابي سعيد سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه فقال هو مسجدكم هذا مسجد المدينة من اول يوم من ايام وجوده ومن يعم الزمان والمكان كقوله لمن الديار بقنة الحجر اقوين من حجج ومن دهر احق ان تقوم فيه اولى بان تصلي فيه فيه رجال يحبون ان يتطهروا من المعاصي والخصال المذمومة طلبا لمرضاة الله وقيل من الجنابة فلا ينامون عليها والله يحب المطهرين يرضى عنهم ويدنيهم من جنابه تدنية المحب حبيبه قيل لما نزلت مشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه المهاجرون حتى وقف على باب مسجد قباء فاذا الانصار

جلوس فقال امؤمنون انتم فسكتوا فقال عمر انهم مؤمنون وانا معهم فقال اترضون بالقضا قالوا نعم قال اتصبرون على البلا قالوا نعم قال اتشكرون في الرخا قالوا نعم قال مؤمنون ورب الكعبة فجلس ثم قال يا معشر الانصار ان الله عز وجل قد اثنى عليكم فما الذي تصنعون عند الوضوء وعند الغائط فقالوا يا رسول الله نتبع الغائط الاحجار الثلثة ثم نتبع الاحجار الماء فتلا رجال يحبون ان يتطهروا افمن اسس بنيانه بنا دينه على تقوى من الله ورضوان خير على قاعدة محكمة هي التقوى من الله وطلب مرضاته بالطاعة ام من اسس بنيانه على شفا جرف هار على قاعدة هي اضعف القواعد وارخاها فانهار به في نار جهنم فادى به لخوره وقلة استمساكه الى السقوط في النار وانما وضع شفا الجرف وهو ما جرفه الوادي الهاير في مقابلة التقوى تمثيلا لما بنوا عليه امر دينهم في البطلان وسرعة الانطماس ثم رشحه بانهياره في النار ووضعه في مقابلة الرضوان تنبيها على ان تاسيس ذلك على امر يحفظه من النار ويوصله الى رضوان الله ومقتضياته التي الجنة ادناها وتاسيس هذا على ما هم بسببه بصدد الوقوع في النار ساعة فساعة ثم ان مصيرهم الى النار لا محالة وقرا نافع وابن عامر اسس على البنا للمفعول وقرئ اساس بنيانه على الاضافة واسس والاساس بالكسر وثلثتها جمع اس وتقوى بالتنوين على ان الالف للالحاق لا للتانيث كتترى وقرا ابن عامر وحمزة وابو بكر جرف بالتخفيف والله لا يهدي القوم الظالمين الى ما فيه صلاحهم ونجاتهم لا يزال بنيانهم الذي بنوا بناؤهم الذي بنوه مصدر اريد به المفعول وليس بجمع ولذلك قد تدخله التاء ووصف بالمفرد واخبر عنه بقوله ريبة في قلوبهم اي شكا ونفاقا والمعنى ان بناءهم هذا لا يزال سبب شكهم وتزايد نفاقهم فانه حملهم على ذلك ثم لما هدمه الرسول رسخ ذلك في قلوبهم وازداد بحيث لا يزول وسمه عن قلوبهم الا ان تقطع قلوبهم قطعا بحيث لا يبقى لها قابلية الادراك والاضمار وهو في غاية المبالغة والاستثناء من اعم الازمنة وقيل المراد بالتقطيع ما هو كائن بالقتل او في القبر او في النار وقيل التقطع بالتوبة ندما واسفا وقرا يعقوب الى الحرف لانتهاء تقطع بمعنى تتقطع وهو قراءة ابن عامر وحمزة وحفص وقرئ يقطع بالياء وتقطع بالتخفيف وتقطع قلوبهم على خطاب الرسول او كل مخاطب ولو قطعت على البناء للفاعل والمفعول والله عليم بنياتهم حكيم فيما امر بهدم بنيانهم ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة تمثيل لاثابة الله اياهم الجنة على بذل انفسهم واموالهم في سبيل الله يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون استئناف ببيان ما لاجله الشرى وقيل يقاتلون في معنى الامر وقرا حمزة والكسائي بتقديم المبني للمفعول وقد عرفت ان الواو لا توجب الترتيب وان فعل البعض قد يسند الى الكل وعدا عليه حقا مصدر مؤكد لما دل عليه الشرى فانه في معنى الوعد في التورية والانجيل والقران مذكورا فيهما كما اثبت في القران ومن اوفى بعهده من الله مبالغة في الانجاز وتقرير لكونه حقا فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به فافرحوا

التفات الى الخطاب تشريفا لهم على تشريف وزيادة لسرورهم على الابتهار السرور والسين فيه ليس للطلب كاستوقد واوقد الابشار او التعجب على ما قبله اي فاذا كان الامر كذلك

بغاية الفرح فانه اوجب لكم عظائم المطالب كما قال وذلك هو الفوز العظيم التائبون رفع على المدح اي هم التائبون والمراد بهم المؤمنون المذكورون ويجوز ان يكون مبتدا خبره محذوف تقديره التائبون من اهل الجنة وان لم يجاهدوا لقوله وكلا وعد الله الحسنى او خبره ما بعده اي التائبون عن الكفر على الحقيقة هم الجامعون لهذه الخصال وقرئ بالياء نصبا على المدح او جرا صفة للمؤمنين العابدون الذين عبدوا الله مخلصين له الحامدون لنعمائه او لما نابهم من السراء والضراء السائحون الصائمون لقوله عليه السلام سياحة امتي الصوم شبه بها لانه يعوق عن الشهوات او لانه رياضة نفسانية يتوصل بها الى الاطلاع على خفايا الملك والملكوت او السائحون للجهاد او لطلب العلم الراكعون الساجدون في الصلوة الامرون بالمعروف بالايمان والطاعة والناهون عن المنكر عن الشرك والمعاصي والعاطف فيه للدلالة على انه بما عطف عليه في حكم خصلة واحدة كانه قال الجامعون بين الوصفين وفي قوله والحافظون لحدود الله اي فيما بينه وعينه من الحقائق والشرائع للتنبيه على ان ما قبله مفصل الفضائل وهذا مجملها وقيل انه للايذان بان التعداد قد تم بالسابع من حيث ان السبعة هو العدد التام والثامن ابتداء تعداد اخر معطوف عليه ولذلك سمي واو الثمانية وبشر المؤمنين يعني به هؤلاء الموصوفين بتلك الفضائل ووضع المؤمنين موضع ضميرهم للتنبيه على ان ايمانهم دعاهم الى ذلك وان المؤمن الكامل من كان كذلك وحذف المبشر به للتعظيم كانه قيل وبشرهم بما يجل عن احاطة الافهام وتعبير الكلام ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين روي انه عليه السلام قال لابي طالب لما حضره الوفاة قل كلمة احاج لك بها عند الله فابى فقال عليه السلام لا ازال استغفر لك ما لم انه عنه فنزلت وقيل لما افتتح مكة خرج الى الابوا فزار قبر امه ثم قام مستعبرا فقال اني استاذنت ربي في زيارة قبر امي فاذن لي واستاذنته في الاستغفار لها فلم ياذن لي وانزل علي الايتين ولو كانوا اولي قربى من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم بان ماتوا على الكفر وفيه دليل على جواز الاستغفار لاحيائهم فانه طلب توفيقهم للايمان وبه دفع النقض باستغفار ابراهيم لابيه الكافر فقال وما كان استغفار ابرهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه وعد ابراهيم اباه بقوله لاستغفرن لك اي لاطلبن مغفرتك بالتوفيق للايمان فانه يجب ما قبله ويدل عليه قراءة من قرا اباه او وعدها ابراهيم ابوه وهي الوعد بالايمان فلما تبين له انه عدو لله بان مات على الكفر او اوحي اليه بانه لن يؤمن تبرا منه قطع استغفاره ان ابراهيم لاواه لكثير التاوه وهو كناية عن فرط ترحمه ورقة قلبه حليم صبور على الاذى والجملة لبيان ما حمله على الاستغفار له مع شكاسته عليه وما كان

الله ليضل قوما اي ليسميهم ضلالا او يؤاخذهم مؤاخذتهم بعد اذ هديهم للاسلام
حتى يبين لهم ما يتقون حتى يبين لهم خطر ما يجب اتقاؤه وكانه بيان عذر الرسول في قوله لعمه
او لمن استغفر لاسلافه المشركين قبل المنع وقيل انه في قوم مضوا على الامر الاول في القبلة والخمر ونحو ذلك وفي
الجملة دليل على ان الغافل غير مكلف ان الله بكل شيء عليم فيعلم امرهم في الحالين ان الله له
ملك السموات والارض يحيي ويميت وما لكم من دون الله
من ولي ولا نصير لما منعهم عن الاستغفار للمشركين وان كانوا اولي قربى وتضمن ذلك وجوب
التبري عنهم راسا بين لهم ان الله مالك كل موجود ومتولي امره والغالب عليه ولا يتاتى لهم ولاية ولا نصرة
الا منه ليتوجهوا بشراشرهم اليه ويتبرؤا مما عداه حتى لا يبقى لهم مقصود فيما ياتون ويذرون سواه لقد
تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار من اذن المنافقين في التخلف او براهم
عن علقة الذنوب كقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر وقيل هو بعث على التوبة والمعنى ما
من احد الا وهو محتاج الى التوبة حتى النبي والمهاجرين والانصار لقوله تعالى وتوبوا الى الله جميعا اذ ما من احد الا وله
مقام يستنقص دونه ما هو فيه والترقي اليه توبة من تلك النقيصة واظهار لفضلها بانها مقام الانبياء والصالحين
من عباده الذين اتبعوه في ساعة العسرة في وقتها وهي حالهم في غزوة تبوك كانوا في
عسرة الظهر تعتقب العشرة على بعير واحد والزاد حتى قيل ان الرجلين كانا يقتسمان تمرة والماء حتى
شربوا الفظ من بعد ما كاد تزيغ قلوب فريق منهم عن الثبات على الايمان او اتباع
الرسول وفي كاد ضمير الشان او ضمير القوم والعائد عليه الضمير في منهم وقرا حمزة وحفص يزيغ بالياء لان
تانيث القلوب غير حقيقي وقرئ من بعد ما زاغت قلوب فريق منهم يعني المتخلفين ثم تاب عليهم
تكرير للتاكيد وتنبيه على انه تاب عليهم من اجل ما كابدوا من العسرة او المراد انه تاب عليهم لكيدودتهم
انه بهم رؤف رحيم وعلى الثلاثة وتاب على الثلاثة كعب بن مالك وهلال بن امية
ومرارة بن الربيع الذين خلفوا تخلفوا عن الغزو او خلف امرهم فانهم المرجون حتى اذا
ضاقت عليهم الارض بما رحبت اي برحبها لاعراض الناس عنهم بالكلية وهو
مثل لشدة الحيرة وضاقت عليهم انفسهم قلوبهم من فرط الوحشة والغم بحيث لا يسعها
انس ولا سرور وظنوا وعلموا ان لا ملجا من الله من سخطه الا اليه الا الى استغفاره
ثم تاب عليهم بالتوفيق للتوبة ليتوبوا او انزل قبول توبتهم ليعدوا من جملة التوابين او رجع
عليهم بالقبول والرحمة مرة بعد اخرى ليستقيموا على توبتهم ان الله هو التواب لمن تاب و

لو عاد في اليوم مائة مرة الرحيم متفضل عليه بالنعم يا ايها الذين امنوا اتقوا الله فيما لا يرضاه
وكونوا مع الصادقين في ايمانهم وعهودهم او في دين الله نية وقولا وعملا وقرئ من
الصادقين اي في توبتهم وانابتهم فيكون المراد به هؤلاء الثلاثة واضرابهم ما كان لاهل المدينة و
من حولهم من الاعراب ان يتخلفوا عن رسول الله نفي في معنى نهي عبر عنه بصيغة
النفي للتاكيد ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه ولا يصونوا انفسهم عما لم يصن نفسه عنه و
يكابدوا معه ما يكابده من الاهوال روي ان ابا خيثمة بلغ بستانه وكانت له امراة حسناء فرشت له في الظل و
بسطت له الحصير وقربت اليه الرطب والماء البارد فنظر فقال ظل ظليل ورطب يانع وماء بارد
وامراة حسناء ورسول الله في الضح والريح ما هذا بخير فقام فرحل ناقته واخذ سيفه ورمحه ومر كالريح فمد
رسول الله طرفه الى الطريق فاذا براكب يزهاه السراب فقال كن ابا خيثمة فكانه ففرح به رسول الله
واستغفر له وفي لا يرغبوا يجوز النصب والجزم ذلك اشارة الى ما دل عليه قوله ما كان من النهي عن التخلف
او وجوب المتابعة بانهم لا يصيبهم ظما شيء من العطش ولا نصب تعب ولا
مخمصة مجاعة في سبيل الله ولا يطؤن موطئا لا يدوسون مكانا
يغيظ الكفار يغضبهم وطؤه ولا ينالون من عدو نيلا كالقتل والاسر والنهب
الا كتب لهم به عمل صالح الا استوجبوا به الثواب وذلك مما يوجب المتابعة ان
الله لا يضيع اجر المحسنين على احسانهم وهو تعليل لكتب وتنبيه على ان الجهاد احسان
اما في حق الكفار فلانه سعي في تكميلهم باقصى ما يمكن كضرب المداوي للمجنون واما في حق المؤمنين فلانه صيانة
لهم عن سطوة الكفار واستيلائهم ولا ينفقون نفقة صغيرة ولو علاقة ولا كبيرة
مثل ما انفق عثمان في جيش العسرة ولا يقطعون واديا في مسيرهم وهو كل منعرج ينفذ فيه السيل اسم
فاعل من ودي اذا سال فشاع بمعنى الارض الا كتب لهم اثبت لهم ذلك ليجزيهم الله
بذلك احسن ما كانوا يعملون جزاء احسن اعمالهم او احسن جزاء اعمالهم وما كان
المؤمنون لينفروا كافة وما استقام لهم ان ينفروا جميعا لنحو غزو وطلب علم كما لا يستقيم لهم ان يتثبطوا
جميعا فانه يخل بامر المعاش فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة فهلا نفر من كل جماعة
كثيرة كقبيلة واهل بلدة جماعة قليلة ليتفقهوا في الدين ليتكلفوا الفقاهة فيه ويتجشموا مشاق
تحصيلها ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم وليجعلوا غاية سعيهم ومعظم غرضهم من
الفقاهة ارشاد القوم وانذارهم وتخصيصه بالذكر لانه اهم وفيه دليل على ان التفقه والتذكير من

فروض الكفاية وانه ينبغي ان يكون غرض المتعلم فيه ان يستقيم ويقيم لا الترفع على الناس والتبسط في البلاد لعلهم يحذرون ارادة ان يحذروا عما ينذرون منه واستدل به على ان اخبار الاحاد حجة لان عموم كل فرقة يقتضي ان ينفر من كل ثلثة تفرزوا بقرية طايفة الى التفقه لتنذر فرقتها كي يتذكروا ويحذروا فلو لم يعتبر الاخبار ما لم يتواتر لم يفد ذلك وقد اشبعت القول فيه تقريرا واعتراضا في كتابي المرصاد وقيل للاية معنى اخر وهو انه لما نزل في المتخلفين ما نزل سبق المؤمنون الى النفير وانقطعوا عن التفقه فامروا ان ينفر من كل فرقة طايفة الى الجهاد ويبقى اعقابهم يتفقهون حتى لا ينقطع التفقه الذي هو الجهاد الاكبر لان الجدال بالحجة هو الاصل والمقصود من البعثة فيكون الضمير في ليتفقهوا ولينذروا البواقي الفرق بعد الطوايف النافرة للغزو وفي رجعوا للطوايف اي ولينذر البواقي قومهم النافرين اذا رجعوا اليهم بما حصلوا ايام غيبتهم من العلوم يا ايها الذين امنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار امروا بقتال الاقرب منهم فالاقرب كما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم اولا بانذار عشيرته فان الاقرب احق بالشفقة والاستصلاح وقيل هم يهود حوالي المدينة كقريظة والنضير وخيبر وقيل الروم فانهم كانوا يسكنون الشام وهو قريب من المدينة وليجدوا فيكم غلظة شدة وصبرا على القتال وقرئ بفتح الغين وضمها وهما لغتان فيها واعلموا ان الله مع المتقين بالحراسة والاعانة واذا ما انزلت سورة فمنهم من المنافقين من يقول انكارا واستهزاء ايكم زادته هذه السورة ايمانا وقرئ ايكم بالنصب على اضمار فعل يفسره زادته فاما الذين امنوا فزادتهم ايمانا بزيادة العلم الحاصل من تدبر السورة وانضمام الايمان بها وبما فيها الى ايمانهم وهم يستبشرون بنزولها لانه سبب لزيادة كمالهم وارتفاع درجاتهم واما الذين في قلوبهم مرض كفر فزادتهم رجسا الى رجسهم كفرا بها مضموما الى الكفر بغيرها وماتوا وهم كافرون واستحكم ذلك فيهم حتى ماتوا عليه اولا يرون يعني المنافقين وقرأ حمزة ويعقوب بالتاء انهم يفتنون يبتلون باصناف البليات او بالجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيعاينون ما يظهر عليه من الايات في كل عام مرة او مرتين ثم لا يتوبون لا ينتهون ولا يتوبون من

قوله تعالى هل يراكم من احد اي قائلين هل يراكم احد من المسلمين لننصرف مظهرين انهم لا يصطبرون على استماعها ويغلب عليهم الضحك فيفتضحون او ترامقوا يتشاورون في تدبير الخروج والانسلال لواذا يقولون هل يراكم من احد ان قمتم من المجلس وايراد ضمير الخطاب لبعث المخاطبين على الجد في انتهاز الفرصة فان المرء بشانه اكثر اهتماما منه بشان اصحابه كما في قوله تعالى واستطعف ولا يشعرن بكم احدا وقيل المعنى اذا ما انزلت سورة في عيوب المنافقين ابو السعود

نفاقهم ولا هم يذكرون ولا يعتبرون واذا ما انزلت سورة نظر بعضهم الى بعض تغامزوا بالعيون انكارا لها وسخرية او غيظا لما فيها من عيوبهم هل يراكم من احد اي يقولون هل يراكم احد ان قمتم من حضرة الرسول فان لم يرهم احد قاموا ثم انصرفوا عن حضرته مخافة الفضيحة صرف الله قلوبهم عن الايمان وهو يحتمل الاخبار والدعاء بانهم بسبب انهم قوم لا يفقهون لسوء فهمهم او عدم تدبرهم لقد جاءكم رسول من انفسكم من جنسكم عربي مثلكم وقرئ من انفسكم اي من اشرفكم عزيز عليه شديد شاق ما عنتم عنتكم ولقاؤكم المكروه حريص عليكم اي على ايمانكم وصلاح شانكم بالمؤمنين منكم ومن غيركم رؤوف رحيم قدم الابلغ منهما وهو الرؤوف لان الرافة شدة الرحمة محافظة على الفواصل فان تولوا عن الايمان بك فقل حسبي الله فانه يكفيك معرتهم ويعينك عليهم لا اله الا هو كالدليل عليه عليه توكلت فلا ارجو ولا اخاف الا منه وهو رب العرش العظيم الملك العظيم او الجسم الاعظم المحيط الذي تنزل منه الاحكام والمقادير وقرئ العظيم بالرفع وعن

ابي ان اخر ما نزل هاتان الايتان وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما نزل القران علي الا اية اية وحرفا حرفا ما خلا سورة براءة وقل هو الله احد فانهما انزلتا علي ومعهما سبعون الف صف من الملائكة ... موضوع

سورة يونس عليه السلام مكية بسم الله الرحمن الرحيم وهي مائة وتسع آيات

الر فخمها ابن كثير ونافع وحفص وأمالها الباقون اجراء الالف الراء مجرى المنقلبة من الياء تلك آيات الكتاب الحكيم اشارة الى ما تضمنته السورة او القرآن من الآي والمراد من الكتاب احدهما ووصفه بالحكيم لاشتماله على الحكم او لانه كلام حكيم او محكم آياته لم ينسخ شيء منها أكان للناس عجبا استفهام انكار للتعجب وعجبا خبر كان واسمه أن أوحينا وقرئ بالرفع على ان الامر بالعكس او على ان كان تامة وأن اوحينا بدل من عجب واللام للدلالة على انهم جعلوه اعجوبة لهم يوجهون نحوه انكارهم واستهزاءهم الى رجل منهم من افناء رجالهم دون عظيم من عظمائهم قيل كانوا يقولون العجب ان الله لم يجد رسولا يرسله الى الناس الا يتيم ابي طالب وهو من فرط حماقتهم وقصور نظرهم على الامور العاجلة وجهلهم بحقيقة الوحي والنبوة هذا وانه لم يكن يقصر عن عظمائهم فيما يعتبر فيه الا في المال وخفة الحال اعون شيء في هذا الباب ولذلك كان اكثر الانبياء قبله كذلك وقيل تعجبوا من انه بعث بشرا رسولا كما سبق ذكره في سورة الانعام أن أنذر الناس أن هي المفسرة او المخففة من الثقيلة فتكون في موقع مفعول اوحينا وبشر الذين آمنوا عمم الانذار اذ قلما من احد ليس فيه ما ينبغي ان ينذر منه وخصص البشارة بالمؤمنين اذ ليس للكفار ما يبشروا به أن لهم بان لهم قدم صدق عند ربهم سابقة ومنزلة رفيعة سميت قدما لان السبق بها كما سميت النعمة يدا لانها تعطى باليد واضافتها الى الصدق لتحققها والتنبيه على انهم انما ينالونها بصدق القول والنية قال الكافرون ان هذا لسحر مبين وقرأ ابن كثير والكوفيون لساحر على ان الاشارة الى الرسول وفيه اعتراف بانهم صادفوا من الرسول امورا خارقة للعادة معجزة اياهم عن المعارضة وقرئ ما هذا الا سحر مبين ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض التي هي اصول الممكنات في ستة ايام ثم استوى على العرش يدبر الامر يقدر امر الكائنات على ما اقتضته حكمته وسبقت به كلمته ويهيئ بتحريكه اسبابه ويصدرها منه والتدبير النظر في ادبار الامور لتجيء محمودة العاقبة ما من شفيع الا من بعد اذنه تقرير لعظمته وعز جلاله ورد على من زعم ان آلهتهم تشفع لهم عند الله وفيه اثبات الشفاعة لمن اذن له ذلكم الله اي الموصوف بتلك الصفات المقتضية للالوهية والربوبية ربكم لا غير اذ لا يشاركه احد في شيء من ذلك فاعبدوه وحدوه بالعبادة أفلا تذكرون تتفكرون ادنى تفكر فينبهكم على انه المستحق للربوبية والعبادة لا ما تعبدونه اليه مرجعكم جميعا بالموت او النشور لا الى غيره فاستعدوا للقائه وعد الله مصدر مؤكد لنفسه لان قوله اليه مرجعكم وعد من الله حقا مصدر آخر مؤكد لغيره وهو ما دل عليه وعد الله انه يبدأ الخلق

ثم يعيده بعد بدئه واهلاكه ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط اي بعدله او بعدالتهم وقيامهم على العدل في امورهم او بايمانهم لانه العدل القويم كما ان الشرك ظلم عظيم وهو الاوجه لمقابلة قوله والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون فان معناه ليجزي الذين كفروا بشراب من حميم وعذاب اليم بسبب كفرهم لكنه غير النظم للمبالغة في استحقاقهم للعقاب والتنبيه على ان المقصود بالذات من الابداء والاعادة هو الاثابة والعقاب واقع بالعرض وانه تعالى يتولى اثابة المؤمنين بما يليق بلطفه وكرمه ولذلك لم يعينه واما عقاب الكفرة فكأنه داء ساقه اليهم سوء اعتقادهم وشؤم افعالهم والآية كالتعليل لقوله اليه مرجعكم جميعا فانه لما كان المقصود من الابداء والاعادة مجازاة الله المكلفين على اعمالهم كان مرجع الجميع اليه لا محالة ويؤيده قراءة من قرأ انه يبدأ بالفتح اي لانه ويجوز ان يكون منصوبا او مرفوعا بما نصب وعد الله او بما نصب حقا هو الذي جعل الشمس ضياء اي ذات ضياء وهو مصدر كقيام او جمع ضوء كسياط وسوط والياء فيه منقلبة عن الواو وعن ابن كثير ضئاء بهمزتين في كل القرآن على القلب بتقديم اللام على العين والقمر نورا اي ذا نور او سمي نورا للمبالغة وهو اعم من الضوء كما عرفت وقيل ما بالذات ضوء وما بالعرض نور وقد نبه سبحانه بذلك على انه خلق الشمس نيرة في ذاتها والقمر نيرا بعرض مقابلة الشمس والاكتساب منها وقدره منازل الضمير لكل واحد منهما اي قدر مسيره منازل او قدره ذا منازل او للقمر وتخصيصه بالذكر لسرعة سيره ومعاينة منازله واناطة احكام الشرع به ولذلك علله بقوله لتعلموا عدد السنين والحساب وحساب الاوقات والشهور والايام في معاملاتكم وتصرفاتكم ما خلق الله ذلك الا بالحق الا ملتبسا بالحق مراعيا فيه مقتضى الحكمة البالغة يفصل الآيات لقوم يعلمون فانهم المنتفعون بالتأمل فيها وقرأ ابن كثير والبصريان وحفص يفصل بالياء ان في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السموات والارض من انواع الكائنات لآيات على وجود الصانع ووحدته وكمال علمه وقدرته لقوم يتقون العواقب فانه يحملهم على التفكر والتدبر ان الذين لا يرجون لقاءنا لا يتوقعونه لانكارهم البعث وذهولهم بالمحسوسات عما وراءها ورضوا بالحياة الدنيا من الآخرة لغفلتهم عنها واطمأنوا بها وسكنوا اليها مقصرين هممهم على لذائذها وزخارفها او سكنوا فيها سكون من لا يزعج عنها والذين هم عن آياتنا غافلون لا يتفكرون فيها لانهماكهم فيما يضادها والعطف لتغاير الوصفين والتنبيه على ان الوعيد على الجمع بين الذهول عن الآيات رأسا والانهماك في الشهوات

او يهديهم بسبب ايمانهم الى مأواهم ومقصدهم وهى الجنة وانما لم يذكر تعويلا على ظهورها وانسياق النفس اليها لاسيما بملاحظة ما سبق من بيان مأوى الكفرة وما ادى اليه من اعمالهم السيئة ومشاهدة ما لحق من التلويح والتصريح وفى النظم الكريم اشعار بان مجرد الايمان والعمل الصالح لا يكفى فى الوصول الى الجنة بل لا بد بعد ذلك من الهداية الربانية وان الكفر والمعاصى كافية فى دخول النار ... انه لا نزاع فى ان المراد بالايمان الذى جعل سبب الهداية هو ايمانهم الخاص المشفوع بالاعمال الصالحة لا الايمان المجرد عنها ولا ما هو اعم منها الا ان ذلك بمعزل من الدلالة على خلاف ما عليه اهل السنة والجماعة من ان الايمان الخالى عن العمل الصالح يفضى الى الجنة فى الجملة ولا يخلد صاحبه فى النار فان منطوق الاية الكريمة ان الايمان المقرون ابو السعود

اى دعاؤهم وهو مبتدأ او وقوله عز وجل فيها متعلق به وقوله سبحانك اللهم خبره اى دعاؤهم هذا الكلام وهو معمول لمقدر لا يجوز اظهاره والمعنى اللهم انا نسبحك تسبيحا ولعلهم يقولونه عند ما يعاينون فيها من تعاجيب اثار قدرته ونتائج رحمته ورأفته ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر تقديسا لجنابه تعالى عن سمات النقصان وتنزيها لوعده الكريم عن الخلف تفسير ابو السعود

بحيث لا يخطر الآخرة ببالهم اصلا ولا التغاير الوصفين والمراد بالاولين من انكر البعث ولم ير الا الحيوة الدنيا وبالآخرين من الهاه حب العاجل عن التأمل فى الآجل والاعداد له **اولئك مأويهم النار بما كانوا يكسبون** بما واظبوا عليه وتمرنوا به من المعاصى **ان الذين امنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم** بسبب ايمانهم الى سلوك سبيل يؤدى الى الجنة او لادراك الحقايق كما قال عليه السلام من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم او لما يريدونه فى الجنة ومفهوم الترتيب وان دل على ان سبب الهداية هو الايمان والعمل الصالح لكن دل منطوق قوله بايمانهم على استقلال الايمان بالسببية **تجرى من تحتهم الانهار** استيناف او خبر ثان او حال من الضمير المنصوب على المعنى الاخير وقوله **فى جنات النعيم** خبر او حال اخر منه او من الانهار او متعلق بتجرى او بيهدى **دعويهم فيها** اى دعاؤهم **سبحانك اللهم** اللهم انا نسبحك تسبيحا **وتحيتهم فيها** ما يحيى به بعضهم بعضا او تحية الملئكة اياهم **سلام واخر دعويهم** اى اخر دعائهم **ان الحمد لله رب العالمين** اى ان يقولوا ذلك ولعل المعنى انهم اذا دخلوا الجنة وعاينوا عظمة الله وكبرياءه مجدوه ونعتوه بنعوت الجلال ثم حياهم الملئكة بالسلامة عن الافات والفوز باصناف الكرامات او الله تعالى فحمدوه واثنوا عليه بصفات الاكرام وان هى المخففة من الثقيلة وقد قرئ بها وبنصب الحمد **ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير** وضع موضع تعجيله لهم بالخير اشعارا بسرعة اجابته لهم فى الخير حتى كان استعجالهم به تعجيل لهم او بان المراد شر استعجلوه كقولهم فامطر علينا حجارة من السماء وتقدير الكلام ولو يعجل الله للناس الشر تعجيله للخير حين استعجلوه استعجالا كتعجيله لهم بالخير فحذف منه ما حذف لدلالة الباقى عليه **لقضى اليهم اجلهم** لاميتوا واهلكوا وقرأ ابن عامر ويعقوب لقضى على البناء للفاعل وهو الله تعالى وقرئ لقضينا **فنذر الذين لا يرجون لقاءنا فى طغيانهم يعمهون** عطف على فعل دل عليه الشرطية كانه قيل ولكن لا نعجل ولا نقضى فنذرهم امهالا لهم واستدراجا **واذا مس الانسان الضر دعانا** لازالته مخلصا فيه **لجنبه** ملقيا لجنبه اى مضطجعا **او قاعدا او قائما** وفائدة الترديد تعميم الدعاء لجميع الاحوال او لاصناف المضار **فلما كشفنا عنه ضره مر** مضى على طريقته واستمر على كفره او مر عن موقف الدعاء لا يرجع اليه **كان لم يدعنا** كانه لم يدعنا فخفف وحذف ضمير الشان كقوله ونحر مشرق اللون كان ثدياه حقان **الى ضر مسه** اى كشف ضر **كذلك** مثل ذلك التزيين **زين للمسرفين ما كانوا يعملون** من الانهماك فى الشهوات والاعراض عن العبادات **ولقد اهلكنا**

القرون من قبلكم يا اهل مكة **لما ظلموا** حين ظلموا بالتكذيب واستعمال القوى والجوارح لا على ما ينبغى **وجاءتهم رسلهم بالبينات** بالحجج الدالة على صدقهم وهو حال من الواو باضمار قد او عطف على ظلموا **وما كانوا ليؤمنوا** وما استقام لهم ان يؤمنوا لفساد استعدادهم وخذلان الله لهم وعلمه بانهم يموتون على كفرهم واللام لتاكيد النفى **كذلك** مثل ذلك الجزاء وهو اهلاكهم بسبب تكذيبهم للرسل واصرارهم عليه بحيث تحقق انه لا فائدة فى امهالهم **نجزى القوم المجرمين** نجزى كل مجرم او نجزيكم فوضع المظهر موضع الضمير للدلالة على كمال جرمهم وانهم اعلام فيه **ثم جعلناكم خلائف فى الارض من بعدهم** استخلفناكم فيها بعد القرون التى اهلكناها استخلاف من يختبر **لننظر كيف تعملون** اتعملون خيرا او شرا فنعاملكم على حسب عملكم وكيف معمول تعملون فان معنى الاستفهام يحجب ان يعمل فيه ما قبله وفائدته الدلالة على ان المعتبر فى الجزاء جهات الافعال وكيفياتها لا هى من حيث ذاتها ولذلك يحسن الفعل تارة ويقبح اخرى **واذا تتلى عليهم اياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا** يعنى المشركين **ائت بقران غير هذا** بكتاب اخر نقرؤه ليس فيه ما نستبعده من البعث والثواب والعقاب بعد الموت او ما نكرهه من معايب الهتنا **او بدله** بان تجعل مكان الاية المشتملة على ذلك اية اخرى ولعلهم سألوا ذلك كى يسعفهم اليه فيلزموه **قل ما يكون لى** ما يصح لى **ان ابدله من تلقاء نفسى** من قبل نفسى وهو مصدر استعمل ظرفا وانما اكتفى بالجواب على التبديل لاستلزام امتناعه امتناع الاتيان بقران اخر **ان اتبع الا ما يوحى الى** تعليل لما يكون فان المتبع لغيره فى امر لم يستبد بالتصرف فيه بوجه وجواب للنقض بنسخ بعض الايات ببعض ورد لما عرضوا له بهذا السؤال من ان القران كلامه واختراعه ولذلك قيد التبديل فى الجواب وسماه عصيانا فقال **انى اخاف ان عصيت ربى** اى بالتبديل **عذاب يوم عظيم** وفيه ايماء بانهم استوجبوا العذاب بهذا الاقتراح **قل لو شاء الله** غير ذلك **ما تلوته عليكم ولا ادريكم به** ولا اعلمكم به على لسانى وعن ابن كثير رواية قنبل والبزى ولادريكم بلام التاكيد اى لو شاء الله ما تلوته عليكم ولاعلمكم به على لسان غيرى والمعنى انه الحق الذى لا محيص عنه لو لم ارسل به لارسل به غيرى وقرئ ولا ادراتكم ولا ادراكم بالهمزة فيهما على لغة من يقلب الالف المبدلة من الياء همزة او على انه من الدرء بمعنى الدفع اى ولا جعلتكم بتلاوته خصماء تدرؤوننى بالجدال والمعنى ان الامر بمشية الله لا بمشيتى حتى اجعله على نحو ما تشتهونه ثم قرر ذلك بقوله **فقد لبثت فيكم عمرا** مقدار عمر اربعين سنة **من قبله** من قبل القران

ولا التلمذ وهو اشارة الى ان القرآن معجز خارق للعادة فان من عاش بين اظهرهم اربعين سنة لم يمارس فيها
علما ولم يشاهد عالما ولم ينشئ قريضا ولا خطبة ثم قرأ عليهم كتابا بذت فصاحته فصاحة كل منطيق وعلا عن
كل منثور ومنظوم واحتوى على قواعد علمي الاصول والفروع واعرب عن اقاصيص الاولين واحاديث الآخرين
على ما هي عليه علم انه معلم به من الله افلا تعقلون افلا تستعملون عقولكم بالتدبر والتفكر فيه لتعلموا انه ليس
الا من الله فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا تفاد مما اضافوه اليه كناية او تظليم
للمشركين بافترائهم على الله في قولهم انه لذو شريك وذو ولد او كذب باياته فكفر بها انه
لا يفلح المجرمون ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم
فانه جماد لا يقدر على نفع ولا ضر والمعبود ينبغي ان يكون مثيبا ومعاقبا حتى تعود عبادته بجلب نفع او دفع
ضر ويقولون هؤلاء الاوثان شفعاؤنا عند الله تشفع لنا فيما يهمنا من امور الدنيا
او في الآخرة ان يكن بعث وكانهم كانوا شاكين فيه وهذا من فرط جهالتهم حيث تركوا عبادة الموجد
الضار النافع الى عبادة ما يعلمون قطعا انه لا يضر ولا ينفع على توهم انه ربما يشفع لهم عنده قل
اتنبئون الله اتخبرونه بما لا يعلم وهو ان له شريكا وفيه تقريع وتهكم بهم او هؤلاء شفعاء عنده
وما لا يعلمه العالم بجميع المعلومات لا يكون له تحقق ما في السموات ولا في الارض حال من العائد المحذوف
مؤكدة للنفي منبهة على ان ما تعبدون من دون الله اما سماوي او ارضي ولا شيء من الموجودات فيهما الا وهو حادث
مقهور مثلهم لا يليق ان يشرك به سبحانه وتعالى عما يشركون عن اشراكهم او عن الشركاء الذين
يشركونهم به وقرأ حمزة والكسائي بالتاء هنا وفي الموضعين في اول النحل والروم بالتاء وما كان الناس الا
امة واحدة موحدين على الفطرة او متفقين على الحق وذلك في عهد آدم الى ان قتل قابيل هابيل او بعد
الطوفان او على الضلال في فترة من الرسل فاختلفوا باتباع الهوى والاباطيل او ببعثة الرسل فتبعتهم
طائفة واصرت اخرى ولولا كلمة سبقت من ربك بتأخير الحكم بينهم او العذاب
الفصل بينهم الى يوم القيمة فانه يوم الفصل والجزاء لقضي بينهم عاجلا فيما فيه يختلفون
باهلاك المبطل وابقاء المحق ويقولون لولا انزل عليه آية من ربه اي من الآيات
التي اقترحوها فقل انما الغيب لله هو المختص بعلمه فلعله يعلم في انزال الآيات المقترحة مفاسد
تصرف عن انزالها فانتظروا لنزول ما اقترحتموه اني معكم من المنتظرين لما يفعل الله بكم
لجحودكم ما نزل علي من الآيات العظام واقتراحكم غيره واذا اذقنا الناس رحمة صحة و
سعة من بعد ضراء مستهم كقحط ومرض اذا لهم مكر في آياتنا بالطعن فيها والاحتيال

في دفعها قيل قحط اهل مكة سبع سنين حتى كادوا يهلكون ثم رحمهم بالحيا فطفقوا يقدحون في آيات الله ويكيدون رسوله
قل الله اسرع مكرا منكم قد دبر عقابكم قبل ان تدبروا كيدكم وانما دل على سرعتهم المفضل عليها
كلمة المفاجأة الواقعة جوابا لاذا الشرطية والمكر اخفاء الكيد وهو من الله الاستدراج او الجزاء على المكر ان
رسلنا يكتبون ما تمكرون تحقيق للانتقام وتنبيه على ان ما دبروا في اخفائه لم يخف
على الحفظة فضلا عن ان يخفى على الله وعن يعقوب يمكرون بالياء ليوافق ما قبله هو الذي يسيركم
يحملكم على السير ويمكنكم منه في البر والبحر حتى اذا كنتم في الفلك في السفن و
جرين بهم بمن فيها عدل عن الخطاب الى الغيبة كانه يذكره لغيرهم ليتعجب من حالهم وينكر
عليهم بريح طيبة لينة الهبوب وفرحوا بها بتلك الريح جاءتها ريح جواب لاذا
والضمير للفلك او للريح الطيبة بمعنى تلقتها عاصف ذات عصف شديدة الهبوب وجاءهم
الموج من كل مكان يجيء الموج منه وظنوا انهم احيط بهم اهلكوا وسدت عليهم مسالك
الخلاص كمن احاطت به العدو دعوا الله مخلصين له الدين من غير اشراك لتراجع
الفطرة وزوال المعارض من شدة الخوف وهو بدل من ظنوا بدل اشتمال لان دعاءهم من لوازم ظنهم
لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين على ارادة القول او مفعول دعوا
لانه من جملة القول فلما انجاهم اجابة لدعائهم اذا هم يبغون في الارض فاجأوا الفساد فيها
وسارعوا الى ما كانوا عليه بغير الحق مبطلين فيه وهو احتراز عن تخريب المسلمين ديار الكفرة واحراق
زروعهم وقلع اشجارهم فانها افساد بحق يا ايها الناس انما بغيكم على انفسكم
فان وباله عليكم او انه على امثالكم وابناء جنسكم متاع الحيوة الدنيا منفعة الحيوة الدنيا لا تبقى و
يبقى عقابها ورفعه على انه خبر بغيكم وعلى انفسكم صلته او خبر محذوف تقديره ذلك متاع الحيوة وعلى انفسكم
خبر بغيكم ونصبه حفص على انه مصدر مؤكد اي تتمتعون متاع الحيوة الدنيا او مفعول البغي لانه بمعنى الطلب فيكون
الجار من صلته والخبر محذوف تقديره بغيكم متاع الحيوة الدنيا محذور او ضلال او مفعول فعل دل عليه
البغي وعلى انفسكم الخبر ثم الينا مرجعكم في القيمة فننبئكم بما كنتم تعملون بالجزاء
عليه انما مثل الحيوة الدنيا حالها العجيبة في سرعة تقضيها وذهاب نعيمها بعد اقبالها واغترار
الناس بها كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فاشتبك
بسببه حتى خالط بعضه بعضا مما يأكل الناس والانعام من الزروع والبقول والحشيش
حتى اذا اخذت الارض زخرفها تزينت باصناف النبات واشكالها والوانها

الممتلئة كعروس اخذت من الوان الثياب والزين فتزينت بها وازّينت اصله تزينت فادغم
وقد قرئ على الاصل وازينت على افعلت من غير اعلال كاغيلت والمعنى صارت ذات زينة وازيانّت كابياضّت
وظن اهلها انهم قادرون عليها متمكنون من حصدها ورفع غلتها اتاها امرنا
ضرب زرعها ما يجتاحه ليلا او نهارا فجعلناها فجعلنا زرعها حصيدا شبيها بما
حصد من اصله كان لم تغن كان لم يغن زرعها اي لم يلبث والمضاف محذوف في الموضعين
للمبالغة وقرئ بالياء على الاصل بالامس فيما قبله وهو مثل في الوقت القريب والممثل به مضمون
الحكاية وهو زوال خضرة النبات فجأة وذهابه حطاما بعدما كان غضا والتف وزين الارض حتى طمع فيه
اهله وظنوا انه قد سلم من الجوائح لا الماء وان وليه حرف التشبيه لانه من التشبيه المركب كذلك
نفصل الايات لقوم يتفكرون فانهم المنتفعون به والله يدعوا الى دار
السلام دار السلامة من التقضي والآفة او دار الله وتخصيص هذا الاسم ايضا للتنبيه على ذلك او دار
يسلم الله والملائكة فيها على من يدخلها والمراد الجنة ويهدي من يشاء بالتوفيق الى
صراط مستقيم هو طريقها وذلك الاسلام والتدرع بلباس التقوى وفي تعميم الدعوة
وتخصيص الهداية بالمشية دليل على ان الامر غير الارادة وان المصر على الضلالة لم يرد الله رشده للذين
احسنوا الحسنى المثوبة الحسنى وزيادة وما يزيد على المثوبة تفضلا لقوله ويزيدهم من
فضله وقيل الحسنى مثل حسناتهم والزيادة عشر امثالها الى سبعمائة ضعف واكثر وقيل الزيادة مغفرة من الله
ورضوان وقيل الحسنى الجنة والزيادة هو اللقاء ولا يرهق وجوههم ولا يغشاها قتر
غبرة فيها سواد ولا ذلة هوان والمعنى لا يرهقهم ما يرهق اهل النار او لا يرهقهم ما يوجب
ذلك من حزن وسوء حال اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون دائمون
لا زوال فيها ولا انقراض لنعيمها بخلاف الدنيا وزخارفها والذين كسبوا السيئات
جزاء سيئة بمثلها عطف على قوله للذين احسنوا الحسنى على مذهب من يجوز في الدار زيد والحجرة
عمرو او الذين مبتدأ والخبر جزاء سيئة على تقدير وجزاء الذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها اي ان يجازى سيئة
بسيئة مثلها لا يزاد عليها وفيه تنبيه على ان الزيادة هي الفضل او التضعيف او كانما اغشيت او اولئك
اصحاب النار وما بينهما اعتراض فجزاء سيئة مبتدأ خبره محذوف اي فجزاء سيئة بمثلها واقع او بمثلها
على زيادة الباء او تقدير مقدر بمثلها وترهقهم ذلة وقرئ بالياء ما لهم من الله من عاصم
ما من احد يعصمهم من سخط الله او من جهة الله ومن عنده كما يكون للمؤمنين كانما اغشيت

وجوههم قطعا من الليل مظلما لفرط سوادها وظلمتها ومظلما حال من الليل والعامل فيه
اغشيت لانه العامل في قطعا وهو موصوف بالجار والمجرور والعامل في الموصوف عامل في الصفة او معنى الفعل
في من الليل وقرا ابن كثير والكسائي ويعقوب قطعا بالسكون فعلى هذا يصح ان يكون مظلما صفة له او حالا منه
اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون مما يحتج به الوعيدية لان السيئات عام يتناول
الكفر وغيره والجواب ان الآية في الكفار لاشتمال السيئات على الشرك والكفر ولان الذين احسنوا يتناول اصحاب
الكبيرة من اهل القبلة فلا يتناولهم قسيمه ويوم نحشرهم جميعا يعني الفريقين جميعا ثم
نقول للذين اشركوا مكانكم الزموا مكانكم انتم تاكيد للضمير المنتقل اليه من
عامله وشركاؤكم عطف عليه وقرئ بالنصب على المفعول معه حتى تنظروا ما نفعل بكم فزيلنا
بينهم ففرقنا بينهم وقطعنا الوصل التي كانت بينهم وقال شركاؤهم ما كنتم ايانا
تعبدون مجاز عن براءة ما عبدوه من عبادتهم وانهم انما عبدوا في الحقيقة اهواءهم لانها الآمرة
بالاشراك لا ما اشركوا به وقيل ينطق الله الاصنام فتشافههم بذلك مكان الشفاعة التي توقعوا منها
وقيل المراد بالشركاء الملائكة والمسيح وقيل الشياطين فكفى بالله شهيدا بيننا
وبينكم فانه العالم بكنه الحال ان كنا عن عبادتكم لغافلين ان هي المخففة
من المثقلة واللام هي الفارقة هنالك في ذلك المقام تبلوا كل نفس ما اسلفت
تختبر ما قدمت من عمل فتعاين نفعه وضره وقرا حمزة والكسائي تتلوا من التلاوة اي تقرا ذكر ما قدمت او من التلو
اي تتبع عمله فيقوده الى الجنة او الى النار وقرئ نبلو بالنون ونصب كل وابدال ما منه والمعنى نختبرها اي نفعل بها
فعل الخبير بحالها بتعرف سعادتها وشقاوتها بتعرف ما اسلفت من اعمالها ويجوز ان يراد به نصيب بالبلاء
اي العذاب كل نفس عاصية بسبب ما اسلفت من الشر فيكون ما منصوبة بنزع الخافض وردوا
الى الله الى جزائه اياهم بما اسلفوا مولاهم الحق ربهم ومتولي امرهم على الحقيقة لا ما اتخذوه مولى
وقرئ الحق بالنصب على المدح او المصدر المؤكد وضل عنهم وضاع عنهم ما كانوا يفترون
من ان آلهتهم تشفع لهم او ما كانوا يدعون انها آلهة قل من يرزقكم من السماء والارض اي منهما
جميعا فان الارزاق تحصل باسباب سماوية ومواد ارضية او من كل واحد منهما توسعة عليكم وقيل من لبيان من
على حذف المضاف اي من اهل السماء والارض ام من يملك السمع والابصار ام من يستطيع
خلقهما وتسويتهما او من يحفظهما من الآفات مع كثرتها وسرعة انفعالهما من ادنى شيء ومن يخرج الحي
من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يحيي ويميت او من ينشئ الحيوان من النطفة والنطفة منه

ومن يدبر الأمر ومن يلي تدبير امر العالم وهو تعميم بعد تخصيص فسيقولون الله اذ لا يقدرون على المكابرة والعناد في ذلك لفرط وضوحه فقل افلا تتقون انفسكم عقابه باشراككم اياه ما لا يشاركه في شيء من ذلك فذلكم الله ربكم الحق اي المتولي لهذه الامور المستحق للعبادة هو ربكم الثابت ربوبيته لانه الذي انشأكم واحياكم ورزقكم ودبر اموركم فماذا بعد الحق الا الضلال استفهام انكار اي ليس بعد الحق الا الضلال فمن تخطى الحق الذي هو عبادة الله وقع في الضلال فانى تصرفون عن الحق الى الضلال كذلك حقت كلمة ربك اي كما حقت الربوبية لله او ان الحق بعده الضلال او انهم مصروفون عن الحق حقت كلمة الله وحكمه وقرأ نافع وابن عامر كلمات هنا وفي آخر السورة وفي غافر على الذين فسقوا تمردوا في كفرهم وخرجوا عن حد الاستصلاح انهم لا يؤمنون بدل من الكلمة او تعليل لحقيتها والمراد بها العدة بالعذاب قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده جعل الاعادة كالابداء في الالزام بها لظهور برهانها وان لم يساعدوا عليها ولذلك امر الرسول صلى الله عليه وسلم بان ينوب عنهم في الجواب فقال قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده لان لجاجهم لا يدعهم ان يعترفوا بها فانى تؤفكون تصرفون عن قصد السبيل قل هل من شركائكم من يهدي الى الحق بنصب الحجج وارسال الرسل والتوفيق للنظر والتدبر وهدى كما يعدى بالى لتضمنه معنى الانتهاء يعدى باللام للدلالة على ان المنتهى غاية الهداية وانها لم تتوجه نحوه على سبيل الاتفاق ولذلك عدي بها ما اسند الى الله قل الله يهدي للحق افمن يهدي الى الحق احق ان يتبع امن لا يهدي الا ان يهدى ام الذي لا يهتدي الا ان يهدى من قولهم هدى بنفسه اذا اهتدى او لا يهدي غيره الا ان يهديه الله وهذا حال اشراف شركائهم كالملائكة والمسيح وعزير وقرأ ابن كثير وورش عن نافع وابن عامر يهدي بفتح الهاء وتشديد الدال ويعقوب وحفص بالكسر والتشديد والاصل يهتدي فادغم وفتحت الهاء بحركة التاء او كسرت لالتقاء الساكنين وروى ابو بكر يهدي باتباع الياء الهاء وقرأ ابو عمرو بالادغام المجرد ولم يبال بالتقاء الساكنين لان المدغم في حكم المتحرك وعن نافع مثله الا انه يهدي على المبالغة فما لكم كيف تحكمون بما يقتضي صريح العقل بطلانه وما يتبع اكثرهم فيما يعتقدونه الا ظنا مستندا الى خيالات فارغة واقيسة فاسدة كقياس الغائب على الشاهد والخالق على المخلوق بادنى مشاركة موهومة والمراد بالاكثر الجميع او من ينتمي منهم الى تمييز ونظر ولا يرضى بالتقليد الصرف ان الظن لا يغني من الحق من العلم والاعتقاد الحق شيئا من الاغناء ويجوز ان يكون مفعولا به ومن الحق حالا منه وفيه دليل على ان تحصيل العلم في الاصول واجب والاكتفاء بالتقليد والظن غير جائز ان الله عليم بما يفعلون وعيد على اتباعهم للظن واعراضهم عن البرهان وما كان هذا القرآن ان يفترى من دون الله افتراء من الخلق ولكن تصديق الذي بين يديه مطابقا لما تقدمه من الكتب الالهية المشهود على صدقها ولا يكون كذبا كيف وهو لكونه معجزا دونها عيار عليها شاهد على صحتها ونصبه بانه خبر لكان مقدرا او علة لفعل محذوف تقديره لكن انزله الله تصديق الذي وقرئ بالرفع على تقدير ولكن هو تصديق وتفصيل الكتاب وتفصيل ما حقق واثبت من العقائد والشرائع لا ريب فيه منتفيا عنه الريب وهو خبر ثالث داخل في حكم الاستدراك ويجوز ان يكون حالا من الكتاب فانه مفعول في المعنى وان يكون استئنافا من رب العالمين خبر آخر تقديره كائنا من رب العالمين او متعلق بتصديق او تفصيل ولا ريب فيه اعتراض او بالفعل المعلل بهما ويجوز ان يكون حالا من الكتاب او الضمير في فيه ومساق الآية بعد المنع عن اتباع الظن لبيان ما يجب اتباعه والبرهان عليه ام يقولون بل ايقولون افتراه محمد ومعنى الهمزة فيه الانكار قل فأتوا بسورة مثله في البلاغة وحسن النظم وقوة المعنى على وجه الافتراء فانكم مثلي في العربية والفصاحة واشد تمرنا في النظم والعبارة وادعوا من استطعتم ومع ذلك فاستعينوا بمن امكنكم ان تستعينوا به من دون الله سوى الله تعالى فانه وحده قادر على ذلك ان كنتم صادقين انه اختلقه بل كذبوا بل سارعوا الى التكذيب بما لم يحيطوا بعلمه بالقرآن اول ما سمعوه قبل ان يتدبروا آياته ويحيطوا بالعلم بشأنه او بما جهلوه ولم يحيطوا به علما من ذكر البعث والجزاء وسائر ما يخالف دينهم ولما يأتهم تأويله ولم يقفوا بعد على تأويله ولم تبلغ اذهانهم معانيه او ولم يأتهم بعد تأويل ما فيه من الاخبار بالغيوب حتى يتبين لهم انه صدق ام كذب والمعنى ان القرآن معجز من جهة اللفظ والمعنى ثم انهم فاجؤوا تكذيبه قبل ان يتدبروا نظمه ويتفحصوا معناه ومعنى التوقع في لما انه قد ظهر لهم بالآخرة اعجازه لما كرر عليهم التحدي فرازوا قواهم في معارضته فتضاءلت دونها او لما شاهدوا وقوع ما اخبر به طبقا لاخباره مرارا فلم يقلعوا عن التكذيب تمردا وعنادا كذلك كذب الذين من قبلهم انبياءهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين فيه وعيد لهم بمثل ما عوقب به من قبلهم ومنهم ومن المكذبين من يؤمن به من يصدق به في نفسه ويعلم انه حق ولكن يعاند او من سيؤمن به ويتوب عن كفره ومنهم من لا يؤمن به في نفسه لفرط غباوته وقلة تدبره او فيما يستقبل بل يموت على الكفر وربك اعلم بالمفسدين بالمعاندين او بالمصرين وان كذبوك وان اصروا على تكذيبك بعد الزام

من الكتب الالهية المشهود على صدقها اى مصدقا لها كيف لا وهو لكونه معجزا دونها عيارا عليها شاهد بصحتها ونصبه بانه خبر كان مقدرا وقد جوز كونه علة لفعل محذوف تقديره لكن انزله الله تصديق وقرئ بالرفع على تقدير المبتدا اى ولكن هو تصديق تفسير ابو السعود

الجزاء فقل لي عملي ولكم عملكم فبرأتم منهم فقد أعذرت والمعنى لي جزاء عملي ولكم جزاء عملكم حقا
كان أو باطلا أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون لا تؤاخذون بعملي ولا
أؤاخذ بعملكم ولما فيه من إيهام الإعراض عنهم وتخلية سبيلهم قيل إنه منسوخ بآية السيف ومنهم
من يستمعون إليك إذا قرأت القرآن وعلمت الشرائع ولكن لا يقبلون كالأصم الذي لا يسمع
أصلا أفأنت تسمع الصم تقدر على إسماعهم ولو كانوا لا يعقلون ولو انضم إلى
صممهم عدم تعقلهم وفيه تنبيه على أن حقيقة استماع الكلام فهم المعنى المقصود منه ولذلك لا يوصف به البهائم وهو
لا يتأتى إلا باستعمال العقل السليم في تدبره وعقولهم لما كانت مؤوفة بمعارضة الوهم ومتابعة الإلف والتقليد
تعذر إفهامهم الحكم والمعاني الدقيقة فلم ينتفعوا بسرد الألفاظ عليهم غير ما ينتفع به البهائم من كلام الناعق
ومنهم من ينظر إليك ويعاينون دلائل نبوتك ولكن لا يصدقون أفأنت تهدي
العمي تقدر على هدايتهم ولو كانوا لا يبصرون وإن انضم إلى عدم البصر عدم البصيرة
فإن المقصود من الإبصار هو الاعتبار والاستبصار والعمدة في ذلك البصيرة ولذلك يحدس الأعمى المستبصر
ويتفطن لما لا يدركه البصير الأحمق والآية كالتعليل للأمر بالتبري والإعراض عنهم إن الله لا يظلم
الناس شيئا بسلب حواسهم وعقولهم ولكن الناس أنفسهم يظلمون
بإفسادها وتفويت منافعها عليهم وفيه دليل على أن للعبد كسبا وأنه ليس مسلوب الاختيار بالكلية كما
زعمت المجبرة ويجوز أن يكون وعيدا لهم بمعنى أن ما يحيق بهم يوم القيامة من العذاب عدل من الله لا يظلمهم به
ولكنهم ظلموا أنفسهم باقتراف أسبابه وقرأ حمزة والكسائي ولكن بالتخفيف ورفع الناس ويوم يحشرهم كأن
لم يلبثوا إلا ساعة من النهار يستقصرون مدة لبثهم في الدنيا أو في القبور لهول ما يرون
والجملة التشبيهية في موقع الحال أي يحشرهم مشبهين بمن لم يلبث إلا ساعة أو صفة ليوم والعائد محذوف تقديره
كأن لم يلبثوا قبله أو لمصدر محذوف أي حشرا كأن لم يلبثوا قبله يتعارفون بينهم يعرف بعضهم بعضا
كأنهم لم يتعارفوا إلا قليلا وهذا أول ما نشروا ثم ينقطع التعارف لشدة الأمر عليهم وهي حال أخرى مقدرة
أو بيان لقوله كأن لم يلبثوا أو متعلق بالظرف والتقدير يتعارفون يوم يحشرهم قد خسر الذين
كذبوا بلقاء الله شهادة على خسرانهم والتعجب منه ويجوز أن يكون حالا من الضمير في يتعارفون
على إرادة القول وما كانوا مهتدين لطرق استعمال ما منحوا من المعاون في تحصيل المعارف
فاستكسبوا بها جهالات أدت بهم إلى الردى والعذاب الدائم وإما نرينك
بعض الذي نعدهم من العذاب في حياتك كما أراه يوم بدر أو نتوفينك قبل

قبله

أن نريك فإلينا مرجعهم فنريكه في الآخرة وهو جواب نتوفينك وجواب نرينك محذوف مثل
فذاك ثم الله شهيد على ما يفعلون مجاز عليه ذكر الشهادة وأراد نتيجتها ومقتضاها و
لذلك رتبها على الرجوع بثم أو مؤد شهادته على أفعالهم يوم القيامة ولكل أمة من الأمم الماضية
رسول يبعث إليهم ليدعوهم إلى الحق فإذا جاء رسولهم بالبينات فكذبوه قضي بينهم
بين الرسول ومكذبيه بالقسط بالعدل فأنجي الرسول وأهلك المكذبون وهم لا يظلمون وقيل
معناه لكل أمة يوم القيامة رسول تنسب إليه فإذا جاء رسولهم الموقف ليشهد عليهم بالكفر والإيمان قضي بينهم
بإنجاء المؤمنين وعقاب الكفار لقوله وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم ويقولون متى هذا
الوعد استبعادا له واستهزاء به إن كنتم صادقين خطاب منهم للنبي والمؤمنين قل
لا أملك لنفسي ضرا ولا نفعا فكيف أملك لكم فأستعجل في جلب العذاب إليكم إلا
ما شاء الله أن أملكه أو ولكن ما شاء الله من ذلك كائن لكل أمة أجل مضروب لهلاكهم إذا
جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون لا يتأخرون ولا
يتقدمون فلا تستعجلوا فسيحين وقتكم وينجز وعدكم قل أرأيتم إن أتاكم عذابه الذي تستعجلون به
بياتا وقت بيات واشتغال بالنوم أو نهارا حين كنتم مشتغلين بطلب معاشكم ماذا يستعجل
منه المجرمون أي شيء من العذاب يستعجلونه وكله مكروه لا يلائم الاستعجال وهو متعلق بأرأيتم لأنه بمعنى أخبروني
والمجرمون وضع موضع الضمير للدلالة على أنهم لجرمهم ينبغي أن يفزعوا من مجيء الوعيد لا أن يستعجلوه وجواب الشرط
محذوف وهو تندموا على الاستعجال أو تعرفوا الخطأ فيه ويجوز أن يكون الجواب ماذا كقولك إن أتيتك ماذا تعطيني
وتكون الجملة متعلقة بأرأيتم أو بقوله أثم إذا ما وقع آمنتم به بمعنى إن أتاكم عذابه آمنتم به بعد
وقوعه حين لا ينفعكم الإيمان وماذا يستعجل اعتراض ودخول حرف الاستفهام على ثم لإنكار التأخير
آلآن على إرادة القول أي قيل لهم إذا آمنوا بعد وقوع العذاب آلآن آمنتم به وعن نافع آلان بحذف الهمزة
وإلقاء حركتها على اللام وقد كنتم به تستعجلون تكذيبا واستهزاء ثم قيل للذين
ظلموا عطف على قيل المقدر ذوقوا عذاب الخلد المؤلم على الدوام هل تجزون
إلا بما كنتم تكسبون من الكفر والمعاصي ويستنبئونك ويستخبرونك أحق
هو أحق ما تقول من الوعد أو ادعاء النبوة وقيل تقوله بكذا أم باطل تهزل به قاله حيي بن أخطب لما قدم مكة و
الأظهر أن الاستفهام فيه على أصله لقوله ويستنبئونك وقيل إنه للإنكار ويؤيده أنه قرئ آلحق هو وكان فيه تعريضا
بأنه باطل وأحق مبتدأ والضمير مرتفع به ساد مسد الخبر أو خبر مقدم والجملة في موضع النصب بيستنبئونك قل

اي وربي انه لحق ان العذاب لكائن او ما ادعيته لثابت وقيل كلا الضميرين للقرآن واي بمعنى نعم وهو من لوازم القسم ولذلك يوصل بواوه في التصديق فيقال اي والله ولا يقال اي وحده وما انتم بمعجزين بفائتين العذاب ولو ان لكل نفس ظلمت بالشرك او التعدي على الغير ما في الارض من خزائنها واموالها لافتدت به لجعلته فدية لها من قولهم افتداه بمعنى فداه و اسروا الندامة لما راوا العذاب لانهم بهتوا بما عاينوا مما لم يحتسبوه من فظاعة الامر وهوله فلم يقدروا ان ينطقوا وقيل اسروا الندامة اخلصوها لان اخفاءها اخلاصها او لانه يقال سر الشيء لخالصه من حيث انها تخفى ويضن بها وقيل اظهروها من قولهم اسر الشيء واشره اذا اظهره وقضي بينهم بالقسط وهم لا يظلمون ليس بتكرير لان الاول قضاء بين الانبياء ومكذبيهم والثاني مجازاة المشركين على الشرك او الحكومة بين الظالمين والمظلومين والضمير انما يتناولهم لدلالة الظلم عليهم الا ان لله ما في السموات والارض تقرير لقدرته تعالى على الاثابة والعقاب الا ان وعد الله حق ما وعده من الثواب والعقاب كائن لا خلف فيه ولكن اكثرهم لا يعلمون لانهم لا يعقلون لقصور عقلهم الا ظاهرا من الحيوة الدنيا هو يحيي ويميت في الدنيا فهو يقدر عليهما في العقبى لان القادر لذاته لا تزول قدرته والمادة القابلة بالذات للحيوة والموت قابلة لهما ابدا و اليه ترجعون بالموت او النشور يا ايها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين اي قد جاءكم كتاب جامع للحكمة العملية الكاشفة عن محاسن الاعمال ومقابحها والمرغبة في المحاسن والزاجرة عن المقابح والحكمة النظرية التي هي شفاء لما في الصدور من الشكوك وسوء الاعتقاد وهدى الى الحق واليقين ورحمة للمؤمنين حيث انزلت عليهم فنجوا بها من ظلمات الضلال الى نور الايمان وتبدلت مقاعدهم من طبقات النيران بمصاعد من درجات الجنان والتنكير فيها للتعظيم قل بفضل الله وبرحمته بانزال القرآن والباء متعلقة بفعل يفسره قوله فبذلك فليفرحوا فان اسم الاشارة بمنزلة الضمير تقديره بفضل الله وبرحمته فليفرحوا فبذلك فليفرحوا وفائدة ذلك التكرير التاكيد والبيان بعد الاجمال وايجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح او بفعل دل عليه قد جاءتكم وذلك اشارة الى مصدره اي فبمجيئها فليفرحوا والفاء بمعنى الشرط كانه قيل ان فرحوا بشيء فبهما ليفرحوا او للربط بما قبلها والدلالة على ان مجيء الكتاب الجامع بين هذه الصفات موجب للفرح وتكريرها للتاكيد كقوله واذا هلكت فعند ذلك فاجزعي وعن يعقوب فلتفرحوا بالتاء على الاصل المرفوض

...

من حطام الدنيا فانها الى الزوال قريب وهو ضمير ذلك وقرأ ابن عامر تجمعون على معنى فبذلك فليفرح المؤمنون فهو خير مما تجمعونه ايها المخاطبون قل ارايتم ما انزل الله لكم من رزق جعل الرزق منزلا لانه مقدر في السماء محصل باسباب منها وما في موضع النصب بانزل او بارايتم فانه بمعنى اخبروني ولكم دل على ان المراد منه ما حل ولذلك وبخ على التبعيض فقال فجعلتم منه حراما وحلالا مثل هذه انعام وحرث حجر وما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا قل آلله اذن لكم في التحريم والتحليل فتقولون ذلك بحكمه ام على الله تفترون في نسبة ذلك اليه ويجوز ان تكون المنفصلة متصلة بارايتم وقل مكرر للتاكيد وان يكون الاستفهام للانكار وام منقطعة ومعنى الهمزة فيها تقرير لافترائهم على الله وما ظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيمة اي شيء ظنهم يوم القيمة ايحسبون ان لا يجازوا عليه وهو منصوب بالظن ويدل عليه انه قرئ بلفظ الماضي لانه كائن وفي ابهام الوعيد تهديد عظيم ان الله لذو فضل على الناس حيث انعم عليهم بالعقل وهداهم بارسال الرسل وانزال الكتب ولكن اكثرهم لا يشكرون هذه النعمة وما تكون في شأن ولا تخاطب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والشأن الامر واصله الهمز بمعنى القصد من شأنت شأنه اذا قصدت قصده وما تتلو منه من الشأن فان تلاوة القرآن معظم شأن الرسول او لان القراءة تكون لشأن فيكون التقدير من اجله ومفعول تتلو من قرآن على ان من تبعيضية او مزيدة لتاكيد النفي او للقرآن واضماره قبل الذكر ثم بيانه تفخيم له او لله ولا تعملون من عمل تعميم للخطاب بعد تخصيصه بمن هو رأسهم ولذلك ذكر حيث خص ما فيه فخامة وذكر حيث عم ما يتناول الجليل والحقير الا كنا عليكم شهودا رقباء مطلعين عليه اذ تفيضون فيه تخوضون فيه وتندفعون وما يعزب عن ربك ولا يبعد عنه ولا يغيب عن علمه وقرأ الكسائي بكسر الزاي من مثقال ذرة موازن نملة صغيرة او هباء في الارض ولا في السماء اي في الوجود والامكان فان العامة لا تعرف ممكنا غيرهما ليس فيهما او متعلقا بهما وتقديم الارض لان الكلام في حال اهلها والمقصود منه البرهان على احاطة علمه بها ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا في كتاب مبين كلام برأسه مقرر لما قبله ولا نافية واصغر اسمها وفي كتاب خبرها وقرأ حمزة ويعقوب بالرفع على الابتداء والخبر ومن عطف على لفظ مثقال ذرة وجعل الفتح بدل الكسر لامتناع الصرف او على محله مع الجار جعل الاستثناء منقطعا والمراد بالكتاب اللوح المحفوظ الا ان اولياء الله الذين يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة لا خوف عليهم من لحوق مكروه ولا هم يحزنون بفوات مأمول والآية مجملة فسرها بقوله الذين آمنوا وكانوا يتقون وقيل الذين آمنوا وكانوا يتقون بيان لتوليهم اياه لهم البشرى في الحيوة الدنيا وهو ما بشر به المتقين في كتابه وعلى لسان نبيه

الرؤيا الصالحة ويسنح لهم من المكاشفات وبشرى الملائكة عند النزع في الآخرة بتلقي الملائكة اياهم مسلمين مبشرين
بالفوز والكرامة بيان لتوليه لهم ومحل الذين امنوا النصب او الرفع على المدح او على وصف الاولياء او
على الابتداء وخبره لهم البشرى لا تبديل لكلمات الله لا تغيير لاقواله ولا اخلاف لمواعيده
ذلك اشارة الى كونهم مبشرين في الدارين هو الفوز العظيم هذه الجملة والتي قبلها اعتراض
لتحقيق المبشر به وتعظيم شأنه وليس من شرطه ان يقع بعده كلام يتصل بما قبله ولا يحزنك
قولهم اشراكهم وتكذيبهم وتهديدهم وقرأ نافع يحزنك من احزنه وكلاهما بمعنى ان
العزة لله جميعا استئناف بمعنى التعليل ويدل عليه القراءة بالفتح كانه قيل لا تحزن
بقولهم ولا تبال بهم لان الغلبة لله جميعا لا يملك غيره شيئا منها فهو يقهرهم وينصرك عليهم
هو السميع لاقوالهم العليم بعزماتهم فيكافئهم عليها الا ان لله من في السموات
ومن في الارض من الملائكة والثقلين واذا كان هؤلاء الذين هم اشرف الممكنات عبيدا
لا يصلح احد منهم للربوبية فما لا يعقل منها احق ان لا يكون له ندا وشريكا فهو كالدليل على قوله وما
يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء اي شركاء على الحقيقة وان كانوا يسمونها شركاء
ويجوز ان يكون شركاء مفعول يدعون ومفعول يتبع محذوف دل عليه ان يتبعون الا الظن اي
يتبعون يقينا وانما يتبعون ظنهم انها شركاء ويجوز ان تكون ما استفهامية منصوبة بيتبع وموصولة معطوفة
على من وقرئ تدعون بالتاء والمعنى اي شيء يتبع الذين تدعونهم شركاء من الملائكة والنبيين اي انهم
لا يتبعون الا الله ولا يعبدون غيره فما لكم لا تتبعونهم فيه كقوله اولئك الذين يدعون يبتغون الى
ربهم الوسيلة فيكون الزاما بعد برهان وما بعده مصروف عن خطابهم لبيان سندهم ومنشأ رأيهم وان هم
الا يخرصون يكذبون فيما ينسبون الى الله او يحزرون ويقدرون انها شركاء تقديرا باطلا هو
الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا تنبيه على كمال
قدرته وعظم نعمته المتوحد هو بهما ليدلهم على تفرده باستحقاق العبادة وانما قال مبصرا ولم يقل لتبصروا فيه
تفرقة بين الظرف المجرد والظرف الذي هو سبب ان في ذلك لآيات لقوم
يسمعون سماع تدبر واعتبار قالوا اتخذ الله ولدا اي تبناه سبحانه تنزيه له
عن التبني فانه لا يصح الا ممن يتصور منه الولد وتعجب من كلمتهم الحمقاء هو الغني علة لتنزيهه فان
اتخاذ الولد مسبب عن الحاجة له ما في السموات وما في الارض تقرير لغناه ان
عندكم من سلطان بهذا نفي لمعارض ما اقامه من البرهان مبالغة في تجهيلهم وتحقيقا

لبطلان قولهم وبهذا متعلق بسلطان او نعت له او بعندكم كانه قيل ان عندكم في هذا من سلطان اتقولون على الله
ما لا تعلمون توبيخ وتقريع على اختلاقهم وجهلهم وفيه دليل على ان كل قول لا دليل عليه فهو جهالة وان
العقائد لا بد لها من قاطع وان التقليد فيها غير سائغ قل ان الذين يفترون على الله
الكذب باتخاذ الولد واضافة الشريك اليه لا يفلحون لا ينجون من النار ولا يفوزون
بالجنة متاع في الدنيا خبر مبتدأ محذوف اي افتراؤهم متاع في الدنيا يقيمون به رئاستهم في الكفر
او حياتهم او تقلبهم متاع او مبتدأ خبره محذوف اي لهم تمتع في الدنيا ثم الينا مرجعهم بالموت فيلقون
الشقاء المؤبد ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون بسبب
كفرهم واتل عليهم نبأ نوح خبره مع قومه اذ قال لقومه يا قوم ان كان كبر
عليكم عظم عليكم وشق مقامي نفسي كقولك فعلت كذا لمكان فلان او كوني واقامتي بينكم مدة
مديدة او قيامي على الدعوة وتذكيري اياكم بآيات الله فعلى الله توكلت
وثقت به فاجمعوا امركم فاعزموا عليه وشركاءكم اي مع شركائكم ويؤيده القراءة
بالرفع عطفا على الضمير المتصل وجاز من غير ان يؤكد للفصل وقيل انه معطوف على امركم بحذف المضاف اي امر
شركائكم وقيل انه منصوب بفعل محذوف تقديره وادعوا شركاءكم وقد قرئ به وعن نافع فاجمعوا من الجمع
امرهم بالعزم او الاجماع على قصده والسعي في اهلاكه على اي وجه يمكنهم ثقة بالله وقلة مبالاة بهم ثم لا يكن
امركم في قصدي عليكم غمة مستورا واجعلوه ظاهرا مكشوفا من غمه اذا ستره او ثم
لا يكن حالكم عليكم غما اذا اهلكتموني وتخلصتم من ثقل مقامي وتذكيري ثم اقضوا الي ذلك الامر الذي
تريدون وقرئ ثم افضوا بالفاء اي انتهوا الى بشركم او ابرزوا الي من افضى اذا خرج الى الفضاء ولا تنظرون
ولا تمهلوني فان توليتم اعرضتم عن تذكيري فما سألتكم من اجر يوجب توليكم لثقله
عليكم واتهامكم اياي لاجله او يفوتني لتوليكم ان اجري ما ثوابي على الدعوة والتذكير الا على الله لا
تعلق له بكم آمنتم او توليتم وامرت ان اكون من المسلمين المنقادين لحكمه لا اخالف
امره ولا ارجو غيره فكذبوه فاصروا على تكذيبه بعدما الزمهم الحجة وبين ان توليهم ليس الا لعنادهم
وتمردهم لا جرم حقت عليهم كلمة العذاب فنجيناه من الغرق ومن معه في الفلك وكانوا
ثمانين وجعلناهم خلائف من الهالكين واغرقنا الذين كذبوا بآياتنا
بالطوفان فانظر كيف كان عاقبة المنذرين تعظيم لما جرى عليهم وتحذير لمن كذب الرسول
وتسلية له ثم بعثنا ارسلنا من بعده من بعد نوح رسلا الى قومهم كل رسول الى قومه

بالبينات بالمعجزات الواضحة المثبتة لدعواهم فما كانوا ليؤمنوا فما استقام لهم ان يؤمنوا لشدة شكيمتهم في الكفر وخذلان الله اياهم بما كذبوا به من قبل اي بسبب تعودهم تكذيب الحق وتمرنهم عليه قبل بعثة الرسل كذلك نطبع على قلوب المعتدين بخذلانهم لانهماكهم في الضلال واتباع المالوف وفي امثال ذلك دليل على ان الافعال واقعة بقدرة الله وكسب العبد ثم بعثنا من بعدهم من بعد هؤلاء الرسل موسى وهرون الى فرعون وملائه باياتنا بالايات التسع فاستكبروا عن اتباعها وكانوا قوما مجرمين معتادين الاجرام فلذلك تهاونوا برسالة ربهم واجترؤا على ردها فلما جاءهم الحق من عندنا وعرفوه بتظاهر المعجزات الباهرة المزيحة للشك قالوا من فرط تمردهم ان هذا لسحر مبين ظاهر انه سحر او فائق في فنه واضح فيما بين اخوانه قال موسى اتقولون للحق لما جاءكم اسحر هذا انكار لما قالوه ... والمحكي مفهوم قولهم ويجوز ان يكون معنى اتقولون للحق اتعيبونه من قولهم فلان يخاف القالة كقوله سمعنا فتى يذكرهم فيستغني عن المفعول ولا يفلح الساحرون من تمام كلام موسى للدلالة على انه ليس بسحر فانه لو كان سحرا لاضمحل ولم يبطل سحر السحرة ولان العالم بانه لا يفلح الساحر لا يسحر او من تمام قولهم ان جعل اسحر هذا محكيا كانهم قالوا اجئتنا بالسحر تطلب به الفلاح ولا يفلح الساحرون قالوا اجئتنا لتلفتنا لتصرفنا واللفت والفتل اخوان عما وجدنا عليه اباءنا من عبادة الاصنام وتكون لكما الكبرياء في الارض الملك فيها سمي بها لاتصاف الملوك بالكبر او التكبر على الناس باستتباعهم وما نحن لكما بمؤمنين مصدقين فيما جئتما به وقال فرعون ائتوني بكل ساحر وقرأ حمزة والكسائي بكل سحار عليم حاذق فيه فلما جاء السحرة قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون فلما القوا قال موسى ما جئتم به السحر اي الذي جئتم به هو السحر لا ما سماه فرعون وقومه سحرا وقرأ ابو عمرو السحر على ان ما استفهامية مرفوعة بالابتداء وجئتم به خبرها والسحر بدل منه او خبر مبتدأ محذوف تقديره اهو السحر او مبتدأ خبره محذوف اي السحر هو ويجوز ان ينتصب ما بفعل يفسره ما بعده وتقديره اي شيء اتيتم ان الله سيبطله سيمحقه او سيظهر بطلانه ان الله لا يصلح عمل المفسدين لا يثبته ولا يقويه وفيه دليل على ان السحر افساد وتمويه لا حقيقة له ويحق الله الحق ويثبته بكلماته باوامره وقضاياه وقرئ بكلمته ولو كره المجرمون ذلك فما امن لموسى في مبدأ امره الا ذرية من قومه

الا اولاد من اولاد قومه بني اسرائيل دعاهم فلم يجيبوه خوفا من فرعون الا طائفة من شبانهم وقيل الضمير لفرعون والذرية طائفة من شبانهم امنوا به او مؤمن ال فرعون وامرأته اسية وخازنه وزوجته وماشطته على خوف من فرعون وملائهم اي مع خوف منهم والضمير لفرعون وجمعه على ما هو المعتاد في ضمير العظماء او على ان المراد بفرعون اله كما يقال ربيعة ومضر او للذرية او للقوم ان يفتنهم ان يعذبهم فرعون وهو بدل منه او مفعول خوف وافراده بالضمير للدلالة على ان الخوف من الملأ كان بسببه وان فرعون لعال في الارض لغالب فيها وانه لمن المسرفين في الكبر والعتو حتى ادعى الربوبية واسترق اسباط الانبياء وقال موسى لما رأى تخوف المؤمنين يا قوم ان كنتم امنتم بالله فعليه توكلوا فثقوا به واعتمدوا عليه ان كنتم مسلمين مستسلمين لقضاء الله مخلصين له وليس هذا من تعليق الحكم بشرطين فان المعلق بالايمان وجوب التوكل فانه المقتضي له والمشروط بالاسلام حصوله فانه لا يوجد مع التخليط ونظيره ان دعاك زيد فاجبه ان قدرت فقالوا على الله توكلنا لانهم كانوا مؤمنين مخلصين ولذلك اجيبت دعوتهم ربنا لا تجعلنا فتنة موضع فتنة للقوم الظالمين اي لا تسلطهم علينا فيفتنونا ونجنا برحمتك من القوم الكافرين من كيدهم وشؤم مشاهدتهم وفي تقديم التوكل على الدعاء تنبيه على ان الداعي ينبغي ان يتوكل اولا لتجاب دعوته واوحينا الى موسى واخيه ان تبوءا اتخذا مباءة لقومكما بمصر بيوتا يسكنون فيها او يرجعون اليها للعبادة واجعلوا انتما وقومكما بيوتكم تلك البيوت قبلة مصلى وقيل مساجد متوجهة نحو القبلة يعني الكعبة وكان موسى يصلي اليها واقيموا الصلوة فيها امروا بذلك اول امرهم لئلا يظهر عليهم الكفرة فيؤذوهم ويفتنوهم عن دينهم وبشر المؤمنين بالنصرة في الدنيا والجنة في العقبى وانما ثنى الضمير اولا لان التبوء للقوم واتخاذ المعابد مما يتعاطاه رؤس القوم بتشاور ثم جمع لان جعل البيوت مساجد والصلوة فيها مما ينبغي ان يفعله كل احد ثم وحد لان البشارة في الاصل وظيفة صاحب الشريعة وقال موسى ربنا انك اتيت فرعون وملائه زينة ما يتزين به من اللباس والمراكب ونحوها واموالا في الحيوة الدنيا وانواعا من المال ربنا ليضلوا عن سبيلك دعاء عليهم بلفظ الامر بما علم من ممارسة احوالهم انه لا يكون غيره كقولك لعن الله ابليس وقيل اللام للعاقبة وهي متعلقة باتيت ويحتمل ان تكون للعلة لان ايتاء النعم على الكفر استدراج وتثبيت على الضلال ولانهم لما جعلوها سببا للضلال فكانهم اوتوها ليضلوا فيكون ربنا تكريرا للاول تاكيدا وتنبيها على ان المقصود عرض ضلالهم وكفرانهم تقدمة لقوله ربنا اطمس على اموالهم اهلكها والطمس المحق وقرئ واطمس بالضم

واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب

الأليم قال قد

أجيبت دعوتكما فاستقيما

ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون

وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتبعهم فرعون

وجنوده بغيا وعدوا حتى إذا أدركه الغرق

قال آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا

من المسلمين الآن

وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين

فاليوم ننجيك ببدنك

لتكون لمن

خلفك آية

وإن كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون ولقد

بوأنا بني إسرائيل مبوأ صدق

ورزقناهم من الطيبات فما اختلفوا حتى جاءهم العلم

إن ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون

فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك

لقد جاءك الحق

من ربك فلا تكونن من الممترين

ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله

فتكون من الخاسرين

إن الذين حقت عليهم كلمة ربك

لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية

حتى يروا العذاب الأليم

فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها

إلا قوم يونس لما آمنوا

كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا

ومتعناهم إلى حين

افأنت تكره الناس على ما لم يشأ الله منهم حسبما ينبئ عنه حرف الامتناع في الشرطية والفاء للعطف على مقدر ينسحب عليه الكلام كأنه قيل أربك لا يشاء ذلك فأنت تكرههم حتى يكونوا مؤمنين فيكون الانكار متوجها الى ترتيب الاكراه المذكور على عدم مشيئته تعالى ويجوز ان يكون الفاء لترتيب الانكار على عدم مشيئته تعالى بناء على ان الهمزة متأخرة في الاعتبار وانما قدمت لاقتضائها الصدارة كما هو رأي الجمهور اياما كان فالمشيئة على اطلاقها اذ لا فائدة بل لا وجه لاعتبار عدم مشيئة الالجاء خاصة في انكار الترتيب عليه او ترتيب الانكار عليه وفي ايلاء الاسم حرف الاستفهام ايذان بان الاكراه امر ممكن لكن الشأن في المكره من هو وما هو الا هو وحده لا يشاركه فيه لانه القادر على ان يفعل في قلوبهم ما يضطرهم الى الايمان وذلك غير مستطاع للبشر وفيه ايذان باعتبار الالجاء في المشيئة كما اشير اليه وما كان لنفس بيان لتبعية ايمان النفوس المؤمنة لمشيئته تعالى وجودا وعدما بيان الدعوى ان الكلي عليها وجودا وعدما الا ما صح ما استفهام لنفس من النفوس

فيه نوا فطلبوا يونس فلم يجدوه فآمنوا ولبسوا المسوح وبرزوا الى الصعيد بأنفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم وفرقوا بين كل والدة وولدها فحن بعضها الى بعض وعلت الاصوات والعجيج واخلصوا التوبة واظهروا الايمان وتضرعوا الى الله فرحمهم وكشف عنهم وكان يوم عاشوراء يوم الجمعة **ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم** بحيث لا يشذ منهم احد **جميعا** مجتمعين على الايمان لا يختلفون فيه وهو دليل على القدرية في انه تعالى لم يشأ ايمانهم اجمعين وان من شاء ايمانه يؤمن لا محالة والتقييد بمشيئة الالجاء خلاف الظاهر **افأنت تكره الناس** بما لم يشأ الله منهم **حتى يكونوا مؤمنين** وترتيب الاكراه على المشيئة بالفاء وايلاؤها حرف الاستفهام للانكار وتقديم الضمير على الفعل للدلالة على ان خلاف المشيئة مستحيل فلا يمكنه تحصيله بالاكراه عليه فضلا عن الحث والتحريض عليه اذ روي انه كان حريصا على ايمان قومه شديد الاهتمام به فنزلت ولذلك قرره بقوله **وما كان لنفس ان تؤمن الا باذن الله** الا بارادته والطافه وتوفيقه فلا تجهد نفسك في هداها فانه الى الله **ويجعل الرجس** العذاب او الخذلان فانه سببه وقرئ بالزاي وقرأ ابو بكر بالنون **على الذين لا يعقلون** لا يستعملون عقولهم بالنظر في الحجج والآيات او لا يعقلون دلائله واحكامه لما على قلوبهم من الطبع ويؤيد الاول قوله **قل انظروا** اي تفكروا **ماذا في السموات والارض** من عجائب صنعه لتدلكم على وحدته وكمال قدرته وماذا ان جعلت استفهامية علقت انظروا عن العمل **وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون** في علم الله وحكمه وما نافية او استفهامية في موضع النصب **فهل ينتظرون الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم** مثل وقائعهم ونزول بأس الله بهم اذ لا يستحقون غيره من قولهم ايام العرب لوقائعها **قل فانتظروا اني معكم من المنتظرين** لذلك او فانتظروا هلاكي اني معكم من المنتظرين هلاككم **ثم ننجي رسلنا والذين آمنوا** عطف على محذوف دل عليه الا مثل ايام الذين خلوا كأنه قيل نهلك الامم ثم ننجي رسلنا ومن آمن بهم على حكاية الحال الماضية **كذلك حقا علينا ننج المؤمنين** كذلك الانجاء او انجاء كذلك ننجي محمدا وصحبه حين نهلك المشركين وحقا علينا اعتراض ونصبه بفعله المقدر وقيل بدل من كذلك **قل يا ايها الناس** خطاب لاهل مكة **ان كنتم في شك من ديني** وصحته **فلا اعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن اعبد الله الذي يتوفاكم** فهذا خلاصة ديني اعتقادا وعملا فاعرضوها على العقل الصرف وانظروا فيها بعين الانصاف لتعلموا صحتها وهو اني لا اعبد ما تخلقونه وتعبدونه ولكن اعبد خالقكم الذي هو يوجدكم ويتوفاكم وانما خص التوفي بالذكر للتهديد **وامرت ان اكون من المؤمنين**

بما دل عليه العقل ونطق به الوحي وحذف الجار من ان يجوز ان يكون من المطرد مع ان وان ويجوز ان يكون من غيره كقوله امرتك الخير فافعل ما امرت به **وان اقم وجهك للدين** عطف على ان اكون غير ان صلة ان محكية بصيغة الامر ولا فرق بينهما في الغرض لان المقصود وصلها بما يتضمن معنى المصدر لتدل معه عليه وصيغ الافعال كلها كذلك سواء الخبر منها والطلب والمعنى وامرت بالاستقامة في الدين والاستبداد فيه باداء الفرائض والانتهاء عن القبائح او في الصلاة باستقبال القبلة **حنيفا** حال من الدين او الوجه **ولا تكونن من المشركين ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك** بنفسه ان دعوته او خذلته **فان فعلت** فان دعوته **فانك اذا من الظالمين** جزاء للشرط وجواب لسؤال مقدر عن تبعة الدعاء **وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له** يرفعه **الا هو** الا الله **وان يردك بخير فلا راد لفضله** فلا دافع لفضله الذي ارادك به ولعله ذكر الارادة مع الخير والمس مع الضر مع تلازم الامرين للتنبيه على ان الخير مراد بالذات وان الضر انما مسهم لا بالقصد الاول ووضع الفضل موضع الضمير للدلالة على انه متفضل بما يريد بهم من الخير لا استحقاق لهم عليه ولم يستثن لان مراد الله لا يمكن رده **يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم** فتعرضوا لرحمته بالطاعة ولا تيأسوا من غفرانه بالمعصية **قل يا ايها الناس قد جاءكم الحق من ربكم** رسوله او القرآن ولم يبق لكم عذر **فمن اهتدى** بالايمان والمتابعة **فانما يهتدي لنفسه** لان نفعه لها **ومن ضل** بالكفر بهما **فانما يضل عليها** لان وبال الضلال عليها **وما انا عليكم بوكيل** بحفيظ موكول الي امركم وانما انا بشير ونذير **واتبع ما يوحى اليك** بالامتثال والتبليغ **واصبر** على دعوتهم وتحمل اذيتهم **حتى يحكم الله** بالنصرة او بالامر بالقتال **وهو خير الحاكمين** اذ لا يمكن الخطأ في حكمه لاطلاعه على السرائر اطلاعه على الظواهر عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة يونس اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق يونس وكذب به وبعدد من غرق مع فرعون

سورة هود

بسم الله الرحمن الرحيم

الر كتاب مبتدأ وخبر او كتاب خبر محذوف **احكمت آياته** نظمت نظما محكما لا يعتريه اخلال من جهة اللفظ والمعنى او منعت من الفساد والنسخ فان المراد آيات السورة وليس فيها منسوخ او احكمت بالحجج والدلائل او جعلت حكيمة منقول من حكم بالضم اذا صار حكيما لانها مشتملة على امهات الحكم النظرية والعملية **ثم فصلت** بالفوائد من العقائد والاحكام والمواعظ والاخبار او بجعلها سورا او بالانزال نجما نجما او فصل فيها

ولخص ما يحتاج اليه وقرئ ثم فصلت اي فرقت بين الحق والباطل واحكمت آياته ثم فصلت على البناء للمتكلم وثم للتفاوت في الحكم
او للتراخي في الاخبار **من لدن حكيم خبير** صفة اخرى لكتاب او خبر بعد خبر او صلة لاحكمت
او فصلت وهو تقرير لاحكامها وتفصيلها على اكمل ما ينبغي باعتبار ما ظهر امره وما خفي **الا تعبدوا**
الا الله لان لا تعبدوا او اي لا تعبدوا على ان ان مفسرة لان في تفصيل الآيات معنى القول ويجوز ان يكون كلاما مبتدأ للاغراء
على التوحيد او الامر بالتبري عن عبادة الغير كانه قيل ترك عبادة غير الله بمعنى الزموه او اتركوها تركا **انني**
لكم منه من الله **نذير وبشير** بالعقاب على الشرك والثواب على التوحيد **وان**
استغفروا ربكم عطف على ان لا تعبدوا **ثم توبوا اليه** ثم توصلوا الى مطلوبكم بالتوبة
فان المعرض عن طريق الحق لا بد له من رجوع وقيل استغفروا من الشرك ثم توبوا الى الله بالطاعة ويجوز ان يكون
ثم لتفاوت ما بين الامرين **يمتعكم متاعا حسنا** يعيشكم في امن ودعة **الى اجل**
مسمى هو آخر اعماركم المقدرة او لا يهلككم بعذاب الاستئصال والارزاق والآجال وان كانت متعلقة
بالاعمال لكنها مسماة بالاضافة الى كل احد فلا تتغير **ويؤت كل ذي فضل فضله**
ويعط كل ذي فضل في دينه جزاء فضله في الدنيا والآخرة وهو وعد للموحد التائب بخير الدارين **وان**
تولوا فان تتولوا **فاني اخاف عليكم عذاب يوم كبير** يوم القيمة وقيل يوم
الشدائد وقد ابتلوا بالقحط حتى اكلوا الجيف وقرئ وان تولوا من ولى **الى الله مرجعكم** رجوعكم
في ذلك اليوم وهو شاذ عن القياس **وهو على كل شيء قدير** فيقدر على تعذيبكم اشد
عذاب وكانه تقرير لكبر اليوم **الا انهم يثنون صدورهم** يثنونها عن الحق وينحرفون عنه
او يعطفونها على الكفر وعداوة النبي او يولون ظهورهم وقرئ يثنوني بالياء والتاء من اثنوني وهو بناء
المبالغة وتثنون واصله تثنونن من الثن وهو الكلأ الضعيف اراد به ضعف قلوبهم او مطاوعة صدورهم
وتثنئن من اثنأن كابياض بالهمزة **ليستخفوا منه** من الله بسرهم فلا يطلع رسوله والمؤمنين
قيل انها نزلت في المنافقين وفيه نظر اذ الآية مكية والنفاق حدث بالمدينة **الا حين يستغشون**
ثيابهم الا حين ياوون الى فراشهم ويتغطون بثيابهم **يعلم ما يسرون** في قلوبهم **وما**
يعلنون بافواههم يستوي في علمه سرهم وعلنهم فكيف يخفى عليه ما عسى يظهرونه **انه عليم بذات**
الصدور بالاسرار ذات الصدور او بالقلوب واحوالها **وما من دابة في الارض الا على الله**
رزقها غذاؤها ومعاشها لتكفله اياه تفضلا ورحمة وانما اتى بلفظ الوجوب تحقيقا لوصوله وحملا
على التوكل فيه **ويعلم مستقرها ومستودعها** اماكنها في الحيوة والممات او الاصلاب

والارحام او مساكنها من الارض حين وجدت بالفعل ومودعها من المواد والمقار حين كانت بعد بالقوة
كل كل واحد من الدواب واحوالها **في كتاب مبين** مذكور في اللوح المحفوظ وكانه اريد بالآية
بيان كونه عالما بالمعلومات كلها وبما بعدها بيان كونه قادرا على الممكنات باسرها تقريرا للتوحيد ولما سبق من الوعد
والوعيد **وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام** اي خلقهما وما فيهما
كما مر بيانه في الاعراف او ما في جهتي العلو والسفل وجمع السموات دون الارض لاختلاف العلويات بالاصل والذات
دون السفليات **وكان عرشه على الماء** قبل خلقهما لم يكن حائل بينهما الا انه كان موضوعا على متن الماء
واستدل به على امكان الخلاء وان الماء اول حادث بعد العرش من اجرام هذا العالم وقيل كان الماء على متن الريح
والله اعلم بذلك **ليبلوكم ايكم احسن عملا** متعلق بخلق اي خلق ذلك كخلق من خلق
ليعاملكم معاملة المبتلي لاحوالكم كيف تعملون فان جملة ذلك اسباب ومواد لوجودكم ومعاشكم وما تحتاج اليه اعمالكم
ودلائل وامارات تستدلون بها وتستنبطون منها وانما جاز تعليق فعل البلوى لما فيه من معنى العلم من
حيث انه طريق اليه كالنظر والاستماع وانما ذكر صيغة التفضيل والاختبار الشامل لفرق المكلفين باعتبار الحسن
والقبح للتحريض على احاسن المحاسن والتحضيض على الترقي دائما في مراتب العلم والعمل فان المراد بالعمل ما يعم عمل القلب
والجوارح ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم ايكم احسن عقلا واورع عن محارم الله واسرع في طاعة الله والمعنى ايكم اكمل
علما وعملا **ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين**
كفروا ان هذا الا سحر مبين اي ما البعث او القول به او القرآن المتضمن لذكره الا كالسحر
في الخديعة او البطلان وقرأ حمزة والكسائي الا ساحر على ان الاشارة الى القائل وقرئ انكم بالفتح على تضمين قلت معنى
ذكرت او ان يكون ان بمعنى عل اي ولئن قلت لعلكم مبعوثون بمعنى توقعوا بعثكم ولا تبتوا بانكاره لعدوه من
قبيل ما لا حقيقة له مبالغة في انكاره **ولئن اخرنا عنهم العذاب** الموعود **الى امة**
معدودة الى جماعة من الاوقات قليلة **ليقولن** استهزاء **ما يحبسه** ما يمنعه من الوقوع **الا يوم**
ياتيهم كيوم بدر **ليس مصروفا عنهم** ليس العذاب مدفوعا عنهم ويوم منصوب بخبر
ليس مقدم عليه وهو دليل على جواز تقديم خبرها عليها **وحاق بهم** واحاط بهم وضع الماضي موضع المستقبل تحقيقا
ومبالغة في التهديد **ما كانوا به يستهزئون** اي العذاب الذي كانوا به يستعجلون
فوضع يستهزئون موضع يستعجلون لان استعجالهم كان استهزاء **ولئن اذقنا الانسان منا رحمة**
اعطيناه نعمة بحيث يجد لذتها **ثم نزعناها منه** ثم سلبنا تلك النعمة منه **انه ليؤس** قطوع
رجاؤه من فضل الله لقلة صبره وعدم ثقته به **كفور** مبالغ في كفران ما سلف له من النعمة

نعماء بعد ضراء مسته كصحة بعد سقم وغنى بعد عدم وفي اختلاف الفعلين نكتة لا تخفى ليقولن
ذهب السيئات عني اي المصائب التي ساءتني انه لفرح بطر بالنعم مغتر بها
فخور على الناس مشغول عن الشكر والقيام بحقها وفي لفظ الاذاقة والمس تنبيه على ان ما يجده الانسان في الدنيا من النعم
والمحن كالانموذج لما يجده في الآخرة وانه يقع في الكفران والبطر بادنى شيء لان الذوق ادراك الطعم والمس
مبدا الوصول الا الذين صبروا على الضراء ايمانا بالله واستسلاما لقضائه وعملوا الصالحات
شكرا لآلائه سابقها ولاحقها اولئك لهم مغفرة لذنوبهم واجر كبير اقله الجنة
والاستثناء من الانسان لان المراد به الجنس فاذا كان محلى باللام افاد الاستغراق ومن حمله على الكافر لسبق ذكرهم
جعل الاستثناء منقطعا فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك تترك تبليغ بعض ما
يوحى اليك وهو ما يخالف راي المشركين مخافة ردهم واستهزائهم به ولا يلزم من توقع الشيء لوجود
ما يدعو اليه وقوعه لجواز ان يكون ما يصرف عنه وهو عصمة الرسل عن الخيانة في الوحي والثقة في التبليغ ها هنا
وضائق به صدرك وعارض لك احيانا ضيق صدر بان تتلوه عليهم مخافة ان
يقولوا لولا انزل عليه كنز ينفقه في الاستتباع كالملوك او جاء معه
ملك يصدقه وقيل الضمير في به مبهم يفسره ان يقولوا انما انت نذير ليس عليك الا الانذار بما
اوحي اليك ولا عليك ردوا او اقترحوا فما بالك يضيق به صدرك والله على كل
شيء وكيل فتوكل عليه فانه عالم بحالهم وفاعل بهم جزاء اقوالهم وافعالهم ام يقولون
افتريه ام منقطعة والهاء لما يوحى قل فاتوا بعشر سور مثله في البيان وحسن النظم
تحداهم اولا بعشر سور ثم لما عجزوا عنها سهل الامر عليهم وتحداهم بسورة وتوحيد المثل باعتبار كل واحد
مفتريات مختلقات من عند انفسكم ان صح اني اختلقته من عند نفسي فانكم عرب فصحاء مثلي تقدرون
على مثل ما اقدر عليه بل انتم اقدر لتعلمكم القصص والاشعار وتعودكم القريض والنظم وادعوا من
استطعتم من دون الله الى المعاونة على المعارضة ان كنتم صادقين انه
مفترى فان لم يستجيبوا لكم باتيان ما دعوتم اليه وجمع الضمير اما لتعظيم الرسول عم او لان
المؤمنين ايضا كانوا يتحدونهم وكان امر الرسول عم متناولا لهم من حيث انه يجب اتباعه عليهم في كل امر الا
ما خصه الدليل وللتنبيه على ان التحدي مما يوجب رسوخ ايمانهم وقوة يقينهم فلا يغفلون عنه ولذلك
رتب عليه قوله فاعلموا انما انزل بعلم الله ملتبسا بما لا يعلمه الا الله ولا يقدر عليه سواه
وان لا اله الا هو واعلموا ان لا اله الا الله لانه العالم القادر بما لا يعلم ولا يقدر عليه غيره و

لظهور عجز آلهتهم ولتنصيص هذا الكلام الثابت صدقه باعجازه عليه وفيه تهديد واقناط من ان يجيرهم من باس الله
آلهتهم فهل انتم مسلمون ثابتون على الاسلام راسخون فيه مخلصون او داخلون في الاسلام اذا تحقق عندكم اعجازه
مطلقا ويجوز ان يكون الكل خطابا للمشركين والضمير في لم يستجيبوا لمن استطعتم اي فان لم يستجيبوا لكم الى المظاهرة
لعجزهم وقد عرفتم من انفسكم القصور عن المعارضة فاعلموا انه نظم لا يعلمه الا الله وانه منزل من عنده وان ما دعاكم
اليه من التوحيد حق فهل انتم داخلون في الاسلام بعد قيام الحجة القاطعة وفي مثل هذا الاستفهام ايجاب بليغ
لما فيه من معنى الطلب والتنبيه على قيام الموجب وزوال العذر من كان يريد الحيوة الدنيا
وزينتها باحسانه وبره نوف اليهم اعمالهم فيها نوصل اليهم جزاء اعمالهم في الدنيا من الصحة
والرياسة وسعة الرزق وكثرة الاولاد وقرئ يوف بالياء اي يوف الله وتوف على البناء للمفعول ونوفي
بالتخفيف والرفع لان الشرط ماض كقوله وان اتاه كريم يوم مسغبة يقول لا غائب مالي ولا حرم وهم فيها لا
يبخسون لا ينقصون شيئا من اجورهم والآية في اهل الرياء وقيل في المنافقين وقيل في الكفرة وبرهم اولئك
الذين ليس لهم في الآخرة الا النار مطلقا في مقابلة ما عملوا لانهم استوفوا ما تقتضيه صور
اعمالهم الحسنة وبقيت لهم اوزار العزائم السيئة وحبط ما صنعوا فيها لانه لم يبق لهم ثواب في
الآخرة او لم يكن لانهم لم يريدوا به وجه الله والعمدة في اقتضاء ثوابها هو الاخلاص ويجوز تعليق الظرف بصنعوا على ان
الضمير للدنيا وباطل في نفسه ما كانوا يعملون لانه لم يعمل على ما ينبغي وكان كل واحدة من الجملتين
علة لما قبلها وقرئ باطلا على انه مفعول يعملون وما ابهامية او في معنى المصدر كقوله ولا خارجا من في زور كلام
وبطل على الفعل افمن كان على بينة من ربه برهان من الله يدله على الحق والصواب فيما ياتيه
ويذره والهمزة لانكار ان يعقب من هذا شانه هؤلاء المقصرين هممهم وافكارهم على الدنيا وان يقارب بينهم
في المنزلة وهو الذي اغنى عن ذكر الخبر وتقديره افمن كان على بينة كمن كان يريد الحيوة الدنيا وهو حكم يعم كل مؤمن
مخلص وقيل المراد به النبي وقيل مؤمنوا اهل الكتاب ويتلوه ويتبع ذلك البرهان الذي هو دليل
العقل شاهد منه شاهد من الله يشهد بصحته وهو القرآن ومن قبله ومن قبل القرآن
كتاب موسى يعني التورية فانها ايضا تتلوه في التصديق وقيل البينة هو القرآن ويتلوه من
التلاوة والشاهد جبريل او لسان الرسول عم على ان الضمير له او من التلو والشاهد ملك يحفظه و
الضمير في يتلوه اما لمن او للبينة باعتبار المعنى ومن قبله كتاب موسى جملة مبتدأة وقرئ كتاب بالنصب عطفا على
الضمير في يتلوه اي يتلو القرآن شاهد ممن كان على بينة دالة على انه حق كقوله وشهد شاهد من بني اسرائيل ويقرأ
من قبل القرآن التورية اماما كتابا مؤتما به في الدين ورحمة على المنزل عليهم لانه الوصلة الى الفوز

بجميع المدارس اولئك اشارة الى من كان على بينة يؤمنون به بالقرآن ومن يكفر به
من الاحزاب من اهل مكة ومن تحزب معهم على الرسول فالنار موعده يردها
لا محالة فلا تك في مرية منه من الموعد او القرآن وقرئ مرية بالضم انه
الحق من ربك ولكن اكثر الناس لا يؤمنون لقلة نظرهم واختلال
فكرهم ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا كان اسند اليه ما لم ينزله او نفى عنه ما انزله
اولئك يعرضون على ربهم في الموقف بان يحبسوا او يعرض اعمالهم و
يقول الاشهاد من الملائكة والنبيين او من جوارحهم وهو جمع شاهد كاصحاب او شهيد كاشراف
هؤلاء الذين كذبوا على ربهم الا لعنة الله على الظالمين تهويل عظيم
مما يحيق بهم لظلمهم بالكذب على الله الذين يصدون عن سبيل الله عن دينه و
يبغونها عوجا يصفونها بالانحراف عن الحق والصواب او يبغون اهلها ان يعوجوا بالردة و
هم بالآخرة هم كافرون والحال انهم كافرون بالآخرة وتكريرهم لتاكيد كفرهم واختصاصهم
اولئك لم يكونوا معجزين في الارض اي ما كانوا معجزين الله في الدنيا ان يعاقبهم و
ما كان لهم من دون الله من اولياء يمنعونهم من العقاب ولكنه اخر عقابهم الى هذا اليوم ليكون
اشد وادوم يضاعف لهم العذاب استئناف وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب يضعف
بالتشديد ما كانوا يستطيعون السمع لتصامهم عن الحق وبغضهم له وما كانوا
يبصرون لتعاميهم عن آيات الله وكانه العلة لمضاعفة العذاب وقيل هو بيان لما نفاه من ولاية
الآلهة بقوله وما كان لهم من دون الله من اولياء فان ما لا يسمع ولا يبصر لا يصلح للولاية وقوله يضاعف لهم العذاب
اعتراض اولئك الذين خسروا انفسهم باشتراء عبادة الآلهة بعبادة الله
وضل عنهم ما كانوا يفترون من الآلهة وشفاعتها او خسروا ما بذلوا وضاع
عنهم ما حصلوا فلم يبق معهم سوى الحسرة والندامة لا جرم انهم في الآخرة هم الاخسرون
لا احد ابين واكثر خسرانا منهم ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات واخبتوا
الى ربهم اطمانوا اليه وخشعوا له من الخبت وهو الارض المطمئنة اولئك اصحاب الجنة
هم فيها خالدون دائمون مثل الفريقين الكافر والمؤمن كالاعمى والاصم
والبصير والسميع يجوز ان يراد به تشبيه الكافر بالاعمى لتعاميه عن آيات الله وبالاصم لتصامه
عن استماع كلام الله وتأبيه عن تدبر معانيه وتشبيه المؤمن بالسميع والبصير لان امره بالضد فيكون كل منهما مشبها

باثنين

باثنين باعتبار وصفين او تشبيه الكافر بالجامع بين العمى والصمم والمؤمن بالجامع بين ضديهما والعاطف لعطف الصفة
على الصفة كقوله الصابح فالغانم فالآيب وهذا من باب اللف والطباق هل يستويان هل يستوي
الفريقان مثلا تمثيلا او صفة او حالا افلا تذكرون بضرب الامثال والتأمل فيها و
لقد ارسلنا نوحا الى قومه اني لكم بانى لكم وقرأ نافع وعاصم وابن عامر وحمزة بالكسر على ارادة
القول نذير مبين ابين لكم موجبات العذاب ووجه الخلاص ان لا تعبدوا الا
الله بدل من اني لكم او مفعول مبين ويجوز ان تكون ان مفسرة متعلقة بارسلنا او بنذير اني اخاف عليكم
عذاب يوم اليم مؤلم وهو في الحقيقة صفة المعذب لكن يوصف به العذاب وزمانه على طريقة
جد جده ونهارك صائم للمبالغة فقال الملا الذين كفروا من قومه ما نراك
الا بشرا مثلنا لا مزية لك علينا تخصك بالنبوة ووجوب الطاعة وما نراك
اتبعك الا الذين هم اراذلنا اخساؤنا جمع ارذل فانه بالغلبة صار مثل الاسم كالاكبر او ارذل
جمع رذل بادي الرأي ظاهر الرأي من غير تعمق من البدو او اول الرأي من البدء والياء مبدلة من الهمزة
لانكسار ما قبلها وقرأ ابو عمرو بالهمزة وانتصابه بالظرف على حذف المضاف اي وقت حدوث بادي الرأي
والعامل فيه اتبعك وانما استرذلوهم لذلك لفقرهم فانهم لما لم يعلموا الا ظاهرا من الحياة الدنيا كان الاحظ بها
اشرف عندهم والمحروم منها ارذل وما نرى لكم لك ولمتبعيك علينا من فضل
يؤهلكم للنبوة واستحقاق المتابعة بل نظنكم كاذبين وهم في دعوى العلم بصدقك فغلب المخاطب على الغائبين
قال يا قوم ارأيتم اخبروني ان كنت على بينة من ربي حجة شاهدة
بصحة دعواي وآتاني رحمة من عنده بايتاء البينة او النبوة فعميت عليكم فخفيت
عليكم فلم تهدكم وتوحيد الضمير لان البينة في نفسها هي الرحمة او لان خفاءها يوجب خفاء النبوة او على تقدير فعميت
بعد البينة وحذفها للاختصار او لانه لكل واحدة منهما وقرأ حمزة والكسائي وحفص فعميت اي اخفيت وقرئ
فعماها على ان الفعل لله أنلزمكموها انكرهكم على الاهتداء بها وانتم لها كارهون لا تختارونها
ولا تتاملون فيها وحيث اجتمع ضميران وليس احدهما مرفوعا وقدم الاعرف منهما جاز في الثاني الفصل والوصل
ويا قوم لا اسألكم عليه على التبليغ وهو وان لم يذكر فمعلوم مما ذكر مالا اجرا ان
اجري الا على الله فانه المأمول منه وما انا بطارد الذين آمنوا جواب لهم
حين سألوا طردهم انهم ملاقوا ربهم فيخاصمون طاردهم عنده او انهم يلاقونه ويفوزون
بقربه فكيف اطردهم ولكني اراكم قوما تجهلون بلقاء ربكم او باقدارهم او في التماس

طردهم او تسفهون عليهم بان تدعوهم اراذل ويا قوم من ينصرني من الله بدفع انتقامه
ان طردتهم بهم بتلك الصفة افلا تذكرون لتعرفوا ان التماس طردهم و
توقيف الايمان عليه ليس بصواب ولا اقول لكم عندي خزائن الله خزائن رزقه
وامواله حتى تجدوا فضلي ولا اعلم الغيب عطف على عندي خزائن الله اي ولا اقول انا اعلم
الغيب حتى تكذبوني استبعادا او حتى اعلم ان هؤلاء اتبعوني بادي الراي من غير بصيرة وعقد قلب
يجوز عطفه على اقول ولا اقول اني ملك حتى تقولوا ما انت الا بشر مثلنا ولا اقول
للذين تزدري اعينكم ولا اقول في شان من استرذلتموهم لفقرهم لن يؤتيهم الله
خيرا فان ما اعد الله لهم في الآخرة خير مما آتيكم في الدنيا الله اعلم بما في انفسهم اني
اذا لمن الظالمين ان قلت شيئا من ذلك والازدراء افتعال من زرى عليه اذا عابه قلب تاؤه
دالا لتجانس الزاي في الجهر واسناده الى الاعين للمبالغة والتنبيه على انهم استرذلوهم بادي الرؤية من غير روية وبما
عاينوا من رثاثة حالهم وقلة منالهم دون تامل في معانيهم وكمالاتهم قالوا يا نوح قد جادلتنا
خاصمتنا فاكثرت جدالنا فاطلته او اتيت بانواعه فاتنا بما تعدنا من العذاب
ان كنت من الصادقين في الدعوى والوعيد فان مناظرتك لا تؤثر فينا قال
انما ياتيكم به الله ان شاء عاجلا او آجلا وما انتم بمعجزين بدفع العذاب او الهرب منه
ولا ينفعكم نصحي ان اردت ان انصح لكم شرط ودليل جواب والجملة دليل جواب قوله
ان كان الله يريد ان يغويكم وتقدير الكلام ان كان الله يريد ان يغويكم فان اردت ان انصح لكم
لا ينفعكم نصحي ولذلك نقول لو قال الرجل انت طالق ان دخلت الدار ان كلمت زيدا فدخلت ثم كلمت لم تطلق
وهو جواب لما اوهموا من ان جداله كلام بلا طائل وهو دليل على ان ارادة الله يصح تعلقها بالاغواء وان خلاف
مراده محال وقيل ان يغويكم ان يهلككم من غوى الفصيل غوى اذا بشم فهلك هو ربكم خالقكم والمتصرف
فيكم وفق ارادته واليه ترجعون فيجازيكم على اعمالكم ام يقولون افتراه قل ان
افتريته فعلي اجرامي وباله وقرئ اجرامي على الجمع وانا بريء مما تجرمون من اجرامكم
في اسناد الافتراء الي واوحي الى نوح انه لن يؤمن من قومك الا من قد
امن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون اقنطه الله من ايمانهم ونهاه ان يغتم بما فعلوه من التكذيب
والايذاء واصنع الفلك باعيننا ملتبسا باعيننا عبر بكثرة آلة الحس الذي به يحفظ الشيء ويراعى
عن الاختلال والزيغ عن المبالغة في الحفظ والرعاية على طريقة التمثيل ووحينا اليك كيف تصنعها

ولا تخاطبني في الذين ظلموا ولا تراجعني فيهم ولا تدعني باستدفاع العذاب عنهم انهم
مغرقون محكوم عليهم بالاغراق فلا سبيل الى كفه ويصنع الفلك حكاية حال ماضية وكلما مر
عليه ملأ من قومه سخروا منه استهزاوا به لعمله السفينة فانه كان يعملها في برية
بعيدة من الماء اوان عزته فكانوا يضحكون منه ويقولون قد صرت نجارا بعد ما كنت نبيا قال ان تسخروا
منا فانا نسخر منكم كما تسخرون اذا اخذكم الغرق في الدنيا والحرق في الآخرة وقيل
المراد بالسخرية الاستجهال فسوف تعلمون من ياتيه عذاب يخزيه يعني به اياهم وبالعذاب
الغرق ويحل عليه وينزل او يحل عليه حلول الدين الذي لا انفكاك عنه عذاب مقيم دائم و
هو عذاب النار حتى اذا جاء امرنا غاية لقوله ويصنع الفلك وما بينهما حال من الضمير فيه او حتى هي التي
يبتدا بعدها الكلام وفار التنور نبع الماء فيه وارتفع كالقدر تفور والتنور تنور الخبز ابتدا منه النبوع
على خرق العادة وكان في الكوفة في موضع مسجدها او في الهند او بعين وردة من ارض الجزيرة وقيل التنور وجه
الارض او اشرف موضع فيها قلنا احمل فيها في السفينة من كل من كل نوع من الحيوانات
المنتفع بها زوجين اثنين ذكرا وانثى هذا على قراءة حفص والباقون اضافوا على معنى احمل اثنين من
كل زوجين اي من كل صنف ذكر وصنف انثى واهلك عطف على زوجين او اثنين والمراد امرأته
وبنوه ونساؤهم الا من سبق عليه القول بانه من المغرقين يريد به كنعان وامه واهلة فانهما كانا
كافرين ومن آمن والمؤمنين من غيرهم وما آمن معه الا قليل قيل كانوا تسعة وسبعين زوجته
المسلمة وبنوه الثلاثة سام وحام ويافث ونساؤهم واثنان وسبعون رجلا وامرأة من غيرهم روي انه عليه السلام
اتخذ السفينة في سنتين من الساج وكان طولها ثلاثمائة ذراع وعرضها خمسون وسمكها ثلاثون وجعل لها ثلاثة بطون
فحمل في اسفلها الدواب والوحش وفي اوسطها الانس وفي اعلاها الطير وقال اركبوا فيها اي
صيروا فيها وجعل ذلك ركوبا لانها في الماء كالمركوب في الارض بسم الله مجريها ومرسيها
متصل باركبوا حال من الواو واركبوا فيها مسمين الله او قائلين بسم الله وقت اجرائها وارسائها او مكانهما
على ان المجرى والمرسى للوقت والمكان او المصدر والمضاف محذوف كقولهم اتيتك خفوق النجم وانتصابهما بما قدرناه
حالا ويجوز رفعهما بسم الله على ان المراد بهما المصدر او جملة من مبتدا وخبر اي اجراؤها بسم الله على ان بسم الله خبر والجملة
حال مقدرة وهي لا تحتاج الى الواو ومستانفة لا تعلق لها بما قبلها او حال مقدرة من الواو او الها وروي انه كان اذا اراد
ان تجري قال بسم الله فجرت واذا اراد ان ترسو قال بسم الله فرست ويجوز ان يكون الاسم مقحما كقوله ثم اسم السلام
عليكما وقرئ مجراها ومرساها بالفتح من جرى ورسا ومجريها ومرسيها بلفظ الفاعل صفتين لله

بلفظ الدليل صفة تبيد إن ربي لغفور رحيم أي لولا مغفرته لفرطاتكم ورحمته إياكم لما نجاكم و
هي تجري بهم متصل بمحذوف دل عليه اركبوا أي فركبوا مسمين وهي تجري وهم فيها في
موج كالجبال في موج من الطوفان وهو ما يرتفع من الماء عند اضطرابه كل موجة منها كالجبل في
تراكمها وارتفاعها وما قيل من أن الماء طبق بين السماء والأرض وكانت السفينة تجري في جوفه ليس بثابت
والمشهور أنه علا شوامخ الجبال خمسة عشر ذراعا وإن صح فلعل ذلك قبل التطبيق ونادى نوح
ابنه كنعان وقرئ ابنها وابنه بحذف الألف على أن الضمير لامرأته وكان ربيبه وقيل كان لغير رشده
لقوله في شأنهما وهو خطأ إذ الأنبياء عصمت من ذلك والمراد بالخيانة الخيانة في الدين وقرئ ابناه
على الندبة ولكونها حكاية سوغ حذف الحرف وكان في معزل عزل فيه نفسه عن أبيه و
عن دينه مفعل للمكان من عزله عنه إذا أبعده يا بني اركب معنا في السفينة والجمهور كسروا الياء
لتدل على ياء الإضافة المحذوفة في جميع القرآن غير ابن كثير فإنه وقف عليها في لقمان في الموضع الأول باتفاق الرواة
وفي الأخير في رواية قنبل وعاصم فإنه فتح هاهنا اقتصارا على الفتح من الألف المبدلة من ياء الإضافة
واختلفت الرواية عنه في سائر المواضع وقد أدغم الباء في الميم أبو عمرو والكسائي وحفص لتقاربهما ولا
تكن مع الكافرين في الدين والاعتزال قال سآوي إلى جبل يعصمني من
الماء أن يغرقني قال لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم إلا الراحم وهو الله تعالى
أو إلا مكان من رحمهم الله وهم المؤمنون رد بذلك أن يكون اليوم معتصم غير الله ونحوه يعصم اللائذ به إلا
معتصم المؤمنين وهو السفينة وقيل لا عاصم بمعنى لا ذا عصمة كقوله عيشة راضية وقيل الاستثناء منقطع
أي لكن من رحمه الله يعصمه وحال بينهما الموج بين نوح وابنه أو بين ابنه والجبل فكان
من المغرقين فصار من المهلكين بالماء وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء
أقلعي نوديا بما ينادى به أولو العلم وأمرا بما يؤمرون به تمثيلا لكمال قدرته وانقيادهما لما يشاء تكوينه فيهما
بالآمر المطاع الذي يأمر المنقاد لحكمه المبادر إلى امتثال أمره مهابة من عظمته وخشية من أليم عقابه والبلع
النشف والإقلاع الإمساك وغيض الماء نقص وقضي الأمر وأنجز ما وعد من إهلاك الكافرين
وإنجاء المؤمنين واستوت واستقرت السفينة على الجودي جبل بالموصل وقيل بالشام وقيل
بآمل روي أنه ركب السفينة عاشر رجب ونزل عنها عاشر المحرم فصام ذلك اليوم وصار سنة وقيل
بعدا للقوم الظالمين هلاكا لهم يقال بعد بعدا وبعدا إذا بعد بعدا بعيدا بحيث لا يرجى عوده
ثم استعير للهلاك وخص بدعاء السوء والآية في غاية الفصاحة لفخامة لفظها وحسن نظمها والدلالة على كنه الحال مع

الإيجاز الخالي عن الإخلال وإيراد الإخبار على البناء للمفعول للدلالة على تعظيم الفاعل وأنه متعين في نفسه مستغن عن
ذكره إذ لا يذهب الوهم إلى غيره للعلم بأن مثل هذه الأفعال لا يقدر عليها سوى الواحد القهار ونادى
نوح ربه وأراد نداءه بدليل عطف قوله فقال رب إن ابني من أهلي فإن النداء و
إن وعدك الحق وإن كل وعد تعده حق لا يتطرق إليه الخلف وقد وعدت أن تنجي أهلي فما
حاله أو فما له لم ينج ويجوز أن يكون هذا النداء قبل غرقه وأنت أحكم الحاكمين لأنك أعلمهم
وأعدلهم أو لأنك أكثر حكمة من ذوي الحكم على أن الحاكم من الحكمة كالدارع من الدرع قال يا نوح إنه
ليس من أهلك لقطع الولاية بين المؤمن والكافر وأشار إليه بقوله إنه عمل غير صالح
فإنه تعليل لنفي كونه من أهله وأصله إنه ذو عمل فاسد فجعل ذاته ذات العمل للمبالغة كقول الخنساء تصف ناقة
ترتع ما رتعت حتى إذا ادكرت فإنما هي إقبال وإدبار ثم بدل الفاسد بغير الصالح تصريحا بالمناقضة
بين وصفيهما وانتفاء ما أوجب النجاة لمن نجا من أهله عنه وقرأ الكسائي ويعقوب إنه عمل أي عمل عملا غير صالح
فلا تسألن ما ليس لك به علم ما لا تعلم أصواب هو أم ليس كذلك وإنما سمى نداءه سؤالا
لتضمن ذكر الموعد بنجاة أهله استنجازه في شأن ولده أو استفسار المانع للإنجاز في حقه وإنما سماه جهلا وزجر
عنه بقوله إني أعظك أن تكون من الجاهلين لأن استثناء من سبق عليه القول من أهله قد دله
على الحال وأغناه عن السؤال لكن أشغله حب الولد عنه حتى اشتبه الأمر عليه وقرأ ابن كثير بفتح اللام والنون الشديدة
وكذا نافع وابن عامر غير أنهما كسرا النون على أن أصله تسألنني فحذفت نون الوقاية لاجتماع النونات وكسرت
الشديدة للياء ثم حذفت اكتفاء بالكسرة وعن نافع إثباتها في الوصل قال رب إني أعوذ بك
أن أسألك فيما يستقبل ما ليس لي به علم ما لا علم لي بصحته وإلا تغفر لي وإن لم
تغفر لي ما فرط مني من السؤال وترحمني بالتوبة والتفضل علي أكن من الخاسرين أعمالا قيل
يا نوح اهبط بسلام منا انزل من السفينة مسلما من المكاره من جهتنا أو مسلما عليك و
بركات عليك ومباركا عليك أو زيادات في نسلك حتى تصير آدما ثانيا وقرئ
اهبط بالضم وبركة على التوحيد وهو آدم الثاني وعلى أمم ممن معك وعلى أمم هم الذين معك
سموا أمما لتحزبهم أو لتشعب الأمم منهم أو وعلى أمم ناشئة ممن معك والمراد بهم المؤمنون لقوله وأمم
سنمتعهم أي وممن معك أمم سنمتعهم في الدنيا ثم يمسهم منا عذاب أليم في الآخرة والمراد بهم
الكفار من ذرية من معه وقيل هم قوم هود ولوط وشعيب والعذاب ما نزل بهم تلك إشارة إلى قصة نوح
ومحلها الرفع بالابتداء وخبرها من أنباء الغيب أي بعضها نوحيها إليك خبر ثان والضمير لها

اى موحاة اليك او خبر من الانباء او هو الخبر وانباء متعلق به او حال من الهاء وما كنت تعلمها انت
ولا قومك من قبل هذا خبر اخر اى مجهولة عندك وعند قومك من قبل ايحائنا اليك او
حال من الهاء فى نوحيها او الكاف فى اليك اى جاهلا انت وقومك بها وفى ذكرهم تنبيه على انه لم يتعلمه اذ
لم يخالط غيرهم وانهم مع كثرتهم لما لم يسمعوه فكيف بواحد منهم فاصبر على مشاق الرسالة واذية
القوم كما صبر نوح ان العاقبة فى الدنيا بالظفر وفى الاخرة بالفوز للمتقين عن الشرك والمعاصى
والى عاد اخاهم هودا عطف على قوله نوحا الى قومه وهودا عطف بيان قال يا قوم
اعبدوا الله وحده ما لكم من اله غيره وقرئ بالجر على المجرور وحده ان انتم الا
مفترون على الله باتخاذ الاوثان شركاء وجعلها شفعاء يا قوم لا اسئلكم عليه
اجرا ان اجرى الا على الذى فطرنى خاطب به كل رسول قومه ازاحة للتهمة وتمحيضا
للنصيحة فانها لا تنجع ما دامت مشوبة بالمطامع افلا تعقلون افلا تستعملون عقولكم فتعرفوا المحق
من المبطل والصواب من الخطا ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه اطلبوا مغفرة
الله بالايمان ثم توسلوا اليها بالتوبة وايضا التبرى من الغير انما يكون بعد الايمان بالله والرغبة فيما عنده يرسل
السماء عليكم مدرارا كثير الدر ويزدكم قوة الى قوتكم ويضاعف قوتكم وانما
رغبهم بكثرة المطر وزيادة القوة لانهم كانوا اصحاب زروع وعمارات وقيل حبس الله عنهم المطر
واعقم ارحام نسائهم ثلث سنين فوعدهم هود على الايمان والتوبة بكثرة الامطار وتضاعف القوة
بالتناسل ولا تتولوا ولا تعرضوا عما ادعوكم اليه مجرمين مصرين على اجرامكم قالوا يا
هود ما جئتنا ببينة بحجة تدل على صحة دعوتك وهو لفرط عنادهم وعدم اعتدادهم بما جاءهم
من المعجزات وما نحن بتاركى الهتنا بتاركى عبادتهم عن قولك صادرين عن قولك
حال من الضمير فى تاركى وما نحن لك بمؤمنين اقناط له من الاجابة والتصديق ان
نقول الا اعتراك ما نقول الا قولنا اعتراك اى اصابك من عراه يعروه اذا اصابه بعض
الهتنا بسوء بجنون لسبك اياها وصدك عنها ومن ذلك تهذى وتتكلم بالخرافات والجملة مقول
القول والا لغو لان الاستثناء مفرغ قال انى اشهد الله واشهدوا انى برئ
مما تشركون من دونه فكيدونى جميعا ثم لا تنظرون اجاب به
عن مقالتهم الحمقاء بان اشهد الله تعالى على براءته من الهتهم وفراغه عن اضرارهم تاكيدا لذلك وتثبيتا له وامرهم
بان يشهدوا عليه استهانة بهم وان يجتمعوا على الكيد فى اهلاكه من غير انظار حتى اذا اجتهدوا فيه وراوا انهم عجزوا

عن اضرارهم وهم الاقوياء الاشداء ان يضروه ولم يبق لهم شبهة ان الهتهم التى هى جماد لا تضر ولا تنفع لا تتمكن من اضراره
انتقاما منه وهذا من جملة معجزاته فان مواجهة الواحد الجم الغفير من الجبابرة الفتاك العطاش الى اراقة دمه بهذا
الكلام ليس الا لثقته بالله وتثبطهم عن اضراره ليس الا لعصمته اياه ولذلك عقبه بقوله انى توكلت
على الله ربى وربكم تقرير له والمعنى انكم وان بذلتم غاية وسعكم لم تضرونى فانى متوكل على الله
واثق بكلائته وهو مالكى ومالككم لا يحيق بى ما لم يرده ولا تقدرون على ما لم يقدره ثم برهن عليه بقوله ما من
دابة الا هو اخذ بناصيتها اى الا وهو مالك لها قادر عليها يصرفها على ما يريد بها والاخذ
بالنواصى تمثيل لذلك ان ربى على صراط مستقيم انه على الحق والعدل لا يضيع عنده
معتصم ولا يفوته ظالم فان تولوا فان تتولوا فقد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم
فقد اديت ما على من الابلاغ والزام الحجة فلا تفريط منى ولا عذر عليكم فقد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم و
يستخلف ربى قوما غيركم استيناف بالوعيد لهم بان الله يهلكهم ويستخلف قوما اخرين
فى ديارهم واموالهم او عطف على الجواب بالفاء ويؤيده القراءة بالجزم على الموضع وكانه قيل وان تتولوا
يعذبنى ويستخلف ولا تضرونه بتوليكم شيئا من الضرر ومن جزم يستخلف اسقط النون منه
ان ربى على كل شئ حفيظ رقيب فلا يخفى عليه اعمالكم ولا يغفل عن مجازاتكم او حافظ مستولى
عليه فلا يمكن ان يضره شئ ولما جاء امرنا عذابنا او امرنا بالعذاب نجينا هودا والذين
امنوا معه برحمة منا وكانوا اربعة الاف ونجيناهم من عذاب غليظ تكرير
لبيان ما نجاهم منه وهو السموم كانت تدخل انوف الكفرة وتخرج من ادبارهم فتقطع اعضاءهم او المراد به
تنجيتهم من عذاب الاخرة ايضا والتعريض بان المهلكين كما عذبوا فى الدنيا بالسموم فهم معذبون فى الاخرة بالعذاب
الغليظ وتلك عاد انث اسم الاشارة باعتبار القبيلة او لان الاشارة الى قبورهم واثارهم
جحدوا بايات ربهم كفروا بها وعصوا رسله لانهم عصوا رسولهم ومن عصى رسولا
فكانما عصى الكل لانهم امروا بطاعة كل رسول واتبعوا امر كل جبار عنيد يعنى كبراءهم
الطاغين وعنيد من عند عندا وعنودا وعندا اذا طغى والمعنى عصوا من دعاهم الى الايمان وما ينجيهم واطاعوا
من دعاهم الى الكفر وما يرديهم واتبعوا فى هذه الدنيا لعنة ويوم القيمة اى جعلت
اللعنة تابعة لهم فى الدارين تكبهم فى العذاب الا ان عادا كفروا ربهم جحدوه او كفروا
نعمه او كفروا به فحذف الجار الا بعدا لعاد دعاء عليهم بالهلاك والمراد بالدعاء عليهم بعد الهلاك
الدلالة على انهم كانوا مستوجبين لما نزل عليهم بسبب ما حكى عنهم وانما كرر الا واعاد ذكرهم تفظيعا لامرهم وحثا

بسم الله

على الاعتبار بحالهم قوم هود عطف بيان لعاد وفائدته تمييزهم عن عاد الثانية عاد ارم والايماء الى ان استحقاقهم للبعد
بما جرى بينهم وبين هود والى ثمود اخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم
من اله غيره هو انشاكم من الارض كونكم منها لا غيره فانه خلق ادم ومواد النطف التي
خلق نسله منها من التراب واستعمركم فيها عمركم فيها واستبقاكم من العمر او اقدركم على
عمارتها وامركم بها وقيل هو من العمرى بمعنى اعمركم فيها دياركم ويرثها منكم بعد انصرام اعماركم او جعلكم معمرين
دياركم تسكنونها مدة عمركم ثم تتركونها لغيركم فاستغفروه ثم توبوا اليه ان ربي قريب
قريب الرحمة مجيب لداعيه قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل
هذا لما نرى فيك من مخايل الرشد والسداد ان تكون لنا سيدا او مستشارا في الامور او ان توافقنا
في الدين فلما سمعنا هذا القول منك انقطع رجاؤنا عنك اتنهانا ان نعبد ما يعبد اباؤنا
على حكاية الحال الماضية واننا لفي شك مما تدعونا اليه من التوحيد والتبري عن الاوثان
مريب موقع في الريبة من ارابه او ذي ريبة على الاسناد المجازي من اراب في الامر قال يا قوم
ارايتم ان كنت على بينة من ربي بيان وبصيرة وحرف الشك باعتبار المخاطبين
واتاني منه رحمة نبوة فمن ينصرني من الله فمن يمنعني من عذابه ان عصيته في
تبليغ رسالته والمنع عن الاشراك به فما تزيدونني اذن باستتباعكم اياي غير تخسير
غير ان تخسروني بابطال ما منحني الله به والتعرض لعذابه او فما تزيدونني بما تقولون لي غير ان انسبكم الى الخسران
ويا قوم هذه ناقة الله لكم اية انتصب اية على الحال وعاملها معنى الاشارة
ولكم حال منها تقدمت عليها لانها نكرة فذروها تاكل في ارض الله ترع نباتها وتشرب
ماءها ولا تمسوها بسوء فياخذكم عذاب قريب عاجل لا يتراخى عن مسكم
لها بالسوء الا يسيرا وهو ثلاثة ايام فعقروها فقال تمتعوا في داركم عيشوا
في منازلكم او في داركم الدنيا ثلثة ايام الاربعاء والخميس والجمعة ثم تهلكون ذلك وعد
غير مكذوب اي غير مكذوب فيه فاتسع فيه باجرائه مجرى المفعول به كقوله ويوم شهدناه
سليما وعامرا او غير مكذوب على المجاز وكان الواعد قال له افي بك فان وفى به صدقه والا كذبه
او وعد غير كذب على انه مصدر كالمجلود والمعقول فلما جاء امرنا نجينا صالحا و
الذين امنوا معه برحمة منا ومن خزي يومئذ اي ونجيناهم من
خزي يومئذ وهو هلاكهم بالصيحة او ذلهم وفضيحتهم يوم القيمة وعن نافع يومئذ بالفتح على اكتساب المضاف

البناء من المضاف اليه هنا وفي المعارج في قوله من عذاب يومئذ ان ربك هو القوي العزيز القادر
على كل شيء والغالب عليه واخذ الذين ظلموا الصيحة فاصبحوا في ديارهم جاثمين
قد سبق تفسير ذلك في سورة الاعراف كان لم يغنوا فيها الا ان ثمود كفروا ربهم نونه
ابو بكر هنا وفي النجم والكسائي في جميع القران وابن كثير ونافع وابن عامر وابو عمرو في قوله الا بعدا لثمود ذهابا الى الحي
او الاب الاكبر ولقد جاءت رسلنا ابراهيم يعني الملائكة قيل كانوا تسعة وقيل ثلثة جبريل و
ميكائيل واسرافيل بالبشرى ببشارة الولد وقيل بهلاك قوم لوط قالوا سلاما سلمنا عليك سلاما
ويجوز نصبه بقالوا على معنى ذكروا سلاما قال سلام اي امركم او جوابي سلام او وعليكم سلام رفعه اجابة باحسن
من تحيتهم وقرا حمزة والكسائي سلم وكذلك في الذاريات وهما لغتان كحرم وحرام وقيل المراد به الصلح فما لبث
ان جاء بعجل حنيذ فما ابطا مجيئه به او فما ابطا في المجيء به او فما تاخر عنه والجار مقدر او محذوف والحنيذ
المشوي بالرضف وقيل الذي يقطر ودكه من حنذت الفرس اذا عرقته بالجلال لقوله بعجل سمين فلما راى
ايديهم لا تصل اليه لا يمدون اليه ايديهم نكرهم واوجس منهم خيفة انكر
ذلك منهم وخاف ان يريدوا به مكروها ونكر وانكر واستنكر بمعنى والايجاس الادراك وقيل الاضمار قالوا
له لما احسوا منه اثر الخوف لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط انا ملائكة مرسلة اليهم بالعذاب وانما
لم نمد اليه ايدينا لانا لا ناكل وامراته قائمة وراء الستر تسمع محاورتهم او على رؤوسهم للخدمة فضحكت
سرورا بزوال الخيفة او بهلاك اهل الفساد او باصابة رايها فانها كانت تقول لابراهيم اضمم اليك لوطا
فاني اعلم ان العذاب ينزل بهؤلاء القوم وقيل فضحكت فحاضت قال وعهدي بسلمى ضاحكا في لبانة ولم تعد
حقا ثديها ان يحلما ومنه ضحكت الشجرة اذا سال صمغها وقرئ بفتح الحاء فبشرناها باسحق ومن
وراء اسحق يعقوب نصبه ابن عامر وحمزة وحفص بفعل يفسره ما دل عليه الكلام وتقديره ووهبنا
من وراء اسحق يعقوب وقيل انه معطوف على موضع باسحق او على لفظ اسحق وفتحته للجر فانه غير مصروف ورد للفصل
بينه وبين ما عطف عليه بالظرف وقرا الباقون بالرفع على انه مبتدا وخبره الظرف اي ويعقوب مولود
من بعده وقيل الوراء ولد الولد ولعله سمي به لانه بعد الولد وعلى هذا تكون اضافته الى اسحق ليس من حيث ان يعقوب
وراءه بل من حيث انه وراء ابراهيم من جهته وفيه نظر والاسمان يحتمل وقوعهما في البشارة كيحيى ويحتمل وقوعهما في
الحكاية بعد ان ولدا فسميا به وتوجيه الاشارة اليها للدلالة على ان الولد المبشر به يكون منها لا من هاجر ولانها كانت
عقيمة حريصة على الولد قالت يا ويلتى يا عجبا واصله في الشر فاطلق على كل امر فظيع وقرئ بالياء على
الاصل االد وانا عجوز ابنة تسعين او تسع وتسعين وهذا بعلي زوجي واصله القائم بالامر

شيخا ابن مائة او مائة وعشرين ونصبه على الحال والعامل فيها معنى اسم الاشارة وقرئ بالرفع على انه خبر محذوف اي
هو شيخ او خبر بعد خبر او هو الخبر وبعلي بدل ان هذا لشيء عجيب يعني الولد من هرمين وهو استعجاب
من حيث العادة دون القدرة ولذلك قالوا أتعجبين من امر الله رحمت الله و
بركاته عليكم اهل البيت منكرين عليها فان خوارق العادات باعتبار اهل بيت
النبوة ومهبط المعجزات وتخصيصهم بمزيد النعم والكرامات ليس ببدع ولا حقيق بان يستغربه عاقل فضلا عمن
نشأت وشابت في ملاحظة الآيات واهل البيت نصب على المدح او النداء لقصد التخصيص كقولهم اللهم اغفر
لنا ايتها العصابة انه حميد فاعل ما يستوجب به الحمد مجيد كثير الخير والاحسان فلما ذهب
عن ابراهيم الروع ... من الخيفة واطمأن قلبه بعرفانهم وجاءته البشرى بدل
الروع يجادلنا في قوم لوط يجادل رسلنا في شأنهم ومجادلته اياهم قوله ان فيها لوطا وهو اما جواب
لما جيء به مضارعا على حكاية الحال او لانه في سياق الجواب بمعنى الماضي كجواب لو او دليل جوابه المحذوف
مثل اجترأ على خطابنا او شرع في ... ومتعلق به اقيم مقامه مثل اخذ او اقبل يجادلنا ان ابراهيم
لحليم غير عجول ... من المسيء اليه اواه كثير التأوه من الذنوب والتأسف على الناس
منيب راجع ... بيان الحامل له على المجادلة وهو رقة قلبه وفرط ترحمه يا ابراهيم
على ارادة القول اي قالت الملائكة يا ابراهيم اعرض عن هذا الجدال انه قد جاء امر ربك
قدره بمقتضى قضائه الازلي بعذابهم وهو اعلم بحالهم وانهم آتيهم عذاب غير مردود
مصروف بجدال ولا دعاء ولا غير ذلك ولما جاءت رسلنا لوطا سيء بهم ساءه
مجيئهم لانهم جاؤوا في صورة غلمان فظن انهم اناس فخاف ان يقصدهم قومه فيعجز عن مدافعتهم و
ضاق بهم ذرعا وضاق بمكانهم صدره وهو كناية عن شدة الانقباض للعجز عن مدافعة المكروه
والاحتيال فيه وقال هذا يوم عصيب شديد من عصبه اذا شده وجاءه قومه
يهرعون اليه يسرعون اليه كانهم يدفعون دفعا لطلب الفاحشة من اضيافه ومن قبل
قبل ذلك الوقت كانوا يعملون السيئات الفواحش فتمرنوا بها ولم يستحيوا منها حتى جاؤوا
يهرعون لها مجاهرين قال يا قوم هؤلاء بناتي فدى بهن اضيافه كرما وحمية والمعنى هؤلاء
بناتي فتزوجوهن وكانوا يطلبونهن من قبل فلا يجيبهم لخبثهم وعدم كفاءتهم لا لحرمة المسلمات على الكفار فانه شرع طارئ او
مبالغة في تناهي خبث ما يرومونه حتى ان ذلك اهون منه او اظهارا لشدة امتعاضه من ذلك كي يرقوا له
وقيل المراد بالبنات نساؤهم فان كل نبي ابو امته من حيث الشفقة والتربية وفي حرف ابن مسعود وازواجه

اطهر لكم انظف فعلا او اقل فحشا كقولك الميتة اطيب من المغصوب
واحل منه وقرئ اطهر بالنصب على الحال على ان هن خبر بناتي كقولك هذا اخي هو فانه لا يقع بين الحال وصاحبها
فاتقوا الله بترك الفواحش او بايثارهن عليهم ولا تخزون ولا تفضحوني من الخزي او ولا تخجلوني من
الخزاية بمعنى الحياء في ضيفي في شأنهم فان اخزاء ضيف الرجل اخزاؤه أليس منكم رجل
رشيد يهتدي الى الحق ويرعوي عن القبيح قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق
حاجة وانك لتعلم ما نريد وهو اتيان الذكران قال لو ان لي بكم قوة لو قويت بنفسي على دفعكم
او آوي الى ركن شديد الى قوي اتمنع به عنكم شبهه بركن الجبل في شدته وعن النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله
اخي لوطا كان ياوي الى ركن شديد وقرئ او آوي بالنصب باضمار ان كانه قال لو ان لي بكم قوة او اويا وجواب
لو محذوف تقديره لدفعتكم روي انه اغلق بابه دون اضيافه واخذ يجادلهم من وراء الباب فتسوروا الجدار فلما
رأت الملائكة ما على لوط من الكرب قالوا يا لوط انا رسل ربك لن ... يصلوا
الى اضرارك باضرارنا فهون عليك ودعنا واياهم فخلاهم ان يدخلوا فضرب
فطمس اعينهم واعماهم فخرجوا يقولون النجاء النجاء فان في بيت لوط سحرة فاسر باهلك بالقطع من الاسراء
وقرأ ابن كثير ونافع بالوصل حيث جاء في القرآن من السرى بقطع من الليل بطائفة منه ولا يلتفت
منكم احد ولا يتخلف او لا ينظر الى ورائه والنهي في اللفظ لاحد وفي المعنى للوط الا امرأتك
استثناء من قوله فاسر باهلك ويدل عليه انه قرئ فاسر باهلك بقطع من الليل الا امرأتك وهذا انما يصح على
تأويل الالتفات بالتخلف فانه ان فسر بالنظر الى الوراء في الذهاب ناقض قراءة ابن كثير وابي عمرو بالرفع
على البدل من احد ولا يجوز حمل القراءتين على الروايتين في انه خلفها مع قومها او اخرجها فلما سمعت صوت العذاب
التفتت فقالت واقوماه فادركها حجر فقتلها لان القواطع لا يصح حملها على المعاني المتناقضة والاولى جعل الاستثناء في
القراءتين من قوله ولا يلتفت مثله في قوله ما فعلوه الا قليل ولا يبعد ان يكون اكثر القراء على غير الافصح ولا يلزم
من ذلك امرها بالالتفات بل عدم نهيها عنه استصلاحا ولذلك علله على طريقة الاستئناف بقوله انه
مصيبها ما اصابهم ولا يحسن جعل الاستثناء منقطعا على قراءة الرفع ان موعدهم الصبح كانه علة
الامر بالاسراء أليس الصبح بقريب جواب لاستعجال لوط واستبطائه العذاب فلما جاء امرنا
عذابنا او امرنا به ويؤيده الاصل وجعل التعذيب مسببا عنه بقوله جعلنا عاليها سافلها فانه جواب
لما وكان حقه جعلوا عاليها اي الملائكة المامورون به فاسند الى نفسه من حيث انه المسبب تعظيما للامر فانه روي ان جبريل
ادخل جناحه تحت مدائنهم ورفعها الى السماء حتى سمع اهل السماء نباح الكلاب وصياح الديكة ثم قلبها عليهم وامطرنا

عليها على المدن او على شذاذها حجارة من سجيل من طين متحجر لقوله حجارة من طين واصله سنك كل
فعرب وقيل انه من اسجله اذا ارسله او ادر عطيته والمعنى من مثل الشيء المرسل او مثل العطية في الادرار
او من السجل اي مما كتب الله ان يعذبهم به وقيل اصله من سجين اي من جهنم وابدلت نونه لاما منضود
نضد معدا لعذابهم او نضد في الارسال بتتابع بعضه بعضا كقطار الامطار او نضد بعضه على بعض و
الصق به مسومة معلمة للعذاب وقيل معلمة ببياض وحمرة او بسيما تتميز به عن حجارة الارض او
باسم من يرمى به عند ربك في خزائنه وما هي من الظالمين ببعيد فانهم بظلمهم
حقيق بان تمطر عليهم وفيه وعيد لكل ظالم وعنه عم انه سال جبريل عم فقال يعني ظالمي امتك ما من ظالم منهم الا
وهو بعرض حجر يسقط عليه من ساعة الى ساعة وقيل الضمير للقرى التي هي قريبة من ظالمي مكة يمرون بها في
اسفارهم الى الشام وتذكير البعيد على تاويل الحجر او المكان والى مدين اخاهم شعيبا اراد
اولاد مدين بن ابراهيم عم او اهل مدين وهو بلد بناه فسمي باسمه قال يا قوم اعبدوا الله ما
لكم من اله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان امرهم بالتوحيد اولا
فانه ملاك الامر ثم نهاهم عما اعتادوه من البخس المنافي للعدل المخل بحكمة التعاوض اني اريكم بخير
بسعة تغنيكم عن البخس او بنعمة حقها ان تتفضلوا على الناس شكرا عليها لا ان تنقصوا حقوقهم او بسعة فلا تزيلوها
بما انتم عليه وهو في الجملة علة النهي واني اخاف عليكم عذاب يوم محيط لا يشذ منه
احد منكم وقيل عذاب مهلك من قوله واحيط بثمره والمراد عذاب يوم القيمة او عذاب الاستيصال
وتوصيف اليوم بالاحاطة وهي صفة العذاب لاشتماله عليه ويا قوم اوفوا المكيال
والميزان صرح الامر بالايفاء بعد النهي عن ضده مبالغة وتنبيها على انه لا يكفيهم الكف عن تعمد التطفيف
بل يلزمهم السعي في الايفاء ولو بزيادة لا يتاتى دونها بالقسط بالعدل والسوية من غير زيادة ونقصان
فان الازدياد ايفاء وهو مندوب غير مامور به وقد يكون محظورا ولا تبخسوا الناس اشياءهم
تعميم بعد تخصيص فانه اعم من ان يكون في المقدار او في غيره وكذا قوله ولا تعثوا في الارض
مفسدين فان العثو يعم تنقيص الحقوق وغيره من انواع الفساد وقيل المراد بالبخس المكس كاخذ
العشور من المعاملة والعثو السرقة وقطع الطريق والغارة وفائدة الحال اخراج ما يقصد به الاصلاح
كما فعله الخضر عم وقيل معناه ولا تعثوا في الارض مفسدين امر دينكم ومصالح اخرتكم بقية الله
ما ابقاه لكم من الحلال بعد التنزه عما حرم عليكم خير لكم مما تجمعون بالتطفيف ان
كنتم مؤمنين بشرط ان تؤمنوا فان خيريتها باستتباع الثواب مع النجاة وذلك مشروط

بالايمان او ان كنتم مصدقين لي في قولي لكم وقيل البقية الطاعة لقوله والباقيات الصالحات وقرئ تقية الله وهي تقواه التي تكف
عن المعاصي وما انا عليكم بحفيظ احفظكم عن القبائح او احفظ عليكم اعمالكم فاجازيكم عليها وانما انا ناصح
مبلغ وقد اعذرت حين انذرت او لست بحافظ عليكم نعم الله لو لم تتركوا سوء صنيعكم قالوا يا
شعيب اصلوتك تامرك ان نترك ما يعبد اباؤنا من الاصنام اجابوا به امرهم
بالتوحيد على الاستهزاء به والتهكم بصلوته والاشعار بان مثله لا يدعو اليه داع عقلي وانما دعاك اليه خطرات
ووساوس من جنس ما تواظب عليه وكان كثير الصلوة ولذلك جمعوا وخصوا بالذكر وقرا حمزة والكسائي وحفص
على الافراد والمعنى اصلوتك تامرك بتكليف ان نترك فحذف المضاف لان الرجل لا يؤمر بفعل غيره او
ان نفعل في اموالنا ما نشاء عطف على ما اي وان نترك فعلنا ما نشاء في اموالنا وقرئ بالتاء
فيهما على ان العطف على ان نترك وهو جواب النهي عن التطفيف والامر بالايفاء وقيل كان ينهاهم عن تقطيع
الدراهم والدنانير فارادوا به ذلك انك لانت الحليم الرشيد تهكموا به وقصدوا وصفه
بضد ذلك او عللوا انكار ما سمعوا منه واستبعاده بانه موسوم بالحلم والرشد المانعين عن المبادرة
الى مثل ذلك قال يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربي اشارة الى ما اتاه الله
من العلم والنبوة ورزقني منه رزقا حسنا اشارة الى ما اتاه الله من المال الحلال وجواب
الشرط محذوف تقديره فهل يسع لي مع هذا الانعام الجامع للسعادات الروحانية والجسمانية ان اخون في وحيه
واخالفه في امره ونهيه وهو اعتذار عما انكروا عليه من تغيير المالوف والنهي عن دين الاباء والضمير في منه لله اي
من عنده واعانته بلا كد مني في تحصيله وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه اي وما اريد
ان اتي ما انهاكم عنه لاستبد به فلو كان صوابا لاثرته ولم اعرض عنه فضلا ان انهى عنه يقال خالفت زيدا
الى كذا اذا قصدته وهو مول عنه وخالفته عنه اذا كان الامر بالعكس ان اريد الا الاصلاح ما
استطعت ما اريد الا ان اصلحكم بامري بالمعروف ونهيي عن المنكر ما دمت استطيع الاصلاح فلو
وجدت الصلاح فيما انتم عليه لما نهيتكم عنه ولهذه الاجوبة الثلثة على هذا النسق شان وهو التنبيه على ان
العاقل يجب ان يراعي في كل ما ياتيه ويذره احد حقوق ثلثة اهمها واعلاها حق الله وثانيها حق النفس
وثالثها حق الناس وكل ذلك يقتضي ان امركم بما امرتكم به وانهاكم عما نهيتكم عنه وما مصدرية واقعة موقع الظرف
وقيل خبرية بدل من الاصلاح اي المقدار الذي استطعته او اصلاح ما استطعته فحذف المضاف وما توفيقي
الا بالله وما توفيقي لاصابة الحق والصواب الا بهدايته ومعونته عليه توكلت فانه القادر
المتمكن من كل شيء وما عداه عاجز في حد ذاته بل معدوم ساقط عن درجة الاعتبار وفيه اشارة الى محض التوحيد الذي

هو اقصى مراتب العلم بالمبدا واليه انيب اشارة الى معرفة المعاد وهو ايضا يفيد الحصر بتقديم الصلة
على الفعل وفي هذه الكلمات طلب التوفيق لاصابة الحق فيما ياتيه ويذره من الله والاستعانة به في مجامع امره والاقبال
عليه بشراشره وحسم اطماع الكفار واظهار الفراغ عنهم وعدم المبالاة بمعاداتهم وتهديدهم بالرجوع الى الله
للجزاء ويا قوم لا يجرمنكم لا يكسبنكم شقاقي معاداتي ان يصيبكم مثل ما
اصاب قوم نوح من الغرق او قوم هود من الريح او قوم صالح من الرجفة
وان بصلتها ثاني مفعولي جرم فانه يعدى الى واحد والى اثنين ككسب وعن ابن كثير يجرمنكم بالضم وهو منقول
من المتعدي الى مفعول والاول افصح فان اجرم اقل دورانا على السنة الفصحاء وقرئ مثل بالفتح لاضافته
الى المبني كقوله لم يمنع الشرب منها غير ان نطقت حمامة في غصون ذات اوقال وما قوم
لوط منكم ببعيد زمانا او مكانا فان لم تعتبروا بمن قبلهم فاعتبروا بهم او ليسوا ببعيد منكم في
الكفر والمساوي فلا يبعد عنكم ما اصابهم وافراد البعيد لان المراد وما اهلاكهم او وما هم بشيء بعيد ولا يبعد ان
يسوى في امثاله بين المذكر والمؤنث لانها على زنة المصادر كالصهيل والشهيق واستغفروا
ربكم ثم توبوا اليه عما انتم عليه ان ربي رحيم عظيم الرحمة للتائبين ودود
فاعل بهم من اللطف والاحسان ما يفعل البليغ المودة بمن يوده وهو وعد على التوبة بعد الوعيد على
الاصرار قالوا يا شعيب ما نفقه ما نفهم كثيرا مما تقول كوجوب
التوحيد وحرمة البخس وما ذكرت دليلا عليهما وذلك لقصور عقلهم وعدم تفكرهم وقيل قالوا ذلك
استهانة بكلامه او لانهم لم يلقوا اليه اذهانهم لشدة نفرتهم عنه وانا لنراك فينا ضعيفا لا قوة
لك فتمتنع منا ان اردنا بك سوءا او مهينا لا عز لك وقيل اعمى بلغة حمير وهو مع عدم مناسبته يرده التقييد
بالظرف ومنع بعض المعتزلة استنباء الاعمى قياسا على القضاء والشهادة والفرق بين ولولا رهطك
قومك وعزتهم عندنا لكونهم على ملتنا لا لخوف من شوكتهم فان الرهط من الثلاثة الى العشرة وقيل الى
السبعة لرجمناك لقتلناك برمي الحجارة او باصعب وجه وما انت علينا بعزيز فتمنعنا
عزتك عن الرجم وهذا ديدن السفيه المحجوج يقابل الحجج والآيات بالسب والتهديد وفي ايلاء ضميره حرف النفي تنبيه
على ان الكلام فيه لا في ثبوت العزة وان المانع لهم عن ايذائه عزة قومه ولذلك قال يا قوم ارهطي
اعز عليكم من الله واتخذتموه وراءكم ظهريا وجعلتموه كالمنسي المنبوذ
وراء الظهر باشراككم به والاهانة برسوله فلا تبقون الله وتبقون على رهطي وهو يحتمل الانكار والتوبيخ
والرد والتكذيب وظهري منسوب الى الظهر والكسر من تغييرات النسب ان ربي بما تعملون

محيط فلا يخفى منها فيجازي عليها ويا قوم اعملوا على مكانتكم اني عامل فسوف
تعلمون من ياتيه عذاب يخزيه سبق مثله في سورة الانعام والفاء في فسوف تعلمون ثمة
للتصريح بان الاصرار والتمكن فيما عليه سبب لذلك وحذفها هاهنا لانه جواب سائل قال فماذا يكون بعد ذلك
فهو ابلغ في التهويل ومن هو كاذب عطف على من ياتيه لا لانه قسيم له كقولك ستعلم الكاذب و
الصادق بل لانهم لما اوعدوه وكذبوه قال سوف تعلمون من المعذب والكاذب مني ومنكم وقيل كان
قياسه ومن هو صادق لينصرف الاول اليهم والثاني اليه لكنهم لما كانوا يدعونه كاذبا قال ومن هو كاذب على زعمهم و
ارتقبوا اني معكم رقيب منتظر فعيل بمعنى الراقب كالصريم او المراقب كالعشير او المرتقب
كالرفيع ولما جاء امرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا انما ذكره
بالواو كما في قصة عاد اذ لم يسبقه ذكر وعد يجري مجرى السبب له بخلاف قصتي صالح ولوط فانه ذكر بعد الوعد
وذلك قوله وعد غير مكذوب وقوله ان موعدهم الصبح ولذلك جاء بفاء السببية فاخذت الذين
ظلموا الصيحة قيل صاح بهم جبريل فهلكوا فاصبحوا في ديارهم جاثمين ميتين واصل
الجثوم اللزوم في المكان كان لم يغنوا فيها كان لم يقيموا فيها الا بعدا لمدين كما
بعدت ثمود شبههم بهم لان عذابهم كان ايضا بالصيحة غير ان صيحتهم كانت من تحتهم وصيحة مدين كانت
من فوقهم وقرئ بعدت بالضم على الاصل فان الكسر تغير لتخصيص معنى البعد بما يكون بسبب الهلاك والبعد مصدر
لهما والبعد مصدر المكسور ولقد ارسلنا موسى بآياتنا بالتوراة او المعجزات وسلطان
مبين وهو المعجزات القاهرة او العصا وافرادها بالذكر لانها ابهرها ويجوز ان يراد بهما واحد اي ولقد ارسلناه
بالجامع بين كونه آياتنا وسلطانا له على نبوته واضحا في نفسه او موضحا اياها فان ابان جاء لازما ومتعديا والفرق
بينهما ان الآية تعم الامارة والدليل القاطع والسلطان يخص القاطع والمبين يخص ما فيه جلاء الى فرعون
وملائه فاتبعوا امر فرعون فاتبعوا امره بالكفر بموسى او فما اتبعوا موسى الهادي الى الحق
المؤيد بالمعجزات القاهرة الباهرة واتبعوا طريقة فرعون المنهمك في الضلال والطغيان الداعي الى ما لا يخفى
فساده على من له ادنى مسكة من العقل لفرط جهالتهم وعدم استبصارهم وما امر فرعون برشيد
مرشد او ذي رشد وانما هو غي محض وضلال صريح يقدم قومه يوم القيامة الى النار كما كان يقدمهم
في الدنيا الى الضلال يقال قدم بمعنى تقدم فاوردهم النار ذكره بلفظ الماضي مبالغة في تحقيقه و
نزل النار لهم منزلة الماء فسمى اتيانها موردا ثم قال وبئس الورد المورود اي بئس المورد الذي
وردوه فانه يراد لتبريد الاكباد وتسكين العطش والنار بالضد والآية كالدليل على قوله وما امر فرعون برشيد

فانتظروا انا [illegible]

ولا نجح من عاقبته لم يكن في امره رشد او تعريض بان المراد بالرشيد ما يكون مأمون العاقبة حميدها واتبعوا
في هذه اي الدنيا لعنة ويوم القيمة اي يلعنون في الدنيا والاخرة بئس الرفد
المرفود بئس العون المعان او العطاء المعطى واصل الرفد ما يضاف الى غيره ليعمده والمخصوص بالذم
محذوف اي رفدهم وهو اللعنة في الدارين ذلك اي ذلك النبأ من انباء القرى المهلكة
نقصه عليك مقصوص عليك منها قائم من تلك القرى باق كالزرع القائم و
حصيد ومنها عافي الاثر كالزرع المحصود والجملة مستانفة وقيل حال من الهاء في نقصه وليس
بصحيح اذ لا واو ولا ضمير وما ظلمناهم بالاهلاك ولكن ظلموا انفسهم بان
عرضوها له بارتكاب ما يوجبه فما اغنت عنهم فما نفعتهم ولا قدرت ان تدفع عنهم
الهتهم التي يدعون من دون الله من شيء لما جاء امر ربك حين جاء
عذابه ونقمته وما زادوهم غير تتبيب هلاك او تخسير وكذلك ومثل ذلك
الاخذ اخذ ربك وقرئ اخذ ربك بالفعل وعلى هذا يكون محل الكاف النصب على المصدر اذا
اخذ القرى اي اهلها وقرئ اذ لان المعنى على المضي وهي ظالمة حال من القرى وهي في الحقيقة
لاهلها لكنها لما اقيمت مقامه اجريت عليها وفائدتها الاشعار بانهم اخذوا لظلمهم وانذار كل ظالم ظلم
نفسه او غيره من وخامة العاقبة ان اخذه اليم شديد وجيع غير مرجو الخلاص عنه وهو مبالغة
في التهديد والتحذير ان في ذلك اي فيما نزل بالامم الهالكة او فيما قصه الله من قصصهم لاية لعبرة
لمن خاف عذاب الاخرة يعتبر به عظة لعلمه بان ما حاق بهم انموذج مما اعد الله للمجرمين في الاخرة
او ينزجر به عن موجباته لعلمه بانه من اله مختار يعذب من يشاء ويرحم من يشاء فان من انكر الاخرة واحال
فناء هذا العالم لم يقل بالفاعل المختار وجعل تلك الوقائع لاسباب فلكية اتفقت في تلك
الايام لا لذنوب المهلكين بها ذلك اشارة الى يوم القيمة وعذاب الاخرة دل عليه يوم مجموع
له الناس اي يجمع له الناس والتغيير للدلالة على ثبات معنى الجمع لليوم وانه من شانه لا محالة و
ان الناس لا ينفكون عنه وهو ابلغ من قوله يوم يجمعكم ليوم الجمع ومعنى الجمع له الجمع لما فيه من المحاسبة والمجازاة
وذلك يوم مشهود اي مشهود فيه اهل السموات والارضين فاتسع فيه باجراء الظرف مجرى
المفعول به كقوله في محفل من نواصي الناس مشهود اي كثير شاهدوه ولو جعل اليوم مشهودا في نفسه لبطل الغرض
من تعظيم اليوم وتمييزه فان سائر الايام كذلك وما نؤخره اي اليوم الا لاجل معدود
الا لانتهاء مدة معدودة متناهية على حذف المضاف والمراد مدة التاجيل كلها بالاجل لا منتهاها فانه غير معدود

يوم يات اي الجزاء او اليوم كقوله ان تأتيهم الساعة على ان يوم بمعنى حين او الله عز وجل كقوله هل ينظرون
الا ان ياتيهم الله ونحوه وقرا ابن عامر وعاصم وحمزة يات بحذف الياء اجتزاء عنها بالكسرة لا تكلم
نفس لا تتكلم بما ينفع وينجي من جواب او شفاعة وهو الناصب للظرف ويحتمل نصبه باضمار اذكر او
بالانتهاء المحذوف الا باذنه الا باذن الله كقوله لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وهذا في موقف وقوله
هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون في موقف اخر او الماذون فيه هي الجوابات الحقة والممنوع عنه هي الاعذار
الباطلة فمنهم شقي وجبت له النار بمقتضى الوعيد وسعيد وجبت له الجنة بموجب الوعد و
الضمير لاهل الموقف وان لم يذكر لانه معلوم مدلول عليه بقوله لا تكلم نفس او للناس فاما الذين
شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق الزفير اخراج النفس والشهيق رده واستعمالهما في
اول النهيق واخره والمراد بهما الدلالة على شدة كربهم وغمهم وتشبيه حالهم بمن استولت الحرارة على قلبه وانحصر فيه
روحه او تشبيه صراخهم باصوات الحمير وقرئ شقوا بالضم خالدين فيها ما دامت السموات و
الارض ليس لارتباط دوامهم في النار بدوامهما فان النصوص دالة على تابيد دوامهم وانقطاع دوامهما بل
للتعبير عن التابيد والمبالغة بما كانت العرب يعبرون به عنه على سبيل التمثيل ولو كان للارتباط لم يلزم ايضا من
زوال السموات والارض زوال عذابهم ولا من دوامهما دوامه الا من قبيل المفهوم لان دوامهما كالملزوم لدوامه
وقد عرفت ان المفهوم لا يقاوم المنطوق وقيل المراد سموات الاخرة وارضها ويدل عليه قوله تعالى يوم تبدل الارض
غير الارض والسموات وان اهل الاخرة لا بد لهم من مظل ومقل وفيه نظر لانه تشبيه بما لا يعرف اكثر الخلق وجوده و
دوامه ومن عرفه فانما يعرفه بما يدل على دوام الثواب والعقاب فلا يجدي له التشبيه الا ما شاء ربك
استثناء من الخلود في النار لان بعضهم وهم فساق الموحدين يخرجون منها وذلك كاف في صحة الاستثناء لان زوال
الحكم عن الكل يكفيه زواله عن البعض وهم المراد بالاستثناء الثاني فانهم مفارقون عن الجنة ايام عذابهم فان التابيد
من مبدأ معين ينتقض باعتبار الابتداء كما ينتقض باعتبار الانتهاء وهؤلاء وان شقوا بعصيانهم فقد سعدوا بايمانهم
ولا يقال فعلى هذا لم يكن قوله فمنهم شقي وسعيد تقسيما صحيحا لان من شرطه ان يكون صفة كل قسم منتفية عن قسيمه لان ذلك
الشرط حيث التقسيم لانفصال حقيقي او مانع من الجمع وههنا المراد ان اهل الموقف لا يخرجون عن القسمين وان
حالهم لا يخلو عن السعادة والشقاوة وذلك لا يمنع اجتماع الامرين في شخص باعتبارين او لان اهل النار ينقلون منها
الى الزمهرير وغيره من العذاب احيانا وكذلك اهل الجنة ينعمون بما هو اعلى من الجنة كالاتصال بجناب
القدس والفوز برضوان الله ولقائه او من اصل الحكم والمستثنى زمان توقفهم في الموقف للحساب لان
ظاهره يقتضي ان يكونوا في النار حين ياتي اليوم او مدة لبثهم في الدنيا والبرزخ ان كان الحكم مطلقا غير مقيد باليوم

وعلى هذا التاويل يحتمل ان يكون الاستثناء من الخلود على ما عرفت وقيل هو من قوله لهم فيها زفير وشهيق وقيل الا ههنا بمعنى سوى
كقولك على الف درهم الا الالفان القديمان والمعنى سوى ما شاء ربك من الزيادة التي لا اخر لها على مدة بقاء
السموات والارض ان ربك فعال لما يريد من غير اعتراض واما الذين سعدوا
ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء
ربك عطاء غير مجذوذ غير مقطوع وهو تصريح بان الثواب لا ينقطع وتنبيه على ان المراد من الاستثناء
ليس الانقطاع ولاجله فرق بين الثواب والعقاب بالتأبيد وقرأ حمزة والكسائي وحفص سعدوا على البناء للمفعول
من سعده الله بمعنى اسعده وعطاء نصب على المصدر المؤكد اي اعطوا عطاء او الحال من الجنة فلا تك
في مرية شك بعد ما انزل عليك من مآل الناس مما يعبد هؤلاء من عبادة هؤلاء المشركين في
انها ضلال مؤد الى مثل ما حل بمن قبلهم ممن قصصت عليك سوء عاقبة عبادتهم او من حال ما يعبدونه في انه لا يضر
ولا ينفع ما يعبدون الا كما يعبد اباؤهم من قبل استئناف معناه تعليل
النهي عن المرية اي هم واباؤهم سواء في الشرك اي ما يعبدون عبادة الا كعبادة ابائهم او ما يعبدون شيئا الا مثل ما
عبدوه من الاوثان وقد بلغك ما لحق اباءهم من ذلك فسيلحقهم مثله لان التماثل في الاسباب يقتضي التماثل في
المسببات ومعنى كما يعبد كما كان يعبد فحذف لدلالة قبل عليه وانا لموفوهم نصيبهم حظهم من العذاب
كابائهم او من الرزق فيكون عذرا لتأخر العذاب عنهم مع قيام ما يوجبه غير منقوص حال من النصيب
لتقييد التوفية فانك تقول وفيته حقه وتريد به وفاء بعضه ولو مجازا ولقد اتينا موسى الكتاب
فاختلف فيه فآمن به قوم وكفر به قوم كما اختلف هؤلاء في القران ولولا كلمة
سبقت من ربك يعني كلمة الانظار الى يوم القيمة لقضي بينهم بانزال ما يستحقه المبطل ليتميز
به عن المحق وانهم وان كفار قومك لفي شك منه من القران مريب موقع للريبة
وان كلا وان كل المختلفين المؤمنين منهم والكافرين والتنوين بدل من المضاف اليه وقرأ
ابن كثير ونافع وابو بكر بالتخفيف مع الاعمال اعتبارا للاصل لما ليوفينهم ربك اعمالهم اللام
الاولى موطئة للقسم والثانية للتاكيد او بالعكس وما مزيدة بينهما للفصل وقرأ ابن عامر وحمزة وعاصم
لما بالتشديد على ان اصله لمن ما فقلبت النون ميما للادغام فاجتمعت ثلاث ميمات فحذفت اولاهن والمعنى لمن الذين
يوفينهم ربك جزاء اعمالهم وقرئ لما بالتنوين اي جميعا كقوله اكلا لما وان كل لما على ان ان نافية ولما بمعنى
الا وقرئ به انه بما يعملون خبير فلا يفوته شيء منه وان خفي فاستقم كما
امرت لما بين امر المختلفين في التوحيد والنبوة واطنب في شرح الوعد والوعيد امر رسوله صلى الله عليه وسلم بالاستقامة

مثل ما امر بها وهي شاملة للاستقامة في العقائد كالتوسط بين التشبيه والتعطيل بحيث يبقى العقل مصونا من
الطرفين والاعمال من تبليغ الوحي وبيان الشرائع كما انزل والقيام بوظائف العبادات من غير تفريط وافراط مفوت
للحقوق ونحوها وهي في غاية العسر ولذلك قال عليه السلام شيبتني سورة هود ومن تاب معك اي ومن
تاب من الشرك والكفر وامن معك وهو عطف على المستكن في استقم وان لم يؤكد بمنفصل لقيام الفاصل
مقامه ولا تطغوا ولا تخرجوا عما حد لكم انه بما تعملون بصير فهو مجازيكم عليه وهو
في معنى التعليل للامر والنهي وفي الاية دليل على وجوب اتباع النصوص من غير تصرف وانحراف
بمثل قياس واستحسان ولا تركنوا الى الذين ظلموا ولا تميلوا اليهم ادنى ميل فان الركون هو الميل
اليسير كالتزيي بزيهم وتعظيم ذكرهم واستدامته فتمسكم النار بركونكم اليهم واذا كان
الركون الى من وجد منه ما يسمى ظلما كذلك فما ظنك بالركون الى الظالمين اي الموسومين بالظلم ثم بالميل اليهم
ثم بالظلم نفسه والانهماك فيه ولعل الاية ابلغ ما يتصور في النهي عن الظلم والتهديد عليه وخطاب الرسول
ومن معه من المؤمنين بها للتثبيت على الاستقامة التي هي العدل فان الزوال عنها بالميل الى احد طرفي افراط وتفريط
فانه ظلم على نفسه او غيره بل ظلم في نفسه وقرئ تركنوا فتمسكم بكسر التاء على لغة تميم وتركنوا على البناء للمفعول من اركنه
وما لكم من دون الله من اولياء اي من انصار يمنعون العذاب عنكم والواو للحال
ثم لا تنصرون اي ثم لا ينصركم الله اذ سبق في حكمه ان يعذبكم ولا يبقي عليكم وثم لاستبعاد نصره اياهم
وقد اوعدهم بالعذاب عليه واوجبه لهم ويجوز ان يكون منزلا منزلة الفاء لمعنى الاستبعاد فانه لما بين ان الله معذبهم
وان غيره لا يقدر على نصرهم انتج ذلك انهم لا ينصرون اصلا واقم الصلوة طرفي النهار غدوة
وعشية وانتصابه على الظرف لانه مضاف اليه وزلفا من الليل وساعات منه قريبة من النهار
فانه من ازلفه اذا قربه وهو جمع زلفة وصلوة الغداة صلوة الصبح لانها اقرب الصلوة من اول النهار وصلوة
العشية العصر وقيل الظهر والعصر لان ما بعد الزوال عشي وصلوة الزلف المغرب والعشاء وقرئ زلفا بضمتين
وضمة وسكون كبسر وبسرة وزلفى بمعنى زلفة كقربى وقربة ان الحسنات يذهبن السيئات
يكفرنها وفي الحديث ان الصلوة الى الصلوة كفارة ما بينهما ما اجتنبت الكبائر وفي سبب النزول ان
رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اني قد اصبت من امرأة غير اني لم اتها فنزلت ذلك اشارة الى قوله فاستقم وما بعده
وقيل الى القران ذكرى للذاكرين عظة للمتعظين واصبر على الطاعات وعن المعاصي فان الله
لا يضيع اجر المحسنين عدول عن المضمر ليكون كالبرهان على المقصود ودليلا على ان الصلوة والصبر
احسان وايماء بانه لا يعتد بهما دون الاخلاص فلولا كان فهلا كان من القرون من قبلكم

اولي بقية من الراي والعقل او اولو فضل وانما سمي بقية لان الرجل يستبقي افضل ما يخرجه ومنه يقال فلان من
بقية قوم اي من خيارهم ويجوز ان يكون مصدرا كالبقوى اي ذوو ابقاء على انفسهم وصيانة لها من العذاب ويؤيده
انه قرئ بقية بوزن لقية وهي المرة من مصدر بقاه يبقيه اذا راقبه ينهون عن الفساد في
الارض الا قليلا ممن انجينا منهم لكن قليلا منهم انجيناهم لانهم كانوا كذلك ولا يصح اتصاله
الا اذا جعل استثناء من النفي اللازم للتحضيض واتبع الذين ظلموا ما اترفوا فيه ما انعموا
فيه من الشهوات واهتموا بتحصيل اسبابها واعرضوا عما وراء ذلك وكانوا مجرمين
كافرين كانه اراد ان يبين ما كان السبب لاستيصال الامم السابقة وهو فشو الظلم فيهم واتباعهم للهوى وترك
النهي عن المنكرات مع الكفر وقوله واتبع عطف على مضمر دل عليه الكلام اذ المعنى فلم ينهوا عن الفساد واتبع الذين
ظلموا وكانوا مجرمين عطف على اتبع واعتراض وقرئ اتبع اي اتبعوا جزاء ما اترفوا فيكون الواو للحال ويجوز ان
يفسر به المشهورة ويعضده تقدم الانجاء وما كان ربك ليهلك القرى بظلم بشرك و
اهلها مصلحون فيما بينهم لا يضمون الى شركهم فسادا وتباغيا وذلك لفرط رحمته ومسامحته في
حقوقه ومن ذلك قدم الفقهاء عند تزاحم الحقوق حقوق العباد وقيل الملك يبقى مع الكفر ولا يبقى مع الظلم
ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة مسلمين كلهم وهو دليل ظاهر على ان الامر غير الارادة وانه تعالى
لم يرد الايمان من كل احد وان ما اراده يجب وقوعه ولا يزالون مختلفين بعضهم على الحق وبعضهم على الباطل لا تكاد تجد اثنين
يتفقان مطلقا الا من رحم ربك الا ناسا هداهم الله من فضله فاتفقوا على ما هو اصول دين الحق والعمدة فيه
ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك وعيده او قوله للملائكة لاملان جهنم من الجنة
والناس اي من عصاتهما اجمعين او منهما اجمعين لا من احدهما وكلا وكل نبا نقص عليك من
انباء الرسل نخبرك به ما نثبت به فؤادك بيان لكلا او بدل منه وفائدته التنبيه على المقصود من الاقتصاص
وهو زيادة يقينه وطمانينة قلبه وثبات نفسه على اداء الرسالة واحتمال اذى الكفار او مفعول وكلا منصوب على المصدر بمعنى كل نوع
من انواع الاقتصاص نقص عليك ما نثبت به فؤادك من انباء الرسل وجاءك في هذه السورة او الانباء المقتصة
عليك الحق ما هو حق وموعظة وذكرى للمؤمنين اشارة الى سائر فوائده العامة وقل
للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم على حالكم انا عاملون على حالنا وانتظروا بنا
الدوائر انا منتظرون ان ينزل بكم نحو ما نزل على امثالكم ولله غيب السموات والارض خاصة
لا يخفى عليه شي خافية مما فيهما واليه يرجع الامر كله فيرجع لا محالة امرهم وامرك اليه فاعبده
وتوكل عليه فانه كافيك وفي تقديم الامر بالعبادة على التوكل تنبيه على انه انما ينفع العابد وما ربك

ان كان الضمير للناس فالاشارة الى الاختلاف واللام للعاقبة او اليه والى الرحمة وان كان لمن فالى الرحمة م

بغافل عما تعملون انت وهم فيجازي كلا ما يستحقه عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة هود اعطي من الاجر عشر حسنات
بعدد من صدق بنوح ومن كذب به وهود وصالح وشعيب ولوط وابراهيم وموسى وكان يوم القيمة من السعداء ان شاء الله

سورة يوسف مكية وآيها مائة واحدى عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الر تلك ايات الكتاب المبين تلك اشارة الى ايات السورة وهي المراد بالكتاب
اي تلك الايات ايات السورة الظاهر امرها في الاعجاز او الواضحة معانيها او المبينة لمن تدبرها انها من عند الله او لليهود
ما سالوا اذ روي ان علماءهم قالوا لكبراء المشركين سلوا محمدا لم انتقل ال يعقوب من الشام الى مصر وعن قصة يوسف
فنزلت انا انزلناه اي الكتاب قرانا عربيا سمي البعض قرانا لانه في الاصل اسم الجنس يقع على الكل
والبعض وصار علما للكل بالغلبة ونصبه على الحال وهو في نفسه اما توطئة للحال التي هي عربيا او حال لانه مصدر بمعنى
مفعول وعربيا صفة له او حال من الضمير فيه او حال بعد حال وفي كل ذلك خلاف لعلكم تعقلون
علة لانزاله بهذه الصفة اي انزلناه مجموعا او مقروا بلغتكم كي تفهموه وتحيطوا بمعانيه وتستعملوا فيه عقولكم
فتعلموا ان اقتصاصه كذلك ممن لم يتعلم القصص معجز لا يتصور الا بالايحاء نحن نقص عليك احسن
القصص احسن الاقتصاص لانه اقتص على ابدع الاساليب او احسن ما يقص لاشتماله على العجائب والحكم والايات
والعبر فعل بمعنى مفعول كالنقض والسلب واشتقاقه من قص اثره اذا اتبعه بما اوحينا بايحائنا اليك هذا
القران يعني السورة ويجوز ان يجعل هذا مفعول نقص على ان احسن نصب على المصدر وان كنت من
قبله لمن الغافلين عن هذه القصة لم تخطر ببالك ولم تقرع سمعك قط وهو تعليل لكونه موحى وان هي
المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة اذ قال يوسف بدل من احسن القصص ان جعل مفعولا بدل الاشتمال او
منصوب باضمار اذكر ويوسف عبري ولو كان عربيا لصرف وقرئ بفتح السين وكسرها على التلعب به لا على انه مضارع
بني للمفعول او الفاعل من آسف لان المشهورة شهدت بعجمته لابيه يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عنه عليه السلام
الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم يا ابت اصله يا ابي فعوض عن الياء تاء التانيث
لتناسبهما في الزيادة ولذلك قلبها هاء في الوقف ابن كثير وابو عمرو ويعقوب وكسرها لانها عوض حرف يناسبها و
فتحها ابن عامر في كل القران لانها حركة اصلها او لانه كان يا ابتا فحذف الالف وبقي الفتحة وانما جاز يا ابتا ولم يجز يا ابتي
لانه جمع بين العوض والمعوض وقرئ بالضم اجراء لها مجرى الاسماء المؤنثة بالتاء من غير اعتبار التعويض وانما لم تسكن كاصلها لانها
حرف صحيح منزل منزلة الاسم فيجب تحريكها ككاف الخطاب اني رايت من الرؤيا لا من الرؤية لقوله لا تقصص رؤياك
وقوله هذا تاويل رؤياي احد عشر كوكبا والشمس والقمر روي عن جابر ان يهوديا جاء

رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اخبرني يا محمد عن النجوم التي رآهن يوسف فسكت فنزل جبريل فاخبره بذلك فقال اليهودي
هل تسلم قال نعم قال جريان والطارق والذيال وقابس وعمودان والفليق والمصبح والضروح والفرغ ووثاب
وذو الكتفين رآها يوسف والشمس والقمر نزلن من السماء وسجدن له فقال اليهودي اي والله انها لاسماؤها
رأيتهم لي ساجدين استئناف لبيان حالهم التي رآهم عليها فلا تكرير وانما اجريت مجرى العقلاء لوصفها
بصفاتهم قال يا بني تصغير ابن صغره للشفقة او لصغر السن لانه كان ابن اثنتي عشرة سنة لا
تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا فيحتالوا لاهلاكك
حيلة فهم يعقوب عليه السلام من رؤياه ان الله يصطفيه لرسالته ويفوقه على اخوته فخاف عليه حسدهم وبغيهم والرؤيا
كالرؤية غير انها مختصة بما يكون في النوم ففرق بينهما بحرفي التأنيث كالقربة والقربى وهي انطباع الصورة المنحدرة
من افق المتخيلة الى الحس المشترك والصادقة منها انما تكون باتصال النفس بالملكوت لما بينهما من التناسب عند فراغها
من تدبير البدن ادنى فراغ فتتصور بما فيها مما يليق بها من المعاني الحاصلة هناك ثم ان المتخيلة تحاكيه بصورة تناسبه فترسلها
الى الحس المشترك فتصير مشاهدة ثم ان كانت شديدة المناسبة لذلك المعنى بحيث لا يكون التفاوت الا بالكلية
والجزئية استغنت الرؤيا عن التعبير والا احتاجت اليه وانما عدي كاد باللام وهو متعد بنفسه لتضمنه معنى فعل يعدى باللام
به تأكيدا ولذلك اكد بالمصدر وعلله بقوله ان الشيطان للانسان عدو مبين ظاهر
العداوة لما فعل بآدم وحواء فلا يألوا جهدا في تسويلهم واثارة الحسد فيهم حتى يحملهم على الكيد وكذلك
اي وكما اجتباك لمثل هذه الرؤيا الدالة على شرف وعز وكمال نفس يجتبيك ربك للنبوة والملك
او لامور عظام والاجتباء من جبيت الشيء اذا حصلته لنفسك ويعلمك كلام مبتدأ خارج عن
التشبيه كأنه قيل وهو يعلمك من تأويل الاحاديث من تعبير الرؤيا لانها احاديث الملك ان
كانت صادقة واحاديث النفس او الشيطان ان كانت كاذبة او من تأويل غوامض كتب الله تعالى وسنن الانبياء
وكلمات الحكماء وهو اسم جمع للحديث كاباطيل اسم جمع للباطل ويتم نعمته عليك بالنبوة
او بان يصل نعمة الدنيا بنعمة الآخرة وعلى آل يعقوب يريد به سائر بنيه ولعله استدل على نبوتهم
بضوء الكواكب او نسله كما اتمها على ابويك بالرسالة وقيل على ابراهيم بالخلة والانجاء من النار
وعلى اسحق بانقاذه من الذبح وفدائه بذبح عظيم من قبل من قبلك او من قبل هذا الوقت
ابراهيم واسحق عطف بيان لابويك ان ربك عليم بمن يستحق الاجتباء حكيم يفعل
الاشياء على ما ينبغي لقد كان في يوسف واخوته اي في قصتهم آيات دلائل قدرة
الله وحكمته او علامات نبوتك للسائلين لمن سأل عن قصتهم والمراد باخوته علاته العشرة وهم يهوذا

وروبيل وشمعون ولاوي وزبالون ويشجر ودينة من بنت خالته ليا تزوجها يعقوب اولا فلما توفيت تزوج اختها
راحيل فولدت له بنيامين ويوسف وقيل جمع بينهما ولم يكن الجمع محرما حينئذ واربعة آخرون دان ونفتالي
وجاد وآشر من سريتين زلفة وبلهة اذ قالوا ليوسف واخوه بنيامين وتخصيصه بالاضافة لاختصاصه
بالاخوة من الطرفين احب الى ابينا منا وحده لان افعل من لا يفرق فيه بين الواحد وما فوقه والمذكر وما يقابله
بخلاف اخويه فان الفرق واجب في المحلى جائز في المضاف ونحن عصبة والحال انا جماعة اقوياء احق بالمحبة
من صغيرين لا كفاية فيهما والعصبة والعصابة العشرة فصاعدا سموا بذلك لان الامور تعصب بهم ان ابانا لفي
ضلال مبين لتفضيله المفضول او لترك التعديل في المحبة روي انه كان احب اليه لما يرى فيه من المخايل
وكان اخوته يحسدونه فلما رأى الرؤيا ضاعف له المحبة بحيث لم يصبر عنه فتبالغ حسدهم حتى حملهم على التعرض له
اقتلوا يوسف من جملة المحكي بعد قوله اذ قالوا كأنهم اتفقوا على ذلك الامر الا من قال لا تقتلوه وقيل انما قاله
شمعون او دان ورضي به الآخرون او اطرحوه ارضا منكورة بعيدة من العمران وهو معنى تنكيرها وابهامها
ولذلك نصبت كالظروف المبهمة يخل لكم وجه ابيكم جواب الامر والمعنى يصف لكم وجه ابيكم
فيقبل بكليته عليكم ولا يلتفت عنكم الى غيركم ولا ينازعكم في محبته احد وتكونوا جزم بالعطف على يخل او نصب
باضمار ان من بعده من بعد يوسف او الفراغ من امره او قتله او طرحه قوما صالحين تائبين الى الله
عما جنيتم او صالحين مع ابيكم يصلح ما بينكم وبينه بعذر تمهدونه او صالحين في امر دنياكم فانه ينتظم لكم بعده بخلو
وجه ابيكم قال قائل منهم يعني يهوذا وكان احسنهم فيه رأيا وقيل روبيل لا تقتلوا يوسف فان
القتل عظيم والقوه في غيابة الجب في قعره سميت بها لغيبوبته عن اعين الناظرين وقرأ نافع
في غيابات على الجمع كأنه لتلك الجب غيابات وقرئ غيبة وغيابات بالتشديد يلتقطه بعض
السيارة بعض الذين يسيرون في الارض ان كنتم فاعلين بمشورتي او ان كنتم على ان تفعلوا ما
يفرق بينه وبين ابيه قالوا يا ابانا ما لك لا تأمنا على يوسف لم تخافنا عليه وانا
له لناصحون ونحن نشفق عليه ونريد له الخير ارادوا به استنزاله عن رأيه في حفظه منهم لما تنسم من حسدهم والمشهور
تأمنا بالادغام والاشمام وعن نافع بترك الاشمام ومن الشواذ ترك الادغام لانهما من كلمتين وتيمنا بكسر التاء
ارسله معنا غدا الى الصحراء يرتع ويلعب نتسع في اكل الفواكه ونحوها من الرتعة وهي الخصب ونلعب
بالاستباق والانتضال وقرأ ابن كثير نرتع بكسر العين على انه من ارتعى يرتعي ونافع بالكسر والياء فيه وفي يلعب
وقرأ الكوفيون ويعقوب بالياء والسكون على اسناد الفعل الى يوسف وقرئ يرتع من ارتع ماشيته ويرتع بكسر العين ويلعب بالرفع
على الاستئناف وانا له لحافظون من ان يناله مكروه قال اني ليحزنني ان تذهبوا به لشدة مفارقته

علي وقلة صبري عنه **واخاف ان ياكله الذئب** لان الارض كانت مذأبة وقيل راى في المنام
ان الذئب قد شد على يوسف وكان يحذره وقد همزها على الاصل ابن كثير ونافع في رواية اليزيدي
وقالون وعاصم وابن عامر درجا ووقفا وحمزة درجا والباقون بترك الهمزة واشتقاقه من تذاءبت
الريح اذا هبت من كل جهة **وانتم عنه غافلون** لاشتغالكم بالرتع واللعب او لقلة
اهتمامكم بحفظه **قال لئن اكله الذئب ونحن عصبة** اللام موطئة للقسم
وجوابه **انا اذا لخاسرون** ضعفاء مغبونون او مستحقون لان يدعى عليهم بالخسار والواو في ونحن
للحال **فلما ذهبوا به واجمعوا ان يجعلوه في غيابت الجب** وعزموا
على القائه فيها والبئر بئر بيت المقدس او بئر بارض الاردن او بئر مصر ومدين او على ثلثة فراسخ من مقام
يعقوب وجواب لما محذوف مثل فعلوا به ما فعلوا من الاذى فقد روي انهم لما برزوا به الى الصحرا
اخذوا يؤذونه ويضربونه حتى كادوا يقتلونه فجعل يصيح ويستغيث فقال يهودا اما عاهدتموني لن
لا تقتلوه فاتوا به الى البئر فدلوه فيها فتعلق بشفيرها فربطوا يديه ونزعوا قميصه ليلطخوه بالدم
ويحتالوا به على ابيهم وقال يا اخوتاه ردوا علي القميص اتوارى به فقالوا ادع الاحد عشر كوكبا والشمس والقمر
يلبسوك ويؤنسوك فلما بلغ نصفها القوه وكان فيها ماء فسقط ثم اوى الى صخرة كانت فيها فقام
عليها يبكي فجاءه جبرئيل بالوحي كما قال **واوحينا اليه** وكان ابن سبع عشرة سنة وقيل كان
مراهقا اوحي اليه في صغره كما اوحي الى يحيى وعيسى عليهما السلام وفي القصص ان ابراهيم عليه السلام حين القي في النار جرد
عن ثيابه فاتاه جبرئيل عليه السلام بقميص من حرير الجنة فالبسه اياه فدفعه ابراهيم الى اسحق واسحق الى يعقوب فجعله
في تميمة علقها بيوسف فاخرجه جبرئيل عليه السلام والبسه يوسف عليه السلام **لتنبئنهم بامرهم هذا**
لتحدثنهم بما فعلوا بك **وهم لا يشعرون** انك يوسف لعلو شانك وبعده عن اوهامهم
وطول العهد المغير للحلى والهيئات وذلك اشارة الى ما قال لهم بمصر حين دخلوا عليه ممتارين فعرفهم وهم
له منكرون بشره بما يؤول اليه امره ايناسا له وتطييبا لقلبه وقيل وهم لا يشعرون متصل باوحينا اي انسناه
بالوحي وهم لا يشعرون ذلك **وجاءوا اباهم عشاء يبكون** متباكين روي انه لما سمع بكاءهم
فزع وقال ما لكم يا بني واين يوسف **قالوا يا ابانا انا ذهبنا نستبق** نتسابق في العدو
او الرمي وقد يشترك الافتعال والتفاعل كالانتضال والتناضل **وتركنا يوسف
عند متاعنا فاكله الذئب وما انت بمؤمن لنا** بمصدق لنا
ولو كنا صادقين لسوء ظنك بنا وفرط محبتك ليوسف **وجاءو على**

اخر النهار وقرئ عشاء وهو تصغير عشي بالضم
والقصر عشى اي عشوا من البكاء

بقم

قميصه بدم كذب اي ذي كذب بمعنى مكذوب فيه ويجوز ان يكون وصفا بالمصدر للمبالغة
وقرئ بالنصب على الحال من الواو اي جاءوا كاذبين وكدب بالدال غير المعجمة اي كدر وقيل اصله
البياض الخارج على اظفار الاحداث فشبه به الدم اللاصق على القميص وعلى قميصه في موضع النصب
على الظرف اي فوق قميصه او على الحال من الدم ان جوز تقديمها على المجرور وروي انه لما سمع بخبر يوسف صاح
وسال عن قميصه فاخذه والقاه على وجهه وبكى حتى خضب وجهه بدم القميص وقال ما رايت كاليوم ذئبا
احلم من هذا اكل ابني ولم يمزق عليه قميصه ولذلك **قال بل سولت لكم انفسكم امرا**
اي سهلت لكم وهونت في اعينكم امرا عظيما من السوء وهو الاسترخاء **فصبر جميل** اي فامري صبر جميل
او فصبري صبر جميل اجمل وفي الحديث الصبر الجميل الذي لا شكوى فيه الى الخلق **والله المستعان**
على ما تصفون على احتمال ما تصفونه من هلاك يوسف وهذه الجريمة كانت قبل استنبائهم ان صح **و**
جاءت سيارة رفقة يسيرون من مدين الى مصر فنزلوا قريبا من الجب وكان ذلك بعد
ثلث من القائه فيه **فارسلوا واردهم** الذي يرد الماء ويستقي لهم وكان مالك بن دعر الخزاعي
فادلى دلوه فارسلها في الجب ليملاها فتدلى بها يوسف فلما راه **قال يا بشرى هذا**
غلام نادى البشرى بشارة لنفسه او لقومه كانه قال تعال فهذا اوانك وقيل هو اسم صاحب له ناداه
ليعينه على اخراجه وقرا غير الكوفيين يا بشراي بالاضافة وقرئ يا بشري بالادغام وهو لغة وبشراي بالسكون على
قصد الوقف **واسروه** اي الوارد واصحابه من سائر الرفقة وقيل اخفوا امره وقالوا لهم دفعه الينا
اهل الماء لنبيعه لهم بمصر وقيل الضمير لاخوة يوسف وذلك ان يهودا كان ياتيه كل يوم بالطعام فاتاه
يومئذ فلم يجده فيها فاخبر اخوته فاتوا الرفقة وقالوا هذا غلامنا ابق منا فاشتروه وسكت يوسف مخافة
ان يقتلوه **بضاعة** نصب على الحال اي اخفوه متاعا للتجارة واشتقاقه من البضع فانه ما بضع من المال
للتجارة **والله عليم بما يعملون** لم يخف عليه اسرارهم او صنع اخوة يوسف بابيهم واخيهم
وشروه وباعوه وفي مرجع الضمير الوجهان او اشتروه من اخوته **بثمن بخس** مبخوس لزيفه او
نقصانه **دراهم** بدل من الثمن **معدودة** قليلة فانهم كانوا يزنون ما بلغ الاوقية ويعدون
ما دونها قيل كان عشرين درهما وقيل كان اثنين وعشرين **وكانوا فيه** في يوسف **من الزاهدين**
الراغبين عنه والضمير في وكانوا ان كان للاخوة فظاهر وان كان للرفقة وكانوا بايعين فزهدهم فيه لانهم
التقطوه والملتقط للشيء متهاون به خائف من انتزاعه مستعجل في بيعه وان كانوا مبتاعين فلانهم اعتقدوا
انه ابق وفيه متعلق بالزاهدين ان جعل اللام للتعريف وان جعل بمعنى الذي فهو متعلق بمحذوف يبينه الزاهدين لان

متعلق الصلة لا تقديم على الموصول **وقال الذي اشتراه من مصر** وهو العزيز الذي كان
على خزائن مصر وكان اسمه قطفير او اطفير وكان الملك يومئذ ريان بن الوليد العمليقي وقد آمن بيوسف
ومات في حيوته وقيل كان فرعون موسى عاش اربعمائة لقوله ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات والمشهور
انه من اولاد فرعون يوسف والآية من قبيل خطاب الاولاد باحوال الآباء روي انه اشتراه العزيز
وهو ابن سبعة عشر سنة ولبث في منزله ثلث عشر سنة واستوزره الريان وهو ابن ثلث وثلاثين سنة و
توفي وهو ابن مائة وعشرين واختلف فيما اشتراه من جعل شراه غير الاول فقيل عشرون دينارا او زوجا نعل
وثوبان ابيضان وقيل ملوه ذهبا **لامرأته** راعيل او زليخا **اكرمي مثواه** اجعلي مقامه
عندنا كريما اي حسنا والمعنى احسني تعهده **عسى ان ينفعنا** في ضياعنا واموالنا ونستظهر في مصالحنا **او
نتخذه ولدا** نتبناه وكان عقيما لما تفرس فيه من الرشد ولذلك قيل افرس الناس ثلثة عزيز
مصر وابنة شعيب التي قالت يا ابت استأجره وابو بكر حين استخلف عمر **وكذلك مكنا
ليوسف في الارض** وكما مكنا محبته في قلب العزيز او كما مكناه في منزله او كما انجيناه وعطفنا
عليه العزيز مكنا له فيها **ولنعلمه من تأويل الاحاديث** عطف على مضمر تقديره ليتصرف
فيها بالعدل ولنعلمه اي كان القصد في انجائه وتمكينه الى ان يقيم العدل ويدبر امور الناس
ويعلم معاني كتب الله واحكامه فينفذها او تعبير المنامات المنبهة عن الحوادث الكائنة ليستعد لها ويشتغل
في تدبيرها كما فعل لسنيه **والله غالب على امره** لا يرده شيء ولا ينازعه فيما يشاء او على امر يوسف
اراد به اخوة يوسف شيئا واراد الله غيره فلم يكن الا ما اراده **ولكن اكثر الناس
لا يعلمون** ان الامر كله بيده او لطائف صنعه وخفايا لطفه **ولما بلغ اشده** مدة
اشتداد جسمه وقوته وهو سن الوقوف ما بين الثلثين والاربعين وقيل سن الشباب ومبدؤه بلوغ الحلم
آتيناه حكما حكمة وهو العلم المؤيد بالعمل او حكما بين الناس **وعلما** يعني علم تأويل الاحاديث
وكذلك نجزي المحسنين تنبيه على انه تعالى انما آتاه ذلك جزاء على احسانه في
عمله واتقائه في عنفوان امره **وراودته التي هو في بيتها عن نفسه** طلبت منه و
تمحلت ان يواقعها من راد يرود اذا جاء وذهب لطلب شيء ومنه الرائد **وغلقت الابواب**
قيل كانت سبعة والتشديد للتكثير او للمبالغة في الايثاق **وقالت هيت لك** اي اقبل وبادر او
تهيأت والكلمة على الوجهين اسم فعل بني على الفتح كاين واللام للتبيين كالتي في سقيا لك وقرأ ابن كثير بالضم
تشبيها بحيث ونافع وابن عامر بالفتح وكسر الهاء كعيط وهي لغة فيه وقرئ هئت كجئت

فضة وقيل

قبل ان تحل

بكسر الهاء وهي ايضا لغة فيه اذا تهيأ وعلى هذا فاللام من صلته **قال معاذ الله** اعوذ بالله معاذا **انه
ربي احسن مثواي** سيدي قطفير حسن تعهدي اذ قال اكرمي مثواه فما جزاؤه ان اخونه في اهله وقيل الضمير
لله اي انه خالقي واحسن منزلتي بان عطف علي قلبه فلا اعصيه **انه لا يفلح الظالمون** المجازون
الحسن بالسيء وقيل الزناة فان الزنا ظلم على الزاني والمزني باهله **ولقد همت به وهم بها** قصدت
مخالطته وقصد مخالطتها والهم بالشيء قصده والعزم عليه ومنه الهمام وهو الذي اذا هم بشيء امضاه والمراد بهمه
ميل الطبع ومنازعة الشهوة لا القصد الاختياري وذلك مما لا يدخل تحت التكليف بل الحقيق بالمدح والاجر
الجزيل من الله من يكف نفسه عن الفعل عند قيام هذا الهم او مشارفة الهم كقولك قتلته لو لم اخف الله تعالى
لولا ان رأى برهان ربه في قبح الزنا وسوء مغبته لخالطها لشبق الغلمة وكثرة المبالغة ولا يجوز
ان يجعل وهم بها جواب لولا فانها في حكم ادوات الشرط فلا يتقدم عليها جوابها بل الجواب محذوف
يدل عليه وقيل رأى جبريل وقيل تمثل له يعقوب عاضا على انامله وقيل قطفير وقيل نودي يا يوسف
انت مكتوب في الانبياء وتعمل عمل السفهاء **كذلك** اي مثل ذلك التثبيت ثبتناه او الامر مثل ذلك
لنصرف عنه السوء خيانة السيد **والفحشاء** الزنا **انه من عبادنا المخلصين**
الذين اخلصهم الله لطاعته وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر ويعقوب بالكسر في كل القرآن اي الذين اخلصوا دينهم
لله **واستبقا الباب** اي تسابقا الى الباب فحذف الجار او ضمن الفعل معنى الابتدار وذلك
ان يوسف فر منها ليخرج واسرعت وراءه لتمنعه الخروج **وقدت قميصه من دبر** اجتذبته من
ورائه فانقد قميصه والقد الشق طولا والقط الشق عرضا **والفيا سيدها** وصادفا زوجها
**لدى الباب قالت ما جزاء من اراد باهلك سوءا الا ان يسجن او عذاب
اليم** ايهاما بانها فرت منه تبرئة لساحتها عند زوجها وتغييره على يوسف واغراءه به انتقاما منه و
ما نافية او استفهامية بمعنى اي شيء جزاؤه الا السجن **قال هي راودتني عن نفسي** طالبتني بالمؤاتاة
وانما قال ذلك دفعا لما عرضته له من السجن او العذاب الاليم ولو لم تكذب عليه لما قاله **و
شهد شاهد من اهلها** قيل ابن عمها وقيل ابن خال لها صبيا في المهد وعن النبي عليه السلام تكلم
اربعة صغارا ابن ماشطة فرعون وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى عليه السلام وانما القى الله الشهادة على لسان
اهلها لتكون الزم عليها **ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين**
لانه يدل على انها قدت قميصه من قدامه بالدفع عن نفسها او انه اسرع خلفها فتعثر بذيله فانقد جيبه **وان
كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين** لانه يدل على

قال لك

انها تبعته فاجتذبت ثوبه فقدته والشرطية محكية على ارادة القول او على ان فعل الشهادة من القول و تسميتها
شهادة لانها ادت مؤداه والجمع بين ان وكان على تاويل ان يعلم انه كان ونحوه ونظيره قولك
ان احسنت الي فقد احسنت اليك من قبل فان معناه ان تمنن علي باحسانك امنن عليك باحساني
السابق وقرئ من قبل ومن دبر بالضم لانهما قطعا عن الاضافة كقبل وبعد وبالفتح كانهما جعلا علمين
للجهتين فمنعا الصرف وبسكون العين فلما راى قميصه قد من دبر قال انه ان قولك
ما جزاء من اراد باهلك سوءا او ان السوء او ان هذا الامر من كيدكن من حيلتكن والخطاب
لها ولامثالها او لسائر النساء ان كيدكن عظيم فان كيد النساء الطف واعلق بالقلب و
اشد تاثيرا في النفس ولانهن يواجهن به الرجال والشيطان يوسوس به مسارقة يوسف
حذف منه حرف النداء لقربه وتفطنه للحديث اعرض عن هذا اكتمه ولا تذكره و
استغفري لذنبك يا راعيل انك كنت من الخاطئين من القوم المذنبين من
خطئ اذا اذنب متعمدا والتذكير للتغليب وقال نسوة وهو اسم لجمع امراة وتانيثه بهذا الاعتبار
غير حقيقي ولذلك جرد فعله وضم النون لغة فيها في المدينة ظرف لقال اي اشعن الحكاية في مصر
او صفة نسوة وكن خمسا زوجة الحاجب والساقي والخباز والسجان وصاحب الدواب امراة
العزيز تراود فتاها عن نفسه تطلب مواقعة غلامها اياها والعزيز بلسان العرب الملك
واصل فتى فتي لقولهم فتيان والفتوة شاذة قد شغفها حبا شق شغاف قلبها وهو حجابه حتى
وصل الى فؤادها حبا ونصبه على التمييز لصرف الفعل عنه وقرئ شعفها من شعف البعير اذا هناه
بالقطران فاحرقه انا لنراها في ضلال مبين في ضلال عن الرشد وبعد عن الصواب
فلما سمعت بمكرهن باغتيابهن وانما سماه مكرا لانهن اخفينه كما يخفي الماكر مكره او قلن ذلك
لتريهن يوسف او لانها استكتمتهن سرها فافشينه عليها ارسلت اليهن تدعوهن قيل دعت
اربعين امراة فيهن الخمس واعتدت لهن متكأ ما يتكئن عليه من الوسائد واتت
كل واحدة منهن سكينا حتى يتكئن والسكاكين بايديهن فاذا خرج عليهن يبهتن
ويشغلن عن نفوسهن فتقع ايديهن على ايديهن فيقطعنها فيبكتن بالحجة او يهاب يوسف من مكرها اذا
خرج وحده على اربعين امراة في ايديهن الخناجر وقيل متكأ طعاما او مجلس طعام فانهم كانوا يتكئون للطعام
والشراب ترفا ولذلك نهي عنه قال جميل فظللنا بنعمة واتكأنا وشربنا الحلال من قلله وقيل المتكأ طعام
يحز حزا كان القاطع يتكئ عليه بالسكين وقرئ متكا بحذف الهمزة ومتكاء باشباع الفتحة كمنتزاح ومتكا وهو الاترج

او يتطلع من شبابه اذا ابتكر ومتكأ من تكى يتكى اذا اتكى وقالت اخرج عليهن فلما راينه
اكبرنه عظمنه وهبن حسنه الفائق وعن النبي ص رايت يوسف ليلة المعراج كالقمر ليلة البدر وقيل
راى تلألؤ وجهه على الجدران وقيل اكبرن بمعنى حضن من اكبرت المراة اذا حاضت لانها تدخل الكبر
بالحيض والهاء ضمير للمصدر او ليوسف على حذف اللام اي حضن له من شدة الشبق كما قال المتنبي خف الله
واستر ذا الجمال ببرقع فان لحت حاضت في الخدور العواتق وقطعن ايديهن جرحنها بالسكاكين
من فرط الدهشة وقلن حاش لله تنزيها له من صفات العجز وتعجبا من قدرته على خلق مثله واصله حاشا كما قراه
ابو عمرو في الدرج فحذفت الفه الاخيرة تخفيفا وهو حرف يفيد معنى التبراة في باب الاستثناء فوضع موضع التنزيه
واللام للبيان كما في قولك سقيا لك وقرئ حاش الله بغير لام بمعنى براءة الله وحاشا لله بالتنوين على
تنزيله منزلة المصدر وقيل حاشا فاعل من الحشا الذي هو الناحية وفاعله ضمير يوسف اي صار في ناحية لله
مما يتوهم فيه ما هذا بشرا لان هذا الجمال غير معهود للبشر وهو على لغة الحجاز في اعمال ما عمل ليس لمشاركتها
في نفي الحال وقرئ بشر بالرفع على لغة تميم وبشرى اي بعبد مشترى لئيم ان هذا الا ملك كريم
فان الجمع بين الجمال الرائق والكمال الفائق والعصمة البالغة من خواص الملائكة او لان جماله فوق جمال البشر و
لا يفوقه فيه الا الملك قالت فذلكن الذي لمتنني فيه اي فهو ذلك العبد الكنعاني
الذي لمتنني فيه في الافتتان به قبل ان تتصورنه حق تصوره ولو صورتنه بما عاينتن لعذرتنني او فهذا هو
الذي لمتنني فيه فوضع ذلك موضع هذا رفعا لمنزلة المشار اليه ولقد راودته عن نفسه
فاستعصم فامتنع طالبا للعصمة اقرت لهن حين عرفت انهن يعذرنها كي يعاونها على الانة عريكته
ولئن لم يفعل ما امره اي امر به فحذف الجار او امري اياه بمعنى موجب امري فيكون الضمير ليوسف
ليسجنن وليكونا من الصاغرين من الاذلاء وهو من صغر بالكسر يصغر صغرا وصغارا والصغير
من صغر بالضم صغرا وقرئ ليكونن وهو يخالف خط المصحف لان النون كتبت فيه بالالف كنسفعا على حكم الوقف
وذلك في الخفيفة لشبهها بالتنوين قال رب السجن وقرا يعقوب بالفتح على المصدر احب الي
مما يدعونني اليه اي آثر عندي من مؤاتاتها زنا نظرا الى العاقبة وان كان هذا مما تشتهيه النفس وذلك
مما تكرهه واسناد الدعوة اليهن جميعا لانهن خوفنه عن مخالفتها وزين له مطاوعتها او دعونه جميعا الى
انفسهن وقيل انما ابتلي بالسجن لقوله هذا وانما كان الاولى به ان يسال الله العافية ولذلك رد رسول الله ص
على من كان يسال الصبر والا تصرف عني وان لم تصرف عني كيدهن في تحبيب ذلك الي
وتحسينه عندي بالتثبيت على العصمة اصب اليهن امل الى اجابتهن او الى انفسهن بطبعي ومقتضى

شهوتي والصبوة الميل الى الهوى ومنه الصبا لان النفوس تستطيبها وتميل اليها وقرئ اصب من الصبابة وهي الشوق
واكن من الجاهلين من السفهاء بارتكاب ما يدعونني اليه فان الحكيم لا يفعل القبيح او من الذين لا
يعملون بما يعلمون فانهم والجهال سواء فاستجاب له ربه فاجاب الله دعاءه الذي تضمنه
قوله والا تصرف فصرف عنه كيدهن فثبته بالعصمة حتى وطن نفسه على مشقة السجن واثرها
على اللذة المتضمنة للعصيان انه هو السميع لدعاء الملتجئين اليه العليم باحوالهم وما يصلحهم ثم
بدا لهم من بعد ما راوا الايات ثم ظهر للعزيز واهله من بعد ما راوا الشواهد الدالة على براءة
يوسف كشهادة الصبي وقد القميص وقطع النساء ايديهن واستعصامه عنهن وفاعل بدا مضمر يفسره ليسجننه
حتى حين وذلك لانها خدعت زوجها وحملته على سجنه زمانا حتى تبصر ما يكون منه او يحسب الناس
انه المجرم فلبث في السجن سبع سنين وقرئ بالتاء على ان بعضهم خاطب به العزيز على التعظيم او العزيز ومن يليه وعتى
بلغة هذيل ودخل معه السجن فتيان اي ادخل يوسف السجن واتفق انه ادخل حينئذ اخران
من عبيد الملك شرابيه وخبازه للاتهام بانهما يريدان ان يسماه قال احدهما يعني الشرابي اني اراني
اي في المنام وهي حكاية حال ماضية اعصر خمرا اي عنبا وسماه بما يؤول اليه وقال الاخر
اي الخباز اني اراني احمل فوق راسي خبزا تاكل الطير منه تنهش منه
نبئنا بتاويله انا نراك من المحسنين من الذين يحسنون تاويل الرؤيا او من
العالمين وانما قالا ذلك لانهما راياه في السجن يذكر الناس ويعبر رؤياهم او من المحسنين الى اهل السجن
فاحسن الينا بتاويل ما راينا ان كنت تعرفه قال لا ياتيكما طعام ترزقانه الا
نباتكما بتاويله اي بتاويل ما قصصتما علي او بتاويل الطعام يعني بيان ماهيته و
كيفيته فانه يشبه تفسير المشكل كانه اراد ان يدعوهما الى التوحيد ويرشدهما الطريق القويم قبل ان يسعف
الى ما سالاه منه كما هو طريقة الانبياء والنازلين منازلهم من العلماء في الهداية والارشاد فقدم ما يكون
معجزة له من الاخبار بالغيب ليدلهما على صدقه في الدعوى والتعبير قبل ان ياتيكما ذلكما
اي ذلك التاويل مما علمني ربي بالالهام والوحي وليس من قبيل التكهن والتنجيم اني
تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالاخرة هم كافرون تعليل لما
قبله اي علمني ذلك لاني تركت ملة اولئك واتبعت ملة ابائي ابراهيم واسحق
ويعقوب كلام مبتدا لتمهيد الدعوة واظهار انه من بيت النبوة لتقوى رغبتهما في الاستماع اليه
والوثوق عليه ولذلك جوز للخامل ان يصف نفسه حتى يعرف فيقتبس منه وتكرير الضمير للدلالة على اختصاصهم

وتاكيد كفرهم بالاخرة ما كان لنا ما صح لنا معشر الانبياء ان نشرك بالله من شيء اي شيء
كان ذلك اي التوحيد من فضل الله علينا بالوحي وعلى الناس وعلى سائر
الناس ببعثنا لارشادهم وتثبيتهم عليه ولكن اكثر الناس لا يشكرون
هذا الفضل فيعرضون عنه ولا يتنبهون او من فضل الله علينا وعليهم بنصب الدلائل وانزال الايات ولكن
اكثرهم لا ينظرون اليها ولا يستدلون بها فيلغونها كمن يكفر النعمة ولا يشكرها يا صاحبي السجن يا ساكنيه
اي صاحبي فيه فاضافهما اليه على الاتساع كقوله يا سارق الليلة اهل الدار ءارباب متفرقون
شتى متعددة متساوية الاقدام خير ام الله الواحد المتوحد بالالوهية القهار
الغالب الذي لا يعادله ولا يقاومه غيره ما تعبدون من دونه خطاب لهما ولمن على دينهما من اهل مصر
الا اسماء سميتموها انتم واباؤكم ما انزل الله بها من سلطان
اي الا اشياء باعتبار اسام اطلقتم عليها من غير حجة تدل على تحقق مسمياتها فكانكم لا تعبدون الا الاسماء المجردة
والمعنى انكم سميتم ما لم يدل على استحقاقه الالهية عقل ولا نقل الهة ثم اخذتم تعبدونها باعتبار ما تطلقون عليها
ان الحكم في امر العبادة الا لله لانه المستحق لها بالذات من حيث انه الواجب لذاته الموجد للكل
المالك لامره امر على لسان انبيائه ان لا تعبدوا الا اياه الذي دلت عليه الحجج ذلك الدين
القيم الحق وانتم لا تميزون المعوج عن القويم وهذا من التدريج في الدعوة والزام الحجة بين لهم اولا رجحان التوحيد
على اتخاذ الالهة على طريق الخطابة ثم برهن على ان ما تسمونها الهة وتعبدونها لا تستحق الالهية فان استحقاق العبادة
اما بالذات واما بالغير وكلا القسمين منتف عنها ثم نص على الحق القويم والدين المستقيم الذي لا يقتضي العقل
غيره ولا يرتضي العلم دونه ولكن اكثر الناس لا يعلمون فيخبطون في جهالاتهم
يا صاحبي السجن اما احدكما يعني الشرابي فيسقي ربه خمرا كما كان يسقيه قبل ويعود
الى ما كان عليه واما الاخر يريد الخباز فيصلب فتاكل الطير من
راسه فقالا كذبنا فقال قضي الامر الذي فيه تستفتيان اي قطع الامر الذي
تستفتيان فيه وهو ما يؤول اليه امركما ولذلك وحده فانهما وان استفتيا في امرين لكنهما ارادا استبانة عاقبة
ما نزل بهما وقال للذي ظن انه ناج منهما الظان يوسف ان ذكر ذلك عن اجتهاد
وان ذكره عن وحي فهو الناجي الا ان يؤول الظن باليقين اذكرني عند ربك اذكر حالي عند الملك كي
يخلصني فانساه الشيطان ذكر ربه فانسى الشرابي ان يذكره لربه فاضاف اليه المصدر
لملابسته له او على تقدير ذكر اخبار ربه او انسى يوسف ذكر الله حتى استعان بغيره ويؤيده قوله عم رحم الله

اخي يوسف لو لم يقل اذكرني عند ربك لما لبث في السجن سبعا بعد الخمس والاستعانة بالعباد في كشف
الشدائد وان كانت محمودة في الجملة لكنها لا تليق بمنصب الانبياء فلبث في السجن بضع
سنين البضع ما بين الثلث الى التسع من البضع وهو القطع وقال الملك اني ارى سبع
بقرات سمان ياكلهن سبع عجاف لما دنا فرجه راى الملك سبع بقرات
سمان خرجن من نهر يابس وسبع بقرات مهازيل فابتلعت المهازيل السمان وسبع
سنبلات خضر قد انعقد حبها واخر يابسات وسبعا اخر يابسات قد ادركت
فالتوت اليابسات على الخضر حتى غلبن عليها وانما استغنى عن بيان حالها بما قص من حال البقرات
واجرى السمان على المميز دون المميز لان التمييز بها ووصف السبع الثاني بالعجاف لتعذر التمييز بها مجردا عن الموصوف
فانه لبيان الجنس وقياسه عجف لانه جمع عجفا لكنه حمل على سمان لانه نقيضه يا ايها الملأ افتوني
في رؤياي عبروها ان كنتم للرؤيا تعبرون ان كنتم عالمين بعبارة الرؤيا وهي
الانتقال من الصور الخيالية الى المعاني النفسانية التي هي مثالها من العبور وهي المجاوزة وعبرت الرؤيا عبارة
اثبت من عبرتها تعبيرا واللام للبيان او لتقوية العامل فان الفعل لما اخر عن مفعوله ضعف فقوي باللام
كاسم الفاعل او لتضمن تعبرون معنى فعل يتعدى باللام كانه قيل ان كنتم تنتدبون لعبارة الرؤيا قالوا اضغاث
احلام اي هذه اضغاث وهي تخاليطها جمع ضغث واصله ما جمع من اخلاط النبات وحزم فاستعير للرؤيا
الكاذبة وانما جمعوا للمبالغة في وصف الحلم بالبطلان كقولهم فلان يركب الخيل او لتضمنه اشياء مختلفة و
ما نحن بتاويل الاحلام بعالمين يريدون بالاحلام المنامات الباطلة خاصة اي ليس لها تاويل
وانما التاويل للمنامات الصادقة فهو كانه مقدمة ثانية للعذر في جهلهم بتاويله وقال الذي نجا
منهما من صاحبي السجن وهو الشرابي وادكر بعد امة وتذكر يوسف بعد جماعة من الزمان
مجتمعة اي مدة طويلة وقرئ امة بكسر الهمزة وهي النعمة اي بعد ما انعم الله عليه بالنجاة وامه اي نسيان من امه
يامه امها اذا نسي والجملة اعتراض مقول القول انا انبئكم بتاويله فارسلون اي الى
من عنده علمه او الى السجن يوسف ايها الصديق اي فارسل الى يوسف فاتاه فقال
يا يوسف وانما وصفه بالصديق وهو المبالغ في الصدق لانه جرب احواله وعرف صدقه في تاويل
رؤياه ورؤيا صاحبه افتنا في سبع بقرات سمان ياكلهن سبع عجاف
وسبع سنبلات خضر واخر يابسات اي في رؤيا ذلك لعلي
ارجع الى الناس اعود الى الملك ومن عنده او الى اهل البلد اذ قيل ان السجن لم يكن فيه

لعلهم يعلمون تاويلها او فضلك ومكانك وانما لم يبت الكلام فيهما لانه لم يكن جازما من الرجوع فربما اخترم
دونه ولعلهم لا يعلمون قال تزرعون سبع سنين دابا اي على عادتكم المستمرة وانتصابه على الحال
بمعنى دائبين او المصدر باضمار فعله اي تدابون دابا وتكون الجملة حالا وقرا حفص دابا بفتح الهمزة وكلاهما مصدر داب
في العمل وقيل تزرعون امر اخرجه في صورة الخبر مبالغة لقوله فما حصدتم فذروه في سنبله
لئلا ياكله السوس وهو على الاول نصيحة خارجة عن العبارة الا قليلا مما تاكلون في تلك السنين ثم
ياتي من بعد ذلك سبع شداد ياكلن ما قدمتم لهن اي ياكل اهلهن ما ادخرتم
لاجلهن فاسند اليهن على المجاز تطبيقا بين المعبر والمعبر به الا قليلا مما تحصنون تحرزون لبذور
الزراعة ثم ياتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس يمطرون من الغيث او
يغاثون من القحط من الغوث وفيه يعصرون ما يعصر كالعنب والزيتون لكثرة الثمار وقيل
يحلبون الضروع وقرا حمزة والكسائي بالتاء على تغليب المستفتي وقرئ على بناء المفعول من عصره اذا انجاه ويحتمل ان يكون
المبني للفاعل منه اي يغيثهم الله ويغيث بعضهم بعضا او من اعصرت السحابة عليهم فعدي بنزع الخافض او بتضمينه
معنى المطر وهذه بشارة بشرهم بها بعد ان اول البقرات السمان والسنبلات الخضر بسنين مخصبة والعجاف
واليابسات بسنين مجدبة وابتلاع العجاف السمان باكل ما جمع في السنين المخصبة في السنين المجدبة ولعله علم ذلك
بالوحي او بان انتهاء الجدب بالخصب او بان السنة الالهية على ان يوسع على عباده بعد ما ضيق عليهم وقال
الملك ائتوني به بعد ما جاءه الرسول بالتعبير فلما جاءه الرسول ليخرجه قال ارجع الى
ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن ايديهن انما تانى في الخروج وقدم
سؤال النسوة وفحص حالهن لتظهر براءة ساحته ويعلم انه سجن ظلما فلا يقدر الحاسد ان يتوسل به الى تقبيح امره و
فيه دليل على انه ينبغي ان يجتهد في نفي التهم ويتقي مواقعها وعنه عليه السلام لو كنت مكانه ولبثت في السجن ما لبث
لاسرعت الاجابة وانما قال فاسأله ما بال النسوة ولم يقل فاسأله ان يفتش عن حالهن تهييجا له على البحث
وتحقيق الحال وانما لم يتعرض لسيدته مع ما صنعت به كرما ومراعاة للادب وقرئ النسوة بضم النون ان
ربي بكيدهن عليم حين قلن لي اطع مولاتك وفيه تعظيم كيدهن والاستشهاد بعلم الله عليه وعلى انه
بريء مما قذف به والوعيد لهن على كيدهن قال ما خطبكن قال الملك لهن ما شانكن
والخطب امر يحق ان يخاطب فيه صاحبه اذ راودتن يوسف عن نفسه قلن حاش
لله تنزيه له وتعجب من قدرته على خلق عفيف مثله ما علمنا عليه من سوء من ذنب
قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق ثبت واستقر من حصحص البعير اذا القى مباركه ليناخ

وقت فحصحص في صميم الصفا تغتانه وثار البلى لونه ثم صحيما او ظهر من حص شعره اذا استأصله بحيث ظهر بشرة راسه وقرئ على البناء للمفعول انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين في قوله هي راودتني عن نفسي ذلك ليعلم قاله يوسف لما عاد اليه الرسول واخبره بكلامهن اي ذلك التثبت ليعلم العزيز اني لم اخنه بالغيب بظهر الغيب وهو حال من الفاعل او المفعول اي لم اخنه ولا انا غايب عنه او وهو غايب عني او ظرف اي بمكان الغيب وراء الاستار والابواب المغلقة وان الله لا يهدي كيد الخائنين لا ينفذه ولا يسدده او لا يهدي الخائنين بكيدهم فاوقع الفعل على الكيد مبالغة وفيه تعريض براعيل في خيانتها زوجها وتوكيد لامانته ولذلك عقبه بقوله وما ابرئ نفسي اي لا انزهها تنبيها على انه لم يرد بذلك تزكية نفسه والعجب بحاله بل اظهار ما انعم الله عليه من العصمة والتوفيق وعن ابن عباس انه لما قال ليعلم اني لم اخنه قال له جبريل ولا حين هممت فقال ذلك ان النفس لامارة بالسوء من حيث انها بالطبع مايلة الى الشهوات فتهم بها وتستعمل القوى والجوارح في اثرها كل الاوقات الا ما رحم ربي الا وقت رحمة ربي او الا ما رحمه الله من النفوس فعصمه عن ذلك وقيل الاستثناء منقطع اي ولكن رحمة ربي هي التي تصرف الاساءة وقيل الاية حكاية قول راعيل والمستثنى نفس يوسف واضرابه وعن ابن كثير ونافع برواية قالون بالسو على قلب الهمزة واوا ثم الادغام ان ربي غفور رحيم يغفر هم النفس ويرحم من شاء بالعصمة او يغفر للمستغفر لذنبه المعترف على نفسه ويرحمه ما استغفره واسترحم مما ارتكبه وقال الملك ائتوني به استخلصه لنفسي اجعله خالصا لنفسي فلما كلمه اي فلما اتوا به وكلمه وشاهد منه الرشد والدهاء قال انك اليوم لدينا مكين ذو مكانة ومنزلة امين مؤتمن على كل شيء روي انه لما خرج من السجن اغتسل وتنظف ولبس ثيابا جددا فلما دخل على الملك قال اللهم اني اسئلك بخيرك من خيره واعوذ بعزتك وقدرتك من شره ثم سلم عليه ودعا له بالعبرانية فقال ما هذا اللسان قال لسان عمي اسمعيل ثم دعا له بالعبرانية فقال ما هذا اللسان قال لسان ابائي وكان الملك يعرف سبعين لسانا فكلمه بها واجابه بجميعها فتعجب منه فقال احب ان اسمع رؤياي منك فحكاها ونعت له البقرات والسنابل واماكنها على ما راها فاجلسه على السرير وفوض اليه امره وقيل توفي قطفير في تلك الليالي فنصبه منصبه وزوج منه راعيل فوجدها عذراء فولد منها افرائيم ومنشا قال اجعلني على خزائن الارض ولني امرها والارض ارض مصر اني حفيظ لها ممن لا يستحقها عليم بوجوه التصرف فيها ولعله عليه السلام لما راى انه يستعمل في امره لا محالة اثر ما تعم فوائده وتجل عوائده وفيه دليل على جواز طلب التولية واظهار انه مستعد لها والتولي من يد الكافر اذا علم انه لا سبيل الى اقامة الحق وسياسة

الخلق الا بالاستظهار به وعن مجاهد ان الملك اسلم على يده وكذلك مكنا ليوسف في الارض ارض مصر يتبوأ منها حيث يشاء ينزل من بلادها حيث يهوى وقرأ ابن كثير نشاء بالنون نصيب برحمتنا من نشاء في الدنيا والاخرة ولا نضيع اجر المحسنين بل نوفي اجورهم عاجلا واجلا ولاجر الاخرة خير للذين امنوا وكانوا يتقون الشرك والفواحش لعظمه ودوامه وجاء اخوة يوسف روي انه لما استوزره الملك اقام العدل واجتهد في تكثير الزراعات وضبط الغلات حتى دخلت السنون المجدبة وعم القحط مصر والشام ونواحيهما وتوجه الناس اليه فباعهم اولا بالدراهم والدنانير حتى لم يبق معهم شيء منها ثم بالحلي والجواهر ثم بالدواب ثم بالضياع والعقار ثم برقابهم حتى استرقهم جميعا ثم عرض الامر على الملك فقال الراي رايك فاعتقهم ورد عليهم اموالهم وكان قد اصاب كنعان ما اصاب ساير البلاد فارسل يعقوب بنيه غير بنيامين فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون اي عرفهم يوسف ولم يعرفوه لطول العهد ومفارقتهم اياه في سن الحداثة ونسيانهم اياه وتوهمهم انه هلك وبعد حاله التي راوه عليها من حاله حين فارقوه وقلة تاملهم في حلاه من التهيب والاستعظام ولما جهزهم بجهازهم اصلحهم بعدتهم واوقر ركائبهم بما جاؤوا له والجهاز ما يعد من الامتعة للنقلة كعدد السفر وما يحمل من بلدة الى اخرى وما تزف به المراة الى زوجها وقرئ بجهازهم بالكسر قال ائتوني باخ لكم من ابيكم روي انهم لما دخلوا عليه قال من انتم وما امركم لعلكم عيون قالوا معاذ الله نحن بنو اب واحد وهو شيخ صديق نبي من الانبياء اسمه يعقوب قال كم انتم قالوا كنا اثني عشر فذهب احدنا الى البرية فهلك قال فكم انتم ههنا قالوا عشرة قال فاين الحادي عشر قالوا عند ابينا يتسلى به من الهالك قال فمن يشهد لكم قالوا لا يعرفنا ههنا من يشهد لنا قال فدعوا بعضكم عندي رهينة وائتوني باخيكم من ابيكم حتى اصدقكم فاقترعوا فاصابت شمعون وقيل كان يوسف يعطي لكل نفر حملا فسألوا حملا زايدا لاخ لهم من ابيهم فاعطاهم وشرط عليهم ان ياتوه به ليعلم صدقهم الا ترون اني اوفي الكيل اتمه وانا خير المنزلين للضيف والمضيفين لهم وكان قد احسن انزالهم وضيافتهم فان لم تاتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون اي ولا تقربوني ولا تدخلوا دياري وهو اما نهي او نفي معطوف على الجزاء قالوا سنراود عنه اباه سنجتهد في طلبه من ابيه وانا لفاعلون ذلك لا نتواني فيه وقال لفتيانه لغلمانه الكيالين جمع فتى وقرأ حمزة والكسائي وحفص لفتيانه على انه جمع الكثرة ليوافق قوله اجعلوا بضاعتهم في رحالهم فانه وكل بكل رحل واحدا يعبي فيه بضاعتهم التي شروا بها

الطعام وكانت نعالاً وادماً وانما فعل ذلك توسيعاً وتفضلاً عليهم وترفعاً من ان ياخذ ثمن الطعام منهم و
خوفاً من ان لا يكون عند ابيه ما يرجعون به لعلهم يعرفونها لعلهم يعرفون حق ردها او لكي يعرفونها اذا
انقلبوا الى اهلهم وفتحوا اوعيتهم لعلهم يرجعون لعل معرفتهم ذلك تدعوهم الى
الرجوع فلما رجعوا الى ابيهم قالوا يا ابانا منع منا الكيل حكم بمنعه
بعد هذا ان لم نذهب ببنيامين فارسل معنا اخانا نكتل نرفع المانع من الكيل و
نكتل ما نحتاج اليه وقرأ حمزة والكسائي بالياء على اسناده الى الاخ اي يكتل لنفسه فينضم اكتياله الى اكتيالنا
وانا له لحافظون عن ان يناله مكروه قال هل آمنكم عليه الا كما امنتكم
على اخيه من قبل وقد قلتم في يوسف وانا له لحافظون فالله خير حافظاً
فاتوكل عليه وافوض امري اليه وهو ارحم الراحمين فارجو ان يرحمني بحفظه ولا يجمع علي
مصيبتين وانتصاب حفظاً على التمييز وحافظاً في قراءة حمزة والكسائي وحفص يحتمله والحال كقولهم لله دره فارساً
وقرئ خير حافظ وخير الحافظين ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت
اليهم وقرئ ردت بنقل كسر الدال المدغمة الى الراء نقلها في بيع وقيل قالوا يا ابانا ما نبغي
ماذا نطلب هل من مزيد على ذلك اكرمنا واحسن مثوانا وباع منا ورد علينا متاعنا او لا نطلب وراء ذلك
احساناً او لا نبغي في القول ولا نزيد فيما حكينا لك من احسانه وقرئ ما تبغي على الخطاب اي اي شيء تطلب وراء
هذا من الاحسان او من الدليل على صدقنا هذه بضاعتنا ردت الينا استئناف
موضح لقوله ما نبغي ونمير اهلنا معطوف على محذوف اي ردت الينا فنستظهر بها ونمير اهلنا
بالرجوع الى الملك ونحفظ اخانا عن المخاوف في ذهابنا وايابنا ونزداد كيل
بعير وسق بعير باستصحاب اخينا هذا اذا كانت ما استفهامية واما اذا كانت نافية احتمل ذلك واحتمل
ان تكون الجمل معطوفة على ما نبغي اي لا نبغي فيما نقول ونمير اهلنا ونحفظ اخانا ذلك كيل يسير
اي مكيل قليل لا يكفينا استقلوا ما كيل لهم فارادوا ان يضاعفوه بالرجوع الى الملك او يزدادوا اليه
ما يكال لاخيهم ويجوز ان تكون الاشارة الى كيل بعير اي ذلك شيء قليل لا يضايقنا فيه الملك ولا يتعاظمه و
قيل انه من كلام يعقوب ومعناه ان حمل بعير شيء يسير لا يخاطر لمثله بالولد قال لن ارسله معكم
اذ رايت منكم ما رايت حتى تؤتون موثقاً من الله حتى تعطوني ما اثق به من عند الله
اي عهداً موكداً بذكر الله لتأتنني به جواب القسم اذ المعنى حتى تحلفوا بالله لتأتنني به الا ان
يحاط بكم الا ان تغلبوا فلا تطيقوا ذلك او الا ان تهلكوا جميعاً وهو استثناء مفرغ من اعم الاحوال

والتقدير لتأتنني به على كل حال الا حال الاحاطة بكم او من اعم العلل على ان قوله لتأتنني به في تاويل النفي اي لا
تمتنعون من الاتيان به الا للاحاطة بكم كقولهم اقسمت بالله الا فعلت اي ما اطلب الا فعلك فلما اتوه
موثقهم عهدهم قال الله على ما نقول من طلب الموثق واتيانه وكيل رقيب مطلع
وقال يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة
لانهم كانوا ذوي جمال وابهة مشتهرين في مصر بالقربة والكرامة عند الملك فخاف عليهم ان يدخلوا كوكبة
واحدة فيعانوا ولعله لم يوصهم بذلك في الكرة الاولى لانهم كانوا مجهولين حينئذ او كان الداعي اليها خوفه على بنيامين
وللنفس آثار منها العين والذي يدل عليه قوله عم في عوذته اللهم اني اعوذ بكلمات الله التامة من كل هامة
وعين لامة وما اغني عنكم من الله من شيء مما قضى عليكم بما اشرت به اليكم
فان الحذر لا يمنع القدر ان الحكم الا لله يصيبكم لا محالة ان قضى عليكم سوء ولا ينفعكم ذلك عليه
توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون جمع بين الحرفين في عطف الجملة على الجملة لتقدم
الصلة للاختصاص كان الواو للعطف والفاء لافادة التسبب فان فعل الانبياء سبب لان يقتدى بهم ولما
دخلوا من حيث امرهم ابوهم اي من ابواب متفرقة في البلد ما كان يغني
عنهم راي يعقوب واتباعهم له من الله من شيء مما قضاه عليهم كما قال يعقوب فسرقوا
واخذ بنيامين بوجدان الصواع في رحله وتضاعفت المصيبة على يعقوب الا حاجة في نفس
يعقوب استثناء منقطع اي ولكن حاجة في نفسه يعني شفقته عليهم وحزازته من ان يعانوا قضاها
اظهرها ووصى بها وانه لذو علم لما علمناه بالوحي ونصب الحجج ولذلك قال وما اغني عنكم
من الله من شيء ولم تغتر بتدبيره ولكن اكثر الناس لا يعلمون سر القدر وانه
لا يغني عنه الحذر ولما دخلوا على يوسف آوى اليه اخاه ضم اليه بنيامين على الطعام او
في المنزل روي انه اضافهم فاجلسهم مثنى مثنى فبقي بنيامين واحداً فبكى وقال لو كان اخي يوسف حياً
لجلس معي فاجلسه معه على مائدته ثم قال لينزل كل اثنين منكم بيتاً وهذا لا ثاني له فيكون معي فبات عنده و
قال له اتحب ان اكون اخاك بدل اخيك الهالك قال من يجد اخا مثلك ولكن لم يلدك يعقوب ولا
راحيل قال اني انا اخوك فلا تبتئس فلا تحزن افتعال من البؤس بما كانوا
يعملون في حقنا فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية المشربة في
رحل اخيه قيل كانت مشربة جعلت صاعاً يكال به وقيل كانت تسقى الدواب بها ويكال فيها و
كانت من فضة وقيل من ذهب وقرئ وجعل على حذف جواب فلما تقديره امهلهم حتى انطلقوا ثم

ثم اذن مؤذن نادى منادٍ ايتها العير انكم لسارقون لعله لم يقله بامر يوسف
او كان تعبية السقاية والنداء عليها برضا بنيامين وقيل معناه انكم لسارقون يوسف من ابيه او انكم لسارقون
والعير القافلة وهو اسم الابل التي عليها الاحمال لانها تعير اي تتردد فقيل لاصحابها كقوله عليه السلام يا خيل الله
اركبي وقيل جمع عير واصله فعل كسقف فعل به ما فعل ببيض تجوز به لقافلة الحمير ثم استعير لكل قافلة
قالوا واقبلوا عليهم ماذا تفقدون اي شيء ضاع منكم والفقد غيبة الشيء
عن الحس بحيث لا يعرف مكانه وقرئ تفقدون من افقدته اذا وجدته فقيدا قالوا نفقد
صواع الملك وقرئ صاع وصوع بالفتح والضم والعين والغين وصواغ من الصياغة و
لمن جاء به حمل بعير من الطعام جعلا له وانا به زعيم كفيل اؤديه الى من رده وفيه
دليل على جواز الجعالة وضمان الجعل قبل تمام العمل قالوا تالله قسم فيه معنى التعجب والتاء بدل من
الواو مختصة باسم الله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الارض وما كنا
سارقين استشهدوا بعلمهم على براءة انفسهم لما عرفوا منهم في كرتي مجيئهم ومداخلتهم للملك مما يدل
على فرط امانتهم كرد البضاعة التي جعلت في رحالهم وكعم الدواب لئلا تتناول زرعا او طعاما لاحد قالوا
فما جزاؤه فما جزاء السارق او السرق او الصواع على حذف المضاف ان كنتم كاذبين
في ادعاء البراءة قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه اي جزاء سرقته
اخذ من وجد في رحله واسترقاقه هكذا كان شرع يعقوب وقوله فهو جزاؤه تقرير للحكم والزام له او خبر من و
الفاء لتضمنها معنى الشرط او جواب لها على انها شرطية والجملة كما هي خبر جزاؤه على اقامة الظاهر فيها مقام
المضمر كانه قيل جزاؤه من وجد في رحله فهو هو كذلك نجزي الظالمين بالسرقة
فبدأ باوعيتهم فبدأ المؤذن وقيل يوسف لانهم ردوا الى مصر قبل وعاء اخيه
بنيامين نفيا للتهمة ثم استخرجها اي السقاية او الصواع لانه يذكر ويؤنث من وعاء
اخيه وقرئ بضم الواو وبقلبها همزة كذلك مثل ذلك الكيد كدنا ليوسف
بان علمناه اياه واوحينا به اليه ما كان ليأخذ اخاه في دين الملك ملك مصر لان دينه
الضرب وتغريم ضعف ما اخذ دون الاسترقاق وهو بيان للكيد الا ان يشاء الله ان يجعل ذلك الحكم
حكم الملك فالاستثناء من اعم الاحوال ويجوز ان يكون منقطعا اي لكن اخذه بمشيئة الله واذنه نرفع
درجات من نشاء بالعلم كما رفعنا درجته وفوق كل ذي علم عليم ارفع درجة منه
واحتج به من زعم انه تعالى عالم بذاته اذ لو كان ذا علم لكان فوقه من هو اعلم منه والجواب ان المراد كل ذي علم

من الناس لان الكلام فيهم ولان العليم هو الله ومعناه الذي له العلم البالغ لغة ولانه لا فرق بينه وبين قولنا فوق
كل العلماء عليم وهو مخصوص قالوا ان يسرق بنيامين فقد سرق اخ له من قبل
يعنون يوسف قيل ورثت عمته من ابيها منطقة ابراهيم وكانت تحضن يوسف وتحبه فلما شب اراد
يعقوب انتزاعه منها فشدت المنطقة على وسطه ثم اظهرت ضياعها فتفحص عنها فوجدت محزومة عليه فصارت
احق به في حكمهم وقيل كان لابي امه صنم فسرقه وكسره والقاه في الجيف وقيل كان في البيت عناق او دجاجة
فاعطاها السائل فاسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم اكنها ولم يظهرها لهم و
الضمير للاجابة او المقالة او نسبة السرقة اليه وقيل انه كناية بشريطة التفسير وتفسيرها قوله قال انتم
شر مكانا فانه بدل من اسرها والمعنى قال في نفسه انتم شر مكانا اي منزلة في السرقة لسرقتكم اخاكم
او في سوء الصنيع مما كنتم عليه وتانيثها باعتبار الكلمة او الجملة وفيه نظر اذ المفسر بالجملة لا يكون الا ضمير الشأن و
الله اعلم بما تصفون وهو يعلم ان الامر ليس كما تصفون قالوا يا ايها العزيز ان له
ابا شيخا كبيرا في السن او القدر ذكروا حاله استعطافا له عليه فخذ احدنا مكانه
بدله فان اباه ثكلان على اخيه الهالك مستأنس به انا نراك من المحسنين الينا فاتمم احسانك
او من المتعودين الاحسان فلا تغير عادتك قال معاذ الله ان نأخذ الا من وجدنا
متاعنا عنده فان اخذ غيره ظلم على فتواكم فلو اخذنا احدكم مكانه انا اذا لظالمين في
مذهبكم هذا وان مراده ان الله اذن لي ان آخذ من وجدنا الصاع في رحله لمصلحة ورضاه عليه فلو اخذت غيره
كنت ظالما فلما استيأسوا منه يئسوا من يوسف واجابته اياهم وزيادة السين والتاء للمبالغة
خلصوا انفردوا واعتزلوا نجيا متناجين وانما وحده لانه مصدر او بزنته كما قيل هم صديق وجمعه انجية
كندي واندية قال كبيرهم في السن وهو روبيل او في الراي وهو شمعون وقيل يهوذا الم تعلموا
ان اباكم قد اخذ عليكم موثقا من الله عهدا وثيقا وانما جعل حلفهم بالله موثقا
منه لانه باذن منه وتاكيد من جهته ومن قبل ومن قبل هذا ما فرطتم في يوسف قصرتم
في شانه وما مزيدة ويجوز ان تكون مصدرية في موضع النصب بالعطف على مفعول تعلموا ولا بأس بالفصل بين العاطف
والمعطوف بالظرف او على اسم ان وخبره في يوسف او من قبل او الرفع بالابتداء والخبر من قبل وفيه نظر لان قبل
اذا كان خبرا او صلة لا يقطع عن الاضافة حتى لا ينقص وان تكون موصولة اي ما فرطتموه بمعنى ما قدمتموه في حقه من الخيانة و
محله ما تقدم فلن ابرح الارض فلن افارق ارض مصر حتى يأذن لي ابي في الرجوع اليه او
يحكم الله لي او يتصرف لي بالخروج منها او بخلاص اخي منهم او بالمقاتلة معهم لتخليصه روي انهم كلموا

العزيز في اطلاقه فقال روبيل ايها الملك والله لتتركنا او لاصيحن صيحة تضع منها الحوامل ووقفت شعور جسده فخرجت
من ثيابه فقال يوسف لابنه قم الى جنبه فمسه وكانوا بنو يعقوب اذا غضب احدهم فمسه الاخر ذهب غضبه
فقال روبيل من هذا ان في هذا البلد لبزرا من بزر يعقوب وهو خير الحاكمين لان حكمه لا يكون الا بالحق
ارجعوا الى ابيكم فقولوا يا ابانا ان ابنك سرق على ما شاهدناه من ظاهر الامر و
قرئ سرق اي نسب الى السرقة وما شهدنا الا بما علمنا بان رأينا ان الصواع استخرج
من وعائه وما كنا للغيب لباطن الحال حافظين فلا ندري انه سرق او سرق و
دس الصاع في رحله او وما كنا للعواقب عالمين فلم ندر حين اعطيناك الموثق انه سيسرق او انك تصاب به
كما اصبت بيوسف واسئل القرية التي كنا فيها يعني مصر او قرية بقربها لحقهم
المنادي فيها والمعنى ارسل الى اهلها واسألهم عن القصة والعير التي اقبلنا فيها واصحاب العير الذي
توجهنا فيهم وكنا معهم وانا لصادقون تأكيد في محل القسم قال بل سولت اي فلما رجعوا
الى ابيهم وقالوا له ما قال لهم اخوهم قال بل سولت اي زينت وسهلت لكم انفسكم امرا
اردتموه فقدرتموه والا فما ادرى الملك ان السارق يؤخذ بسرقته فصبر جميل اي فامري صبر
جميل او فصبر جميل اجمل عسى الله ان يأتيني بهم جميعا بيوسف وبنيامين واخيهما الذي
توقف بمصر انه هو العليم بحالي وحالهم الحكيم في تدبيرها وتولى عنهم واعرض
عنهم كراهة لما صادف منهم وقال يا اسفى على يوسف اي يا اسفى تعال فهذا اوانك
والاسف اشد الحزن والحسرة والالف بدل من ياء المتكلم وانما تأسف على يوسف دون اخويه والحادث
رزؤهما لان رزأه كان قاعدة المصيبات وكان غضا اخذا بمجامع قلبه ولانه كان واثقا بحياتهما دون حياته
وفي الحديث لم تعط امة من الامم انا لله وانا اليه راجعون عند المصيبة الا امة محمد الا ترى الى يعقوب حين اصابه ما
اصابه لم يسترجع وقال يا اسفى وابيضت عيناه لكثرة بكائه من الحزن كان العبرة محقت
سوادهما وقيل ضعف بصره وقيل عمي وقرئ من الحزن وفيه دليل على جواز التأسف والبكاء عند التفجع ولعل امثال
ذلك لا تدخل تحت التكليف فانه قل من يملك نفسه عند الشدائد ولقد بكى رسول الله على ولده ابراهيم
وقال القلب يجزع والعين تدمع ولا نقول ما يسخط الرب وانا عليك يا ابراهيم لمحزونون فهو كظيم
مملوء من الغيظ على اولاده ممسك له في قلبه ولا يظهره فعيل بمعنى مفعول كقوله فهو مكظوم من كظم السقاء اذا شده
على ملئه او بمعنى فاعل كقوله والكاظمين الغيظ من كظم الغيظ اذا اجترعه واصله كظم البعير جرته اذا ردها في جوفه قالوا
تالله تفتأ تذكر يوسف اي لا تفتأ ولا تزال تذكره تفجعا عليه فحذف لا كما في قوله

فقلت يمين الله ابرح قاعدا لانه لا يلتبس بالاثبات فان القسم اذا لم يكن معه علامة الاثبات كان على النفي حتى تكون
حرضا مريضا مشفيا على الهلاك وقيل الحرض الذي اذابه هم او مرض وهو في الاصل مصدر ولذلك لا
يؤنث ولا يجمع والنعت بالكسر كدنف ودنف وقرئ حرضا بضمتين كجنب او تكون من الهالكين
من الميتين قال انما اشكو بثي وحزني همي الذي لا اقدر الصبر عليه من البث بمعنى النشر الى
الله لا الى احد منكم ومن غيركم فخلوني وشكايتي واعلم من الله من صنعه ورحمته وانه لا يخيب داعيه
ولا يدع الملتجئ اليه ما لا تعلمون او من الله بنوع من الالهام ما لا تعلمون من حيوة يوسف قيل رأى ملك
الموت في المنام فسأله عنه فقال هو حي وقيل علم من رؤيا يوسف انه لا يموت حتى يخر له اخوته سجدا يا بني
اذهبوا فتحسسوا من يوسف واخيه فتعرفوا منهما وتفحصوا عن حالهما والتحسس
تطلب الاحساس ولا تيأسوا من روح الله الا القوم الكافرون بالله وصفاته
فان العارف لا يقنط من رحمته في شيء من الاحوال فلما دخلوا عليه قالوا يا ايها العزيز
بعدما رجعوا الى مصر رجعة ثانية مسنا واهلنا الضر شدة الجوع وجئنا ببضاعة
مزجاة رديئة او قليلة ترد وتدفع رغبة عنها من ازجيته اذا دفعته ومنه تزجية الزمان قيل كانت دراهم
زيوفا وقيل صوفا وسمنا وقيل الصنوبر وحبة الخضراء وقيل الاقط وسويق المقل فاوف لنا الكيل
فاتمم لنا الكيل وتصدق علينا برد اخينا او بالمسامحة وقبول المزجاة او بالزيادة على ما يساويها و
اختلف في ان حرمة الصدقة تعم الانبياء او تختص بنبينا ان الله يجزي المتصدقين احسن الجزاء
والتصدق التفضل مطلقا ومنه قوله عم في قصر الصلوة هذه صدقة تصدق الله عليكم فاقبلوا صدقته
لكنه اختص عرفا بما يبتغي به ثواب من الله تعالى قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف و
اخيه اي هل علمتم قبحه فتبتم عنه وفعلهم باخيه افراده عن يوسف واذلاله حتى كان لا يستطيع ان
يكلمهم الا بعجز وذلة اذ انتم جاهلون قبحه فلذلك اقدمتم عليه او عاقبته وانما قال ذلك
تنصيحا لهم وتحريضا على التوبة وشفقة عليهم لما رأى من عجزهم وتمسكنهم لا معاتبة وتثريبا وقيل اعطوه كتاب
يعقوب في تخليص بنيامين وذكروا له ما فيه من الحزن على فقد يوسف واخيه فقال لهم ذلك
وانما جهلهم لان فعلهم كان فعل الجهال او لانهم كانوا حينئذ صبيانا طياشين قالوا ائنك لانت يوسف استفهام
تقرير ولذلك حقق بان واللام عليه وقرأه ابن كثير على الايجاب قيل عرفوه بروائه وشمائله حين كلمهم
به وقيل تبسم فعرفوه بثناياه وقيل رفع التاج عن رأسه فرأوا علامة بقرنه تشبه الشامة البيضاء وكان لسارة و
يعقوب مثلها قال انا يوسف وهذا اخي من ابي وامي ذكره تعريفا لنفسه وتفخيما لشانه

وادخالا لاخر في قوله قد من الله علينا اي بالسلامة والكرامة انه من يتق اي من يتق الله ويصبر
على البليات او على الطاعات وعن المعاصي فان الله لا يضيع اجر المحسنين وضع المحسنين موضع الضمير
للتنبيه على ان المحسن من جمع بين التقوى والصبر قالوا تالله لقد آثرك الله علينا اختارك
علينا بحسن الصورة وكمال السيرة وان كنا لخاطئين والحال ان شاننا انا كنا مذنبين بما
فعلنا معك قال لا تثريب عليكم لا تأنيب عليكم تفعيل من الثرب وهو الشحم الذي يغشى
الكرش للازالة كالتجليد فاستعير للتقريع الذي يمزق العرض ويذهب ماء الوجه اليوم متعلق بالتثريب او المقدر
للجار الواقع خبرا للا تثريب والمعنى لا اثربكم اليوم الذي هو مظنته فما ظنكم بسائر الايام او بقوله يغفر الله
لكم لانه صفح عن جريمتهم حينئذ واعترفوا بها وهو ارحم الراحمين فانه يغفر الصغائر و
الكبائر ويتفضل على التائب ومن كرم يوسف انهم لما عرفوه ارسلوا اليه وقالوا انك تدعونا بالبكرة
والعشي الى الطعام ونحن نستحيي منك لما فرط منا فيك فقال ان اهل مصر كانوا ينظرون الي بالعين الاولى ويقولون
سبحان من بلغ عبدا بيع بعشرين درهما ما بلغ ولقد شرفت بكم وعظمت في عيونهم حيث علموا انكم اخوتي واني من
حفدة ابراهيم اذهبوا بقميصي هذا القميص الذي كان عليه وقيل القميص المتوارث الذي كان
في التعويذ فالقوه على وجه ابي يأت بصيرا يرجع بصيرا اي ذا بصر وأتوني انتم وابي
باهلكم اجمعين بنسائكم وذراريكم ومواليكم ولما فصلت العير من مصر وخرجت من
عمرانها قال ابوهم لمن حضره اني لاجد ريح يوسف اوجده الله ريح ما عبق بقميصه من ريحه
حين اقبل به اليه يهوذا من ثمانين فرسخا لولا ان تفندون تنسبوني الى الفند وهو نقصان عقل يحدث
من هرم ولذلك لا يقال عجوز مفندة لان نقصان عقلها ذاتي وجواب لولا محذوف تقديره لصدقتموني
او لقلت انه قريب قالوا اي الحاضرون تالله انك لفي ضلالك القديم لفي ذهابك
عن الصواب قديما بالافراط في محبة يوسف واكثار ذكره والتوقع للقائه فلما ان جاء البشير يهوذا
روي انه قال كما احزنته بحمل قميصه الملطخ بالدم اليه فافرحه بحمل هذا اليه القاه على وجهه طرح
البشير القميص على وجه يعقوب او يعقوب نفسه فارتد بصيرا عاد بصيرا لما انتعش فيه من القوة قال
الم اقل لكم اني اعلم من الله ما لا تعلمون من حياة يوسف وانزال الفرج
وقيل اني اعلم كلام مبتدأ والمقول لا تيأسوا من روح الله او اني لاجد ريح يوسف قالوا يا ابانا
استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين ومن حق المعترف بذنبه ان يصفح عنه ويسأل
له المغفرة قال سوف استغفر لكم ربي انه هو الغفور الرحيم اخره الى السحر او الى

صلاة الليل او الى ليلة الجمعة تحريا لوقت الاجابة او الى ان يستحل لهم من يوسف او يعلم انه عفا عنهم فان عفو المظلوم
شرط المغفرة ويؤيده ما روي انه استقبل القبلة قائما يدعو وقام يوسف خلفه يؤمن وقاموا خلفهما اذلة خاشعين
حتى نزل جبريل وقال ان الله قد اجاب دعوتك في ولدك وعقد مواثيقهم بعدك على النبوة وهو ان صح فدليل على نبوتهم
وان ما صدر عنهم كان قبل استنبائهم فلما دخلوا على يوسف روي انه وجه اليه رواحل واموالا
ليتجهز اليه بمن معه واستقبله يوسف والملك باهل مصر وكان اولاده الذين دخلوا معه مصر اثنين وسبعين رجلا
وامراة وكانوا حين خرجوا مع موسى ستمائة الف وخمسمائة وبضعة وسبعين رجلا سوى الذرية والهرمى آوى
اليه ابويه ضم اليه اباه وخالته واعتنقهما نزلها منزلة الام تنزيل العم منزلة الاب في قوله واله آبائك
ابراهيم واسماعيل واسحق او لان يعقوب تزوجها بعد امه والرابة تدعى اما وقال ادخلوا مصر
ان شاء الله آمنين من القحط واصناف المكاره والمشيئة متعلقة بالدخول المكيف بالامن والدخول
الاول كان في موضع خارج البلد حين استقبلهم ورفع ابويه على العرش وخروا
له سجدا تحية وتكرمة له فان السجود كان عندهم يجري مجراها وقيل معناه خروا لاجله سجدا لله شكرا و
قيل الضمير لله والواو للابوين واخوته والرفع مؤخر عن الخرور وان قدم لفظا للاهتمام بتعظيمه لهما وقال يا ابت
هذا تاويل رؤياي من قبل رايتها ايام الصبا قد جعلها ربي حقا صدقا وقد
احسن بي اذ اخرجني من السجن ولم يذكر الجب لئلا يكون تثريبا عليهم وجاء بكم من
البدو من البادية لانهم كانوا اصحاب المواشي واهل البدو من بعد ان نزغ الشيطان
بيني وبين اخوتي افسد بيننا وحرش من نزغ الرائض الدابة اذا نخسها وحملها على الجري ان
ربي لطيف لما يشاء لطيف التدبير له اذ ما من صعب الا وتنفذ فيه مشيئته ويتسهل دونها انه هو
العليم بوجوه المصالح والتدابير الحكيم الذي يفعل كل شيء في وقته وعلى وجه يقتضي الحكمة
روي ان يوسف طاف بابيه في خزائنه فلما ادخله خزينة القرطاس قال يا بني ما اعقك عندك هذه القراطيس
وما كتبت الي على ثمان مراحل قال امرني جبريل قال او ما تسأله قال انت ابسط مني اليه فسأله قال جبريل الله
امرني بذلك لقولك واخاف ان ياكله الذئب قال فهلا خفتني رب قد آتيتني من
الملك بعض الملك وهو ملك مصر وعلمتني من تاويل الاحاديث الكتب او الرؤيا
ومن ايضا للتبعيض لانه لم يؤت كل التاويل فاطر السموات والارض مبدعهما وانتصابه على انه
صفة المنادى او منادى برأسه انت وليي ناصري او متولي امري في الدنيا والآخرة او الذي
يتولاني بالنعمة فيهما توفني مسلما اقبضني وألحقني بالصالحين من آبائي او بعامة الصالحين في

الرتبة والكرامة روي ان يعقوب اقام معه في مصر اربعا وعشرين سنة ثم توفي واوصى ان يدفن بالشام الى جنب
ابيه فذهب به ودفنه ثمة وعاش بعده ثلثا وعشرين سنة ثم تاقت نفسه الى الملك المخلد فتمنى الموت
فتوفاه الله طيبا طاهرا فتخاصم اهل مصر في مدفنه حتى هموا بالقتال فرأوا ان يجعلوه في صندوق من مرمر و
يدفنوه في النيل بحيث يمر عليه الماء ثم يصل الى مصر ليكونوا شرعا فيه ثم نقله موسى عم الى مدفن اباءه وكان عمره مائة
وعشرين سنة وقد ولد له من راعيل افراثيم وميشا وهو جد يوشع بن نون ورحمة امرأة ايوب ذلك
اشارة الى ما ذكر من نبأ يوسف والخطاب فيه للرسول صلعم وهو مبتدا من انباء الغيب نوحيه
اليك خبران له وما كنت لديهم اذ اجمعوا امرهم وهم يمكرون كالدليل
عليهما والمعنى ان هذا النبأ غيب لا تعرفه الا بالوحي لانك لم تحضر اخوة يوسف حين عزموا على ما هموا به
من ان يجعلوه في غيابت الجب وهم يمكرون به وبابيه ليرسله معهم ومن المعلوم الذي لا يخفى على مكذبيك انك
لم تلق احدا سمع ذلك فتعلمته منه وانما حذف هذا الشق استغناء بذكره في غير هذه القصة كقوله ما كنت تعلمها
انت ولا قومك من قبل هذا وما اكثر الناس ولو حرصت على ايمانهم وبالغت في
اظهار الايات عليهم بمؤمنين لعنادهم وتصميمهم على الكفر وما تسألهم عليه على الانباء او
القران من اجر من جعل كما يفعله حملة الاخبار ان هو الا ذكر عظة من الله للعالمين
عامة وكأين من اية وكم من اية والمعنى وكأين عدد شئت من الدلائل الدالة على وجود الصانع
وحكمته وكمال قدرته وتوحيده في السموات والارض يمرون عليها على الايات ويشاهدونها
وهم عنها معرضون لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها وقرئ والارض بالرفع على انه مبتدا خبره
يمرون فيكون لها الضمير في عليها وبالنصب على ويطؤون الارض وقرئ والارض يمشون عليها اي يترددون
فيها فيرون اثار الامم الهالكة وما يؤمن اكثرهم بالله في اقراره بوجوده وخالقيته الا و
هم مشركون بعبادة غيره او باتخاذ الاحبار اربابا ونسبة التبني اليه او القول بالنور
والظلمة او النظر الى الاسباب ونحو ذلك وقيل الاية في مشركي مكة وقيل في المنافقين وقيل في اهل الكتاب
افامنوا ان تأتيهم غاشية من عذاب الله عقوبة تغشاهم وتشملهم او تأتيهم
الساعة بغتة فجأة من غير سابقة علامة وهم لا يشعرون باتيانها غير مستعدين لها
قل هذه سبيلي يعني الدعوة الى التوحيد والاعداد للمعاد ولذلك فسر السبيل بقوله ادعوا
الى الله وقيل هو حال من الياء على بصيرة بيان وحجة واضحة غير عمياء انا تاكيد للمستتر في ادعوا او على
بصيرة لانه حال منه او مبتدا خبره على بصيرة ومن اتبعني عطف عليه وسبحان الله

وما انا من المشركين وانزهه تنزيها من الشركاء وما ارسلنا من قبلك الا
رجالا رد لقولهم لو شاء ربنا لانزل ملئكة وقيل معناه نفي استنباء النساء نوحي اليهم كما يوحى
اليك ويميزوا بذلك عن غيرهم وقرأ حفص نوحي في كل القران ووافقه حمزة والكسائي في الحرف الثاني في سورة الانبياء
من اهل القرى لان اهلها اعلم واحلم من اهل البدو افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان
عاقبة الذين من قبلهم من المكذبين بالرسل والايات فيحذروا تكذيبك او من المشغوفين بالدنيا المتهالكين
عليها فيقلعوا عن حبها ولدار الاخرة ولدار الحال او الساعة او الحيوة الاخرة خير للذين اتقوا
الشرك والمعاصي افلا تعقلون يستعملون عقولهم ليعرفوا انها خير وقرأ نافع وابن عامر وعاصم ويعقوب بالتاء حملا على قوله قل
هذه سبيلي اي قل لهم افلا تعقلون حتى اذا استيأس الرسل غاية محذوف دل عليه الكلام اي لا يغررهم تمادي
ايامهم فان من قبلهم امهلوا حتى ايس الرسل عن النصر عليهم في الدنيا او عن ايمانهم لانهماكهم في الكفر مترفهين متمادين فيه
من غير وازع وظنوا انهم قد كذبوا اي كذبتهم انفسهم حين حدثتهم بانهم ينصرون او كذبهم القوم
بوعد الايمان وقيل الضمير للمرسل اليهم اي وظن المرسل اليهم ان الرسل قد كذبوهم بالدعوة والوعيد وقيل الاول للمرسل
اليهم والثاني للرسل اي وظنوا ان الرسل قد كذبوا واخلفوا فيما وعد لهم من النصر وخلط الامر عليهم وما روي عن ابن عباس
ان الرسل ظنوا انهم اخلفوا ما وعدهم الله من النصر ان صح فقد اراد بالظن ما يهجس في القلب على طريق الوسوسة هذا وان المراد
به المبالغة في التراخي والامهال على سبيل التمثيل وقرأ غير الكوفيين بالتشديد اي وظن الرسل ان القوم قد كذبوهم فيما اوعدوهم
وقرئ كذبوا بالتخفيف وبناء الفاعل اي وظنوا انهم قد كذبوا فيما حدثوا به عند قومهم لما تراخى عنهم ولم يروا له اثرا
جاءهم نصرنا فنجي من نشاء النبي والمؤمنين وانما لم يعينهم للدلالة على انهم الذين يستأهلون ان
يشاء نجاتهم لا يشاركهم فيه غيرهم وقرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب على لفظ الماضي المبني للمفعول وقرئ فنجا و
لا يرد باسنا عن القوم المجرمين اذا نزل بهم وفيه بيان المشيين لقد كان
في قصصهم في قصص الانبياء واممهم او في قصة يوسف واخوته عبرة لاولي الالباب
لذوي العقول المبرأة عن شوائب الالف والركون الى الحس ما كان حديثا يفترى ما كان القران حديثا
يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه من الكتب الالهية وتفصيل كل شيء
يحتاج اليه في الدين اذ ما من امر ديني الا وله سند من القران بوسط او بغير وسط وهدى من الضلال ورحمة ينال
بها خير الدارين لقوم يؤمنون يصدقونه وعن النبي صلعم علموا ارقاءكم سورة يوسف فانه ايما مسلم تلاها
وعلمها اهله وما ملكت يمينه هون الله عليه سكرات الموت واعطاه القوة ان لا يحسد مسلما

سورة الرعد مدنية وقيل مكية الا قوله ويقول الذين كفروا الاية وهي خمس واربعون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

المر قيل معناه انا الله اعلم وارى تلك ايات الكتاب يعني بالكتاب السورة
وتلك اشارة الى اياتها اى تلك الايات ايات السورة الكاملة او القرآن والذى انزل
اليك من ربك هو القران كله ومحله الجر بالعطف على الكتاب عطف العام على الخاص او احدى
الصفتين على الاخرى او الرفع بالابتداء وخبره الحق والجملة كالحجة على الجملة الاولى وتعريف الخبر وان دل على اختصاص
المنزل بكونه حقا فهو اعم من المنزل صريحا او ضمنا كالمثبت بالقياس وغيره مما نطق المنزل بحسن اتباعه و
لكن اكثر الناس لا يومنون لاخلالهم بالنظر والتامل فيه الله الذى
رفع السموات مبتدا وخبره ويجوز ان يكون الموصول صفة والخبر يدبر الامر بغير عمد اساطين
جمع عماد كاهاب واهب او عمود كاديم وادم وقرئ عمد كرسل ترونها صفة لعمد او استيناف
للاستشهاد برويتهم السموات كذلك وهو دليل على وجود الصانع الحكيم فان ارتفاعها على ساير الاجسام المساوية لها
فى حقيقة الجرمية واختصاصها بما يقتضى ذلك لا بد وان يكون بمخصص ليس بجسم ولا جسمانى يرجح بعض الممكنات على بعض بارادته
وعلى هذا المنهاج ساير ما ذكر من الايات ثم استوى على العرش بالحفظ والتدبير وسخر
الشمس والقمر ذللهما لما اراد منهما كالحركة المستمرة على حد من السرعة ينفع فى حدوث الكاينات و
بقائها كل يجرى لاجل مسمى لمدة معينة يتم فيها ادواره او لغاية مضروبة ينقطع دونها سيره
وهى اذا الشمس كورت واذا النجوم انكدرت يدبر الامر امر ملكوته من الايجاد والاعدام والاحياء
والاماتة وغير ذلك يفصل الايات ينزلها ويبينها مفصلة او يحدث الدلايل واحدا بعد واحد
لعلكم بلقاء ربكم توقنون لكى تتفكروا فيها وتتحققوا كمال قدرته فتعلموا ان من قدر على خلق هذه
الاشياء وتدبيرها قدر على الاعادة والجزاء وهو الذى مد الارض بسطها طولا وعرضا لتثبت عليها
الاقدام ويتقلب عليها الحيوان وجعل فيها رواسى جبالا ثوابت من رسى الشىء اذا ثبت
جمع راسية والتاء للتانيث على انها صفة اجبل او للمبالغة وانهارا ضمها الى الجبال وعلق بهما فعلا واحدا من حيث
ان الجبال اسباب لتولدها ومن كل الثمرات متعلق بقوله جعل فيها زوجين
اثنين اى وجعل فيها من جميع انواع الثمرات صنفين اثنين كالحلو والحامض والابيض والاسود
والصغير والكبير يغشى الليل النهار يلبسه مكانه فيصير الجو مظلما بعد ما كان مضيئا وقرا حمزة والكسائى و
ابو بكر يغشى بالتشديد ان فى ذلك لايات لقوم يتفكرون فيها فان تكونها وتخصصها
بوجه دون وجه دليل على وجود صانع حكيم دبر امرها وهيا اسبابها وفى الارض قطع متجاورات

بعضها طيبة وبعضها سبخة وبعضها رخوة وبعضها صلبة وبعضها يصلح للزرع دون الشجر وبعضها بالعكس ولولا تخصيص
قادر موقع لافعاله على وجه دون وجه لم تكن كذلك لاشتراك تلك القطع فى الطبيعة الارضية وما يلزمها ويعرض
لها بتوسط ما يعرض من الاسباب السماوية من حيث انها متضامة متشاركة فى النسب والاوضاع وجنات
من اعناب وزرع ونخيل وبساتين فيها انواع الاشجار والزروع وتوحيد الزرع لانه مصدر
فى اصله وقرا ابن كثير وابو عمرو ويعقوب وحفص وزرع ونخيل بالرفع عطفا على وجنات صنوان نخلات
اصلها واحد وغير صنوان ومتفرقات مختلفة الاصول وقرا حفص بالضم وهو لغة بنى تميم كقنوان فى
جمع قنو يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الاكل
فى الثمر شكلا وقدرا ورائحة وطعما وذلك ايضا مما يدل على الصانع الحكيم فان اختلافها مع اتحاد الاصول
والاسباب لا يكون الا بتخصيص قادر مختار وقرا ابن عامر وعاصم ويعقوب يسقى بالتذكير على تاويل ما ذكر وحمزة
والكسائى يفضل بالياء ليطابق قوله يدبر الامر ان فى ذلك لايات لقوم يعقلون
يستعملون عقولهم بالتفكر وان تعجب يا محمد من انكارهم البعث فعجب قولهم حقيق بان
يتعجب منه فان من قدر على انشاء ما قص عليك كانت الاعادة ايسر شىء عليه والايات المعدودة كما هى
دالة على وجود المبدا فهى دالة على امكان الاعادة من حيث انها تدل على كمال قدرته وعلمه وقبول المواد
لانواع تصرفاته ءاذا كنا ترابا ءانا لفى خلق جديد بدل من قولهم او مفعول له
والعامل فى اذا محذوف دل عليه ءانا لفى خلق جديد اولئك الذين كفروا بربهم لانهم كفروا
بقدرته على البعث واولئك الاغلال فى اعناقهم مقيدون بالضلال لا يرجى خلاصهم او
يغلون يوم القيمة واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون لا ينفكون عنها وتوسيط الفصل
لتخصيص الخلود بالكفار ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة بالعقوبة قبل العافية
وذلك لانهم استعجلوا ما هددوا به من عذاب الدنيا استهزاء وقد خلت من قبلهم المثلات
عقوبات امثالهم من المكذبين فما لهم لم يعتبروا بها ولم يجوزوا حلول مثلها عليهم والمثلة بفتح الثاء وضمها كالصدقة
والصدقة العقوبة لانها مثل المعاقب عليه ومنه المثال للقصاص وامثلت الرجل من صاحبه اذا اقصصته منه وقرئ
المثلات بالتخفيف والمثلات باتباع الفاء العين والمثلات بالتخفيف بعد الاتباع والمثلات بفتح الميم وسكون
الثاء على انها جمع مثلة كركبة وركبات وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم مع
ظلمهم انفسهم ومحله النصب على الحال والعامل فيه المغفرة ودليل جواز العفو قبل التوبة فان التائب ليس على ظلمه و
من منع ذلك خص الظلم بالصغاير المكفرة لمجتنب الكباير او اول المغفرة بالستر والامهال وان ربك

لشديد العقاب للكفار أو لمن شاء وعن النبي لولا عفو الله وتجاوزه لما هنأ أحداً العيش ولولا وعيده
وعقابه لاتكل كل أحد ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه
لعدم اعتدادهم بالآيات المنزلة عليه واقتراحاً لنحو ما أوتي موسى وعيسى إنما أنت منذر مرسل للإنذار كغيرك
من الرسل وما عليك إلا الإتيان بما تصح به نبوتك من جنس المعجزات لا بما يقترح عليك ولكل
قوم هاد نبي مخصوص بمعجزات من جنس ما هو الغالب عليهم يهديهم إلى الحق ويدعوهم إلى الصواب أو قادر على هدايتهم
وهو الله تعالى لكن لا يهدي إلا من يشاء هدايته بما ينزل من الآيات ثم أردف ذلك بما يدل على كمال علمه وقدرته وشمول
قضائه وتقديره تنبيهاً على أنه تعالى قادر على إنزال ما اقترحوه وإنما لم ينزل لعلمه بأن اقتراحهم للعناد دون الاسترشاد وأنه
قادر على هدايتهم وإنما لم يهدهم لسبق قضائه عليهم بالكفر فقال الله يعلم ما تحمل كل أنثى
أي حملها أو ما تحمله على أي حال هو من الأحوال الحاضرة والمترقبة وما تغيض الأرحام و
ما تزداد وما تنقصه وما تزداده في الجثة والمدة والعدد وأقصى مدة الحمل أربع سنين عندنا وخمس عند
مالك وسنتان عند أبي حنيفة روي أن الضحاك ولد لسنتين وهرم بن حيان لأربع سنين وأعلى عدده
لا حد له وقيل نهاية ما عرف أربعة وإليه ذهب أبو حنيفة وقال الشافعي أخبرني شيخ باليمن أن امرأته
ولدت بطوناً في كل بطن خمسة وقيل المراد نقصان دم الحيض وازدياده وغاض جاء متعدياً ولازماً وكذا
ازداد وقال تعالى وازدادوا تسعاً فإن جعلتهما لازمين تعين أن تكون ما مصدرية وإسنادهما إلى الأرحام على المجاز
فإنهما لله أو لما فيها وكل شيء عنده بمقدار بقدر لا يجاوزه ولا ينقص عنه كقوله إنا كل شيء
خلقناه بقدر فإنه تعالى خص كل حادث بوقت وحال معينين وهيأ له أسباباً مسوقة إليه تقتضي ذلك وقرأ ابن كثير
هاد ووال وواق وما عند الله باق بالتنوين في الوصل فإذا وقف وقف بالياء في هذه الأربعة الأحرف
حيث وقعت لا غير والباقون يصلون بالتنوين ويقفون بغير ياء عالم الغيب الغائب عن الحس و
الشهادة الحاضر له الكبير العظيم الشأن الذي لا يخرج عن علمه شيء المتعال المستعلي على كل شيء
بقدرته أو الذي كبر عن نعت المخلوقين وتعالى عنه سواء منكم من أسر القول في نفسه ومن
جهر به لغيره ومن هو مستخف بالليل طالب للخفاء في مختبأ بالليل و
سارب بارز بالنهار يراه كل أحد من سرب سروباً إذا برز وهو عطف على من أو مستخف على أن
من في معنى الاثنين كقوله نكن مثل من يا ذئب يصطحبان كأنه قال سواء منكم اثنان مستخف بالليل وسارب بالنهار
والآية متصلة بما قبلها مقررة لكمال علمه وشموله له لمن أسر أو جهر أو استخفى أو سرب معقبات
ملائكة تعتقب في حفظه جمع معقبة من عقبه مبالغة عقبه إذا جاء على عقبه كأن بعضهم يعقب بعضاً أو لأنهم يعقبون أقواله وأفعاله

فيكتبونها أو اعتقب فأدغمت التاء في القاف والتاء للمبالغة أو لأن المراد بالمعقبات جماعات وقرئ معاقيب جمع معقب أو
معقبة على تعويض الياء من حذف إحدى القافين من بين يديه ومن خلفه من جوانبه أو من الأعمال ما قدم
وأخر يحفظونه من أمر الله من بأسه متى أذنب بالاستمهال أو الاستغفار له أو يحفظونه من المضار
أو يراقبون أحواله من أجل أمر الله وقد قرئ به وقيل من بمعنى الباء وقيل من أمر الله صفة ثانية لمعقبات وقيل
المعقبات الحرس والجلاوزة حول السلطان يحفظونه في توهمه من قضاء الله إن الله لا يغير ما بقوم
من العافية والنعمة حتى يغيروا ما بأنفسهم من الأحوال الجميلة بالأحوال القبيحة وإذا أراد الله
بقوم سوءاً فلا مرد له فلا رد له والعامل في إذا ما دل عليه الجواب وما لهم من دونه
من وال ممن يلي أمرهم فيدفع عنهم السوء وفيه دليل على أن خلاف مراد الله محال هو الذي يريكم
البرق خوفاً من أذاه وطمعاً في الغيث وانتصابهما على العلة بتقدير المضاف أي إرادة خوف
وطمع أو التأويل بالإخافة والإطماع أو الحال من البرق أو المخاطبين على إضمار ذو أو إطلاق المصدر بمعنى المفعول
أو الفاعل للمبالغة وقيل يخاف المطر من يضره ويطمع فيه من ينفعه وينشئ السحاب الغيم المنسحب
في الهواء الثقال وهو جمع ثقيلة وإنما وصف به السحاب لأنه اسم جنس في معنى الجمع و
يسبح الرعد ويسبح سامعوه بحمده ملتبسين به فيصيحون سبحان الله والحمد لله أو
يدل الرعد بنفسه على وحدانية الله وكمال قدرته ملتبساً بالدلالة على فضله ونزول رحمته وعن ابن عباس رضي الله عنهما سئل
النبي عن الرعد فقال ملك موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب والملائكة من
خيفته من خوف الله وإجلاله وقيل الضمير للرعد ويرسل الصواعق فيصيب بها
من يشاء فيهلكه وهم يجادلون في الله حيث يكذبون رسول الله فيما يصفه به من كمال العلم
والقدرة والتفرد بالألوهية وإعادة الناس ومجازاتهم والجدال التشدد في الخصومة من الجدل وهو الفتل و
الواو لعطف الجملة على الجملة أو للحال فإنه روي أن عامر بن الطفيل وأربد بن ربيعة أخا لبيد وفدا على رسول الله قاصدين
لقتله فأخذه عامر بالمجادلة ودار أربد من خلفه ليضربه بالسيف فتنبه له الرسول وقال اللهم اكفنيهما بما شئت فأرسل الله
على أربد صاعقة فقتلته ورمى عامراً بغدة فمات في بيت سلولية وكان يقول غدة كغدة البعير وموت في بيت
سلولية فنزلت وهو شديد المحال المماحلة والمكايدة لأعدائه من محل فلان بفلان إذا كايده وعرضه
للهلاك ومنه تمحل إذا تكلف استعمال الحيلة ولعل أصله المحل بمعنى القحط وقيل فعال من المحل بمعنى القوة وقيل مفعل
من الحول أو الحيلة أعل على غير قياس ويعضده أنه قرئ بفتح الميم على أنه مفعل من حال يحول إذا احتال ويجوز أن
يكون بمعنى الفقار فيكون مثلاً في القوة والقدرة كقولهم فساعد الله أشد وموساه أحد له دعوة الحق

الدعاء الحق فانه الذي يحق ان يعبد او يدعى الى عبادته دون غيره او له الدعوة المجابة فان من دعاه اجابه ويؤيده ما بعده والحق على الوجهين ما يناقض الباطل واضافة الدعوة اليه لما بينهما من الملابسة او على تاويل دعوة المدعو الحق وقيل الحق هو الله وكل دعاء اليه دعوة الحق والمراد بالجملتين ان كانت الاية في عامر واربد ان اهلاكهما من حيث لم يشعرا به محال من الله واجابة لدعوة الرسول صلى الله عليه وسلم او دلالة على انه على الحق وان كانت عامة فالمراد وعيد الكفرة على مجادلة رسول الله صلى الله عليه وسلم بحلول محاله بهم وتهديدهم باجابة دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم او بيان ضلالهم وفساد رايهم **والذين يدعون** اي والاصنام الذين يدعوهم المشركون فحذف الراجع او والمشركون الذين يدعون الاصنام فحذف المفعول لدلالة **من دونه** عليه **لا يستجيبون لهم بشيء** من الطلبات **الا كباسط كفيه** الا استجابة كاستجابة من بسط كفيه **الى الماء ليبلغ فاه** يطلب منه ان يبلغه **وما هو ببالغه** لانه جماد لا يشعر بدعائه ولا يقدر على اجابته والاتيان بغير ما جبل عليه وكذلك الهتهم وقيل شبهوا في قلة جدوى دعائهم لها بمن اراد ان يغترف الماء ليشربه فبسط كفيه ليشربه وقرئ تدعون بالتاء وباسط بالتنوين **وما دعاء الكافرين الا في ضلال** في ضياع وخسارة وباطل **ولله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها** يحتمل ان يكون السجود على حقيقته فانه يسجد له الملائكة والمؤمنون من الثقلين طوعا حالتي الشدة والرخاء والكفرة كرها حال الشدة والضرورة **وظلالهم** بالعرض وان يراد به انقيادهم لاحداث ما اراده فيهم شاؤوا او كرهوا وانقياد ظلالهم لتصريفه اياها بالمد والتقليص وانتصاب طوعا وكرها بالحال او العلة وقوله **بالغدو والاصال** ظرف ليسجد والمراد بهما الدوام او حال من الظلال وتخصيص الوقتين لان الامتداد والتقليص اظهر فيهما والغدو جمع غداة كقنى وقناة والاصال جمع اصيل وهو ما بين العصر والمغرب وقيل الغدو مصدر ويؤيده انه قرئ والايصال وهو الدخول في الاصيل **قل من رب السموات والارض** خالقهما ومتولي امرهما **قل الله** اجب عنهم بذلك اذ لا جواب لهم سواه ولانه البين الذي لا يمكن المراء فيه او لقنهم الجواب به **قل افاتخذتم من دونه** ثم الزمهم بذلك لان اتخاذهم منكر بعيد عن مقتضى العقل **اولياء لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا** لا يقدرون على ان يجلبوا اليها نفعا او يدفعوا عنها ضرا فكيف يستطيعون انفاع الغير ودفع الضر عنه وهو دليل ثان على ضلالهم وفساد رايهم في اتخاذهم اولياء رجاء ان يشفعوا لهم **قل هل يستوي الاعمى والبصير** المشرك الجاهل بحقيقة العبادة والموجب لها والموحد العالم بذلك وقيل المعبود الغافل عنكم والمعبود المطلع على احوالكم **ام هل تستوي الظلمات والنور** الشرك والتوحيد وقرا حمزة والكسائي وابو بكر بالياء **ام جعلوا لله شركاء** بل

اراد النهر

اجعلوا والهمزة للانكار وقوله **خلقوا كخلقه** صفة لشركاء داخلة في حكم الانكار **فتشابه الخلق عليهم** خلق الله وخلقهم والمعنى انهم ما اتخذوا لله شركاء خالقين مثله حتى تشابه عليهم الخلق فقالوا هؤلاء خلقوا كما خلق الله فاستحقوا العبادة كما استحقها ولكنهم اتخذوا شركاء عاجزين لا يقدرون على ما يقدر عليه الخلق فضلا عما يقدر عليه الخالق **قل الله خالق كل شيء** لا خالق غيره فيشاركه في العبادة جعل الخلق موجب العبادة ولازم استحقاقها ثم نفاه عمن سواه ليدل على قوله **وهو الواحد** اي المتوحد بالالوهية **القهار** الغالب على كل شيء **انزل من السماء ماء** من السحاب او من جانب السماء او من السماء نفسها فان المبادي منه **فسالت اودية** انهار جمع واد وهو الموضع الذي يسيل الماء فيه بكثرة فاتسع فيه واستعمل للماء الجاري فيه وتنكيرها لان المطر ياتي على تناوب بين البقاع **بقدرها** بمقدارها الذي علم الله انه نافع غير ضار او بمقدارها في الصغر والكبر **فاحتمل السيل زبدا** رفعه والزبد وضر الغليان **رابيا** عاليا **ومما توقدون عليه في النار** يعم الفلزات كالذهب والفضة والحديد والنحاس على وجه التهاون بها اظهارا لكبريائه **ابتغاء حلية** طلب حلي **او متاع** كالاواني والات الحرث والحرب والمقصود من ذلك بيان منافعها **زبد مثله** اي ومما يوقدون عليه زبد مثل زبد الماء وهو خبثه ومن للابتداء او للتبعيض وقرا حمزة والكسائي وحفص بالياء على ان الضمير للناس واضماره للعلم به **كذلك يضرب الله الحق والباطل** مثل الحق والباطل فانه مثل الحق في افادته وثباته بالماء الذي ينزل من السماء فتسيل به الاودية على قدر الحاجة والمصلحة فينتفع به انواع المنافع ويمكث في الارض بان يثبت بعضه في منابعه ويسلك بعضه في عروق الارض الى العيون والقنى والابار وبالفلز الذي ينتفع به في صوغ الحلي واتخاذ الامتعة المختلفة ويدوم ذلك مدة متطاولة والباطل في قلة نفعه وسرعة زواله بزبدهما وبين ذلك بقوله **فاما الزبد فيذهب جفاء** يجفا به اي يرمي به السيل او الفلز المذاب وانتصابه على الحال وقرئ جفالا والمعنى واحد **واما ما ينفع الناس** كالماء وخلاصة الفلز **فيمكث في الارض** ينتفع به اهلها **كذلك يضرب الله الامثال** لايضاح المشتبهات **للذين استجابوا لربهم الحسنى** للمؤمنين الذين استجابوا **والذين لم يستجيبوا له** وهم الكفرة واللام متعلقة بيضرب على انه جعل ضرب المثل لشان الفريقين ضرب المثل لهما وقيل للذين استجابوا خبر الحسنى وهي المثوبة او الجنة والذين لم يستجيبوا مبتدا خبره **لو ان لهم ما في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به** وهو على الاول كلام مبتدا لبيان مال غير المستجيبين **اولئك لهم سوء الحساب** وهو المناقشة فيه بان يحاسب الرجل بذنبه لا يغفر منه شيء **وماواهم** اي مرجعهم

ومما توقدون عليه زبدهم

للمؤمنين الذين استجابوا له

جهنم وبئس المهاد المستقر والمخصوص بالذم محذوف افمن يعلم انما انزل اليك من
ربك الحق فيستجيب كمن هو اعمى عمى القلب لا يستبصر فيستجيب والهمزة لانكار ان تقع شبهة في تشابههما
بعد ما ضرب من المثل انما يتذكر اولوا الالباب ذوو العقول المبراة عن مشايعة الالف و
معارضة الوهم الذين يوفون بعهد الله ما عقدوه على انفسهم من الاعتراف بربوبيته حين
قالوا بلى او ما عهد الله عليهم في كتبه ولا ينقضون الميثاق ما وثقوه من المواثيق بينهم وبين
الله وبين العباد وهو تعميم بعد تخصيص والذين يصلون ما امر الله به ان يوصل من
الرحم وموالاة المؤمنين والايمان بجميع الانبياء وجميع الكتب ويندرج في ذلك مراعاة جميع حقوق
الناس ويخشون ربهم وعيده عموما ويخافون سوء الحساب خصوصا
فيحاسبون انفسهم قبل ان يحاسبوا والذين صبروا على ما تكرهه النفس ويخالفه الهوى ابتغاء وجه
ربهم طلبا لرضاه لا لجزاء وسمعة ونحوهما واقاموا الصلوة المفروضة وانفقوا مما
رزقناهم بعضه الذي وجب عليهم انفاقه سرا لمن لم يعرف بالمال وعلانية لمن عرف
ويدرءون بالحسنة السيئة ويدفعونها بها فيجزون الاساءة بالاحسان او يتبعون
الحسنة السيئة فتمحوها اولئك لهم عقبى الدار عاقبة الدنيا وما ينبغي ان يكون مآل اهلها وهي الجنة
والجملة خبر الموصولات ان رفعت بالابتداء وان جعلت صفات لاولي الالباب فاستئناف بذكر ما
استوجبوا بتلك الصفات جنات عدن بدل من عقبى الدار او مبتدأ خبره يدخلونها
والعدن الاقامة اي جنات يقيمون فيها وقيل هو بطنان الجنة ومن صلح من آبائهم
وازواجهم وذرياتهم عطف على المرفوع في يدخلون وانما ساغ للفصل بالضمير الآخر
او مفعول معه والمعنى انه يلحق بهم من صلح من اهلهم وان لم يبلغ مبلغ فضلهم تبعا لهم وتعظيما لشانهم وهو دليل
على ان الدرجة تعلو بالشفاعة او ان الموصوفين بتلك الصفات يقرن بعضهم ببعض لما بينهم من القرابة و
الوصلة في دخول الجنة زيادة في انسهم وفي التقييد بالصلاح دلالة على ان مجرد الانساب لا ينفع والملائكة
يدخلون عليهم من كل باب من ابواب المنازل او من ابواب الفتوح والتحف قائلين
سلام عليكم بشارة بدوام السلامة بما صبرتم متعلق بعليكم او بمحذوف اي هذا
بما صبرتم لا بسلام فان الخبر فاصل والباء للسببية او البدلية فنعم عقبى الدار وقرئ فنعم بفتح النون
والاصل نعم فسكن العين بنقل كسرتها الى الفاء وبغيره والذين ينقضون عهد الله يعني مقابلي
الاولين من بعد ميثاقه من بعد ما اوثقوه به من الاقرار والقبول ويقطعون ما امر الله

به ان يوصل ويفسدون في الارض بالظلم وتهييج الفتن اولئك لهم اللعنة
ولهم سوء الدار عذاب جهنم او سوء عاقبة الدنيا لانه في مقابلة عقبى الدار و الله
يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر يوسعه ويضيقه وفرحوا اي اهل مكة او مثلهم
بالحيوة الدنيا بما بسط لهم في الدنيا وما الحيوة الدنيا في الآخرة في جنب الآخرة
الا متاع الا متعة لا تدوم كعجالة الراكب وزاد الراعي والمعنى انهم اشروا بما نالوا من الدنيا ولم يصرفوه
فيما يستوجبون به نعيم الآخرة واغتروا بما هو في جنبه نزر قليل النفع سريع الزوال ويقول الذين كفروا
لولا انزل عليه آية من ربه قل ان الله يضل من يشاء باقتراح الآيات
بعد ظهور المعجزات ويهدي اليه من اناب اقبل الى الحق ورجع عن العناد وهو
جواب يجري مجرى التعجب من قولهم كانه قال لهم ما اعظم عنادكم ان الله يضل من يشاء ممن كان على
صفتكم فلا سبيل الى اهتدائهم وان انزلت كل آية ويهدي اليه من اناب بما جئت به بل بادنى منه من الآيات
الذين آمنوا بدل من من او خبر مبتدأ محذوف وتطمئن قلوبهم بذكر الله
انسا به واعتمادا عليه ورجاء منه او بذكر رحمته بعد القلق من خشيته او بذكر دلائله الدالة على وجوده ووحدانيته او
بكلامه يعني القرآن الذي هو اقوى المعجزات الا بذكر الله تطمئن القلوب تسكن اليه الذين
آمنوا وعملوا الصالحات مبتدأ خبره طوبى لهم وهو فعلى من الطيب قلبت ياؤه واوا
لضمة ما قبلها مصدر لطاب كبشرى وزلفى ويجوز فيه الرفع والنصب ولذلك قرئ وحسن مآب
بالنصب كذلك مثل ذلك يعني ارسال الرسل قبلك ارسلناك في امة قد
خلت من قبلها امم تقدمتها امم ارسلوا اليهم فليس ببدع ارسالك اليها لتتلو عليهم الذي
اوحينا اليك لتقرأ عليهم الكتاب الذي اوحيناه اليك وهم يكفرون بالرحمن
وحالهم انهم يكفرون بالبليغ الرحمة الذي احاطت بهم نعمته ووسعت كل شيء رحمته فلم يشكروا نعمه وخصوصا ما انعم
عليهم بارسالك اليهم وانزال القرآن الذي هو مناط المنافع الدينية والدنيوية عليهم وقيل نزلت في مشركي
مكة حين قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن قل هو ربي اي الرحمن خالقي ومتولي امري لا اله
الا هو المستحق للعبادة سواه عليه توكلت في نصرتي عليكم واليه متاب مرجعي ومرجعكم
ولو ان قرآنا سيرت به الجبال شرط حذف جوابه والمراد منه تعظيم شان القرآن او المبالغة
في عناد الكفرة وتصميمهم اي ولو ان كتابا زعزعت به الجبال عن مقارها او قطعت به الارض
تصدعت من خشية الله عند قراءته او شققت فجعلت انهارا وعيونا او كلم به الموتى فتقراه

أو تسمع وتجيب عند قراءته لكان هذا القرآن لأنه الغاية في الإعجاز والنهاية في التذكير والإنذار أو لما آمنوا به كقوله ولو
أننا نزلنا إليهم الملائكة الآية. وقيل إن قريشا قالوا يا محمد إن سرك أن نتبعك فسير بقرآنك الجبال عن مكة
حتى يتسع لنا فنتخذ فيها بساتين وقطائع أو سخر لنا الريح لنركبها ونتجر إلى الشام أو ابعث لنا به قصي بن كلاب
وغيره من آبائنا ليكلمونا فيك فنزلت. وعلى هذا فتقطيع الأرض قطعها بالسير وقيل الجواب مقدم وهو قوله
وهم يكفرون بالرحمن وما بينهما اعتراض وتذكير كلم خاصة لاشتمال الموتى على المذكر الحقيقي بل لله الأمر جميعا
بل لله القدرة على كل شيء وهو إضراب عما تضمنه لو من معنى النفي أي بل الله قادر على الإتيان بما اقترحوه من
الآيات إلا أن إرادته لم تتعلق بذلك لعلمه بأنه لا تلين له شكيمتهم ويؤيد ذلك قوله أفلم ييأس
الذين آمنوا عن إيمانهم مع ما رأوا من أحوالهم وذهب أكثرهم إلى أن معناه أفلم يعلم لما روي أن عليا وابن
عباس وجماعة من الصحابة والتابعين قرؤوا أفلم يتبين وهو تفسيره وإنما استعمل اليأس بمعنى العلم لأنه مسبب عن
العلم فإن الميئوس عنه لا يكون إلا معلوما ولذلك علقه بقوله أن لو يشاء الله لهدى
الناس جميعا فإن معناه نفي هدى بعض الناس لعدم تعلق المشيئة باهتدائهم وهو على الأول متعلق بمحذوف
تقديره أفلم ييأس الذين آمنوا عن إيمانهم علما منهم أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا أو بآمنوا ولا يزال
الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا من الكفر وسوء الأعمال قارعة داهية تقرعهم
وتقلقهم أو تحل قريبا من دارهم فيفزعون منها ويتطاير إليهم شررها وقيل الآية في كفار
مكة فإنهم لا يزالون مصابين بما صنعوا برسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه عليه السلام كان لا يزال يبعث السرايا فتغير حول ديارهم و
تختطف مواشيهم وعلى هذا يجوز أن يكون تحل خطابا للرسول صلى الله عليه وسلم فإنه حل بجيشه قريبا من دارهم عام الحديبية
حتى يأتي وعد الله الموت أو القيامة أو فتح مكة إن الله لا يخلف الميعاد لامتناع
الكذب في كلامه ولقد استهزئ برسل من قبلك فأمليت للذين
كفروا ثم أخذتهم فكيف كان عقاب أي عقابي إياهم أفمن
هو قائم على كل نفس رقيب عليها بما كسبت من خير أو شر لا يخفى عليه شيء من أعمالهم
ولا يفوت عنده شيء من جزائهم والخبر محذوف تقديره كمن ليس كذلك وجعلوا لله شركاء
استئناف أو عطف على كسبت إن جعلت ما مصدرية أو لم يوحدوه وجعلوا عطف عليه ويكون الظاهر فيه موضع المضمر
للتنبيه على أنه المستحق للعبادة وقوله قل سموهم تنبيه على أن هؤلاء الشركاء لا يستحقونها أي صفوهم فانظروا
هل لهم ما يستحقون به العبادة ويستأهلون الشركة أم تنبئونه بل أتنبئونه وقرئ تنبئونه بالتخفيف
بما لا يعلم في الأرض بشركاء يستحقون العبادة لا يعلمهم أو بصفات لهم يستحقونها لأجلها لا يعلمها

وهو العالم بكل شيء أم بظاهر من القول أم تسمونهم شركاء بظاهر من القول من غير حقيقة واعتبار معنى
كتسمية الزنجي كافورا وهذا الاحتجاج بليغ على أسلوب عجيب ينادي على نفسه بالإعجاز بل زين للذين
كفروا مكرهم تمويههم فتخيلوا أباطيل ثم خالوها أو كيدهم للإسلام بشركهم وصدوا
عن السبيل سبيل الحق وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وصدوا بالفتح أي وصدوا الناس عن الإيمان وقرئ
بالكسر وصد بالتنوين ومن يضلل الله يخذله فما له من هاد يوفقه للهدى لهم
عذاب في الحياة الدنيا بالقتل والأسر وسائر ما يصيبهم من المصائب ولعذاب الآخرة أشق
لشدته ودوامه وما لهم من الله من عذابه أو من رحمته من واق حافظ مثل الجنة التي
وعد المتقون صفتها التي هي مثل في الغرابة وهو مبتدأ خبره محذوف عند سيبويه أي فيما قصصنا عليكم
مثل الجنة وقيل خبره تجري من تحتها الأنهار على طريقة قولك صفة زيد أسمر أو على زيادة المثل وهو على قول
سيبويه حال من العائد المحذوف من الصلة أكلها دائم لا ينقطع ثمرها أو لا كولتها وظلها
أي وظلها كذلك لا ينسخ كما ينسخ في الدنيا بالشمس تلك أي الجنة الموصوفة عقبى الذين اتقوا مآلهم
ومنتهى أمرهم وعقبى الكافرين النار لا غير وفي ترتيب النظمين إطماع للمتقين وإقناط للكافرين
والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل إليك يعني المسلمين من أهل الكتاب
كابن سلام وأصحابه ومن آمن من النصارى وهم ثمانون رجلا أربعون بنجران وثمانية باليمن واثنان وثلاثون بالحبشة
أو عامتهم فإنهم كانوا يفرحون بما يوافق كتبهم ومن الأحزاب يعني كفرتهم الذين تحزبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالعداوة ككعب بن الأشرف وأصحابه والسيد والعاقب وأشياعهما من ينكر بعضه وهو ما يخالف
شرائعهم أو ما يوافق ما حرفوه منها قل إنما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به جواب
للمنكرين أي قل لهم إني أمرت فيما أنزل إلي بأن أعبد الله وأوحده وهو العمدة في الدين ولا سبيل لكم إلى
إنكاره وأما ما تنكرونه لما يخالف شرائعكم فليس ببدع مخالفة الشرائع والكتب الإلهية في جزئيات الأحكام وقرئ
ولا أشرك بالرفع على الاستئناف إليه أدعو لا إلى غيره وإليه مآب وإليه مرجعي للجزاء لا إلى
غيره وهذا هو القدر المتفق عليه بين الأنبياء عليهم السلام وأما ما عدا ذلك من التفاريع فمما يختلف بالأعصار والأمم فلا معنى لإنكاركم
المخالفة فيه وكذلك ومثل ذلك الإنزال المشتمل على أصول الديانات المجمع عليها أنزلناه
حكما يحكم في القضايا والوقائع بما تقتضيه الحكمة عربيا مترجما بلسان العرب ليسهل لهم فهمه وحفظه وانتصابه
على الحال ولئن اتبعت أهواءهم التي يدعونك إليها كتقرير دينهم والصلاة إلى قبلتهم بعد ما
حولتك عنها بعد ما جاءك من العلم بنسخ ذلك ما لك من الله من ولي

ولا واق ينصرك ويمنع العقاب عنك وهو حسم لأطماعهم وتهييج للمؤمنين على الثبات في دينهم

لقد ارسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم ازواجا وذرية نساء واولادا كما هي لك

وما كان لرسول وما يصح له ولم يكن في وسعه ان ياتي باية تقترح عليه وحكم يلتمس منه الا باذن الله

فانه المليء بذلك لكل اجل كتاب لكل وقت وامد حكم يكتب على العباد على ما يقتضيه

استصلاحهم يمحو الله ما يشاء ينسخ ما يستصوب نسخه ويثبت ما تقتضيه حكمته وقيل يمحو

سيئات التائب ويثبت الحسنة مكانها وقيل يمحو من كتاب الحفظة ما لا يتعلق به جزاء ويترك غيره مثبتا او يثبت

ما رآه وحده في صميم قلبه وقيل يمحو قرنا ويثبت آخرين وقيل يمحو الفاسدات ويثبت الكائنات وقرأ ابن كثير

وابن عامر وحمزة والكسائي ويثبت بالتخفيف وعنده ام الكتاب اصل الكتب وهو اللوح المحفوظ

اذ ما من كائن الا وهو مكتوب فيه وإما نرينك بعض الذي نعدهم او نتوفينك

وكيفما دارت الحال أريناك بعض ما وعدناهم او توفيناك قبله فانما عليك البلاغ لا غير وعلينا الحساب للمجازاة

لا عليك فلا تحتفل باعراضهم ولا تستعجل بعذابهم فانا فاعلون له وهذا طلائعه اولم يروا انا نأتي الارض ارض الكفرة

ننقصها من اطرافها بما نفتحه على المسلمين منها والله يحكم لا معقب لحكمه لا راد له و

حقيقته الذي يعقب الشيء بالابطال ومنه قيل لصاحب الحق معقب لانه يقفو غريمه بالاقتضاء والمعنى انه حكم للاسلام

بالاقبال وعلى الكفر بالادبار وذلك كائن لا يمكن تغييره ومحل لا مع المنفي النصب على الحال اي يحكم نافذا حكمه

وهو سريع الحساب فيحاسبهم عما قليل في الآخرة بعدما عذبهم بالقتل والاجلاء في الدنيا وقد

مكر الذين من قبلهم بانبيائهم والمؤمنين بهم فلله المكر جميعا يعلم ما تكسب كل نفس

فيعد جزاءها وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار من الحزبين حينما يأتيهم العذاب المعد لهم وهم في غفلة منه وهذا كالتفسير

لمكر الله بهم واللام تدل على ان المراد العاقبة المحمودة مع ما في الاضافة الى الدار كما عرفت وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو الكافر على ارادة الجنس

ويقول الذين كفروا لست مرسلا قيل المراد بهم رؤساء اليهود قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم

فانه اظهر من الادلة على رسالتي ما يغني عن شاهد يشهد عليها ومن عنده علم الكتاب علم القرآن وما الف عليه من

النظم المعجز او علم التوراة وهو ابن سلام واضرابه او علم اللوح المحفوظ وهو الله اي وكفى بالذي يستحق العبادة وبالذي

لا يعلم ما في اللوح الا هو شهيدا بيننا فيخزي الكاذب منا ويؤيده قراءة من قرأ ومن عنده بالكسر وعلم الكتاب

على الاول ومن مرتفع بالظرف فانه معتمد على الموصول ويجوز ان يكون مبتدأ والظرف خبره وهو متعين على الثانية وقرئ

ومن عنده علم الكتاب على الحرف المبني للمفعول عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الرعد اعطي من الاجر عشر حسنات بوزن

كل سحاب مضى وكل سحاب يكون الى يوم القيامة وبعث يوم القيامة من الموفين بعهد الله تعالى

[illegible]

وقرئ الكافرون والذين كفروا والكفر اي اهله وسيعلم من اعلم اي اخبره

سورة ابراهيم مكية ... وهي احدى وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الر كتاب اي هو كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس بدعائك اياهم الى ما تضمنه

من الظلمات من انواع الضلال الى النور الى الهدى باذن ربهم بتوفيقه وتسهيله

مستعار من الاذن الذي هو تسهيل الحجاب وهو صلة لتخرج او حال من فاعله او مفعوله الى صراط العزيز

الحميد بدل من قوله الى النور بتكرير العامل او استئناف على انه جواب لمن يسأل عنه واضافة الصراط الى الله

اما لانه مقصده او المظهر له وتخصيص الوصفين للتنبيه على انه لا يذل سالكه ولا يخيب سابله الله الذي له

ما في السموات وما في الارض على قراءة نافع وابن عامر مبتدأ وخبره الذي او الله خبر محذوف

والذي صفته وعلى قراءة الباقين عطف بيان للعزيز لانه كالعلم لاختصاصه بالمعبود بالحق وويل للكافرين

من عذاب شديد وعيد لمن كفر بالكتاب ولم يخرج به من الظلمات الى النور والويل نقيض

الوأل وهو النجاة واصله النصب لانه مصدر الا انه لم يشتق منه لكنه رفع لافادة الثبات الذين

يستحبون الحيوة الدنيا على الآخرة يختارونها عليها فان المختار للشيء يطلب من نفسه ان يكون

احب اليها من غيره ويصدون عن سبيل الله بتعويق الناس عن الايمان وقرئ ويصدون

من اصده وهو منقول من صد صدودا اذا تنكب وليس فصيحا لان في صده مندوحة عن تكلف التعدية ويبغونها

عوجا ويبغون لها زيغا ونكوبا عن الحق ليقدحوا فيه فحذف الجار واوصل الفعل اليه والموصول بصلته

يحتمل الجر صفة للكافرين والنصب على الذم والرفع عليه او على انه مبتدأ خبره اولئك في ضلال بعيد

اي ضلوا عن الحق ووقعوا عنه بمراحل والبعد في الحقيقة للضال فوصف به فعله للمبالغة او للامر الذي به الضلال

فوصف به لملابسته وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه الا بلغة قومه الذي

هو منهم وبعث فيهم ليبين لهم ما امروا به فيفقهوه عنه بيسر وسرعة ثم ينقلوه ويترجموه لغيرهم فانهم اولى

الناس اليه بان يدعوهم واحق بان ينذرهم ولذلك امر النبي صلى الله عليه وسلم بانذار عشيرته اولا ولو نزل على من بعث الى امم

مختلفة كتب على السنتهم استقل ذلك بنوع من الاعجاز لكن ادى الى اختلاف الكلمة واضاعة فضل الاجتهاد في تعلم

الالفاظ ومعانيها والعلوم المتشعبة منها وما في اتعاب القرائح وكد النفوس من القرب المقتضية لجزيل الثواب

وقرئ بلسن وهو لغة فيه كريش ورياش ولسن بضمتين وضمة وسكون على الجمع كعمد وعمد وقيل الضمير في قومه لمحمد صلى الله عليه وسلم

وان الله انزل الكتب كلها بالعربية ثم ترجمها جبريل او كل نبي بلغة المنزل عليهم وذلك يرده قوله ليبين لهم فانه

ضمير القوم والتوراة والانجيل ونحوهما لم تنزل لتبين للعرب فيضل الله من يشاء فيخذله عن الايمان

لا يهدي

يهدي من يشاء بالتوفيق له وهو العزيز فلا يغالب في مشيئته الحكيم الذي لا يضل و
الا لحكمة ولقد ارسلنا موسى باياتنا يعني اليد والعصا وسائر معجزاته ان اخرج قومك
من الظلمات الى النور بمعنى اي اخرج لان في الارسال معنى القول او بان اخرج فان صيغ الافعال
سواء في الدلالة على المصدر فيصح ان توصل بها ان الناصبة وذكرهم بايام الله بوقائعه التي وقعت
على الامم الدارجة وايام العرب حروبها وقيل بنعمائه وبلائه ان في ذلك لايات لكل صبار
شكور يصبر على بلائه ويشكر لنعمائه فانه اذا سمع بما نزل على من قبله من البلاء وافيض عليهم من النعماء اعتبر وتنبه لما يجب
عليه من الصبر والشكر وقيل المراد لكل مؤمن وانما عبر عنهم بذلك تنبيها على ان الصبر والشكر عنوان المؤمن واذ قال
موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم اذ انجاكم من آل فرعون اي اذكروا
نعمته وقت انجائه اياكم ويجوز ان ينتصب بعليكم ان جعلت مستقرة غير صلة للنعمة وذلك اذا اريدت به العطية دون الانعام و
يجوز ان يكون بدلا من نعمة الله بدل الاشتمال يسومونكم سوء العذاب ويذبحون ابناءكم
ويستحيون نساءكم احوال من آل فرعون او من ضمير المخاطبين والمراد بالعذاب ههنا غير المراد به في سورة
البقرة والاعراف لانه مفسر بالتذبيح والقتل ثم ومعطوف عليه التذبيح ههنا وهو اما جنس العذاب او استعبادهم
واستعمالهم بالاعمال الشاقة وفي ذلكم من حيث انه باقدار الله اياهم وامهالهم فيه بلاء من
ربكم عظيم ابتلاء منه ويجوز ان تكون الاشارة الى الانجاء والمراد بالبلاء النعمة واذ تاذن ربكم
ايضا من كلام موسى وتاذن بمعنى اذن كتوعد واوعد غير انه ابلغ لما في التفعل من معنى التكلف والمبالغة
لئن شكرتم يا بني اسرائيل ما انعمت عليكم من الانجاء وغيره بالايمان والعمل الصالح لازيدنكم نعمة
الى نعمة ولئن كفرتم ان عذابي لشديد فلعلي اعذبكم على الكفران عذابا شديدا ومن عادة
اكرم الاكرمين ان يصرح بالوعد ويعرض بالوعيد والجملة مقول قول مقدر او مفعول تاذن على انه جرى مجرى قال لانه ضرب منه
وقال موسى ان تكفروا انتم ومن في الارض جميعا من الثقلين فان الله لغني
عن شكركم حميد مستحق للحمد في ذاته محمود تحمده الملائكة وتنطق بنعمته ذرات المخلوقات فما ضررتم بالكفران الا انفسكم حيث
حرمتموها مزيد الانعام وعرضتموها للعذاب الشديد الم ياتكم نبؤا الذين من قبلكم قوم
نوح وعاد وثمود من كلام موسى او كلام مبتدأ من الله والذين لا يعلمهم الا الله جملة
وقعت اعتراضا او الذين من بعدهم عطف على ما قبله ولا يعلمهم اعتراض والمعنى انهم لكثرتهم لا يعلم عددهم الا الله و
لذلك قال ابن مسعود كذب النسابون جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا ايديهم في
افواههم فعضوها غيظا مما جاءت به الرسل كقوله عضوا عليكم الانامل من الغيظ او وضعوها عليها تعجبا منه

من بعدهم

٢٥٦

او استهزاء عليها كمن غلبه الضحك او اسكاتا للانبياء وامرا لهم باطباق الافواه او اشاروا بها الى السنتهم وما نطقت به من قولهم
انا كفرنا تنبيها على ان لا جواب لهم سواه او ردوها في افواه الانبياء يمنعونهم من التكلم وعلى هذا يحتمل ان يكون تمثيلا وقيل الايدي
بمعنى الايادي اي ردوا ايادي الانبياء التي هي مواعظهم وما اوحي اليهم من الحكم والشرائع في افواههم لانهم اذا كذبوها ولم
يقبلوها فكانهم ردوها الى حيث جاءت منه وقالوا انا كفرنا بما ارسلتم به على زعمكم وانا لفي
شك مما تدعوننا اليه من الايمان وقرئ تدعونا بالادغام مريب موقع في الريبة او ذي ريبة
وهي قلق النفس وان لا تطمئن الى الشيء قالت رسلهم افي الله شك ادخلت همزة الانكار على الظرف
لان الكلام في المشكوك فيه لا في الشك اي انما ندعوكم الى الله وهو لا يحتمل الشك لكثرة الادلة وظهور دلالتها عليه واشاروا
الى ذلك بقوله فاطر السموات والارض وهو صفة او بدل وشك مرتفع بالظرف يدعوكم
الى الايمان ببعثه ايانا ليغفر لكم اي يدعوكم الى المغفرة كقولك دعوته لينصرني على اقامة المفعول له مقام المفعول به
من ذنوبكم بعض ذنوبكم وهو ما بينكم وبينه فان الاسلام يجبه دون المظالم وقيل جيء بمن في خطاب الكفرة
دون المؤمنين في جميع القرآن تفرقة بين الخطابين ولعل المعنى فيه ان المغفرة حيث جاءت في خطاب الكفار مرتبة على الايمان
وحيث جاءت في خطاب المؤمنين مشفوعة بالطاعة والتجنب عن المعاصي ونحو ذلك فتتناول الخروج عن المظالم ويؤخركم
الى اجل مسمى الى وقت سماه الله وجعله آخر اعماركم قالوا ان انتم الا بشر مثلنا لا فضل لكم علينا
فلم تخصون بالنبوة دوننا ولو شاء الله ان يبعث الى البشر رسلا لبعث من جنس افضل تريدون ان
تصدونا عما كان يعبد اباؤنا بهذه الدعوى فاتونا بسلطان مبين يدل على
فضلكم واستحقاقكم لهذه المزية او على صحة ادعائكم النبوة كانهم لم يعتبروا ما جاؤوا به من البينات والحجج واقترحوا عليهم آية
اخرى تعنتا ولجاجا قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم ولكن الله
يمن على من يشاء من عباده سلموا مشاركتهم في الجنس وجعلوا الموجب لاختصاصهم بالنبوة
فضل الله ومنه عليهم وفيه دليل على ان النبوة عطائية وان ترجيح بعض الجائزات على بعض بمشيئته تعالى وما كان
لنا ان ناتيكم بسلطان الا باذن الله اي ليس الينا الاتيان بالآيات ولا تستبد به استطاعتنا
حتى ناتيكم بما اقترحتموه وانما هو امر يتعلق بمشيئة الله فيخص كل نبي بنوع من الآيات وعلى الله فليتوكل
المؤمنون فلنتوكل عليه في الصبر على معاندتكم ومعاداتكم عمموا الامر للاشعار بما يوجب التوكل وقصدوا به انفسهم قصدا
اوليا الا ترى قوله وما لنا الا نتوكل على الله اي اي عذر لنا في ان لا نتوكل وقد هدانا
سبلنا التي بها نعرفه ونعلم ان الامور كلها بيده وقرأ ابو عمرو بالتخفيف ههنا وفي العنكبوت ولنصبرن
على ما آذيتمونا جواب قسم محذوف اكدوا به توكلهم وعدم مبالاتهم بما يجري من الكفار عليهم وعلى الله

فليتوكل المتوكلون فليثبت المتوكلون على ما استحدثوه من توكلهم المسبب عن ايمانهم وقال الذين
كفروا لرسلهم لنخرجنكم من ارضنا او لتعودن في ملتنا حلفوا على ان
يكون احد الامرين اما اخراجهم للرسل او عودهم الى ملتهم وهو بمعنى الصيرورة لانهم لم يكونوا على ملتهم قط ويجوز ان يكون
الخطاب مع كل رسول ومن آمن معه فغلبوا الجماعة على الواحد فاوحى اليهم ربهم اى الى رسلهم لنهلكن
الظالمين على اضمار القول او اجراء الايحاء مجراه لانه نوع منه ولنسكننكم الارض
من بعدهم اى ارضهم وديارهم لقوله واورثنا الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها وقرئ
ليهلكن وليسكننكم بالياء باعتبار اوحى كقولهم اقسم زيد ليخرجن ذلك اشارة الى الموحى به وهو اهلاك الظالمين
واسكان المؤمنين لمن خاف مقامى موقفى وهو الموقف الذى يقيم فيه العباد للحكومة يوم القيمة او قيامى عليه
وحفظى لاعماله وقيل المقام مقحم وخاف وعيد اى وعيدى بالعذاب او عذابى الموعود للكفار و
استفتحوا سألوا من الله الفتح على اعدائهم او القضاء بينهم وبين اعدائهم من الفتاحة كقوله ربنا افتح بيننا وبين
قومنا بالحق وهو معطوف على اوحى والضمير للانبياء وقيل للكفرة وقيل للفريقين فان كلهم سألوه ان ينصر المحق و
يهلك المبطل وقرئ بلفظ الامر عطفا على لنهلكن وخاب كل جبار عنيد اى ففتح لهم فافلح المؤمنون
وخاب كل عات متكبر على الله معاند للحق فلم يفلح ومعنى الخيبة اذا كان الاستفتاح من الكفرة او من القبيلين كان
اوقع من ورائه جهنم اى من بين يديه فانه مرصد بها واقف على شفيرها في الدنيا مبعوث اليها
في الآخرة وقيل من وراء حياته وحقيقته ما توارى عنك ويسقى من ماء عطف على محذوف تقديره
من ورائه جهنم يلقى فيها ما يلقى ويسقى من ماء صديد عطف بيان لماء وهو ما يسيل من جلود اهل النار يتجرعه
يتكلف جرعه وهو صفة لماء او حال من الضمير في يسقى ولا يكاد يسيغه ولا يقارب ان
يسيغه فكيف يسيغه بل يغص به فيطول عذابه والسوغ جواز الشراب على الحلق بسهولة وقبول نفس ويأتيه
الموت من كل مكان اى اسبابه من الشدائد فيحيط به من جميع الجهات وقيل من كل مكان من جسده
حتى من اصول شعره وابهام رجله وما هو بميت فيستريح ومن ورائه ومن بين يديه عذاب
غليظ اى يستقبل في كل وقت عذابا اشد مما هو عليه وقيل هو الخلود في النار وقيل حبس الانفاس
وقيل الآية منقطعة عن قصة الرسل نازلة في اهل مكة طلبوا الفتح الذى هو المطر في سنيهم التى ارسل الله عليهم بدعوة
رسوله فخيب رجاءهم فلم يسقهم ووعدهم ان يسقيهم في جهنم بدل سقياهم صديد اهل النار مثل الذين كفروا
بربهم مبتدأ خبره محذوف اى فيما يتلى عليكم صفتهم التى هى مثل في الغرابة او قوله اعمالهم
كرماد وهى على الاول جملة مستأنفة لبيان مثلهم وقيل اعمالهم بدل من المثل والخبر كرماد اشتدت

به الريح حملته واسرعت الذهاب به وقرأ نافع الرياح في يوم عاصف العصف اشتداد الريح
وصف به زمانه للمبالغة كقولهم نهاره صائم وليله قائم شبه صنائعهم من الصدقة وصلة الرحم واغاثة الملهوف
وعتق الرقاب ونحو ذلك من مكارمهم في حبوطها لبنائها على غير اساس من معرفة الله والتوجه بها اليه او اعمالهم
للاصنام برماد طيرته الريح العاصفة لا يقدرون يوم القيمة مما كسبوا من اعمالهم على
شيء لحبوطه فلا يرون له اثرا من الثواب وهو فذلكة التمثيل ذلك اشارة الى ضلالهم مع حسبانهم
محسنين هو الضلال البعيد فانه الغاية في البعد عن طريق الحق الم تر خطاب للنبى والمراد به امته وقيل
لكل واحد من الكفرة على التلوين ان الله خلق السموات والارض بالحق بالحكمة والوجه الذى
يحق ان يخلق عليه وقرأ حمزة والكسائى خالق السموات ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد يعدمكم و
يخلق خلقا آخر مكانكم رتب ذلك على كونه خالقا للسموات والارض استدلالا به عليه فان من خلق اصولهم وما يتوقف
عليه تخليقهم ثم كونهم بتبديل الصور وتغيير الطبايع قدر ان يبدلهم بخلق آخر ولم يمتنع عليه ذلك كما قال وما ذلك
على الله بعزيز بمتعذر او متعسر فانه قادر لذاته لا اختصاص له بمقدور دون مقدور ومن هذا شأنه كان حقيقا
بان يؤمن به ويعبد رجاء لثوابه وخوفا من عقابه يوم الجزاء وبرزوا لله جميعا اى يبرزون من قبورهم يوم
القيمة لامر الله ومحاسبته او لله على ظنهم فانهم كانوا يخفون ارتكاب الفواحش ويظنون انها تخفى على الله
فاذا كان يوم القيمة انكشفوا لله عند انفسهم وانما ذكر بلفظ الماضى لتحقق وقوعه فقال الضعفاء
الاتباع جمع ضعيف يريد به ضعاف الرأى وانما كتبت بالواو على لفظ من يفخم الالف قبل الهمزة فيميلها الى
الواو للذين استكبروا لرؤسائهم الذين استتبعوهم واستغووهم انا كنا لكم تبعا
في تكذيب الرسل والاعراض عن نصائحهم وهو جمع تابع كغائب وغيب او مصدر نعت به للمبالغة او على اضمار
المضاف فهل انتم مغنون عنا دافعون عنا من عذاب الله من شيء من
الاولى للبيان واقعة موقع الحال والثانية للتبعيض واقعة موقع المفعول اى بعض الشيء الذى هو عذاب الله ويجوز
ان يكونا للتبعيض اى بعض شيء هو بعض عذاب الله والاعراب ما سبق ويحتمل ان يكون الاولى مفعولا والثانية
مصدرا اى فهل انتم مغنون بعض الغناء بعض العذاب قالوا اى الذين استكبروا جوابا عن معاتبة الاتباع
واعتذارا عما فعلوا بهم لو هدانا الله للايمان ووفقنا له لهديناكم ولكن ضللنا فاضللناكم اى
اخترنا لكم ما اخترناه لانفسنا او لو هدانا الله طريق النجاة من العذاب لهديناكم واغنيناه عنكم كما عرضناكم له
لكن سد دوننا طريق الخلاص سواء علينا اجزعنا ام صبرنا مستويان علينا الجزع والصبر
ما لنا من محيص منجى ومهرب من العذاب من المحيص وهو العدول على جهة الفرار وهو يحتمل ان

يكون تكلفا كالمبيت ومصدرا كالمغيب ويجوز ان يكون قوله سواء علينا من كلام الفريقين ويؤيده انه روي
انهم يقولون تعالوا نجزع فيجزعون خمسمائة عام فلا ينفعهم فيقولون تعالوا نصبر فيصبرون كذلك ثم يقولون سواء علينا و
قال الشيطان لما قضي الامر احكم وفرغ منه ودخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار خطيبا في
الاشقياء من الثقلين ان الله وعدكم وعد الحق وعدا من حقه ان ينجز او وعدا انجزه وهو الوعد بالبعث
والجزاء ووعدتكم وعد الباطل وهو ان لا بعث ولا حساب وان كانا فالاصنام تشفع لكم فاخلفتكم
جعل تبين خلف وعده كالاخلاف منه وما كان لي عليكم من سلطان تسلط فالجئكم الى
الى الكفر والمعاصي الا ان دعوتكم الا دعائي اياكم اليها بتسويلي وهو ليس من جنس السلطان ولكنه على طريقة
قوله تحية بينهم ضرب وجيع ويجوز ان يكون الاستثناء منقطعا فاستجبتم لي فلا تلوموني
بوسوستي فان من صرح العداوة لا يلام بامثال ذلك ولوموا انفسكم حيث اطعتموني
اذ دعوتكم ولم تطيعوا ربكم لما دعاكم واحتج المعتزلة بامثال ذلك على استقلال العبد في افعاله وليس فيها
ما يدل عليه اذ يكفي لصحتها ان يكون لقدرة العبد مدخل ما في فعله وهو الكسب الذي يقوله اصحابنا ما انا
بمصرخكم بمغيثكم من العذاب وما انتم بمصرخي بمغيثي وقرا حمزة بكسر الياء على الاصل
في التقاء الساكنين وهو اصل مرفوض في مثله لما فيه من اجتماع ياءين وثلاث كسرات مع ان حركة ياء الاضافة هي الفتح فاذا لم
تكسر وقبلها الف فبالحري ان لا تكسر وقبلها ياء او على لغة من يزيد ياء على ياء الاضافة اجراء لها مجرى الهاء والكاف في ضربته
واعطيتكه وحذف الياء اكتفاء بالكسرة اني كفرت بما اشركتمون من قبل ما مصدرية
ومن متعلقة باشركتمون اي كفرت اليوم باشراككم اياي من قبل هذا اليوم اي في الدنيا بمعنى تبرأت منه واستنكرته
كقوله ويوم القيمة يكفرون بشرككم او موصولة بمعنى من نحو ما في قولهم سبحان ما سخركن لنا ومن متعلقة بكفرت اي
كفرت بالذي اشركتمونيه وهو الله تعالى بطاعتكم اياي فيما دعوتكم اليه من عبادة الاصنام وغيرها من قبل
اشراككم حين رددت امره بالسجود لادم واشرك منقول من شركت زيدا للتعدية الى مفعول ثان ان
الظالمين لهم عذاب اليم تتمة كلامه او ابتداء كلام من الله تعالى وفي حكاية امثال ذلك
لطف للسامعين وايقاظ لهم حتى يحاسبوا انفسهم ويتدبروا عواقبهم وادخل الذين امنوا
وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها
باذن ربهم باذن الله وامره والمدخلون هم الملائكة وقرئ ادخل على التكلم فيكون قوله باذن ربهم
متعلقا بقوله تحيتهم فيها سلام اي تحييهم الملائكة بالسلام باذن ربهم الم تر كيف
ضرب الله مثلا كيف اعتمده ووضعه كلمة طيبة كشجرة طيبة اي

(اسرعتم اجابتي)

جعلت كلمة طيبة كشجرة طيبة وهو تفسير لقوله ضرب الله مثلا ويجوز ان يكون كلمة بدلا من مثلا وكشجرة صفتها او خبر
مبتدا محذوف اي هي كشجرة وان يكون اول مفعولي ضرب اجراء لها مجرى جعل وقد قرئت بالرفع على الابتداء
اصلها ثابت في الارض ضارب بعروقه فيها وفرعها واعلاها في السماء ويجوز ان
يريد وفروعها اي افنانها على الاكتفاء بلفظ الجنس لاكتسابه الاستغراق من الاضافة وقرئ ثابت اصلها و
الاول على اصله ولذلك قيل انه اقوى ولعل الثاني ابلغ تؤتي اكلها تعطي ثمرها كل حين وقته الله
لاثمارها باذن ربها بارادة خالقها وتكوينه ويضرب الله الامثال للناس
لعلهم يتذكرون لان في ضربها زيادة افهام وتذكير فانه تصوير للمعاني وادناء لها من الحس و
مثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة كمثل شجرة خبيثة اجتثت
استؤصلت واخذت جثتها بالكلية من فوق الارض لان عروقها قريبة منه ما لها من قرار
استقرار واختلف في الكلمة والشجرة ففسرت الكلمة الطيبة بكلمة التوحيد ودعوة الاسلام والقران والكلمة الخبيثة
بالاشراك بالله والدعاء الى الكفر وتكذيب الحق ولعل المراد بهما ما يعم ذلك فالكلمة الطيبة ما اعرب
عن حق او دعا الى صلاح والكلمة الخبيثة ما كان على خلاف ذلك وفسرت الشجرة الطيبة بالنخلة وروي ذلك
مرفوعا وشجرة في الجنة والخبيثة بالحنظلة والكشوث ولعل المراد بهما ايضا ما يعم ذلك يثبت الله الذين امنوا
بالقول الثابت الذي ثبت بالحجة عندهم وتمكن في قلوبهم في الحيوة الدنيا فلا يزلون اذا
افتتنوا في دينهم كزكريا ويحيى وجرجيس وشمعون والذين فتنهم اصحاب الاخدود وفي الاخرة
فلا يتلعثمون اذا سئلوا عن معتقدهم في الموقف ولا تدهشهم اهوال القيمة وروي انه عليه السلام ذكر قبض روح
المؤمن فقال ثم تعاد روحه في جسده فياتيه ملكان فيجلسانه في قبره ويقولان له من ربك وما دينك
ومن نبيك فيقول ربي الله وديني الاسلام ونبيي محمد فينادي مناد من السماء ان صدق عبدي فذلك قوله يثبت الله
الذين امنوا بالقول الثابت ويضل الله الظالمين الذين ظلموا انفسهم بالاقتصار على التقليد فلا يهتدون
الى الحق ولا يثبتون في مواقف الفتن ويفعل الله ما يشاء من تثبيت بعض واضلال اخرين من
غير اعتراض عليه الم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا اي شكر نعمة كفرا بان وضعوه
مكانه او بدلوا نفس النعمة كفرا فانهم لما كفروها سلبت منهم فصاروا تاركين لها محصلين الكفر بدلها كاهل مكة خلقهم الله
واسكنهم حرمه وجعلهم قوام بيته ووسع عليهم ابواب رزقه وشرفهم بمحمد فكفروا ذلك فقحطوا سبع سنين
واسروا وقتلوا يوم بدر وصاروا اذلاء فبقوا مسلوبي النعمة موصوفين بالكفر وعن عمر وعلي هم الافجران من قريش
بنو المغيرة وبنو امية فاما بنو المغيرة فكفيتموهم يوم بدر واما بنو امية فمتعوا حتى حين واحلوا قومهم

الذين شايعوهم في الكفر دار البوار دار الهلاك بحملهم على الكفر جهنم عطف بيان لها يصلونها
حال منها او من القوم اي داخلين فيها مقاسين لحرها او مفسر لفعل مقدر ناصب لجهنم وبئس القرار اي
بئس المقر جهنم وجعلوا لله اندادا ليضلوا عن سبيله الذي هو التوحيد و
قرأ ابن كثير وابو عمرو ورويس عن يعقوب بفتح الياء وليس الضلال ولا الاضلال غرضهم في اتخاذ الانداد لكن
لما كان نتيجته جعل كالغرض قل تمتعوا بشهواتكم او بعبادة الاوثان فانها
من قبيل الشهوات التي يتمتع بها وفي التهديد بصيغة الامر ايذان بان المهدد عليه كالمطلوب لافضائه الى المهدد
به وان الامرين كائنان لا محالة ولذلك علله بقوله فان مصيركم الى النار وان المخاطب
لانهماكه فيه كالمأمور به من آمر مطاع قل لعبادي الذين آمنوا خصهم بالاضافة تنويها
لهم وتنبيها على انهم المقيمون لحقوق العبودية ومفعول قل محذوف يدل عليه جوابه اي قل لعبادي الذين آمنوا
اقيموا الصلوة وانفقوا يقيموا الصلوة وينفقوا مما رزقناهم فيكون ايذانا بانهم لفرط
مطاوعتهم الرسول بحيث لا ينفك فعلهم عن امره وانه كالسبب الموجب له ويجوز ان يقدرا بلام الامر
ليصح تعلق القول بهما وانما حسن ذلك ههنا ولم يحسن في قوله محمد تفد نفسك كل نفس اذا ما خفت من شيء تبالا
لدلالة قل عليه وقيل هما جوابا اقيموا وانفقوا مقامين مقامهما وهو ضعيف لانه لا بد من مخالفة ما بين
الشرط وجوابه ولان امر المواجهة لا يجاب بلفظ الغيبة اذا كان الفاعل واحدا سرا وعلانية
منتصبان على المصدر اي انفاق سر وعلانية او على الحال اي ذوي سر وعلانية او على الظرف اي
وقتي سر وعلانية والاحب اعلان الواجب واخفاء المتطوع به من قبل ان ياتي يوم لا
بيع فيه فيبتاع المقصر ما يتدارك به تقصيره او يفدي به نفسه ولا خلال ولا مخالة
فيشفع لك خليل او من قبل ان ياتي يوم لا انتفاع فيه بمبايعة ولا مخالة وانما ينتفع فيه بالانفاق
لوجه الله وقرأ ابن كثير وابو عمرو ويعقوب بالفتح فيهما على النفي العام الله الذي خلق
السموات والارض مبتدأ وخبر وانزل من السماء ماء فاخرج به
من الثمرات رزقا لكم تعيشون به وهو يشمل المطعوم والملبوس مفعول لاخرج
ومن الثمرات بيان له او حال منه ويحتمل عكس ذلك ويجوز ان يراد به المصدر فينتصب بالعلة او المصدر
لان اخرج في معنى رزق وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بامره بمشيئته الى
حيث توجهتم وسخر لكم الانهار فجعلها معدة لانتفاعكم وتصرفكم وقيل تسخير
هذه الاشياء تعليم كيفية اتخاذها وسخر لكم الشمس والقمر دائبين يدأبان

في سيرهما وانارتهما واصلاح ما يصلحان من المكونات وسخر لكم الليل والنهار يتعاقبان
لسباتكم ومعاشكم وآتيكم من كل ما سألتموه اي بعض جميع ما سألتموه يعني من كل شيء
سألتموه شيئا فان الموجود من كل صنف بعض ما في قدرة الله ولعل المراد بما سألتموه ما كان حقيقا بان يسأل
لاحتياج الناس اليه سئل او لم يسأل وما يحتمل ان تكون موصولة وموصوفة ومصدرية ويكون المصدر بمعنى المفعول و
قرئ من كل بالتنوين اي وآتاكم من كل شيء احتجتم اليه وسألتموه بلسان الحال ويجوز ان تكون ما نافية في
موقع الحال اي وآتاكم من كل شيء غير سائليه وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها اي لا تحصروها
ولا تطيقوا عد انواعها فضلا عن افرادها فانها غير متناهية وفيه دليل على ان المفرد يفيد الاستغراق بالاضافة
ان الانسان لظلوم يظلم النعمة باغفال شكرها او يظلم نفسه بان يعرضها للحرمان كفار شديد
الكفران وقيل ظلوم في الشدة يشكو ويجزع كفار في النعمة يجمع ويمنع واذ قال ابراهيم رب
اجعل هذا البلد بلدة مكة آمنا ذا امن لمن فيها والفرق بينه وبين قوله اجعل هذا بلدا آمنا ان
المسؤول في الاول ازالة الخوف عنه وتصييره آمنا وفي الثاني جعله من البلاد الآمنة واجنبني وبني
بعدني واياهم ان نعبد الاصنام واجعلنا منها في جانب وقرئ واجنبني وهما على لغة نجد واما اهل الحجاز
فيقولون جنبني شره وفيه دليل على ان عصمة الانبياء بتوفيق الله وحفظه اياهم وهو بظاهره لا يتناول احفاده
وجميع ذريته وزعم ابن عيينة ان اولاد اسمعيل لم يعبدوا الصنم محتجا به وانما كانت لهم حجارة يدورون بها و
يسمونها الدوار ويقولون البيت حجر فحيثما نصبنا حجرا فهو بمنزلته رب انهن اضللن كثيرا
من الناس فلذلك سألت منك العصمة واستعذت بك من اضلالهن واسناد الاضلال اليهن
باعتبار السببية كقوله وغرتهم الحيوة الدنيا فمن تبعني على ديني فانه مني اي بعضي لا ينفك عني
في امر الدين ومن عصاني فانك غفور رحيم تقدر ان تغفر له وترحمه ابتداء او
بعد التوفيق للتوبة وفيه دليل على ان كل ذنب فلله ان يغفره حتى الشرك الا ان الوعيد فرق بينه وبين غيره
ربنا اني اسكنت من ذريتي اي بعض ذريتي او ذرية من ذريتي فحذف المفعول وهو اسمعيل
ومن ولد منه فان اسكانه متضمن لاسكانهم بواد غير ذي زرع يعني وادي مكة فانها حجرية
لا تنبت عند بيتك المحرم الذي حرمت التعرض له والتهاون به او لم يزل معظما ممنعا يهابه
الجبابرة او منع منه الطوفان فلم يستول عليه ولذلك سمي عتيقا اي اعتق منه ولو دعا بهذا الدعاء اول ما قدم
فلعله قال ذلك باعتبار ما كان او ما يؤول اليه روي ان هاجر كانت لسارة فوهبتها لابراهيم عم فولدت منه
اسمعيل فغارت عليهما فناشدته ان يخرجهما من عندها فاخرجهما الى ارض مكة فاظهر الله عين زمزم ثم ان جرهم

رأوا ثم طيورا فقالوا لا طير الا على الماء فقصدوه فرأوهما وعندهما عين فقالوا اشركينا في مائك نشركك في
ألباننا ففعلت ربنا ليقيموا الصلوة اللام لام كي وهي متعلقة باسكنت اي ما اسكنتهم
بهذا الوادي البلقع من كل مرتفق ومرتزق الا لاقامة الصلوة عند بيتك المحرم وتكرير النداء وتوسيطه للاشعار
بانها المقصودة بالذات من اسكانهم ثمة والمقصود من الدعاء توفيقهم لها وقيل اللام لام الامر والمراد هو الدعاء
لهم باقامة الصلوة كانه طلب منهم الاقامة وسأل من الله ان يوفقهم لها فاجعل افئدة من
الناس اي افئدة من افئدة الناس ومن للتبعيض ولذلك قيل لو قال افئدة الناس لازدحمت
عليهم فارس والروم ولحجت اليهود والنصارى او للابتداء كقولك القلب مني سقيم اي افئدة ناس وقرأ هشام
افئيدة بخلف عنه بياء بعد الهمزة وقرئ آفدة وهو يحتمل ان يكون مقلوب افئدة كآدر في ادؤر وان
يكون اسم فاعل من افدت الرحلة اذا عجلت اي جماعة يعجلون نحوهم وافدة بطرح الهمزة للتخفيف وان كان
الوجه فيه اخراجها بين بين ويجوز ان يكون من افد تهوي اليهم تسرع اليهم شوقا ووِدادا وقرئ
تهوى على البناء للمفعول من هوى اليه غيره وتهوى من هوى يهوى اذا احب وتعديته بالى لتضمين معنى
النزوع وارزقهم من الثمرات مع سكناهم واديا لا نبات فيه لعلهم يشكرون
تلك النعمة فاجاب الله دعوته فجعله حرما امنا يجبى اليه ثمرات كل شيء حتى توجد فيه الفواكه الربيعية و
الصيفية والخريفية في يوم واحد ربنا انك تعلم ما نخفي وما نعلن تعلم سرنا كما تعلم علننا
والمعنى انك اعلم باحوالنا ومصالحنا وارحم بنا منا بانفسنا فلا حاجة لنا الى الطلب لكنا ندعوك اظهارا
لعبوديتك وافتقارا الى رحمتك واستعجالا لنيل ما عندك وقيل ما نخفي من وجد الفرقة وما نعلن من التضرع
اليك والتوكل عليك وتكرير النداء للمبالغة في التضرع واللجأ الى الله وما يخفى على الله من شيء
في الارض ولا في السماء لانه العالم بعلم ذاتي يستوي نسبته الى كل معلوم ومن للاستغراق
الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اي وهب لي وانا كبير آيس من الولد قيد الهبة
بحال الكبر استعظاما للنعمة واظهارا لما فيها من الاية اسمعيل واسحق روي انه ولد له اسمعيل
لتسع وتسعين سنة واسحق لمائة وثنتي عشرة سنة ان ربي لسميع الدعاء اي لمجيبه من قولك سمع
الملك كلامي اذا اعتد به وهو من ابنية المبالغة العاملة عمل الفعل اضيف الى مفعوله او فاعله على اسناد
السماع الى دعاء الله على المجاز وفيه اشعار بانه دعا ربه وسأل منه الولد فاجابه ووهب له سؤله حين وقع اليأس
منه ليكون من اجل النعم واجلاها رب اجعلني مقيم الصلوة معدلا لها مواظبا عليها
ومن ذريتي عطف على المنصوب في اجعلني والتبعيض لعلمه باعلام الله او استقراء عادته في الامم الماضية

انه يكون في ذريته كفار ربنا وتقبل دعاء واستجب دعائي او وتقبل عبادتي ربنا اغفر لي ولوالدي
وقرئ ولولدي وقد تقدم عذر استغفاره لهما وقيل اراد بهما ادم وحوا وللمؤمنين يوم يقوم
الحساب يثبت مستعار من القيام على الرجل كقولهم قامت الحرب على ساق او يقوم اليه اهله فحذف المضاف
واسند اليه قيامهم مجازا ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون خطاب
لرسول الله صلعم والمراد به تثبيته على ما هو عليه من انه مطلع على احوالهم وافعالهم لا يخفى عليه خافية والوعيد بانه
معاقبهم على قليله وكثيره لا محالة او لكل من توهم غفلته جهلا بصفاته واغترارا بامهاله وقيل انه تسلية للمظلوم و
تهديد للظالم انما يؤخرهم يؤخر عذابهم وعن ابي عمرو بالنون ليوم تشخص فيه الابصار
اي تشخص ابصارهم فلا تقر في اماكنها من هول ما ترى مهطعين مسرعين الى الداعي او مقبلين بابصارهم
لا يطرفون هيبة وخوفا واصل الكلمة هو الاقبال على الشيء مقنعي رؤسهم رافعيها لا يرتد
اليهم طرفهم بل بقيت عيونهم شاخصة لا تطرف او لا يرجع اليهم نظرهم فينظروا الى انفسهم و
افئدتهم هواء خلاء اي خالية عن الفهم لفرط الحيرة والدهشة ومنه يقال للاحمق والجبان قلبه هواء
اي لا رأي فيه ولا قوة قال زهير من الظلمان جؤجؤه هواء وقيل خالية عن الخير خاوية عن الحق وانذر
الناس يا محمد يوم يأتيهم العذاب يعني يوم القيامة او يوم الموت فانه اول ايام عذابهم
وهو مفعول ثان لانذر فيقول الذين ظلموا بالشرك والتكذيب ربنا اخرنا الى اجل
قريب اخر العذاب عنا وردنا الى الدنيا وامهلنا الى حد من الزمان قريب او اخر اجالنا
وابقنا مقدار ما نؤمن بك ونجيب دعوتك نجب دعوتك ونتبع الرسل جواب للامر
ونظيره لولا اخرتني الى اجل قريب فاصدق واكن من الصالحين اولم تكونوا اقسمتم
من قبل ما لكم من زوال على ارادة القول وما لكم جواب القسم جاء بلفظ الخطاب
على المطابقة دون الحكاية والمعنى اقسمتم انكم باقون في الدنيا لا تزالون بالموت ولعلهم اقسموا بطرا وغرورا او
دل عليه حالهم حيث بنوا شديدا واملوا بعيدا وقيل اقسموا انهم لا ينتقلون الى دار اخرى وانهم اذا ماتوا لا يزالون عن تلك
الحالة الى حالة اخرى كقوله واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت وسكنتم في
مساكن الذين ظلموا انفسهم بالكفر والمعاصي كعاد وثمود واصل سكن ان يعدى بفي كقر وغنى
واقام وقد يستعمل بمعنى التبوء فيجري مجراه كقولك سكنت الدار وتبين لكم كيف فعلنا
بهم بما تشاهدونه في منازلهم من آثار ما نزل بهم وما تواتر عندكم من اخبارهم وضربنا لكم
الامثال من احوالهم اي بينا لكم انكم مثلهم في الكفر واستحقاق العذاب او صفات ما فعلوا وفعل بهم التي

من الشوائب كالأمثال المضروبة وقد مكروا مكرهم المستفرغ فيه جهدهم لابطال الحق وتقرير الباطل وعند الله مكرهم ومكتوب عنده فعلهم فهو مجازيهم عليه او عنده ما يمكرهم به جزاء لمكرهم وابطالا له وان كان مكرهم في العظم والشدة لتزول منه الجبال مسوى لازالة الجبال او معدا وقيل ان نافية واللام مؤكدة لها كقوله وما كان الله ليعذبهم والمعنى ومحال ان تزول الجبال بمكرهم على ان الجبال مثل لامر النبي ونحوه وقيل مخففة من الثقيلة والمعنى انهم مكروا ليزيلوا ما هو كالجبال الراسية ثباتا وتمكنا من ايات الله وشرايعه وقرا الكسائي لتزول بالفتح والرفع على انها المخففة واللام هي الفاصلة والمعنى تعظيم مكرهم وقرئ بالفتح والنصب على لغة من يفتح لام كي وقرئ وان كاد مكرهم فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله مثل قوله انا لننصر رسلنا كتب الله لاغلبن انا ورسلي واصله مخلف رسله وعده فقدم المفعول الثاني ايذانا بانه لا يخلف الوعد اصلا لقوله ان الله لا يخلف الميعاد واذا لم يخلف وعده احدا كيف يخلف رسله ان الله عزيز غالب لا يماكر قادر لا يدافع ذو انتقام لاوليائه من اعدائه يوم تبدل الارض غير الارض بدل من يوم ياتيهم او ظرف للانتقام او مقدر باذكر او لا يخلف وعده ولا يجوز ان ينتصب بمخلف لان ما قبل ان لا يعمل فيما بعده والسموات عطف على الارض وتقديره والسموات غير السموات والتبديل يكون في الذات كقولك بدلت الدراهم بالدنانير وعليه قوله بدلناهم جلودا غيرها وفي الصفة كقولك بدلت الحلقة خاتما اذا اذبتها وغيرت شكلها وعليه قوله يبدل الله سيئاتهم حسنات والاية تحتملهما فعن علي تبدل ارضا من فضة وسموات من ذهب وعن ابن مسعود وانس يحشر الناس على ارض بيضاء لم يخطئ عليها احد خطيئة وعن ابن عباس هي تلك الارض وانما تغير صفاتها ويدل عليه ما روى ابو هريرة انه عليه السلام قال تبدل الارض غير الارض فتبسط وتمد مد الاديم العكاظي لا ترى فيها عوجا ولا امتا واعلم انه لا يلزم على الوجه الاول ان يكون الحاصل بالتبديل ارضا وسماء على الحقيقة ولا يبعد على الثاني ان يجعل الله الارض جهنم والسموات الجنة على ما اشعر به قوله كلا ان كتاب الابرار لفي عليين وقوله ان كتاب الفجار لفي سجين وبرزوا من اجداثهم لله الواحد القهار لمحاسبته ومجازاته وتوصيفه بالوصفين للدلالة على ان الامر في غاية الصعوبة كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار فان الامر اذا كان لواحد غلاب لا يغالب فلا مستغاث لاحد الى غيره ولا مستجار وترى المجرمين يومئذ مقرنين قرن بعضهم مع بعض بحسب مشاركتهم في العقايد والاعمال كقوله واذا النفوس زوجت او قرنوا مع الشيطان او مع ما اكتسبوا من العقايد الزايغة والملكات الباطلة او قرنت ايديهم وارجلهم الى رقابهم بالاغلال وهو يحتمل ان

يكون تمثيلا لمؤاخذتهم على ما اقترفته ايديهم وارجلهم في الاصفاد متعلق بمقرنين او حال من ضميره والصفد القيد وقيل الغل قال سلامة بن جندل وزيد الخيل قد لاقى صفادا يعض بساعد وبعظم ساق واصله الشد سرابيلهم قمصانهم من قطران وجاء قطران لغة فيه وهو ما يتحلب من الابهل فيطبخ فتهنا به الابل الجربى فيحرق الجرب بحدته وهو اسود منتن يشتعل فيه النار بسرعة يطلى بها جلود اهل النار حتى يكون طلاؤه لهم كالقميص ليجتمع عليهم لذع القطران ووحشة لونه ونتن ريحه مع اسراع النار في جلودهم على ان التفاوت بين القطرانين كالتفاوت بين النارين ويحتمل ان يكون تمثيلا لما يحيط بجوهر النفس من الملكات الردية والهيئات الوحشية فيجلب اليها انواعا من الغموم والالام وعن يعقوب قطران والقطر النحاس او الصفر المذاب والانى المتناهي حره والجملة حال ثانية او حال من الضمير في مقرنين وتغشى وجوههم النار اي وتتغشاها لانهم لم يتوجهوا بها الى الحق ولم يستعملوا في تدبره مشاعرهم وحواسهم التي خلقت فيها لاجله كما تطلع على افئدتهم لانها فارغة عن المعرفة مملوءة بالجهالات ونظيره قوله افمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم القيمة وقوله تعالى يوم يسحبون في النار على وجوههم ليجزي الله كل نفس اي يفعل بهم ذلك ليجزي كل نفس مجرمة ما كسبت او كل نفس من مجرمة او مطيعة لانه اذا بين ان المجرمين معاقبون لاجرامهم علم ان المطيعين يثابون لطاعتهم ويتعين ذلك ان علق اللام ببرزوا ان الله سريع الحساب لانه لا يشغله حساب عن حساب هذا اشارة الى القرآن او السورة او ما فيه من العظة والتذكير او ما وصفه من قوله ولا تحسبن الله الى قوله سريع الحساب بلاغ للناس كفاية لهم في الموعظة ولينذروا به عطف على محذوف اي لينصحوا ولينذروا بهذا البلاغ فتكون اللام متعلقة بالبلاغ ويجوز ان تتعلق بمحذوف تقديره ولينذروا به انزل او تلي وقرئ بفتح الياء من نذر به اذا علمه واستعد له وليعلموا انما هو اله واحد بالنظر والتامل فيما فيه من الايات الدالة عليه او المنبهة على ما يدل عليه وليذكر اولوا الالباب فيرتدعوا عما يرديهم ويتدرعوا بما يحظيهم واعلم انه سبحانه ذكر لهذا البلاغ ثلث فوايد هي الغاية والحكمة في انزال الكتب تكميل الرسل للناس واستكمالهم القوة النظرية التي منتهى كمالها التوحيد واستصلاح القوة العملية الذي هو التدرع بلباس التقوى جعلنا الله من الفايزين بهما وعن النبي من قرا سورة ابراهيم اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من عبد الاصنام وعدد من لم يعبد

سورة الحجر مكية وهي تسع وتسعون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

الر تلك ايات الكتاب وقران مبين اشارة الى ايات السورة والكتاب السورة وكذا القران وتنكيره للتفخيم اي ايات الجامع لكونه كتابا كاملا وقرانا يبين الرشد من الغي بيانا غريبا

ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين حين عاينوا حال المسلمين عند نزول النصر أو حلول
الموت أو يوم القيمة وقرأ نافع وعاصم ربما بالتخفيف وقرئ ربتما بالفتح والتخفيف وفيها ثمان لغات ضم الراء
وفتحها مع التشديد والتخفيف وبتاء التأنيث ودونها وما كافة تكفه عن الجر فيجوز دخوله على الفعل وحقه أن يدخل الماضي
لكن لما كان المترقب في أخبار الله تعالى كالماضي في تحققه أجري مجراه وقيل ما نكرة موصوفة كقوله ربما تكره النفوس
من الأمر له فرجة كحل العقال ومعنى التقليل فيه الإيذان بأنهم لو كانوا يودون الإسلام مرة فبالحري أن يسارعوا
إليه فكيف وهم يودونه كل ساعة وقيل تدهشهم أهوال القيمة فإن حانت منهم إفاقة في بعض الأوقات
تمنوا ذلك والغيبة في حكاية ودادتهم كالغيبة في قولك حلف بالله ليفعلن ذرهم دعهم يأكلوا
ويتمتعوا بدنياهم ويلههم الأمل ويشغلهم توقعهم لطول الأعمار واستقامة الأحوال عن الاستعداد
للمعاد فسوف يعلمون سوء صنيعهم إذا عاينوا جزاءه والغرض إقناط الرسول عن ارعوائهم وإيذانه
بأنهم من أهل الخذلان وأن نصحهم بعد اشتغال بما لا طائل تحته وفيه إلزام الحجة وتحذير عن إيثار التنعم وما يؤدي إليه
طول الأمل وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم أجل مقدر كتب في
اللوح والمستثنى جملة وقعت صفة لقرية والأصل أن لا يدخلها الواو كقوله إلا لها منذرون لكن لما شبهت صورتها
صورة الحال أدخلت عليها تأكيدا للصوقها بالموصوف ما تسبق من أمة أجلها و
ما يستأخرون أي وما يستأخرون عنه وتذكير ضمير أمة فيه للحمل على المعنى وقالوا يا أيها
الذي نزل عليه الذكر نادوا به النبي على التهكم ألا ترى إلى ما نادوه له وهو قوله
إنك لمجنون ونظير ذلك قول فرعون إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون والمعنى إنك لتقول قول
المجانين حين تدعي أن الله نزل عليك الذكر أي القرآن لو ما تأتينا ركب لو مع ما كما ركب مع لا
لمعنيين امتناع الشيء لوجود غيره والتحضيض بالملئكة ليصدقوك ويعضدوك على الدعوة كقوله
لولا أنزل عليه ملك فيكون معه نذيرا أو للعقاب على تكذيبنا لك كما أتت الأمم المكذبة قبل إن
كنت من الصادقين في دعواك ما ننزل الملئكة بالنون مسنده إلى
اسمه الله وقرأ حمزة والكسائي وحفص بالنون وأبو بكر بالتاء والبناء للمفعول ورفع الملئكة وقرئ تنزل بمعنى
تتنزل إلا بالحق إلا تنزيلا ملتبسا بالحق أي بالوجه الذي قدره واقتضته حكمته ولا حكمة في أن تأتيكم
بصور تشاهدونها فإنه لا يزيدكم إلا لبسا ولا في معاجلتكم بالعقوبة فإن منكم ومن ذراريكم من سبقت كلمتنا
له بالإيمان وقيل الحق الوحي أو العذاب وما كانوا إذا منظرين إذا جواب لهم وجزاء
لشرط مقدر أي ولو نزلنا الملئكة ما كانوا منظرين إنا نحن نزلنا الذكر رد لإنكارهم و

واستهزائهم

استهزائهم ولذلك أكده من وجوه وقرره بقوله وإنا له لحافظون أي من التحريف والزيادة والنقص
بأن جعلناه معجزا مباينا لكلام البشر بحيث لا يخفى تغيير نظمه على أهل اللسان أو نفي تطرق الخلل إليه في الدوام بضمان
الحفظ كما نفى أن يطعن فيه بأنه المنزل له وقيل الضمير في له للنبي ولقد أرسلنا من قبلك في
شيع الأولين في فرقهم جمع شيعة وهي الفرقة المتفقة على طريق ومذهب من شاعه إذا تبعه و
أصله الشياع وهو الحطب الصغار يوقد به الكبار والمعنى نبأنا رجالا فيهم وجعلناهم رسلا فيما بينهم و
ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزؤن كما يفعل هؤلاء وهو تسلية
للنبي وما للحال لا تدخل إلا مضارعا بمعنى الحال أو ماضيا قريبا منه وهذا على حكاية الحال الماضية كذلك
نسلكه ندخله في قلوب المجرمين والسلك إدخال الشيء في الشيء كالخيط في المخيط
والرمح في المطعون والضمير للاستهزاء وفيه دليل على أن الله تعالى يوجد الباطل في قلوبهم وقيل للذكر فإن الضمير الآخر في قوله
لا يؤمنون به له وهو حال من هذا الضمير والمعنى مثل ذلك السلك نسلك الذكر في قلوب المجرمين مكذبا
غير مؤمن به أو بيان للجملة المتضمنة له وهذا الاحتجاج ضعيف إذ لا يلزم من تعاقب الضمائر توافقها في المرجوع إليه ولا يتعين
أن تكون الجملة حالا من الضمير لجواز أن تكون حالا من المجرمين ولا ينافي كونها مفسرة للمعنى المذكور بل يقويه و
قد خلت سنة الأولين أي سنة الله فيهم بأن خذلهم وسلك الكفر في قلوبهم أو بإهلاك
من كذب الرسل منهم فيكون وعيدا لأهل مكة ولو فتحنا عليهم على هؤلاء المقترحين بابا من
السماء فظلوا فيه يعرجون يصعدون إليها ويرون عجائبها طول نهارهم مستوضحين لما يرون
أو يصعد الملئكة وهم يشاهدونهم لقالوا من غلوهم في العناد وتشكيكهم في الحق إنما سكرت
أبصارنا سدت من الإبصار بالسحر من السكر ويدل عليه قراءة ابن كثير بالتخفيف أو حيرت من السكر و
يدل عليه قراءة من قرأ سكرت بل نحن قوم مسحورون قد سحرنا محمد بذلك كما قالوه عند ظهور
غيره من الآيات وفي كلمتي الحصر والإضراب دلالة على البت بأن ما يرونه لا حقيقة له بل هو باطل خيل إليهم بنوع
من السحر ولقد جعلنا في السماء بروجا اثني عشر مختلفة الهيئات والخواص على ما دل
عليه الرصد والتجربة مع بساطة السماء وزيناها بالأشكال والهيئات البهية للناظرين المعتبرين المستدلين
بها على قدرة مبدعها وتوحيد صانعها وحفظناها من كل شيطان رجيم فلا يقدر
أن يصعد إليها ويوسوس أهلها ويتصرف في أمرها ويطلع على أحوالها إلا من استرق السمع بدل
من كل شيطان واستراق السمع اختلاسه سرا شبه به خطفتهم اليسيرة من قطان السموات لما بينهم من المناسبة في
الجوهر أو بالاستدلال من أوضاع الكواكب وحركاتها وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنهم كانوا لا يحجبون عن السموات فلما ولد عيسى

منعوا من ثلث سموات فلما ولد محمد صلى الله عليه وسلم منعوا من كلها بالشهب ولا يقدح فيه تكونها قبل المولد لجواز أن يكون لها أسباب
أخر وقيل الاستثناء منقطع أي ولكن من استرق السمع فأتبعه فتبعه ولحقه شهاب مبين ظاهر للمبصرين
والشهاب شعلة نار ساطعة وقد يطلق للكوكب والسنان لما فيهما من البريق والأرض مددناها
بسطناها وألقينا فيها رواسي جبالا ثوابت وأنبتنا فيها في الأرض أو فيها وفي الجبال من
كل شيء موزون مقدر بمقدار معين تقتضيه حكمته أو مستحسن مناسب من قولهم كلام موزون أو ما يوزن و
يقدر أو له وزن في أبواب النعمة والمنفعة وجعلنا لكم فيها معايش تعيشون بها
من المطاعم والملابس وقرئ بالهمزة على التشبيه بشمائل ومن لستم له برازقين عطف على
معايش أو على محل لكم ويريد به العيال والخدم والمماليك وسائر ما يظنون أنهم يرزقونه ظنا كاذبا فإن الله
يرزقهم وإياهم وفذلكة الآية الاستدلال بجعل الأرض ممدودة بمقدار وشكل معينين مختلفة الأجزاء في الوضع
محدثة فيها أنواع النبات والحيوان المختلفة خلقة وطبيعة مع جواز أن لا يكون كذلك على كمال قدرته وتناهي
حكمته والتفرد في الألوهية والامتنان على العباد بما أنعم عليهم في ذلك ليوحدوه ويعبدوه ثم بالغ في ذلك
فقال وإن من شيء إلا عندنا خزائنه أي وما من شيء إلا ونحن قادرون على إيجاده وتكوينه
أضعاف ما وجد منه فضرب الخزائن مثلا لاقتداره أو شبه مقدوراته بالأشياء المخزونة التي لا يحوج إخراجها
إلى كلفة واجتهاد وما ننزله إلا بقدر معلوم حده الحكمة وتعلقت به المشيئة فإن تخصيص بعضها
بالإيجاد في بعض الأوقات مشتملا على بعض الصفات والحالات لا بد له من مخصص حكيم وأرسلنا الرياح
لواقح حوامل شبه الريح التي جاءت بخير من إنشاء سحاب ماطر بالحامل كما شبه ما لا يكون كذلك بالعقيم
أو ملقحات للشجر والسحاب ونظيره الطوائح بمعنى المطيحات في قوله ومختبط مما تطيح الطوائح وقرئ وأرسلنا
الريح على تأويل الجنس فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه فجعلناه لكم سقيا و
ما أنتم له بخازنين قادرين متمكنين من إخراجه نفى عنهم ما أثبته لنفسه أو حافظين في الغدران
والعيون والآبار وذلك أيضا يدل على المدبر الحكيم العليم القدير كما يدل حركة الهواء في بعض الأوقات
من بعض الجهات على وجه ينتفع به الناس فإن طبيعة الماء تقتضي الغور فوقوفه دون حد لا بد له من سبب
مخصص وإنا لنحن نحيي بإيجاد الحياة في بعض الأجسام القابلة لها ونميت بإزالتها وقد
أول الحياة بما يعم الحيوان والنبات وتكرير الضمير للدلالة على الحصر ونحن الوارثون الباقون
إذا مات الخلائق كلها ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا
المستأخرين من استقدم ولادة وموتا ومن استأخر أو من خرج من أصلاب الرجال ومن لم يخرج

بعد أو من تقدم في الإسلام والجهاد وسبق إلى الطاعة أو تأخر لا يخفى علينا شيء من أحوالكم وهو بيان لكمال علمه بعد
الاحتجاج على كمال قدرته فإن ما يدل على قدرته دليل على علمه وقيل رغب رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصف الأول
فازدحموا عليه فنزلت وقيل إن امرأة حسناء كانت تصلي خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فتقدم بعض القوم لئلا ينظر
وتأخر بعض ليبصرها فنزلت وإن ربك هو يحشرهم لا محالة للجزاء وتوسيط الضمير للدلالة على أنه
القادر والمتولي لحشرهم لا غير وتصدير الجملة بإن لتحقيق الوعد والتنبيه على أن ما سبق من الدلالة على كمال
قدرته وعلمه بتفاصيل الأشياء يدل على صحة الحكم كما صرح به بقوله إنه حكيم باهر الحكمة
متقن في أفعاله عليم وسع علمه كل شيء ولقد خلقنا الإنسان من صلصال
طين يابس يصلصل أي يصوت إذا نقر وقيل هو من صلصل إذا أنتن تضعيف صل من حمإ
طين تغير واسود من طول مجاورة الماء وهو صفة لصلصال أي كائن من حمإ مسنون مصور من سنة الوجه
أو مصبوب ليبس ويتصور كالجواهر المذابة تصب في القوالب من السن وهو الصب كأنه أفرغ الحمأ فصور منها تمثال
إنسان أجوف فيبس حتى إذا نقر صلصل ثم غير ذلك طورا بعد طور حتى سواه ونفخ فيه من روحه أو منتن
من سننت الحجر على الحجر إذا حككته به فإن ما يسيل بينهما يكون منتنا ويسمى سنينا والجان أبا الجن وقيل إبليس
ويجوز أن يراد به الجنس كما هو الظاهر من الإنسان لأن تشعب الجنس لما كان من شخص واحد خلق من مادة واحدة كان الجنس بأسره
مخلوقا منها وانتصابه بفعل يفسره خلقناه من قبل من قبل خلق الإنسان من نار السموم من
نار الحر الشديد النافذ في المسام ولا يمتنع خلق الحياة في الأجرام البسيطة كما لا يمتنع خلقها في الجواهر المجردة فضلا عن الأجساد
المؤلفة التي الغالب فيها الجزء الناري فإنها أقبل لها من التي الغالب فيها الجزء الأرضي وقوله من نار باعتبار الغالب
كقوله خلقكم من تراب ومساق الآية كما هو للدلالة على كمال قدرة الله تعالى وبيان بدء خلق الثقلين فهو للتنبيه على المقدمة
الثانية التي يتوقف عليها إمكان الحشر وهو قبول المواد للجمع والإحياء وإذ قال ربك واذكر وقت قوله
للملائكة إني خالق بشرا من صلصال من حمإ مسنون فإذا سويته
عدلت خلقته وهيأته لنفخ الروح فيه ونفخت فيه من روحي حتى جرى آثاره في تجاويف
أعضائه فحيي وأصل النفخ إجراء الريح في تجويف جسم آخر ولما كان الروح يتعلق أولا بالبخار اللطيف المنبعث من
القلب ويفيض عليه القوة الحيوانية فيسري حاملا لها في تجاويف الشرايين إلى أعماق البدن جعل تعلقه بالبدن نفخا وإضافة
الروح إلى نفسه لما مر في سورة النساء فقعوا له فاسقطوا له ساجدين أمر من وقع يقع فسجد
الملائكة كلهم أجمعون أكد بتأكيدين للمبالغة في التعميم ومنع التخصيص وقيل أكد بالكل
للإحاطة وبأجمعين للدلالة على أنهم سجدوا مجتمعين دفعة وفيه نظر إذ لو كان الأمر كذلك كان الثاني حالا لا تأكيدا إلا

ابليس ان جعل منقطعا اتصل به قوله ابى ان يكون مع الساجدين اي لكن ابليس ابى
وان جعل متصلا كان استئنافا على انه جواب سائل قال هلا سجد قال يا ابليس ما لك الا
تكون اي غرض لك في ان لا تكون مع الساجدين لادم قال لم اكن لاسجد
اللام لتاكيد النفي اي لا يصح مني وينافي حالي ان اسجد لبشر جسماني كثيف وانا ملك روحاني خلقته
من صلصال من حمإ مسنون وهو اخس العناصر وخلقتني من نار وهي اشرفها استنقص ادم
باعتبار النوع والاصل وقد سبق الجواب عنه في سورة الاعراف قال فاخرج منها من السماء او الجنة
او زمر الملائكة فانك رجيم مطرود من الخير والكرامة فان من يطرد يرجم بالشهب وهو وعيد
يتضمن الجواب عن شبهته وان عليك اللعنة هذا الطرد والابعاد الى يوم الدين فانه
منتهى امد اللعن فانه يناسب ايام التكليف ومنه زمان الجزاء وما في قوله فاذن مؤذن بينهم ان لعنة الله على الظالمين بمعنى اخر
ينسى عنده وقيل انما حد اللعن به لانه ابعد غاية يضربها الناس او لانه يعذب فيه بما ينسى اللعن معه فيصير
كالزائل قال رب فانظرني فاخرني والفاء متعلقة بمحذوف دل عليه فاخرج منها فانك رجيم
الى يوم يبعثون اراد ان يجد فسحة في الاغواء او نجاة عن الموت اذ لا موت بعد وقت البعث
فاجابه الى الاول دون الثاني قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم المسمى فيه
اجلك عند الله او انقراض الناس كلهم وهو النفخة الاولى عند الجمهور ويجوز ان يراد بالايام الثلاثة يوم القيامة واختلاف العبارات
لاختلاف الاعتبارات فعبر عنه اولا بيوم الجزاء لما عرفت وثانيا بيوم البعث اذ به يحصل العلم بانقطاع
التكليف واليأس عن التضليل وثالثا بالمعلوم لوقوعه في الكلامين ولا يلزم من ذلك ان لا يموت
فلعله يموت اول اليوم ويبعث مع الخلائق في تضاعيفه وهذه المخاطبة وان لم تكن بواسطة لم تدل على منصب
ابليس لان خطاب الله له على سبيل الاهانة والاذلال قال رب بما اغويتني الباء للقسم
وما مصدرية وجوابه لازينن لهم في الارض والمعنى اقسم باغوائك اياي لازينن
لهم المعاصي في الدنيا التي هي دار الغرور كقوله اخلد الى الارض وفي انعقاد القسم بافعال الله خلاف و
قيل للسببية والمعتزلة اولوا الاغواء بالنسبة الى الغي او التسبب له بامره اياه بالسجود لادم او بالاضلال
عن طريق الجنة والاعتذار بان امهال الله تعالى له وهو سبب لزيادة غيه وتسليط له على اغواء بني ادم بان
الله تعالى علم منه وممن تبعه انهم يموتون على الكفر ويصيرون الى النار امهل او لم يمهل وان في امهاله تعريضا لمن خالفه
لاستحقاق مزيد الثواب وضعف ذلك لا يخفى على ذوي الالباب ولاغوينهم اجمعين و
لاحملنهم اجمعين على الغواية الا عبادك منهم المخلصين الذين اخلصتهم لطاعتك وطهرتهم

بالحجارة او شيطان يرجم

من الشوا

من الشوائب فلا يعمل فيهم كيدي وقرا ابن كثير وابن عامر وابو عمرو بكسر اللام في كل القران اي الذين اخلصوا نفوسهم
قال هذا صراط علي حق علي ان اراعيه مستقيم لا انحراف عنه والاشارة الى ما تضمنه
الاستثناء وهو تخليص المخلصين من اغوائه او الاخلاص على معنى انه طريق علي يؤدي الى الوصول الي من غير اعوجاج وضلال
وقرئ علي من علو الشرف ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك
من الغاوين تصديق لابليس فيما استثناه وتغيير الوضع لتعظيم المخلصين فان المقصود بيان عصمتهم
وانقطاع مخالب الشيطان عنهم او تكذيب له فيما اوهم ان له سلطانا على من ليس بمخلص من عباده فان منتهى تزيينه
التحريص والتدليس كما قال وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي وعلى هذا يكون الاستثناء منقطعا و
على الاول يدفع قول من شرط ان يكون المستثنى اقل من الباقي لافضائه الى تناقض الاستثناءين وان جهنم
لموعدهم لموعد الغاوين او المتبعين اجمعين تاكيد للضمير او حال والعامل فيها الموعد ان جعلته
مصدرا على تقدير مضاف ومعنى الاضافة ان جعلته اسم مكان فانه لا يعمل لها سبعة ابواب
يدخلون فيها لكثرتهم او طبقات ينزلونها بحسب مراتبهم في المتابعة وهي جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر
ثم الجحيم ثم الهاوية ولعل تخصيص العدد لانحصار مجامع المهلكات في الركون الى المحسوسات ومتابعة القوة
الشهوية والغضبية او لان اهلها سبع فرق لكل باب منهم من الاتباع جزء مقسوم
افرز له فاعلاها للموحدين العصاة والثاني لليهود والثالث للنصارى والرابع للصابئين والخامس للمجوس
والسادس للمشركين والسابع للمنافقين وقرا ابو بكر جزء بالتثقيل وقرئ جز على حذف الهمزة والقاء حركتها
على الزاي ثم الوقف عليه بالتشديد ثم اجراء الوصل مجرى الوقف ومنهم حال منه او من المستكن في الظرف
لا في مقسوم لان الصفة لا تعمل فيما تقدم موصوفها ان المتقين من اتباعه في الكفر والفواحش فان غيرها مكفرة
في جنات وعيون لكل واحد جنة وعين او لكل عدة منهما كقوله تعالى ولمن خاف مقام ربه
جنتان ثم قوله ومن دونهما جنتان وقوله مثل الجنة التي وعد المتقون فيها انهار من ماء غير اسن الاية وقرا نافع
وابو عمرو وحفص وهشام وعيون بضم العين حيث وقع والباقون بكسر العين ادخلوها
على ارادة القول وقرئ بقطع الهمزة وكسر الخاء على انه ماض فلا تكسر التنوين بسلام سالمين او مسلما عليكم
امنين من الافة والزوال ونزعنا في الدنيا بما الف بين قلوبهم او في الجنة بتطييب نفوسهم
ما في صدورهم من غل من حقد كان في الدنيا وعن علي رضي الله عنه ارجو ان اكون انا وعثمان وطلحة
والزبير منهم او من التحاسد على درجات الجنة ومراتب القرب اخوانا حال من الضمير في جنات او فاعل ادخلوها
او الضمير في امنين او الضمير المضاف اليه والعامل فيها معنى الاضافة وكذا قوله على سرر متقابلين

يا على بن ابي طالب

ويجوز ان يكونا صفتين لاخوانا او حالين من ضميره لانه بمعنى متصافين وان يكون متقابلين حالا من المستتر في على سرر
لا يمسهم فيها نصب استئناف او حال بعد حال او حال من الضمير في متقابلين وما هم منها
بمخرجين فان تمام النعمة بالخلود نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم و
ان عذابي هو العذاب الاليم فذلكة لما سبق من الوعد والوعيد وتقرير له وفي ذكر
المغفرة دليل على انه لم يرد بالمتقين من يتقي الذنوب باسرها كبيرها وصغيرها وفي توصيف ذاته بالغفران والرحمة
دون التعذيب ترجيح الوعد وتاكيده وفي عطف ونبئهم عن ضيف ابراهيم على نبئ
عبادي تحقيق لهما بما يعتبرون به اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما اي نسلم عليكم سلاما او
سلمنا سلاما قال انا منكم وجلون خائفون وذلك لانهم دخلوا بغير اذن
وبغير وقت او لانهم امتنعوا من الاكل والوجل اضطراب النفس لتوقع ما تكره قالوا لا توجل وقرئ لا تاجل
ولا توجل من اوجل ولا تواجل من واجله بمعنى اوجله انا نبشرك استئناف في معنى التعليل للنهي عن
الوجل فان المبشر لا يخاف منه وقرا حمزة نبشرك من البشر بغلام هو اسحق لقوله وبشرناه باسحق عليم
اذا بلغ قال ابشرتموني على ان مسني الكبر تعجب من ان يولد له مع مس الكبر اياه او انكار لان
يبشر به مثل هذه الحال وكذلك قوله فبم تبشرون اي فباي اعجوبة تبشروني او فباي شيء تبشرون فان البشارة
بما لا يتصور وقوعه عادة بشارة بغير شيء وقرا ابن كثير بكسر النون مشددة في كل القرآن على ادغام نون الجمع في
نون الوقاية ونافع بكسرها مخففة على حذف نون الجمع استثقالا لاجتماع المثلين ودلالة بابقاء نون الوقاية على الياء
قالوا بشرناك بالحق بما يكون لا محالة او باليقين الذي لا لبس فيه او بطريقة هي حق وهو قول الله وامره
فلا تكن من القانطين من الآيسين من ذلك فان الله تعالى قادر على ان يخلق بشرا من غير ابوين
فكيف من شيخ فان وعجوز عاقر وكان استعجاب ابراهيم باعتبار العادة دون القدرة ولذلك قال و
من يقنط من رحمة ربه الا الضالون المخطئون طريق المعرفة فلا يعرفون سعة رحمة الله و
كمال قدرته كما قال انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون وقرأ ابو عمرو والكسائي يقنط بالكسر وقرئ بالضم وماضيهما قنط بالفتح
قال فما خطبكم ايها المرسلون اي فما شانكم الذي ارسلتم لاجله سوى البشارة
ولعله علم ان كمال المقصود ليس البشارة لانهم كانوا عددا والبشارة لا تحتاج الى العدد ولذلك اكتفى بالواحد في بشارة
زكريا ومريم او لانهم بشروه في تضاعيف الحال لازالة الوجل ولو كانت تمام المقصود لابتدروا بها قالوا انا ارسلنا
الى قوم مجرمين يعني قوم لوط الا آل لوط ان كان استثناء من قوم كان منقطعا اذ القوم مقيد
بالاجرام وان كان استثناء من الضمير في مجرمين كان متصلا والقوم والارسال شاملين للمجرمين وآل لوط المؤمنين

ولان

وكان المعنى انا ارسلنا الى قوم اجرم كلهم الا آل لوط منهم لنهلك المجرمين وننجي آل لوط ويدل عليه قوله انا لمنجوهم
اجمعين اي مما نعذب به القوم وهو استئناف اذا اتصل الاستثناء ومتصل بآل لوط جار مجرى خبر لكن اذا
انقطع وعلى هذا جاز ان يكون قوله الا امراته استثناء من آل لوط او من ضميرهم لاختلاف الحكمين اللهم
الا ان يجعل انا لمنجوهم اعتراضا وقرأ حمزة والكسائي لمنجوهم مخففا قدرنا انها لمن الغابرين الباقين
مع الكفرة لتهلك معهم وقرأ ابو بكر عن عاصم قدرنا هنا وفي النمل بالتخفيف وانما علق والتعليق من خواص افعال
القلوب لتضمنه معنى العلم ويجوز ان يكون قدرنا اجري مجرى قلنا لان التقدير بمعنى القضاء قول واصله جعل الشيء
على مقدار غيره واسنادهم اياه الى انفسهم وهو فعل الله تعالى لما لهم من القرب والاختصاص به فلما جاء
آل لوط المرسلون قال انكم قوم منكرون تنكركم نفسي وتنفر عنكم مخافة ان
تطرقوني بشر قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون اي ما جئناك بما تنكرنا لاجله
بل جئناك بما يسرك ويشفي لك من عدوك وهو العذاب الذي توعدتهم به فيمترون فيه واتيناك
بالحق باليقين من عذابهم وانا لصادقون فيما اخبرناك به فاسر باهلك فاذهب
بهم في الليل وقرأ الحجازيان بوصل الالف من السرى وهما بمعنى وقرئ فسر من السير بقطع من الليل
في طائفة من الليل وقيل في آخره قال فتح الباب فانظر في النجوم كم علينا من قطع ليل بهيم و
اتبع ادبارهم وكن على اثرهم تذودهم وتسرع بهم وتطلع على حالهم ولا يلتفت منكم
احد لينظر ما وراءه فيرى من الهول ما لا يطيقه او فيصيبه ما اصابهم او ولا ينصرف احدكم ولا يتخلف
لغرض فيصيبه العذاب وقيل نهوا عن الالتفات ليوطنوا نفوسهم على المهاجرة وامضوا
حيث تؤمرون الى حيث امركم الله بالمضي اليه وهو الشام او مصر فعدي به امضوا الى حيث
تؤمرون الى ضميره المحذوف على الاتساع وقضينا اي واوحينا اليه مقضيا ولذلك عدي بالى
ذلك الامر مبهم تفسيره ان دابر هؤلاء مقطوع ومحله النصب على البدل منه وفي
ذلك تفخيم للامر وتعظيم له وقرئ بالكسر على الاستئناف والمعنى انهم يستاصلون عن آخرهم حتى لا يبقى منهم احد
مصبحين داخلين في الصبح وهو حال من هؤلاء او من الضمير في مقطوع وجمعه للحمل على المعنى فان دابر هؤلاء
في معنى مدبري هؤلاء وجاء اهل المدينة سدوم يستبشرون باضياف لوط طمعا
فيهم قال ان هؤلاء ضيفي فلا تفضحون بفضيحة ضيفي فان من اسيء الى ضيفه فقد اسيء اليه
واتقوا الله في ركوب الفاحشة ولا تخزون ولا تذلوني بسببهم من الخزي وهو الهوان او
لا تخجلوني فيهم من الخزاية وهو الحياء قالوا اولم ننهك عن العالمين عن ان تجير منهم احدا او تمنع

بيننا وبينهم فانهم كانوا يتعرضون لكل احد وكان لوط يمنعهم عنه بقدر وسعه او عن ضيافة الناس وانزالهم قال
هؤلاء بناتي يعني نساء القوم فان نبي كل امة بمنزلة ابيهم وفيه وجوه ذكرت في هود ان كنتم
فاعلين قضاء الوطر او ما اقول لكم لعمرك قسم بحياة المخاطب وهو النبي عليه السلام وقيل لوط قالت
الملائكة له ذلك والتقدير لعمرك قسمي وهو لغة في العمر يختص به القسم لايثار الاخف فيه لانه كثير الدور على السنتهم
انهم لفي سكرتهم لفي غوايتهم او شدة غلمتهم التي ازالت عقولهم وتمييزهم بين خطئهم و
والصواب الذي يشار به اليهم يعمهون يتحيرون فكيف يسمعون نصحك وقيل الضمير لقريش والجملة اعتراض
فاخذتهم الصيحة يعني صيحة هائلة مهلكة وقيل صيحة جبريل مشرقين داخلين في وقت شروق
الشمس فجعلنا عاليها عالي المدينة او عالي قراهم سافلها فصارت منقلبة بهم وامطرنا
عليهم حجارة من سجيل من طين متحجر او طين عليه كتاب من السجل وقد تقدم مزيد بيان
لهذه القصة في سورة هود ان في ذلك لايات للمتوسمين للمتفكرين المتفرسين الذين
يتثبتون في نظرهم حتى يعرفوا حقيقة الشيء بسمته وانها وان المدينة او القرى لبسبيل مقيم ثابت
يسلكه الناس ويرون اثارها ان في ذلك لاية للمؤمنين بالله ورسله وان كان
اصحاب الايكة لظالمين هم قوم شعيب كانوا يسكنون الغيضة فبعثه الله اليهم
فكذبوه فاهلكوا بالظلة والايكة الشجرة المتكاثفة فانتقمنا منهم بالاهلاك وانهما
يعني سدوم والايكة وقيل الايكة ومدين فانه كان مبعوثا اليهما وكان ذكر احدهما منبها على الاخر
لبامام مبين لبطريق واضح والامام اسم ما يؤتم به فسمي به الطريق واللوح ومطمر البناء والطريق
لانها مما يؤتم به ولقد كذب اصحاب الحجر المرسلين يعني ثمود كذبوا صالحا
ومن كذب واحدا من الرسل فكانما كذب الجميع ويجوز ان يراد بالمرسلين صالح ومن معه من المؤمنين والحجر
واد بين المدينة والشام يسكنونه واتيناهم اياتنا فكانوا عنها معرضين يعني
ايات الكتاب المنزل على نبيهم او معجزاته كالناقة وسقبها وشربها ودرها او ما نصب لهم من الادلة
وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا امنين من الانهدام ونقب اللصوص وتخريب الاعداء
لوثاقتها او من العذاب لفرط غفلتهم او حسبانهم ان الجبال تحميهم منه فاخذتهم الصيحة
مصبحين فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون من بناء البيوت الوثيقة و
استكثار الاموال والعدد وما خلقنا السموات والارض وما بينهما
الا بالحق الا خلقا ملتبسا بالحق لا يلائم استمرار الفساد ودوام الشرور فلذلك اقتضت الحكمة

اهلاك

اهلاك امثال هؤلاء وازاحة فسادهم من الارض وان الساعة لاتية فينتقم الله لك
فيها ممن كذبك فاصفح الصفح الجميل ولا تعجل بانتقام منهم وعاملهم معاملة الصفوح الحليم وقيل
هو منسوخ باية السيف ان ربك هو الخلاق الذي خلقك وخلقهم وبيده امرك وامرهم
العليم بحالك وحالهم فهو حقيق بان تكل اليه ليحكم بينكم او هو الذي خلقكم وعلم الاصلح لكم وقد علم ان الصفح
اليوم اصلح وفي مصحف عثمان وابي هو الخالق وهو يصلح للقليل والكثير والخلاق يختص بالكثير ولقد
اتيناك سبعا سبع ايات وهي الفاتحة وقيل سبع سور وهي الطوال وسابعتها الانفال والتوبة
فانهما في حكم سورة ولذلك لم يفصل بينهما بالتسمية وقيل التوبة وقيل يونس او الحواميم السبع وقيل سبع صحائف
وهي الاسباع من المثاني بيان للسبع والمثاني من التثنية او الثناء فان كل ذلك مثنى تكرر قراءته والفاظه
او قصصه ومواعظه او مثنى عليه بالبلاغة والاعجاز او مثن على الله بما هو اهله من صفاته العظمى واسمائه الحسنى ويجوز ان
يراد بالمثاني القران او كتب الله كلها فتكون من للتبعيض والقران العظيم ان اريد بالسبع الايات او السور فمن عطف
الكل على البعض او العام على الخاص وان اريد به الاسباع فمن عطف احد الوصفين على الاخر لا تمدن عينيك
لا تطمح ببصرك طموح راغب الى ما متعنا به ازواجا منهم اصنافا منهم من الكفار فانه مستحقر بالاضافة
الى ما اوتيته فانه كمال مطلوب بالذات مفض الى دوام اللذات وفي حديث ابي بكر من اوتي القران فراى
ان احدا اوتي من الدنيا افضل مما اوتي فقد صغر عظيما وعظم صغيرا وروي انه عليه السلام وافى باذرعات سبع قوافل ليهود
بني قريظة والنضير فيها انواع البز والطيب والجواهر فقال المسلمون لو كانت هذه الاموال لنا لتقوينا بها وانفقناها
في سبيل الله فقال لهم لقد اعطيتم سبع ايات هي خير من هذه القوافل السبع ولا تحزن عليهم انهم لم يؤمنوا وقيل
انهم المتمتعون به واخفض جناحك للمؤمنين وتواضع وارفق بهم وقل اني انا النذير
المبين انذركم ببيان وبرهان ان عذاب الله نازل بكم ان لم تؤمنوا كما انزلنا على
المقتسمين مثل العذاب الذي انزلنا عليهم فهو وصف لمفعول النذير اقيم مقامه والمقتسمون هم الاثنا
عشر الذين اقتسموا مداخل مكة ايام الموسم لينفروا الناس عن الايمان بالرسول فاهلكهم الله يوم بدر او الرهط الذين
اقتسموا اي تقاسموا على ان يبيتوا صالحا عليه السلام وقيل هو صفة لمصدر محذوف يدل عليه ولقد اتيناك فانه بمعنى انزلنا
اليك والمقتسمون هم الذين جعلوا القران عضين حيث قالوا عنادا ان بعضه حق موافق للتوراة والانجيل وبعضه
باطل مخالف لهما او قسموه الى شعر وسحر وكهانة واساطير الاولين او اهل الكتاب امنوا ببعض كتبهم وكفروا ببعض على
ان القران ما يقرؤونه من كتبهم فيكون ذلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله لا تمدن الى اخره اعتراضا ممدا لها الذين
جعلوا القران عضين اجزاء جمع عضة واصلها عضوة من عضى الشاة اذا جعلها اعضاء وقيل

اسحار فعيلة من عضهته اذا بهته وفي الحديث لعن رسول الله العاضهة والمستعضهة وعن عكرمة العضهة السحر
وانما جمع جمع السلامة جبرا لما حذف منه والموصول بصلته صفة للمقتسمين او مبتدا خبره **فوربك**
لنسئلنهم اجمعين عما كانوا يعملون من التقسيم او النسبة الى السحر فنجازيهم
عليه وقيل عام في كل ما فعلوه من الكفر والمعاصي **فاصدع بما تؤمر** فاجهر به من صدع بالحجة
اذا تكلم بها جهارا او فافرق به بين الحق والباطل واصله الابانة والتمييز وما مصدرية او موصولة
والراجع محذوف اي بما تؤمر به من الشرايع **واعرض عن المشركين** فلا تلتفت
الى ما يقولون **انا كفيناك المستهزءين** بقمعهم واهلاكهم قيل كانوا خمسة من
اشراف قريش الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل وعدي الحارث بن قيس والاسود بن عبد يغوث
والاسود بن عبد المطلب يبالغون في ايذاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم والاستهزاء به فقال جبريل عم
لرسول الله صلى الله عليه وسلم امرت ان اكفيكهم فاومى الى ساق الوليد فمر بنبال فتعلق بثوبه سهم
فلم ينعطف تعظما لاخذه فاصاب عرقا في عقبه فقطعه فمات واومى الى اخمص العاص فدخل
فيها شوكة فانتفخت رجله حتى صارت كالرحى ومات واشار الى انف الحارث فامتخط قيحا فمات
والى راس الاسود بن عبد يغوث وهو قاعد في اصل شجرة فجعل ينطح راسه الشجرة ويضرب وجهه بالشوك
حتى مات والى عيني الاسود بن عبد المطلب فعمي **الذين يجعلون مع الله الها**
اخر فسوف يعلمون عاقبة امرهم في الدارين **ولقد نعلم انك**
يضيق صدرك بما يقولون من الشرك والطعن في القران والاستهزاء بك
فسبح بحمد ربك فافزع الى الله فيما نابك بالتسبيح والتحميد يكفك ويكشف الغم
عنك او فنزهه عما يقولون حامدا له على ان هداك للحق **وكن من الساجدين**
من المصلين وعنه صلى الله عليه وسلم انه كان اذا حزبه امر فزع الى الصلوة **واعبد ربك**
حتى ياتيك اليقين اي الموت فانه متيقن لحاقه كل حي مخلوق فالمعنى فاعبده ما
دمت حيا ولا تخل بالعبادة لحظة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الحجر كان له من
الاجر عشر حسنات بعدد المهاجرين والانصار

سورة النحل مكية غير ثلث والمستهزئين بمحمد صلعم **في اخرها وهي مائة وثمان وعشرون اية**

بسم الله الرحمن الرحيم

اتى امر الله فلا تستعجلوه كانوا يستعجلون ما اوعدهم الرسول من قيام الساعة او اهلاك الله
اياهم كما فعل يوم بدر استهزاء وتكذيبا ويقولون ان صح ما يقوله فالاصنام تشفع لنا وتخلصنا منه فنزلت والمعنى
ان الامر الموعود به بمنزلة الاتي المتحقق من حيث انه واجب الوقوع فلا تستعجلوا وقوعه فانه لا خير لكم فيه ولا خلاص
لكم عنه **سبحانه وتعالى عما يشركون** تبرا وجل عن ان يكون له شريك فيدفع ما اراد
بهم وقرا حمزة والكسائي بالتاء على وفق قوله فلا تستعجلوه والباقون بالياء على تلوين الخطاب او على ان الخطاب
للمؤمنين او لهم ولغيرهم لما روي انه لما نزلت اتى امر الله فوثب النبي ورفع الناس رؤوسهم فنزلت فلا تستعجلوه **ينزل
الملئكة بالروح** بالوحي او القران فانه يحيي به القلوب الميتة بالجهل او يقوم في الدين مقام الروح
في الجسد وذكره عقيب ذلك اشارة الى الطريق الذي به علم الرسول ما تحقق موعدهم به ودنوه وازاحة لاستبعادهم
اختصاصه بالعلم به وقرا ابن كثير وابو عمرو ينزل من انزل وعن يعقوب مثله وعنه تنزل بمعنى تتنزل وقرا ابو بكر تنزل على
المضارع المبني للمفعول من التنزيل **من امره** بامره او من اجله **على من يشاء من عباده** ان يتخذه
رسولا **ان انذروا** اي اعلموا من نذرت بكذا اذا علمته **انه لا اله الا انا فاتقون** ان
الشان لا اله الا انا فاتقون او خوفوا اهل الكفر والمعاصي بانه لا اله الا انا وقوله فاتقون رجوع الى مخاطبتهم
بما هو المقصود وان مفسرة لان الروح بمعنى الوحي الدال على القول او مصدرية في موضع الجر بدلا من الروح او
النصب بنزع الخافض او مخففة من الثقيلة والاية تدل على ان نزول الوحي بواسطة الملئكة وان حاصله التنبيه على
التوحيد الذي هو منتهى كمال القوة العلمية والامر بالتقوى الذي هو اقصى كمالات القوة العملية وان النبوة
عطائية والايات التي بعدها دليل وحدانيته من حيث انها تدل على انه تعالى هو الموجد لاصول العالم وفروعه على وفق
الحكمة والمصلحة ولو كان له شريك لقدر على ذلك فيلزم التمانع **خلق السموات والارض
بالحق** اوجدهما على مقدار وشكل واوضاع وصفات مختلفة قدرها وخصصها بحكمته **تعالى عما
يشركون** منها او مما يفتقر في وجوده او بقائه اليها او مما لا يقدر على خلقها وفيه دليل على انه تعالى
ليس من قبيل الاجرام **خلق الانسان من نطفة** جماد لا حس لها ولا حراك سيالة لا تحفظ
الوضع والشكل **فاذا هو خصيم** منطيق مجادل **مبين** للحجة او خصيم مكافح لخالقه قائل
من يحيي العظام وهي رميم روي ان ابي بن خلف اتى النبي صلعم بعظم رميم وقال يا محمد اترى الله يحيي هذا بعدما
قد رم فنزلت **والانعام** الابل والبقر والغنم وانتصابها بمضمر يفسره **خلقها لكم** او
بالعطف على الانسان وخلقها لكم بيان ما خلق لاجله وما بعده تفصيل له **فيها دفء** ما يدفا به فيقي

البرد ومنافع نسلها ودرها وظهورها وانما عبر عنها بالمنافع ليتناول عوضها ومنها
تاكلون اي تاكلون ما يوكل منها من اللحوم والشحوم والالبان وتقديم الظرف للمحافظة على رؤس
الاي او لان الاكل منها هو المعتاد المعتمد عليه في المعاش واما الاكل من سائر الحيوانات الماكولة فعلى سبيل التداوي
او التفكه ولكم فيها جمال زينة حين تريحون تردونها من مراعيها الى مراحها بالعشي و
حين تسرحون تخرجونها بالغداة الى المراعي فان الافنية تتزين بها في الوقتين فيجل اهلها في
اعين الناظرين اليها وتقديم الاراحة لان الجمال فيها اظهر فانها تقبل ملأى البطون حافلة الضروع ثم تاوي الى
الحظاير حاضرة لاهلها وقرئ حينا على ان تريحون وتسرحون وصفان له بمعنى تريحون فيه وتسرحون فيه
وتحمل اثقالكم احمالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه اي لم تكن فضلا عن ان تحملوها على
ظهوركم اليه الا بشق الانفس الا بكلفة ومشقة وقرئ بالفتح وهو لغة فيه وقيل المفتوح مصدر شق
الامر عليه واصله الصدع والمكسور بمعنى النصف كانه ذهب نصف قوته بالتعب ان ربكم
لرؤف رحيم حيث رحمكم بخلقها لانتفاعكم وتيسير الامر عليكم والخيل والبغال و
الحمير عطف على الانعام لتركبوها وزينة اي لتركبوها ولتزينوا بها زينة و
قيل هي معطوفة على محل لتركبوها وتغيير النظم لان الزينة بفعل الخالق والركوب ليس بفعله ولان المقصود من
خلقها الركوب واما التزين بها فحاصل بالعرض وقرئ بغير واو وعلى هذا يحتمل ان يكون علة لتركبوها او مصدرا
في موقع الحال من احد الضميرين اي متزينين او متزينا بها واستدل به على حرمة لحومها ولا دليل فيه اذ
لا يلزم من تعليل الفعل بما يقصد به غالبا ان لا يقصد منه غيره اصلا ويدل عليه ان الاية مكية وعامة المفسرين
والمحدثين على ان الحمر الاهلية حرمت عام خيبر ويخلق ما لا تعلمون لما فصل الحيوانات التي
يحتاج اليها غالبا احتياجا ضروريا او غير ضروري اجمل غيرها ويجوز ان يكون اخبارا بان له من الخلائق ما لا
علم لنا به وان يراد به ما خلق في الجنة والنار مما لم يخطر على قلب بشر وعلى الله قصد السبيل
بيان مستقيم الطريق الموصل الى الحق او اقامة السبيل وتعديلها رحمة وفضلا او عليه قصد السبيل يصل اليه من
يسلكه لا محالة يقال سبيل قصد اي مستقيم كانه يقصد الوجه الذي يقصده السالك لا يميل عنه والمراد بالسبيل الجنس
ولذلك اضاف اليها القصد وقال ومنها جائر حائد عن القصد او عن الله وتغيير الاسلوب لانه ليس بحق
على الله ان يبين طرق الضلالة او لان المقصود بيان سبيله وتقسيم السبيل الى القصد والجائر انما جاء بالعرض وقرئ ومنكم
جائر اي عن القصد ولو شاء لهديكم اجمعين اي ولو شاء هدايتكم اجمعين لهديكم الى قصد السبيل
هداية مستلزمة للاهتداء هو الذي انزل من السماء من السحاب او من جانب السماء ماء لكم

الى مراحها

منه شراب ما تشربونه ولكم صلة انزل او خبر شراب ومن تبعيضية متعلقة به وتقديمها يوهم حصر
المشروب فيه ولا باس به لان مياه العيون والابار منه لقوله فسلكه ينابيع وقوله فاسكناه في الارض
ومنه شجر ومنه يكون شجر يعني الشجر الذي ترعاه المواشي وقيل كل ما ينبت على الارض شجر قال
نعلفها اللحم اذا عز الشجر والخيل في اطعامها اللحم ضرر فيه تسيمون ترعون من سامت
الماشية واسامها صاحبها واصلها السومة وهي العلامة لانها توثر بالرعي علامات ينبت لكم
به الزرع وقرا ابو بكر بالنون على التفخيم والزيتون والنخيل والاعناب و
من كل الثمرات وبعض كلها اذ لم ينبت في الارض كل ما يمكن من الثمار ولعل تقديم ما يسام فيه
على ما يوكل منه لانه سيصير غذاء حيوانيا هو اشرف الاغذية ومن هذا تقديم الزرع والتصريح بالاجناس الثلثة
وترتيبها ان في ذلك لاية لقوم يتفكرون على وجود الصانع وحكمته فان
من تامل ان الحبة تقع في الارض وتصل اليها نداوة تنفذ فيها فينشق اعلاها ويخرج منه ساق الشجرة وينشق
اسفلها فيخرج منه عروقها ثم ينمو ويخرج منه الاوراق والازهار والاكمام والثمار ويشتمل كل منها على اجسام
مختلفة الاشكال والطباع مع اتحاد المواد ونسبة الطبايع السفلية والتاثيرات الفلكية الى الكل علم ان ذلك ليس الا
بفعل فاعل مختار مقدس عن منازعة الاضداد والانداد ولعل فصل الاية به لذلك وسخر لكم
الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم بان هياها لمنافعكم مسخرات
بامره حال من الجميع اي نفعكم بها حال كونها مسخرات لله خلقها ودبرها كيف شاء او لما خلقن له بايجاده
وتقديره او لحكمه وفيه ايذان بالجواب عما عسى ان يقال ان المؤثر في تكوين النبات حركات الكواكب و
اوضاعها فان ذلك ان سلم فلا ريب في انها ايضا ممكنة الذات والصفات واقعة على بعض الوجوه المحتملة فلا بد لها
من موجد مخصص مختار واجب الوجود دفعا للدور والتسلسل او مصدر ميمي جمع لاختلاف الانواع وقرا حفص والنجوم
مسخرات على الابتداء والخبر فيكون تعميما للحكم بعد تخصيصه ورفع ابن عامر الشمس والقمر ايضا ان في ذلك
لايات لقوم يعقلون جمع الاية وذكر العقل لانها تدل انواعا من الدلالة ظاهرة لذوي العقول
السليمة غير محوجة الى استيفاء فكر كاحوال النبات وما ذرا لكم في الارض عطف على الليل اي
وسخر لكم ما خلق لكم فيها من حيوان ونبات مختلفا الوانه اصنافه فانها تتخالف باللون غالبا ان
في ذلك لاية لقوم يذكرون ان اختلافها في الطباع والهيئات والمناظر ليس الا بصنع صانع
حكيم وهو الذي سخر البحر جعله بحيث تتمكنون من الانتفاع به بالركوب والاصطياد والغوص
لتاكلوا منه لحما طريا هو السمك ووصفه بالطراوة لانه ارطب اللحوم فيسرع اليه الفساد فيسارع

اي لكم لاظهار قدرته في خلقه عذبا طريا في ماء زعاق وتمسك به مالك والثوري على ان من حلف ان لا يأكل
لحما حنث باكل السمك واجيب عنه بان مبنى الايمان على العرف وهو لا يفهم منه عند الاطلاق الا
ترى ان الله تعالى سمى الكافر دابة ولا يحنث الحالف على ان لا يركب دابة بركوبه وتستخرجوا منه
حلية تلبسونها كاللؤلؤ والمرجان اي تلبسها نساؤكم فاسند اليهم لانهن من جملتهم ولانهن
يتزين بها لاجلهم وترى الفلك مواخر فيه جواري فيه تشقه بحيزومها من المخر
وهو شق الماء وقيل صوت جري الفلك ولتبتغوا من فضله من سعة رزقه بركوبها للتجارة
ولعلكم تشكرون اي تعرفون نعم الله فتقومون بحقها ولعل تخصيصه بتعقيب الشكر لانه اقوى في
باب الانعام من حيث انه جعل المهالك سببا للانتفاع وتحصيل المعاش والقى في الارض
رواسي جبالا رواسي ان تميد بكم كراهة ان تميد بكم وتضطرب وذلك لان الارض
قبل ان تخلق فيها الجبال كانت كرة خفيفة بسيطة الطبع وكان من حقها ان تتحرك بالاستدارة كالافلاك او ان
تتحرك بادنى سبب للتحريك فلما خلقت الجبال على وجهها تفاوتت جوانبها وتوجهت الجبال بثقلها
نحو المركز فصارت كالاوتاد التي تمنعها عن الحركة وقيل لما خلق الله الارض جعلت تمور فقالت الملائكة ما هي بمقر
احد على ظهرها فاصبحت وقد ارسيت بالجبال وانهارا وجعل فيها انهارا لان القى فيه معناه وسبلا
لعلكم تهتدون لمقاصدكم او الى معرفة الله وعلامات معالم يستدل بها السابلة من جبل
وسهل وريح ونحو ذلك وبالنجم هم يهتدون بالليل في البراري والبحار والمراد بالنجم الجنس ويدل
عليه قراءة وبالنجم بضمتين وضمة وسكون على الجمع وقيل الثريا والفرقدان وبنات نعش والجدي ولعل الضمير لقريش
لانهم كانوا كثيري الاسفار للتجارة مشهورين بالاهتداء في مسايرهم بالنجوم واخراج الكلام عن سنن الخطاب وتقديم
النجم واقحام الضمير للتخصيص كانه قيل وبالنجم خصوصا هؤلاء خصوصا يهتدون فالاعتبار بذلك والشكر عليه الزم لهم واوجب
عليهم افمن يخلق كمن لا يخلق انكار بعد اقامة الدلائل المتكاثرة على كمال قدرته وتناهي حكمته
والتفرد بخلق ما عدد من مبدعاته لان يساوي به ويستحق مشاركته ما لا يقدر على خلق شيء من ذلك بل على ايجاد شيء ما
وكان حق الكلام افمن لا يخلق كمن يخلق لكنه عكس تنبيها على انهم بالاشراك بالله جعلوه من جنس المخلوقات العجزة شبيها
بها والمراد بمن لا يخلق كل ما عبد من دون الله مغلبا فيه اولو العلم منهم او الاصنام واجروها مجرى اولي العلم لانهم سموها
آلهة ومن حق الاله ان يعلم او للمشاكلة بينه وبين من يخلق او للمبالغة وكانه قيل ان من يخلق ليس كمن لا يخلق من اولي العلم
فكيف بما لا علم عنده افلا تذكرون فتعرفوا فساد ذلك فانه لجلائه كالحاصل للعقل الذي يحضر عنده
بادنى تذكر والتفات وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها لا تضبطوا عددها فضلا ان تطيقوا

القيام بشكرها اتبع ذلك تعداد النعم والزام الحجة على تفرده باستحقاق العبادة تنبيها على ان وراء ما عدد نعما لا تنحصر وان حق
عبادته غير مقدور ان الله لغفور حيث يتجاوز عن تقصيركم في اداء شكرها رحيم لا يقطعها لتفريطكم
فيه ولا يعاجلكم بالعقوبة على كفرانها والله يعلم ما تسرون وما تعلنون من عقائدكم
واعمالكم وهو وعيد وتزييف للشرك باعتبار العلم والذين يدعون من دون الله اي
والالهة الذين يعبدونهم من دون الله وقرأ ابو بكر يدعون بالياء وقرأ حفص ثلاثتها بالياء لا يخلقون شيئا
فانه لما نفى المشاركة بين من يخلق ومن لا يخلق بين انهم لا يخلقون شيئا لينتج انهم لا يشاركونه ثم اكد ذلك بان
اثبت لهم صفات تنافي الالوهية فقال وهم يخلقون لانهم ذوات ممكنة مفتقرة الوجود
الى التخليق والاله ينبغي ان يكون واجب الوجود اموات هم اموات لا تعتريهم الحيوة او اموات حالا او
مآلا غير احياء بالذات ليتناول كل معبود والاله ينبغي ان يكون حيا بالذات لا يعتريه الموت
وما يشعرون ايان يبعثون ولا يعلمون وقت بعثهم او بعث عبدتهم فكيف يكون لهم وقت
جزاء على عبادتهم والاله ينبغي ان يكون عالما بالغيوب مقدرا للثواب والعقاب وفيه تنبيه على ان
البعث من توابع التكليف الهكم اله واحد تكرير للمدعى بعد اقامة الحجج فالذين لا يؤمنون
بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون بيان لما اقتضى اصرارهم بعد وضوح الحق وذلك
عدم ايمانهم بالآخرة فان المؤمن بها يكون طالبا للدلائل متأملا فيما يسمع فينتفع به والكافر بها يكون حاله
بالعكس وانكار قلوبهم ما لا يعرف الا بالبرهان اتباعا للاسلاف وركونا الى المألوف فانه ينافي النظر
والاستكبار عن اتباع الرسول وتصديقه والالتفات الى قوله والاول هو العمدة في الباب ولذلك رتب
عليه ثبوت الآخرين لا جرم حقا ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون
فيجازيهم وهو في موضع الرفع بجرم لانه مصدر او فعل انه لا يحب المستكبرين فضلا عن الذين
استكبروا عن توحيده واتباع رسوله واذا قيل لهم ماذا انزل ربكم القائل
بعضهم على سبيل التهكم او الوافدون عليهم او المسلمون قالوا اساطير الاولين اي ما تدعون نزوله
او المنزل اساطير الاولين وانما سموه منزلا على التهكم او على الفرض اي على تقدير انه منزل فهو اساطير الاولين لا تحقيق فيه
والقائلون قيل هم المقتسمون ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيامة اي قالوا ذلك اضلالا
للناس فحملوا اوزار ضلالهم كاملة فان اضلالهم نتيجة رسوخهم في الضلال ومن اوزار الذين
يضلونهم وبعض اوزار ضلال من يضلونهم وهو حصة التسبب بغير علم حال من المفعول اي
يضلون من لا يعلم انهم ضلال وفائدتها الدلالة على ان جهلهم لا يعذرهم اذ كان عليهم ان يبحثوا ويميزوا بين المحق

والمبطل الاسناد ما يزرون بئس شيئا يزرونه فعلهم قد مكر الذين من قبلهم
اى سووا منصوبات ليمكروا بها رسل الله فاتى الله بنيانهم من القواعد فاتاها امره من
جهة العمد التى بنوا عليها بان ضعضعت فخر عليهم السقف من فوقهم وصار
سبب هلاكهم واتيهم العذاب من حيث لا يشعرون لا يحتسبون ولا يتوقعون
وهو على سبيل التمثيل وقيل المراد به نمرود بن كنعان بنى الصرح ببابل سمكه خمسة الاف ذراع ليترصد من السماء
فاهب الله الريح فخر عليه وعليهم فهلكوا ثم يوم القيمة يخزيهم يذلهم او يعذبهم بالنار لقوله
ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته ويقول اين شركائى اضاف الى نفسه استهزاء او
حكاية لاضافتهم زيادة فى توبيخهم وقرى البزى بخلاف عنه اين شركاى بغير همز والباقون بهمزة الذين
كنتم تشاقون فيهم تعادون المؤمنين فى شأنهم وقرأ نافع بكسر النون بمعنى تشاقونني فان
مشاقة المؤمنين كمشاقة الله قال الذين اوتوا العلم اى الانبياء والعلماء الذين كانوا يدعونهم
الى التوحيد فيشاقونهم ويتكبرون عليهم او الملائكة ان الخزى اليوم والسوء الذلة والعذاب
على الكافرين وفائدة قولهم اظهار الشماتة وزيادة الاهانة وحكايته لان يكون لطفا لمن سمعه
الذين تتوفيهم الملائكة وقرأ حمزة بالياء وقرئ بادغام التاء فى التاء وموضع الموصول يحتمل
الاوجه الثلثة ظالمى انفسهم بان عرضوها للعذاب المخلد فالقوا السلم فسالموا واخبتوا
حين عاينوا الموت ما كنا نعمل من سوء قائلين ما كنا نعمل من سوء كفر وعدوان ويجوز ان يكون
تفسير السلم على ان المراد به القول الدال على الاستسلام بلى اى فتجيبهم الملائكة بلى ان الله عليم
بما كنتم تعملون فهو يجازيكم عليه وقيل قوله فالقوا السلم الى اخر الاية استئناف ورجوع الى شرح
حالهم يوم القيمة وعلى هذا اول من لم يجوز الكذب يومئذ ما كنا نعمل من سوء بانا لم نكن فى زعمنا واعتقادنا
عاملين سوءا ويحتمل ان يكون الراد عليهم هو الله تعالى او اولوا العلم فادخلوا ابواب جهنم
كل صنف بابها المعد له وقيل ابواب جهنم اصناف عذابها خالدين فيها فلبئس مثوى
المتكبرين جهنم وقيل للذين اتقوا يعنى المؤمنين ماذا انزل ربكم قالوا
خيرا اى انزل خيرا وفى نصبه دليل على انهم لم يتلعثموا فى الجواب واطبقوه على السؤال معترفين بالانزال
على خلاف الكفرة روى ان احياء العرب كانوا يبعثون ايام الموسم من ياتيهم بخبر النبى صلى الله عليه وسلم فاذا جاء الوافد
المقتسمين قالوا له ما قالوا واذا جاء المؤمنين قالوا له ذلك للذين احسنوا فى هذه
الدنيا حسنة مكافاة فى الدنيا ولدار الاخرة خير اى ولثوابهم فى

الآخرة خير منها وهو عدة للذين اتقوا على قولهم ويجوز ان يكون بما بعده حكاية لقولهم بدلا وتفسيرا لخيرا على انه
منتصب بقالوا ولنعم دار المتقين دار الآخرة فحذف لتقدم ذكرها وقوله جنات عدن
خبر مبتدأ محذوف ويجوز ان يكون المخصوص بالمدح يدخلونها تجرى من تحتها الانهار لهم
فيها ما يشاؤن من انواع المشتهيات وفى تقديم الظرف تنبيه على ان الانسان لا يجد جميع ما يريده
الا فى الجنة كذلك يجزى الله المتقين مثل هذا الجزاء يجزيهم وهو يؤيد الوجه الاول الذين
تتوفيهم الملائكة طيبين طاهرين من ظلم انفسهم بالكفر والمعاصى لانه فى مقابلة وقيل فرحين
ببشارة الملائكة اياهم بالجنة او طيبين بقبض ارواحهم لتوجه نفوسهم بالكلية الى حضرة القدس يقولون
سلام عليكم لا يحيقكم بعد مكروه ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون حين تبعثون
فانها معدة لكم على اعمالكم وقيل هذا التوفى وفاة الحشر لان الامر بالدخول حينئذ هل ينظرون ما
ينتظر الكفار المار ذكرهم الا ان تاتيهم الملائكة لقبض ارواحهم وقرأ حمزة والكسائى
بالياء او ياتى امر ربك القيمة او العذاب المستأصل كذلك مثل ذلك الفعل من الشرك
والتكذيب فعل الذين من قبلهم فاصابهم ما اصابهم وما ظلمهم الله بتدميرهم و
لكن كانوا انفسهم يظلمون بكفرهم ومعاصيهم المؤدية اليه فاصابهم
سيئات ما عملوا اى جزاء سيئات اعمالهم على حذف المضاف او تسمية الجزاء باسمها
وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون واحاط بهم جزاؤه والحيق لا يستعمل الا فى الشر وقال
الذين اشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن
ولا اباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء انما قالوا ذلك استهزاء او منعا للبعثة
والتكليف متمسكين بان ما شاء الله يجب وما لم يشأ يمتنع فما الفائدة فيهما او انكارا لقبح ما انكر عليهم من الشرك و
تحريم البحائر ونحوها محتجين بانها لو كانت مستقبحة لما شاء الله صدورها عنهم ولشاء خلافه ملجئا اليه لا اعتذارا
اذ لم يعتقدوا قبح اعمالهم وفيما بعده تنبيه على الجواب عن الشبهتين كذلك فعل الذين من
قبلهم فاشركوا بالله وحرموا حله وردوا رسله فهل على الرسل الا البلاغ المبين
الا الابلاغ الموضح للحق وهو لا يؤثر فى هدى من شاء الله هداه لكنه يؤدى اليه على سبيل التوسط وما شاء الله وقوعه انما يجب
وقوعه لا مطلقا بل باسباب قدرها له ثم بين ان البعثة امر جرت به السنة الالهية فى الامم كلها سببا لهدى
من اراد اهتداءه وزيادة ضلال من اراد ضلاله كالغذاء الصالح فانه ينفع المزاج السوى ويقويه ويضر المنحرف او
يفنيه بقوله ولقد بعثنا فى كل امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا

الطاغوت بامره بعبادة الله واجتناب الطاغوت فمنهم من هدى الله وفقهم
للايمان بارشادهم ومنهم من حقت عليه الضلالة اذ لم يوفقهم ولم يرد هدايتهم
وفيه تنبيه على فساد الشبهة الثانية لما فيها من الدلالة على ان تحقق الضلال وثباته بفعل الله وارادته من حيث
ان قسيمه من هدى الله وقد صرح به في الاية الاخرى فسيروا في الارض يا معشر قريش فانظر
كيف كان عاقبة المكذبين من عاد وثمود وغيرهم لعلكم تعتبرون ان تحرص
يا محمد على هديهم فان الله لا يهدي من يضل من يريد ضلاله وهو المعني بمن حقت عليه الضلالة
وقرا غير الكوفيين لا يهدى على البناء للمفعول وهو ابلغ وما لهم من ناصرين من ينصرهم بدفع العذاب
عنهم واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت عطف على
وقال الذين اشركوا ايذانا بانهم كما انكروا التوحيد انكروا البعث مقسمين عليه زيادة في البت على فساده
ولقد رد الله عليهم ابلغ رد فقال بلى يبعثهم وعدا مصدر مؤكد لنفسه وهو ما دل عليه بلى فان يبعث
موعد من الله عليه انجازه لامتناع الخلف في وعده او لان البعث مقتضى حكمته حقا صفة اخرى
للوعد ولكن اكثر الناس لا يعلمون انهم يبعثون اما لعدم علمهم بانه من مواجب
الحكمة التي جرت عادته بمراعاتها واما لقصور نظرهم بالمالوف فيتوهمون امتناعه ثم انه تعالى بين
الامر في ذلك فقال ليبين لهم اي يبعثهم ليبين لهم الذي يختلفون فيه وهو الحق و
ليعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين فيما كانوا يزعمون وهو اشارة الى السبب
الداعي الى البعث المقتضي له من حيث الحكمة وهو المميز بين الحق والباطل والمحق والمبطل بالثواب و
العقاب ثم قال انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون
وهو بيان امكانه وتقريره ان تكوين الله تعالى بمحض قدرته ومشيئته لا توقف له على سبق المواد والمدد والا
لزم التسلسل فكما امكن له تكوين الاشياء ابتداء بلا سبق مادة ومثال امكن له تكوينها اعادة بعده ونصب ابن عامر
والكسائي هنا وفي يس فيكون عطفا على نقول او جوابا للامر والذين هاجروا في الله من
بعد ما ظلموا هم رسول الله واصحابه المهاجرون رضوان الله عليهم اجمعين ظلمهم قريش فهاجر بعضهم
الى الحبشة ثم الى المدينة وبعضهم الى المدينة او المحبوسون المعذبون بمكة بعد هجرة رسول الله وهم بلال و
صهيب وخباب وعمار وعابس وابو جندل وسهيل وقوله في الله اي في حقه ولوجهه لنبوئنهم في
الدنيا حسنة مباءة حسنة وهي المدينة او تبوئة حسنة ولاجر الاخرة
اكبر مما يعجل لهم في الدنيا وعن عمر انه كان اذا اعطى رجلا من المهاجرين عطاء قال له خذ بارك الله

فيه هذا ما وعدك الله في الدنيا وما ذخر لك في الاخرة افضل لو كانوا يعلمون الضمير للكفار اي
لو علموا ان الله يجمع لهؤلاء المهاجرين خير الدارين لوافقوهم او للمهاجرين اي لو علموا ذلك لزادوا في اجتهادهم
وصبرهم الذين صبروا على الشدائد كاذى الكفرة ومفارقة الوطن ومحله النصب او الرفع على
المدح وعلى ربهم يتوكلون منقطعين الى الله مفوضين اليه الامر كله وما ارسلنا من
قبلك الا رجالا نوحي اليهم رد لقول قريش الله اعظم من ان يكون رسوله بشرا اي جرت السنة
الالهية بان لا يبعث للدعوة العامة الا بشرا يوحي اليه على السنة الملائكة والحكمة في ذلك قد ذكرت في سورة
الانعام فان شككتم فيه فاسئلوا اهل الذكر اهل الكتاب اي علماء الاخبار ليعلموكم
ان كنتم لا تعلمون وفي الاية دليل على انه تعالى لم يرسل امرأة ولا ملكا للدعوة العامة
وان قوله جاعل الملائكة رسلا معناه رسلا الى الملائكة او الى الانبياء وقيل لم يبعثوا الى الانبياء الا متمثلين بصورة
الرجال ورد بما روي انه عم راى جبريل عم على صورته التي هو عليها مرتين وعلى وجوب المراجعة الى العلماء فيما لا
يعلم بالبينات والزبر اي ارسلناهم بالبينات والزبر اي المعجزات والكتب كانه جواب قائل
بم ارسلوا ويجوز ان يتعلق بما ارسلنا داخلا تحت الاستثناء مع رجالا اي وما ارسلنا الا رجالا كقولك ما ضربت الا زيدا
بسوط او صفة لهم اي رجالا ملتبسين بالبينات او بنوحي على المفعولية او الحال من القائم مقام فاعله على ان قوله فاسئلوا
اعتراض او بلا تعلمون على ان الشرط للتبكيت فيه والالزام وانزلنا اليك الذكر اي القران
وانما سمي به ذكرا لانه موعظة وتنبيه لتبين للناس ما انزل اليهم في الذكر بتوسط انزاله
اليك مما امروا به ونهوا عنه او مما تشابه عليهم والتبيين اعم من ان ينص بالمقصود او يرشد الى ما يدل عليه كالقياس
ودليل العقل ولعلهم يتفكرون وارادة ان يتفكروا فيه فيتنبهوا للحقائق افامن الذين
مكروا السيئات اي المكرات السيئات وهم الذين احتالوا لهلاك الانبياء او الذين مكروا رسول
الله وراموا صد اصحابه عن الايمان ان يخسف الله بهم الارض كما خسف بقارون
او ياتيهم العذاب من حيث لا يشعرون بغتة من جانب السماء كما فعل بقوم لوط
او ياخذهم في تقلبهم اي متقلبين في مسايرهم ومتاجرهم فما هم بمعجزين او
ياخذهم على تخوف على مخافة بان يهلك قوما قبلهم فيتخوفوا فياتيهم العذاب وهم
متخوفون او على ان ينتقصهم شيئا بعد شيء في انفسهم واموالهم حتى يهلكوا من تخوفته اذا تنقصته روي ان عمر رضه قال
على المنبر ما تقولون فيها فسكتوا فقام شيخ من هذيل فقال هذه لغتنا التخوف التنقص فقال هل تعرف العرب
ذلك في اشعارها قال نعم قال شاعرنا ابو كبير يصف ناقته تخوف الرحل منها تامكا قردا كما تخوف

عود النبعة السفن فقال عمر عليكم بديوانكم لا تضلوا قالوا وما ديواننا قال شعر الجاهلية فان فيه تفسير كتابكم
ومعاني كلامكم فان ربكم لرؤف رحيم حيث لا يعاجلكم بالعقوبة اولم يروا الى
ما خلق الله من شيء استفهام انكار اي قد راوا امثال هذه الصنائع فما بالهم لم يتفكروا فيها
ليظهر لهم كمال قدرته وقهره فيخافوا منه وما موصولة مبهمة بيانها يتفيؤ ظلاله اي اولم ينظروا
الى المخلوقات التي لها ظلال متفية عن اليمين والشمائل عن ايمانها وشمائلها اي عن جانبي كل
واحد منها استعارة من يمين الانسان وشماله ولعل توحيد اليمين وجمع الشمائل باعتبار اللفظ والمعنى كتوحيد الضمير
في ظلاله وجمعه في قوله سجدا لله وهم داخرون وهما حالان من الضمير في ظلاله والمراد من السجود
الاستسلام سوا كان بالطبع او الاختيار يقال سجدت النخلة اذا مالت لكثرة الحمل وسجد البعير اذا طاطا راسه ليركب
او سجدا حال من الظلال وهم داخرون حال من الضمير والمعنى ترجع الظلال بارتفاع الشمس وانحدارها او باختلاف مشارقها
ومغاربها بتقدير الله تعالى من جانب الى جانب منقادة لما قدر لها من التفيؤ او واقعة على الارض ملتصقة بها على هيئة
الساجد والاجرام في انفسها ايضا داخرة اي صاغرة منقادة لافعال الله تعالى فيها وجمع داخرون بالواو لان
من جملتها من يعقل او لان الدخور من اوصاف العقلاء وقيل المراد باليمين والشمائل يمين الفلك وهو جانبه الشرقي لان
الكواكب منه تظهر اخذة في الارتفاع والسطوع وشماله وهو الجانب الغربي المقابل له فان الظلال في اول النهار تبتدي
من المشرق واقعة على الربع الغربي من الارض وعند الزوال تبتدي من المغرب واقعة على الربع الشرقي من الارض و
لله يسجد ما في السموات وما في الارض اي ينقاد انقيادا يعم الانقياد لارادته وتاثيره
طبعا والانقياد لتكليفه وامره طوعا ليصح اسناده الى عامة اهل السموات والارض وقوله من دابة بيان
لهما لان الدبيب هو الحركة الجسمانية سوا كان في ارض او سما والملئكة عطف على المبين به عطف جبريل
على الملئكة للتعظيم او عطف المجردات على الجسمانيات وبه احتج من قال ان الملئكة ارواح مجردة او بيان لما في الارض
والملئكة تكرير لما في السموات وتعيين له اجلالا وتعظيما او المراد بها ملئكتها من الحفظة وغيرهم وما لما استعمل
للعقلاء كما استعمل لغيرهم كان استعماله حيث اجتمع القبيلان اولى من اطلاق من تغليبا للعقلاء وهم لا يستكبرون
عن عبادته يخافون ربهم من فوقهم يخافونه ان يرسل عليهم عذابا من فوقهم او يخافونه وهو فوقهم بالقهر
كقوله وهو القاهر فوق عباده والجملة حال من الضمير في لا يستكبرون او بيان له وتقرير لان من خاف الله لم
يستكبر عن عبادته ويفعلون ما يؤمرون من الطاعة والتدبير وفيه دليل على ان الملئكة مكلفون
مدارون بين الخوف والرجا وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين ذكر العدد مع ان المعدود يدل
عليه دلالة على ان مساق النهي اليه او ايما بان الاثنينية تنافي الالهية كما ذكر الواحد في قوله انما هو اله

واحد للدلالة على ان المقصود اثبات الوحدانية دون الالهية او للتنبيه على ان الوحدة من لوازم الالهية
فاياي فارهبون نقل من الغيبة الى التكلم مبالغة في الترهيب وتصريحا بالمقصود كانه قيل فانا ذلك الاله
الواحد فاياي فارهبون لا غير وله ما في السموات والارض خلقا وملكا و
له الدين اي الطاعة واصبا لازما لما تقرر من انه الاله وحده والحقيق بان يرهب منه وقيل واصبا
من الوصب اي وله الدين ذا كلفة وقيل الدين الجزا اي وله الجزا دائما لا ينقطع ثوابه لمن امن وعقابه لمن
كفر افغير الله تتقون ولا ضار سواه كما لا نافع غيره كما قال وما بكم من نعمة
فمن الله اي واي شي اتصل بكم من نعمة فهو من الله وما شرطية او موصولة متضمنة معنى الشرط باعتبار الاخبار
دون الحصول فان استقرار النعمة بهم يكون سببا للاخبار بانها من الله لا لحصولها منه ثم اذا مسكم
الضر فاليه تجارون فما تتضرعون الا اليه والجؤار رفع الصوت في الدعا والاستغاثة ثم
اذا كشف الضر عنكم اذا فريق منكم بربهم يشركون وهم كفاركم
ليكفروا بعبادة غيره هذا اذا كان الخطاب عاما فان كان خاصا بالمشركين كان من للبيان
كانه قال اذا فريق وهم انتم ويجوز ان تكون من للتبعيض على ان يعتبر بعضهم كقوله فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد بما
اتيناهم من نعمة كشف الضر عنهم كانهم قصدوا بشركهم كفران النعمة وانكار كونها من الله فتمتعوا
امر تهديد فسوف تعلمون اغلظ وعيده وقرئ فيتمتعوا مبنيا للمفعول عطفا على ليكفروا وعلى هذا
جاز ان يكون اللام لام الامر الوارد للتهديد والفا للجواب ويجعلون لما لا يعلمون اي لالهتهم التي
لا علم لها لانها جماد فيكون الضمير لما او التي لا يعلمونها فيعتقدون فيها جهالات مثل انها تنفعهم وتشفع
لهم على ان العائد الى ما محذوف او لجهلهم على ان ما مصدرية والمجعول له محذوف للعلم به نصيبا
مما رزقناهم من الزروع والانعام تالله لتسئلن عما كنتم تفترون
من انها الهة حقيقة بالتقرب اليها وهو وعيد لهم عليه ويجعلون لله البنات كانت خزاعة
وكنانة يقولون الملئكة بنات الله سبحانه تنزيه له من قولهم او تعجب منه ولهم ما
يشتهون يعني البنين ويجوز فيه الرفع بالابتدا والنصب بالعطف على البنات على
ان الجعل بمعنى الاختيار وهو وان افضى الى ان يكون ضمير الفاعل والمفعول لشي واحد لكنه لا يبعد تجويزه في المعطوف و
اذا بشر احدهم بالانثى اخبر بولادتها ظل وجهه صار او دام النهار كله مسودا
من الكابة والحيا من الناس واسوداد الوجه كناية عن الاغتمام والتشوير وهو كظيم مملو غيظا من المراة
يتوارى من القوم يستخفي منهم من سوء ما بشر به من سوئه عرفا ايمسكه

منكرا او لم يوثره على هون ذل ام يدسه في التراب ام يخفيه ويئده وتذكير الضمير للفظ ما
وقرئ بالتانيث فيهما الا ساء ما يحكمون حيث يجعلون لمن تعالى عن الولد ما هذا محله عندهم للذين
لا يؤمنون بالاخرة مثل السوء صفة السوء وهي الحاجة الى الولد المنادية بالموت و
استبقاء الذكور استظهارا بهم وكراهة الاناث ووادهن خشية الاملاق ولله المثل الاعلى وهو
الوجوب الذاتي والغنى المطلق والجود الفائق والنزاهة عن صفات المخلوقين وهو العزيز
الحكيم المتفرد بكمال القدرة والحكمة ولو يواخذ الله الناس بظلمهم بكفرهم و
معاصيهم ما ترك عليها على الارض وانما اضمرها من غير ذكر لدلالة الناس والدابة عليها من دابة
قط بشوم ظلمهم وعن ابن مسعود كاد الجعل يهلك في جحره بذنب بني ادم او من دابة ظالمة وقيل لو اهلك الاباء بكفرهم
لم يكن الابناء ولكن يوخرهم الى اجل مسمى سماه لاعمارهم او لعذابهم كي يتوالدوا
فاذا جاء اجلهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون بل هلكوا او
عذبوا حينئذ لا محالة ولا يلزم من عموم الناس واضافة الظلم اليهم ان يكونوا كلهم ظالمين حتى الانبياء عليهم السلام لجواز
ان يضاف اليهم ما شاع فيهم وصدر عن اكثرهم ويجعلون لله ما يكرهون اي ما يكرهونه لانفسهم
من البنات والشركاء في الرياسة والاستخفاف بالرسل واراذل الاموال وتصف السنتهم
الكذب مع ذلك وهو ان لهم الحسنى اي عند الله كقوله ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى
وقرئ الكذب جمع كذوب صفة للالسنة لا جرم ان لهم النار رد لكلامهم واثبات لضده و
انهم مفرطون مقدمون الى النار من افرطته في طلب الماء ومكسورا من التفريط في الطاعات تالله
لقد ارسلنا الى امم من قبلك فزين لهم الشيطان اعمالهم فاصروا على قبائحها
وكفروا بالمرسلين فهو وليهم اليوم اي في الدنيا وعبر باليوم عن زمانها او فهو وليهم حين كان يزين
لهم او يوم القيمة على انه حكاية حال ماضية او اتية ويجوز ان يكون الضمير لقريش اي زين الشيطان للكفرة
المتقدمين اعمالهم وهو ولي هولاء اليوم يغريهم ويغويهم وان يقدر مضاف اي وهو ولي امثالهم والولي
القرين او الناصر فيكون نفيا للناصر لهم على ابلغ الوجوه ولهم عذاب اليم في القيمة و
ما انزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه من
التوحيد والقدر واحوال المعاد واحكام الافعال وهدى ورحمة لقوم يومنون
معطوفان على محل لتبين فانهما فعلا المنزل بخلاف التبيين والله انزل من السماء ماء
فاحيا به الارض بعد موتها انبت فيها انواع النبات بعد يبسها ان في ذلك

اذا قدمته وقرا نافع بكسر الراء على انه من الافراط في المعاصي وقرئ بالتشديد مفتوحا من فرطته في طلب الما صح

لاية لقوم يسمعون سماع تدبر وانصاف وان لكم في الانعام لعبرة دلالة
يعبر بها من الجهل الى العلم نسقيكم مما في بطونه لبيان العبرة وانما ذكر الضمير ووحده ههنا للفظ
وانثه في سورة المومنين للمعنى فان الانعام اسم جمع ولذلك عده سيبويه من المفردات المبنية على افعال كاخلاق
واكياش ومن قال انه جمع نعم جعل الضمير للبعض فان اللبن لبعضها دون جميعها او لواحده او له على المعنى فان المراد به
الجنس وقرا نافع وابن عامر وابو بكر ويعقوب نسقيكم بالفتح من بين فرث ودم لبنا فانه يخلق من بعض
اجزاء الدم المتولد من الاجزاء اللطيفة التي في الفرث وهو الاشياء الماكولة المنهضمة بعض الانهضام في الكرش و
عن ابن عباس ان البهيمة اذا اعتلفت وانطبخ العلف في كرشها كان اسفله فرثا واوسطه لبنا واعلاه دما ولعله ان صح
فالمراد ان اوسطه يكون مادة اللبن واعلاه مادة الدم الذي يغذي البدن لانهما لا يتكونان في الكرش بل الكبد يجذب
صفاوة الطعام المنهضم في الكرش ويبقى ثفله وهو الفرث ثم يمسكها ريثما يهضمها هضما ثانيا فيحدث اخلاطا اربعة
معها مائية فتميز القوة المميزة تلك المائية بما زاد على قدر الحاجة من المرتين وتدفعها الى الكلية والمرارة والطحال
ثم توزع الباقي على الاعضاء بحسبها فيجري الى كل حقه على ما يليق به بتقدير الحكيم العليم ثم ان كان الحيوان انثى زاد اخلاطها
على قدر غذائها لاستيلاء البرودة والرطوبة على مزاجها فيندفع الزائد اولا الى الرحم لاجل الجنين فاذا انفصل
انصب الزائد او بعضه الى الضروع فيبيض لمجاورة لحومها الغددية البيض فيصير لبنا ومن تدبر صنع الله
في احداث الاخلاط والالبان واعداد مقارها ومجاريها والاسباب المولدة لها والقوى المتصرفة
فيها كل وقت على ما يليق به اضطر الى الاقرار بكمال حكمته وتناهي رحمته ومن الاولى تبعيضية لان اللبن بعض ما في
بطونها والثانية ابتدائية كقولك سقيت من الحوض لان بين الفرث والدم المحل الذي يبتدا منه الاسقاء
وهي متعلقة بنسقيكم او حال من لبنا قدم عليه لتنكيره وللتنبيه على انه موضع العبرة خالصا صافيا
لا يستصحب لون الدم ولا رائحة الفرث او مصفى عما يصحبه من الاجزاء الكثيفة بتضييق مخرجه سائغا للشاربين
سهل المرور في حلقهم وقرئ سيغا بالتشديد والتخفيف ومن ثمرات النخيل والاعناب
متعلق بمحذوف اي ونسقيكم من ثمرات النخيل والاعناب اي من عصيرهما وقوله تتخذون منه
سكرا استيناف لبيان الاسقاء او بتتخذون ومنه تكرير للظرف تاكيدا او خبر لمحذوف صفته
تتخذون اي ومن ثمرات النخيل والاعناب ثمر تتخذون منه وتذكير الضمير على الوجهين الاولين لانه للمضاف المحذوف
الذي هو العصير او لان الثمرات بمعنى الثمر والسكر مصدر سمي به الخمر ورزقا حسنا كالتمر والزبيب والدبس و
الخل والاية ان كانت سابقة على تحريم الخمر فدالة على كراهتها والا فجامعة بين العتاب والمنة وقيل السكر النبيذ وقيل
الطعم قال جعلت اعراض الكرام سكرا اي تنقلت باعراضهم وقيل ما يسد الجوع من السكر فيكون الرزق ما يحصل من اثمانه

ان في ذلك لاية لقوم يعقلون يستعملون عقولهم بالنظر والتأمل في الآيات واوحى ربك
الى النحل الهمها وقذف في قلوبها وقرئ الى النحَل بفتحتين ان اتخذي بان اتخذي ويجوز ان تكون مفسرة
لان في الايحاء معنى القول وتانيث الضمير على المعنى فان النحل يذكر من الجبال بيوتا ومن الشجر و
مما يعرشون ذكر بحرف التبعيض لانها لا تبني في كل جبل وكل شجر وكل ما يعرش من كرم او سقف ولا في كل
مكان منها وانما سمي ما تبنيه لتتعسل فيه بيتا تشبيها ببناء الانسان لما فيه من حسن الصنعة وصحة القسمة التي لا
يقوى عليها حذاق المهندسين الا بآلات وانظار دقيقة ولعل ذكره للتنبيه على ذلك وقرئ بيوتا بكسر الباء وقرأ ابن عامر
وابو بكر يعرشون بكسر الراء ثم كلي من كل الثمرات من كل ثمرة تشتهينها مرها وحلوها فاسلكي
ما اكلت سبل ربك في مسالكه التي يحيل فيها بقدرته النور المر عسلا من اجوافك او فاسلكي الطرق التي
الهمك في عمل العسل او فاسلكي راجعة الى بيوتك سبل ربك لا تتوعر عليك ولا تلتبس ذللا جمع ذلول وهي
حال من السبل اي مذللة ذللها الله وسهلها لك او من الضمير في اسلكي اي وانت ذلل منقادة لما امرت به
يخرج من بطونها كأنه عدل به عن خطاب النحل الى خطاب الناس لانه محل الانعام عليهم والمقصود من
خلق النحل والهامه لاجلهم شراب يعني العسل لانه مما يشرب واحتج به من زعم ان النحل تأكل الازهار و
الاوراق العطرة فتستحيل في باطنها عسلا ثم تقئ ادخارا للشتاء ومن زعم انها تلتقط بافواهها اجزاء طلية حلوة
صغيرة متفرقة على الاوراق والازهار وتضعها في بيوتها ادخارا فاذا اجتمع في بيوتها شئ كثير منها كان العسل فسر
البطون بالافواه مختلف الوانه ابيض واصفر واحمر واسود بسبب اختلاف سن النحل او الفصل فيه
شفاء للناس اما بنفسه كما في الامراض البلغمية او مع غيره كما في سائر الامراض اذ قلما يكون معجون الا والعسل
جزء منه مع ان التنكير فيه مشعر بالتبعيض ويجوز ان يكون للتعظيم وعن قتادة ان رجلا جاء الى رسول الله صلعم فقال ان اخي يشتكي
بطنه فقال اسقه العسل فذهب ثم رجع فقال قد سقيته فما نفع فقال اذهب واسقه عسلا فقد صدق الله وكذب بطن
اخيك فسقاه فشفاه الله فبرأ فكانما انشط من عقال وقيل الضمير للقرآن او لما بين الله من احوال النحل ان في
ذلك لاية لقوم يتفكرون فان من تدبر اختصاص النحل بتلك العلوم الدقيقة والافعال
العجيبة حق التدبر علم قطعا انه لا بد له من قادر حكيم يلهمها ذلك ويحملها عليه والله خلقكم ثم يتوفاكم
بآجال مختلفة ومنكم من يرد الى ارذل العمر اخسه يعني الهرم الذي يشابه الطفولية
في نقصان القوة والعقل وقيل خمس وتسعون سنة وقيل خمس وسبعون لكيلا يعلم بعد علم شيئا
ليصير الى حالة شبيهة بحال الطفولية في النسيان وسوء الفهم ان الله عليم بمقادير اعمارهم قدير
يميت الشاب النشيط ويبقي الهرم الفاني وفيه تنبيه على ان تفاوت آجال الناس ليس الا بتقدير قادر حكيم ركب

بنيتهم وعدل امزجتهم على قدر معلوم ولو كان ذلك مقتضى الطبع لم يبلغ التفاوت هذا المبلغ والله فضل
بعضكم على بعض في الرزق فمنكم غني ومنكم فقير ومنكم موال يتولون رزقهم ورزق غيرهم ومنكم مماليك
حالهم على خلاف ذلك فما الذين فضلوا برادي رزقهم بمعطي رزقهم على ما
ملكت ايمانهم على مماليكهم فان ما يردون عليهم رزقهم الذي جعله الله في ايديهم فهم فيه
سواء فالموالي والمماليك سواء في ان الله رزقهم فالجملة لازمة للجملة المنفية او مقررة لها ويجوز ان تكون واقعة
موقع الجواب كانه قيل فما الذين فضلوا برادي رزقهم على ما ملكت ايمانهم فيستووا في الرزق على انه رد وانكار على المشركين
فانهم يشركون بالله بعض مخلوقاته في الالوهية ولا يرضون ان يشاركهم عبيدهم فيما انعم الله عليهم فيساووهم فيه
افبنعمة الله يجحدون حيث يتخذون له شركاء فانه يقتضي ان يضاف اليهم بعض ما انعم
عليهم ويجحدوا انه من عند الله او حيث انكروا امثال هذه الحجج بعدما انعم الله عليهم بايضاحها والباء لتضمن الجحود معنى
الكفر وقرأ ابو بكر تجحدون بالتاء لقوله خلقكم وفضل بعضكم والله جعل لكم من انفسكم
ازواجا اي من جنسكم لتأنسوا بها ولتكون اولادكم مثلكم وقيل هو خلق حواء من آدم وجعل لكم من
ازواجكم بنين وحفدة واولاد اولاد او بنات فان الحافد هو المسرع في الخدمة والبنات
يخدمن في البيوت اتم خدمة وقيل هم الاختان على البنات وقيل الربائب ويجوز ان يراد بها البنون انفسهم
والعطف لتغاير الوصفين ورزقكم من الطيبات من اللذائذ او من الحلالات ومن للتبعيض فان
المرزوق في الدنيا انموذج منها افبالباطل يؤمنون وهو ان الاصنام تنفعهم او ان من الطيبات
ما يحرم عليهم كالبحيرة والسائبة ونعمت الله هم يكفرون حيث اضافوا نعمه الى الاصنام او حرموا
ما احل الله لهم وتقديم الصلة على الفعل اما للاهتمام او لايهام التخصيص مبالغة او للمحافظة على الفواصل ويعبدون
من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السموات والارض شيئا من مطر
ونبات ورزقا ان جعلته مصدرا فشيئا منصوب به والا فبدل منه ولا يستطيعون ان يملكوه
او لا استطاعة لهم اصلا وجمع الضمير فيه وتوحيده في لا يملك لان ما مفرد في معنى الالهة ويجوز ان يعود الى الكفار
اي ولا يستطيع هؤلاء مع انهم احياء متصرفون شيئا من ذلك فكيف بالجماد فلا تضربوا لله الامثال
فلا تجعلوا له مثلا تشركونه به او تقيسونه عليه فان ضرب المثل تشبيه حال بحال ان الله يعلم فساد ما تعولون
عليه من القياس على ان عبادة عبيد الملك ادخل في التعظيم من عبادته وعظم جرمكم فيما تفعلون وانتم لا تعلمون
ذلك ولو علمتموه لما جرأتم عليه فهو تعليل للنهي او انه يعلم كنه الاشياء وانتم لا تعلمونه فدعوا رأيكم دون نصه
ويجوز ان يراد فلا تضربوا لله الامثال فانه يعلم كيف يضرب الامثال وانتم لا تعلمون ثم علمهم كيف يضرب فضرب

مثلا لنفسه ولمن عبد دونه فقال ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على
شيء ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا و
جهرا هل يستوون مثل ما يشرك به بالمملوك العاجز عن التصرف رأسا ومثل
نفسه بالحر المالك الذي رزقه الله مالا كثيرا فهو يتصرف فيه وينفق منه كيف شاء واحتج بامتناع التسوية
بينهما مع تشاركهما في الجنسية والمخلوقية على امتناع التسوية بين الاصنام التي هي اعجز المخلوقات وبين الله الغني
القادر على الاطلاق وقيل هو تمثيل للكافر المخذول والمؤمن الموفق وتقييد العبد بالمملوك للتمييز من الحر فانه ايضا
عبد الله وسلب القدرة للتمييز عن المكاتب والماذون وجعله قسيما للمالك المتصرف يدل على ان المملوك لا يملك
والاظهر ان من نكرة موصوفة ليطابق عبدا وجمع الضمير في يستوون لانه للجنسين فان المعنى هل يستوي الاحرار
والعبيد الحمد لله كل الحمد له لا يستحقه غيره فضلا عن العبادة لانه مولى النعم كلها بل اكثرهم
لا يعلمون فيضيفون نعمه الى غيره ويعبدونه لاجلها وضرب الله مثلا رجلين
احدهما ابكم ولد اخرس لا يفهم ولا يفهم لا يقدر على شيء من الصنائع والتدابير
لنقصان عقله وهو كل على موليه عيال وثقل على من يلي امره اينما يوجهه حيثما
يرسله مولاه في امر وقرئ يوجه على البناء للمفعول ويوجه بمعنى يتوجه كقوله اينما اوجه الق سعدا وتوجه بلفظ
الماضي لا يات بخير بنجح وكفاية مهم هل يستوي هو ومن يامر بالعدل
ومن هو فهم منطيق ذو كفاية ورشد ينفع الناس بحثهم على العدل الشامل لمجامع الفضائل وهو على
صراط مستقيم وهو في نفسه على صراط مستقيم لا يتوجه الى مطلب الا ويبلغه باقرب سعي وانما
قابل تلك الصفات بهذين الوصفين لانهما كمال ما يقابلهما وهذا تمثيل ثان ضربه الله مثلا لنفسه وللاصنام
لابطال المشاركة بينه وبينها او للمؤمن والكافر ولله غيب السموات والارض
يختص به علمه لا يعلمه غيره وهو ما غاب فيهما عن العباد بان لم يكن محسوسا ولم يدل عليه محسوس وقيل يوم القيمة
فان علمه غائب عن اهل السموات والارض وما امر الساعة وما امر قيام القيمة في سرعته و
سهولته الا كلمح البصر الا كرجع الطرف من اعلى الحدقة الى اسفلها او هو اقرب
او امرها اقرب منه بان يكون في زمان نصف تلك الحركة بل في الان الذي يبتدي فيه فانه تعالى يحيي الخلائق دفعة
وما يوجد دفعة كان في ان واو للتخيير او بمعنى بل وقيل معناه ان قيام الساعة وان تراخى فهو عند الله كالشيء
الذي تقولون فيه هو كلمح البصر او هو اقرب مبالغة في استقرابه ان الله على كل شيء قدير
فيقدر على ان يحيي الخلائق دفعة كما قدر على ان احياهم متدرجا ثم دل على قدرته تعالى فقال والله اخرجكم

من بطون امهاتكم وقرا الكسائي بكسر الهمزة على انه لغة او اتباع لما قبلها وحمزة بكسرها وكسر الميم والهاء
مزيدة مثلها في اهراق لا تعلمون شيئا جهالا مستصحبين جهل الجمادية وجعل لكم السمع و
الابصار والافئدة اداة تتعلمون بها فتحسون بمشاعركم جزئيات الاشياء فتدركونها ثم
تتنبهون بقلوبكم لمشاركات ومباينات بينها بتكرر الاحساس حتى تتحصل لكم العلوم البديهية وتتمكنوا من تحصيل العلوم
الكسبية بالنظر فيها لعلكم تشكرون كي تعرفوا ما انعم عليكم طورا بعد طور فتشكروه الم يروا
الى الطير وقرا ابن عامر وحمزة ويعقوب بالتاء على انه خطاب العامة مسخرات مذللات
للطيران بما خلق لها من الاجنحة والاسباب المواتية له في جو السماء في الهواء المتباعد من الارض ما
يمسكهن فيه الا الله فان ثقل جسدها يقتضي سقوطها ولا علاقة فوقها ولا دعامة تحتها تمسكها
ان في ذلك لايات تسخير الطير للطيران بان خلقها خلقة يمكن معها الطيران وخلق الجو بحيث يمكن
الطيران فيه وامساكها في الهواء على خلاف طبعها لقوم يؤمنون لانهم هم المنتفعون بها والله
جعل لكم من بيوتكم سكنا موضعا تسكنون فيه وقت اقامتكم
كالبيوت المتخذة من الحجر والمدر فعل بمعنى مفعول وجعل لكم من جلود الانعام
بيوتا هي القباب المتخذة من الادم ويجوز ان يتناول المتخذة من الوبر والصوف والشعر فانها من حيث
انها نابتة على جلودها يصدق عليها انها من جلودها تستخفونها تجدونها خفيفة يخف عليكم حملها
ونقلها يوم ظعنكم وقت ترحالكم ويوم اقامتكم وضعها او ضربها وقت
الحضر او النزول وقرا الحجازيان والبصريان يوم ظعنكم بالفتح وهو لغة فيه ومن اصوافها و
اوبارها واشعارها الصوف للضائنة والوبر للابل والشعر للمعز واضافتها الى ضمير الانعام
لانها من جملتها اثاثا ما يلبس ويفرش ومتاعا ما يتجر به الى حين الى مدة من الزمان فانها لصلابتها
تبقى مدة مديدة او الى حين مماتكم او الى ان تقضوا منه اوطاركم والله جعل لكم مما خلق من الشجر و
الجبال والابنية وغيرها ظلالا تتقون بها حر الشمس وجعل لكم من الجبال اكنانا
مواضع تسكنون بها من الكهوف والبيوت المنحوتة فيها جمع كن وجعل لكم سرابيل
ثيابا من الصوف والكتان والقطن وغيرها تقيكم الحر خصه بالذكر اكتفاء باحد الضدين او لان
وقاية الحر كانت اهم عندهم وسرابيل تقيكم باسكم يعني الدروع والجواشن والسربال يعم كل ما يلبس
كذلك كاتمام هذه النعم التي تقدمت يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون
اي تنظرون في نعمه فتؤمنون به وتنقادون لحكمه وقرئ تسلمون من السلامة اي تشكرون فتسلمون من عذابه او تنظرون

فيما عنيتم من الشرك وقيل تسلمون من الجراح بلبس الدروع فان تولوا اعرضوا ولم يقبلوا منك فانما
عليك البلاغ المبين فلا يضرك فانما عليك البلاغ وقد بلغت وهذا من اقامة السبب مقام
المسبب يعرفون نعمة الله اي يعرف المشركون نعمة الله التي عددها عليهم وغيرها حيث يعترفون
بها وبانها من الله ثم ينكرونها بعبادتهم غير المنعم بها وقولهم انها بشفاعة الهتنا او بسبب كذا
او باعراضهم عن اداء حقوقها وقيل نعمة الله نبوة محمد صلى الله عليه وسلم عرفوها بالمعجزات ثم انكروها عنادا ومعنى ثم استبعاد الانكار
بعد المعرفة واكثرهم الكافرون الجاحدون عنادا وذكر الاكثر لان بعضهم لم يعرف الحق لنقصان
العقل او التفريط في النظر او لم تقم عليه الحجة لانه لم يبلغ حد التكليف واما لانه يقام مقام الكل كما في قوله بل اكثرهم
لا يعلمون ويوم نبعث من كل امة شهيدا وهو نبيهم يشهد لهم وعليهم بالايمان والكفر
ثم لا يؤذن للذين كفروا في الاعتذار اذ لا عذر لهم وقيل في الرجوع الى الدنيا وثم لزيادة نكاية
بهم من شدة المنع عن الاعتذار لما فيه من الاقناط الكلي على ما يمنون به من شهادة الانبياء عليهم السلم ولا
هم يستعتبون ولا هم يسترضون من العتبى وهو الرضا وانتصاب يوم بمحذوف تقديره اذكر او خوفهم
او يحيق بهم ما يحيق وكذا قوله واذا رأى الذين اشركوا شركاءهم اوثانهم التي دعوها شركاء
او الشياطين الذين شاركوهم في الكفر بالحمل عليه قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا
ندعوا من دونك نعبدهم او نطيعهم وهو اعتراف بانهم كانوا مخطئين في ذلك او التماس لان يشطر
عذابهم فالقوا اليهم القول انكم لكاذبون اي اجابوهم بالتكذيب في انهم شركاء الله او انهم
ما عبدوهم حقيقة وانما عبدوا اهواءهم كقوله كلا سيكفرون بعبادتهم ولا يمتنع انطاق الله الاصنام به حينئذ او في انهم حملوهم
على الكفر والزموهم اياه كقوله وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي والقوا والقى الذين ظلموا
الى الله يومئذ السلم الاستسلام لحكمه بعد الاستكبار في الدنيا وضل عنهم وضاع عنهم وبطل
ما كانوا يفترون من ان الهتهم ينصرونهم ويشفعون لهم حين كذبوا وتبرؤوا منهم الذين كفروا
وصدوا عن سبيل الله بالمنع عن الاسلام والحمل على الكفر زدناهم عذابا لصدهم
فوق العذاب المستحق بكفرهم بما كانوا يفسدون بكونهم مفسدين بصدهم ويوم
نبعث في كل امة شهيدا عليهم من انفسهم يعني نبيهم فان نبي كل امة بعث
منهم وجئنا بك يا محمد شهيدا على هؤلاء على امتك وانزلنا عليك الكتاب
استئناف او حال باضمار قد تبيانا بيانا بليغا لكل شيء من امور الدين على التفصيل او الاجمال
بالاحالة الى السنة او القياس وهدى ورحمة للجميع وانما حرمان المحروم من تفريطه وبشرى

للمسلمين خاصة ان الله يامر بالعدل بالتوسط في الامور اعتقادا كالتوحيد المتوسط بين
التعطيل والتشريك والقول بالكسب المتوسط بين محض الجبر والقدر وعملا كالتعبد باداء الواجبات المتوسط بين البطالة و
الترهب وخلقا كالجود المتوسط بين البخل والتبذير والاحسان احسان الطاعات وهو اما بحسب الكمية
كالتطوع بالنوافل او بحسب الكيفية كما قال عليه السلام الاحسان ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك وايتاء ذي
القربى واعطاء الاقارب ما يحتاجون اليه وهو تخصيص بعد تعميم للمبالغة وينهى عن الفحشاء عن الافراط
في متابعة القوة الشهوية كالزنا فانه اقبح احوال الانسان واشنعها والمنكر ما ينكر على متعاطيه في اثارة
القوة الغضبية والبغي وهو الاستعلاء والاستيلاء على الناس والتجبر عليهم فانها الشيطنة التي هي مقتضى القوة الوهمية و
لا يوجد من الانسان شر الا وهو مندرج في هذه الاقسام صادر بتوسط احدى هذه القوى الثلث ولذلك قال ابن مسعود
هي اجمع اية في القرآن للخير والشر وصارت سبب اسلام عثمان بن مظعون ولو لم يكن في القرآن غير هذه الاية لصدق
عليه انه تبيان لكل شيء وهدى ورحمة للعالمين ولعل ايرادها عقيب قوله ونزلنا عليك الكتاب للتنبيه عليه
يعظكم بالامر والنهي والميز بين الخير والشر لعلكم تذكرون تتعظون واوفوا بعهد
الله يعني البيعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم لقوله ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله وقيل كل امر يجب الوفاء به ولا يلائمه
قوله اذا عاهدتم وقيل النذور وقيل الايمان بالله ولا تنقضوا الايمان ايمان البيعة او مطلق
الايمان بعد توكيدها بعد توثيقها بذكر الله ومنه اكد بقلب الواو همزة وقد جعلتم الله
عليكم كفيلا شاهدا بتلك البيعة فان الكفيل مراع لحال المكفول به رقيب عليه ان الله
يعلم ما تفعلون في نقض الايمان والعهود ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها ما غزلته
مصدر بمعنى المفعول من بعد قوة متعلق بنقضت اي نقضت غزلها من بعد ابرام واحكام انكاثا طاقات
نكث فتلها جمع نكث وانتصابه على الحال من غزلها او المفعول الثاني لنقضت فانه بمعنى صيرت والمراد به تشبيه
الناقض بمن هذا شانه وقيل هي ريطة بنت سعد بن تيم القرشية فانها كانت خرقاء تفعل ذلك تتخذون
ايمانكم دخلا بينكم حال من الضمير في ولا تكونوا او في الجار الواقع موقع الخبر اي لا تكونوا
متشبهين بامرأة هذا شانها متخذي ايمانكم مفسدة ودخلا بينكم واصل الدخل ما يدخل الشيء ولم يكن منه ان
تكون امة هي اربى من امة بان تكون جماعة ازيد عددا واوفر مالا من جماعة والمعنى لا تغدروا
بقوم لكثرتكم وقلتهم او لكثرة منابذيهم وقوتهم كقريش فانهم كانوا اذا راوا شوكة في اعادي حلفائهم نقضوا عهدهم
وحالفوا اعداءهم انما يبلوكم الله به الضمير لان تكون امة لانه بمعنى المصدر اي يختبركم بكونهم اربى لينظر
اتتمسكون بحبل الوفاء بعهد الله وبيعة رسول الله ام تغترون بكثرة قريش وشوكتهم وقلة المؤمنين وضعفهم وقيل الضمير

لا يرتدوا وقيل الأمر بالوفاء وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون
إذا جازاكم على أعمالكم بالثواب والعقاب ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة
متفقة على الإسلام ولكن يضل من يشاء بالخذلان ويهدي من يشاء
بالتوفيق ولتسألن عما كنتم تعملون سؤال تبكيت ومجازاة ولا تتخذوا
أيمانكم دخلا بينكم تصريح بالنهي عنه بعد التضمين تأكيدا ومبالغة في قبح المنهي عنه فتزل
قدم أي عن محجة الإسلام بعد ثبوتها عليها والمراد أقدامهم وإنما وحد ونكر للدلالة على أن زلل
قدم واحدة عظيم فكيف بأقدام كثيرة وتذوقوا السوء العذاب في الدنيا بما صددتم
عن سبيل الله بصدودكم عن الوفاء أو صدكم غيركم عنه فإن من نقض البيعة وارتد جعل
ذلك سنة لغيره ولكم عذاب عظيم في الآخرة ولا تشتروا
بعهد الله ولا تستبدلوا عهد الله وبيعة رسول الله ثمنا قليلا عوضا يسيرا وهو ما كانت
قريش يعدون لضعاف المسلمين ويشرطون لهم على الارتداد إنما عند الله من النصر والتغنيم في
الدنيا والثواب في الآخرة هو خير لكم مما يعدونكم إن كنتم تعلمون
إن كنتم من أهل العلم والتمييز ما عندكم من أعراض الدنيا ينفد ينقضي ويفنى وما عند
الله من خزائن رحمته باق لا ينفد وهو تعليل للحكم السابق ودليل على أن نعيم أهل الجنة باق و
لنجزين الذين صبروا أجرهم على الفاقة وأذى الكفار أو على مشاق التكاليف وقرأ
ابن كثير وعاصم بالنون بأحسن ما كانوا يعملون بما ترجح فعله من أعمالهم كالواجبات
والمندوبات أو بجزاء أحسن من أعمالهم من عمل صالحا من ذكر أو أنثى بينه بالنوعين
دفعا للتخصيص وهو مؤمن إذ لا اعتداد بأعمال الكفرة في استحقاق الثواب وإنما المتوقع عليها
تخفيف العقاب فلنحيينه حيوة طيبة في الدنيا لأنه يعيش عيشا طيبا فإنه إن كان
موسرا فظاهر وإن كان معسرا كان يطيب عيشه بالقناعة والرضا بالقسمة وتوقع الأجر العظيم في
الآخرة بخلاف الكافر فإنه إن كان معسرا فظاهر وإن كان موسرا لم يدعه الحرص وخوف الفوات
أن يتهنأ بعيشه وقيل في الآخرة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون
من الطاعة فإذا قرأت القرآن إذا أردت قراءته كقوله إذا قمتم إلى الصلوة فاستعذ
بالله من الشيطان الرجيم فاسأل الله أن يعيذك من وساوسه لئلا يوسوسك
في القراءة والجمهور على أنه للاستحباب وفيه دليل على أن المصلي يستعيذ في كل ركعة لأن الحكم المرتب

على شرط يتكرر بتكرره قياسا وتعقيبه لذكر العمل الصالح والوعد عليه إيذان بأن الاستعاذة عند القراءة
من هذا القبيل وعن ابن مسعود قرأت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم فقال قل
أعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا أقرأنيه جبريل عن القلم عن اللوح المحفوظ إنه ليس له سلطان
تسلط وولاية على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون على أولياء الله المؤمنين به والمتوكلين
عليه فإنهم لا يطيعون أوامره ولا يقبلون وساوسه إلا فيما يحتقرون على ندور وغفلة ولذلك أمروا بالاستعاذة
فذكر السلطنة بعد الأمر بالاستعاذة لئلا يتوهم منه أن له سلطانا إنما سلطانه على الذين يتولونه
يحبونه ويطيعونه والذين هم به بالله أو بسبب الشيطان مشركون وإذا بدلنا
آية مكان آية بالنسخ فجعلنا الآية الناسخة مكان المنسوخة لفظا أو حكما والله أعلم بما
ينزل من المصالح فلعل ما يكون مصلحة في وقت يصير مفسدة بعده فينسخه وما لا يكون مصلحة حينئذ يكون مصلحة
الآن فيثبته مكانه وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ينزل بالتخفيف قالوا أي الكفرة إنما أنت مفتر متقول
على الله تأمر بشيء ثم يبدو لك فتنهى عنه وهو جواب إذا والله أعلم بما ينزل اعتراض لتوبيخ الكفار على قولهم
والتنبيه على فساد سندهم ويجوز أن يكون حالا بل أكثرهم لا يعلمون حكمة الأحكام ولا يميزون
الخطأ من الصواب قل نزله روح القدس يعني جبريل عليه السلام وإضافة الروح إلى القدس وهو الطهر كقولهم
حاتم الجود وقرأ ابن كثير روح القدس بالتخفيف وفي ينزل ونزله تنبيه على أن إنزاله مدرجا على حسب المصالح مما
يقتضي التبديل من ربك بالحق ملتبسا بالحكمة ليثبت الذين آمنوا على الإيمان بأنه
كلامه فإنهم إذا سمعوا الناسخ وتدبروا ما فيه من رعاية الصلاح والحكمة رسخت عقائدهم واطمأنت
قلوبهم وهدى وبشرى للمسلمين المنقادين لحكمه وهما معطوفان على محل ليثبت أي تثبيتا و
هداية وبشارة وفيه تعريض بحصول أضداد ذلك لغيرهم وقرئ ليثبت بالتخفيف ولقد نعلم
أنهم يقولون إنما يعلمه بشر يعنون جبرا الرومي غلام عامر بن الحضرمي وقيل جبرا ويسارا
كانا يصنعان السيف بمكة ويقرآن التوراة والإنجيل وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يمر عليهما ويسمع ما يقرآنه وقيل عائشا غلام
حويطب بن عبد العزى قد أسلم وكان صاحب كتب وقيل سلمان الفارسي لسان الذي يلحدون
إليه أعجمي لغة الرجل الذي يميلون قولهم عن الاستقامة إليه يلحدون مأخوذ من لحد القبر وقرأ حمزة
والكسائي يلحدون بفتح الياء والحاء أي لسان أعجمي غير بين وهذا وهذا القرآن لسان عربي مبين
ذو بيان وفصاحة والجملتان مستأنفتان لإبطال طعنهم وتقريره يحتمل الوجهين أحدهما أن ما سمعه منه
كلام أعجمي لا يفهمه هو ولا أنتم والقرآن عربي تفهمونه بأدنى تأمل فكيف يكون ما تلقفه منه وثانيهما هب أنه

يعلم منه المعنى باستماع كلامه ولكن لم يتلقف منه اللفظ لان ذلك اعجمى وهذا عربى والقرآن كما هو معجز باعتبار المعنى فهو معجز
من حيث اللفظ مع ان العلوم الكثيرة التى فى القرآن لا يمكن تعلمها الا بملازمة معلم فائق فى تلك العلوم مدة متطاولة
فكيف يعلم جميع ذلك من غلام سوقى سمع منه بعض اوقات مروره عليه كلمات اعجمية لعلهما لم يعرفا معناها وطعنهم
فى القرآن بامثال تلك الكلمات الركيكة دليل على غاية عجزهم ان الذين لا يؤمنون بايات
الله لا يصدقون انها من عند الله لا يهديهم الله الى الحق او سبيل النجاة وقيل الى الجنة ولهم
عذاب اليم فى الآخرة هددهم على الكفر بالقرآن بعدما اماط شبهتهم ورد طعنهم فيه ثم قلب الامر عليهم
فقال انما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بايات الله لانهم
لا يخافون عقابا يردعهم عنه واولئك اشارة الى الذين كفروا او الى قريش هم الكاذبون
اى الكاذبون على الحقيقة او الكاملون فى الكذب لان تكذيب آيات الله والطعن فيها بهذه الخرافات اعظم
الكذب او الذين عادتهم الكذب لا يصرفهم عنه دين ولا مروءة او الكاذبون فى قولهم انما انت مفتر انما يعلمه
بشر من كفر بالله من بعد ايمانه بدل من الذين لا يؤمنون وما بينهما اعتراض او
من اولئك او من الكاذبون او مبتدأ خبره محذوف دل عليه قوله فعليهم غضب ويجوز ان ينتصب بالذم وان
يكون من شرطية محذوفة الجواب الا من اكره على الافتراء او كلمة الكفر استثناء متصل لان الكفر لغة يعم القول
والعقد كالايمان وقلبه مطمئن بالايمان لم تتغير عقيدته وفيه دليل على ان الايمان هو
التصديق بالقلب ولكن من شرح بالكفر صدرا اعتقده وطاب به نفسا
فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم اذ لا اعظم من جرمه روى ان قريشا
اكرهوا عمارا وابويه ياسرا وسمية على الارتداد فربطوا سمية بين بعيرين ووجئ بحربة فى قبلها وقالوا انك
اسلمت من اجل الرجال فقتلت وقتلوا ياسرا وهما اول قتيلين فى الاسلام واعطاهم عمار بلسانه ما ارادوا
مكرها فقيل يا رسول الله ان عمارا كفر فقال كلا ان عمارا ملئ ايمانا من قرنه الى قدمه واختلط الايمان بلحمه ودمه فاتى
عمار رسول الله وهو يبكى فجعل رسول الله يمسح عينيه وقال ما لك ان عادوا لك فعد لهم بما قلت وهو دليل
على جواز التكلم بالكفر عند الاكراه وان كان الافضل ان يتجنب عنه اعزازا للدين كما فعله ابواه لما روى ان مسيلمة
اخذ رجلين فقال لاحدهما ما تقول فى محمد قال رسول الله قال فما تقول فى فقال انت ايضا فخلاه وقال للآخر
ما تقول فى محمد قال رسول الله قال فما تقول فى فقال انا اصم فاعاد عليه ثلثا فاعاد جوابه فقتله فبلغ رسول الله
فقال اما الاول فقد اخذ برخصة الله واما الثانى فقد صدع بالحق فهنيئا له ذلك اشارة الى الكفر بعد الايمان
او الوعيد بانهم استحبوا الحيوة الدنيا على الآخرة بسبب انهم آثروها عليها

ان الله لا يهدى القوم الكافرين اى الكافرين فى علمه الى ما يوجب ثبات الايمان
ولا يعصمهم من الزيغ اولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم
فابت عن ادراك الحق والتأمل فيه واولئك هم الغافلون اى الكاملون فى الغفلة اذ اغفلتهم
الحالة الراهنة عن تدبر العواقب لا جرم انهم فى الآخرة هم الخاسرون اذ ضيعوا اعمارهم
وصرفوها فيما افضى الى العذاب المخلد ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا
اى عذبوا كعمار بالولاية والنصرة وثم لتباعد حال هؤلاء عن حال اولئك وقرأ ابن عامر فتنوا بالفتح اى بعدما
عذبوا المؤمنين كالحضرمى اكره مولاه جبرا حتى ارتد ثم اسلما وهاجرا ثم جاهدوا وصبروا على
الجهاد وما اصابهم من المشاق ان ربك من بعدها من بعد الهجرة والجهاد والصبر لغفور
لما فعلوا قبل رحيم ينعم عليهم مجازاة على ما صنعوا بعد يوم تأتى كل نفس منصوب
برحيم او باذكر تجادل عن نفسها تجادل عن ذاتها وتسعى فى خلاصها لا يهمها شأن غيرها فتقول نفسى نفسى
وتوفى كل نفس ما عملت جزاء ما عملت وهم لا يظلمون لا ينقصون اجورهم وضرب
الله مثلا قرية اى جعلها مثلا لكل قوم انعم الله عليهم فابطرتهم النعمة فكفروا فانزل الله بهم نقمته او
لمكة كانت آمنة مطمئنة لا يزعج اهلها خوف يأتيها رزقها اقواتها رغدا
واسعا من كل مكان من نواحيها فكفرت بانعم الله بنعمه جمع نعمة على ترك
الاعتداد بالتاء كدرع وادرع او جمع نعم كبؤس وابؤس فاذاقها الله لباس الجوع و
الخوف استعار الذوق لادراك اثر الضرر واللباس لما غشيهم واشتمل عليهم من الجوع والخوف واوقع
الاذاقة عليه بالنظر الى المستعار له كقول كثير غمر الرداء اذا تبسم ضاحكا غلقت لضحكته رقاب المال فانه
استعار الرداء للمعروف لانه يصون عرض صاحبه صون الرداء لما يلقى عليه واضاف اليه الغمر الذى هو وصف
المعروف والنوال لا وصف الرداء نظرا الى المستعار له وقد ينظر الى المستعار كقوله ينازعنى ردائى عبد عمرو
رويدك يا اخا عمرو بن بكر لى الشطر الذى ملكت يمينى ودونك فاعتجر منه بشطر استعار الرداء لسيفه ثم قال
فاعتجر نظرا الى المستعار بما كانوا يصنعون بصنيعهم ولقد جاءهم رسول منهم يعنى محمدا
والضمير لاهل مكة عاد الى ذكرهم بعد ذكر مثلهم فكذبوه فاخذهم العذاب وهم ظالمون اى
حال التباسهم بالظلم والعذاب ما اصابهم من الجدب الشديد او وقعة بدر فكلوا مما رزقكم الله حلالا
طيبا امرهم باكل ما احل الله لهم وشكر ما انعم الله عليهم بعدما زجرهم عن الكفر وهددهم عليه بما ذكر من التمثيل والعذاب
الذى حل بهم صدا لهم عن صنيع الجاهلية ومذاهبها الفاسدة واشكروا نعمت الله ان كنتم اياه

تعبدون او تطيعون اولين صح زعمكم انكم تقصدون بعبادة الالهة عبادته انما حرم عليكم الميتة
والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد
فان الله غفور رحيم لما امرهم بتناول ما احل لهم عدد عليهم محرماته ليعلم ان ما عداها حل لهم ثم اكد
ذلك بالنهي عن التحريم والتحليل باهوائهم فقال ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب
هذا حلال وهذا حرام كما قالوا ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا الاية ومقتضى سياق الكلام وتصدير الجملة
بانما حصر المحرمات في الاجناس الاربعة الا ما ضمّ اليها دليل كالسباع والحمر الاهلية وانتصاب الكذب بلا تقولوا وهذا حلال وهذا حرام بدل
او متعلق بتصف على ارادة القول اي ولا تقولوا الكذب لما تصفه السنتكم فتقولوا هذا حلال وهذا حرام او مقول لا تقولوا والكذب منتصب
بتصف وما مصدرية اي ولا تقولوا هذا حلال وهذا حرام لوصف السنتكم الكذب اي لا تحرموا ولا تحللوا لمجرد قول تنطق به السنتكم
من غير دليل ووصف السنتهم الكذب مبالغة في وصف كلامهم بالكذب كان حقيقة الكذب كانت مجهولة والسنتهم
تصفها وتعرفها بكلامهم هذا ولذلك عد من فصيح الكلام كقولهم وجهها يصف الجمال وعينها تصف السحر وقرئ
الكذب بالجر بدلا من ما والكذب جمع كذوب او كذاب بالرفع صفة للالسنة وبالنصب على الذم او بمعنى الكلم
الكواذب لتفتروا على الله الكذب تعليل لا يتضمن الغرض ان الذين يفترون على
الله الكذب لا يفلحون لانهم لما كان المفتري يفتري لتحصيل مطلوب نفى عنهم الفلاح وبينه بقوله
متاع قليل اي ما يفترون لاجله او ما هم فيه منفعة قليلة تنقطع عن قريب ولهم عذاب اليم في الاخرة
وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك اي في سورة الانعام في قوله وعلى الذين هادوا
حرمنا كل ذي ظفر من قبل متعلق بقصصنا او بحرمنا وما ظلمناهم بالتحريم ولكن كانوا انفسهم
يظلمون ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة بسببها او ملتبسين بها ليعم الجهل بالله
وبعقابه وعدم التدبر في العواقب لغلبة الشهوة والسوء يعم الافتراء على الله وغيره ثم تابوا من بعد ذلك واصلحوا
ان ربك من بعدها من بعد التوبة لغفور لذلك السوء رحيم يثيب على الانابة ان ابراهيم
كان امة لكماله واستجماعه فضائل لا تكاد توجد الا متفرقة في اشخاص كثيرة كقوله وليس على الله بمستنكر ان يجمع العالم
في واحد وهو رئيس الموحدين وقدوة المحققين الذي جادل فرق المشركين وابطل مذاهبهم الزائغة بالحجج الدامغة ولذلك
عقب ذكره بتزييف مذاهب المشركين من الشرك والطعن في النبوة وتحريم ما احله او لانه كان وحده مؤمنا وكان
سائر الناس كفارا وقيل هي فعلة بمعنى مفعول كالرحلة والنخبة من امه اذا قصده او اقتدى به فان الناس كانوا يؤمونه
للاستفادة ويقتدون بسيرته كقوله اني جاعلك للناس اماما قانتا لله مطيعا له قائما باوامره حنيفا
مائلا عن الباطل ولم يك من المشركين شاكرا لانعمه ذكر بلفظ القلة للتنبيه على انه كان لا يخل بشكر النعم

٣٦

٢٧٩

القليلة فكيف بالكثيرة اجتبيه للنبوة وهديه الى صراط مستقيم في الدعوة الى الله
واتيناه في الدنيا حسنة بان حببه الى الناس حتى ان ارباب الملل يتولونه ويثنون عليه ورزقه
اولادا طيبة وعمرا طويلا في السعة والطاعة وانه في الاخرة لمن الصالحين لمن اهل الجنة كما سأل بقوله
والحقني بالصالحين ثم اوحينا اليك يا محمد وثم اما للتعظيم والتنبيه على ان اجل ما اوتي ابراهيم اتباع الرسول
ملته او لتراخي ايامه ان اتبع ملة ابرهيم حنيفا في التوحيد والدعوة اليه بالرفق وايراد الدلائل مرة
بعد اخرى والمجادلة مع كل احد على حسب فهمه وما كان من المشركين بل كان قدوة الموحدين انما جعل السبت
تعظيم السبت والتخلي فيه للعبادة على الذين اختلفوا فيه اي على نبيهم وهم اليهود امرهم موسى ان يتفرغوا للعبادة
يوم الجمعة فابوا وقالوا نريد يوم السبت لانه تعالى فرغ فيه من خلق السموات والارض فالزمهم الله السبت وشدد الامر عليهم وقيل معناه
انما جعل وبال السبت وهو المسخ على الذين اختلفوا فيه فاحلوا الصيد فيه تارة وحرموه اخرى واحتالوا له الحيل وذكرهم هنا لتهديد
المشركين كذكر القرية التي كفرت بانعم الله وان ربك ليحكم بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه
يختلفون بالمجازاة على الاختلاف او بمجازاة كل فريق بما يستحقه ادع من بعثت اليهم الى سبيل ربك
الى الاسلام بالحكمة بالمقالة المحكمة وهو الدليل الموضح للحق المزيح للشبهة والموعظة الحسنة
وجادلهم وجادل معانديهم بالتي هي احسن بالطريقة التي هي احسن طرق المجادلة من الرفق واللين وايثار الوجه
الايسر والمقدمات التي هي اشهر فان ذلك انفع في تسكين لهبهم وتبيين شغبهم ان ربك هو اعلم بمن ضل
عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين اي انما عليك البلاغ والدعوة واما حصول الهداية والضلال
والمجازاة عليهما فلا اليك بل الله اعلم بالضالين والمهتدين وهو المجازي لهم وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما
عوقبتم به لما امره بالدعوة وبين طرقها اشار اليه والى من شايعه بالمجازاة بمراعاة العدل مع من يناصبهم
فانه روي ان المشركين لما قتلوا المسلمين يوم احد ومثلوا بهم فقال والله لئن اظفرني الله بهم لامثلن بسبعين مكانك فنزلت فكفر عن يمينه وفيه دليل على ان للمقتص ان يماثل
الجاني وليس له ان يجاوز وحث على العفو تعريضا بقوله ولئن صبرتم وتصريحا على الوجه الاكد بقوله ولئن صبرتم
لهو اي الصبر خير للصابرين من الانتقام للمنتقمين ثم صرح بالامر به لرسوله لانه اولى الناس به لزيادة علمه بالله
ووثوقه عليه فقال واصبر وما صبرك الا بالله الا بتوفيقه وتثبيته ولا تحزن عليهم على الكافرين
او على المؤمنين وما فعل بهم ولا تك في ضيق مما يمكرون في ضيق صدر من مكرهم وقرأ ابن كثير في ضيق بالكسر هنا وفي
النمل وهما لغتان كالقول والقيل ويجوز ان يكون الضيق تخفيف ضيق ان الله مع الذين اتقوا المعاصي والذين
هم محسنون في اعمالهم بالولاية والفضل او مع الذين اتقوا الله بتعظيم امره والذين هم محسنون بالشفقة على خلقه عن
النبي من قرأ سورة النحل لم يحاسبه الله بما انعم عليه في دار الدنيا وان مات في يوم تلاها او ليلة كان له من الاجر كالذي مات واحسن الوصية

سورة بني اسرائيل مكية وهي مائة وعشر آيات وقيل الا قوله وان كادوا ليفتنونك الى آخر ثمان آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

سبحان الذي اسرى بعبده ليلا سبحان اسم بمعنى التسبيح الذي هو التنزيه وقد يستعمل علما للتسبيح
فيقطع عن الاضافة ويمنع الصرف قال قد قلت لما جاءني فخره سبحان من علقمة الفاخر وانتصابه بفعل متروك اظهاره
وتصدير الكلام به للتنزيه عن العجز عما ذكر بعد واسرى وسرى بمعنى وليلا نصب على الظرف وفائدته الدلالة
بتنكيره على تقليل مدة الاسراء ولذلك قرئ من الليل اي بعضه كقوله ومن الليل فتهجد به من المسجد
الحرام بعينه لما روي انه عليه السلام قال بينا انا في المسجد الحرام في الحجر عند البيت بين النائم واليقظان اذ اتاني
جبريل بالبراق او من الحرم وسماه المسجد الحرام لان كله مسجد او لانه محيط به ليطابق المبدأ المنتهى لما روي انه
كان نائما في بيت ام هانئ بعد صلاة العشاء فاسري به ورجع من ليلته وقص القصة عليها وقال مثل لي النبيون فصليت
بهم ثم خرج الى المسجد واخبر به قريشا فتعجبوا منه استحالة وارتد ناس ممن آمن به وسعى رجال الى ابي بكر فقال ان
كان قال فقد صدق قالوا اتصدقه على ذلك قال اني لاصدقه على ابعد من ذلك فسمي الصديق واستنعته
طائفة سافروا الى بيت المقدس فجلي له فطفق ينظر اليه وينعته لهم فقالوا اما النعت فقد اصاب فقالوا اخبرنا
عن عيرنا فاخبرهم بعدد جمالها واحوالها وقال تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس يقدمها جمل اورق فخرجوا يشتدون
الى الثنية فصادفوا العير كما اخبر ثم لم يؤمنوا وقالوا ما هذا الا سحر مبين وكان ذلك قبل الهجرة بسنة واختلف
في انه كان في المنام او في اليقظة بروحه او جسده والاكثر على انه اسري بجسده الى بيت المقدس ثم عرج به الى السموات
حتى انتهى الى سدرة المنتهى ولذلك تعجب قريش واستحالوه والاستحالة مدفوعة بما ثبت في الهندسة ان ما بين
طرفي قرص الشمس ضعف ما بين طرفي كرة الارض مائة ونيفا وستين مرة ثم ان طرفها الاسفل يصل موضع طرفها الاعلى
في اقل من ثانية وقد برهن في الكلام ان الاجسام متساوية في قبول الاعراض وان الله قادر على كل الممكنات
فيقدر ان يخلق مثل هذه الحركة السريعة في بدن النبي او فيما يحمله والتعجب من لوازم المعجزات الى المسجد
الاقصى بيت المقدس لانه لم يكن حينئذ وراءه مسجد الذي باركنا حوله ببركات
الدين والدنيا لانه مهبط الوحي ومتعبد الانبياء من لدن موسى ومحفوف بالانهار والاشجار لنريه
من آياتنا كذهابه في برهة من الليل مسيرة شهر ومشاهدته بيت المقدس وتمثل الانبياء له ووقوفه
على مقاماتهم وصرف الكلام من الغيبة الى التكلم لتعظيم تلك البركات والآيات وقرئ ليريه بالياء انه
هو السميع لاقوال محمد البصير بافعاله فيكرمه ويقربه على حسب ذلك وآتينا موسى
الكتاب وجعلناه هدى لبني اسرائيل ان لا تتخذوا

كما كتبت الياء بالفعل وقرأ ابو عمرو بالياء على ان لا يتخذوا من دوني وكيلا ربا تكلون اليه اموركم غيري
ذرية من حملنا مع نوح نصب على الاختصاص او النداء فيمن قرأ ان لا تتخذوا بالتاء على النهي يعني قلنا لهم لا تتخذوا او على انه احد
مفعولي لا تتخذوا ومن دوني حال من وكيلا فيكون كقوله ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا وقرئ بالرفع على انه
خبر محذوف او بدل من واو يتخذوا وذرية بكسر الذال وفيه تذكير بانعام الله عليهم في انجاء آبائهم من الغرق بحملهم
مع نوح في السفينة انه ان نوحا عليه السلام كان عبدا شكورا يحمد الله تعالى على مجامع حالاته وفيه ايماء بان انجاءه و
من معه كان ببركة شكره وحث للذرية على الاقتداء به وقيل الضمير لموسى وقضينا الى بني اسرائيل واوحينا
اليهم وحيا مقضيا مبتوتا في الكتاب في التوراة لتفسدن في الارض جواب قسم محذوف او
قضينا على اجراء القضاء المبتوت مجرى القسم مرتين افسادتين اولاهما مخالفة احكام التوراة وقتل شعيا
وثانيهما قتل زكريا ويحيى وقصد قتل عيسى عليه السلام وقيل ارميا ولتعلن علوا كبيرا ولتستكبرن عن طاعة
الله او لتظلمن الناس فاذا جاء وعد اولاهما وعد عقاب اولاهما بعثنا عليكم
عبادا لنا بختنصر عامل لهراسف على بابل وجنوده وقيل جالوت الجزري وقيل سنجاريب من اهل
نينوى اولي بأس شديد ذوي قوة وبطش في الحرب شديد فجاسوا فترددوا لطلبكم وقرئ بالحاء
وهما اخوان خلال الديار وسطها للقتل والغارة فقتلوا كبارهم وسبوا صغارهم وحرقوا التوراة وخربوا المسجد
والمعتزلة لما منعوا تسليط الله الكافر على ذلك اولوا البعث بالتخلية وعدم المنع وكان وعدا مفعولا
وكان وعد عقابهم لا بد ان يفعل ثم رددنا لكم الكرة اي الدولة والغلبة عليهم على الذين بعثوا عليكم
وذلك بان القى الله في قلب بهمن بن اسفنديار لما ورث الملك من جده كشتاسف بن لهراسف شفقة عليهم
فرد اسراهم الى الشام وملك دانيال عليهم فاستولوا على من كان فيها من اتباع بختنصر او بان سلط
داود على جالوت فقتله وامددناكم باموال وبنين وجعلناكم اكثر نفيرا
مما كنتم والنفير من ينفر مع الرجل من قومه وقيل جمع نفر وهم المجتمعون للذهاب الى العدو ان احسنتم
احسنتم لانفسكم لان ثوابه لها وان اسأتم فلها فان وبالها عليها وانما ذكرها
باللام ازدواجا فاذا جاء وعد الآخرة وعد عقوبة المرة الآخرة ليسوءوا وجوهكم
اي بعثناهم ليسوءوا وجوهكم ليجعلوها بادية آثار المساءة فيها فحذف لدلالة ذكره اولا عليه وقرأ ابن عامر وحمزة و
ابو بكر ليسوء على التوحيد والضمير فيه للوعد او البعث او لله ويعضده قراءة الكسائي بالنون وقرئ لنسوءن بالنون
والياء والنون الخفيفة والثقيلة وليسوءن بفتح اللام على الاوجه الاربعة على انه جواب اذا واللام في قوله وليدخلوا
المسجد متعلق بمحذوف هو بعثناهم كما دخلوه اول مرة وليتبروا ليهلكوا ما علوا

بابل
ما علوا مدة علوهم تتبيرا وذلك بان سلط الله عليهم الفرس مرة اخرى فغزاهم ملك
من ملوك الطوائف اسمه جودرز وقيل خردوس وقيل دخل صاحب الجيش مذبح قرابينهم فوجد فيه دما يغلي
فسالهم عنه فقالوا دم قربان لم يتقبل منا فقال ما صدقوني فقتل عليه الوفا منهم فلم يهدا الدم ثم قال ان لم تصدقوني
ما تركت منكم احدا فقالوا انه دم يحيى فقال لمثل هذا ينتقم ربكم منكم ثم قال يا يحيى قد علم ربي وربك ما اصاب
قومك من اجلك فاهدا باذن الله قبل ان لا ابقي احدا منهم فهدا عسى ربكم ان يرحمكم بعد المرة
الاخرى وان عدتم اوبة اخرى عدنا مرة ثالثة الى عقوبتكم وقد عادوا بتكذيب محمد صلى الله عليه وسلم
وقصد قتله فعاد الله بتسليطه عليهم فقتل قريظة واجلى بني النضير وضرب الجزية على الباقين هذا لهم في
الدنيا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا محبسا لا يقدرون الخروج منها ابد الاباد
وقيل بساطا كما يبسط الحصير ان هذا القران يهدي للتي هي اقوم للحالة او الطريقة
التي هي اقوم الحالات او الطرق ويبشر المومنين الذين يعملون الصالحات
ان لهم اجرا كبيرا وقرا حمزة والكسائي ويبشر بالتخفيف وان الذين لا يومنون
بالاخرة اعتدنا لهم عذابا اليما عطف على ان لهم اجرا كبيرا والمعنى انه يبشر المومنين
ببشارتين ثوابهم وعقاب اعدائهم او على يبشر باضمار يخبر ويدع الانسان بالشر
ويدعو الله عند غضبه بالشر على نفسه واهله وماله او يدعوه بما يحسبه خيرا وهو شر دعاءه بالخير
وكان الانسان عجولا يسارع الى كل ما يخطر بباله لا ينظر عاقبته وقيل المراد ادم فانه لما انتهى
الروح الى سرته ذهب لينهض فسقط روي انه عليه السلام دفع اسيرا الى سودة بنت زمعة فرحمته لانينه فارخت
كتافه فهرب فدعا عليها بقطع اليد ثم ندم فقال اللهم انما انا بشر فمن دعوت عليه فاجعل دعائي رحمة
له فنزلت ويجوز ان يريد بالانسان الكافر وبالدعاء استعجاله بالعذاب استهزاء كقول النضر بن الحارث اللهم
ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء فاجيب له فضرب عنقه
يوم بدر صبرا وجعلنا الليل والنهار ايتين تدلان على القادر الحكيم بتعاقبهما على نسق واحد
بامكان غيره فمحونا اية الليل اي الاية التي هي الليل بالاشراق والاضافة فيهما للتبيين كاضافة
العدد الى المعدود وجعلنا اية النهار مبصرة مضيئة او مبصرة للناس من ابصره فبصر او
مبصرا اهله كقولهم اجبن الرجل اذا كان اهله جبناء وقيل الايتان القمر والشمس وتقدير الكلام وجعلنا نيري
الليل والنهار ايتين او جعلنا الليل والنهار ذوي ايتين ومحو اية الليل التي هي القمر جعلها مظلمة في نفسها
مطموسة النور او نقص نورها شيئا فشيئا الى المحاق وجعل اية النهار التي هي الشمس مبصرة جعلها ذات

شعاع يبصر الاشياء بضوئها لتبتغوا فضلا من ربكم لتطلبوا في بياض النهار اسباب معاشكم
وتتوصلوا به الى استبانة اعمالكم ولتعلموا باختلافهما او بحركاتهما عدد السنين والحساب
وجنس الحساب وكل شيء تفتقرون اليه في امر الدين والدنيا فصلناه تفصيلا بيناه بيانا
غير ملتبس وكل انسان الزمناه طائره عمله وما قدر له كانه طير اليه من عش الغيب ووكر القدر لما
كانوا يتيمنون ويتشاءمون بسنوح الطائر وبروحه استعير لما هو سبب الخير والشر من قدر الله وعمل العبد في عنقه
لزوم الطوق في عنقه ونخرج له يوم القيمة كتابا هي صحيفة عمله او نفسه المنتقشة بآثار
اعماله فان الافعال الاختيارية تحدث في النفس احوالا ولذلك يفيد تكريرها لها ملكات ونصبه بانه مفعول به او حال
من مفعول محذوف وهو ضمير الطائر ويعضده قراءة يعقوب ويخرج من خرج وقرئ ويخرج اي الله عز وجل يلقيه
منشورا لكشف الغطاء وهما صفتان للكتاب او يلقيه صفة ومنشورا حال من مفعوله وقرا ابن عامر يلقاه مبنيا
للمفعول من لقيته كذا اقرا كتابك على ارادة القول كفى بنفسك اليوم
عليك حسيبا اي كفى نفسك اليوم والباء مزيدة وحسيبا تمييز وعلى صلته لانه اما بمعنى الحاسب
كالصريم بمعنى الصارم وضريب القداح بمعنى ضاربها من حسب عليه كذا او بمعنى الكافي فوضع موضع الشهيد لانه يكفي المدعي
ما اهمه وتذكيره على ان الحساب والشهادة مما يتولاه الرجال او على تاويل النفس بالشخص من اهتدى
فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها لا ينجي اهتداؤه غيره ولا يردي
ضلاله سواه ولا تزر وازرة وزر اخرى ولا تحمل نفس حاملة وزرا وزر نفس اخرى بل انما تحمل وزرها
وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا يبين الحجج ويمهد الشرائع فيلزمهم الحجة وفيه دليل على ان لا
وجوب قبل الشرع واذا اردنا ان نهلك قرية واذا تعلقت ارادتنا باهلاك قوم
لانفاذ قضائنا السابق او دنا وقته المقدر كقولهم اذا اراد المريض ان يموت ازداد مرضه شدة امرنا مترفيها
متنعميها بالطاعة على لسان رسول بعثناه اليهم ويدل على ذلك ما قبله وما بعده فان الفسق هو الخروج عن الطاعة والتمرد في العصيان
فيدل على الطاعة بطريق المقابلة وقيل امرناهم بالفسق لقوله ففسقوا فيها كقولك امرته فقرا فانه
لا يفهم منه الا الامر بالقراءة على ان الامر مجاز من الحمل عليه او التسبب له بان صب عليهم من النعم ما ابطرهم وافضى بهم
الى الفسوق ويحتمل ان لا يكون له مفعول منوي كقولهم امرته فعصاني وقيل معناه كثرنا يقال امرت الشيء وامرته فامر اذا
كثرته وفي الحديث خير المال سكة مابورة ومهرة مامورة اي كثيرة النتاج وهو ايضا مجاز من الطلب ويؤيده قراءة يعقوب
آمرنا ورواية امرنا عن ابي عمرو ويحتمل ان يكون منقولا من امر بالضم امارة اي جعلناهم امراء وتخصيص المترفين لان غيرهم
يتبعهم ولانهم اسرع الى الحماقة واقدر على الفجور فحق عليها القول يعني كلمة العذاب السابق بحلوله او

بظهور معاصيهم او بانهماكهم في المعاصي فدمرناها تدميرا اهلكناها باهلاك اهلها وتخريب ديارها وكم اهلكنا وكثيرا اهلكنا من القرون بيان لكم وتمييز له من بعد نوح كعاد وثمود وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا يدرك بواطنها وظواهرها فيعاقب عليها وتقديم الخبير لتقدم متعلقه من كان يريد العاجلة مقصورا عليها همه عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد قيد المعجل والمعجل له بالمشيئة والارادة لانه لا يجد كل متمن ما يتمناه ولا كل واحد جميع ما يهواه وليعلم ان الامر بالمشيئة والهم تفضل ولمن نريد بدل من له بدل البعض وقرئ ما يشاء والضمير فيه لله حتى يطابق المشهورة وقيل لمن فيكون مخصوصا بمن اراد الله به ذلك وقيل الاية في المنافقين كانوا يراؤن المسلمين ويغزون معهم ولم يكن غرضهم الا مساهمتهم في الغنايم ونحوها ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا مطرودا من رحمة الله ومن اراد الاخرة وسعى لها سعيها حقها من السعي وهو الاتيان بما امر به والانتهاء عما نهي عنه لا التقرب بما يخترعون بارائهم وفائدة اللام اعتبار النية والاخلاص وهو مؤمن ايمانا صحيحا لا شرك معه ولا تكذيب فانه العمدة فاولئك الجامعون للشرائط الثلثة كان سعيهم مشكورا من الله اي مقبولا عنده مثابا عليه فان شكر الله الثواب على الطاعة كلا اي كل واحد من الفريقين والتنوين بدل من المضاف اليه نمد بالعطاء مرة بعد اخرى ونجعل آنفه مددا لسالفه هؤلاء وهؤلاء بدل من كلا من عطاء ربك من معطاه متعلق بنمد وما كان عطاء ربك محظورا ممنوعا لا يمنعه في الدنيا من مؤمن ولا كافر تفضلا انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض في الرزق وانتصاب كيف بفضلنا على الحال وللاخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا اي التفاوت في الاخرة اكبر لان التفاوت فيها بالجنة ودرجاتها والنار ودركاتها لا تجعل مع الله الها اخر الخطاب للرسول والمراد به امته او لكل احد فتقعد فتصير من قولهم شحذ الشفرة حتى قعدت كانها حربة او فتعجز من قولهم قعد عن الشيء اذا عجز عنه مذموما مخذولا جامعا على نفسك الذم من الملائكة والمؤمنين والخذلان من الله ومفهومه ان الموحد يكون ممدوحا منصورا وقضى ربك وامر امرا مقطوعا به ان لا تعبدوا بان لا تعبدوا الا اياه لان غاية التعظيم لا تحق الا لمن له غاية العظمة ونهاية الانعام وهو كالتفصيل لسعي الاخرة ويجوز ان تكون ان مفسرة ولا ناهية وبالوالدين احسانا وبان تحسنوا او واحسنوا بالوالدين احسانا لانهما السبب الظاهر للوجود والتعيش ولا يجوز ان تتعلق الباء بالاحسان لان صلته لا تتقدم عليه اما يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما ان الشرطية زيدت عليها ما تاكيدا ولذلك

صح لحوق النون المؤكدة للفعل واحدهما فاعل يبلغن ويدل عليه قراءة حمزة والكسائي من الف يبلغان الراجع الى الوالدين وكلاهما عطف على احدهما فاعلا او بدلا ولذلك لم يجز ان يكون تاكيدا للالف ومعنى عندك ان يكونا في كنفه وكفالته فلا تقل لهما اف فلا تتضجر مما يستقذر منهما وتستثقل من مؤنتهما وهو صوت يدل على تضجر وقيل اسم الفعل الذي هو اتضجر وهو مبني على الكسر لالتقاء الساكنين وتنوينه في قراءة نافع وحفص للتنكير وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب بالفتح على التخفيف وقرئ به منونا وبالضم للاتباع كمنذ منونا وغير منون والنهي عن ذلك يدل على المنع من ساير انواع الايذاء قياسا بطريق الاولى وقيل عرفا كقولك فلان لا يملك النقير والقطمير ولذلك منع رسول الله صلى الله عليه وسلم حذيفة من قتل ابيه وهو في صف المشركين نهى عما يؤذيهما بعد الامر بالاحسان بهما ولا تنهرهما ولا تزجرهما عما لا يعجبك باغلاظ وقيل النهي والنهر والنهم اخوات وقل لهما بدل التافيف والنهر قولا كريما جميلا لا شراسة فيه واخفض لهما جناح الذل تذلل لهما وتواضع فيهما جعل للذل جناحا كما جعل لبيد في قوله وغداة ريح قد كشفت وقرة اذ اصبحت بيد الشمال زمامها للشمال يدا وللقرة زماما وامره بخفضها مبالغة او اراد جناحه كقوله واخفض جناحك للمؤمنين واضافته الى الذل للبيان والمبالغة كما اضيف حاتم الى الجود والمعنى واخفض لهما جناحك الذليل وقرئ الذل بالكسر وهو الانقياد والنعت منه ذلول من الرحمة من فرط رحمتك عليهما لافتقارهما الى من كان افقر خلق الله اليهما وقل رب ارحمهما وادع الله ان يرحمهما برحمته الباقية ولا تكتف برحمتك الفانية وان كانا كافرين لان من الرحمة ان يهديهما كما ربياني صغيرا رحمة مثل رحمتهما علي وتربيتهما وارشادهما لي في صغري وفاء بوعدك للراحمين روي ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابوي بلغا من الكبر اني الي منهما ما وليا مني في الصغر فهل قضيتهما فقال لا فانهما كانا يفعلان ذلك وهما يحبان بقاءك وانت تفعل ذلك وانت تريد موتهما ربكم اعلم بما في نفوسكم من قصد البر اليهما واعتقاد ما يجب لهما من التوقير وكانه تهديد على ان يضمر لهما كراهة واستثقالا ان تكونوا صالحين قاصدين الصلاح فانه كان للاوابين للتوابين غفورا ما فرط منهم عند حرج الصدر من اذية او تقصير وفيه تشديد عظيم ويجوز ان يكون عاما لكل تائب ويندرج فيه الجاني على ابويه التائب من جنايته لوروده على اثره وات ذا القربى حقه من صلة الرحم وحسن المعاشرة والبر عليهم وقال ابو حنيفة حقهم اذا كانوا محارم فقراء ان ينفق عليهم وقيل المراد بذي القربى اقارب الرسول والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا بصرف المال فيما لا ينبغي وانفاقه على وجه الاسراف واصل التبذير التفريق وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لسعد وهو يتوضأ ما هذا السرف فقال افي الوضوء سرف قال نعم وان كنت

يا لوسي سعيد لطعام ادركى

تبذيرا ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين امثالهم في الشرارة فان التضييع والاتلاف شر او اصدقاؤهم واتباعهم لانهم يطيعونهم في الاسراف والصرف في المعاصي روي انهم كانوا ينحرون الابل ويتياسرون عليها ويبذرون اموالهم في السمعة فنهاهم الله عن ذلك وامرهم بالانفاق في القربات وكان الشيطان لربه كفورا مبالغة في الكفر فما ينبغي ان يطاع واما تعرضن عنهم وان اعرضت عن ذي القربى والمسكين وابن السبيل حياء من الرد ويجوز ان يراد بالاعراض عنهم ان لا ينفعهم على سبيل الكناية ابتغاء رحمة من ربك ترجوها لانتظار رزق من الله ترجوه ان ياتيك فتعطيه او منتظرين له وقيل معناه لفقد رزق من ربك ترجوه ان يفتح لك فوضع الابتغاء موضعه لانه مسبب عنه ويجوز ان يتعلق بالجواب الذي هو قوله فقل لهم قولا ميسورا اي فقل لهم قولا لينا ابتغاء رحمة الله برحمتك عليهم باجمال القول لهم والميسور من يسر الامر مثل سعد الرجل ونحس وقيل القول الميسور الدعاء لهم بالميسور وهو اليسر مثل اغناكم الله ورزقنا الله واياكم ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط تمثيل لمنع الشحيح واسراف المبذر نهي عنهما امرا بالاقتصاد بينهما الذي هو الكرم فتقعد ملوما فتصير ملوما عند الله وعند الناس بالاسراف وسوء التبذير محسورا نادما او منقطعا بك لا شيء عندك من حسر السفر اذا بلغ منه وعن جابر بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس اتاه صبي فقال ان امي تستكسيك درعا فقال من ساعة الى ساعة فعد الينا فذهب الى امه فقالت قل له ان امي تستكسيك الدرع الذي عليك فدخل داره ونزع قميصه واعطاه وقعد عريانا فاذن بلال وانتظروا للصلوة فلم يخرج فانزل الله ذلك ثم سلاه بقوله ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر يوسعه ويضيقه بمشيئته التابعة للحكمة فليس ما يرهقك من الاضافة الا لمصلحتك انه كان بعباده خبيرا بصيرا يعلم سرهم وعلنهم فيعلم من مصالحهم ما يخفى عليهم ويجوز ان يريد ان البسط والقبض من امر الله العالم بالسرائر والظواهر فاما العباد فعليهم ان يقتصدوا او انه تعالى يبسط تارة ويقبض اخرى فاستنوا بسنته ولا تقبضوا كل القبض ولا تبسطوا كل البسط وان يكون تمهيدا لقوله ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق مخافة الفاقة وقتلهم اولادهم وادهم بناتهم مخافة الفقر فنهاهم عنه وضمن لهم ارزاقهم فقال نحن نرزقهم واياكم ان قتلهم كان خطأ كبيرا ذنبا كبيرا لما فيه من قطع التناسل وانقطاع النوع والخطأ الاثم يقال خطئ خطأ كاثم اثما وقرأ ابن عامر خطأ وهو اسم من اخطأ يضاد الصواب وقيل لغة فيه كمثل ومثل وحذر وحذر وقرأ ابن كثير خطاء بالمد والكسر وهو اما لغة او مصدر خاطأ وهو وان لم يسمع لكنه جاء تخاطأ في قوله تخاطأه القناص حتى وجدته

وخرطومه في منتمى الماء مسجور وهو منسوب عليه وقرئ خطا بالفتح والمد وخطا بحذف الهمزة مفتوحا ومكسورا ولا تقربوا الزنا بالعزم والاتيان بالمقدمات فضلا عن ان تباشروه انه كان فاحشة فعلة ظاهرة القبح زائدة وساء سبيلا وبئس طريقا طريقه وهو الغصب على الابضاع المودي الى قطع الانساب وهيج الفتن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق الا باحدى ثلث كفر بعد ايمان وزنا بعد احصان وقتل مؤمن معصوم عمدا ومن قتل مظلوما غير مستوجب القتل فقد جعلنا لوليه للذي يلي امره بعد وفاته وهو الوارث سلطانا تسلطا بالمواخذة بمقتضى القتل على من قتله او بالقصاص على القاتل فان قوله مظلوما يدل على ان القتل عمد عدوان فان الخطأ لا يسمى ظلما فلا يسرف اي القاتل في القتل بان يقتل من لا يحق قتله فان العاقل لا يفعل ما يعود عليه بالهلاك او الولي بالمثلة وقتل غير القاتل ويؤيد الاول قراءة ابي فلا تسرفوا وقرأ حمزة والكسائي فلا تسرف على خطاب احدهما انه كان منصورا علة النهي على الاستيناف والضمير للمقتول فانه منصور في الدنيا بثبوت القصاص بقتله وفي الاخرة بالثواب وللولي فان الله تعالى نصره حيث اوجب القصاص له وامر الولاة بمعونته او للذي يقتله الولي اسرافا بايجاب القصاص او التعزير والوزر على المسرف ولا تقربوا مال اليتيم فضلا ان تتصرفوا فيه الا بالتي هي احسن الا بالطريقة التي هي احسن من حفظه وتثميره حتى يبلغ اشده غاية لجواز التصرف الذي دل عليه الاستثناء واوفوا بالعهد بما عاهدكم الله من تكاليفه او ما عاهدتموه وغيره ان العهد كان مسئولا مطلوبا يطلب من العاهد ان لا يضيعه ويفي به او مسئولا عنه فيسال الناكث ويعاتب عليه او يسال العهد لم نكثت تبكيتا للناكث كما يقال للموؤدة باي ذنب قتلت فيكون تخييلا ويجوز ان يراد ان صاحب العهد كان مسئولا واوفوا الكيل اذا كلتم ولا تبخسوا فيه وزنوا بالقسطاس المستقيم بالميزان السوي وهو رومي عرب ولا يقدح ذلك في عربية القران لان العجمي اذا استعملته العرب واجرته مجرى كلامهم في الاعراب والتعريف والتنكير ونحوها صار عربيا وقرأ حمزة والكسائي وحفص بكسر القاف ذلك خير واحسن تاويلا واحسن عاقبة تفعيل من آل اذا رجع ولا تقف ولا تتبع من قاف اثره اذا قفاه ومنه القافية ما ليس لك به علم ما لم يتعلق به علمك تقليدا او رجما بالغيب واحتج به من منع اتباع الظن وجوابه ان المراد بالعلم هو الاعتقاد الراجح المستفاد من سند سواء كان قطعا او ظنا واستعماله بهذا المعنى شايع وقيل انه مخصوص بالعقايد وقيل بالرمي وشهادة الزور ويؤيده قوله عليه السلام من قفا مؤمنا بما ليس فيه حبسه الله في ردغة الخبال حتى ياتي بالمخرج وقول الكميت ولا ارمي البريء بغير ذنب ولا اقفو الحواصن ان

ولا تقف وقرئ ولا تقف بهم

قفينا أن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك أي كل هذه الأعضاء فأجريت مجرى العقلاء
لما كانت مسؤولة عن أحوالها شاهدة على صاحبها هذا وإن أولاء وإن غلب في العقلاء لكنه من حيث أنه اسم جمع لذا
وهو يعم القبيلين جاء لغيرهم كقوله والعيش بعد أولئك الأيام كان عنه مسؤولا في ثلاثتها ضمير كل
أي كان كل واحد منها مسؤولا عن نفسه يعني عما فعل به صاحبه ويجوز أن يكون الضمير في عنه لمصدر لا تقف ولصاحب
السمع والبصر وقيل مسؤولا مسند إلى عنه كقوله غير المغضوب عليهم والمعنى يسأل صاحبه عنه وهو خطأ لأن الفاعل وما
يقوم مقامه لا يتقدم وفيه دليل على أن العبد مؤاخذ بعزمه على المعصية وقرئ والفواد بقلب الهمزة واوا بعد الضمة
ثم إبدالها فتحا ولا تمش في الأرض مرحا أي ذا مرح وهو الاختيال وقرئ مرحا وهو باعتبار الحكم
أبلغ وإن كان المصدر آكد من صريح النعت إنك لن تخرق الأرض لن تجعل فيها خرقا
بشدة وطأتك ولن تبلغ الجبال طولا بتطاولك وهو تهكم بالمختال وتعليل للنهي
بأن الاختيال حماقة مجردة لا تعود بجدوى ليس في التذلل كل ذلك إشارة إلى الخصال الخمس و
العشرين المذكورة من قوله لا تجعل مع الله إلها آخر وعن ابن عباس رضي الله عنه أنها المكتوب في ألواح موسى عليه السلام كان
سيئه يعني المنهي عنه فإن المذكورات مأمورات ومناهي وقرأ الحجازيان والبصريان سيئة على أنها خبر
كان والاسم ضمير كل وذلك إشارة إلى ما نهي عنه خاصة وعلى هذا قوله عند ربك مكروها
بدل من سيئة أو صفة لها محمولة على المعنى فإنه بمعنى سيئا وقد قرئ به ويجوز أن ينتصب مكروها على الحال
من المستكن في كان أو في الظرف على أنه صفة سيئة والمراد به المبغوض المقابل للمرضي لا ما يقابل المراد لقيام
القاطع على أن الحوادث واقعة بإرادته تعالى ذلك إشارة إلى الأحكام المتقدمة مما أوحى إليك
ربك من الحكمة التي هي معرفة الحق لذاته والخير للعمل به ولا تجعل مع الله
إلها آخر كرره للتنبيه على أن التوحيد مبدأ الأمر ومنتهاه فإن من لا قصد له بطل عمله ومن قصد بفعله أو
تركه غيره ضاع سعيه وأنه رأس الحكمة وملاكها ورتب عليه أولا ما هو عائدة الشرك في الدنيا وثانيا ما هو
نتيجته في العقبى فقال فتلقى في جهنم ملوما تلوم نفسك مدحورا مبعدا
من رحمة الله أفأصفاكم ربكم بالبنين خطاب لمن قالوا الملائكة بنات الله والهمزة
للإنكار والمعنى أفخصكم ربكم بأفضل الأولاد وهم البنون واتخذ من الملائكة إناثا بنات لنفسه
هذا خلاف ما عليه عقولكم وعادتكم إنكم لتقولون قولا عظيما بإضافة الأولاد إليه وهي
خاصة بعض الأجسام لسرعة زوالها ثم بتفضيل أنفسكم عليه حيث تجعلون له ما تكرهون ثم بجعل الملائكة الذين هم
من أشرف خلق الله أدونهم ولقد صرفنا كررنا هذا المعنى بوجوه من التقرير في هذا القرآن

في مواضع منه ويجوز أن يراد بهذا القرآن إبطال إضافتهم البنات إليه على تقدير ولقد صرفنا القول في هذا المعنى أو أوقعنا التصريف
فيه وقرئ صرفنا بالتخفيف ليذكروا ليتذكروا وقرأ حمزة والكسائي ليذكروا من الذكر الذي
هو بمعنى التذكر وما يزيدهم إلا نفورا عن الحق وقلة طمأنينة إليه قل لو كان معه
آلهة كما تقولون أيها المشركون وقرأ ابن كثير وحفص بالياء فيه وفيما بعده على أن الكلام مع الرسول
ووافقهما نافع وابن عامر وأبو عمرو وأبو بكر ويعقوب في الثانية على أن الأولى مما أمر الرسول صلى الله عليه وسلم أن يخاطب به المشركين
والثانية مما نزه به نفسه عن مقالتهم إذا لابتغوا إلى ذي العرش سبيلا جواب عن قولهم وجزاء
للو والمعنى لطلبوا إلى من هو مالك الملك سبيلا بالمغالبة كما يفعل الملوك بعضهم مع بعض أو بالتقرب إليه والطاعة لعلمهم
بقدرته وعجزهم كقوله أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة سبحانه ينزه تنزيها وتعالى
عما يقولون علوا كبيرا تعاليا متباعدا غاية البعد عما يقولون فإنه في أعلى مراتب الوجود وهو
كونه واجب الوجود والبقاء لذاته واتخاذ الولد من أدنى مراتبه فإنه من خواص ما يمتنع بقاؤه تسبح له
السموات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيء إلا يسبح
بحمده ينزهه عما هو من لوازم الإمكان وتوابع الحدوث بلسان الحال حيث تدل بإمكانها
وحدوثها على الصانع القديم الواجب لذاته ولكن لا تفقهون تسبيحهم أيها المشركون
لإخلالكم بالنظر الصحيح الذي به يفهم تسبيحهم ويجوز أن يحمل التسبيح على المشترك بين اللفظ والدلالة لإسناده إلى
ما يتصور منه اللفظ وإلى ما لا يتصور منه وعليهما عند من جوز إطلاق اللفظ على معنييه وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر
وأبو بكر يسبح بالياء إنه كان حليما حين لم يعاجلكم بالعقوبة على غفلتكم وشرككم غفورا لمن تاب
منكم وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون
بالآخرة حجابا يحجبهم عن فهم ما تقرأ عليهم مستورا ذا ستر كقوله وعده مأتيا وقولهم
سيل مفعم أو مستورا عن الحس أو بحجاب آخر لا يفهمونه ولا يفهمون أنهم لا يفهمون نفى عنهم أن يفهموا ما أنزل عليهم
من الآيات بعد ما نفى عنهم التفقه للدلائل المنصوبة في الأنفس والآفاق تقريرا له وبيانا لكونهم مطبوعين على
الضلالة كما صرح به بقوله وجعلنا على قلوبهم أكنة تكنها وتحول دونها عن إدراك الحق
وقبوله أن يفقهوه كراهة أن يفقهوه ويجوز أن يكون مفعولا لما دل عليه قوله وجعلنا على قلوبهم أكنة أي
منعناهم أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا يمنعهم عن استماعه سماع متأمل في لفظه متدبر في معناه ولما
كان القرآن معجزا من حيث اللفظ والمعنى أثبت لمنكريه ما يمنع عن فهم المعنى وإدراك اللفظ وإذا
ذكرت ربك في القرآن وحده واحدا غير مشفوع به آلهتهم مصدر وقع موقع الحال

ذا مصدر ... وحده او بمعنى وحدا وحده ولوا على ادبارهم نفورا هربا من استماع التوحيد
ونفرة او تولية ويجوز ان يكون جمع نافر كقاعد وقعود نحن اعلم بما يستمعون به بسببه
ولاجله من الهزء بك وبالقرآن اذ يستمعون اليك ظرف لاعلم وكذا واذ هم نجوى
اي نحن اعلم بغرضهم من الاستماع حين هم مستمعون اليك مضمرون له وحين هم ذوو نجوى يتناجون به ونجوى
مصدر ويحتمل ان يكون جمع نجي اذ يقول الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا
مقدر باذكر او بدل من اذ هم نجوى على وضع الظالمين موضع الضمير للدلالة على ان تناجيهم بقولهم هذا من باب
الظلم والمسحور الذي سحر به فزال عقله وقيل الذي له سحر وهو الرئة اي الا رجلا يتنفس ويأكل ويشرب مثلكم
انظر كيف ضربوا لك الامثال مثلوك بالشاعر والساحر والكاهن والمجنون
فضلوا عن الحق في جميع ذلك فلا يستطيعون سبيلا الى طعن موجه فيتهافتون
ويخبطون كالمتحير في امره لا يدري ما يصنع او الى الرشاد وقالوا أإذا كنا عظاما و
رفاتا حطاما أإنا لمبعوثون خلقا جديدا على الانكار والاستبعاد لما بين غضاضة
الحي ويبوسة الرميم من المباعدة والمنافاة والعامل في اذا ما دل عليه مبعوثون لا نفسه لان ما بعد ان لا يعمل فيما
قبلها وخلقا مصدر او حال قل جوابا لهم كونوا حجارة او حديدا او خلقا
مما يكبر في صدوركم اي مما يكبر عندكم عن قبول الحياة لكونه ابعد شيء منها فان قدرته
تعالى لا تقصر عن احيائكم لاشتراك الاجسام في قبول الاعراض فكيف اذا كنتم عظاما مرفوتة وقد كانت
غضة موصوفة بالحياة قبل والشيء اقبل لما عهد فيه مما لم يعهد فسيقولون من يعيدنا
قل الذي فطركم اول مرة وكنتم ترابا وما هو ابعد منه من الحياة فسينغضون
اليك رؤسهم فسيحركونها نحوك تعجبا واستهزاء ويقولون متى هو قل عسى
ان يكون قريبا فان كل ما هو آت قريب وانتصابه على الخبر او الظرف اي يكون في زمان قريب
وان يكون اسم عسى او خبره والاسم مضمر يوم يدعوكم فتستجيبون اي يوم يبعثكم
فتنبعثون استعار لهما الدعاء والاجابة للتنبيه على سرعتهما وتيسر امرهما وان المقصود منهما الاحضار للمحاسبة
والجزاء بحمده حال منهم اي حامدين لله على كمال قدرته كما قيل انهم ينفضون التراب عن رؤسهم ويقولون
سبحانك اللهم وبحمدك او منقادين لبعثه انقياد الحامدين عليه وقل لعبادي يعني المؤمنين
يقولوا التي هي احسن الكلمة التي هي احسن ولا يخاشنوا المشركين ان الشيطان ينزغ
بينهم يهيج بينهم المراء والشر فلعل المخاشنة بهم تفضي الى العناد وازدياد الفساد ان الشيطان

كان للانسان عدوا مبينا ظاهر العداوة ربكم اعلم بكم ان يشأ
يرحمكم وان يشأ يعذبكم تفسير للتي هي احسن وما بينهما اعتراض اي قولوا لهم هذه الكلمة ونحوها ولا
تصرحوا بانهم من اهل النار فان ذلك يهيجهم على الشر مع ان ختام امرهم غيب لا يعلمه الا الله وما ارسلناك
عليهم وكيلا موكولا اليك امرهم تقسرهم على الايمان وانما ارسلناك مبشرا ونذيرا فدارهم ومر
اصحابك بالاحتمال منهم روي ان المشركين افرطوا في ايذائهم فشكوا الى رسول الله فنزلت وقيل شتم عمر رجل فهم به فامره الله
بالعفو وربك اعلم بمن في السموات والارض باحوالهم فيختار منهم لنبوته وولايته من يشاء
وهو رد لاستبعاد قريش ان يكون يتيم ابي طالب نبيا وان يكون العراة الجوع اصحابه ولقد فضلنا بعض
النبيين على بعض بالفضائل النفسانية والتبري عن العلائق الجسمانية لا بكثرة الاموال والاتباع
حتى داود فان شرفه بما اوحي اليه من الكتاب لا بما اوتي من الملك قيل هو اشارة الى تفضيل رسول الله صلى الله عليه وسلم
وآتينا داود زبورا تنبيه على وجه تفضيله وهو انه خاتم الانبياء وامته خير الامم المدلول عليه بما كتب في
الزبور من ان الارض يرثها عبادي الصالحون وتنكيره ههنا وتعريفه في قوله ولقد كتبنا في الزبور لانه في
الاصل فعول للمفعول كالحلوب او المصدر كالقبول ويؤيده قراءة حمزة بالضم فهو كالعباس والفضل او لان
المراد وآتينا داود بعض الزبور او بعضا من الزبور فيه ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم قل ادعوا الذين زعمتم
انها آلهة من دونه كالملائكة والمسيح وعزير فلا يملكون فلا يستطيعون كشف الضر
عنكم كالمرض والفقر والقحط ولا تحويلا ولا تحويله الى غيركم اولئك الذين
يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة هؤلاء الآلهة يبتغون الى الله القربة بالطاعة
ايهم اقرب بدل من واو يبتغون اي يبتغي من هو اقرب منهم الى الله الوسيلة فكيف بغير الاقرب و
يرجون رحمته ويخافون عذابه كسائر العباد فكيف يزعمون انهم آلهة ان عذاب
ربك كان محذورا حقيقا بان يحذره كل احد حتى الرسل والملائكة وان من قرية الا
نحن مهلكوها قبل يوم القيامة بالموت والاستئصال او معذبوها عذابا
شديدا بالقتل وانواع البلية كان ذلك في الكتاب في اللوح المحفوظ مسطورا
مكتوبا وما منعنا ان نرسل بالآيات وما صرفنا عن ارسال الآيات التي اقترحتها
قريش الا ان كذب بها الاولون الا تكذيب الاولين الذين هم امثالهم في الطبع
كعاد وثمود فانها لو ارسلت لكذبوها تكذيب اولئك واستوجبوا الاستئصال على ما مضت به سنتنا وقد
قضينا ان لا نستأصلهم لان فيهم من يؤمن او يلد من يؤمن ثم ذكر بعض الامم المهلكة بتكذيب الآيات المقترحة فقال

وآتينا ثمود الناقة بسؤالهم مبصرة بينة ذات إبصار أو بصائر أو جاعلتهم ذوي بصائر
وقرئ بالفتح فظلموا بها أي كفروا بها أو ظلموا أنفسهم بسبب عقرها وما نرسل بالآيات
أي بالآيات المقترحة إلا تخويفا من نزول العذاب المستأصل فإن لم يخافوا نزل أو بغير المقترحة كالمعجزة
وآيات القرآن إلا تخويفا بعذاب الآخرة فإن أمر من بعثت إليهم مؤخر إلى يوم القيامة والباء مزيدة أو في موضع
الحال والمفعول محذوف وإذ قلنا لك واذكر إذ أوحينا إليك إن ربك أحاط بالناس
فهم في قبضة قدرته أو أحاط بقريش بمعنى أهلكهم من أحاط بهم العدو فهو بشارة بوقعة بدر والتعبير بلفظ الماضي لتحقق
وقوعه وما جعلنا الرؤيا التي أريناك ليلة المعراج وتعلق به من قال إنه كان في المنام ومن قال
إنه كان في اليقظة فسر الرؤيا بالرؤية أو عام الحديبية حين رأى أنه دخل مكة وفيه أن الآية مكية إلا أن يقال رآها بمكة
وحكاها حينئذ ولعله رؤيا رآها في وقعة بدر لقوله وإذ يريكهم الله في منامك قليلا ولما روي أنه عليه السلام لما ورد ماءه قال لكأني
أنظر إلى مصارع القوم هذا مصرع فلان هذا مصرع فلان فتسامعت به قريش واستسخروا منه وقيل رأى قوما من بني أمية
يرقون منبره وينزون عليه نزو القردة فقال هو حظهم من الدنيا يعطونه بإسلامهم وعلى هذا كان المراد بقوله إلا
فتنة للناس ما حدث في أيامهم والشجرة الملعونة في القرآن عطف على الرؤيا وهي
شجرة الزقوم لما سمع المشركون ذكرها قالوا إن محمدا يزعم أن الجحيم تحرق الحجارة ثم يقول ينبت فيها الشجرة ولم يعلموا أن
من قدر أن يحمي وبر السمندر من أن تأكله النار وأحشاء النعامة من أذى الجمر وقطع الحديد المحماة الحمر التي تبتلعها قدر
أن يخلق في النار شجرة لا تحرقها ولعنها في القرآن لعن طاعميها وصفت به على المجاز للمبالغة أو وصفها بأنها في
أصل الجحيم فإنه أبعد مكان من الرحمة أو بأنها مكروهة مؤذية من قولهم طعام ملعون لما كان ضارا وقد أولت بالشيطان
وأبي جهل والحكم بن أبي العاص وقرئت بالرفع على الابتداء والخبر محذوف أي والشجرة الملعونة في القرآن
كذلك ونخوفهم بأنواع التخويف فما يزيدهم إلا طغيانا كبيرا إلا عتوا متجاوزا الحد
وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس قال أأسجد لمن
خلقت طينا لمن خلقته من طين فنصب بنزع الخافض ويجوز أن يكون حالا من الراجع إلى الموصول أي خلقته
وهو طين أو منه أي أأسجد له وأصله طين وفيه على الوجوه إيماء بعلة الإنكار قال أرأيتك هذا الذي
كرمت علي الكاف لتأكيد الخطاب لا محل له من الإعراب وهذا مفعول أول والذي صفته
والمفعول الثاني محذوف لدلالة صلته عليه والمعنى أخبرني عن هذا الذي كرمته علي بأمري بالسجود له لم كرمته علي لئن
أخرتن إلى يوم القيامة كلام مبتدأ واللام موطئة للقسم وجوابه لأحتنكن ذريته
إلا قليلا أي لأستأصلنهم بالإغواء إلا قليلا لا أقدر على أن أقاوم شكيمتهم من احتنك الجراد الأرض إذا جرد

ما عليها أكلا مأخوذ من الحنك وإنما علم أن ذلك يتسهل له إما استنباطا من قول الملائكة أتجعل فيها من يفسد فيها مع التقرير أو تفرسا
من خلقه ذا وهم وشهوة وغضب قال اذهب امض لما قصدته وهو طرد وتخلية بينه وبين ما سولت له نفسه فمن
تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم جزاؤك وجزاؤهم فغلب المخاطب على الغائب ويجوز أن يكون الخطاب للتابعين
على الالتفات جزاء موفورا مكملا من قولهم فر لصاحبك عرضه وانتصاب جزاء على المصدر بإضمار
فعله أو بما في جزاؤكم من معنى تجازون أو حال موطئة لقوله موفورا واستفزز واستخف من استطعت
منهم أن تستفزه والفز الخفيف بصوتك بدعائك إلى الفساد وأجلب عليهم وصح عليهم من
الجلبة وهي الصياح بخيلك ورجلك بأعوانك من راكب وراجل والخيل الخيالة ومنه قوله عليه السلام
يا خيل الله اركبي والرجل اسم جمع للراجل كالصحب والركب ويجوز أن يكون تمثيلا لتسلطه على من يغويه بمغوار صوت
على قوم فاستفزهم من أماكنهم وأجلب عليهم بجنده حتى استأصلهم وقرأ حفص ورجلك بالكسر وغيره بالضم وهما لغتان كندس
وندس ومعناه وجمعك الرجل وقرئ رجالك ورجالك وشاركهم في الأموال بحملهم على كسبها و
جمعها من الحرام والتصرف فيها على ما لا ينبغي والأولاد بالحث على التوصل إلى الولد بالسبب المحرم والإشراك
فيه بتسميته عبد العزى والتضليل بالحمل على الأديان الزائغة والحرف الذميمة والأفعال القبيحة وعدهم المواعيد الباطلة
كشفاعة الآلهة والاتكال على كرامة الآباء وتأخير التوبة لطول الأمل وعدهم وما يعدهم الشيطان
إلا غرورا اعتراض لبيان مواعيده والغرور تزيين الخطأ بما يوهم أنه صواب إن عبادي يعني المخلصين
وتعظيم الإضافة والتقييد في قوله إلا عبادك منهم المخلصين يخصصهم ليس لك عليهم سلطان أي على
إغوائهم قدرة وكفى بربك وكيلا يتوكلون به في الاستعاذة منك على الحقيقة ربكم
الذي يزجي هو الذي يجري لكم الفلك في البحر لتبتغوا من فضله الربح
وأنواع الأمتعة التي لا تكون عندكم إنه كان بكم رحيما حيث هيأ لكم ما تحتاجون إليه و
سهل عليكم ما يعسر من أسبابه وإذا مسكم الضر في البحر خوف الغرق ضل من تدعون
ذهب عن خواطركم كل من تدعونه في حوادثكم إلا إياه وحده فإنكم حينئذ لا يخطر ببالكم سواه ولا تدعون لكشفه إلا
إياه أو ضل كل من تعبدونه عن إغاثتكم إلا الله فلما نجاكم من الغرق إلى البر أعرضتم عن التوحيد
وقيل اتسعتم في كفران النعمة كقول ذي الرمة عطاء فتى تمكن في المعالي فأعرض في المكارم واستطالا وكان
الإنسان كفورا كالتعليل للإعراض أفأمنتم الهمزة فيه للإنكار والفاء للعطف على محذوف
تقديره أنجوتم فأمنتم فحملكم ذلك على الإعراض فإن من قدر أن يهلككم في البحر بالغرق قادر أن يهلككم في البر بالخسف
وغيره أن يخسف بكم جانب البر أن يقلبه الله وأنتم عليه أو يقلبه بسبب كونكم فيه حال أو صلة ليخسف وقرأ ابن كثير

وابو عمرو بالنون فيه وفي الاربعة التي بعده وفي ذكر الجانب تنبيه على انهم لما وصلوا الساحل كفروا واعرضوا وان
الجوانب والجهات في قدرته سوا لا معقل يؤمن فيه من اسباب الهلاك او يرسل عليكم حاصبا
ريحا تحصب اي ترمي بالحصباء ثم لا تجدوا لكم وكيلا يحفظكم من ذلك فانه لا راد لفعله ام امنتم
ان يعيدكم فيه في البحر تارة اخرى بخلق دواع تلجئكم الى ان ترجعوا فتركبوه فيرسل
عليكم قاصفا من الريح لا تمر بشي الا قصفته اي كسرته فيغرقكم وعن يعقوب
بالتاء على اسناده الى ضمير الريح بما كفرتم بسبب اشراككم او كفرانكم نعمة الانجاء ثم لا تجدوا
لكم علينا به تبيعا مطالبا يتبعنا بانتصار او صرف ولقد كرمنا بني ادم
بحسن الصورة والمزاج الاعدل واعتدال القامة والتميز بالعقل والافهام بالنطق والاشارة والخط والتهدي الى
اسباب المعاش والمعاد والتسلط على ما في الارض والتمكن من الصناعات وانسياق الاسباب والمسببات العلوية
والسفلية الى ما يعود عليهم بالمنافع الى غير ذلك مما يقف الحصر دون احصائه ومن ذلك ما ذكره ابن عباس وهو
ان كل حيوان يتناول طعامه بفيه الا الانسان فانه يرفعه اليه بيده وحملناهم في البر والبحر على الدواب
والسفن من حملته حملا اذا جعلت له ما يركبه او حملناهم فيهما حتى لم تخسف بهم الارض ولم يغرقهم الماء و
رزقناهم من الطيبات المستلذات مما يحصل بفعلهم وبغير فعلهم وفضلناهم على كثير
ممن خلقنا تفضيلا بالغلبة والاستيلاء او بالشرف والكرامة والمستثنى جنس الملئكة او الخواص منهم ولا
يلزم من عدم تفضيل الجنس عدم تفضيل بعض افراده والمسئلة موضع نظر وقد اول الكثير بالكل وهو تعسف يوم
ندعوا نصب باضمار اذكر او ظرف لما دل عليه ولا يظلمون وقرئ يدعو ويدعى ويدعو على قلب الالف
واوا في لغة من يقول افعو في افعى او على ان الواو علامة الجمع كما في قوله تعالى واسروا النجوى الذين ظلموا او ضميره وكل بدل منه
والنون محذوفة لقلة المبالاة بها فانها ليست الا علامة الرفع وهو قد يقدر كما في يدعى كل اناس بامامهم
بمن ائتموا به من نبي او مقدم في الدين او كتاب او دين وقيل بكتاب اعمالهم التي قدموها فيقال يا صاحب كتاب
كذا اي تنقطع علقة الانساب وتبقى نسبة الاعمال وقيل بالقوى الحاملة لهم على عقايدهم وافعالهم وقيل بامهاتهم
جمع ام كخف وخفاف والحكمة في ذلك اجلال عيسى واظهار شرف الحسن والحسين رضه وان لا تفتضح اولاد الزنا
فمن اوتي من المدعوين كتابه بيمينه اي كتاب عمله فاولئك يقرؤون كتابهم
ابتهاجا وتبجحا بما يرونه فيه فلا يظلمون فتيلا ولا ينقصون من اجورهم ادنى شي وجمع اسم الاشارة و
الضمير لان من اوتي في معنى الجمع وتعليق القراءة بايتاء الكتاب باليمين يدل على ان من اوتي كتابه بشماله اذا اطلع
على ما فيه غشيهم من الخجل والحيرة ما يحبس السنتهم عن القراءة ولذلك لم يذكرهم مع ان قوله ومن كان في هذه

اعمى فهو في الاخرة اعمى ايضا يشعر بذلك فان الاعمى لا يقرأ الكتاب والمعنى ومن كان في هذه الدنيا اعمى
القلب لا يبصر رشده كان في الاخرة اعمى لا يرى طريق النجاة واضل سبيلا منه في الدنيا لزوال الاستعداد
وفقدان الالة والمهلة وقيل لان الاهتداء بعد لا ينفعه والاعمى مستعار من فاقد الحاسة وقيل الثاني للتفضيل من عمي
بقلبه كالاجهل والابله ولذلك لم يمله ابو عمرو ويعقوب فان افعل التفضيل تمامه بمن فكانت الفه في حكم المتوسط
كما في اعمالكم بخلاف النعت فان الفه واقعة في الطرف لفظا وحكما فكانت معرضة للامالة من حيث انها تصير
يا في التثنية وقد امالهما حمزة والكسائي وابو بكر وقرأ ورش بين بين فيهما وان كادوا ليفتنونك نزلت
في ثقيف قالوا لا ندخل في امرك حتى تعطينا خصالا نفتخر بها على العرب لا نعشر ولا نحشر ولا نجبي في صلوتنا
وكل ربوا لنا فهو لنا وكل ربوا علينا فهو موضوع عنا وان تمتعنا باللات سنة ولا تحرم وادينا كما حرمت مكة فان
قالت العرب لم فعلت ذلك فقل ان الله امرني وقيل في قريش قالوا لا نمكنك من استلام الحجر حتى تلم بالهتنا وتمسها
بيدك وان هي المخففة واللام هي الفارقة والمعنى ان الشان قاربوا بمبالغتهم ان يوقعوك في الفتنة بالاستنزال
عن الذي اوحينا اليك من الاحكام لتفتري علينا غيره غير ما اوحينا اليك و
اذا لاتخذوك خليلا ولو اتبعت مرادهم لاتخذوك بافتتانك وليا لهم بريا من ولايتي
ولولا ان ثبتناك ولولا تثبيتنا اياك لقد كدت تركن اليهم شيئا
قليلا لقاربت ان تميل الى اتباع مرادهم والمعنى انك كنت على صدد الركون اليهم لقوة خدعهم وشدة
احتيالهم لكن ادركتك عصمتنا فمنعت ان تقرب من الركون فضلا عن ان تركن اليه وهو صريح في انه عم ما هم باجابتهم
مع قوة الدواعي اليها وهو دليل على ان العصمة بتوفيق الله وحفظه اذا لاذقناك اي لو قاربت لاذقناك
ضعف الحيوة وضعف الممات اي عذاب الدنيا وعذاب الاخرة ضعف ما نعذب
به في الدارين بمثل هذا الفعل غيرك لان خطا الخطير اخطر وكان اصل الكلام عذابا ضعفا في الحيوة وعذابا ضعفا
في الممات بمعنى مضاعفا ثم حذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه ثم اضيفت كما يضاف موصوفها و
قيل الضعف من اسماء العذاب وقيل المراد بضعف الحيوة عذاب الاخرة وبضعف الممات عذاب القبر
ثم لا تجد لك علينا نصيرا يدفع العذاب عنك وان كادوا اي وان كاد اهل
مكة ليستفزونك ليزعجونك بمعاداتهم من الارض ارض مكة ليخرجوك منها
واذا لا يلبثون خلافك ولو خرجت لا يبقون بعد خروجك الا قليلا الا زمانا
قليلا وقد كان كذلك فانهم اهلكوا ببدر بعد هجرته بسنة وقيل الاية نزلت في اليهود حسدوا مقام النبي عم
بالمدينة فقالوا الشام مقام الانبياء فان كنت نبيا فالحق بها حتى نؤمن بك فوقع ذلك في قلبه فخرج مرحلة

فنزلت فرجع فقتل منهم بنو قريظة واجلي بنو النضير بقليل وقرئ لا يلبثوا منصوبا باذن على انه معطوف على جملة
قوله وان كادوا ليستفزونك لا على خبر كاد فان اذن لا تعمل اذا كان معتمدا ما بعدها على ما قبلها وقرا ابن عامر
وحمزة والكسائي ويعقوب وحفص خلافك وهو لغة فيه قال عفت الديار خلافهم فكانما بسط الشواطب
بينهن حصيرا سنة من قد ارسلنا قبلك من رسلنا نصب على المصدر اي سن
الله ذلك سنة وهو ان يهلك كل امة اخرجوا رسولهم من بين اظهرهم فالسنة لله واضافتها الى الرسل لانها
من اجلهم ويدل عليه ولا تجد لسنتنا تحويلا اي تغييرا اقم الصلوة لدلوك
الشمس لزوالها ويدل عليه قوله عم اتاني جبريل لدلوك الشمس حين زالت فصلى بي الظهر وقيل لغروبها
واصل التركيب للانتقال ومنه الدالك فان الدالك لا تستقر يده وكذا ما تركب من الدال واللام كدلج
ودلح ودلع ودلف ودله وقيل الدلوك من الدلك لان الناظر اليها يدلك عينه ليدفع شعاعها واللام
للتاقيت مثلها في لثلث خلون الى غسق الليل الى ظلمته وهو وقت صلوة العشاء الاخيرة وقرآن
الفجر اي وصلوة الصبح سميت قرآنا لانه ركنها كما سميت ركوعا وسجودا واستدل به على وجوب
القراءة فيها ولا دليل فيه لجواز ان يكون التجوز لكونها مندوبة فيها نعم لو فسر بالقراءة في صلوة الفجر دل
الامر باقامتها على الو ... وفي غيرها قياسا ان قرآن الفجر كان مشهودا اي يشهده
ملائكة ... او شواهد القدرة من تبدل الظلمة بالضياء والنوم الذي هو اخ الموت بالانتباه
او كثير من ... يشهده الجم الغفير والآية جامعة للصلوات الخمس ان فسر الدلوك بالزوال و
الصلوات الليل وحدها ان فسر بالغروب وقيل المراد بالصلوة صلوة المغرب وقوله لدلوك الشمس الى
غسق الليل بيان لمبدا الوقت ومنتهاه واستدل به على ان الوقت يمتد الى غروب الشفق ومن الليل
فتهجد به وبعض الليل فاترك الهجود للصلوة والضمير للقرآن نافلة لك فريضة زائدة
لك على الصلوات المفروضة او فضيلة لك لاختصاص وجوبه بك عسى ان يبعثك ربك
مقاما محمودا مقاما يحمده القائم فيه وكل من عرفه وهو مطلق في كل مقام يتضمن كرامة والمشهور
انه مقام الشفاعة لما روى ابو هريرة انه عم قال هو المقام الذي اشفع فيه لامتي ولاشعاره بان الناس يحمدونه
لقيامه فيه وما ذاك الا مقام الشفاعة وانتصابه على الظرف باضمار فعله اي فيقيمك مقاما او بتضمين
يبعثك معناه او الحال بمعنى ان يبعثك ذا مقام وقل رب ادخلني اي في القبر مدخل
صدق ادخالا مرضيا واخرجني اي منه عند البعث مخرج صدق اخراجا
ملقى بالكرامة وقيل المراد ادخال المدينة والاخراج من مكة وقيل ادخاله مكة ظاهرا عليها واخراجه منها آمنا

من المشركين وقيل ادخاله الغار واخراجه منه سالما وقيل ادخاله فيما حمله من اعباء الرسالة واخراجه منه مؤديا حقه
وقيل ادخاله في كل ما يلابسه من مكان او امر واخراجه منه وقرئ مدخل ومخرج بالفتح على معنى ادخلني فادخل
دخولا واخرجني فاخرج خروجا واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا حجة تنصرني
على من خالفني او ملكا ينصر الاسلام على الكفر فاستجاب له بقوله فان حزب الله هم الغالبون ليظهره على الدين كله
ليستخلفنهم في الارض وقل جاء الحق الاسلام وزهق الباطل وذهب وهلك الشرك من
زهق روحه اذا خرج ان الباطل كان زهوقا مضمحلا غير ثابت عن ابن مسعود انه عم دخل مكة يوم الفتح
وفيها ثلثمائة وستون صنما فجعل ينكت بمخصرة في عين واحد واحد فيقول جاء الحق وزهق الباطل فينكب لوجهه حتى القى
جميعها وبقي صنم خزاعة فوق الكعبة وكان من صفر فقال يا علي ارم به فصعد فرمى به فكسره وننزل من
القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ما هو في تقويم دينهم واستصلاح نفوسهم كالدواء الشافي
للمرضى ومن للبيان فانه كله كذلك وقيل انه للتبعيض والمعنى ان منه ما يشفي من المرض كالفاتحة وآيات الشفاء وقرا
البصريان ننزل بالتخفيف ولا يزيد الظالمين الا خسارا لتكذيبهم وكفرهم به واذا انعمنا
على الانسان بالصحة والسعة اعرض عن ذكر الله ونأى بجانبه لوى عطفه وبعد بنفسه عنه كانه
مستغن مستبد بامره ويجوز ان يكون كناية عن الاستكبار لانه من عادة المستكبرين وقرا ابن عامر برواية ابن ذكوان هنا وفي
فصلت وناء على القلب او على انه بمعنى نهض وامال الكسائي فتحة النون والهمزة في السورتين وامال خلف فتحة الهمزة فيهما
فقط وامال ابو بكر فتحة الهمزة هنا وخلاد فتحتها هنا وورش على اصله في ذوات الياء واذا مسه الشر
من مرض او فقر كان يؤوسا شديد اليأس من روح الله قل كل يعمل على شاكلته
قل كل احد يعمل على طريقته التي تشاكل حاله في الهدى والضلالة او جوهر روحه واحواله التابعة لمزاج بدنه
فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا اسد طريقا وابين منهاجا وقد فسرت الشاكلة
بالطبيعة والعادة والدين ويسألونك عن الروح الذي يحيى به بدن الانسان ويدبره قل
الروح من امر ربي من الابداعيات الكائنة بكن من غير مادة وتولد من اصل كاعضاء جسده او وجد بامره
وحدث بتكوينه على ان السؤال عن قدمه وحدوثه وقيل مما استاثره الله بعلمه لما روي ان اليهود قالوا لقريش سلوه عن
اصحاب الكهف وعن ذي القرنين وعن الروح فان اجاب عنها او سكت فليس بنبي وان اجاب عن بعض
وسكت عن بعض فهو نبي فبين لهم القصتين وابهم امر الروح وهو مبهم في التورية وقيل الروح جبريل وقيل خلق
اعظم من الملك وقيل القرآن ومن امر ربي معناه من وحيه وما اوتيتم من العلم الا قليلا
تستفيدونه بتوسط حواسكم فان اكتساب العقل للمعارف النظرية انما هو من الضروريات المستفادة من احساس

الجزئيات ولذلك قيل من فقد حسا فقد علما ولعل اكثر الاشياء لا يدركه الحس ولا شيئا من احواله المعرفة لذاته وهو
اشارة الى ان الروح مما لا يمكن معرفة ذاته الا بعوارض تميزه عما يلتبس به فلذلك اقتصر على هذا الجواب كما اقتصر موسى عم في
جواب وما رب العالمين بذكر بعض صفاته روي ان اليهود قالوا له ذلك فلما نزلت قالوا نحن مختصون بهذا الخطاب
ام انت معنا فقال بل نحن وانتم فقالوا ما اعجب شأنك ساعة تقول ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وساعة تقول هذا
فنزلت ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام وما قالوه لسوء فهمهم لان الحكمة الانسانية ان يعلم من الخير والحق ما تسعه القوة البشرية
بل ما ينتظم به معاشه ومعاده وهو بالاضافة الى معلومات الله التي لا نهاية لها قليل ينال به خير الدارين
وهو بالاضافة اليه كثير **ولئن شئنا لنذهبن بالذي اوحينا اليك** اللام الاولى
موطئة للقسم ولنذهبن جوابه النائب مناب جزاء الشرط والمعنى ان شئنا ذهبنا بالقرآن ومحوناه عن المصاحف والصدور
ثم لا تجد لك به علينا وكيلا من يتوكل علينا استرداده مسطورا محفوظا **الا رحمة من
ربك** فانها ان نالتك فلعلها تسترده عليك ويجوز ان يكون الاستثناء منقطعا بمعنى ولكن رحمة من ربك تركته
غير مذهوب به فيكون امتنانا بابقائه بعد المنة في تنزيله **ان فضله كان عليك كبيرا**
كارساله وانزال الكتاب عليه وابقائه في حفظه **قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا
بمثل هذا القرآن** في البلاغة وحسن النظم وكمال المعنى **لا يأتون بمثله** وفيهم العرب العرباء
وارباب البيان واهل التحقيق وهو جواب قسم محذوف دل عليه اللام الموطئة ولولا هي لكان جواب
الشرط بلا جزم لكون الشرط ماضيا كقول زهير وان اتاه خليل يوم مسغبة يقول لا غائب مالي ولا حرم
ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ولو تظاهروا على الاتيان به ولعله لم يذكر الملائكة لان
اتيانهم بمثله لا يخرجه عن كونه معجزة ولانهم كانوا وسائط في اتيانه ويجوز ان تكون الآية تقريرا لقوله ثم لا تجد
لك به علينا وكيلا **ولقد صرفنا** كررنا بوجوه مختلفة زيادة في التقرير والبيان **للناس
في هذا القرآن من كل مثل** من كل معنى هو كالمثل في غرابته ووقوعه موقعا في الانفس
فأبى اكثر الناس الا كفورا الا جحودا وانما جاز ذلك ولم يجز ضربت الا زيدا لانه
متأول بالنفي **وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا** تعنتا
واقتراحا بعدما لزمتهم الحجة ببيان اعجاز القرآن وانضمام غيره من المعجزات اليه وقرأ الكوفيون ويعقوب تفجر
بالتخفيف والارض ارض مكة والينبوع عين لا ينضب ماؤها يفعول من نبع الماء كيعبوب من عب
الماء اذا زخر **او تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار
خلالها تفجيرا** او يكون لك بستان يشتمل على ذلك **او تسقط السماء كما زعمت**

علينا كسفا يعنون قوله تعالى ان نشأ نخسف بهم الارض او نسقط عليهم كسفا من السماء وهو كقطع لفظا ومعنى
وقد سكنه ابن كثير وابو عمرو وحمزة والكسائي ويعقوب في جميع القرآن الا في الروم وابن عامر الا في هذه السورة وابو بكر
ونافع في غيرهما وحفص فيما عدا الطور وهو اما مخفف من المفتوح كسدر وسدرة او فعل بمعنى مفعول كالطحن **او
تأتي بالله والملائكة قبيلا** كفيلا بما تدعيه اي شاهدا على صحته ضامنا لدركه او مقابلا كالعشير
بمعنى المعاشر وهو حال من الله وحال الملائكة محذوفة لدلالتها عليها كما حذف الخبر في قوله واني وقيار بها
لغريب او جماعة فيكون حالا من الملائكة **او يكون لك بيت من زخرف** من ذهب وقد
قرئ به واصله الزينة **او ترقى في السماء** في معارجها **ولن نؤمن لرقيك** وحده
حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه وكان فيه تصديقك **قل سبحان ربي** تعجبا
من اقتراحاتهم او تنزيها لله من ان يأتي او يتحكم عليه او يشاركه احد في القدرة وقرأ ابن كثير وابن عامر قال سبحان اي
الرسول **هل كنت الا بشرا** كسائر الناس **رسولا** كسائر الرسل وكانوا لا يأتون قومهم
الا بما يظهره الله عليهم على ما يلائم حال قومهم ولم يكن امر الآيات اليهم ولا لهم ان يتحكموا على الله حتى يتخيروها على هذا هو الجواب
المجمل واما التفصيل فقد ذكر في آيات اخر كقوله ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس ولو فتحنا عليهم بابا من السماء
وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى اي وما منعهم الايمان بعد نزول الوحي
وظهور الحق **الا ان قالوا أبعث الله بشرا رسولا** الا قولهم هذا والمعنى انه لم يبق لهم شبهة
تمنعهم عن الايمان بمحمد والقرآن الا انكارهم ان يرسل الله بشرا **قل** جوابا لشبهتهم **لو كان في الارض
ملائكة يمشون** كما يمشي بنو آدم **مطمئنين** ساكنين فيها **لنزلنا عليهم من السماء
ملكا رسولا** لتمكنهم من الاجتماع به والتلقي منه واما الانس فعامتهم عماة عن ادراك الملك والتلقف منه
فان ذلك مشروط بنوع من التناسب والتجانس وملكا يحتمل ان يكون حالا من رسولا وان يكون موصوفا به وكذلك بشرا والاول
اوفق **قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم** على اني رسول الله اليكم باظهار المعجزة على وفق
دعواي او على اني بلغت ما ارسلت به اليكم وانكم عاندتم وشهيدا نصب على الحال او التمييز **انه كان بعباده
خبيرا بصيرا** يعلم احوالهم الباطنة منها والظاهرة فيجازيهم عليها وفيه تسلية للرسول وتهديد للكفار **و
من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد لهم اولياء من دونه**
يهدونه **ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم** يسحبون عليها او يمشون بها روي انه قيل لرسول
الله كيف يمشون على وجوههم قال ان الذي امشاهم على اقدامهم قادر على ان يمشيهم على وجوههم **عميا وبكما
وصما** لا يبصرون ما يقر اعينهم ولا يسمعون ما يلذ مسامعهم ولا ينطقون بما يقبل منهم لانهم في دنياهم لم يستبصروا

النار
بالآيات والعبر وتصاموا عن استماع الحق وابوا ان ينطقوا بالصدق ويجوز ان يحشروا بعد الحساب من الموقف الى
مؤفي القوى والحواس مأويهم جهنم كلما خبت سكن لهبها بان اكلت جلودهم ولحومهم زدناهم
سعيرا توقدا بان تبدل جلودهم ولحومهم فتعود ملتهبة مستعرة كانهم لما كذبوا بالاعادة بعد الافناء
جزاهم الله على الاعادة والافنا واليه اشار بقوله ذلك جزاؤهم بانهم كفروا
باياتنا وقالوا ءاذا كنا عظاما ورفاتا ءانا لمبعوثون خلقا
جديدا لان الاشارة الى ما تقدمه من العذاب اولم يروا اولم يعلموا ان الله الذي خلق
السموات والارض قادر على ان يخلق مثلهم فانهم ليسوا اشد خلقا منهن ولا
الاعادة اصعب عليه من الابداء وجعل لهم اجلا لا ريب فيه هو الموت او القيمة فابى
الظالمون مع وضوح الحق الا كفورا الا جحودا قل لو انتم تملكون خزائن رحمة
ربي خزائن رزقه وساير نعمه وانتم مرفوع بفعل يفسره ما بعده كقول حاتم لو ذات سوار لطمتني وفائدة
هذا الحذف والتفسير المبالغة مع الايجاز والدلالة على الاختصاص اذا لامسكتم خشية الانفاق
لبخلتم مخافة النفاد بالانفاق اذ لا احد الا ويختار النفع لنفسه ولو اثر غيره بشيء فانما يؤثره لعوض يفوقه فهو
بخيل بالاضافة الى جود الله تعالى وكرمه هذا ولم يكن البخلاء اغلب فيهم وكان الانسان قتورا بخيلا لان بناء
امره على الحاجة والضنة بما يحتاج اليه وملاحظة العوض فيما يبذل ولقد اتينا موسى تسع
ايات بينات هي العصا واليد والجراد والقمل والضفادع والدم وانفجار الماء من الحجر وانفلاق
البحر ونتق الطور على بني اسرائيل وقيل الطوفان والسنون ونقص الثمرات مكان الثلث الاخيرة وعن
صفوان ان يهوديا سال النبي صلعم عنها فقال ان لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التي
حرم الله الا بالحق ولا تسحروا ولا تاكلوا الربوا ولا تمشوا ببري الى ذي سلطان ليقتله ولا تقذفوا المحصنة ولا
تولوا من الزحف وعليكم خاصة اليهود ان لا تعدوا في السبت فقبل اليهودي يده ورجله فعلى هذا المراد بالآيات
الاحكام العامة للملل الثابتة في كل الشرائع سميت بذلك لانها تدل على حال من يتعاطى متعلقها في الاخرة
من السعادة والشقاوة وقوله وعليكم خاصة اليهود ان لا تعدوا حكم مستانف زايد على الجواب ولذلك
غير فيه سياق الكلام فسئل بني اسرائيل اذ جاءهم فقلنا له سلهم من فرعون ليرسلهم معك
او سلهم عن حال دينهم او سلهم ان يعاضدوك وتكون قلوبهم وايديهم معك ويؤيده قراءة رسول الله صلعم فسال
على لفظ الماضي بغير همزة وهو لغة قريش واذ متعلق بقلنا او سال على هذه القراءة او فسل يا محمد بني اسرائيل
عما جرى بين موسى وفرعون اذ جاءهم او عن الايات ليظهر للمشركين صدقك او لتتسلى نفسك او لتعلم انه

هم

عذابهم

تعالى لو اتى بما اقترحوا لاصروا على العناد والمكابرة كمن قبلهم او ليزداد يقينك لان تظاهر الادلة يوجب قوة
اليقين وطمانينة القلب وعلى هذا كان اذ نصبا باتينا او باضمار يخبروك على انه جواب الامر او باضمار اذكر
على الاستيناف فقال له فرعون اني لاظنك يا موسى مسحورا سحرت فتخبط
عقلك قال لقد علمت يا فرعون وقرا الكسائي بالضم على اخباره عن نفسه ما انزل هؤلاء
يعني الايات الا رب السموات والارض بصائر بينات تبصرك صدقي ولكنك
تعاند وانتصابه على الحال واني لاظنك يا فرعون مثبورا مصروفا عن الخير مطبوعا على
الشر من قولهم ما ثبرك عن هذا اي ما صرفك او هالكا قارع ظنه بظنه وشتان ما بين الظنين فان ظن فرعون
كذب بحت وظن موسى عم يحوم حول اليقين من تظاهر اماراته وقرى وان اخالك يا فرعون لمثبورا على
ان المخففة واللام الفارقة فاراد فرعون ان يستفزهم ان يستخف موسى وقومه وينفيهم من
الارض ارض مصر او الارض مطلقا بالقتل او الاستيصال فاغرقناه ومن معه
جميعا فعكسنا عليه مكره فاستفززناه وقومه بالاغراق وقلنا من بعده من بعد فرعون واغراقه
لبني اسرائيل اسكنوا الارض التي اراد ان يستفزكم منها فاذا جاء وعد الاخرة
الكرة او الحيوة او الساعة او الدار الاخرة يعني قيام القيمة جئنا بكم لفيفا مختلطين اياكم واياهم ثم
نحكم بينكم ونميز سعداءكم من اشقيائكم واللفيف الجماعة من قبايل شتى وبالحق انزلناه وبالحق
نزل اي وما انزلنا القران الا ملتبسا بالحق المقتضي لانزاله وما نزل الا ملتبسا بالحق الذي اشتمل عليه
وقيل وما انزلناه من السماء الا محفوظا بالرصد من الملئكة وما نزل على الرسول الا محفوظا بهم من تخليط الشياطين
ولعله اراد به نفي اعتراء البطلان له اول الامر واخره وما ارسلناك الا مبشرا للمطيع
بالثواب ونذيرا للعاصي من العقاب فلا عليك الا التبشير والانذار وقرانا فرقناه
نزلناه مفرقا منجما وقيل فرقنا فيه الحق من الباطل فحذف الجار كما في قوله ويوما شهدناه وقرى بالتشديد لكثرة
نجومه فانه نزل في تضعيف عشرين سنة لتقراه على الناس على مكث على مهل وتؤدة
فانه ايسر للحفظ واعون في الفهم وقرى بالفتح وهو لغة فيه ونزلناه تنزيلا على حسب الحوادث
قل امنوا به او لا تؤمنوا فان ايمانكم بالقران لا يزيده كمالا وامتناعكم عنه لا يورثه نقصا
وان الذين اوتوا العلم من قبله تعليل له اي ان لم تؤمنوا فقد امن به من هو خير منكم وهم
العلماء الذين قراوا الكتب السابقة وعرفوا حقيقة الوحي وامارات النبوة وتمكنوا من الميز بين المحق والمبطل او
راوا نعتك وصفة ما انزل اليك في تلك الكتب ويجوز ان يكون تعليلا لقل على سبيل التسلية كانه قيل تسل

خرة

بايمان العلماء عن ايمان الجهلة ولا تكترث بايمانهم واعراضهم اذا يتلى عليهم اي القرآن يخرون للاذقان سجدا يسقطون على وجوههم تعظيما لامر الله تعالى وشكرا لانجاز وعده في تلك الكتب ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم على فترة من الرسل وانزال القرآن عليه ويقولون سبحان ربنا عن خلف الوعد ان كان وعد ربنا لمفعولا انه كان وعده كائنا لا محالة ويخرون للاذقان يبكون كرره لاختلاف الحال والسبب فان الاول للشكر عند انجاز الوعد والثاني لما اثر فيهم من مواعظ القرآن حال كونهم باكين من خشية الله وذكر الذقن لانه اول ما يلقى الارض من وجه الساجد واللام فيه لاختصاص الخرور به ويزيدهم سماع القرآن خشوعا كما يزيدهم علما ويقينا بالله قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن نزلت حين سمع المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا الله يا رحمن فقالوا انه ينهانا ان نعبد الهين وهو يدعو الها اخر او قالت اليهود انك لتقل ذكر الرحمن وقد اكثره الله في التورية فالمراد على الاول هو التسوية بين اللفظين بانهما يطلقان على ذات واحدة وان اختلف اعتبار اطلاقهما والتوحيد انما هو للذات الذي هو المعبود وعلى الثاني انهما سيان في حسن الاطلاق والافضاء الى المقصود وهو اجود لقوله اياما تدعوا فله الاسماء الحسنى والدعاء في الاية بمعنى التسمية وهو يتعدى الى مفعولين حذف اولهما استغناء عنه واو للتخيير والتنوين في ايا عوض عن المضاف اليه وما صلة لتاكيد ما في اي من الابهام والضمير في له للمسمى لان التسمية له لا للاسم وكان اصل الكلام اياما تدعوا فهو حسن فوضع موضعه فله الاسماء الحسنى للمبالغة والدلالة على ما هو الدليل عليه وكونها حسنى لدلالتها على صفات الجلال والاكرام ولا تجهر بصلاتك بقراءة صلاتك حتى تسمع المشركون فان ذلك يحملهم على السب واللغو فيها ولا تخافت بها حتى لا تسمع من خلفك من المؤمنين وابتغ بين ذلك سبيلا بين الجهر والمخافتة سبيلا وسطا فان الاقتصاد في جميع الامور محبوب روي ان ابا بكر كان يخفت ويقول اناجي ربي وقد علم حاجتي وعمر كان يجهر ويقول اطرد الشيطان واوقظ الوسنان فلما نزلت امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا بكر ان يرفع قليلا وعمر ان يخفت قليلا وقيل معناه لا تجهر بصلاتك كلها ولا تخافت بها باسرها وابتغ بين ذلك سبيلا بالاخفات نهارا والجهر ليلا وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك في الالوهية ولم يكن له ولي من الذل ولي يواليه من اجل مذلة به ليدفعها بموالاته نفى عنه ان يكون له ما يشاركه من جنسه ومن غير جنسه اختيارا او اضطرارا او ما يعاونه ويقويه ورتب الحمد عليه للدلالة على انه الذي يستحق جنس الحمد لانه كامل الذات المتفرد بالايجاد المنعم على الاطلاق وما عداه ناقص مملوك نعمة او منعم عليه ولذلك

ما علي بن محمد النقي الركني

عطف عليه قوله وكبره تكبيرا وفيه تنبيه على ان العبد وان بالغ في التنزيه والتمجيد واجتهد في العبادة والتحميد ينبغي ان يعترف بالقصور عن حقه في ذلك روي انه عليه السلام كان اذا افصح الغلام من بني عبد المطلب علمه هذه الاية وعنه عليه السلام من قرأ سورة بني اسرائيل فرق قلبه عند ذكر الوالدين كان له قنطار في الجنة والقنطار الف الف اوقية ربنا اتمم علينا نعمتك في ديننا ودنيانا يا سيدنا ومولانا

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب يعني القرآن رتب استحقاق الحمد على انزاله تنبيها على انه اعظم نعمائه وذلك لانه الهادي الى ما فيه كمال العباد والداعي الى ما به ينتظم صلاح المعاش والمعاد ولم يجعل له عوجا شيئا من العوج باختلال في اللفظ وتناف في المعنى او انحراف من الدعوة الى جناب الحق وهو في المعاني كالعوج في الاعيان قيما مستقيما معتدلا لا افراط فيه ولا تفريط او قيما بمصالح العباد فيكون وصفا له بالتكميل بعد وصفه بالكمال او على الكتب السابقة يشهد بصحتها وانتصابه بمضمر تقديره جعله قيما او على الحال من الضمير في له او من الكتاب على ان الواو في ولم يجعل للحال دون العطف اذ لو كان للعطف لكان المعطوف فاصلا بين ابعاض المعطوف عليه ولذلك قيل فيه تقديم وتاخير وقرئ قيما بالتخفيف لينذر بأسا شديدا اي لينذر الذين كفروا عذابا شديدا فحذف المفعول الاول اكتفاء بدلالة القرينة واقتصارا على الغرض المسوق له من لدنه صادرا من عنده وقرأ ابو بكر باسكان الدال كاسكان الباء في سبع مع الاشمام ليدل على اصله وكسر النون لالتقاء الساكنين وكسر الهاء للاتباع ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا حسنا هو الجنة ماكثين فيه في الاجر ابدا بلا انقطاع وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا خصهم بالذكر وكرر الانذار متعلقا بهم استعظاما لكفرهم وانما لم يذكر المنذر به استغناء بتقدم ذكره ما لهم به من علم اي بالولد او باتخاذه او بالقول والمعنى انهم يقولونه عن جهل مفرط وتوهم كاذب او تقليد لما سمعوه من اوائلهم من غير علم بالمعنى الذي ارادوا به فانهم كانوا يطلقون الاب والابن بمعنى المؤثر والاثر او بالله اذ لو علموه لما جوزوا نسبة الاتخاذ اليه ولا لابائهم الذين تقولوه بمعنى التبني كبرت كلمة عظمت مقالتهم هذه في الكفر لما فيها من التشبيه والتشريك وايهام احتياجه الى ولد يعينه ويخلفه الى غير ذلك من الزيغ وكلمة نصب على التمييز وقرئ بالرفع على الفاعلية والاول ابلغ وادل على المقصود تخرج من افواههم صفة لها تفيد استعظام اجترائهم على اخراجها من افواههم والخارج بالذات هو الهواء الحامل لها وقيل صفة محذوف هو

المخصوص بالذم للنكرة بهها بمعنى بئس وقرئ كبرت بالسكون مع الاشمام ان يقولون الا كذبا
فلعلك باخع نفسك قاتلها على آثارهم اذا ولوا عن الايمان شبهه لما تداخله من
الوجد على توليهم بمن فارقته اعزته فهو يتحسر على آثارهم ويبخع نفسه وجدا عليهم وقرئ باخع نفسك على الاضافة
ان لم يؤمنوا بهذا الحديث بهذا القرآن اسفا للتأسف عليهم او متأسفا عليهم و
الاسف فرط الحزن والغضب وقرئ ان بالفتح على لان فلا يجوز اعمال باخع الا اذا جعل حكاية حال ماضية
انا جعلنا ما على الارض من الحيوان والنبات والمعادن زينة لها ولاهلها لنبلوهم
ايهم احسن عملا في تعاطيه وهو من زهد فيه ولم يغتر به وقنع منه بما يزجي به ايامه وصرفه على
ما ينبغي وفيه تسكين لرسول الله صلعم وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا تزهيدا فيه و
الجرز الارض التي قطع نباتها من الجرز وهو القطع والمعنى لنعيد ما عليها من الزينة ترابا مستويا بالارض ونجعله
كصعيد املس لا نبات فيه ام حسبت بل حسبت ان اصحاب الكهف والرقيم
في ابقاء حياتهم مدة مديدة كانوا من آياتنا عجبا وقصتهم بالاضافة الى خلق ما على الارض من
الاجناس والانواع الفائتة للحصر على طبائع متفاوتة وهيئات مختلفة تعجب الناظرين من مادة واحدة ثم ردها
اليها ليس بعجيب مع انه من آيات الله كالنزر الحقير والكهف الغار الواسع في الجبل والرقيم اسم الجبل او الوادي
الذي فيه كهفهم او اسم كلبهم او قريتهم قال امية بن ابي الصلت وليس بها الا الرقيم مجاورا وصيدهم و
القوم في الكهف هجدا او لوح رصاصي او حجري رقمت فيه اسماؤهم وجعلت على باب الكهف وقيل اصحاب
الرقيم قوم آخرون كانوا ثلثة خرجوا يرتادون لاهلهم فاخذتهم السماء فاووا الى الكهف فانحطت صخرة
وسدت بابه فقال احدهم اذكروا ايكم عمل حسنة لعل الله يرحمنا ببركته فقال واحد استعملت اجيرا ذات يوم
في رجل وسط النهار وعمل في بقيته مثل عملهم فاعطيته مثل اجرهم فغضب احدهم وترك اجره فوضعته
في جانب البيت ثم مر بي بقر فاشتريت به فصيلة فبلغت ما شاء الله فرجع الي بعد حين شيخا ضعيفا لا اعرفه
وقال ان لي عندك حقا وذكره حتى عرفته فدفعتها اليه جميعا اللهم ان كنت فعلت ذلك لوجهك فافرج عنا
فانصدع الجبل حتى رأوا الضوء وقال آخر كان لي فضل واصابت الناس شدة فجاءتني امرأة فطلبت
مني معروفا فقلت والله ما هو دون نفسك فابت وعادت ثم رجعت ثلثا ثم ذكرت لزوجها فقال اجيبي له
واغيثي عيالك فاتت وسلمت الي نفسها فلما تكشفتها وهممت بها ارتعدت فقلت ما لك قالت
اخاف الله فقلت لها خفتيه في الشدة ولم اخفه في الرخاء فتركتها واعطيتها ملتمسها اللهم ان فعلته لوجهك
فافرج عنا فانصدع حتى تعارفوا وقال الثالث كان لي ابوان همان وكانت لي غنم وكنت اطعمهما و

اسقيهما ثم ارجع الى غنمي فحبسني ذات يوم غيث فلم ارح حتى امسيت فاتيت اهلي واخذت محلبي فحلبت فيه ومضيت
اليهما فوجدتهما نائمين فشق علي ان اوقظهما فوقفت جالسا ومحلبي على يدي حتى ايقظهما الصبح فسقيتهما اللهم ان
فعلته لوجهك فافرج عنا ففرج الله عنهم فخرجوا وقد رفع ذلك نعمان بن بشير اذ اوى الفتية الى
الكهف يعني فتية من اشراف الروم ارادهم دقيانوس على الشرك فابوا وهربوا الى الكهف
فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة توجب لنا المغفرة والرزق والامن من العدو وهيئ لنا
من امرنا رشدا نصير بسببه راشدين مهتدين او اجعل لنا امرنا كله رشدا كقوله رايت منك رشدا واصل
التهيئة احداث هيئة الشيء فضربنا على آذانهم اي ضربنا عليهم حجابا يمنع السماع بمعنى انمناهم
انامة لا تنبههم فيها الاصوات فحذف المفعول كما حذف في قولهم بنى على امرأته في الكهف سنين
ظرفان لضربنا عددا اي ذوات عدد ووصف سنين به يحتمل التكثير والتقليل فان مدة لبثهم كبعض يوم عندهم
ثم بعثناهم ايقظناهم لنعلم ليتعلق علمنا تعلقا حاليا مطابقا لتعلقه اولا تعلقا استقباليا اي
الحزبين المختلفين منهم او من غيرهم في مدة لبثهم احصى لما لبثوا امدا اضبط امدا لزمان لبثهم وما
فاي متضمن معنى الاستفهام علق عنه لنعلم فهو مبتدأ واحصى خبره وهو فعل ماض وامدا مفعول له ولما لبثوا حال منه او مفعول
له وقيل انه المفعول واللام مزيدة وما موصولة وامدا تمييز وقيل احصى اسم تفضيل من الاحصاء بحذف الزوائد كقولهم
احصى للمال وافلس من ابن المذلق وامدا نصب بفعل دل عليه احصى كقوله واضرب منا بالسيوف القوانسا نحن
نقص عليك نبأهم بالحق بالصدق انهم فتية شبان جمع فتى كصبي وصبية
آمنوا بربهم وزدناهم هدى بالتثبيت وربطنا على قلوبهم وقويناها بالصبر على
هجر الوطن والاهل والمال والجراءة على اظهار الحق والرد على دقيانوس الجبار اذ قاموا بين يديه فقالوا
ربنا رب السموات والارض لن ندعو من دونه الها لقد قلنا اذا
شططا والله لقد قلنا قولا ذا شطط اي ذا بعد عن الحق مفرط في الظلم هؤلاء مبتدأ قومنا
عطف بيان اتخذوا من دونه آلهة خبره وهو اخبار في معنى انكار لولا يأتون هلا
يأتون عليهم على عبادتهم بسلطان بين ببرهان ظاهر فان الدين لا يؤخذ الا به وفيه دليل على ان
ما لا دليل عليه من الديانات مردود وان التقليد فيه غير جائز فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا بنسبة
الشريك اليه واذ اعتزلتموهم خطاب بعضهم لبعض وما يعبدون الا الله عطف
على الضمير المنصوب اي واذ اعتزلتم القوم ومعبوديهم الا الله فانهم كانوا يعبدون الله ويعبدون الاصنام كسائر
المشركين ويجوز ان تكون ما مصدرية على تقدير واذ اعتزلتموهم وعبادتهم الا عبادة الله وان تكون نافية على انه

من الامر الذي نحن عليه من مفارقة الكفار

إخبار من الله تعالى عن الغيب بالوحي ... فأووا إلى الكهف ينشر لكم ربكم يبسط لكم الرزق ويوسع عليكم من رحمته في الدارين ويهيئ لكم من أمركم مرفقا ما ترتفقون به أي تنتفعون وجزمهم بذلك لخلوص يقينهم وقوة وثوقهم بفضل الله وقرأ نافع وابن عامر مرفقا بفتح الميم وكسر الفاء وهو مصدر جاء شاذا كالمرجع والمحيض فإن قياسه الفتح وترى الشمس لو رأيتهم والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو لكل أحد إذا طلعت تزاور عن كهفهم تميل عنه ولا يقع شعاعها عليهم فيؤذيهم لأن الكهف كان جنوبيا أو لأن الله زورها عنهم وأصله تتزاور فأدغمت التاء في الزاي وقرأ الكوفيون بحذفها وابن عامر ويعقوب تزور كتحمر وقرئ تزوار كتحمار وكلها من الزور بمعنى الميل ذات اليمين جهة اليمين وحقيقتها الجهة ذات اسم اليمين وإذا غربت تقرضهم تقطعهم وتصرم عنهم ذات الشمال يعني يمين الكهف وشماله لقوله وهم في فجوة منه أي وهم في متسع من الكهف يعني في وسطه بحيث ينالهم روح الهواء ولا يؤذيهم كرب الغار ولا حر الشمس وذلك لأن باب الكهف في مقابلة بنات النعش وأقرب المشارق والمغارب إلى محاذاته مشرق رأس السرطان ومغربه والشمس إذا كان مدارها مداره تطلع مائلة عنه مقابلة لجانبه الأيمن وهو الذي يلي المغرب وتغرب محاذية لجانبه الأيسر فيقع شعاعها على جانبيه ويحلل عفونته ويعدل هواءه ولا يقع عليهم فيؤذي أجسادهم ويبلي ثيابهم ذلك من آيات الله أي شأنهم وإيواؤهم إلى كهف كذلك أو إخبارك قصتهم أو ازورار الشمس عنهم وقرضها طالعة وغاربة من آيات الله من يهد الله بالتوفيق فهو المهتد الذي أصاب الفلاح والمراد به الثناء عليهم أو التنبيه على أن أمثال هذه الآيات كثيرة ولكن المنتفع بها من وفقه الله للتأمل فيها والاستبصار بها ومن يضلل ومن يخذله فلن تجد له وليا مرشدا من يليه ويرشده وتحسبهم أيقاظا لانفتاح عيونهم أو لكثرة تقلبهم وهم رقود نيام ونقلبهم في رقدتهم ذات اليمين وذات الشمال كيلا تأكل الأرض ما يليها من أبدانهم على طول الزمان وقرئ ويقلبهم بالياء والضمير لله وتقلبهم على المصدر منصوبا بفعل يدل عليه وتحسبهم أي ترى تقلبهم وكلبهم هو كلب مروا به فتبعهم فطردوه فأنطقه الله فقال أنا أحب أحباء الله فناموا وأنا أحرسكم أو كلب راع مروا به فتبعهم وتبعه الكلب ويؤيده قراءة من قرأ وكالبهم أي وصاحب كلبهم باسط ذراعيه حكاية حال ماضية ولذلك أعمل اسم الفاعل بالوصيد بفناء الكهف وقيل الوصيد الباب وقيل العتبة لو اطلعت عليهم فنظرت إليهم وقرئ لو اطلعت بضم الواو لوليت منهم فرارا هربا منهم وفرارا يحتمل المصدر لأنه نوع من التولية والعلة والحال ولملئت منهم رعبا خوفا

خوفا

يملأ صدرك بما ألبسهم الله من الهيبة أو لعظم أجرامهم وانفتاح عيونهم وقيل لوحشة مكانهم وعن معاوية أنه غزا الروم فمر بالكهف فقال لو كشف لنا عن هؤلاء فنظرنا إليهم فقال ابن عباس ليس لك ذلك قد منع الله منه من هو خير منك فقال لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا فبعث ناسا فلما دخلوا جاءت ريح فأحرقتهم وقرأ الحجازيان ولملئت بالتشديد للمبالغة وابن عامر والكسائي ويعقوب رعبا بالتثقيل وكذلك بعثناهم وكما أنمناهم آية بعثناهم آية على كمال قدرتنا ليتساءلوا بينهم ليسأل بعضهم بعضا فيتعرفوا حالهم وما صنع الله بهم فيزدادوا يقينا على كمال قدرته ويستبصروا به أمر البعث ويشكروا ما أنعم الله به عليهم قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم بناء على غالب ظنهم لأن النائم لا يحصي مدة نومه ولذلك أحالوا العلم إلى الله قالوا ربكم أعلم بما لبثتم ويجوز أن يكون ذلك قول بعضهم وهذا إنكار الآخرين عليهم وقيل إنهم دخلوا الكهف غدوة وانتبهوا ظهيرة وظنوا أنهم في يومهم أو اليوم الذي بعده قالوا ذلك فلما نظروا إلى طول أظفارهم وأشعارهم قالوا هذا ثم لما علموا أن الأمر ملتبس لا طريق لهم إلى علمه أخذوا فيما يهمهم وقالوا فابعثوا أحدكم بورقكم هذه إلى المدينة والورق الفضة مضروبة كانت أو غيرها وقرأ أبو عمرو وحمزة وأبو بكر وروح عن يعقوب بالتخفيف وقرئ بالتثقيل وإدغام القاف في الكاف وبالتخفيف مكسور الواو مدغما وغير مدغم ورد المدغم لالتقاء الساكنين على غير حده وحملهم له دليل على أن التزود رأي المتوكلين والمدينة طرسوس فلينظر أيها أي أهلها أزكى طعاما أحل وأطيب أو أكثر وأرخص فليأتكم برزق منه وليتلطف وليتكلف اللطف في المعاملة حتى لا يغبن أو في التخفي حتى لا يعرف ولا يشعرن بكم أحدا ولا يفعلن ما يؤدي إلى الشعور إنهم إن يظهروا عليكم أي يطلعوا عليكم أو يظفروا بكم والضمير للأهل المقدر في أيها يرجموكم يقتلوكم بالرجم أو يعيدوكم في ملتهم أي يصيروكم إليها كرها من العود بمعنى الصيرورة وقيل كانوا أولا على دينهم فآمنوا ولن تفلحوا إذا أبدا إن دخلتم في ملتهم وكذلك أعثرنا عليهم وكما أنمناهم وبعثناهم لتزداد بصيرتهم أطلعنا عليهم ليعلموا ليعلم الذين أطلعناهم على حالهم أن وعد الله بالبعث أو الموعود الذي هو البعث حق لأن نومهم وانتباههم كحال من يموت ثم يبعث وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن القيامة لا ريب في إمكانها فإن من توفى نفوسهم وأمسكها ثلاثمائة سنين حافظا أبدانها عن التحلل والتفتت ثم أرسلها إليها قدر أن يتوفى نفوس جميع الناس ممسكا إياها إلى أن يحشر أبدانها فيردها عليها إذ يتنازعون ظرف لأعثرنا أي أعثرنا عليهم حين يتنازعون بينهم أمرهم أمر دينهم وكان بعضهم يقول تبعث الأرواح مجردة وبعضهم يقول يبعثان معا ليرتفع الخلاف

نصف القرآن

ويتيقنوا انهم بعثوا ان صحوا او امر الفتية حين لما توفاهم الله بانيابا بالموت فقال بعضهم ماتوا وقال آخرون ناموا نومهم اول مرة وقالت طائفة نبني عليهم بنيانا يسكنه الناس ويتخذونه قرية وقال آخرون لنتخذن مسجدا يصلى فيه كما قال الله تعالى فقالوا ابنوا عليهم بنيانا ربهم اعلم بهم قال الذين غلبوا على امرهم لنتخذن عليهم مسجدا وقوله ربهم اعلم بهم اعتراض اما من الله ردا على الخائضين في امرهم من اولئك المتنازعين او من المتنازعين فيهم على عهد الرسول او من المتنازعين للرد الى الله بعدما تذاكروا امرهم وتناقلوا الكلام في انسابهم واحوالهم فلم يتحقق ذلك لهم روي ان المبعوث لما دخل السوق واخرج الدرهم وكان عليه اسم دقيانوس اتهموه بانه وجد كنزا فذهبوا به الى الملك وكان نصرانيا موحدا فقص عليه القصص فقالوا ان اباءنا اخبرونا ان فتية فروا بدينهم من دقيانوس فلعلهم هؤلاء فانطلق الملك واهل المدينة من مؤمن وكافر وابصروهم وكلموهم ثم قالت الفتية للملك نستودعك الله ونعيذك به من شر الجن والانس ثم رجعوا الى مضاجعهم فماتوا فدفنهم الملك في الكهف وبنى عليهم مسجدا وقيل لما انتهوا الى الكهف قال لهم مكانكم حتى ادخل اولا لئلا يفزعوا فدخل فعمي عليهم المدخل فبنوا ثم مسجدا سيقولون اي الخائضون في قصتهم في عهد الرسول من اهل الكتاب والمؤمنين ثلثة رابعهم كلبهم اي هم ثلثة رجال يربعهم كلبهم بانضمامه اليهم قيل هو قول اليهود وقيل هو قول السيد من نصارى نجران وكان يعقوبيا ويقولون خمسة سادسهم كلبهم قاله النصارى او العاقب منهم وكان نسطوريا رجما بالغيب يرمون رميا بالخبر الخفي الذي لا مطلع لهم عليه واتيانا به او ظنا بالغيب من قولهم رجم بالظن اذا ظن وانما لم يذكر بالسين اكتفاء بعطفه على ما هو فيه قل ربي اعلم بعدتهم ما يعلمهم الا قليل واتبع الاولين قوله رجما بالغيب وبان اثبت العلم بالطائفة بعد ما حصر اقوال الطوائف في الثلثة المذكورة فان عدم ايراد رابع في نحو هذا المحل دليل العدم مع ان الاصل نفيه ثم رد الاولين بان اتبعهما قوله رجما بالغيب ليتعين الثالث وبان ادخل فيه الواو على الجملة الواقعة صفة للنكرة تشبيها لها بالواقعة حالا عن المعرفة لتاكيد لصوق الصفة بالموصوف والدلالة على ان اتصافه بها امر ثابت وعن علي رضي الله عنه هم سبعة وثامنهم كلبهم واسماؤهم يمليخا ومكشلينيا ومشلينيا هؤلاء اصحاب يمين الملك ومرنوش ودبرنوش وشاذنوش اصحاب يساره وكان يستشيرهم والسابع الراعي الذي وافقهم واسم كلبهم قطمير واسم مدينتهم افسوس وقيل الاقوال الثلثة لاهل الكتاب والقليل منهم فلا تمار فيهم الا مراء ظاهرا فلا تجادل في شأن الفتية الا جدالا ظاهرا غير متعمق فيه وهو ان تقص عليهم ما في القران من غير تجهيل لهم والرد عليهم ولا تستفت فيهم منهم احدا ولا تسأل احدا منهم عن قصتهم سؤال متعنت فان فيما اوحي اليك لمندوحة

ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم انما قاله المسلمون باخبار الرسول لهم عن جبريل وايماء الله اليه بان اتبعه قوله صح

عن غيره مع انه لا علم لهم ولا سؤال متعنت يريد تفضيح المسؤول عنه وتزييف ما عنده فانه مخل بمكارم الاخلاق ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله نهي تاديب من الله تعالى لنبيه حين قالت اليهود لقريش سلوه عن الروح واصحاب الكهف وذي القرنين فسألوه فقال ائتوني غدا اخبركم ولم يستثن فابطأ عليه الوحي بضعة عشر يوما حتى شق عليه وكذبته قريش والاستثناء من النهي اي ولا تقولن لاجل شيء تعزم عليه اني فاعل فيما يستقبل الا بان يشاء الله اي الا متلبسا بمشيئته قائلا ان شاء الله او الا وقت ان يشاء الله ان تقوله بمعنى ان ياذن لك فيه ولا يجوز تعليقه بفاعل لان استثناء اقتران المشيئة بالفعل غير سديد واستثناء اعتراضها ينافي النهي واذكر ربك مشيئة ربك وقل ان شاء الله كما روي انه لما نزل قال ان شاء الله اذا نسيت اذا فرط منك نسيان لذلك ثم تذكرته وعن ابن عباس رضي الله عنهما ولو بعد سنة ما لم يحنث ولذلك جوز تاخير الاستثناء عنه وعامة الفقهاء على خلافه لانه لو صح ذلك لم يتقرر اقرار ولا طلاق ولا عتاق ولم يعلم صدق ولا كذب وليس في الآية والخبر ان الاستثناء المتدارك به من القول السابق بل هو من مقدر مدلول به عليه ويجوز ان يكون المعنى واذكر ربك بالتسبيح والاستغفار اذا نسيت الاستثناء مبالغة في الحث عليه او اذكر ربك وعقابه اذا تركت بعض ما امرك به ليبعثك على التدارك او اذكره اذا اعتراك النسيان ليذكرك المنسي وقل عسى ان يهدين ربي لاقرب من هذا رشدا لاقرب رشدا واظهر دلالة على انني نبي من نبأ اصحاب الكهف وقد هداه لاعظم من ذلك كقصص الانبياء المتباعدة عنه ايامهم والاخبار بالغيوب والحوادث النازلة في الاعصار المستقبلة الى قيام الساعة او لاقرب رشدا وادنى خيرا من المنسي ولبثوا في كهفهم ثلثمائة سنين وازدادوا تسعا يعني لبثهم فيه احياء مضروبا على آذانهم وهو بيان لما اجمل قبل وقيل انه حكاية كلام اهل الكتاب فانهم اختلفوا في مدة لبثهم كما اختلفوا في عدتهم فقال بعضهم ثلثمائة وقال بعضهم ثلثمائة وتسع سنين وقرأ حمزة والكسائي ثلثمائة سنين بالاضافة على وضع الجمع موضع الواحد ويحسنه هاهنا ان علامة الجمع فيه جبر لما حذف من الواحد وان الاصل في العدد اضافته الى الجمع ومن لم يضف ابدل السنين من ثلثمائة قل الله اعلم بما لبثوا له غيب السموات والارض له ما غاب فيهما وخفي من احوال اهلها فلا خلق يخفى عليه علما ابصر به واسمع ذكر بصيغة التعجب للدلالة على ان امره في الادراك خارج عما عليه ادراك السامعين والمبصرين اذ لا يحجبه شيء ولا يتفاوت دونه لطيف وكثيف وصغير وكبير وخفي وجلي والهاء تعود الى الله ومحله الرفع على الفاعلية والباء مزيدة عند سيبويه وكان اصله ابصر اي صار ذا بصر ثم نقل الى صيغة الامر بمعنى الانشاء فبرز الضمير لعدم لياقة الصيغة له او لزيادة الباء كما في قوله وكفى بالله

النصب على المفعولية عند الاخفش والفاعل ضمير المامور وهو كل احد والباء مزيدة ان كانت الهمزة للتعدية
وللتعدية ان كانت للصيرورة ما لهم الضمير لاهل السموات والارض من دونه من ولي
يتولى امورهم ولا يشرك في حكمه في قضائه احدا منهم ولا يجعل لهم فيه مدخلا
وقرا ابن عامر وقالون عن يعقوب بالتاء والجزم على نهي كل احد عن الاشراك ثم لما دل اشتمال القرآن على قصة
اصحاب الكهف من حيث انها من المغيبات بالاضافة الى الرسول ص على انه وحي معجز امره بان يداوم
درسه ويلازم اصحابه فقال واتل ما اوحي اليك من كتاب ربك من القرآن
ولا تسمع لقولهم ائت بقرآن غير هذا او بدله لا مبدل لكلماته لا احد يقدر على تبديلها وتغييرها
غيره ولن تجد من دونه ملتحدا ملتجأ تعدل اليه ان هممت به واصبر نفسك
واحبسها وثبتها مع الذين يدعون ربهم بالغدوة والعشي في مجامع اوقاتهم
او في طرفي النهار وقرا ابن عامر بالغدوة وفيه ان غدوة علم في الاكثر فيكون اللام فيه على تاويل التنكير
يريدون وجهه رضا الله وطاعته ولا تعد عيناك عنهم ولا يجاوزهم نظرك
الى غيرهم وتعديته بعن لتضمنه معنى نبا وقرئ لا تعد عينيك ولا تعد من اعداه وعداه والمراد نهي
الرسول صلى الله عليه وسلم ان يزدري بفقراء المؤمنين وتعلو عينه عن رثاثة زيهم طموحا الى طراوة زي الاغنياء تريد
زينة الحيوة الدنيا حال من الكاف في المشهورة ومن المستكن في الفعل في غيرها ولا تطع من
اغفلنا قلبه من جعلنا قلبه غافلا عن ذكرنا كامية بن خلف في دعائك الى
طرد الفقراء عن مجلسك لصناديد قريش وفيه تنبيه على ان الداعي له الى هذا الاستدعاء غفلة قلبه عن
المعقولات وانهماكه في المحسوسات حتى خفي عليه ان الشرف بحلية النفس لا بزينة الجسد وانه لو اطاعه كان مثله في
الغباوة والمعتزلة لما غاظهم اسناد الاغفال الى الله تعالى قالوا انه مثل اجبنته اذا وجدته كذلك او نسبته اليه
او من اغفل ابله اذا تركها غير موسومة اي لم نسمه بالذكر ككلوب الذين كتبنا في قلوبهم الايمان واحتجوا على ان المراد ليس
ظاهر ما ذكروه بقوله واتبع هواه وجوابه ما مر غير مرة وقرئ اغفلنا باسناد الفعل الى القلب
على ان معناه حسبنا قلبه غافلين عن ذكرنا اياه بالمؤاخذة وكان امره فرطا اي تقدما على الحق
ونبذا له وراء ظهره من قولهم فرس فرط اي متقدم للخيل ومنه الفرط وقل الحق من ربكم الحق ما يكون
من جهة الله لا ما يقتضيه الهوى ويجوز ان يكون الحق خبر مبتدا محذوف ومن ربكم حالا فمن شاء فليؤمن
ومن شاء فليكفر لا ابالي بايمان من آمن ولا كفر من كفر وهو لا يقتضي استقلال العبد بفعله
فانه وان كان بمشيته فمشيته ليست بمشيته انا اعتدنا هيأنا للظالمين نارا احاط بهم

سرادقها فسطاط شبه به ما يحيط بهم من النار وقيل السرادق الحجرة التي تكون حول الفسطاط وقيل
دخانها وقيل حائط من النار وان يستغيثوا من العطش يغاثوا بماء كالمهل كالجسد
المذاب وقيل كدردي الزيت وهو على طريقة قوله فاعتبوا بالصيلم يشوي الوجوه اذا قدم ليشرب من
فرط حرارته وهو صفة ثانية لماء او حال من المهل او من الضمير في الكاف بئس الشراب المهل
وساءت النار مرتفقا متكأ واصل الارتفاق نصب المرفق تحت الخد وهو لمقابلة قوله وحسنت
مرتفقا والا فلا ارتفاق لاهل النار ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع
اجر من احسن عملا خبر ان الاولى هي الثانية بما في حيزها والراجع محذوف تقديره من احسن عملا منهم او
مستغنى عنه بعموم من احسن عملا كما هو مستغنى عنه في قولك نعم الرجل زيد او واقع موقعه الظاهر فان من احسن عملا لا يحسن
الحقيقة اطلاقه على الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك لهم جنات عدن تجري من
تحتها الانهار وما بينهما اعتراض وعلى الاول استئناف لبيان الاجر او خبر ثان يحلون فيها من اساور
من ذهب من الاولى للابتداء والثانية للبيان صفة لاساور وتنكيره لتعظيم حسنها من الاحاطة وهو جمع
اسورة او اسوار جمع سوار ويلبسون ثيابا خضرا لان الخضرة احسن الالوان واكثرها طراوة من
سندس واستبرق ما رق من الديباج وما غلظ منه جمع بين النوعين للدلالة على ان فيها ما تشتهي
الانفس وتلذ الاعين متكئين فيها على الارائك على السرر كما هو هيئة المتنعمين نعم الثواب
الجنة ونعيمها وحسنت الارائك مرتفقا متكأ واضرب لهم مثلا للكافرين و
المؤمنين رجلين حال رجلين مقدرين او موجودين هما اخوان من بني اسرائيل كافر اسمه قطروس ومؤمن اسمه
يهوذا ورثا من ابيهما ثمانية آلاف دينار فتشاطرا فاشترى الكافر بها ضياعا وعقارا وصرفها المؤمن في
وجوه الخير وآل امرهما الى ما حكاه الله وقيل الممثل لهما اخوان من بني مخزوم كافر وهو الاسود بن عبد الاشد ومؤمن
وهو ابو سلمة عبد الله زوج ام سلمة قبل رسول الله ص جعلنا لاحدهما جنتين بستانين من
اعناب من الكروم والجملة بتمامها بيان للتمثيل او صفة لرجلين وحففناهما بنخل وجعلنا النخل
محيطة بهما مؤزرا بها كرومهما يقال حفه القوم اذا طافوا به وحففته بهم اذا جعلتهم حافين حوله فتزيده الباء مفعولا
ثانيا كقولك غشيته به وجعلنا بينهما وسطهما زرعا ليكون كل منهما جامعا للاقوات والفواكه
متواصل العمارة على الشكل الحسن والترتيب الانيق كلتا الجنتين آتت اكلها ثمرها افراد الضمير

لافراد لفظ كلتا وقرئ كل الجنتين آتى أكله ولم تظلم منه ولم تنقص من أكلها شيئا يعهد في سائر البساتين فان
الثمار تتم في عام وتنقص في عام غالبا وفجرنا خلالهما نهرا ليدوم شربهما فانه الاصل ويزيد بهاؤهما وعن
يعقوب وفجرنا بالتخفيف وكان له ثمر انواع المال سوى الجنتين من ثمر ماله اذا كثره فقال لصاحبه
وهو يحاوره يراجعه في الكلام من حار اذا رجع انا اكثر منك مالا واعز نفرا
حشما واعوانا وقيل اولادا ذكورا لانهم الذين ينفرون معه ودخل جنته بصاحبه يطوف به فيها
يفاخره بها وافراد الجنة لان المراد ما هو جنته وما متع به من الدنيا تنبيها على انه لا جنة له غيرها ولا حظ له في الجنة
التي وعد المتقون او لاتصال كل واحدة من جنتيه بالاخرى او لان الدخول يكون في واحدة واحدة وهو
ظالم لنفسه ضار لها بعجبه وكفره قال ما اظن ان تبيد تفنى هذه الجنة ابدا
لطول امله وتمادي غفلته واغتراره بمهلته وما اظن الساعة قائمة كائنة ولئن رددت
الى ربي بالبعث كما زعمت لاجدن خيرا منها من جنته وقرأ الحجازيان والشامي منهما اي
الجنتين منقلبا مرجعا وعاقبة لانها فانية وتلك باقية وانما اقسم على ذلك لاعتقاده انه تعالى
انما اولاه ما اولاه لاستئهاله واستحقاقه اياه لذاته وهو معه اينما يلقاه قال له صاحبه وهو
يحاوره اكفرت بالذي خلقك من تراب لانه اصل مادتك او مادة
اصلك ثم من نطفة فانها مادتك القريبة ثم سواك رجلا ثم عدلك وكملك انسانا
ذكرا بالغا مبلغ الرجال جعل كفره بالبعث كفرا بالله لان منشأه الشك في كمال قدرة الله تعالى ولذلك رتب
الانكار على خلقه اياه من التراب فان من قدر على بدء خلقه منه قدر ان يعيده منه لكنا هو الله
ربي اصله لكن انا فحذف الهمزة بنقل الحركة او دونه فتلاقت النونان فكان الادغام وقرأ ابن عامر و
يعقوب في رواية بالالف في الوصل لتعويضها من الهمزة او لاجراء الوصل مجرى الوقف وقد قرئ لكن
انا على الاصل وهو ضمير الشان وهو بالجملة الواقعة خبره خبر انا او ضمير الله والله بدله وربي خبره والجملة
خبر انا والاستدراك من اكفرت كانه قال انت كافر بالله لكني مؤمن به وقرئ لكن هو الله ربي ولكن انا لا اله الا
هو ربي ولا اشرك بربي احدا ولولا اذ دخلت جنتك قلت
وهلا قلت عند دخولها ما شاء الله الامر ما شاء الله او ما شاء الله كائن على ان ما موصولة او اي شيء
شاء الله كان على انها شرطية والجواب محذوف اقرارا بانها وما فيها بمشيئة الله ان شاء الله ابقاها وان شاء ابادها

لا قوة الا بالله

لا قوة الا بالله وقلت لا قوة الا بالله اعترافا بالعجز على نفسك والقدرة لله وان ما تيسر لك من عمارتها
وتدبير امرها فبمعونته واقداره عن النبي صلى الله عليه وسلم من رأى شيئا فاعجبه فقال ما شاء الله لا قوة الا بالله لم يضره ان
ترن انا اقل منك مالا وولدا يحتمل ان يكون فصلا وان يكون تأكيدا للمفعول الاول وقرئ
اقل بالرفع على انه خبر انا والجملة مفعول ثان لترن وفي قوله ولدا دليل لمن فسر النفر بالاولاد فعسى ربي
ان يؤتين خيرا من جنتك في الدنيا او في الآخرة لايماني وهو جواب الشرط ويرسل
عليها على جنتك لكفرك حسبانا من السماء مرامي جمع حسبانة وهي الصواعق وقيل هو مصدر
بمعنى الحساب والمراد به التقدير بتخريبها او عذاب حساب الاعمال السيئة فتصبح صعيدا
زلقا ارضا ملساء يزلق عليها باستئصال نباتها واشجارها او يصبح ماؤها غورا غائرا في الارض
مصدر وصف به كالزلق فلن تستطيع له طلبا للماء الغائر ترددا في رده واحيط
بثمره واهلك امواله حسبما توقعه صاحبه وانذره منه وهو مأخوذ من احاط به العدو فانه اذا احاط
به غلبه واذا غلبه اهلكه ونظيره اتى عليه اذا اهلكه من اتى عليهم العدو اذا جاءهم مستعليا عليهم فاصبح
يقلب كفيه ظهرا لبطن تلهفا وتحسرا على ما انفق فيها في عمارتها وهو متعلق بيقلب لان تقليب
الكفين كناية عن الندم فكأنه قيل فاصبح يندم او حال اي متحسرا على ما انفق فيها وهي خاوية ساقطة على
عروشها بان سقطت عروشها على الارض وسقطت الكروم فوقها ويقول عطف على يقلب او حال
من ضميره يا ليتني لم اشرك بربي احدا كانه تذكر موعظة اخيه وعلم انه اتي من قبل شركه
فتمنى لو لم يكن مشركا فلم يهلك الله بستانه ويحتمل ان يكون توبة من الشرك وندما على ما سبق منه ولم تكن
له فئة وقرأ حمزة والكسائي بالياء لتقدمه ينصرونه يقدرون على نصره بدفع الاهلاك او رد
المهلك او الاتيان بمثله من دون الله فانه القادر على ذلك وحده وما كان منتصرا
وما كان ممتنعا بقوته عن انتقام الله منه هنالك في ذلك المقام وتلك الحال الولاية لله
الحق النصرة له وحده لا يقدر عليها غيره تقرير لقوله ولم تكن له فئة ينصرونه او ينصر فيها اولياءه المؤمنين
على الكفرة كما نصر فيما فعل بالكافر اخاه المؤمن ويعضده قوله هو خير ثوابا وخير عقبا
اي لاوليائه وقرأ حمزة والكسائي بالكسر ومعناه السلطان والملك اي هنالك السلطان له لا يغلب ولا يمنع منه
الولاية او لا يعبد غيره كقوله فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فيكون تنبيها على ان قوله يا ليتني لم اشرك
كان عن اضطرار وجزع عما دهاه وقيل هنالك اشارة الى الآخرة وقرأ ابو عمرو والكسائي الحق بالرفع صفة
للولاية وقرئ بالنصب على المصدر المؤكد وقرأ حمزة وعاصم عقبا بالسكون وقرئ عقبى وكلها بمعنى العاقبة واضرب

لهم مثلاً الحيوة الدنيا واذكر لهم ما تشبه الحيوة الدنيا في زهرتها وسرعة زوالها او صفتها الغريبة كماء انزلناه هو ما انزلناه ويجوز ان يكون مفعولاً ثانياً لاضرب على انه بمعنى صير من السماء فاختلط به نبات الارض فالتف بسببه وخالط بعضه بعضاً من كثرته وتكاثفه او نجع في النبات حتى روي ورف وعلى هذا كان حقه فاختلط بنبات الارض لكن لما كان كل من المختلطين موصوفاً بصفة صاحبه عكس للمبالغة في كثرته فاصبح هشيماً مهشوماً مكسوراً تذروه الرياح تفرقه وقرئ تذريه من اذرى والمشبه به ليس الماء ولا حاله بل الكيفية المنتزعة من الجملة وهي حال النبات المنبت بالماء يكون اخضر وارفاً ثم هشيماً تطيره الرياح فيصير كان لم يكن وكان الله على كل شيء من الانشاء والافناء مقتدراً قادراً المال والبنون زينة الحيوة الدنيا يتزين بها الانسان في دنياه ويفنى عنه عما قريب والباقيات الصالحات واعمال الخيرات التي تبقى له ثمرتها ابد الاباد ويندرج فيها ما فسرت به من الصلوة واعمال الحج وصيام رمضان وسبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر والكلام الطيب خير عند ربك ثواباً عائدة من المال والبنين وخير املاً لان صاحبها ينال بها في الاخرة ما كان يؤمل بها في الدنيا ويوم نسير الجبال واذكر يوم نقلعها ونسيرها في الجو او نذهب بها بان نجعلها هباء منبثاً ويجوز عطفه على عند ربك اي الباقيات الصالحات خير عند الله ويوم القيمة وقرا ابن كثير وابو عمرو وابن عامر تسير بالتاء والبناء للمفعول وقرئ تسير من سارت وترى الارض بارزة بادية برزت من تحت الجبال ليس عليها ما يسترها وقرئ وترى على البناء للمفعول وحشرناهم وجمعناهم الى الموقف ومجيئه ماضياً بعد نسير وترى لتحقق الحشر او للدلالة على ان حشرهم قبل التسيير ليعاينوا او ليشاهدوا ما وعد لهم وعلى هذا تكون الواو للحال باضمار قد فلم نغادر فلم نترك منهم احداً يقال غادره واغدره اذا تركه ومنه الغدر لترك الوفاء والغدير لما غادره السيل وقرئ بالياء وعرضوا على ربك شبه حالهم بحال الجند المعروضين على السلطان لا ليعرفهم بل ليامر فيهم صفاً مصطفين لا يحجب احد احداً لقد جئتمونا على اضمار القول على وجه يكون حالاً او عاملاً في يوم نسير كما خلقناكم اول مرة عراة لا شيء معكم من المال والولد كقوله ولقد جئتمونا فرادى او احياء كخلقتكم الاولى لقوله بل زعمتم ان لن نجعل لكم موعداً وقتاً لانجاز الوعد بالبعث والنشور وان الانبياء كذبوكم به وبل للخروج من قصة الى قصة اخرى ووضع الكتاب صحائف الاعمال في الايمان والشمائل او في الميزان وقيل هو كناية عن وضع الحساب فترى المجرمين مشفقين خائفين مما فيه من الذنوب ويقولون يا ويلتنا ينادون هلكتهم التي هلكوها من بين الهلكات

مال هذا الكتاب تعجب من شانه لا يغادر صغيرة هنة صغيرة ولا كبيرة الا احصاها الا عدها واحاط بها ووجدوا ما عملوا حاضراً مكتوباً في الصحف ولا يظلم ربك احداً فيكتب عليه ما لم يفعل او يزيد في عقابه الملائم لعمله واذ قلنا للملئكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس كرره في مواضع لكونه مقدمة للامور المقصود بيانها في تلك المحال وههنا لما شنع على المفتخرين واستقبح صنيعهم قرر ذلك بانه من سنن ابليس او لما بين حال المغرور بالدنيا والمعرض عنها وكان سبب الاغترار بها حب الشهوات وتسويل الشيطان زهدهم اولاً في زخارف الدنيا بانها عرضة الزوال والاعمال الصالحة خير وابقى من انفسها واعلاها ثم نفرهم عن الشيطان بتذكير ما بينهم من العداوة القديمة وهكذا مذهب كل تكرير في القرآن كان من الجن حال باضمار قد او استئناف للتعليل كانه قيل ما له لم يسجد فقيل كان من الجن ففسق عن امر ربه فخرج عن امره بترك السجود او صار فاسقاً كافراً بسبب امر ربه وفيه دليل على ان الملك لا يعصي ابداً وانما عصى ابليس لانه كان جنياً في اصله والكلام المستقصى فيه في سورة البقرة افتتخذونه اعقيب ما وجد منه تتخذونه والهمزة للانكار والتعجب وذريته اولاده او اتباعه وسماهم ذرية مجازاً اولياء من دوني وتستبدلونهم بي فتطيعونهم بدل طاعتي وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلاً من الله ابليس وذريته ما اشهدتهم خلق السموات والارض نفى احضار ابليس وذريته خلق السموات والارض واحضار بعضهم خلق بعضهم ليدل على نفي الاعتضاد بهم في ذلك كما صرح به بقوله ولا خلق انفسهم وما كنت متخذ المضلين عضداً اي اعواناً رداً لاتخاذهم اولياء من دون الله شركاء له في العبادة فان استحقاق العبادة من انواع الخالقية والاشتراك فيه يستلزم الاشتراك فيها فوضع المضلين موضع الضمير ذماً لهم واستبعاداً للاعتضاد بهم وقيل الضمير للمشركين والمعنى ما اشهدتهم خلق ذلك وما خصصتهم بعلوم لا يعرفها غيرهم حتى لو آمنوا اتبعهم الناس كما يزعمون فلا تلتفت الى قولهم طمعاً في نصرتهم للدين فانه لا ينبغي لي ان اعتضد بالمضلين لديني ويعضده قراءة من قرا وما كنت على خطاب الرسول وقرئ متخذاً المضلين على الاصل وعضداً بالتخفيف وعضداً بالاتباع وعضداً كخدم جمع عاضد من عضده اذا قواه ويوم يقول اي الله للكافرين وقرا حمزة بالنون نادوا شركائي الذين زعمتم انهم شركائي او شفعاؤكم ليمنعوكم من عذابي واضافة الشركاء على زعمهم للتوبيخ والمراد ما عبد من دونه وقيل ابليس وذريته فدعوهم فنادوهم للاغاثة فلم يستجيبوا لهم فلم يغيثوهم وجعلنا بينهم بين الكفار وآلهتهم موبقاً مهلكاً يشتركون فيه وهو النار او عداوة هي في شدتها هلاك كقول عمر رضي الله عنه لا يكن حبك كلفاً ولا بغضك تلفاً اسم مكان

او مهلكا من وبق يبق وبقا اذا هلك وقيل البين الوصل اي وجعلنا تواصلهم في الدنيا هلاكا يوم القيمة و
راى المجرمون النار فظنوا فايقنوا انهم مواقعوها مخالطوها واقعون فيها و
لم يجدوا عنها مصرفا انصرافا او مكانا ينصرفون اليه ولقد صرفنا في هذا
القران للناس من كل مثل وكان الانسان اكثر شيء يتاتى منه الجدال
جدلا خصومة بالباطل وانتصابه على التمييز وما منع الناس ان يؤمنوا من الايمان
اذ جاءهم الهدى وهو الرسول الداعي او القران المبين ويستغفروا ربهم
ومن الاستغفار من الذنوب الا ان تاتيهم سنة الاولين الا طلب او انتظار او تقدير ان
تاتيهم سنة الاولين وهو الاستيصال فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه او ياتيهم العذاب
عذاب الاخرة قبلا عيانا وقرا الكوفيون قبلا بضمتين وهو لغة فيه او جمع قبيل بمعنى انواع وقرئ
بفتحتين وهو ايضا لغة يقال لقيته مقابلة وقبلا وقبلا وقبيلا وانتصابه على الحال من الضمير او العذاب وما
نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين للمؤمنين والكافرين و
يجادل الذين كفروا بالباطل باقتراح الايات بعد ظهور المعجزات والسؤال
عن قصة اصحاب الكهف ونحوها تعنتا ليدحضوا به ليزيلوا بالجدال الحق عن مقره ويبطلوه
من ادحاض القدم وهو ازلاقها وذلك قولهم للرسل ما انتم الا بشر مثلنا ولو شاء الله لانزل ملئكة ونحو
ذلك واتخذوا اياتي يعني القران وما انذروا وانذارهم او الذي انذروا به من العقاب
هزوا استهزاء وقرئ هزوا بالسكون وهو ما يستهزا به ومن اظلم ممن ذكر بايات
ربه بالقران فاعرض عنها فلم يتدبرها ولم يتذكر بها ونسي ما قدمت يداه
من الكفر والمعاصي فلم يتفكر في عاقبتها انا جعلنا على قلوبهم اكنة تعليل
لاعراضهم ونسيانهم بانهم مطبوع على قلوبهم ان يفقهوه كراهة ان يفقهوه وتذكير الضمير وافراده
للمعنى وفي اذانهم وقرا يمنعهم ان يستمعوه حق استماعه وان تدعهم الى الهدى
فلن يهتدوا اذا ابدا تحقيقا ولا تقليدا لانهم لا يفقهون ولا يسمعون واذا كما عرفت جزاء
وجواب للرسول على تقدير قوله مالي لا ادعوهم فان حرصه على اسلامهم يدل عليه وربك
الغفور البليغ المغفرة ذو الرحمة الموصوف بالرحمة لو يؤاخذهم بما كسبوا
لعجل لهم العذاب استشهاد على ذلك باهمال قريش مع افراطهم في عداوة الرسول
بل لهم موعد وهو يوم بدر او يوم القيمة لن يجدوا من دونه موئلا منجى و

لا ملجأ يقال وال اذا نجا ووال اليه اذا لجا اليه وتلك القرى يعني قرى عاد وثمود واضرابهم وتلك
مبتدا خبره اهلكناهم او مفعول مضمر يفسره والقرى صفته ولا بد من تقدير مضاف في احدهما ليكون
مرجع الضماير لما ظلموا كقريش بالتكذيب والمراء وانواع المعاصي وجعلنا لمهلكهم
موعدا لاهلاكهم وقتا معلوما لا يستاخرون عنه ساعة ولا يستقدمون فليعتبروا بهم ولا يغتروا بتاخير العذاب
عنهم وقرا ابو بكر لمهلكهم بفتح الميم واللام اي لهلاكهم وحفص بكسر اللام حملا على ما شذ من مصادر يفعل كالمرجع
والمحيض واذ قال موسى مقدر باذكر لفتيه يوشع بن نون بن افرائيم بن يوسف عم فانه كان
يخدمه ويتبعه ولذلك سماه فتيه وقيل لعبده لا ابرح لا ازال اسير فحذف الخبر لدلالة حاله عليه وهو السفر
وقوله حتى ابلغ مجمع البحرين من حيث انها تستدعي ذا غاية عليه ويجوز ان يكون اصله لا
يبرح مسيري حتى ابلغ على ان حتى ابلغ هو الخبر فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فانقلب الضمير والفعل
وان يكون لا ابرح بمعنى لا ازول عما انا عليه من السير والطلب ولا افارقه فلا يستدعي الخبر ومجمع البحرين ملتقى بحري فارس
والروم مما يلي المشرق وعد لقاء الخضر عم فيه وقيل البحران موسى والخضر فان موسى عم كان بحر علم الظاهر و
الخضر كان بحر علم الباطن وقرئ مجمع بكسر الميم على الشذوذ من يفعل كالمشرق والمطلع من يفعل او
امضي حقبا او اسير زمانا طويلا والمعنى حتى يقع اما بلوغ المجمع او مضي الحقب او حتى ابلغ الا ان امضي
زمانا اتيقن معه فوات المجمع والحقب الدهر وقيل ثمانون سنة وقيل سبعون روي ان موسى عم خطب الناس
بعد هلاك القبط ودخوله مصر خطبة بليغة فاعجب بها فقيل له هل تعلم احدا اعلم منك فقال لا فاوحى الله
اليه بل عبدنا الخضر وهو بمجمع البحرين وكان الخضر في ايام افريدون وكان على مقدمة ذي القرنين الاكبر وبقي الى
ايام موسى وقيل ان موسى عم سال ربه اي عبادك احب اليك قال الذي يذكرني ولا ينساني قال فاي عبادك
اقضى قال الذي يقضي بالحق ولا يتبع الهوى قال فاي عبادك اعلم قال الذي يبتغي علم الناس الى علمه عسى ان
يصيب كلمة تدله على الهدى او ترده عن ردى فقال ان كان في عبادك من هو اعلم مني فادللني عليه قال
اعلم منك الخضر قال اين اطلبه قال على الساحل عند الصخرة قال كيف لي به قال تاخذ حوتا في مكتل فحيث
فقدته فهو هناك فقال لفتيه اذا فقدت الحوت فاخبرني فذهبا يمشيان فلما بلغا
مجمع بينهما اي مجمع البحرين وبينهما ظرف اضيف اليه على الاتساع او بمعنى الوصل نسيا
حوتهما نسي موسى ان يطلبه ويتعرف حاله ويوشع ان يذكر له ما راى من حيوته ووقوعه في البحر روي ان موسى عم رقد
فاضطرب الحوت المشوي ووثب في البحر معجزة لموسى او الخضر وقيل توضا يوشع من عين الحيوة فانتضح
الماء عليه فعاش ووثب في الماء وقيل نسيا تفقد امره وما يكون منه امارة على الظفر بالمطلوب فاتخذ

سبيله في البحر سربا فاتخذ طريقه في البحر مسلكا من قوله وسارب بالنهار وقيل امسك
الله جرية الماء على الحوت فصار كالطاق عليه ونصبه على المفعول الثاني وفي البحر حال منه او من السبيل ويجوز
تعلقه باتخذ فلما جاوزا مجمع البحرين قال لفتيه آتنا غداءنا ما نتغدى به لقد
لقينا من سفرنا هذا نصبا قيل لم ينصب حتى جاوز الموعد فلما جاوزه وسار
الليلة والغد الى الظهر القي عليه الجوع والنصب وقيل لم يعي موسى في سفر غيره ويؤيده التقييد باسم
الاشارة قال ارأيت اذ اوينا اي ارأيت ما دهاني اذ اوينا الى الصخرة يعني الصخرة التي
رقد عندها موسى وقيل هي الصخرة التي دون نهر الزيت فاني نسيت الحوت فقدته او نسيت
ذكره بما رأيت منه وما انسانيه الا الشيطان ان اذكره اي وما انساني ذكره الا
الشيطان فان ان اذكره بدل من الضمير وقرئ ان اذكركه وهو اعتذار عن نسيانه بشغل الشيطان له بوساوسه
والحال وان كانت عجيبة لا ينسى مثلها لكنه لما ضرى بمشاهدة امثالها عند موسى والفها قل اهتمامه
بها ولعله نسي ذلك لاستغراقه في الاستبصار وانجذاب شراشره الى جانب القدس بما عراه من مشاهدة
الآيات الباهرة وانما نسبه الى الشيطان هضما لنفسه او لان عدم احتمال القوة للجانبين واشتغالها باحدهما
عن الآخر يعد من نقصان واتخذ سبيله في البحر عجبا سبيلا عجبا وهو كونه كالسرب او
اتخاذا عجبا والمفعول الثاني هو الظرف وقيل هو مصدر فعله المضمر اي قال في آخر كلامه او موسى في جوابه عجبا
تعجبا من تلك الحال وقيل الفعل لموسى اي اتخذ موسى سبيل الحوت في البحر عجبا قال ذلك اي امر الحوت
ما كنا نبغ نطلب لانه امارة المطلوب فارتدا على آثارهما فرجعا في الطريق الذي جاءا فيه
قصصا يقصان قصصا اي يتبعان آثارهما اتباعا او مقتصين حتى اتيا الصخرة فوجدا
عبدا من عبادنا الجمهور على انه الخضر واسمه بليا بن ملكان وقيل اليسع وقيل الياس آتيناه
رحمة من عندنا هي الوحي والنبوة وعلمناه من لدنا علما مما يختص بنا لا يعلم الا بتوفيقنا
وهو علم الغيوب قال له موسى هل اتبعك على ان تعلمن على شرط ان تعلمني
وهو في موضع الحال من الكاف مما علمت رشدا علما ذا رشد وهو اصابة الخير وقرأ البصريان
بفتحتين وهما لغتان كالبخل والبخل وهو مفعول تعلمن ومفعول علمت العائد المحذوف وكلاهما منقولان من علم الذي
له مفعول واحد ويجوز ان يكون علة لاتبعك او مصدرا باضمار فعله ولا ينافي نبوته وكونه صاحب شريعة
ان يتعلم من غيره ما لم يكن شرطا في ابواب الدين فان الرسول ينبغي ان يكون اعلم ممن ارسل اليه فيما بعث به من اصول
الدين وفروعه لا مطلقا وقد راعى في ذلك غاية التواضع والادب فاستجهل نفسه واستأذن ان يكون

تابعا له وسأل منه ان يرشده وينعم عليه بتعليم بعض ما انعم الله عليه قال انك لن تستطيع معي
صبرا نفى عنه استطاعة الصبر معه على وجوه من التأكيد كأنها مما لا يصح ولا يستقيم وعلل ذلك واعتذر
عنه بقوله وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا اي كيف تصبر وانت نبي على ما اتولى
من امور ظواهرها مناكير وبواطنها لم يحط بها خبرك وخبرا تمييز او مصدر لان لم تحط به بمعنى لم تخبره
قال ستجدني ان شاء الله صابرا معك غير منكر عليك ولا اعصي
لك امرا عطف على صابرا اي ستجدني صابرا وغير عاص او على ستجدني وتعليق الوعد بالمشيئة اما للتيمن
او لعلمه بصعوبة الامر فان مشاهدة الفساد والصبر على خلاف المعتاد شديد فلا خلف فيه وفيه دليل على ان
افعال العباد واقعة بمشيئة الله قال فان اتبعتني فلا تسألني عن شيء فلا تفاتحني
بالسؤال عن شيء انكرته مني ولم تعلم وجه صحته حتى احدث لك منه ذكرا حتى ابتدئ
لك ببيانه وقرأ نافع وابن عامر فلا تسألني بالنون الثقيلة فانطلقا على الساحل يطلبان السفينة
حتى اذا ركبا في السفينة خرقها اخذ الخضر فأسا فخرق السفينة بان قلع لوحين من الواحها
قال اخرقتها لتغرق اهلها فان خرقها سبب لدخول الماء فيها المفضي الى غرق اهلها وقرئ
لتغرق بالتشديد للتكثير وقرأ حمزة والكسائي ليغرق اهلها على اسناده الى الاهل لقد جئت شيئا
امرا اتيت امرا عظيما من امر الامر اذا عظم قال الم اقل انك لن تستطيع معي صبرا

انك لك

تذكير لما ذكره قبل قال لا تؤاخذني بما نسيت بالذي نسيته او بشيء نسيته يعني وصيته
بان لا يعترض عليه او بنسياني اياها وهو اعتذار بالنسيان اخرجه في معرض النهي عن المؤاخذة مع قيام المانع
لها وقيل اراد بالنسيان الترك اي لا تؤاخذني بما تركت من وصيتك اول مرة وقيل انه من معاريض الكلام
والمراد شيء آخر نسيه ولا ترهقني من امري عسرا ولا تغشني عسرا من امري بالمضايقة والمؤاخذة
على المنسي فان ذلك يعسر علي متابعتك وعسرا مفعول ثان لترهق فانه يقال رهقه اذا غشيه وارهقه اياه وقرئ
عسرا بضمتين فانطلقا اي بعدما خرجا من السفينة حتى اذا لقيا غلاما فقتله قيل
فتل عنقه وقيل ضرب برأسه الحائط وقيل اضجعه فذبحه والفاء للدلالة على انه كما لقيه قتله من غير تروّ واستكشاف
حال ولذلك قال اقتلت نفسا زكية بغير نفس اي طاهرة من الذنوب وقرأ
ابن كثير وابو عمرو ورويس عن يعقوب زاكية والاول ابلغ وقال ابو عمرو الزاكية التي لم تذنب قط والزكية
التي اذنبت ثم غفرت ولعله اختار الاول لذلك فانها كانت صغيرة لم تبلغ الحلم او انه لم يرها قد اذنبت
ذنبا يقتضي قتلها او قتلت نفسا يقتص بها نبه به على ان القتل انما يباح حدا او قصاصا وكلا الامرين منتف

ولعل تغيير النظم بأن جعل خرقها جزاء واعتراض موسى مستأنفا في الأولى وفي الثانية قتله من جملة الشرط واعتراضه
جزاء لأن القتل أقبح والاعتراض عليه أدخل فكان جديرا بأن يجعل عمدة الكلام ولذلك فصله بقوله لقد
جئت شيئا نكرا أي منكرا وقرأ نافع في رواية قالون وورش وابن عامر ويعقوب
وأبو بكر نكرا بضمتين قال ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبرا زاد
لك فيه مكافحة بالعتاب على رفض الوصية ووسما بقلة الثبات والصبر لما تكرر منه الاشمئزاز
والاستنكار ولم يرعو بالتذكير أول مرة حتى زاد في الاستنكار ثاني مرة قال إن سألتك عن
شيء بعدها فلا تصاحبني وإن سألت صحبتك وعن يعقوب فلا تصحبني أي فلا تجعلني صاحبك
قد بلغت من لدني عذرا قد وجدت عذرا من قبلي لما خالفتك ثلاث مرات
وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله أخي موسى استحيى فقال ذلك لو لبث مع صاحبه لأبصر أعجب الأعاجيب وقرأ
نافع من لدني بتحريك النون والاكتفاء بها عن نون الدعامة كقوله قدني من نصر الخبيبين وأبو بكر لدني بتحريك
النون وإسكان الدال إسكان الضاد من عضد فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية
قرية انطاكية وقيل أبلة البصرة وقيل باجروان أرمينية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما
وقرئ أن يضيفوهما من أضافه يقال ضافه إذا نزل به ضيفا وأضافه وضيفه أنزله وأصل التركيب للميل يقال
ضاف السهم عن الغرض إذا مال فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض يداني أن يسقط
فاستعيرت الإرادة للمشارفة كما استعير لها الهم والعزم قال يريد الرمح صدر أبي براء ويعدل عن دماء
بني عقيل وقال إن دهرا يلف شملي بجمل لزمان يهم بالإحسان وانقض انفعل من قضضته إذا كسرته
ومنه انقضاض الطير والكواكب لهويه أو افعل من النقض وقرئ أن ينقض وينقاص بالصاد المهملة من
انقاصت السن إذا انشقت طولا فأقامه بعمارته أو بعمود عمده به وقيل مسحه بيده فقام
وقيل نقضه وبناه قال لو شئت لاتخذت عليه أجرا تحريضا على أخذ الجعل لينتعشا
به أو تعريضا بأنه فضول لما في لو من النفي كأنه لما رأى الحرمان ومساس الحاجة واشتغاله بما لا يعنيه لم يتمالك
نفسه واتخذ افتعل من تخذ كاتبع من تبع وليس من الأخذ عند البصريين وقرأ ابن كثير والبصريان لتخذت أي
لأخذت وأظهر ابن كثير ويعقوب وحفص الذال وأدغمه الباقون قال هذا فراق
بيني وبينك الإشارة إلى الفراق الموعود بقوله فلا تصاحبني أو إلى الاعتراض الثالث أو الوقت
أي هذا الاعتراض سبب فراقنا أو هذا الوقت وقته وإضافة الفراق إلى البين إضافة المصدر إلى الظرف
على الاتساع وقد قرئ على الأصل سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا

بالخبر الباطن فيما لم تستطع الصبر عليه لكونه منكرا من حيث الظاهر أما السفينة فكانت لمساكين
يعملون في البحر لمحاويج وهو دليل على أن المسكين يطلق على من يملك شيئا إذا لم يكفه وقيل سموا مساكين
لعجزهم عن دفع الملك أو لزمانتهم فإنها كانت لعشرة إخوة خمسة زمنى وخمسة يعملون في البحر فأردت
أن أعيبها أجعلها ذات عيب وكان وراءهم ملك قدامهم أو خلفهم وكان رجوعهم عليه
اسمه جلندي بن كركر وقيل منوار بن جلندي الأزدي يأخذ كل سفينة غصبا من أصحابها وكان
حق النظم أن يتأخر قوله فأردت أن أعيبها عن قوله وكان وراءهم ملك يأخذ لأن إرادة التعييب مسببة عن
خوف الغصب ومسكنة الملاك رتبه على أقوى الجزئين وأدعاهما وعقبه بالآخر على سبيل التقييد والتتميم وقرئ
كل سفينة صالحة والمعنى عليها وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا
أن يرهقهما أن يغشيهما طغيانا وكفرا لنعمتهما بعقوقه فيلحقهما شرا أو يقرن بإيمانهما
طغيانه وكفره فيجتمع في بيت واحد مؤمنان وطاغ كافر أو يعديهما بعلته فيرتدا بإضلاله أو بممالأته على
طغيانه وكفره حبا وإنما خشي ذلك لأن الله أعلمه وعن ابن عباس أن نجدة الحروري كتب إليه كيف قتله و
قد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن قتل الولدان فكتب إليه إن علمت من حال الولدان ما علمه عالم موسى فلك أن تقتل وقرئ فخاف
ربك أي فكره كراهة من خاف سوء عاقبته ويجوز أن يكون قوله فخشينا حكاية لقول الله تعالى فأردنا أن
يبدلهما ربهما خيرا منه أن يرزقهما بدله ولدا خيرا منه زكاة طهارة من الذنوب
والأخلاق الردية وأقرب رحما رحمة وعطفا على والديه قيل ولدت لهما جارية فتزوجها نبي
فولدت نبيا هدى الله به أمة من الأمم وقرأ نافع وأبو عمرو يبدلهما بالتشديد وابن عامر ويعقوب رحما
بالتثقيل وانتصابه على التمييز والعامل اسم التفضيل وكذلك زكاة وأما الجدار فكان لغلامين
يتيمين في المدينة قيل اسمهما أصرم وصريم واسم المقتول جيسور وكان تحته كنز لهما
من فضة وذهب روي ذلك مرفوعا والذم على كنزهما في قوله والذين يكنزون الذهب والفضة لمن لا يؤدي
زكاتهما وما يتعلق بهما من الحقوق وقيل من كتب العلم وقيل كان لوحا من ذهب مكتوب فيه عجبت لمن يؤمن
بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن يؤمن بالرزق كيف يتعب وعجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح وعجبت
لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن إليها لا إله إلا الله محمد
رسول الله وكان أبوهما صالحا تنبيه على أن سعيه في ذلك كان لصلاحه قيل كان بينهما وبين الأب الذي
حفظا فيه سبعة آباء وكان سياحا واسمه كاشح فأراد ربك أن يبلغا أشدهما أي الحلم وكمال
الرأي ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك مرحومين من ربك ويجوز أن يكون علة أو مصدرا

لأراد فإن ارادة الخير رحمة وقيل متعلق بمحذوف تقديره فعلت ما فعلت رحمة من ربك ولعل اسناد الارادة
اولا الى نفسه لانه المباشر للتعييب وثانيا الى الله والى نفسه لان التبديل باهلاك الغلام وايجاد الله
بدله وثالثا الى الله وحده لانه لا مدخل له في بلوغ الغلامين او لان الاول في نفسه شر والثالث
خير والثاني ممتزج او لاختلاف حال العارف في الالتفات الى الوسائط وقيل متعلق بمحذوف
وما فعلته وما فعلت ما رأيته عن أمري عن رأيي وانما فعلته بامر الله ومبنى ذلك على انه اذا
تعارض ضرران يجب تحمل اهونهما لدفع اعظمهما وهو اصل ممهد غير ان الشرائع في تفاصيله مختلفة ذلك
تأويل ما لم تسطع عليه صبرا اي ما لم تستطع فحذف التاء تخفيفا ومن فوائد هذه القصة
ان لا يعجب المرء بعلمه ولا يبادر الى انكار ما لم يستحسنه فلعل فيه سرا لا يعرفه وان يداوم على التعلم و
يتذلل للمعلم ويراعي الادب في المقال وان ينبه المجرم على جرمه ويعفو عنه حتى يتحقق اصراره ثم يهاجر عنه
ويسألونك عن ذي القرنين يعني اسكندر الرومي ملك فارس والروم وقيل المشرق
والمغرب ولذلك سمي ذا القرنين او لانه طاف قرني الدنيا شرقها وغربها وقيل لانه انقرض في ايامه قرنان
من الناس وقيل كان له قرنان اي ضفيرتان وقيل كان لتاجه قرنان ويحتمل انه لقب بذلك لشجاعته
كما يقال الكبش للشجاع كأنه ينطح اقرانه واختلف في نبوته مع الاتفاق على ايمانه وصلاحه والسائلون هم اليهود
سألوه امتحانا او مشركو مكة قل سأتلو عليكم منه ذكرا خطاب للسائلين والهاء
لذي القرنين وقيل لله تعالى إنا مكنا له في الأرض اي مكنا له امره من التصرف فيها
كيف شاء فحذف المفعول وآتيناه من كل شيء سببا اراده وتوجه اليه
فأتبع سببا اي فاراد بلوغ المغرب فاتبع سببا يوصله اليه وقرأ الكوفيون وابن عامر بقطع الالف
مخففة التاء حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة
ذات حمأة من حمئت البئر اذا صارت ذات حمأة وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وابو بكر حامية اي حارة
ولا تنافي بينهما لجواز ان تكون العين جامعة للوصفين او حمية على ان ياءها مقلوبة عن الهمزة لكسرة ما قبلها و
لعله بلغ ساحل المحيط فرآها كذلك اذ لم يكن في مطمح بصره غير الماء ولذلك قال وجدها تغرب ولم يقل كانت
تغرب وقيل ان ابن عباس سمع معاوية يقرأ حامية فقال حمئة فبعث معاوية الى كعب الاحبار كيف تجد
الشمس تغرب قال في ماء وطين كذلك نجده في التوراة ووجد عندها عند تلك العين قوما
قيل كان لباسهم جلود الوحش وطعامهم ما لفظه البحر وكانوا كفارا فخيره الله بين ان يعذبهم او يدعوهم الى الايمان
كما حكى بقوله قلنا يا ذا القرنين إما أن تعذب اي بالقتل على كفرهم وإما أن تتخذ

فيهم حسنا بالارشاد وتعليم الشرائع وقيل خيره بين القتل والاسر وسماه احسانا في مقابلة القتل ويؤيد
الاول قوله قال أما من ظلم فسوف نعذبه عذابا نكرا اي فاختار الدعوة
وقال اما من دعوته فظلم نفسه بالاصرار على كفره او استمر على ظلمه الذي هو الشرك فسوف نعذبه انا ومن معي في الدنيا
بالقتل ويعذبه الله في الآخرة عذابا منكرا لم يعهد مثله وأما من آمن وعمل صالحا وهو ما يقتضيه
الايمان فله في الدارين جزاء الحسنى فعلته الحسنى وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب وحفص جزاء
منونا منصوبا على الحال اي فله المثوبة الحسنى مجزيا بها او على المصدر لفعله المقدر حالا اي يجزى بها جزاء او
التمييز وقرئ منصوبا غير منون على ان تنوينه حذف لالتقاء الساكنين ومنونا مرفوعا على انه المبتدأ والحسنى بدله ويجوز
ان يكون اما واما للتقسيم دون التخيير اي ليكن شأنك معهم اما التعذيب واما الاحسان فالاول لمن اصر على الكفر
والثاني لمن تاب عنه ونداء الله اياه ان كان نبيا فبوحي وان كان غيره فبالهام او على لسان نبي و
سنقول له من أمرنا مما نأمره به يسرا سهلا ميسرا غير شاق وتقديره ذا يسر وقرئ
بضمتين ثم أتبع سببا ثم اتبع طريقا يوصله الى المشرق حتى إذا بلغ مطلع الشمس
يعني الموضع الذي تطلع الشمس عليه اولا من معمورة الارض وقرئ بفتح اللام على اضمار مضاف اي مكان
مطلع الشمس فانه مصدر وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا
من اللباس او البناء فان ارضهم لا تمسك الابنية او انهم اتخذوا الاسراب بدل الابنية كذلك
اي امر ذي القرنين كما وصفناه في رفعة المكان وبسطة الملك او امره فيهم كامره في اهل المغرب من التخيير و
الاختيار ويجوز ان يكون صفة مصدر محذوف لوجد او نجعل او صفة قوم اي على قوم مثل ذلك القبيل الذي
تغرب عليهم الشمس في الكفر والحكم وقد أحطنا بما لديه من الجنود والآلات والعدد والاسباب
خبرا علما تعلق بظواهره وخفاياه والمراد ان كثرة ذلك بلغ مبلغا لا يحيط به الا علم اللطيف الخبير ثم
أتبع سببا يعني طريقا ثالثا معترضا بين المشرق والمغرب آخذا من الجنوب الى الشمال حتى إذا
بلغ بين السدين بين الجبلين المبني بينهما سده وهما جبلا ارمينية واذربيجان وقيل جبلان
في اواخر الشمال في منقطع ارض الترك من ورائهما يأجوج ومأجوج وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائي و
ابو بكر ويعقوب بين السدين بالضم وهما لغتان وقيل المضموم لما خلقه الله تعالى والمفتوح لما عمله الناس لانه
في الاصل مصدر سمي به حدث يحدثه الناس وقيل بالعكس وبين ههنا مفعول به وهو من الظروف المتصرفة
وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا لغرابة لغتهم وقلة فطنتهم و
قرأ حمزة والكسائي لا يفقهون اي لا يفهمون السامع كلامهم ولا يبينونه لتلعثمهم فيه قالوا يا ذا

القرنين اي قال مترجمهم وفي مصحف ابن مسعود قال الذين من دونهم ان ياجوج وماجوج
قبيلتان من ولد يافث بن نوح عم وقيل ياجوج من الترك وماجوج من الجيل والديلم وهما اسمان اعجميان بدليل
منع الصرف وقيل عربيان من اج الظليم اذا اسرع واصلهما الهمز كما قرا عاصم ومنع صرفهما للتعريف و
التانيث مفسدون في الارض اي ارضنا بالقتل والتخريب واتلاف الزرع قيل
كانوا يخرجون ايام الربيع فلا يتركون شيئا اخضر الا اكلوه ولا يابسا الا احتملوه وقيل كانوا ياكلون الناس
فهل نجعل لك خرجا جعلا نخرجه من اموالنا وقرا حمزة والكسائي خراجا وكلاهما واحد كالنول و
النوال وقيل الخراج على الارض والذمة والخرج المصدر على ان تجعل بيننا وبينهم سدا
يحجز خروجهم علينا وقد ضمه من ضم السدين غير حمزة والكسائي قال ما مكني فيه ربي
خير ما جعلني فيه مكينا من المال والملك خير مما تبذلون لي من الخراج ولا حاجة لي اليه وقرا ابن
كثير مكنني على الاصل فاعينوني بقوة اي بقوة فعلة او صناع او بما اتقوى به من الالات اجعل
بينكم وبينهم ردما حاجزا حصينا وهو اكبر من السد من قولهم ثوب مردم اذا كان
رقاعا فوق رقاع اتوني زبر الحديد قطعه والزبرة القطعة الكبيرة وهو لا ينافي رد الخراج
والاقتصار على المعونة لان الايتاء بمعنى المناولة ويدل عليه قراءة ابي بكر ردما ايتوني بكسر التنوين
موصلة الهمزة على معنى جيئوني بزبر الحديد والباء محذوفة حذفها في امرتك الخير ولان اعطاء الالة من
الاعانة بالقوة دون الخراج على العمل حتى اذا ساوى بين الصدفين بين جانبي الجبلين
بتنضيدها وقرا ابن كثير وابن عامر والبصريان بضمتين وابو بكر بضم الصاد وسكون الدال وقرئ بفتح
الصاد وضم الدال وكلها لغات من الصدف وهو الميل لان كلا منهما منعزل عن الاخر ومنه التصادف للتقابل
قال انفخوا اي قال للعملة انفخوا في الاكوار والحديد حتى اذا جعله جعل المنفوخ فيه نارا
كالنار بالاحماء قال اتوني افرغ عليه قطرا اي اتوني قطرا اي نحاسا مذابا افرغ
عليه قطرا فحذف الاول لدلالة الثاني عليه وبه تمسك البصريون على ان اعمال الثاني من العاملين المتوجهين نحو
معمول واحد اولى اذ لو كان قطرا مفعول اتوني لاضمر مفعول افرغ حذرا عن الالتباس وقرا حمزة وابو بكر قال
ايتوني موصولة الالف فما اسطاعوا بحذف التاء حذرا من تلاقي متقاربين وقرا حمزة بالادغام
جامعا بين الساكنين على غير حده وقرئ بقلب السين صادا ان يظهروه ان يعلوه بالصعود لارتفاعه
وانملاسه وما استطاعوا له نقبا لثخنه وصلابته قيل حفر للاساس حتى بلغ الماء وجعل من
الصخرة والنحاس المذاب والبنيان من زبر الحديد بينهما الحطب والفحم حتى ساوى اعلى الجبلين ثم وضع المنافخ

حتى صار كالنار فصب النحاس المذاب عليه فاختلط والتصق بعضه ببعض وصار جبلا صلدا و
قيل بناه من الصخور مرتبطا بعضها ببعض بكلاليب من حديد ونحاس مذاب في تجاويفها قال هذا
هذا السد او الاقدار على تسويته رحمة من ربي على عباده فاذا جاء وعد ربي
وقت وعده بخروج ياجوج وماجوج او بقيام الساعة بان شارف يوم القيمة جعله دكا مدكوكا
مبسوطا مسوى بالارض مصدر بمعنى مفعول ومنه جمل ادك منبسط السنام وقرا الكوفيون دكاء بالمد اي ارضا
مستوية وكان وعد ربي حقا كائنا لا محالة وهو اخر حكاية قول ذي القرنين وتركنا
بعضهم يومئذ يموج في بعض وجعلنا بعض ياجوج وماجوج حين يخرجون مما وراء
السد يموجون في بعض مزدحمين في البلاد او يموج بعض الخلق في بعض فيضطربون ويختلطون انسهم وجنهم
حيارى ويؤيده ونفخ في الصور لقيام الساعة فجمعناهم جمعا للحساب والجزاء و
عرضنا جهنم يومئذ للكافرين وابرزناها واظهرناها لهم الذين كانت
اعينهم في غطاء عن ذكري عن اياتي التي ينظر اليها فاذكر بالتوحيد والتعظيم و
كانوا لا يستطيعون سمعا استماعا لذكري وكلامي لافراط صممهم عن الحق فان الاصم
قد يستطيع السمع اذا صيح به وهؤلاء كانهم اصمت مسامعهم بالكلية افحسب الذين كفروا
افظنوا والاستفهام للانكار ان يتخذوا عبادي اتخاذهم الملئكة والمسيح من دوني اولياء
معبودين نافعهم او لا اعذبهم به فحذف المفعول الثاني كما يحذف الخبر للقرينة او سد ان يتخذوا مسد مفعوليه
وقرئ افحسب الذين كفروا اي افكافيهم في النجاة وان بما في حيزه مرتفع بانه فاعل حسب فان النعت اذا اعتمد
على الهمزة ساوى الفعل في العمل او خبر له انا اعتدنا جهنم للكافرين نزلا ما يقام
للنزيل وفيه تهكم وتنبيه على ان لهم وراءها من العذاب ما تستحقر دونه قل هل ننبئكم بالاخسرين
اعمالا نصب على التمييز وجمع لانه من اسماء الفاعلين او لتنوع اعمالهم الذين ضل سعيهم في
الحيوة الدنيا ضاع وبطل لكفرهم وعجبهم كالرهبانية فانهم خسروا دنياهم واخرتهم ومحله الرفع على
الخبر المحذوف فانه جواب السؤال او الجر على البدل او النصب على الذم وهم يحسبون انهم
يحسنون صنعا بعجبهم واعتقادهم انهم على الحق اولئك الذين كفروا بايات ربهم
بالقران او بدلائله المنصوبة على التوحيد والنبوة ولقائه بالبعث على ما هو عليه او لقاء عذابه فحبطت
اعمالهم بكفرهم فلا يثابون عليها فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا فنزدري بهم ولا نجعل لهم مقدارا
واعتبارا او لا نضع لهم ميزانا يوزن به اعمالهم لانحباطها ذلك الامر ذلك وقوله جزاؤهم

جهنم جملة مبينة له ويجوز ان يكون ذلك مبتداء والجملة خبره والعايد محذوف اى جزاؤهم به او
جزاؤهم بدله وجهنم خبره وجزاؤهم خبره وجهنم عطف بيان للخبر بما كفروا واتخذوا اياتي
ورسلي هزوا اي بسبب ذلك ان الذين امنوا وعملوا الصالحات كانت
لهم جنات الفردوس نزلا فيما سبق من حكم الله ووعده والفردوس اعلى درجات
الجنة واصله البستان الذي يجمع الكرم والنخل خالدين فيها حال مقدرة لا يبغون عنها
حولا تحولا اذ لا يجدون اطيب منها حتى تنازعهم اليه انفسهم ويجوز ان يراد به تاكيد الخلود قل لو
كان البحر مدادا ما يكتب به وهو اسم ما يمد به الشيء كالحبر للدواة والسليط للسراج لكلمات
ربي لكلمات علمه وحكمته لنفد البحر لنفد جنس البحر باسره لان كل جسم متناه قبل ان تنفد
كلمات ربي فانها غير متناهية لا تنفد كعلمه ولو جئنا بمثله بمثل البحر الموجود مددا
زيادة ومعونة لان مجموع المتناهيين متناه بل مجموع ما يدخل في الوجود من الاجسام لا يكون الا متناهيا للدلايل
القاطعة على تناهي الابعاد والمتناهي ينفد قبل ان ينفد غير المتناهي لا محالة وقرا حمزة والكسائي ينفد بالياء و
قرئ مددا بكسر الميم جمع مدة وهي ما يستمده الكاتب ومدادا وسبب نزولها ان اليهود قالوا في كتابكم
ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وتقرؤون وما اوتيتم من العلم الا قليلا قل انما انا بشر مثلكم
لا ادعي الاحاطة على كلماته يوحى الي انما الهكم اله واحد وانما تميزت عنكم بذلك
فمن كان يرجو لقاء ربه يامل حسن لقائه فليعمل عملا صالحا يرتضيه الله
ولا يشرك بعبادة ربه احدا بان يرائيه او يطلب منه اجرا روى
ان جندب بن زهير قال لرسول الله صلعم اني لاعمل العمل لله فاذا اطلع عليه احد سرني
فقال ان الله لا يقبل ما شورك فيه فنزلت تصديقا له وعنه عم اتقوا الشرك
الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر قال الريا والاية
جامعة لخلاصة العلم والعمل وهما
التوحيد
و
الاخلاص في الطاعة وعن النبي صلعم من قراها عند مضجعه كان له نورا في مضجعه يتلالا الى مكة حشو ذلك النور ملئكة يصلون عليه حتى
يقوم وان كان مضجعه بمكة كان له نورا يتلالا من مضجعه الى البيت المعمور حشو ذلك النور ملئكة يصلون عليه حتى يستيقظ وعنه عم من قرا
سورة الكهف من اخرها كانت له نورا من قرنه الى قدمه ومن قراها كلها كانت له نورا من الارض الى السما والله اعلم

[illegible] ١١٢٦

[illegible] البغدادي الوداد